بدأ صدورها في 2012م الرقم الدولي: 2321-7928

مـجـلـة الهـــند

مجلة فصلية محكّمة

المجلد: 10 العدد: 4

أكتوبر-ديسمبر 2021م

العـدد الخـاص

بسيرة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(الجزء السابع)

مدير التحرير

د. أورنك زيب الأعظمي

المشارك في التحرير

د. هيفـــاء شاكـري

نائب مدير التحرير

د. محمد معتصم الأعظمي

تـصــدر عـن

مولانا آزاد آئيديل إيجوكيشنال ترست

بولفور، بنغال الغربية

المراسلات المتعلقة بالاشتراك في الطباعة والنشر توجه إلى:

عنوان البريد:

مولانا آزاد آئيديل إيجوكيشنال ترست، بولفور، بنغال الغربية رقم البريد: 731235

الهيأة الاستشارية

د. مثنى حارث الضاري (العراق)	د. سناء شعلان (الأردن)
د. صالح البلوشي (عمان)	السيد محمد دانش الأعظمي (البحرين)

هيأة التحكيم

د. بشري زيدان (مصر)	د. حسن يشو (قطر)
د. عامر خليل الجراح (تركيا)	د. محمد فضل الله شريف (الهند)

هيأة التحرير

د. أورنك زيب الأعظمي (مدير التحرير)	د. هيفاء شاكري (المشارك في التحرير)
د. محمد معتصم الأعظمي (نائب مدير التحرير)	محمد شفاء الرحمن المدني (عضو)

عنوان البريد الإلكتروني:

(1) aurang11zeb@yahoo.co.in

(2) azebazmi@gmail.com

موقع المجلة: www.azazmi.com

الاشتراك السنوي:

1000 روبية (للطلاب) 1500 روبية (للأساتذة والمكتبات)

قواعد النشر في المجلة

بالنسبة للبحوث التي ترسل للنشر في المجلة، يرجى مراعاة القواعد الآتية:

1. تقبل المجلة نشر البحوث باللغة العربية، إذا توافرت فيها الشروط التالية:
   أ. أن يتسم البحث بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه.
   ب. أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية والمعتبرة في مجاله.
   ج. أن يكون البحث دقيقًا في التوثيق والتخريج.
   د. أن يتسم بالسلامة اللغوية.
   ه. الأفضل أن يتناول البحث موضوعًا جديدًا ذا صلة بالعلوم العربية والإسلامية ومساهمة الهند في مختلف العلوم والفنون والآداب وما إليها.
2. ألا يزيد البحث عن خمسين صفحة، والرجاء من الباحثين استخدام (Amiri) على حجم 11.5.
3. ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدّم لأي جهة أخرى من أجل النشر.
4. يرفق بالبحث ملخص له في حدود صفحة.
5. أن يقر صاحب البحث بأن بحثه عمل أصيل له.
6. تخضع البحوث إلى تحكيم لجان علمية أكاديمية متخصصة وفق المعايير المعتبرة.
7. تحتفظ المجلة بحقها في حذف أو إعادة صياغة بعض الكلمات والعبارات التي لا تناسب مع أسلوبها في النشر.

تعبر المقالات المنشورة عن آراء كاتبيها واجتهاداتهم الشخصية.

مجلة الهند ـ . ـ . ـ .

العروض والقوافي وشعر الإمام الفراهي العربي نموذجًا	- د. محمد معتصم الأعظمي	197
أهمية الشعر الجاهلي في فهم القرآن الكريم ومدى الاستفادة منه	- د. سيد أزكيا الهاشمي ترجمة: محمد شفاء الرحمن	266
جهود علماء الهند في خدمة العلوم العربية والإسلامية، الإمام عبد الحميد الفراهي نموذجًا	- د. محمد البويسفي	293
الاعتراض	- الإمام عبد الحميد الفراهي تحقيق وتقديم: د. أورنك زيب الأعظمي	309
"مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا"	- د. أورنك زيب الأعظمي	319
"يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ"	- د. أورنك زيب الأعظمي	327
نظرات في مؤلفات الإمام عبد الحميد الفراهي (في ضوء ما نُشِرَ في مجلة الهند عن الإمام الفراهي)	- د. جمشيد أحمد الندوي	343
استعراضات لمؤلفات الإمام الفراهي	- الشيخ سعيد أحمد الأكبرآبادي ترجمة: د. نصير الدين	592
"نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، ميزات وخصائص	- د. محمد فضل الله شريف	606
التكميل في أصول التأويل، عرض وتقويم	- د. يوسف عكاش - د. محمد العماري	620
أضواء على: الرأي الصحيح في من هو الذبيح	- د. عبيد الرحمن طيب	649

مجلة الهند ـ ـ ـ

مجلة الهند ـ ـ ـ

ISSN: 2321-7928

العلامة عبد الحميد الفراهي

- أ.د. عبيد الله فهد[1]

ترجمة من الأردوية: د. هيفاء شاكري[2]

القرآن كتاب هداية[3] وثورة، ومنارة نور في جوّ الكفر والإلحاد، وإعلان للجهاد[4] ضد الظلم والاستبداد، وببركة هذا الكتاب صار أصحاب الإبل من العرب قوادًا للعالم، وأصبحوا أساتذة العدل بعد خروجهم من براثن الشك والجهل. ولكن من يتلوه اليوم ليلًا ونهارًا لا يشعر بأيّ تغيير في أحاسيسه، أو أيّ حمية ضد الجهل والجاهلية. وإن أردت معرفة السبب، عليك أن تفهم فلسفة الربط ونظام القرآن للإمام الفراهي.

ولد الشيخ الفراهي عام 1230هـ الموافق 1863م في قرية فريها في شمال أعظم كره. سمّاه والداه حميد الدين، ولكنه بدأ يكتب عبد الحميد مراعاة للقواعد العربية وذلك عند بلوغه سنّ الإدراك، والتزم بهذا الاسم طوال حياته.[5] وبعد إكماله تعليمه الابتدائي، انتقل إلى صحبة أخيه الأكبر العلامة شبلي النعماني للنيل من منهله، وقد

[1] أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة علي كره الإسلامية، علي كره

[2] مشارك في التحرير وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي.

[3] لقد بيّن الله أنّ القرآن هدى للمتقين (سورة البقرة: 2) وبينة ونور وهداية ورحمة ويمكن الاطلاع على ذلك في الآيات التالية: سورة النساء: 174، وسورة الأنعام: 157.

[4] يقول الله تعالى: "فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا": سورة الفرقان: 52. وقد اتفق المفسرون بأن مرجع ضمير الهاء هو القرآن وهنا أمر بالجهاد للقرآن الكريم.

[5] جمعت أغلب المعلومات في هذا المقال من المعلومات المتوفرة في مقالي السيد سليمان الندوي وأمين أحسن الإصلاحي إضافة إلى أطروحة الدكتوراه من جامعة الأزهر، وهو غير مطبوعة بعنوان حميد الدين الفراهي حياته ومنهجه في تفسير القرآن وأثر ذلك في الهند قدمها سيد سعيد أحسن العابدي، وكاتب المقال هذا يشكر أصحاب العلم هولاء، وهذه المقالة العربية غير المطبوعة موجودة في مكتبة جامعة الفلاح بليرياكنج، أعظم كره. (مجموعة الشيخ جليل أحسن الندوي) وقد استطعت قراءة هذه المقالة المشتملة على 294 صفحة بفضل أستاذي الشيخ أبوبكر الإصلاحي وصديقي عبد الرحمن خالد الفلاحي، فجزاهم خيرًا.

تعرف شبلي من ذكائه وفطنته أنّ هذا الفتى سوف يكون له شأن في خدمة الدين والأمة، لذلك أبقاه عنده، وعندما سافر شبلي إلى لكناؤ لطلب العلم على يد الشيخ أبو الحسنات عبد الحي الكنوي اصطحبه معه، وكانت فترة المكوث هناك قصيرة، ولكنه التقى في هذه الفترة بأديب الفارسية المعروف من كلية كينك خواجه عزيز الدين عزيز اللكناوي، ثم ربطتهما علاقة لم تنته إلا بالموت.

لم يكف الشيخ هذا القدر من التعليم العربي والفارسي، وانتقل إلى لاهور لينهل من مناهل العلامة فيض الحسن السهارنبوي، ولكن العلامة كان مشغولًا جدًا، لا يتوفر لديه الوقت لمنحه للآخرين، وقد رفض أن يعلّم في فترة إضافية بعد الكلية الشرقية. ولكن حينما أصر عليه الشيخ، وافق على التعليم في فترة ذهابه وعودته من الكلية.[1] وفي هذه الفترة القصيرة أصبح الفراهي ماهراً بالأدب العربي كما يخبر السيّد سليمان الندوي، وتفوق على أقرانه في الشعر والإنشاء. قرأ كل دواوين شعراء الجاهلية، وبيّن الصعب من أشعارها، وبدأ ينظم القصائد على منوالها ويؤلف الرسائل على طريقة فصحاء العرب.[2]

أصبح الفراهي ماهراً في العلوم الشرقية عام 1883م عندما بلغ العشرين من عمره، وقد لفت أستاذه للقرآن الكريم انتباهه إلى تعلم الإنجليزية والعلوم الغربية، لأنه من المستحيل تعريف العالم الحديث بالإسلام الصحيح بدونهما. فجاء إلى مركز إسلامي وحيد علي كره وقد اشتهر بين علماء الإسلام والباحثين بالباحث الناشئ في تلك الفترة، لذلك أرسله السير سيّد أحمد خان إلى المدير الإنجليزي وكتب إليه: "أرسل إليك طالبَ علم لا مثيل له بين أساتذة وطلاب اللغة العربية والفارسية في الكلية".

مع أنّ شخصًا ماهراً كشبلي النعماني كان موجودًا في الكلية ضمن الأساتذة، فلم تعجب

[1] يذكر احتشام الدين الإصلاحي بأن العلامة فيض الحسن السهارنبوري أخبره بأنك إن كنت تستطيع أن تدرس أثناء ذهابي إلى الكلية والعودة منها فافعل وليس لديه أيّ وقت غير هذا. وإنني أركب العربة التي لا تسع إلا لشخص واحد فوافق الفراهي وكان من عادته أنه يفتح الكتاب ويجري خلف العربة ويدرس وبذل هذا الجهد طالب تربى في رغد العيش.

[2] حيات حميد، ص 5، مطبعة معارف، أعظم كره. 1973م.

كلمات المدح هذه الأستاذ الإنجليزي، واعتبرها إهانة له ولأساتذته. ذهب مسرعًا إلى شبلي وذكر له ما حدث، وقال بغضب:" ألا يوجد حقًا في كليتنا أيّ طالب أو أستاذ يعرف العربية والفارسية مثل هذا الطالب الجديد؟ ألا يعتبر هذا إهانة لحضراتكم؟ أليس هذا تحديًا لمعرفتكم وعلمكم باللغة؟" ولكن شبلي لم يتكدر من هذا الأمر، فقد كان تلميذه وأخوه الأصغر سببًا لرفع شأنه، قال مبتسمًا: "ربما كانت كلمات السير سيّد قاسية عليكم، ولكن الأمر مختلف عندي، أفتخر بأنه كان طالبًا عندي للغة العربية والفارسية".[1]

وجد الفراهي فرصة لتعلم أشياء كثيرة في جوّ عليكره العلمي والبحثي، فمن جهة تعلم اللغة الإنجليزية في المجالس العلمية، والجوّ البحثي، والمناقشات الأدبية واللسانية، ومن جهة أخرى استفاد من الأستاذ البروفيسور توماس آرنولد في دروس الفلسفة الجديدة، فكأنه كان مجمع البحرين، ولكنه لم يتأثر بالثقافة والعلوم الغربية مثل الطلاب المسلمين الآخرين، بل أصبح مسلمًا قويًا خالصًا لمعرفته بالعواصف الغربية. تطورت بعد ذلك ظروف اضطر الفراهي بسببها أن يغادر عليكره وانتقل إلى الله آباد وحصل هناك على شهادة البكالوريوس عام 1892م، وسجل هناك في مرحلة الماجستير للغة العربية، ولكنه لم يستطع الجلوس في الامتحان لبعض الظروف.[2] وحاول أن يقوم بالتدريس في مدرسة الإسلام بكراتشي عام 1896م، وقد منحه السير سيّد الشهادة. وفي نفس الفترة كان السيد أرنولد يرغب في أن يترجم شخص كتابًا مختصًا للقواعد العربية إلى اللغة الإنجليزية، وقد اختار أرنولد الفراهي لهذا العمل.

في نفس هذه الفترة (1903م) سافر حاكم الهند اللورد كرزن إلى سواحل البلاد العربية والخليج العربي لتوطيد العلاقات السياسية مع الحكام العرب. وشعر بضرورة

[1] وقد أضاف السيد سليمان الندوي في هذه القصية الممتعة أن السير سيد كتب أيضًا إلى المدير الإنجليزي بأن يعفى الفراهي من دراسة العربية والفارسية لأنه يوازي الأساتذة في هذا المجال. أنظر مجلة معارف، أعظم كره، 1931م.

[2] ذكر أمين أحسن الإصلاحي سبب ذلك بأن أبواب التحقيق والتنقيد قد تفتحت عليه، والجلوس في الامتحان فقط للحصول على الشهادة كان خلاف طبيعته تماما.

وجود مترجم ماهر في اللغتين العربية والإنجليزية، وتم اختيار الفراهي لهذا الغرض. فقد صاحب اللورد كرزن في هذا السفر، وكان الخطاب العربي الذي ألقي من طرف اللورد أمام الحكام العرب كان من إنشائه.[1] ولكن الفراهي لم ينتهز هذه الفرصة لنفسه بالرغم من تشجيع الحكومة، ولم يعتبره أبدًا محل فخر واعتزاز. بل قام بأداء هذا العمل بعد أن أصر عليه شبلي وأجبره على ذلك، وقد تأسف على غلطته السياسية هذه فيما بعد، ولم يكن يحب ذكرها أمامه أبدًا.

في عام 1906م منحت الحكومة الإنجليزية الكلية الشرقية في عليكره منحة مالية يعتد بها، ولكنها اشترطت لذلك أن يكون البوفيسور المدرس شخصًا أوربيًا، وانتخب لذلك العالم الألماني يوسف هارويز وتم معه تعيين الفراهي بروفيسورًا مساعدًا، فقدم إلى عليكره ومكث فيها إلى عام 1908م، وفي هذه الفترة تعلم الفراهي من العالم الألماني اللغة العبرية، وأصبح ماهرًا بها، فكان يفهم التوراة والإنجيل بدون صعوبة، وقد استفاد منها في مؤلفاته كما يجب.

وفي فترة قيامه في عليكره كان يزور النواب صدر يار جنك الشيخ حبيب الرحمن الشيرواني، ويذكر ذلك في إحدى رسائله، يقول: "كنت مرتبطًا جدًا بالفراهي،

[1] كانت السياسة الخارجية للحكومة البريطانية في تلك الفترة المحافظة على مصالحها بكل الطرق. وأعلن الورد لانس دان Lans Downe في 5 مايو 1903م في مجلس النواب ما يلي:
1ـ يجب على الحكومة البريطانية أن تحمي تجارتها في الخليج.
2ـ إنها تعتبر بناء قاعدة بحرية في الخليج من قبل أي قوة أخرى انتهاكا للمصالح البريطانية، وهي تعارض ذلك بالتأكيد بكل الوسائل.
3ـ وهي لن تعارض التجارة المشروعة للقوى الأخرى. (اقتباس من شفيق أحمد، العلاقات الإنجليزية الإيرانية. ص 49، 1905ـ 1919م، مطبعة دار آسيا، نيويورك، 1979م)
وكان نفس هذا التحذير قد قدم من قبل اللورد كرزن في نوفمبر 1903م، عندما خاطب الشيوخ العرب عل سفينة في أحد السواحل العربية، حيث أعلن أنه يجب منح الأولية للمصالح الإنجليزية بأيّ حال من الأحوال، وأن الإنجليز سيواجهون بشدة من يعارض هذه السياسة. (انظر: وارد وكووش، تاريخ كامبرج للسياسة الخارجية البريطانية 1783-1919، ص 321، الجزء 3، 1923م.
واضطر الفراهي لترجمة هذا الخطاب إلى العربية، وقد تأسف لذلك طوال حياته لكونه في ذلك الوقت جزءًا من النظام الظالم.

وكانت بداية اللقاء عن طريق شبلي رحمه الله، التقيت به أيام التدريس في عليكره، ثم في حيدرآباد، وكان يواصل شغفه بتدبر القرآن في عليكره كذلك، كان يقضي فترة ما بين الساعة الثالثة إلى التاسعة صباحًا في هذا الأمر، ثم يبين نتائج بحثه عند اللقاء.

وكان يهتم في هذه الفترة بمطالعة الكتب السماوية الأخرى وفهم المعاني القرآنية عن طريقها، وقد غادر عليكره وهو على هذه الحال.[1] وعيّن بروفيسورًا للغة العربية في جامعة الله آباد عام 1908م، ويقضي أوقاته المتبقية من التدريس في عملية التأليف والتصنيف. ومنها تولدت لديه فكرة إنشاء مدرسة عربية جديدة بعد مناقشات مع شبلي. وأخيرًا وضع حجر الأساس لمدرسة الإصلاح في منطقة سرائ مير من أعظم كره عام 1910م، وقد خدمت المدرسة في سنواتها القادمة العلم والدين بشكل كبير. مكث الفراهي في الله آباد إلى عام 1913م. وحاول شبلي أن يحمل الفراهي مسؤولية إدارة مدرسة الإصلاح خلال هذه الفترة، فكتب إليه في 9 أبريل 1910م: "أيمكنك البقاء في مدرسة سرائ مير لبضعة أيام؟ من المحتمل أن آتي أيضًا، ونقوم بإصلاح نظامها، علينا أن نجعلها مدرسة دينية خالصة مثل كروكل، بمعنى أن يكون هدف الحياة المعيشة البسيطة، والقناعة، والخدمة الدينية".[2]

وفي عام 1908م عندما ألغي إلحاق دار العلوم في حيدرآباد دكن بقسم الدراسات الشرقية بجامعة مدراس، قلق مسؤولو وزاة التعليم للولاية بشأن التنظيمات الجديدة لهذه المدرسة، وكوّنوا لذلك جمعية لأهل العلم، وكان شبلي أحد أعضائها، وقدّم خطة لجامعة شرقية. وتم اختيار الفراهي كمدير لدار العلوم حسب هذه الخطة، وانتقل الفراهي إلى حيدرآباد في بداية 1914م. وواصل خدمة القرآن الكريم أثناء إقامته في الدكن. ومنح أوقاته لمشروع تصحيح وترتيب ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية والذي بدأه النواب عماد الملك، ولكن وللأسف فإنّ هذه الترجمة ضاعت بعد وفاة النواب ولم تطبع.

[1] عناية الله سبحاني، حميد الدين الفراهي المفسر الكبير، ص47، مكتبة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، 1978م.

[2] شبلي النعماني، مكاتيب شبلي، الجزء الثاني، ص 33، دا المصنفين، أعظم كره.

استقال شبلي في أواخر عام 1913م من عمادة دار العلوم ندوة العلماء، واستقر في أعظم كره بعد العودة، وأرد أن ينشئ دائرة تعليمية تجمع كلًا من مدرسة سرائ مير، والمدرسة الوطنية الثانوية، ودار المصنفين. وفي هذه الفترة التي جمعت بين العزيمة واليأس كتب إلى حميد الدين:[1] "من المؤسف أنّ السيرة لم تكتمل، ولا أجد أحدًا يمكنه إكمال هذا العمل... وإذا تم إنشاء دار المصنفين، فمن يقوم به غيرك؟" ثم كتب مرة أخرى في 28 من أكتوبر 1914م: "إن وافقت بالمجيء إليّ، سأبقى أنا أيضًا...".

على كل حال، في عام 1919م، وعندما بدأت طلائع الجامعة العثمانية تظهر في حيدرآباد، استقال الفراهي وعاد إلى وطنه بعد أن ترك راتب ألف روبية شهريًا. والتزم بالترفع عن الملذات. وقد انشغل الفراهي بعد عودته من حيدرآباد بمدرسة الإصلاح وتدبر المباحث القرآنية طوال حياته، ومنح الاطمئنان الذي طالما بحث عنه طوال حياته حيث صار كتاب الله شغله الشاغل.

ابتلي الفراهي بمرضين لم يفارقاه، الأول صداع الرأس الذي كان يصيبه كثيرًا، والثاني احتباس البول. وعندما شكا المرة الأخيرة سافر إلى متهرا عند طبيب من موطنه لإجراء العملية ولكنها لم تنجح، وتوفي هناك في 19 جماد الثاني 1349هـ الموافق 11 نوفمبر 1930م ودفن فيها.[2]

التقوى: يتساءل كثير من تلاميذه عن أيهما أبرز؟ تقواه أم تفوقه العلمي؟ ولكن الصواب إن التقوى ما هي إلا وليدة العلم، "إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ" وكما كان الفراهي عالمًا ومحققًا كبيرًا، كان تقيًا ورحيمًا ومتواضعًا، وتدل على ذلك بعض أحوال حياته.

كان مسافرًا في صغره إلى لاهور للاستفادة من فيض الحسن السهارنبوي، ودع

[1] نفس المصدر، ص 47.

[2] خدم الفراهي مدرسة الإصلاح من 1925م إلى 1930م متواصلًا، فكان يقيم في المدرسة 3 أيام في الأسبوع، يدرس الأساتذة والطلاب المجتهدين القرآن، ويعرف المسؤولين بنظرياته التعليمية والقرآنية، ويواصل تدبره الدؤوب للقرآن الكريم.

والدته وعند الباب سأله والده: "كم أعطتك والدتك من نقود؟ إن كان في مكانه طفل آخر لكان قد كذب حتى لا يقل مقدار النقود التي سيمنحها الوالد، ولكنه لم يكذب وقال بصراحة: "لن أخبرك". وسرّ الوالد بهذا الرد بدل أن يغضب، وقال: "لا يمكن لحميد أن يكذب". ومنحه نقودًا فاق مقدارها ما توقعه.

كانت هناك قضية أرض ضد والد الفراهي، ولأنّ المعارضين كانوا يثقون به وبأمانته، جعلوه حكمًا في هذه القضية، وقد ذهب فيها الفراهي خلاف والده، ونتيجة لذلك خسر الوالد جزءًا كبير من الأراضي، وقد تحمل الفراهي هذه الخسارة لأنّ الأراضي كانت ستنتقل إليه في النهاية.

كان أبيًا لدرجة أنه لم يذهب أبدًا لزيارة الحاكم أثناء مكوثه في حيدرآباد، وأجبره الناس أن يذهب للقائه، وعندما خرج، سأله أحدهم: "أخبرنا كيف كان اللقاء مع الحاكم؟"، فردّ بغضب: "كما يكون معكم!" فقال الرجل: "المستغني لا يخاف شيئًا".[1] وعندما شعر الفراهي أنه لا يمكن أن يتواصل حياة التواضع والبساطة في حيدرآباد، غادرها. واعتزازه بنفسه هو الذي كان يمنعه من مرافقة اللورد كرزن في رحلته، وقد أصر عليه شبلي بل ضغط عليه حتى وافق، ولكنه تأسف لذلك طوال حياته.

كان يحب حياة التواضع والقناعة، فبالرغم من كونه ينتمي إلى أسرة ميسورة، إلا أنه كان يحب البساطة وحياة طلاب العلم. ويذكر الشيخ أمين أحسن الإصلاحي بأنه شهد السنوات الخمس الأخيرة للفراهي، وكان قد جعل مستوى حياته مثل الطلاب والأساتذة البسطاء لمدرسة الإصلاح، فيتناول معنا ما تيسر من الطعام البسيط، ويلبس لباسهم المتواضع، وكان من المستحيل أن يدرك شخص غريب مكانته وعلو قدره إلا بالنظر إلى جبهته الأبية ونور وجهه الساطع.[2]

كان جريئًا جدًا، فما اعتبره حقًا أعلن عنه صراحة، لا ينظر إلى مصلحة أو تفاهم أو

[1] كان هذا السير أكبر حيدري

[2] حيات حميد، ص 54.

تعاطف، وقد استفاد من البروفيسور أرنولد أثناء مكوثه في عليكره، وتعلم منه الفلسفة، ولكنه لم يكن راضيًا عنه، وكان ينتقد كتابه The Preaching of Islam وكان يقول بأنّ هذا الكتاب قد ألّف أساسًا لإنهاء روح الجهاد من نفوس المسلمين.[1] وأراد السير سيّد أن يترجم تفسيرره للقرآن الكريم إلى اللغة العربية واختاره لهذا العمل، لأنه كان مدركًا لقدارته العلمية، وكان الفراهي قد ترجم جزءًا من السيرة النبوية إلى اللغة الفارسية من طبقات ابن سعد. وكان هذا الكتاب يدرس من ضمن المناهج في الكلية، وكذلك كان قد أصلح رسالة مخطوطة للإمام الغزالي والتي أتى عليها الدود بشكل كبير، حيث كان من المخطط لها أن تطبع، ولذلك لم يكن هناك شخص أفضل من الفراهي لترجمة التفسير العربية، ولكن عندما عرض العمل على الفراهي رفض وقال بأنه لا يريد أن يكون جزءًا من نشر المعصية، ولم يتجرأ أحد بعد ذلك أن يضع أمامه هذه الفكرة.[2] ويذكر تلميذه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي أن ما قدّمه السير سيّد للعلم والتعليم لا غبار عليه، والكل يعترف بعظمها، ولكن ليته لم يفسّر القرآن لأنه لم يكن مناسبًا لذلك، لأنّ كثيرًا من الشباب تولدت لديهم الشكوك والشبهات بعد قراءتهم لهذا التفسير، وكان سببًا في ضعف الإيمان بتعاليم الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.[3]

الفراهي شاعرًا: لم يتخذ الفراهي من الشعر مهنة، ولم يتوجه إليه، ولكن ما نظمه بالفارسية والعربية، جعل أرباب الفن يعترفون بجودته.[4] فقد نظم قصيدة باللغة الفارسية وهو لم يتجاوز 16 من عمره، على منوال شاعر صعب النظم وهو خاقاني

[1] لفهم قرار الفراهي أكثر انظر مقالة د. اشتياق أحمد ظلي، دور الصوفية في نشر الإسلام في شبه القارة، تحقيقات إسلامي، علي كره، يوليو-سبتمبر، 1985م.

[2] عناية الله سبحاني، نفس المصدر، ص 12

[3] د. سعيد أحسن عابدي، نفس المصدر، ص 53.

[4] واعترف الشيخ تقي الدين الهلالي وهو عالم ومحقق عربي كبير بعلو مكانة الفراهي بقوله: "وللشيخ المذكور ديوان شعر سمعته منه، بليغ مؤثر في استنهاض همم المسلمين، وبثّ الحياة في قلوبهم، وذكر عداء الإفرنج لهم، وذكر حرب طرابلس والحرب الكبرى.والرجل فصيح في التكلم لغاية، نادر في علماء العرب فضلًا عن علماء الهند". مجلة الضياء، لكناؤ، عدد رجب 1352هـ

الشيرواني. والقصيدة في مدح السلطان عبد الحميد خان كافية للدلالة على قدراته الأدبية، وهنا بعض الأشعار:[1]

بي جلوه رخ تو بود مضطر آئينه　　خار افگند بپيرهن از جوهر آئينه
گيسوئ همچو شب تو بيار آي وهم بصبح　　فرمائ تو بياورد از خاور آئينه
گستاخ ديده است بروي تو لاجرم　　چشم سپيد يافت بدين كيفر آئينه
كي باضمير شاه شود همسر آفتاب　　كي روئ همچو ماه ترا همسر آئينه

كانت قصيدة مكونة من 20 بيتًا، وتحير الجميع بهذه القصيدة وقدرته على الفارسية. يقول شبلي إنه ذهب بها إلى الشيخ فاروق، وسأله عن صاحب القصيدة من يكون في رأيه؟ فرد عليه بأنه لا يعلم ولكنه يبدو شعر أحد الشعراء القدامى. عندها أخبره شبلي بأنه شعر عبد الحميد فتعجب كثيرًا.

ونرى نفس القدرة على الكلام في الشعر العربي، فقصيدته الطويلة عن حب طرابلس إن كانت تدل على غيرته الإسلامية، وحبه للعرب، وعشقه للأمة، فهي خير شاهد على قدرته وتمكنه ومهارته. وقد عبّر الفراهي في هذه الأشعار عن الألم الذي أصاب قلوب المسلمين الهنود، وكيف تأثرت أحاسيسهم ومشاعرهم جراء هذه الهزيمة:

كيف القرار وقد نكس　　أعلامنا　　بطرابلس
كيف　القرار　　وحولنا　　الأعداء　　ترتقب　　الخلس
من　كل　ذئب　　إن　رآ　　من　عزة　　فينا　　اختلس
نبكي　　على　　إخواننا　　بين القتيل　　ومن　　حبس[2]

وعندما تنازلت تركيا عن طرابلس بعد اتفاقية مع إيطاليا، استشاط العرب والمسلمون

[1] ـ نوائ بهلوي، ص 8 الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، 1967م
[2] ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، ص 8، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، أعظم كره، 1967م

غضباً من فعلة الترك هذه. وعبر عن مشاعر المسلمين الهنود بهذه الأشعار:

يا ترك لا تبغوا الهوينا لا تنعموا الحساد عينا
أتسالون الظالميـ ـن الغانمين لما حمينا
الناهبين بلادنا والغاصبين لما حوينا
نحمي الخلافة بالسيو ف الباترات إذا انتضينا
فربت حدائق مجدها بدمائنا لما سقينا[1]

هذه الأشعار تدل على قدرة الفراهي الكلامية واللغوية، ولم تتم الكتابة عن هذا الجانب للفراهي إلى الآن، ومن واجب الأدباء أن يدرسوا التراث الشعري للفراهي، ويبرزوا ما قام به من عمل مميز في مجال الشعر والأدب. أما هنا فنبرز الجوانب المختلفة المرتبطة بحياته بشكل إجمالي.

المؤلفات: القرآن هو المجال الأساسي للفراهي، وترتبط أغلب إنتاجاته بالمبادئ والأصول الخاصة بنظم وتفسير القرآن، وفيما يلي نتعرف بشكل بسيط على كتبه المطبوعة:

1. تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: طبعت بعض أجزاء تفسير نظام القرآن باللغة العربية، وكذلك ترجمته باللغة الأردية والتي قام بها الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، وقد حاول فيه الفراهي ربط كل آية وحزب وسورة بما قبلها وبما بعدها من الآيات والأحزاب والسور. ففي رأيه إنّ مفتاح الأسرار القرآنية والإعجاز القرآني هو هذا النظم.
2. فاتحة نظام القرآن: هي في الحقيقة مقدمة تفسير نظام القرآن، وقد ناقش فيها المؤلف أصول التفسير. بالإضافة إلى تفسير باسم الله وسورة الفاتحة. وقد نشرت ترجمته الأردية ونالت القبول.

[1] نفس المصدر، ص 15

3. الإمعان في أقسام القرآن: تحدّث فيه المؤلف في البداية عن القسم وأنواعه، ثم ألقى الضوء بالتفصيل والأدلة على حقيقتها، وقد طبعت الترجمة الأردية باسم "أقسام القرآن".
4. مفردات القرآن: فيه تحقيق لبعض مشكلات القرآن، حيث استخرج المؤلف معاني خالف فيها عامة المفسرين واللغويين. وقد زين هذه المعاني النادرة بأدلة من كلام العرب بحيث يصعب إنكارها أو صرف النظر عنها.
5. أساليب القرآن: ناقش فيه المؤلف الأساليب الأدبية للقرآن الكريم، وبيّن أنّ القرآن جعل الكلمات والمعاني المعروفة في كلام العرب معجزة بأسلوبه المميز، ولم يستطع أيّ أديب مهما كان كبيرًا أن يتحدى هذا الإعجاز.
6. دلائل النظام: أثبت فيه المؤلف نظام نظم القرآن بالدلائل، وبيّن عددًا من الأصول لحل مشكلات النظم، والتي تظهر أنّ القرآن الكريم كتاب الله المنظم المربوط، وأنّ العلماء في كل عصر اعترفوا بهذا النظم وحاولوا مراعاته في تفاسيرهم.
7. الرأي الصحيح في من هو الذبيح: تحدّث فيه المؤلف أولًا عن حقيقة الذبح وأهميتها في الإسلام، ثم أثبت بالدلائل المحكمة من التوارة والقرآن الكريم أنّ إبراهيم عليه السلام قدّم إسماعيل للذبح وليس إسحاق عليهما السلام. وقد طبعت ترجمته الأردية كذلك بعنوان "ذبيح كون هي؟".
8. جمهرة البلاغة: وضع المؤلف في هذا الكتاب أصول علم البلاغة في ضوء كلام العرب، والتي يمكن أن تكون معيارًا لمعرفة بلاغة القرآن، كما بيّن أنّ علم البلاغة الرائج المأخوذ من كتب الجرجاني والسكاكي غير كاف وأنّ مصدره الأصلي هي العلوم اليونانية، وبهذا يعتبر هذا الكتاب ثورة في عالم علم البلاغة.
9. التكميل في أصول التأويل: بيّن المؤلف في هذا الكتاب الأصول التي يجب مراعاتها في تأويل معاني القرآن، والتي التزم بها بنفسه في تفسيره.
10. في ملكوت الله: ذكر فيه المؤلف القوانين والأصول المذكورة في القرآن الكريم

والتي ترتبط بعروج وزوال الأمم، والنصر والهزيمة بين الحق والباطل، وأوضح في ضوء ذلك كله النظام السياسي للإسلام.

11. القائد إلى عيون العقائد: ناقش فيه المؤلف وبطريقة عقلية محكمة مبادئ الدين الأساسية من التوحيد والرسالة والمعاد وغيرها، ودلل عليها من القرآن الكريم، إضافة إلى ذلك بين القواعد الأساسية لإعادة ترتيب علم الكلام الحديث.
12. ديوان حميد: وهو ديوانه باللغة العربية، ويضم قصيدته المشهورة عن حادثة طرابلس الدامية، والتي سبق ذكر بعض أشعارها، وقد دمعت عينا الشيخ السنوسي عند سماعها.
13. نواي بهلوي: هذا ديوان الفراهي الفارسي
14. أسباق النحو (الأول والثاني): رتّب فيه المؤلف قواعد النحو والصرف الابتدائية بطريقة علمية وسهلة، وركز فيه كثيرًا على التدريبات والتمرينات، وقد أثبتت التجارب أنها أفضل الطرق لتعلم القواعد الابتدائية.
15. كتاب الأمثال: ترجمة باللغة العربية للأمثال والحكايات بلغة سلسة فصيحة، وهي مفيدة لتدريس العربية في المراحل الابتدائية.
16. فرد نامة: ترجمة منظومة باللغة الفارسية النقية لأمثال سليمان.

المخطوطات (كتب غير مطبوعة):

17. حجج القرآن:[1] ناقش فيه المؤلف أصول الفلسفة القرآنية وبين أهميتها العقلية بعد ذكره نقائص المنطق والفلسفة القديمة والحديثة.
18. فقه القرآن: كان يريد أن يجمع فيه استنتاجاته القيمة في القضايا الفقهية.
19. أسباب النزول: جمعت فيه أراؤه حول أسباب نزول الآيات القرآنية.
20. كتاب الرسوخ في الناسخ والمنسوخ: جمع فيه آراؤه عن الناسخ والمنسوخ.

[1] يمكن أن نقرأ ما كان يريد الفراهي كتابته عن طريقة الاستدلال في القرآن الكريم في الترجمة الأردية لمقاله الذي ترجمه أجمل الإصلاحي. انظر مجلة علوم القرآن ، المجلد 1، العدد 2، يناير يونيو 1986م.

21. أوصاف القرآن:[1] كان يريد أن يكتب عن خصائص القرآن في ضوء الآيات القرآنية.
22. كتاب الحكمة: أوضح فيه الفراهي حكمة القرآن وطرق استنباطها.
23. كتاب العقل وما فوق العقل: ترتبط هذه الرسالة غالبًا بالعقليات الإسلامية.
24. الأزمان والأديان: ناقش فيه الشهور والأيام والتواريخ والأوقات الخاصة في الدين والرموز التي ترمز إليها.
25. إحكام الأصول بأحكام الرسول: كان يريد أن يوضح في هذا الكتاب أنّ كل ما ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تعاليم وإرشادات هي مستنبطة من القرآن الكريم.
26. فلسفة البلاغة: ذكرت مباحثه في جمهرة البلاغة.
27. سليقة العروض: كان يريد أن يرتب العروض على الطريقة العلمية الحديثة مثل النحو والصرف.
28. الإكليل في شرح الإنجيل: شرح فيه الفراهي كلمات وعبارات الإنجيل وخاصة تلك التي قام النصار بتحريفها.
29. النحو الجديد: الخطوة التي لم تكتمل في ميدان النحو والصرف بعد أسباق النحو.
30. رسالة في إصلاح الناس: أوضح فيه وجهة نظره لإصلاح المسلمين، والتي طبعت ترجمته الأردية في الإصلاح قام بها الشيخ أمين أحسن الإصلاحي.
31. تاريخ القرآن: كان يريد أن يثبت نظريته المتعلقة بجمع وترتيب القرآن بالدلائل القرآنية نفسها.
32. الرائع في أصول الشرائع
33. إفادات فراهي: الحواشي التي وضعها الفراهي أثناء دراسته للقرآن الكريم، مفيدة جدًا لطلبة علم القرآن، وإن نشرت فإنها ستكون مفيدة جدًا في فهم

[1] كما أعلم فسلطان أحمد الإصلاحي يحقق فيه، وسيظهر قريبًا بإذن الله.

مشكل القرآن وشرحه وشرح بعض معانيه الصعبة.[1]

34. ألّف الفراهي رسالة في رد الشفاعة والكفارة باللغة الإنجليزية، وهي غير متوفرة الآن، ولكن الشيخ أمين أحسن الإصلاحي وضعها في فهرس المطبوعات، وهذا يعني أنها طبعت في تلك الفترة.[2]

ولم تكتمل تحقيقات أغلب المخطوطات، ولم يتمكن الفراهي من الكتابة عنها إلا بعض الفصول والمذكرات، ولكن هذه الإشارات القليلة قيمة وواضحة بحيث تمكن محبو البحث والتحقيق من العمل الكثير في ضوئها إن أرادوا.

الفراهي وإصلاح الأمة: لم يتمكن الفراهي من إرشاد الناس وقيادتهم في الميدان، وكانت طريقة العمل هذه مخالفة لوجهة نظره. وكان يريد أن يتم إصلاح العلماء الفكري والعملي أولًا، لأنّ عامة الناس لا يصلحون إلا إذا صلح علماؤهم. وكان يرغب أن يكون إصلاح العلماء وسيلة لإصلاح العامة. لذلك اختار العربية وسيلة لطرح أفكاره. وكان يقول بأنني أخاطب علماء العالم الإسلامي كله، لذلك اخترت العربية وسيلة لبيان رأيي لأن هذه هي اللغة المشتركة لجميع علماء العالم الإسلامي.

ولكن هذا لا يعني أنه كان مؤلفًا وباحثًا من النوع الأكاديمي الخالص، بل كانت جميع محاولاته الفكرية نتيجة لرغبة عميقة للإصلاح، فكان يحاول أن يدرس كل علوم وأفكار المسلمين في ضوء القرآن ليشتت النظريات والأفكار الباطلة من جهة،

[1] مثلًا الحواشي التي دونها الفراهي في الإتقان في علوم القرآن تدل على بصيرته النقدية وقدراته الاجتهادية. وقد رتبها أجمل الإصلاحي في علوم القرآن المجلد 1 عدد 1 ص 79ـ 124، ويمكننا بعد رؤيتها أن نصدق ما ذكره أمين أحسن الإصلاحي بأنه "كان يختار الأشياء ذات مستوى عال للقراءة. ويقرأ دائمًا بنظرة عميقة نقدية. وكان يكتب حواشيه باللغة العربية سواء كان الكتاب عربيًا أو إنجليزيًا. وهذا هو السبب في أن الكتب التي كان ينتهي من قراءتها، كانت تصبح شيئًا قيمًا لأرباب العلم".
هذه الملاحظات القرآنية قيمة جدًا لطلاب العلم، وقد استفدنا منها كثيرًا في تعليم وتفهيم القرآن في مدرسة الإصلاح. بل قام أحد أصدقائنا بكتابتها بخط جميل وتجليدها.

[2] طبعت معظم هذه الرسائل (مدير التحرير)

ومن جهة أخرى يفتح طرق الهداية لجميع جوانب وقضايا الحياة من القرآن الكريم، وقد نجح بقدر كبير في هذا، فنجد اليوم في الهند الحركات الإصلاحية للأمة مندوبة لطريقة التفكير والتدرب هذه.

وقد اكتشف الفراهي أصول تفسير القرآن لكي يتمكن شباب اليوم من النمو في ظل العقلية الصالحة للإسلام بدل العقلية الغربية الفاسدة. وأن يكونوا ناقدين للأفكار والنظريات الغربية دون الخضوع لها والتأثر بها. لأنه بممارسة أصول نظام القرآن يمكن أن نقفل باب التأويلات القرآنية حسب الأهواء النفسية، ونوقف مظاهر التجدد. وكانت الطبقة المتعلمة معرضة للمؤامرات والضعف والانفعال بسبب الطرق الخاطئة الرائجة لتعليم وتعلم القرآن الكريم. لذلك كان من الضروري أن نختار طريقة لتدبر القرآن والتي من شأنها فتح أبواب حكمة وفهم القرآن الكريم، وأن نواجه في ضوئها الفتن والمؤامرات التي تحاك ضد الامة الإسلامية.

بعض القواعد لفهم القرآن: العمل الأكثر تميزًا للفراهي هو وضعه للقواعد التي ترشدنا إلى كشف أسرار الإعجاز القرآني، ونتعرف في ضوئها على ثورة هذا الكتاب الحكيم. ونوضح فيما يلي هذه القواعد باختصار:

1. أول ما توجه إليه الفراهي هو القرآن، ففي رأيه أول مصدر لتفسير القرآن هو القرآن نفسه، ثم فهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وكان متيقنًا من أنه لا تعارض بين القرآن والأحاديث الصحيحة، ولكنه ذكر الرواية كتأييد وتوثيق وليس كأصل.[1]
2. كان رأيه أن لا نترك سلسلة النظم عند البحث عن سبب النزول، وإلا سيكون مثاله كالمسافر الذي وصل إلى مفترق الطرق ولا يدري الآن إلى أين يتجه! وكان يقول باستنباط سبب النزول من القرآن ، أما الأحاديث والروايات فنأخذ منها ما يؤيد نظم القرآن.[2]

[1] حميد الدين الفراهي، مقدمة تفسير نظام القرآن، ص 20، مطبعة الدائرة الحميدية، أعظم كره.
[2] نفس المصدر، ص 26

3. ولو كان الخبر متواترًا، فإنه غير ناسخ للقرآن، فإما يتم تأويله أو التوقف عنه، ولكن لا يكون القرآن منسوخًا لأجله.[1]

4. إنّ القرآن قطعي الدلالة، واحتمال المعاني المختلفة للآية الواحدة ما هو إلا نتيجة قلة علمنا وتدبرنا. فالعلماء الذين ذكروا أقوالًا كثيرة في تفاسيرهم، كان هدفهم وضع كل ما ذكر من الأقوال أمامنا، وتركوا اختيار القول الأرجح علينا، فلا يجوز أن نأخذ كل رطب ويابس دون تفكير.[2]

5. في رأي الفراهي يعتبر إعجاز القرآن من لوازمه وليس من أغراضه وأهدافه. فمن الذرة الصغيرة إلى ما يوجد في السماوات العلى، كله من المعجزات، ولكن الظاهر أنّ شيئًا من هذا لم يخلق لإظها الإعجاز.

6. في رأي الفراهي فإنّ لكل سورة عمودًا واحدًا، وليس من الضروري أن يكون شيئًا ذا شأن كبير. بل الضروري أن يكون جامعًا، لأنه يعمل كجامع بالنسبة لمطالب السورة كلها. أما من ناحية البيان فيكون أهم شيء في السورة.

7. كل الآيات مرتبطة مع بعضها البعض، ويوجد فيها ترتيب وتناسب داخلي، وإذا تم في القرآن ربط شيء بشيء آخر، فيكون فيه تناسب وربط مثل النجوم، وكل ترتيب يحمل في طياته أشعة من النور والجمال.

8. يوجد نظم خاص في كل سورة، وما نشعر به من قلة النظم في مطالب السور، ما هو إلا نتيجة قلة التدبر.

9. حتى السور القصار، تضاهي السور الطويلة من ناحية النظم والربط، وتوجد كل متطلبات الربط والتناسب في السور القصيرة مثل ما توجد في السور الطويلة.

10. ركز الفراهي أساسًا في كتابه نظام القرآن على هذا النظم، ففي رأيه النظم هو

[1] نفس المصدر، ص 32
[2] نفس المصدر، ص 45

أساس السر الموجود في القرآن الكريم الذي يعتبر كنزًا من الأسرار والحكم، وبحرًا لا حدود له من العلوم والمعارف.

11. بالنسبة للأقسام، يعتقد الفراهي أنها دليل وشهادة على المقسم عليه، لذلك ذكر الأقسام المختلفة في القرآن كأمثلة للدلالة على أفكاره وآرائه.[1]

اعتراف المعاصرين بفضله: يكتب مدير ندوة العلماء السابق عبد الحي اللكنوي عن الفراهي:

"هو من كبار العلماء، له خبرة تامة بالعلوم الأدبية، وقدرة كاملة في الإنشاء والترسل، وتودد إلى معارفه وأصحابه مع جودة فهم، ووفور ذكاء، وزهد وعفة، وشهامة نفس وانجماع، لا سيما عن بني الدنيا وعدم اشتغال بما لا يعنيه [راسخ في العلوم العربية والبلاغة، متعمق فيها، متضلع من أشعار الجاهليين، وأساليب بيانهم، وواسع الاطلاع على الصحف السابقة، حسن النظر في كتب اليهود والنصارى، عاكف على التدبر في القرآن، والغوص في معانيه وأساليبه، يعتقد أن القرآن مرتب البيان، منسق النظام، ويذهب إلى ربط الآيات بعضها ببعض، وقد بنى على ذلك تفسيره "نظام الفرقان"].[2]

ويقول مناظر أحسن الكيلاني إنه أمضى بعض الوقت في ديوبند كطالب للعلم ثم كموظف فيها، ثم حملته الأقدار فجأة إلى حيدرآباد. وكان قد سمع عن معرفة الفراهي بالقرآن، فأكرمه الله بمصاحبته، وتفتحت له بعض الجوانب الجديدة للقرآن في هذه الصحبة.[3]

ويكتب في موضع آخر:

"وكذلك توجد بعض الأمور الجديدة في قضايا تفسير القرآن والتي ظهرت في الهند ولا يمكن أن تقدم من قبل أيّ دولة إسلامية أخرى إلا بصعوبة والتي يمكننا اعتبارها شيئًا

[1] انظر: الإمعان في أقسام القرآن للفراهي.
[2] نزهة الخواطر، المجلد 8، ص 30-229
[3] كتب مشاهير أهل العلم، ص 5، دار المصنفين، أعظم كره.

قيمًا مقارنة مع ما قدم في الهند، وتوجد قضية كبيرة وعميقة والتي لم تبحث كثيرًا وهي قضية ربط الآيات القرآنية والصورة مع بعضها البعض ومن الغريب أنه مع كونه مهمًا إلا أنه لم يتوجه إليه ولم يؤلف أيّ تفسير يناقش الآيات بوجهة النظر هذه، والتي يمكن أن يلقى القبول في حلقات أهل العلم وأول شيء قدم في بداية القرن التاسع هو ما كتبه الشيخ علي المهائمي وهو عالم من الهند، حيث ذكر في تفسيره تبصير الرحمن هذا الجانب بإمعان ودقة وهذا ما يعتبر صفة مميزة لهذا التفسير ولكن هذا حديث الزمن الغابر وكما ذكرت فإن بعد تجديد الشيخ ولي الله قدمت الهند في نشأتها الثانية عملًا أشرت إليه وهو تفسير نظام القرآن لحميد الدين الفراهي، ويتميز هذا التفسير إضافة إلى مميزات أخرى" أي علاقة الإنجيل والقرآن والمباحث الأدبية" بميزة كبيرة وخاصة وهي أنه حاول ربط الآيات القرآنية بطريقة لا نجد لها نظيرًا فتصبح في بعض الآيات هذه الروابط هي الدليل على أنّ هذا كتاب من الله وحده وليس من أحد سواه".[1]

ويعترف أمثال العلامة رشيد رضا المصري، والسيد أبو الحسن علي الندوي، وأبو الكلام آزاد وأبو الأعلى المودودي، وعبد الماجد الدرياآبادي، والسيد سليمان الندوي، وسعيد أحمد الأكبر آبادي، والشاه معين الدين الندوي[2] وغيرهم من أساطين العلم، بالأعمال المميزة التي قدّمها الفراهي. والحقيقة أنّ كل الأعمال التفسيرية التي قدّمت بعد الفراهي، تأثرت به بشكل كبير، وقد اعترف المفسرون الكرام بأنفسهم بهذا.[3]

[1] مناظر أحسن الكيلاني، النظام التعليمي والتربوي للمسلمين في الهند، الجزء الثاني، ص 80، ندوة المصنفين، دلهي.

[2] انظر بالترتيب للاطلاع على ملحوظاتهم: مجلة المنار، المجلد 1 العدد 12 1909م، المسلمون في الهند، ص 43، مجلة الدوام، سبتمبر 1968م، د. عبيد الله، ترجمان القرآن، المجلد 6، العدد 6، وكذلك المجلد 19، العدد 4، 5، 6. صدق لكناو العدد 11 فبراير، 1936م، معارف، ديسمبر 1930م، فهرس مطبوعات الدائرة الحميدية، ص 5 ، أعظم كره. وكذلك رسالة أردو، يوليو 1936م، الجمعية 14 يوليو 1936م، فاران بجنور، أبريل 1936م.

[3] انظر مقالة صاحب المقال حاشية نظم القرآن وعلماء الهند، ص 19،20، 21، حيات نو، أكتوبر 1986م.

ISSN: 2321-7928

الإمام عبد الحميد الفراهي وبراعته في اللغة العربية

- د. منظر عالم[1]

قد أنجبت الهند عددًا من العلماء الأفاضل والجهابذة في القرن التاسع عشر الذين بذلوا جهودهم في المجالات المختلفة، ومن بينهم شخصية العالم الكبير والمفسّر الجليل والأديب الألمعي والشاعر المفلق والناقد الشهير الإمام الفراهي الذي قضى ثلاثين عامًا في فهم معاني القرآن الكريم ومفهومها ثم قدّم فكرة النظم في القرآن الكريم وديج كتبًا عديدة تتعلق بالقرآن الكريم وتأويله وتفسيره وفصاحته وبلاغته ومفرداته وكل ما يتصل به من العلوم القرآنية. وإلى جانب ذلك إنه دوّن كتبًا قيمة في مجال الأدب والنحو والصرف والبلاغة، وله ديوان باللغة العربية والفارسية أيضًا.

تناول الأدباء والكتّاب جهود الإمام الفراهي التفسيرية وحاولوا أن يبرزوا جوانبها المتعددة ولكن لم يعنَ الأدباء والكتّاب عناية بالغة بجهود الإمام الفراهي اللغوية والأدبية كما ينبغي، فهذا البحث يركز على جهود الإمام الفراهي في مجال اللغة والأدب لأنه يعتبر أحد علماء الهند في القرن التاسع عشر ومن أعظم المفسرين والأدباء، كما يقول العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي: "إنه جمع بين التدبر في القرآن الكريم والاستغال به والتذوق الصحيح لفن البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية وبين التشبع من دراسة بعض اللغات الأجنبية والصحف السماوية القديمة وسلامة الفكر ورجاحة العقل والتعمق".[2]

إنّ العصر الذي ولد فيه هذا الإمام العبقري يعتبر عصر التحول السياسي والاجتماعي والثقافي: بدأت الدولة المغولية تلفظ أنفاسها الأخيرة والإنجليز الذين جاؤوا إلى الهند

[1] أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بابا غلام شاه، راجوري، جامو وكشمير
[2] الإمعان في أقسام القرآن، ص 13

لغرض التجارة وبدأوا ينفذون سيطرتهم على الهند رويدًا رويدًا حتى استولوا عليها عام 1857م بأكملها، ثقافيًا واجتماعيًا: قد مرّ المجتمع بإحساس الانهيار الشديد تحت ضغوط الأوهام والجهل والتقاليد وظهرت الحياة خالية من النشاط والتقدم والازدهار ولم يتمكن المسلمون من مقاومة التحديات الخارجية التي تأتي من قبل المستشرقين.[1]

ولد هذا العبقري عام 1863م في قرية "فريها" الواقعة بمديرية أعظم جراه، بولاية أترابردايش في أسرة مثقفة ولها مكانة بارزة بين المجتمع، ونشأ وترعرع هناك ثم بدأ تعليمه شأن أبناء البيوتات الشريفة من القرآن الكريم على يد الحافظ أحمد علي الذي كان ينتمي إلى "راجه فور سكرور" وحفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين.

ثم توجه إلى دراسة اللغة الفارسية وبرع فيها حتى استطاع أن يقرض الشعر فيها، ثم أقبل على اللغة العربية ودرسها على ابن عمه العلامة شبلي النعماني الذي يعتبر من كبار علماء اللغة العربية وأتقنها إتقانًا تامًا، لم يكتف الإمام فحسب بل عكف على دراسة الأدب العربي فتعلمه على الأديب الأريب العلامة فيض الحسن السهارنفوي الذي يعدّ من كبار علماء اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية وألم بها إلمامًا تامًا.

ثم سافر إلى مدينة لكناؤ حيث قرأ العلوم العقلية والنقلية على الإمام المحدث الفقيه الشيخ عبد الحي الفرنغي المحلي ثم على الشيخ فضل الله الأنصاري اللكهنوي.[2]

بعد دراسة اللغة العربية والفارسية انكبّ الإمام على تعلم اللغة الإنجليزية وأجادها حتى استطاع أن يعبر عن آرائه وأفكاره باللغة الإنجليزية، وخلال مكوثه في عليجراه درس اللغة العبرانية من الأستاذ المستشرق تومانس أرنولد الذي تعلم اللغة العربية من الإمام الفراهي. وبعد هذه الخلفية المؤجزة لا بد لنا من إلقاء الضوء على جهود الإمام الفراهي الأدبية واللغوية.

[1] كفاح المسلمين في تحرير الهند، ص 31-32
[2] تفسير نظام القرآن، ص 07-12

الإمام الفراهي مفسرًا: يعدّ الإمام الفراهي مفسرًا جليلًا قضى ثلاثين سنة في فهم القرآن الكريم، وقدّم نظرية النظم بمعنى أدقّ وأشمل وليس معنى ذلك أنه أول شخص قدّم هذه النظرية بل هناك علماء ومحققون قد قاموا بخدمات جليلة في هذا المجال ولكن الفرق أنّ الإمام الفراهي قد أثبت بدلائل ساطعة وبراهين قاطعة أنّ القرآن الكريم كلام منظم ومربوط من ناحية الهيئة والتركيب والمعنى والموضوع، وأنّ كل آية ترتبط بما قبلها وبعدها وكذلك سور القرآن الكريم أيضًا ترتبط بما قبلها وبعدها.

لم يكتف الإمام الفراهي بهذا فحسب بل إنه قام بتفسير القرآن الكريم باسم "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" وأثبت فيه نظرية النظام، وهكذا إنه لعب دورًا ملموسًا في نشر الفهم القرآني في شبه القارة الهندية، ونهج منهج الاجتهاد والبحث والتحقيق له، وألّف كتبًا عديدة تتعلق بالقرآن الكريم وتساعد على فهمه وتدبره ومن أهمها ما يلي:

1. **فاتحة نظام القرآن:** وهي عبارة عن مقدمة الفراهي لتفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان".
2. **دلائل النظام:** هو شرح فكرة النظام في القرآن الكريم، أوضح الإمام فكرته فيه مبينًا أنّ للترتيب والنظام دورًا رئيسيًا في القرآن الكريم مشيرًا إلى أنّ القرآن الحكيم كلام منظم ومرتب من أوله إلى آخره على غاية حسن النظم والترتيب وليس فيه شيء من الاقتضاب لا في آياته ولا في سوره، بل آياته مرتبة في كل سورة كالفصوص في الخواتم.[1]
3. **الإمعان في أقسام القرآن:** ألّف الإمام كتابين بارزين في أقسام القرآن، الكتاب الأول: هو عبارة عن رسالة صغيرة سماها "أقسام القرآن" والكتاب الثاني: هو "الإمعان في أقسام القرآن: تناول الإمام فيه هذا الموضوع بأسلوب جديد ليكمل ما كان لم يكمل ويكمل ما كان ناقصًا ويبسط في الكلام ما كان وجيزًا مجملًا،

[1] نفس المصدر، ص 26

وهذا الكتاب يختلف تمامًا عن كتابه الأول في اسمه وحجمه ومباحثه، بيّن الإمام فيه تاريخ القسم وحاجة الناس إليه قديمًا وحديثًا وطرقه المختلفة، كما أوضح معاني كلمات القسم ومفهومه الأصلي ومفاهيمه المتفرقة من الإكرام والتقديس والاستدلال. وهذا يدل على إلمام الإمام بأساليب مختلفة من كلام العرب وغير العرب ومعرفته عن الشعوب والأمم والآداب واللغات والثقافات والديانات، في الحقيقة كان الإمام يريد أن يشير إلى الأخطاء الواردة في بعض ترجمات الصحف القديمة، واستشهد في هذا الباب بأبيات كثيرة للشعراء الجاهليين مما يدل على اطلاعه الواسع على الشعر الجاهلي.[1]

4. التكميل في أصول التأويل: هذا الكتاب يختص بأصول تأويل القرآن الكريم وأهميتها للوصول إلى المعنى الصحيح، وتحدث الإمام فيه عن أهمية التأويل في فهم الكلام والوصول إلى المعنى المراد مشيرًا إلى فائدة التأويل التي تتعلق بفهم معنى الكلام من أيّ لسان، ولكن أهم فائدة التأويل هي في فهم كتاب الله ومعرفة محاسنه، بعد دراسة هذا الكتاب يتضح للقارئ منهج الإمام الفراهي بصراحة ووضوح ويظهر له الأفكار الجديدة التي قدّمها الإمام الفراهي في كتاباته.[2]
5. مفردات القرآن: يحتل هذا الكتاب مكانة بارزة بين كتب الإمام في العلوم القرآنية، لأنه يعدّ من أهم العناصر التكوينية لأسلوب الفراهي في فهم القرآن، ويعتبر من أعظم الكتب التي تمثّل مدرسته منهجًا وغاية وأسلوبًا وطريقة، ولكن جاء الأجل قبل أن يحقّق أمله.[3]
6. الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ: تناول الإمام في هذا الكتاب موضوع الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، يعدّ هذا الموضوع من الموضوعات المهمة التي

[1] نفس المصدر، ص 25

[2] الشيخ عبد الحميد الفراهي حياته وجهوده في مجال الدراسات القرآنية (للدكتور محمد فريد راوي بن عبد الله)، ص 222

[3] نفس المصدر، ص 221

تناولها العلماء والكتّاب قديمًا وحديثًا، ويحتوي هذا الكتاب على المباحث الجادة والمهمة كما يتضح من خطة الفراهي، ولكن جاءت المنية ولم يكمل عمله.[1]

7. أساليب القرآن: سمّى الإمام هذا الكتاب "كتاب الأساليب" بدلًا من "أساليب القرآن" لأنه لم يكن يودّ أن يخصه بالقرآن فحسب بل كان يريد أن يكون هذا الكتاب أساسًا لأساليب كلام العرب، كما يقول في هذا الصدد: "هذا الكتاب ليس ككتاب المفردات مختصًا بالقرآن ولكنه متضمن لفن برأسه، يجري حكمه في عموم أساليب كلام العرب غير ما اختص بالقرآن، لكونه منزلًا على رسول".[2]

تتجلى براعة الفراهي اللغوية والأدبية بعد ذكر هذه الكتب التي تعدّ من أمهات الكتب لفهم القرآن الكريم والوصول إلى معانيه ومفاهيمه لأنّ القرآن الكريم هو بحر لا ينفد ماؤه قط.

الإمام الفراهي شاعرًا: قد أنجبت الهند عددًا من الشعراء الذين قرضوا الشعر للأغراض المتعددة واكتسبوا السمعة في مجال الشعر العربي، ومن بين هؤلاء الشعراء الإمام الفراهي الذي يعتبر شاعرًا مفلقًا، وله براعة تامة في اللغة العربية وقدرة فائقة على قرض الأشعار كما يقول العلامة سيّد سليمان الندوي عن نبوغه في اللغة العربية:

"قد تفرغ الإمام الفراهي من التعليم العربي عام 1884م في عمر لم يناهز عشرين سنة، وبلغ ذروة الكمال في الأدب العربي، وفي الحقيقة أنه سبق على أساتذته في هذا المجال ويشهد ديوانه العربي".[3]

وله ديوان باسم "شعر الإمام عبد الحميد الفراهي" ويحتوي هذا الديوان على قصائد رائعة جميلة لأغراض متعددة، منها الدعاء والرثاء والتذكير والتهنئة والحكمة والموعظة

[1] تفسير نظام القرآن، ص 27
[2] أساليب القرآن، ص 6
[3] مختصر حيات حميد، ص 5

واستخدام العقل ونحن نقدّم بعضًا منها كنموذج.

قرض الإمام قصيدة رائعة في تهنئة العلامة شبلي النعماني، وهذه القصيدة خير دليل على براعته ومقدرته على اللغة العربية وهو يقول في بداية القصيدة:

يا خير من يسمو إلى العلياء كالشمس بازغة بوسط سماء
قد كنت قدمًا للمعالي ساميًا أورثته عن شيمة الآباء
لاذت بجانبك العلوم فإنها لولم تصنها آذنت بفناء
فربت رياض العلم منك وأنبتت مهتزة بغصونها الخضراء[1]

وتنتهي القصيدة بأبياته التالية:

فلأسألن الله طول بقاءكم في كل بكرتنا وكل عشاء
إن كان تلك الشمس سمائها فلصرت شمس العلم والعلماء
إذ أنت شمس والعلوم سماؤكم فالشمس شمي والسماء سماء[2]

وقصيدته في الحكمة والموعظة:

أعوذ بالله العظيم الأفضال الغافر الذنب الشديد الأنكال
من همزات النفس ذات الإيغال ونفثات كل باغ محتال
وفتنة الحرص وطول الأعمال وفتنة الأهل ومال ميال
وفتنة الدنيا كرقراق الآل وفتنة العلم وزيغ الأقوال
وفتنة الجهل وسوء الأعمال وفتنة الشيطان رأس الضلال[3]

قرض الإمام قصيدة ممتعة حول استخدام العقل في الحقائق الجلية من الأرض

[1] ديوان الفراهي، ص 54
[2] المصدر نفسه، ص 54
[3] المصدر نفسه، ص 48

والسماوات، ومنها:

سر مع العقل أينما سارا در مع الحق حيثما دارا
لا تهولنك ليلة عكرت إنّ بعد الظلام أنوارا
إن في الليل والنهار وفي الشمس والنيرات تذكارا
راكعات مسبحات يدعو ننا للسجود أسحارا[1]

كما قرض الإمام قصيدة بديعة حول حرب بلقان ومنها:

شنت على بلقان نار الحروب أشعلها بالبغي أهل الصليب
شنّوا على الإسلام غاراتهم يذهل فيها عن حبيب حبيب
يا كرد يا تاتار يا كابل يا كل من لله عبد منيب[2]

هذه الأبيات التي قرضها الإمام حول موضوعات عديدة تدل على براعة الفراهي باللغة العربية وموهبته الشعرية ومشاعره وعواطفه الدينية، في الحقيقة أنّ الفراهي لم يبق في مجال الشعر مدة طويلة بل إنه توجه إلى دراسة القرآن الكريم والتدبر فيه، وقضى جلّ عمره في هذا الميدان.

ميزاته الشعرية: هذه الأبيات تدل على أن الإمام كان ماهرًا في اللغة العربية التي أنزل فيها القرآن الكريم وبارعًا فيها، وإنّ شعره كان جيد السبك، رفيع الأسلوب، بديع الخيال، قوي المنطق، يمتاز بقليل الحشو، ويجد القارئ في شعره ما لا يجد في غيره من جزالة اللفظ ورشاقة الأسلوب، وكان شعره خفيفًا، يريد السامع والدارس أن يأتي بمثله لكنه إذا حاول عجز، أنه قد أوتي بقريضه للغة العربية دقة في التعبير ورقة في الأداء وطلاوة في المعنى، وإن هذه كلها تدل على أنه كان من الشعراء

[1] المصدر نفسه، ص 54
[2] المصدر نفسه، ص 52

المطبوعين المجيدين الذين لا يقرضون إلا بفيض قريحتهم.[1]

كان الإمام الفراهي يتقن عدة لغات من بينها العربية والفارسية والإنجليزية والعبرية إلى جانب لغة الأم الأردية، وله ديوان باللغة الفارسية باسم "ديوان حميد" صدر في حياته من مطبعة شمسي، بحيدرآباد، ثم نشره بدر الدين الإصلاحي عام 1967م بعنوان "نوائ فهلوي".

الإمام الفراهي بلاغيًا: قد ألّف الإمام الفراهي رسالة شاملة باسم "جمهرة البلاغة" صدرت بعد وفاته عام 1360هـ من مطبعة "معارف" بأعظم جراه، ولاية أتربراديش، وهذا الكتاب يعدّ فريدًا من نوعه لأنّ العلماء الهنود والكتاب قد تناولوا موضوع البلاغة وبحثوا عن علم البيان والمعاني والبديع لكن الإمام الفراهي أخذ هذا الموضوع بعين الاعتبار وأتى بشيء جديد لم يأت مثله من قبل.

فالرسالة تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية: الأول القسم العمومي والثاني القسم الخصوصي والثالث أبحاث متفرقة، فالقسم العمومي يتحدث عن معنى البلاغة والنقد بالإشارة إلى أصول علم البلاغة العامة، والقسم الخصوصي يشتمل على مختلف أساليب البلاغة بما فيها القسم والوصل والفصل والحذف والمقابلة والاستثناء، والقسم الثالث يتعلق بالجملة المعترضة وروح البلاغة وسرّها وكمالها ومحاسن كلام العرب في نقد الكلام وغيرها من المباحث المهمة.

تبدو نزعة الفراهي واتجاهاته في هذه الرسالة بكل وضوح وصراحة وتشتمل هذه الرسالة على المواضيع التالية:

1. الاعتزار بالعرب لأنهم من أذكى الأمم.
2. الاهتمام باللغة العربية ذات الخصائص التي تميزها عن اللغات الأخرى ولاسيما

[1] المصدر نفسه، ص 8

لغة اليونان التي استقى منها أرسطوطاليس مفهوم الشعر والمحاكاة.

3. تمسكه ببلاغة العرب والعزوف عن بلاغة العجم.
4. العناية بالأسلوب العربي البليغ.
5. الاطلاع على أهم كتب البلاغة العربية وعلى كتب أرسطوطاليس والشعر العربي

وأهم ما تجلّى في الكتاب:

- إنّ الكتاب يقسم على نهج جديد وهو فيما يأتي:

1. ربط البلاغة بالنقد واتخاذها مقياسًا في الأحكام النقدية.
2. وضوح النزعة الأدبية في العرض والتحليل.
3. إبداء الآراء الخاصة في القضايا المختلفة ومن ذلك: نقض نظرية المحاكاة لأرسطو ونقد عبد القاهر الجرجاني والتمييز بين بلاغة العرب والعجم، والفرق بين الشعر والخطابة وغير ذلك الآراء المبثوثة في الكتاب بالنقد.[1]

قد كتب الإمام رسائل أخرى حول موضوع علم البلاغة ومن أبرزها هي:

سليقة العروض: هي رسالة تقع في إحدى وعشرين صفحة، أراد بها إصلاح علم العروض للشعر العربي ووضعه على نحو جديد ولكن لم يقدر له إتمامها.

فلسفة البلاغة: رسالة تقع في ست صفحات أراد فيها التمهيد لفهم كتابه "جمهرة البلاغة".

الإمام الفراهي نحويًا: ألّف كتابًا شاملًا باسم "أسباق النحو" في جزئين باللغة الأردية، قد تم نشره عام 1357هـ، الجزء الأول يتعلق بموضوع النحو والجزء الثاني يشتمل على موضوع الصرف، ويعدّ هذا الكتاب من أهم كتب النحو والصرف الذي يكتب بمنهج جديد وبأسلوب سهل، ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام رئيسية، الأول يتعلق بمباحث الاسم والثاني يشتمل على مباحث الفعل والثالث يحتوي على مباحث

[1] علامة حميد الدين فراهي حيات وأفكار، ص 533

الحرف، أما الاسم فحاول المؤلف فيه أن يبيّن قواعد الاسم بالأمثلة السهلة، لكي يحفظها الطالب ويكوّن جملًا أخرى على غرارها وينمي مقدرته اللغوية ويستطيع أن يتكلم اللغة العربية بطلاقة وأن يفهم القرآن الكريم ومعانيه بسهولة ويسر. وأما القسم الثاني فحاول المؤلف فيه أن يوضح الأفعال واشتقاقها ثم تحدث عن الأفعال وأقسامه من حيث العدد والمعنى، كما أنه ذكر أوزان الأفعال وتصاريفها من مجرد ومزيد وصحيح ومهوز ومضاعف ومعتل، وفي نهاية الكتاب أنه ذكر أهم المباحث النحوية وهي خصائص أوزان الثلاثي المجرد والمزيد بالتفصيل.[1]

ميزات الكتاب: إن هذا الكتاب قد يخلص الطلبة من دراسة الكتب النحوية الصرفية العديدة التي تكتب على منهج قديم وعقيم والتي لا تخلو من الغموض والتعقيد، وعكس ذلك أن هذا الكتاب الذي كتب على منهج جديد يساعد الطلبة على حفظ الأمثلة والتجنب عن الأمثلة المنطقية. وأدخل هذا الكتاب في مقررات عدد من المدارس الإسلامية في الهند.

وكذلك ألّف الإمام كتابًا يسمّى بـ"تحفة الإعراب" في شكل منظم، نظمه باللغة الأردية وقد طبع في حياة المؤلف عدة مرات، وهو يشتمل على 128 بيتًا في النحو العربي، بيّن فيه الإمام القواعد النحوية بشكل جيد وممتاز، حينما يدرس القارئ هذا الكتاب يجد فيه اللذة والمتعة ويحفظه بأسرع وقت ممكن. وقد أدخل هذا الكتاب في مقرارت عدد من المدارس الدينية الهندية أيضًا.

مسائل النحو: رسالة في ثماني صفحات تتعلق بموضوع النحو العربي.

الدر النضيد في النحو الجديد: يتعلق هذا الكتاب بموضوع النحو أيضًا، ويقع في أربع وأربعين صفحة.

[1] أسباق النحو، ص 3-4

ملخص القول: إنّ هذه الكتب القيمة والرسائل الشاملة حول موضوعات شتى تبيّن أنّ الإمام الفراهي كان أديبًا موهوبًا ولغويًا كبيرًا يستحق لقب "الأديب" لأنه قضى جلّ حياته في خدمة اللغة العربية والأدب العربي، وأنّ أعماله وإنجازاته العلمية والأدبية والدينية وأفكاره وآراءه التفسيرية ونظره الثاقب حول مسائل دقيقة خيرُ دليل على براعته ونبوغه وتضلعه في اللغة العربية.

المراجع والمصادر

1. الأستاذ محمد راشد الندوي: الأستاذ العلامة حميد الدين الفراهي وآراؤه في النقد والبلاغة، المجمع العلمي الهندي، المجلد السابع عشر، العدد المزدوج 1-2، جامعة عليجراه الإسلامية، عليجراه، أترابراديش، الهند، 1976م
2. الإمام عبد الحميد االفراهي: أسباق النحو (الجزء الأول والثاني)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم جراه، أترابراديش، الهند، 2000م
3. الإمام عبد الحميد الفراهي: أساليب القرآن الكريم، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم جراه، أترابراديش، الهند، 2011م
4. الإمام عبد الحميد الفراهي: الإمعان في أقسام القرآن، المطبعة الأحمدية، عليجراه، 1339هـ
5. الإمام عبد الحميد الفراهي: تفسير نظام القرآن، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم جراه، أترابراديش، الهند، 2009م
6. الإمام عبد الحميد الفراهي: ديوان الفراهي، دار سنابل للتحقيق والنشر، أسطنبول، تركيا، 2019م
7. الدكتور محمد فريد راوي بن عبد الله: الشيخ عبد الحميد الفراهي حياته وجهوده في مجال الدراسات القرآنية، د.ت.
8. عبد الرحمن ناصر الإصلاحي: مختصر حيات حميد، الدائرة حميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، الهند، 1973م
9. عبد المنعم النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1990م
10. علامة حميد الدين فراهي حيات وأفكار: فراهي سيمينار، دائرة حميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم جراه، أترابراديش، الهند، 1992م

ISSN: 2321-7928

أسلوب عبد الحميد الفراهي
وذوقه العالي للأدب العربي

- د. أبو ذر عبد المتين الإصلاحي[1]

قد شهد القرن التاسع عشر مولد كوكبة من العلماء والأدباء والكتّاب والمفكرين في شبه القارة الهندية الذين كان لهم دورٌ هامّ في إثارة النهضة الفكرية، والأدبية العربية الحديثة (1863-1930م) في هذه البقعة المباركة ولا تزال نتائجها تتفاعل مع مكونات واقعنا بعد رحيلهم جميعًا، ومن بين هولاء يحتلّ العلامة عبد الحميد الفراهي مكانًا بارزًا بإبداعاته الرائعة في الدراسات القرآنية وبإسهاماته القيّمة في المجالات اللغوية والأدبية العربية وكان في كلّ هذا ناجحًا وموفقًا، سعيدًا ومقبولًا، وأضاف إلى المكتبة العربية ثروة علمية كبيرة وضرب مثلًا رائعًا للتعمق في البحث والدراسة وللإخلاص في خدمة اللغة العربية وآدابها، فلذلك أنه يعدّ من أبرز علماء العربية في بلاد الهند وخارجها.

لم يكن الفراهي رجلًا عاديًا بل كان عبقريًا في معنى الكل، وذلك لأنّ شخصيته كانت ممتازة في أكثر المجالات العلمية والأدبية، فنلاحظ بصماته اللامعة في كل مجال خاض فيه، وفي الواقع أنه كان من أعداء الجمود والتقليد، والتخلف والتعقم الذي كان يواكب المسلمين منذ قرون، فدعا الناس إلى ترك الجمود والركود بل حثّهم على التدبر والتفكر، والبحث والتحقيق لتغيير مجرى حياة المسلمين، فصاغ الفراهي من أجل هذا الغرض النافع أصولًا جديدة ومناهج بديعة لمعظم العلوم والفنون، حتى يبق مجال الأدب والإنشاء إذ أثبت فيه أيضًا جدارته وتفوقه وشقّ لنفسه طرقًا جديدة في الإنشاء والكتابة.

وكما يعرف أنّ الفراهي نشأوترعرع في عصر كان يسود فيه القليد والمحاكاة على

[1] قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، نيو دلهي

الإنشاء والكتابة وكان التكلف والتصنع يتغلب على النثر العربى، وهذا الأمر قد جعل الأساليب العربية الفطرية مثقلة بالتراكيب الصعبة والزخارف اللفظية وأصبح أسلوب الحريري العقيم الأجوف هو المعيار الوحيد للكتابة في اللغة العربية، وفسد الذوق اللغوي والأدبي بسب قراءة المقامات إلى مدة طويلة، وتلاشت الروعة والبراعة في الأدب والإنشاء، وفقد النثر العربي سموّه وبهاءه ورونقه وجماله، لأن جهود العلماء والأدباء والكتّاب والمؤلفين قد اقتصرت في تلك الفترة من الزمن على كتابة التلخيص والتعليق والشرح والتحشية بدلًا من الإبداع والابتكار، وفي هذه الظروف نشأ العلامة الفراهي وشبّ فأخذ اليراع بيده وحاول أنْ يخرج عن النمط الذي كان يعم في الكتابة العربية ويتحرر من عقال أساليب المقامات العويصة فاختار له أسلوبًا سهلًا بسيطًا خاليًا من التكلف والتصنع والتعقيد والتشجيع، كما يقول الأستاذ الدكتور محمد راشد الندوي (1936-2021م):

"الأستاذ الفراهي اختار اللغة العربية لغة الكتابة لجميع كتبه الأدبية والعلمية، فهو بهذا العمل الجليل قد أضاف ثروة فكرية وثقافية إلى اللغة العربية وبخاصة في زمن كانت اللغة العربية في حاجة إلى مثل هذه الآثار العلمية والأدبية، لأن الكتب والمؤلفات والأبحاث التي كانت تكتب فيها إلى عصره، كلها كانت سقيمة الأسلوب عقيمة الفكر وكانت شرحها أو تلخيصها للكتب العربية القديمة التي ألّفت في عصور ضعف فيها مستوى اللغة الفن الثقافة".[1]

بعد التضلع من اللغة العربية والمهارة في العلوم الإسلامية، أقبل الفراهي على الكتابة واختار لغة الضاد كوسيلة للتعبير عن آرائه وأفكاره ولإصلاح المساوي المتفشية في داخل الأمة الإسلامية بأجمعها، وأنه اختار اللغة العربية للكتابة مع أن أستاذه العلامة شبلي النعماني كان يلح عليه أن لا يكتب أيّ شيء في هذا الزمن إلا في لغة

[1] مجلة المجمع العلمي الهندي، علي كره، 56/2-1/17 (يونيو 1995م)

البلاد.[1]ولكن الفراهي واصل الكتابة بهذه اللغة المباركة، لأنه كان يريد أن يخاطب بكتاباته علماء الأمة الإسلامية المنتشرين في جميع أقطار العالم وكانت اللغة العربية بالطبع هي الوسيلة الوحيدة لتبادل الآراء والأفكار فيما بينهم، وعلى أية حال، لما علم العلامة شبلي النعماني بأن الفراهي لا يحبّ الكتابة إلا بالعربية، فكتب إليه قائلًا:

"علمت بأنك كتبت شيئًا باللغة العربية هل تفعل هذه الأعمال غير المجدية وتعجب نفسك بالكتابة العربية أتريد أن ينشأ حريري آخر؟ وما الفائدة منه؟ هل يحتاج المسلمون اليوم إلى الحريري امرئ القيس".[2]

ولكن عندما اتضح له غرض الفراهي وغايته النبيلة من الكتابة بالعربية وتعرّف على مشروعات الفراهي العلمية الواسعة، تغيّر موقفه في هذا الباب تغيرًا كليًا، وبدأ يحبّ كتابات الفراهي العربية بل بدأ يطالبها منه، وأعجب بآثار الفراهي العلمية واللغوية الأدبية الموجودة في هذه اللغة، فيقول في رسالة أخرى مادحًا قدرته الفذة على اللغة العربية وآدابها:

"رأيت (نظام القرآن) من أوله إلى آخره، لا يمكن الكلام في حسن تعبيره وأسلوب بيانه".[3]

على كل حال، فإن اهتمام العلامة الفراهي باللغة والأدب والكتابة لم يكن إلا لفهم القرآن الكريم والتدبر في آياته وإدراك معانيه السامية والتذوق ببلاغته وفصاحته، فصنّف حوالي خمسين كتابًا مطبوعًا وغير مطبوع بالعربية ومعظمها يعالج الموضوعات القرآنية، ولكن الأمر الذي يثير إعجابنا وتقديرنا ويتلخص في أن الفراهي رغم تربيته وتدريبه على الأسلوب البارد الثقيل واللغة المسجوعة المعقدة والمحسنات اللغوية والبدائع اللفظية التي كانت تتصف بها اللغة العربية في زمن حياته اختار لكتاباته سليقة أدبية فريدة تنم عن قدرته الرائعة على التعبير عن المعاني اللطفية والأفكار الدقيقة بأسلوب

[1] مقالات شبلي، 14/2
[2] مكاتيب شبلي، 11/2
[3] المصدر نفسه، 13/2

سهل فصيح، أنه يتناول في مؤلفاته المباحث العلمية الرزينة من علوم القرآن وأصول تفسيره والعقائد والتزكية وملكوت الله والتاريخ والبلاغة والمعاني ويعالج هذه المواضيع المتنوعة بأسلوب يمتاز بالبساطة والسهولة والدقة والرصانة، يعني ذلك أنّ قدرته اللغوية المتميزة وبراعته الإنشائية البديعة كانت دومًا تواكب إبداع ذهنه ونتاج فكره وخواطر قلبه، والآن نود أن نقدّم على سبيل المثال بعض النصوص العربية المقتطفة من مؤلفات الفراهي ورسائله العربية، لكي نقدر تلك الخصائص اللغوية والتعبيرية التي تتحلى بها آثاره العلمية الأدبية، فيقول الفراهي عن أهمية الإيجاز وتأثيره في الكتابة والبيان:

"فإن اللفظ إذا قلّ يترادى المعنى متجرّدا عن حجبه، فيزيده تنويرًا وتأثيرًا كأنه أرهف حده وقرب بعده، وهذه مما يجعل الاستعارة أحيانًا أبلغ من التشبيه، ولا حاجة إلى توضيح حسن الإيجاز فإنه مبسوط في كتب البلاغة، وقد بالغ في استحسانه بعض كتّاب زماننا، فقال إن الإيجاز لهو البلاغة، وتكلف في ردّ جميع المحاسن إليه، وإنما جعله أصل البلاغة لتشعب أفنانه وتقلب ألوانه، فلم يدخل بابًا من أبواب البلاغة، إلا ورأى الإيجاز هناك موجودًا، فقصر النظر عليه ..... هذا، والعرب لذكائهم وكبرهم كانوا يحبون الإيجاز أكثر من أقوام أخر، ولذلك لا ترى شيئًا من القرآن إلا ومعناه أوفر من اللفظ فإن أطنب قولًا من وجه أوجزه من وجوه أخر، ولذلك لا تنقضي عجائبه".[1]

وكذلك يقول الفراهي في موضع آخر عن وجود العلم الفطري قبل وجود العلم النظري:

"لا شك أن فقهاء الصحابة بل عامتهم كانوا أبصر وأعلم بالقرآن لوجوه كثيرة، ولم يكن لهم احتياج إلى أصول علم البيان وفروعه، ولا علم النظر والاستدلال، فإن ذوقهم وسلامة عقولهم قد أغناهم عن ذلك فإن كثيرًا من العلوم المدونة ليست إلا كالدواء للمرضى ألا ترى أن علم العروض والبيان إنما حدث بعد وجود كثير من

[1] إمعان في أقسام القرآن، ص 96

الشعراء المجيدين والبلغاء المفلقين، بل ذلك إنما أخذ من كلامهم كما استخرج علم النحو من كلام أهل اللسان الذين لم يقرءوا ولم يكتبوا".[1]

وفي هذا الصدد يوضح موقفه بمزيد من الكلمات، فيقول:

"لا شك أنّ كثيرًا من الصحابة إذا فسّروا القرآن كانوا كالبحر الزاخر والسحاب الهاطل، يلقون على أصحابهم ما كان يملأ صدورهم علمًا وحكمة، ولكن مع ذلك بل لذلك لم يستطع السامعون أن ينقلوه للخلف، ألا تراك تجلس في مجالس الوعظ والخطب وترى صدرك قد امتلأ وعقلك قد وعى معارف، ولكن لا تستطيع إلقاءها على غيرك، بل تراك تضمحل هذه المعارف وتنمحى عن قلبك ولكنك تجد أثرها قد بقى، فهكذا كان خطب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وخطب البلغاء، لم يحفظوها ولم يرووها إلا نبذًا منها مع بقاء آثارها في القلوب، وما رووا إنما هي قطرة من عباب".[2]

وعلى هذا النحو كان يكتب العلامة الفراهي الرسائل والخطابات إلى بعض العلماء وأصدقائه باللغة العربية، فيقول العلامة السيد سليمان الندوي عن رسائله العربية وأسلوبها كما يلي:

"وكان يكتب الرسائل على سبك بلغاء العرب وفصحائهم".[3]

فتشتمل مجموعة رسائله على بعض الرسائل العربية، ونود أن نقدّم فيما يلي بعض النماذج منها لإبراز خصائص أسلوبه وطرق تعبيره في الإنشاء والبيان، فيكتب في إحدى الرسائل الموجهة إلى صديقه الكريم الشيخ عبد الحق البغدادي (1873-1935م)[4] الذي كان يجيد اللغة العربية:

---

[1] رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، ص 220-221

[2] المصدر نفسه، ص 221-222

[3] إمعان في أقسام القرآن، ص 16

[4] عبد الحق حقي الأعظمي، شاعر عراقي، من أهل الأعظمية، ومن كتبه، أعجب من أحوال العرب، ومصدّر بمقدمة طلبها مني، راجع لترجمته وحياتها: الأعلام للزركلي، 280/3

"وصل كتابكم المبارك بعد أن رجعت عن الوطن وفرحت بما أخبرتموني عن عافيتكم وفوزكم ببيت في رسل غنج، وإقامتكم مع أهل بيتكم فيه، فأهنئكم بأعياد كثيرة ونشكركم يا سيدي بما أرسلتم إلي من ثلاثة قطعات من قماش أنكوري، ولكن أتعجب كيف تعزمون علي بأن أرغب في بعض منها، فإن الرغبة ليست مما يقدر عليه القلب وقد خالطني الشيب (فلو بقي فيّ رغبة إلى الألوان لبدلت بياضي بالسواد) فبيض ما كان عليّ من السواد ولا بد لأمر جنابكم من اختيار بعض الألوان، فأجعل نفسي متراغبًا في لون أشبه بالبياض".[1]

ويكتب إليه في رسالة أخرى قائلًا:

"ياسيدي، حديثي عجيب ما رجعت من جنابكم حفّتني المشاغل، فلم اشتغل بالبعض إلا والآخر باقية تحوم حول رأسي ودقيقها وخفيفها ملأ أذني، فكأني مختطف عن نفسي، وكان من فوت الفرصة أني رددت خدمة امتحانات البنجاب وحيدر آباد وإله آباد، ومع ذلك لم يسعني أرد اثنين منها، لأنهما وقعتا عليك الحكم المبرم، فإن قبلتم عذري فهو المأمول من مودتكم، كتاب الأضداد والمزهر مرسلان إليكم، والآن أرسل إلى جنابكم خمس عشرة روبية والباقي في الشهر القابل، أرجو أن تخبروني يبقى على ذمتي من الأثمان".[2]

فيتبلور من هذه النصوص المقتبسة أن الفراهي كان يمتلك قدرة تامة على التعبير عما يدور في ذهنه ويخطر في قلبه من الأفكار والعواطف في النثر العربي الطبعي السلسل، وأما أسلوبه فهو متصف بالبساطة والسهولة والإفصاح والإبانة والتركيز على المعنى وإيضاح الفكرة والبعد عن التكرار والاجتناب عن الزخارف اللفظية، فلا يطغى فيه اللفظ على المعنى ولا تعتدي فيه المعاني على اللفظ، بل يتحقق فيه التناسب والاتزان بين الشكل

[1] مكاتيب فراهي، ص 65
[2] المصدر نفسه، ص 68-69

والمعنى، وهذا الأسلوب التزمه في معظم كتبه الأدبية والنقدية والبلاغية والعلوم القرآنية، وناقش فيها كثيرًا من المشاكل والقضايا الأدبية، وبعض المسائل العلمية فجاء أسلوبه فيها متحررًا من أثقال الصنعة ومال فيها إلى الترسل، حيث تغلب عليه ملاحظة المعاني والاهتمام بالأفكار والموضوعات ويقل فيها الاعتماد على الأسجاع والمحسنات البديعة كما يشاهد في كتبه المشهورة التي تتعلق عنها، فأكثر عباراته خالية عن التصنع والافتعال.

فالباحث وكل من له صلة يسيرة بصناعة البديعة إذا ألقى نظره على هذه العبارة المذكورة يستنتج بأن الفراهي لم يتصنع في بيان ما أراد إيضاحه ولم يستعمل فيها أية صناعة من الصناعة البديعة تكلفًا وافتعالًا، بل سرد عبارته ساذجة غير مثقولة ولا مصنوعة مقصودة.

ومن ميزات أسلوب الفراهي أنه يرضى في عمله الأدبي بالموجز المقنع أو القليل النافع ويعمل مستمراً بتلك الحكمة التي تقول "خير الكلام ما قلّ ودلّ"، فلا يزيد كلمة على ما يراه كافيًا لأداء المعنى المراد، بل في بعض الأحيان أنه يكتفي بالإشارة، ولذلك قد يتعذر فهم نصوصه على القرّاء، كما يصعب على الدارسين والباحثين أن يقدموا ملخص بحوثه وكلامه لما يمتاز بيانه من شدة الإيجاز وحسن الرصيف، ولذلك كل من يمرّ على كتبه كالريح العاصف أو البرق الخاطف يبقى صفر اليدين ولا يمكن له الاستفادة منها، لأن كتبه تتطلب قدرًا كبيرًا من الإمعان والتفكر من قرائها يستوعبوا مباحثها ومطالبها استيعابًا كاملًا، وألقى الشيخ أمين أحسن الإصلاحي الضوء على هذه الميزة لأسلوبه قائلًا:

"إن الفراهي كان يحبّ الإيجاز والاختصار في كتاباته للغاية، وإن لا يخل هذا الإيجاز والاختصار في تأدية المعاني والمطالب، فإن شئت عدّ هذا من العيب أو القدرة له، ولكن هذه الحقيقة منكشفة على القراء الكرام بأنه يؤدي كلامًا في سطور مما يبيّنه الآخرون في صفحات، وليس هذا الأسلوب بصحيح ومفيد لرجل ذكي فحسب بل أنه لا يحب سواه أي طريق آخر، وبالعكس إن الرجل العادي فإن

لم يدرس مؤلفاته بعمق النظر ودقة البصر قلّ أن ينجح منه نجاحًا تامًا".[1]

والعلاّمة الفراهي بنفسه قد أشار في موضع إلى هذه الميزة لأسلوبه قائلًا:

"إني لا أحبّ الإسهاب ونحسن الظن بعقلك".[2]

وأمّا الطريق الآخر من ميزات أسلوب الفراهي فهو الأسلوب المصنوع، فقد مال إليه الفراهي بشتى ألوان الصناعة ومختلف ألوان المحسنات فلا تفوته فيه سجعة واحدة، وأخذ فيه الفراهي طريقة القاضي الفاضل وعدّ أكثر هذا الأسلوب بشكل خاص في الخطبة التي كتبها لتفسير "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، إنه قد التزم في هذه الخطبة المذكورة أشياء كثيرة من الصناعة البديعة، فإنه قد التزم فيها على القوافي وبراعة الاستهلال وصناعة الجناس والمتكلفة التي لا يخفى على من نقد الأشياء بعين المعقول والغم في مباني الأصول، مثلًا يقول الفراهي بحمده وصفاته لله تبارك وتعالى:

"والحمد لله الذي أرسل الرياح لواقح بين يدي رحمته بشرا- فأنشأ بها سحابًا متراكمًا مكفهرّا- يريكم البرق فيه خوفًا وطمعًا ويسمعكم الرعد منه يسبح بحمده زمرا- نزل أمر الرب فعصر السحب عصرا- فأرسلت ودقها قطرا- وسكبت مطرًا ثرا- فأجراه على الأرض نهرا- وسلكه في بطونها ينابيع غزرا- فأحيى به بلدًا قفرا- وأنبت به الزرع والخضر والنجم والشجر رزّا وشعيرًا وبُرا- وقضبًا وتينًا ونخلًا تحمل تمرا- رزقًا لعباده ودلالة على سعة رحمته التي تدهش العقول بهرا".[3]

وفي موضع آخر فأشاره فيها إشارة خاطفة عن منهج تفسيره وبيان أصوله فيقول:

"ففزعت إلى تدبر كتاب الله وسعة معانيه وتركت أقاويل الناس هجرا- وكان بداية أمري أني بينما كنت أجيل الطرف في نجوم الآيات إذ أضاء لي في أفقها الأعلى

[1] تفسير نظام القرآن، ص 7-8

[2] جمهرة البلاغة، ص 34

[3] تفسير نظام القرآن، ص 20

سلك نظامها مثل الخيط الأبيض من الصبح فما ازداد إلا سطوعًا وجهرا- فكشف الحجاب عن فؤادي أو طحر قذى عن عيني طحرا- فأبصرت قصدي وتبينت رشدي وصرت أعمل في أساليب نظامها وأعاجيب رباطها فكرا".[1]

وكما يقول فيها صديقه وتلميذه العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله:

"وقد أجاد في تحبير هذه الخطبة ما شاء الله أن يجيد، فجاءت مشتملة على مئة وسبعين فقرة، مثل "وشي اليمنة الحبرة".[2]

وهكذا لما زار إلى الهند العالم الأديب الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي رحمه الله في رحلته الأولى سنة 1342هـ، وسمع هذه الخطبة البديعة من لسان المؤلف، قال في مذكراته:

"سمعت منه خطبة تفسيره للقرآن اغرورقت منها عيناي لفصاحتها وحقّيّتها".[3]

ثم وصف الإمام الفراهي بإنه: "الرجل فصيح التكلم للغاية، نادر في علماء العرب فضلًا عن علماء الهند".[4]

وبالإضافة أنه اختار أسلوبًا جميلًا رائعًا في حين يعالج الموضوعات العلمية والأدبية والاجتماعية، ومن الملاحظ هنا أنّ الفراهي قد يستخدم الأساليب والتعابير القرآنية في كتاباته العربية، لأنه- كما هو معلوم- ما برح غارقًا في بحر القرآن طول حياته، يبحث عن معارفه وعجائبه، وهكذا- رسخت لغة القرآن وتعابيره في ذهنه، وغلبت كلماته وأساليبه على لسانه، فكانت تتدفق هذه التعبيرات والأساليب من قلمه خلال كتاباته وتنعكس آثارها في مؤلفاته، فننقل هنا بعض الجمل على سبيل المثال من بعض مؤلفاته الذي يتجلى فيه نور القرآن وتفوح منه رائحته، فيقول الفراهي في موضع:

[1] المصدر نفسه، ص 23
[2] المصدر نفسه، ص 9
[3] مجلة الضياء، لكناؤ، 258/2 (نوفمبر 1933م)
[4] المصدر نفسه، ص 258

"فذانك برهانان ثم نعززهما بثالث وهو أن العرب لم يحمدوا الكلام إلا لحسن معناه".[1]

ونجد نفس الأسلوب في القرآن حيث يقول عَزَّوَجَلَّ: "فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ"[2] و"فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ".[3]

ويقول الفراهي في موضع آخر:

"ولهذه الدلالة التي هي ظاهرة على السليمي القلوب الذين لا يخرون على آيات الله صمًا وعميانًا".[4] وجاء هذا التعبير في القرآن الكريم كما يلي: "وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾"[5] وكذلك كثيرًاما يدعم الفراهي آراءه وأفكاره بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال أجله الصحابة والتابعين وآراء كبار المفسرين.

وختامًا لا بد من الاعتراف بأن الفراهي نادرًاما يأتي بالأساليب والتعبيرات غير الفصيحة في بعض مؤلفاته فيخرج من يراعه بعض الكلمات المحلية أثناء الكتابة، وذلك لأنه قد قضى حياته كلها في هذه البيئة الهندية ولم تتسنّ له الفرصة مثل الشاه ولي الله الدهلوي والشيخ غلام علي آزاد البلغرامي وغيرهم من العماء والفضلاء لقضاء بضعة أعوام في دولة عربية حيث يصقل عربيته ويحسن لسانه ويدقق نظره في الكلمات واستعمالاتها، التي لا يحتاج إليها الأجنبي لا محالة في معرفة دقائق لغة أجنبية ولطائفها ومواضع استعمالاتها، فيقول الفراهي مثلًا في تفسير الآية: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾" إنما قال (الذكر) عوض القرآن ليدل على أن الحفاظة تتعلق بالمعنى واللفظ معًا".[6] فكلمة (الحفاظة) تعبير أردي خالص، لا تستخدم في العربية بوجه عام.

[1] جمهرة البلاغة، ص 10
[2] سورة القصص: 32
[3] سورة يٰس: 14
[4] رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، ص 119
[5] سوره الفرقان: 73
[6] مفردات القرآن، ص 9

وكذلك يقول في كتابه "جمهرة البلاغة": "ولكنا قد بينا أن النطق أمر فطري للإنسان فينشأ منه كما تنشأ منه جذباته".[1] فكلمة "جذبات" أيضًا تعبير هندي محلي بمعنى العواطف، وكذلك شرذمة من الألفاظ والكلمات التي سبقت قلم الفراهي في كتبه.[2]

وقد أشار بعض العلماء والأدباء إلى بعض الكلمات والتعبيرات في كتابه "جمهرة البلاغة" التي تتشابه بالألفاظ والأساليب الأردية، كما أنهم أيضًا لفتوا أنظارنا إلى الغموض والإجمال الموجود في هذا الكتاب، ولعل السبب وراء هذا كله في أن هذا الكتاب ناقص غير مكتمل مثل معظم كتب الفراهي، ولا يتمتع بدرجة كتاب تامّ تتمتع بها الكتب المطبوعة في حياة مؤلفيهم، وفي الحقيقة لم يجد العلامة الفراهي فرصة لإعادة النظر في شكل هذا الكتاب ومضمونه، وهناك سبب قوي آخر وهو أن هذا الكتاب من باكورة مؤلفات الفراهي ولذلك وردت بعض الكلمات والأساليب غير الفصيحة فيه، وهذا واضح من كلمات العلامة السيد سليمان الندوي التالية:

"إنه من أوائل كتب الفراهي، ولعله ألّفه في عام 1904م، بعد ذلك تمرس قلمه وبالرغم من ذلك مستوى عربيته في هذا الكتاب عالٍ جدًا، غير هذه الكلمات والمحاورات المعدودة التي غلبت على قلمه".[3]

وكذلك قد يوجد في بعض مؤلفات الفراهي العربية اقتضاب وتفكك فيصبح أسلوبها مجملًا غير واضح، وذلك لأن الفراهي لم يوفق لإتمام تلك الكتب، وبعد وفاته جمعها الآخرون، كما وجدوها مبثوثة في مخطوطاته فطبعوها بدون أية إضافة وملاحظات توضيحية فلو أتيح للفراهي الفرصة لإكمال هذه الكتب ولإعادة النظر فيها، كما يفعل

[1] جمهرة البلاغة، ص 20

[2] الألفاظ التي أحصاها الكاتب جاءت في كتبه ورسائله التي لم تنشر في حياته ولكن الكب التي طبعت في حياته بريئة من مثل هذه الكمات فلا نقول إنها من عجمته بل من نوع ما يكتب الواحد في العجلة ثم يبدله بما يناسبه حين إرساله للطباعة. (مدير تحرير المجلة)

[3] مكاتيب سيد سليمان الندوي، ص 180

المؤلفون الآخرون قبل طباعة مؤلفاتهم، لأزال هذا الغموض والاقتضاب الذي يوجد في بعض كتبه، وهو واضح من مقدمة كتابه "دلائل النظام" كتبها له بدر الدين الإصلاحي مدير الدائرة الحميدية وفي ذلك يقول الأستاذ بدر الدين الإصلاحي في المقدمة:

"مجموعة من أفكار الإمام التي أعدها لهذا الكتاب لم يتيسر له أن يرتبها ما عدا الفصول العشرة الأولى في أوله، وهي تشغل الصفحات 9-32، أما ما عدا ذلك فهو مما كان مبثوثًا في مخطوطاته، جمعته ورتبته حسب ما رأيته مناسبًا، فإن أصبت فيه فبتوفيق ربي، وإن أخطأت فمن نفسي، والأستاذ الإمام- رحمة الله- بريء منه".[1]

وعلى أية حال، لا شك في أن العلامة عبد الحميد الفراهي يحتل مكانة مرموقة بين الكتّاب والمؤلفين الذين اختاروا اللغة العربية للكتابة في شبه القارة الهندية، ويتسم أسلوبه بوجه عام بالبساطة والسهولة والبعد عن التكلف والتكرار، فهو من روّاد الكتّاب الذين أقبلوا على الكتابة في النثر العربي الفصيح المرسل الذي يختلف كثيرًا عن النثر المسجوع والأسلوب التقليدي القديم الرائج في زمن حياته، وقد اعترف بهذه الحقيقة الأستاذ الدكتور محمد راشد الندوي، فهو يشير إلى مساهمة الفراهي في مجال التصنيف والتأليف في شبه القارة الهندية:

"على كل حال إن الأستاذ الفراهي هو من الشخصيات الفذة التي رفعت مستوى اللغة العربية كما رفعت مستوى التصنيف والتأليف في الهند بل في العالم العربي كله، فهو بأعماله وآثاره أصبح معجزة للثقافة العربية والدينية، ويبقى خالدًا في صفحات تاريخ الفن والأدب".[2]

فبفضل جهود العلامة الفراهي وأمثاله الآخرين من العلماء والأدباء والكتّاب والمؤلفين الهنود، عادت إلى اللغة العربية حيويتها ونضارتها وقوتها وصفاؤها في

[1] رسائل الإمام الفراهي، ص 18

[2] مجلة المجمع العلمي الهندي، 57/2-1/17 (يونيو 1995م)

التعبير والبيان بعد أن تكبدت خسائر فادحة على أيدي الكتّاب الذين كانوا يتلاعبون بالكلمات والتراكيب ويملأون عباراتهم بالصنائع اللغوية والزخارف اللفظية، فأسلوب الفراهي يمتاز بسلاسته وحلاوة العبارة وعذوبة اللفظ متحررًا من القيود اللفظية والمحسنات البديعة، إلا ما اقتضته الحال- دون تكلف وتصنع.

وأما ذوقه الأدبي فيحس القارئ لمولفات الفراهي أن الله قد وهبه موهبة أدبية وذوقًا سليمًا عالجها بالدرب والمران، فاستوت موهبته ونضج ذوقه مما صنع منه أديبا فذًّا وناقدًا متذوقًا ومؤلفًا كبيرًا، يأتي في طليعة مَنْ كَتَبَ وصَنَّفَ في النقد والبلاغة والأدب في عصره، فكلما قرأ كتابًا أو صنّف مصنفًا احتكم إلى ذوقه وموهبته فيه فاهتدى إلى التعليل المناسب الذي تسكن إليه نفسه ويستقر له خاطره وفكره، فقد لاحظنا في كتبه الكثير من النصوص الأدبية والعديد من المواقف النقدية تكشف عما يتمتع به من موهبة أدبية متأصلة وما ينعم به من ذوق فنّي خلّاق منها ما قاله بألفاظ نقيحة في أشعار مختلفة، فقام بها بابًا مستقلًا "في بيان أصول عامة للبلاغة" في كتابه "جمهرة البلاغة" فيقول فيه:

"تنقيح الألفاظ طرف من التمييز والمطابقة وإنما جعلته أصلًا برأسه لشدة الاعتناء به فإنك بعدما جعلت تمييز المعاني المتماثلة نصب عينيك لابد أن تصمم فكرك إلى خواص دلالة الكلمة فتضعها مواضعها الخاصة بها وتراعي الترتيب والمطابقة كما رأيت الجاحظ كيف أخذ من الألفاظ للمعاني المتشابهة ما كان أليق بكل منها وههنا نزيد لك مثالًا".

من أمثلة شدة انتباههم لجودة الألفاظ المفردة أنهم كانوا يسمّون بذلك كما يسمّون بفعالهم فهم سمّوا المرقش لما أنه أول من استعمل لفظ الرقش لبقايا الرسوم حيث قال:

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الأديم قلم

وكان الرقش يستعمل لألوان مختلطة متبائنة واضحة كما على جلد الحية فهذه اللفظة

أوضحت التصوير ولم يصنع حسن اختياره في قوم فطن، ثم تبعه الشعراء فقال طرفة:

كسطور الرق رقشه بالضحى مرقش يشمه[1]

ثم يقول الفراهي في شعر طرفة:

"فزاد طرفة لفظة "الضحى" لتدلّ على جودة صنعه فإنه إن فعل في الليل أو حين قلة الضوء في النهار لعله لم يبين بين الألوان فلو لم يفطن طرفة بأن حسن لفظ الرقش في الوضوح لم يزد عليه لفظة "الضحى" ثم زاد عليه لفظة "مرقش" وكان طرفة أراد أن يسيق المتبوع فإن القلم ربما يستعمله من لا يحسن العمل ولكن إذا أخذ القلم صاحبه أجاد الرقش ثم زاد عليه لفظه "يشمه" يبين عادته بالوشم ثم مع هذه الأمور أكمل التصوير باستعمال الفعل كأنك ترى مرقشًا يشم الرق في الضحى وهذا كلامي خارج عن الباب ولكن جلبه بيت طرفة وإنما أردنا الإشارة إلى تنبههم لجودة الألفاظ الخاصة مع النظر إلى صحة المعنى، وقال قراد بن غوية بن سمي يرثي لنفسه:

وكنت له عمًا لطيفًا ووالدًا رؤوفًا وأما مهّدت وأنامت[2]

وأخيرًا يقول:

"انظر كيف اختار ثلاث صفات لم تجد أليق منها بموصوفها، ثم في الترتيب صعود من العم إلى الأب إلى الأمّ ولا مصعد وراءها، ومن هذا الباب قصد الصحة وأداء الحقيقة كما قال "وكشح قد جننت به جنونًا" وهذا باب عظيم وقطب لمحاسن نطق العرب فإنهم لم يستحسنوا شيئًا مثله ولم يقصدوا من الكلام إلا هذا وإذا أصابوا فيه اطمأنوا ومنه قول عمرو بن كلثوم:

إذا بلغ الفطام لنا صبي تخرّ له الجبابر ساجدينا

[1] جمهرة البلاغة، ص 56

[2] المصدر نفسه، ص 56-57

وقول جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم وجدت الناس كلّهم غضابا[1]

وإلى جانب هذا البحث تناول الفراهي في هذا الكتاب قضية أهمية اختيار الكلمات في الكلام وقيمة المعاني والأفكار السليمة في الشعر، وإنه تحدث فيه عن المناسبة بين الصوت والمعنى، وألقى الضوء على أهمية التشبيه والاستعارة والمجاز في الكلام وبين مدى تأثير هذه كلها في التعبير والبيان، وقدم لكل موضوع أمثلة وافرة من أشعار العرب وأمثالهم، وإن دلّت هذه كلها على شيء فإنما تدلّ على طول باعه في كلام العرب وقوة فهمه في معاني الأشعار وبلاغتها ودقة نظره في مسائل النقد والبلاغة وسعة معرفته ببلاغة القرآن وإعجازه كما يقول الفراهي في "مطابقة الكلام بالمعنى":

"ليكن التعبير مطابقًا بالمعنى لينًا وخشونة وحلاوة ومرارة حسبما أردت من المدح والذم كما قال حاتم الطائي:

فإذا ما مررت في مسبطر فاجمح الخيل مثل جمح الكعاب

ومنه ما قال امرؤ القيس:

وشحم كهداب الدمقس المفتل كمشي العذارى في الملاء المهدب

هذا اختيار المناسب يكون من عدة جهات: من الصوت- من اللوازم- من التشبيه- أما من التشبيه فقد علمت- أما من الصوت فكما قال لبيد:

غلب تشذر بالذحول كأنهم جنّ البدي رواسيًا أقدامها

المراد من البيت الصدر في أمر الصوت والعجز في أمر التشبيه، فاجتمعت خشونة المعنى والصوت والتشبيه وفي القرآن (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ) ولم أر قومًا راعى

[1] المصدر نفسه، ص 57

مطابقة الصوت بالمعنى كما أرى العرب فإنهم برآء من التكلف مولعون بالصدق متجنبون من السفاسف".[1]

وكذلك شاع ذوقه وأسلوبه الأدبي في كل كتب من الكتب المطبوعة أو المخطوطة في علوم القرآن وتفسيره من السور الآتية: الذاريات والتحريم والقيامة والمرسلات وعبس والشمس والتين والعصر، والكوثر والكافرون واللهب والفيل والفاتحة والبسملة والبقرة كما يقول الفراهي في تفسير الآية "وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧" في تفسير سورة الذاريات:

"إن السماء يطلق على معان كثيرة ومنها السحاب كما في قوله تعالى: "وَقِيلَ يَـٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي".[2]

فأورد عليه ثلاثة أوجه متعددة منها:

"إن الوصف بذات الحبك يدل عليه دلالة واضحة وبيانه أن الحبك هو العقد كما قال أبو دواد:

كأن الغضون من الفهدتين إلى طرف الزور حبك العقد

ومنه الإدماج والإحكام في النسج ومنه الحباك وجمعه الحبك للطرائق والأسرّة التي توجد في الثوب المحكم النسج وغيره. قال زهير بن أبي سلمى يصف ماء مرّت عليه الريح فأنشأت فيه غضونًا:

مكلل بأصول النبت تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك[3]

ثم أتى بدليل من قول الفراء وحديث الدجال ويقول:

[1] المصدر نفسه، ص 49

[2] تفسير سورة الذاريات، ص 4

[3] المصدر نفسه، ص 4-5

"قال الفراء في قوله تعالى (وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ) الحبك تكسر كل شيء كالرملة إذا مرّت عليها الريح الساكنة والماء القائم إذا مرّت به الريح، وفي حديث الدجال "ان شعره حبك حبك" والسحاب يوصف بذلك فإن الحبك فيه تجعد قطعاته مثل الموج المزبد المتراكم أو كسبائب القطن. قال امرؤ القيس يصف القصور الشامخات المكللة بالسحب:

تلاعب أولاد الوعول رباعها دوين السماء في رؤوس المجادل
مكللة حمراء ذات أسرّة لها حبك كأنها من وصائل

أي مكللة بسحب حمراء ذات طرائق، وهذا وصف سحاب الشتاء من جهة لونه وقطعاته. قالت الخنساء تصف الشتاء:

حين الرياح بلائل نكب هوائجها صوارد
ينفين عن ليط السماء ظلائلًا والماء جامد
مزقًا تطردها الريا ح كأنها خرق طرايد

وما قيل من أن المراد به السماء التي فيها النجوم إما لإحكامها أو لكونها مجدرة بالكواكب فلا يصح فإن الحبك ههنا ليس بالمصدر إنما هو جمع بمعنى الخطوط والتكسر والغضون فلا يكون وصفًا لهذا السقف المكوكب لا من جهة إحكامه ولا من جهة نجومه".[1]

وعلى شاكلته قد كشف الإمام الفراهي بذوقه الأدبي السليم ما في كلام الأدباء وشعر الشعراء من حسن وقبح، وكان ذوقه يستحسنه كلّ من كان له صلة بالأدب ونقده.

[1] المصدر نفسه، ص 4-5

المصادر والمراجع

1. إمعان في أقسام القرآن للمعلّم عبد الحميد الفراهي، دار القلم، دمشق، ط1، 1994م
2. تفسير سورة الذاريات للمعلم عبد الحميد الفراهي، مطبعة معارف أعظم كره، د.ت.
3. جمهرة البلاغة للمعلم عبد الحميد الفراهي، مدرسة الإصلاح، أعظم كره، 1360هـ
4. رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن للمعلم عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، ط2، 1991م
5. فاتحة نظام القرآن للمعلم عبد الحميد الفراهي، مكتبة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الهند، 1357هـ
6. مجلة "الضياء" الصادرة عن ندوة العلماء، لكناؤ
7. مجلة المجمع العلمي الهندي الصادرة عن قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره
8. مفردات القرآن للمعلّم عبد الحميد الفراهي، مطبعة الإصلاح، أعظم كره، 1960م
9. مقالات شبلي، دار المصنفين، أعظم كره، 1964م
10. مكاتيب سيد سليمان الندوى، ترتيب: الشيخ مسعود عالم الندوي، مكتبة چراغ راه، لاهور، 1954م
11. مكاتيب شبلي، ترتيب: سيد سليمان الندوى، دار المصنفين، أعظم كره، ط2، 1927م
12. مكاتيب فراهي، جمع وترتيب: د. شرف الدين الإصلاحي ود. حمد الله الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، 1994م

ISSN: 2321-7928

منهج تدريس القرآن الكريم لدى المعلم الفراهي

- د. محمد أكرم السلام الأعظمي[1]

كان سيّدنا محمد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتلقّى القرآن الكريم من لدن حكيم حميد فيتلو ما ألقي إليه من آيات الله ويعلّم الناس إياها والحكمة التي تتضمنها ويزكّيهم بها فكان هو نفسه أوّل معلّم ومدرّس للقرآن الكريم، هذا ما صرّح الله به سبحانه في كتابه أربع مرات، مرتين في سورة البقرة، مرة في سورة آل عمران ومرة في سورة الجمعة[2] كما صرّح بهذه الحقيقة هو نفسه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قال مشيرًا إلى غاية بعثته: "إنما بُعثتُ معلّمًا"[3] ثم يأتي القرآن الكريم بذكر جانب مهمّ من جوانب هذا التعليم الذي هو ميزة الرسالة ومغزى النبوة فيقول: "وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾"[4] وهكذا بلغ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرسالة وأدّى الأمانة فأخذ عنه أصحابه القرآن لفظًا ومعنًى وبلّغ الشاهد الغائب ومازال يتناقله جيل بعد جيل حتى وصل إلينا علم غزير وعمل كثيرٌ.

وتعليم القرآن الكريم وتدريسه له أبعاد مختلفة وجهات متنوعة إلا أنا إذا أمعنا النظر في هذه الجهات والأبعاد وجدناها منقسمة إلى قسمين أساسيين بارزين وهما: (1) تعليم الحروف والأصوات و(2) تعليم الحكمة وتبيين الآيات، فيشمل القسم الأول تجويد الحروف ومعرفة الوقوف وترتيل الآيات وتحفيظها كما يتضمن جمع القرآن وتدوينه وقواعد الكتابة والإملاء

[1] أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة دلهي

[2] سورة البقرة (129 و151) وسورة آل عمران (164) وسورة الجمعة (2) فقال مثلًا: "لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾".

[3] عن عبد الله بن عمر رواه ابن ماجه برقم الحديث: 229

[4] سورة النحل: 44

ورسم الخط وما إلى ذلك. ويحتوي القسم الثاني تأويل الآيات وتفسيرها وتبيين الحكمة التي لا تزال مختفية كالدرر في نظم الآيات والسور ويضم هذا القسم كذلك مدلول المفردات واختلاف الدلالات والتراكيب والأساليب والحجج وما إلى ذلك.

أما تعليم الحروف والأصوات فيؤكد حكمه مستهل الوحي وكلمات الوحي البدائية ولإبراز هذا الحكم وردت في كتاب الله كلمتان "القراءة" و"الترتيل" اللهم إلا أنّ هذه القراءة ليست قراءة عادية كسردنا الكلمات العربية بل هي قراءة خاصة لها آدابها وأصواتها قد قام بتعليمها الله جلّ وعلا نفسه فقال: "سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ"[1] وأكّد كذلك: "فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾"[2] وتدل هذه الآية على لزوم تأدية الحروف حقّها ومنهاج أدائها وقراءتها قبل أن يأخذ أحد في تتبع معانيها وكشف أسرارها كما استشهد المحقق الجزري بنفس هذه الآية أنّ فن التجويد والترتيل والقراءة مما أنزله الله تعالى على نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو منصوص ومنزل من الله[3] وشأن كلمة الترتيل لايختلف تمامًا عن كلمة القراءة فلم ينزل الله حكم الترتيل على نبيه بحتًا كما وردت هذه الآية: "أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾"[4] إلا قام الله بأداء هذا الترتيل نفسه فقال: "وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾"[5] فثبت أنّ القراءة والترتيل والتجويد علّمها الله النبي كما علّمه أمور العبادة وآداب القيام بها فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أقرأني جبرئيل[6] وعن أبيّ بن كعب أنّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عند أضاءة بني غفار، قال فأتاه جبرئيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال إنّ الله يامرك أن تقرأ أمتك القرآن[7] ولا يزال هذا العمل والتمرين للتجويد والقراءة والترتيل جاريًا جيلًا بعد جيل إلى يومنا هذا حتى

[1] سورة الأعلى: 6
[2] سورة القيامة: 18
[3] مجلة دراسات دينية الصادرة عن كلية أصول الدين واللاهوت بجامعة علي كره الإسلامية، ص 99 عام 1990-1991م
[4] سورة المزمل: 4
[5] سورة الفرقان: 32
[6] صحيح البخاري، رقم الحديث: 3219
[7] صحيح مسلم، 204/1

شهد التاريخ بأنّ سيّدنا عثمان (رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ) لما أمر بنقل المصحف الذي كان قد تمّ إعداده في زمن سيّدنا أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرسل النسخ المنقولة إلى العواصم الإسلامية المختلفة آنذاك لتكون قراءة القرآن الكريم موحدة، أرسل مع كلّ نسخة منها صحابيًا مقرئًا ليعلّم المسلمين الجدد القراءة الصحيحة[1] ولعل هذا هو السبب وراء ما قال سيّدنا عمر بن عبد العزيز عن القراءة والترتيل أنها سنة متبعة.[2]

وكما يتضمن القرآن الكريم أحكام القسم الأول من تعليم الحروف والأصوات؛ يحتوي القسم الثاني من تبيين الآيات وتعليم الحكمة بما يلزم من الصراحة والتفصيل فيقول: "وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ" (سورة الجمعة: 2)، "وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾" (سورة النحل: 44)، "كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾" (سورة ص: 29)، "ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾". (سورة الأعراف: 157)

وضمن هذه الأحكام نجد أنّ الله جلّ وعلا لم يقتصر على الأمر بالتعليم والتبيين بل تجاوز ذلك وزوّدهما بالممارسة والمران من لدنه فحينما أمر "لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ" قام تعالى نفسه بهذا التبيين فقال: "ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾". (سورة القيامة: 19) وكما قال: "كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾". (سورة آل عمران 103) فمرّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بمثل هذا التمرين الذي تم تنسيقه من لدن حكيم خبير كما صرح القرآن الكريم بهذا فيقول: "إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ

[1] مناهل العرفان، 406/1

[2] أحسن البيان في علوم القرآن للدكتور حسن الدين أحمد

لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾" (سورة النساء: 105) وبهذا القسم الثاني نفسه يتعلق فن التأويل والتفسير ويتبين كذلك بما أوردنا من آيات الذكر الحكيم فيما سبق أنّ المقصود من هذا التبيين هو التدبر والتفكر فيها، اللهم إلا أنّ الغاية القصوى والهدف الأسمى وراء هذا التدبر والتفكر هو التذكر بها.

ثم لهذا القسم الثاني أي التبيين والتأويل جزآن جزء ما وصل إلينا نقلًا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من كلمات ودلالات ومعان، وجزء ما زال ولايزال مكنونًا في أعماق كلمات الكتاب وطيات تراكيبها إلى يوم القيامة ولا يهتدي إليه إلا من وفّقه الله عزّ وجلّ من أولي العزم والهمم الذين يتلون كتاب الله ويتدبرون آياته ليلًا ونهارًا طلبًا للآليها فالقرآن الكريم يحضّ القارئ لهذا السبب على التدبر والتفكر دائمًا فيقول مثلًا: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾" (سورة محمد: 24) ويثني كذلك على من يصغي إلى أحاديثه برأسه وأذنه مع بالغ الاهتمام فيقول: "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾" (سورة ق: 37) فهذا هو الجزء الذي أشير إليه في هذا الأثر: لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه.[1] فالأثر يدلّ كذلك على أنّ القرآن الكريم يتضمن الأبدية والعالمية حيث تنتفع بعلومه ومعارفه البشرية جمعاء وتستمر في الاستخراج من كنوزه الدرر الكامنة إلى أن تقوم الساعة.

ومن المعلوم أنّ سلسلة كلا القسمين تعليم الحروف والأصوات وتعليم الحكمة وتبيين الآيات سلسلة مباركة وسنة متواترة ولا تزال جارية في هذه الأمة من عهد النبوة فأصحاب النبي كانت لهم حلقات دراسية للقرآن الكريم يتذاكرون فيها كلام الله وبعضهم كانوا يهتمون بكتابة الصحائف وإعداد المذكرات في بعض الأحيان إلا أنّ هذه السلسلة الذهبية المباركة بقيت شفوية تتناقل من صدر إلى صدر حتى القرن الثاني الهجري إذ بدأت العلوم الإسلامية تدوّن حقًا فأخذوا يدوّنون كلا القسمين كما كانوا يتناقلونهما من قبل شفويًا ويجدر بنا الذكر أنّ الجزئين لتعليم الحكمة وتبيين الآيات أي التفسير بالمنقول

[1] بحار الأنوار، 284/2

والمأثور والتأويل بالتدبر في الآيات كلاهما ما زالا ولايزالان يتداولان منذ صدر خير القرون إلى يومنا هذا حتى نرى ما نرى في كتب التفسير من اختلاف التأويل وتضارب الآراء وهذا الخلاف ليس محصورًا في المتأخرين بل يوجد كذلك لدى المتقدمين حتى نشاهده في زمن الصحابة والتابعين فلو أثر عن النبي شيء صحيح بسند صحيح في الآية أو الآيات التي وقع الخلاف بينهم في تأويلها لما اختلفوا وما تضاربت الآراء فثبت أنّ المتقدمين حتى الصحابة والتابعين كانوا يفسّرون الآيات بما ترشد إليه عقولهم بعد عملية التدبر والتفكر فيها لأنّ اختلاف الأقوال والآراء نتيجة لاختلاف العقول لا غير.

وبعد عصر التدوين حينما جاء عديد من المؤلفات في التفسير وعلوم القرآن وضع الواضعون المقررات الدراسية لتعليم القرآن الكريم وتدريسه فالمقرر الدراسي لتعليم القرآن الرائج آنذاك في العالم الإسلامي عامة ولشبه القارة الهندية هذه خاصة لم يكن ليسمح تدريس الآيات ومتون القرآن مباشرة بل يكتفي بدراسة مختارات ومنتخبات من بعض كتب التفسير العربية وهذه الصورة المؤلمة كان قد ذكرها أحد مؤسسي دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ ومعتمدها الأوّل للتربية والتعليم العلامة شبلي النعماني قبل مئة عام فيقول:

"وأكثر ما يبعث الحيرة أنّ القرآن الكريم الذي هو روح الإسلام ومغزى الدين القيم قلما يعتنى به فالمقرر الدراسي العربي اليوم يشمل كثيرًا من كتب كلّ علم وفن ولكن قد تسرب إليه كبير عيب وقبيح نقص بأنه لا يعتني بدراسة القرآن الكريم إلا قليلًا فلا يتضمن كتب التفسير وملحقاتها إلا يسيرًا فيشتمل منها كتابين فقط (1) البيضاوي (2) والجلالين؛ ولا يدرس من البيضاوي سوى الجزئين والنصف ويدرس الجلالين كاملًا إلا أنّ كلمات هذا الكتاب وحروفه قد تساوي كلمات القرآن نفسها لأجل اختصاره البالغ. فالقرآن الكريم يتطلب الاعتناء به أكثر بكثير".[1]

وقول العلامة النعماني هذا في المقرر الدراسي لتعليم القرآن الكريم ما زالت ولا تزال

[1] خطبات شبلي، مطبعة معارف، أكادمية شبلي، أعظم كره، 1990م، ص 26

تصدقه حتى يومنا هذا المعاهد الإسلامية الهندية التي تلتزم في مناهجها الدرس النظامي حتى بعد أن مرّ على وفاة القائل أكثر من مئة عام فإلى الله المشتكى!

مدرسة الفراهي: تسمى بهذا الاسم لنسبتها إلى الأستاذ عبد الحميد/ حميد الدين الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1863-1930م). هذه المدرسة أصلًا هو منهج التدريس ومنهاج التعليم الذي يسلك درب التفكر والتدبر في آيات كتاب الله ونصوصه مباشرة فلا يلجأ في صفوف المحاضرة حين تدريس القرآن الكريم إلى أيّ كتاب للتفسير بل تدرس متون القرآن مباشرة ويجتهد في فهمها والتوصل إلى الحكمة فيما بينها ويمارس الطلاب على هذا الدرب كذلك.

والأستاذ الفراهي كان بما وهبه الله مجددًا عظيمًا في علوم القرآن ومفسرًا نحريرًا فقد غيّر النظام الرائج القديم الذي لا يعتني بنصوص كتاب الله بغير واسطة حق الاعتناء وأنشأ مقابله نظامًا جديدًا لتدريس القرآن الكريم المباشر ووضع منهجًا حديثًا مبنيًا على التدبر في آيات الله لم ير التاريخ له نظيرًا فيما قبل، فوضع الفراهي لفهم القرآن وتدريسه أصلًا جليلًا شأنه وعظيمًا قدره ألا وهو نظم القرآن فلا ريب أنّ هذا الأصل كان قد ذكره المتقدمون وأشادوا بعظمته وأهميته ولكن لما يتكامل ولما يرتق إلى أصل أساسي لفهم القرآن حتى برز الفراهي وكتب عنه ما كتب وفصّل فيه وبرهن عليه فصار منهاجًا ناجحًا للتوصل إلى ما في آيات الله من حكمة بالغة ودرة ثمينة كما صرح به في مقدمة كتابه "نظام القرآن":

"وكنت في هذا على بصيرة من ربي، غير متبع لأحد، ومع ذلك لم أكن ببدع في تتبع النظام، لأنّ جماعة من العلماء قصدوا إليه، وصنّفوا فيه...".[1]

ثم زاد هذا التصريح فيقول:

"... وإنما نقلت ذلك لتعلم أمرين: الأول أنه ليس مما سكت عنه العلماء، والثاني أنّ

[1] نظام القرآن (ديباجة الكتاب)، ص 15

هذا عبء ثقيل لم يقم له إلا قليل، وخبأ ومستور لم يخرج منه إلا يسير. وقد يسّر الله تعالى لي، بمحض نعمته، فهم نظم القرآن في سورة البقرة وسورة القصص من نفس القرآن، وإني كنت مولعًا بتلاوته، وهو أحبّ الكتب وألذّه عندي، ولله الحمد! وقد كنت أسمع أنّ القرآن أشتّ الكتب نظمًا لنزوله نجمًا نجمًا، ولكن بعدما ظهر لي النظام في سورتين، حثّني على التدبر في باقيها؛ ...".[1]

فوضع الفراهي لمنهجه هذا أصولًا وفروعًا وقدّمها إلى مَنْ تهمهم من أعلام الأمة وصنّف فيها لإيراد الأدلة والأمثلة كتبًا مهمة متنوعة ودرسها أمام الطلاب والأساتذة واختار منهم تلاميذ نجباء حملوا بعده هذا العبء بجدية متميزة. والذي يميز هذا المنهج هو حقيقة ثابتة أنّ لكل سورة عمود وموضوع أساسي وعنوان مركزي تربط به جميع آيات السورة مع ما فيها من جميع الأحكام والحجج والحكم بمناسبة بليغة أنيقة. (ولمزيد من التفصيل راجع مؤلفات الفراهي مثلًا: "نظام القرآن"، "دلائل النظام" و"أساليب القرآن" وغيرها)

وبتقديم هذه الطريقة الممتازة والمنهاج القويم أبرز الفراهي، من جهة، أمام الأمة ما كان في المنهج القديم الرائج آنذاك في العالم الإسلامي بأسره عامة وفي شبه القارة الهندية خاصة من تعقيم وإهمال وعرف أمامها من جهة أخرى منهجًا ممتعًا متكاملًا أكثر منه نفعًا ليس له في التاريخ مثال؛ فهو يستحق من الأمة جميل الثناء والاعتراف بدوره الريادي في مجال التفسير.

فقد أشاد بذكر الفراهي ومنهجه الممتاز لتأويل القرآن وتدريسه عباقرة العصر مثل العلامة شبلي النعماني فدعاه النعماني إلى دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ حينما كان هناك معتمدًا للتعليم والتربية لإلقاء دروس القرآن فتلبى نداءه وخصّ إجازاته لهذا الغرض فاستمرت دروسه القرآنية التي يحضرها الأساتذة وكبار الطلاب سنتين.[2] وكان من عادة الفراهي أنه يهتم بإلقاء الدروس القرآنية حيثما يكون حلًا وترحالًا

[1] المصدر نفسه، ص 17

[2] حيات شبلي لسيد سليمان الندوي، مطبعة معارف، أكادمية شبلي، أعظم كره، 1993م، ص 433

فيقول الدكتور شرف الدين الإصلاحي في كتابه "ذكر فراهي":

"فمن مدينة كرانثي إلى مدينة حيدرآباد حيثما نزل واستقر مشتغلًا بوظيفة، أقام لإفادة كلّ من له طلب إلى علم القرآن الكريم حلقات لدروسه، بل تجاوزت إفادته هذه إلى كلّ بلدة ومؤسسة ينتمي إليها، فبرزت مدرسة الإصلاح مركزًا خاصًا لدرسه وقد ذكروا أمثال هذه الحلقات في رحاب ندوة العلماء بمدينة لكناؤ، وفي رحاب الجامعة الملية الإسلامية بمدينة دلهي، ولما سافر إلى الحجاز لحجّ بيت الله درس هناك كذلك، حتى كان قد أخذ في تنظيم سلسلة الدروس بمدينة بنارس كلما ذهب إليها لزيارة أخيها بها".[1]

ويقول الشيخ سعيد الأنصاري إنّ الأستاذ الفراهي كلما زار "دار المصنفين، أكاديمية شبلي" خلال إمضاء إجازته الصيفية في وطنه بأعظم جراه قدّم دروس القرآن الكريم في رحابها فكنت ألازمه أثناء الفترة وأتعلم منه كتلميذ له فيذكر:

"وقرأت على المعلّم عبد الحميد (حميد الدين) الفراهي الأنصاري بأعظم كره، وكان أوحد زمانه وفرد أوانه في علم التفسير، متضلعًا بالعربية والفارسية والأردو والإنكليزية والألمانية والعبرانية، وكان لي عنده فائدة ومنه حظ لما يذكر دروس القرآن لي بدار المصنفين حين يقدمها من حيدرآباد الدكن لإمضاء زمان التعطيل الصيفي في وطنه، فكنت أغشاه وأجلس إليه وآخذ عنه وأعرض عليه شعري، وسمعت بإفادته الكثير".[2]

اللهم إلا أنّ مدرسة الإصلاح قد تفردت بكونها مركزًا خاصًا رئيسيًا حيث يلقي الفراهي دروسه القرآنية وتشرف بإكمال القرآن الكريم بتمامه فيها مرارًا كما يصرح به

[1] ذكر فراهي للدكتور شرف الدين الإصلاحي، دار التذكير، غزني استريت، أردو بازار، لاهور، 2002م، ص 857

[2] مجلة الهند، العدد 4 (ديسمبر 2012م)، ص 127

سيد سليمان الندوي في إحدى مقالاته:

"كان الأستاذ الفراهي قد ألقى ما دام حيًا وأتم (بالمدرسة) دروسه للقرآن الكريم بكامله عدة مرات من وجهات متنوعة في حلقة مؤلفة من الأساتذة وكبار المتعلمين وعلّمهم كذلك بعض الفنون والفروع للفلسفة الحديثة فأخذ عنه بعض الطلاب المجدين المجتهدين واستفاد منه حق الاستفادة، أجدرهم بالذكر المولوي أمين أحسن الإصلاحي الذي نرجو منه الكثير في المستقبل".[1]

وكان من أهم المشاركين في هذه الحلقة ما عدا الشيخ أمين أحسن الإصلاحي كما هو معروف 1-الشيخ أختر أحسن الإصلاحي و2- الشيخ نجم الدين الإصلاحي. وبادر هؤلاء الجهابذة الثلاثة فيما بعد بألسنتهم وأقلامهم إلى نقل كل ما وصلت إلى رجال العلم والدين ومؤسسات البحث والمعرفة من مواريث الفراهي الأدبية والعلمية وبالأخص ما قام الشيخ أمين أحسن الإصلاحي بجهود متواصلة لإبراز أعمال الفراهي المتنوعة بتعريفها وتدوينها وتحقيقها وشرحها وترجمتها إلى الأردية لغة الإسلام والمسلمين عامة في شبه القارة الهندية ثم ألّف هو بنفسه تسعة مجلدات ضخمة في تفسير القرآن العظيم وسمّاه بـ"تدبر قرآن" فجاء فيه بآراء أستاذه الفراهي بمعظمها حول الآيات القرآنية وتأويلها وزوّدها لإيفاء شرحها وإيضاحها بمزيد من الأدلة والأمثلة من لدنه حتى صار تفسير الإصلاحي هذا كنزًا مفيدًا لأفكار الفراهي وعلومه. ثم أخذ من هؤلاء الثلاثة المذكورين أعلاه جيل مثقف تخرج في علوم الفراهي ومناهجها وقام بخدمات متميزة في نشرها وشرحها؛ من أبرز رجاله الشيخ جليل أحسن الندوي والشيخ صدر الدين الإصلاحي فأولهما تولّى مهام التدريس في شتى المعاهد الدينية بالبلاد خاصة بمدرسة الإصلاح حيث استفاد من التلميذ الرشيد للفراهي وعميد المدرسة آنذاك الشيخ أختر أحسن الإصلاحي وبجامعة الفلاح نهائيًا حيث عيّن شيخ التفسير والحديث واشتهر

[1] ياد رفتگان لسيد سليمان الندوي، مطبعة معارف، أكادمية شبلي، أعظم كره، ط2، 1986م، ص 132

بنبوغ فكره البالغ العالي وعلمه الراسخ الغالي فربّى جيلًا جديدًا على منهج الفراهي وثانيهما صنّف عديدًا من الكتب وأول تفسير للقرآن من نوعه تاريخيًا على هذا المنهج سمّي بـ"تيسير القرآن" ولأسباب مجهولة بقي هذا التفسير غير مكتمل.

منهج التدريس: لم يؤلف الفراهي فيما نعلم كتابًا حول منهج التدريس للقرآن الكريم فنرجع إليه للأخذ عن أصوله وطرقه في تعليم القرآن وتدريسه ولعل الخبراء بأعماله لم يشيروا كذلك إلى أيّ مخطوط أو مكتوب له حول الموضوع اللهم إلا أنّ المنهج المقبول لدى تلاميذه ومسترشديه الذي تسير عليه مدرسة الإصلاح وأخواتها بالفعل يغنينا عما سواه فأول شيء يفيدنا في هذا الصدد هو كلمة تلميذ الفراهي المباشر الشيخ نجم الدين الإصلاحي التي ألقاها في ندوة دولية حول حياة الفراهي وأفكاره وأعماله برحاب مدرسة الإصلاح، فيقول:

"وكان من عادة أستاذنا الفراهي أنه يجلس بعد صلاة الفجر في رواق مدرسة الإصلاح الشمالي فيجتمع حوله جميع الأساتذة وأنا أبدو بتلاوة آيات من القرآن الكريم فبعض الأحيان يطرح بعدها الأستاذ أسئلة حول الآيات المتلوة ويرد بنفسه عليها؛ ويهتم أولًا بترجمة الآيات ثم يقوم ببحث مستفيض في مشاكلها النحوية وغوامضها اللغوية فيثني خلالها من المفسرين على الإمام ابن جرير الطبري لرأيه الصائب وتحقيقه الفاحص وعلى الشاه عبد القادر (الدهلوي) لترجمته (الأردية) الأنيقة (للآيات) فيصدق مع كل انشراح وبشاشة بما يقول العلماء في كون ترجمة الشاه للقرآن الكريم إلهاميًا؛ وإذا خالف المفسرين في ترجمة آية أو تأويلها ذكر أوجه الخلاف، وإذا اختلف معه أحد من الأساتذة في رأيه أقنعه بذكر سبب الاختلاف؛ فكان الدرس يومًا من الأيام بسيطًا جدًا وعاديًا، إلا إذا جاء أحد بما يخالف رأي الأستاذ أصبح الدرس يومئذ ذا بال شديد ومليئًا بجم الحقائق والمعارف حتى صار الذين أوتوا العلم مبهوتين".[1]

ويسلك نفس المنهج الشيخ جليل أحسن الندوي وهو من أخص الأفاضل الذين استفادوا

[1] علامه حميد الدين فراهي: حيات وأفكار، ص 33-34

من الشيخ أختر أحسن الإصلاحي، فالطرق والمناهج التي يسير عليها الشيخ خلال تدريسه للقرآن الكريم في الفصول عامة بجامعة الفلاح هي كما يبيّنه أحد تلاميذه فيما يلي:

"(1) يبدأ الدرس ببيان عمود السورة وإيضاحه، (2) فيقوم بحلّ التراكيب النحوية وتوضيحها، وما يطرأ على المراد والمعاني من اختلاف وتباين باعتبارها، (3) ويأتي لآيات الدرس بنظائرها من القرآن، (4) ويرشد إلى مختلف التأويل في الآيات والفرق بين هذا وذاك، (5) ويشرح الآيات في ضوء الأحاديث، (6) ويرجع إلى المعاجم اللغوية لتعيين المراد وتوضيح المعاني، (7) ويبين الخطاب وأساليبه في القرآن لكي يتضح بها اختلاف آراء المفسرين".[1]

وكتب الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في هذا الصدد عن تعامل نفسه:

"قضيت أربع عشرة سنة معلمًا للغة العربية وعلومها فكنت أعلّم خلالها طلاب السنوات النهائية القرآن والأدب وفلسفة التاريخ".[2]

فكان الشيخ الإصلاحي بالإضافة إلى ما قام بخدماته التعليمية بمدرسة الإصلاح بالهند المتحدة قد أقام بباكستان حلقة لدراسة متعمقة للقرآن الكريم باسم "حلقة تدبر القرآن" فكل ما قدّم الشيخ في هذه الحلقة هو بلسانه كما يلي:

"هذا يتضمن ما استفدت من الأستاذ الفراهي وما استطعت أن أزيد عليها من ناضج وغير ناضج".[3]

وقد أعدّ الشيخ الإصلاحي لهذه الحلقة منهجًا متخصصًا ومقررات دراسية متميزة لثلاث سنوات تستغرق ساعتين يوميًا وكان قد علّم الشيخ وفق هذا المنهج عديدًا من أهل العلم وجاء هو نفسه ببيان هذا المقرر والمنهج مفصلًا كما يلي:

[1] مجلة حيات نو، يونيو 2017م

[2] مقالات إصلاحي، ترتيب: خالد مسعود، مؤسسة فاران، لاهور، باكستان، 319/1

[3] المصدر نفسه، ص 325

"قد تعرضت في تدريس القرآن كل ما يلزم المرحلة البدائية من أمور ومباحث مثلًا: دراسة الكلمات وتحقيقها، النحو، اللغة واللسان، الأسلوب، النسق والترتيب، تأويل الآيات والاستنباط منها الأحكام والمسائل ... ولم نتعرض في البداية المباحث الدقيقة من الحجج والحكم وفي السنة الثانية والثالثة سنأخذها تدريجيًا قدر ما تقتضيه الحاجة ليتعرفوا على فلسفة القرآن وعلم كلامه وحكمته.

قد علّمت هؤلاء الطلاب النحو والصرف على نهج الأستاذ الفراهي بطريقة التمارين ولم تستغرق أكثر من شهرين ونصف أو ثلاثة أشهر، ثم علّمتهم كتاب مطالعة أعده الفراهي للمبتدئين، ومع ذلك لم يزل درس القرآن مستمرًا من أول يوم شاملًا كل ما تسرب إليه من قضايا النحو واللغة ونظم الكلام وتأويل الآيات. وبعد كتاب المطالعة درسوا في الأدب أولًا كتاب كليلة ودمنة وثانيًا مقدمة ابن خلدون؛ وكنت أريد بداية أن أدرّسهم المقدمة بكاملها ولكن بعدما رأيت من استعدادهم الجيد قرّرت أن لا حاجة لهم إلى تعليمها درسًا درسًا، فأخذت أعلّمهم ديوان الحماسة، وإذا أتموا الحماسة ليسوا بحاجة إلى أي شيء في الأدب ليدرسوه درسًا درسًا، وإلى جانب الحماسة يلزم الصحيح لمسلم في الحديث أن يدرس كاملًا، وبعد أن ينتهوا من الصحيح لمسلم لن تبقى لهم حاجة إلى تدريس أيّ كتاب في الحديث. ثم يبدأ بتدريس كتاب "بداية المجتهد" في الفقه بعد الصحيح لمسلم بكامله والنصف من القرآن الكريم (خمسة عشر جزءًا)، وبعد ذلك يبدأ في كتاب "حجة الله البالغة" ويدرس الجزء الأول منه درسًا درسًا ويقرأ الجزء الثاني منه الطلاب تحت إشراف الأستاذ".[1]

قد نقلنا مختلف المقتبسات من مقالات الإصلاحي ههنا ليطلع القارئ على مناهج مدرسة الفراهي للقرآن الكريم ومقرراتها الدراسية بالتفصيل من نفس الشحصية التي بذلت جهودًا جبارة طول حياته لتعريف هذه المدرسة بين الأوساط العلمية وتطوير

[1] المصدر نفسه، ص 318-324 (باختصار)

فكرها ومنهجها بلسانه وقلمه لتكون عالميًا؛ ألا وهي الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، فقد علمنا منه قدرًا كبيرًا من التفصيل لمنهج مدرسة الفراهي وما يتضمنه من المقررات الدراسية والكتب المختارة.

فثبت وتجلّى من هذا البحث الطويل أنّ مدرسة الفراهي لتدريس القرآن الكريم تهتم أصالة بالقسم الثاني من قسمي تعليمه وتدريسه الأساسين البارزين وهو "تعليم الحكمة وتبيين الآيات" ثم لا يهمها إلا الجزء الثاني من هذا القسم الأساسي وهو بذل الجهود للتوصل إلى معاني النصوص القرآنية ومراد آيات كتاب الله من طريق التدبر فيها مباشرة فكاد أهل هذه المدرسة لا يلتفت إلى الجزء الأول من قسم تعليم الحكمة وتبيين الآيات أي التفسير بالمنقول والمأثور. أما القسم الأساسي الأول لتعليم القرآن الكريم وتدريسه وهو "تعليم الحروف والأصوات" فقليلًا ما تهتم به هذه المدرسة وأهلها وعندهم العذر لهذا الإهمال فإنّ عملية التدبر في آيات الله لتأويلها المحكم كما تشغلهم عن النظر إلى كتب التفسير بالمنقول والمأثور، تشغلهم عن الاهتمام اللازم بتعليم الحروف والأصوات كذلك؛ فحينئذ لا يكونون ملومين بتاتًا إلا أنّ هذا الإهمال ربما يتفاقم سيئه ويزداد شره إذا تخرج من أفواه بعضهم كلمة أنّ تعليم الحروف والأصوات شيء لا يلزم وعمل غير ضروري حتى سمع بعض أفاضلهم يقول إنّ علم القراءة والتجويد هو عمل المران للفكوك والأسنان، فهذا شين لهم. ومع ذلك كله فإن هؤلاء كلهم مغبوطون لما قدمت هذه المدرسة وصاحبها المعلم الفراهي لتعليم حكمة القرآن وتبيين آياتها بالتدبر في نظمها من خير عظيم ومنهج قويم أمام الأمة ولما اكتشف هو وتلاميذه وأعلام مدرسته البارزون متتابعين من خلال هذا المنهج عن عديد من اللآلي والدرر في نسق الآيات والسور فيستحقون جميل الثناء وجزيل الشكر منا ومن الأوساط العلمية بأجمعها.

ISSN: 2321-7928

الأستاذ الفراهي والسيّد سليمان الندوي

- أ.د. أبو سفيان الإصلاحي[1]
ترجمة من الأردوية: أبو سعد الأعظمي[2]

إنّ الإمام عبد الحميد الفراهي (1863-1930م) والعلامة السيّد سليمان الندوي (1884-1953م) كانا من أبرز تلامذة العلامة شبلي النعماني الذين اعتنى بتربيتهم اعتناءً خاصًا، وأنهما أضافا إلى ما خلفه العلامة شبلي من تراث علمي وفكري وقاما بتوطيده وترسيخه خلال عملهما في شتى المجالات العلمية. وكان شبلي في أواخر حياته صبّ جل اهتمامه في دار المصنفين، ومدرسة الإصلاح وركّز عنايته عليهما. وكان يفكر في تأسيس جامعة إسلامية باتحادهما.[3] ولتحقيق رغبة أستاذه الأخيرة قدّم عبد الحميد الفراهي جهودًا جبارة لتطوير دار المصنفين، ومدرسة الإصلاح[4] ووضع المنهاج الدراسي لمدرسة الإصلاح.[5] وبذل السيّد سليمان الندوي كلّ ما في وسعه لجعل دار المصنفين مؤسسة عالمية. وظل يستشير رئيس الأكاديمية عبد الحميد الفراهي في الأمور العلمية والإدارية، بالإضافة إلى ذلك لم يزل يذكر ما يتمتع به الفراهي من علم وفضل، وزهد وورع، وعظمة وجلالة في نواديه الذاتية، وفي رسائله ومؤلفاته الشخصية، وفي شذرات مجلة "معارف" بإخلاص وحبّ. وكان يرى وجوده له نعمة غالية. ولا نبالغ إن نقول إنّ العلامة شبلي والشيخ عبد الحميد الفراهي لعبا دورًا مهمًا في الرقي العلمي للعلامة السيّد سليمان الندوي. وأنه كان يحترم الفراهي احترامًا شديدًا،

[1] بروفيسور، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره
[2] باحث، إدارة علوم القرآن، علي كره
[3] مكاتيب شبلي، 153/2.
[4] حيات سليمان، ص 252
[5] راجع للتفصيل عن انطباعات السيّد سليمان الندوي حول مدرسة الإصلاح: حيات شبلي، ص 681- 688

ولم يقصر فيه شيئًا. وكان يراه من الرجال والأمجاد الأتقياء والأوراع، ويذكر أنه كان يريد أن يستفيد منه في أمور مختلفة.[1] يقول صباح الدين عبد الرحمن: "وكان يحترم عبد الحميد كثيرًا. فإنه لم يدرس منه القرآن الكريم، والفلسفة الجديدة إلا قليلًا، ولكنه صحبه، واستشاره عند المشاكل مرارًا. والجزء الثالث للسيرة النبوية الذي يشتمل على المعجزات فليس إلا تقليد فلسفته.[2] وكان يرى الشيخ عبد الباري الندوي أنه تأثر بالفراهي[3] وذلك لسببين، الأول: أنّ الفراهي كان ذا شخصية علمية. والثاني: أنه كانت علاقته الشخصية للغاية مع الشيخ الفراهي.[4] ونركز في هذا المقال على النواحي التي استعرض فيها السيّد سليمان الندوي حياة الشيخ الفراهي العلمية والشخصية.

علمه وفضله: كان الفراهي يتمتع بالعلم والفضل والذكاء والفطانة، ويصل إلى أوجها حيث لا نستطيع الإحاطة بجميعها. وأيضًا أشار السيّد سليمان الندوي إلى بصيرة الإمام الفراهي ومواهبه العلمية في مجالات مختلفة بكل أدب واحترام. وقد كتب مقالة طويلة حول حياة الفراهي في مجلة "معارف" ويبدأ هذا المقال بهذه الكلمات: "إنّ كبار علماء الهند الذين مضى ذكرهم من قبل ولدوا وترعرعوا قبل تغير الزمان ولكننا اليوم في عزاء وفاة أول عالم لهذا العصر الحديث لأول مرة، وننعى عالمًا جامعيًا كان يتحلى بالعلم والفضل، والزهد والورع، والأخلاق الحسنة، وكان أسوة حسنة للثقافة القديمة، وخير مثال للعصر الحديث في استنارة فكره، ومعرفته للعلوم والفنون الجديدة، وفي فهم متطلبات عصره. وكان أول من كتب وتحدّث في الفلسفة الكلامية بعد البحث والتمحيص والدراسة، وأما العلماء الذين كتبوا في هذا المجال من قبل فكانوا يرددون

[1] حيات سليمان، ص 252، ومختصر حيات حميد، ص 10

[2] بزم رفتغان، 1/163-164

[3] نماذج نادرة لسيرة سيد، للشيخ عبد الباري الندوي، معارف (عدد خاص بالسيّد سليمان الندوي)، مايو 1955م، 5/57، ص 85

[4] حركة الندوة وسيد سليمان الندوي لمجيب الله الندوي، معارف (عدد خاص بالسيّد سليمان الندوي)، مايو 1955م، 5/75، ص 252- 283

كل ما قاله الآخرون، ويرون أنهم مؤسسون لعلم الكلام".[1]

وقال السيّد سليمان الندوي عند تحرير مقدمته لكتاب "الإمعان في أقسام القرآن" وذكر كتب الفراهي المطبوعة وغير المطبوعة فيها: "إن من يلقي نظرة على موضوعات هذه الكتب يقع في حيرة واستعجاب، ويعترف بما أعطى الله تعالى مؤلف هذه الكتب من سعة العلم، والعقل السليم، والقدرات الملموسة، والذوق العالي، والصحوة الذهنية، والأهلية الفائقة للتدبر والتفكر في القرآن الكريم، وفهم أصوله ومعانيه، بالإضافة إلى بصيرة المشكلات القرآنية، والتفريق بين المعاني المتقاربة".[2]

كما يذكر السيّد سليمان الندوي الشيخ الفراهي على وفاته في شذرات مجلة "معارف" فتظهر منه علاقته مع الشيخ الفراهي علاوة على ظهور مكانة الفراهي العلمية وجلالته الفكرية. ينقل جزء من مقتبسات الشذرات، وذلك ليقدّر القراء هيبته ومنزلته العلمية:

"الصلاة على ترجمان القرآن، هذا هو النداء الذي نودي به قبل ستة قرون ونصف من مصر والشام إلى حدود الصين، للصلاة على الإمام ابن تيمية، وحق أن نودي به مرة أخرى ليصل من ربوع الهند إلى بلاد مصر والشام على الأقل، بأنّ ابن تيمية هذا العصر قد توفي في 11 نوفمبر سنة 1930م (التاسع عشر من جمادى الأخرى سنة 1349هـ)، الذي لا يتوقع أن يولد مثله في الفضل والكمال في العالم الإسلامي مستقبلًا، والذي كان يجمع بين علوم الشرق والغرب، وكان معجزة في العصر الحاضر. وعالمًا فريدًا في اللغة العربية، وكان حاصلًا على شهادة البكالوريوس في اللغة الإنجليزية، ومثالًا في الزهد والورع، والفضل والكمال، وكان سعديّ اللغة الفارسية، وسوق عكاظ للغة العربية، وأنه كان مفردًا لكنه عالم الحكمة، وعالم المعرفة والعلم، ومجمع الكمال، وسلطان المواهب الخامل الذكر، وفريدًا في العلوم الأدبية، وخزينة

[1] مختصر حيات حميد، ص 1
[2] إمعان في أقسام القرآن، ص 10

العلوم العربية، وناقدًا للعلوم العقلية، وماهرًا في العلوم الإسلامية، وعارفًا لأسرار علوم القرآن وحقائقه، وغنيًا عن أملاك الدنيا، وعن مدح الإنسان والعالم أجمع، وعاكفًا على العلم والمعرفة، وملكًا في عالمه، وكان مشغولًا في تدبر القرآن وتفكره، وتعليمه لمدة ثلاثين سنة كاملة، وبعيدًا من كل شيء".[1]

الدراسات القرآنية: كان علوم القرآن هو مجال اختصاص الفراهي في البحث والتحقيق، وأنه قد استهل عصرًا جديدًا لتفكر القرآن وتدبره في الدراسات القرآنية لا يوجد له نظير عند المفسرين القدامى. وأنه أظهر رأيه في النواحي المختلفة من القرآن الكريم، وفسّر العديد من السور. وقد تم طبع حوالي 39 كتابًا له إلى الآن[2] بينما لم يتم طبع 33 كتابًا.[3]

وقد ألقى الندوي الضوء على بصيرة الفراهي القرآنية في كتاباته المختلفة وأنه استفاد نفسه من الفراهي في الدراسات القرآنيات. ويتجلى بوضوح تأثير الإمام الفراهي في خدمات سليمان الندوي القرآنية واعترف نفسه هذا بقوله، "وآخر ما تمتعت به كان القرآن، ابتدأه العلامة شبلي وازداد هذا الشغف في صحبة الإمام الفراهي الشيقة والنافعة وتأثرت به إلى أنّ القرآن هو أساس بنائي في كل بحث عن السيرة النبوية، والحديث النبوي مظاهره".[4]

واستفاد السيّد سليمان الندوي من تفسير سورة الإخلاص أيضًا. ويقول في كتابه "سيرة النبي" (ج4)، في باب كلمة "الصمد"، وهو أصغر كلمة في هذه السورة الوجيزة ولكن بلاغة القرآن قد أخفت فيها الخزينة المتناهية للصفات الإلهية. والصمد لغة هي الأرض الصخرية المرتفعة، أو هي الصخرة في منطقة حيث لا يصعد عليها السيل، وينقذ الناس حياتهم بالصعود عليها. وظهر من هذا المعنى اللغوي هو السيد الذي بلغ قمة المجد. وأيضًا يقال للسيد الذي لا يقضي أحد في جلسة بدونه، وللسيد أيضًا الذي

[1] الصلوة على ترجمان القرآن، للسيّد سليمان الندوي، معارف، 1930م، 6/26، ص 322.
[2] كتابيات فراهي، ص 31-46.
[3] راجع للتفصيل: علامة حميد الدين فراهي: حيات وأفكار، ص 57-96
[4] مشاهير علم كي محسن كتابين، ص 12

انتهى إليه السؤدد ولا يوجد دونه سيّد. وأيضًا يستعمل للملجأ الذي يعيذ الجميع عند المصيبة، وللمركز والمأوى الذي يذهب إليه سريعًا، وللشيء المستحكم الذي لا جوف فيه، ومنه يقال: للذي لا يأكل ولا يشرب ولا ولد له، وللذي لا يستغني عنه، وللبطل الذي لا يشعر في الحرب بالجوع ولا بالعطش. الصمد عند العرب: شريف القوم أو السيد المطاع أو السيد المقصود الذي لا يقضى دونه أمر، وقيل الصمد الذي ليس بأجوف، والذي ليس بأجوف شيئان، أحدهما لكونه وكذلك للناقة التي لا تحمل".[1]

وألقى الإمام الفراهي الضوء على كلمة "الصمد" ويشرح له قائلًا: الصمد الذي يترجم "باهمه" في الأردية هو لغة يستعمل للسند الدائم الذي يصعد إليه في الأمور، وكذلك يستعمل لشريف القوم أو للسيد المطاع المقصود الذي لا يقضى دونه أمر. وجاء ذكر كون الله تعالى سندًا دائمًا في الزبور والصحف السماوية القديمة أيضًا.[2]

ولا حرج إن نقول بعد أن نرى كتاباتهما إنّ الندوي قد استفاد من الفراهي في شرح كلمة "الصمد" وقد أضاف إليه كثيرًا من الأشياء المهمة.

يقول الندوي في شرح "أحد" و"صمد" إنهما صفتان لله تعالى تشتملان على صفتيه ذات الكمال المتضاد، إنه أحد فليس أحد مثله، وهو لا يحتاج إلى أحد ولا يقصد إليه وهو واحد، أحد، غير مبال، وغني عن جميع الناس ولكنه إلى جانب ذلك صمد أيضًا. أي هو مع الجميع، ومأواهم وملجأهم ومرجعهم فيحتاج الناس إليه ويلجؤون إليه ويرجعون إليه في كل ما نابهم من المشاكل والمحن.[3]

ويشرح الفراهي كلمة "صمد" قائلًا: "لا شك أنه غني ولكنه يساعد الناس جميعًا، ويبصر أمورهم، وليس أحد غيره من يلجأ إليه الناس ويستعينون به ويشكون إليه.

[1] سيرة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، 1500/4
[2] تفسير نظام القرآن، ص 531
[3] سيرة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، 502/4

وهو منبع لجميع الحسنات، يعطي الناس عند سؤال ويلقي في قلوبهم أمنية السؤال بل تجري فيوضه وتعم بدون سؤال".[1]

ويقول الفراهي في كلمتي "أحد" و"صمد": "إنهما صفتان لله تبارك وتعالى وتبدوان متضادتين فيما يظهر ولكن جميع صفاته مظاهر متعددة لذات الله تعالى. لو نفكر في إحدى صفاته، يشمل فيها جميع صفاته. وهذا من الخطأ أن نظنه مركباً من صفات متعددة".[2]

ومن خلال ملاحظة مقتطفاتهما المذكورة أعلاه نرى توافقًا كاملًا بين آرائهما. فكلاهما يتفقان في شرح كلمة أحد وصمد وتفسيرهما ولا يختلف واحد عن الآخر. ومثل ذلك يرى العلامة أبو الحسن علي الندوي أيضًا أنّ أفكار الفراهي تتجلى في بحوث السيّد سليمان الندوي ونقده.[3]

وكان يتمنى الندوي أن تنشر أفكار الفراهي القرآنية ونظرياته في الأوساط العلمية ولإتمام هذه الأمنية حاول نفسه لنشر كتبه العلمية، وحرض الناس على أن ينشروا كتبه ومقالاته العلمية، وقد أشار إليه مجيب الله الندوي بكلماته، "وله أكثر من عشرين مقالة كتبها في مجلة "معارف" حول القرآن والسنة وإلى جانب ذلك اهتم بنشر عدة أجزاء تفسيرية للإمام الفراهي، فتح بها أمام الناس طريق جديد لفهم القرآن الكريم".[4]

كتب الندوي الرسالة وأرسلها إلى الشيخ مسعود عالم الندوي في صدد مخطوطات الفراهي فقال:

"لك أن تطلب من أمين أحسن الإصلاحي نسخة بعض مسودات الفراهي لكي نطبعها".[5]

---

[1] تفسير نظام القرآن، ص 531

[2] المصدر نفسه، ص 531

[3] پرانے چراغ، ص 58

[4] حركة ندوة العلماء وسيد سليمان الندوي لمجيب الله الندوي، معارف، (عدد خاص بالسيّد سليمان الندوي) مايو 1955م، 5/57، ص 273

[5] مكاتيب سيد سليمان الندوي، ص 32

ويتضح من هذه الرسالة بكل وضوح أنّ الندوي كان يفكر كل لحظة في أن يعرّف الأوساط العلمية بمآثر الفراهي القيمة ولا سبيل لذلك إلا إذا طبعت كتب الإمام الفراهي.[1]

وتم طبع كتاب الإمام الفراهي "الإمعان في أقسام القرآن" من القاهرة بجهود السيّد سليمان الندوي وكان يتمنى أن تصل أفكار الفراهي ونظرياته في الأوساط العلمية خارج الهند أيضًا. وكتب إلى الشيخ مسعود عالم الندوي رسالة لترويج هذه النسخة المصرية في الأوساط العلمية الهندية ويقول: "خطر ببالي إن لم تطبع أيّ رسالة في هذا العام، تشتري مئة وخمسين نسخة من كتاب "الإمعان في أقسام القرآن" وترسلها إلى المشترين، وسنعطيك ثماني روبيات لكل نسخة يعني ستحصل على مئة وخمسين نسخة بخمس وسبعين روبية وهذا يكفي لمشتريك. وإن تطبع أيّ كتاب آخر، فتحتاج إلى حوالي مئة وخمس وعشرين روبية، واكتب ملاحظة على الصفحة الخلفية من كتاب "الإمعان في أقسام القرآن" أن هذا ينشر بدلاً من عددي مجلة "الضياء". وكتاب "الإمعان في أقسام القرآن" لم يطبع في الهند إلى الآن[2] وأنا في انتظار رأيك.[3] ويكتب رسالة أخرى إلى الشيخ مسعود عالم الندوي ويقول: "يوجد عندي مسودة تفسير سورة الفيل للشيخ الفراهي، وهذا يشتمل على خمسين صفحة فانشرها إن تراه مناسبًا".[4]

وكان السيّد سليمان الندوي يحاول دائمًا لترويج تراث الفراهي بين القراء بواسطة مجلة "الضياء"، ولذلك كان يؤكد على مدير المجلة الشيخ مسعود عالم الندوي مرارًا وتكرارًا،

[1] كتابيات الفراهي، ص 32

[2] ولا يصح ما قال السيّد سليمان الندوي من أنّ "إمعان في أقسام القرآن" لم ينشر قبل طبعة نسخته المصرية، وذلك لأنّ نسخته العربية قد تم طبعها من علي كره في سنة 1911م. انظر للتفصيل: كتابيات الفراهي، ص 32 ويتضح غلط هذا القول مما قال السيّد سليمان نفسه في مقالته "مولانا حميد الدين" حيث أوضح فيها أنّ هذا الكتاب قد تم نشره أول مرة في سنة 1906م. انظر للتفصيل: معارف، يناير 1931م، 1/27، ص 14

[3] مكاتيب سيد سليمان الندوي، ص 42

[4] المصدر نفسه، ص 59

لأنه كان يعتبر كتب الفراهي بركة، ويقدم بحوث الفراهي القرآنية في هذه المكانة في رسالة إلى الشيخ مسعود عالم الندوي قائلًا: "عليك أن تسأل أيّ كتاب للفراهي من أمين أحسن الإصلاحي".[1]

وذكر الندوي علم الفراهي الذي يتعلق بالدراسات القرآنية بواسطة أستاذه العلامة شبلي النعماني وقال: "إنّ الفراهي حينما أرسل أجزاءه التفسيرية إلى العلامة شبلي فلم يعجبه لأنّ القرآن كتاب منظم، ولكن عندما درس أجزاءه العديدة ثمّن هذه الجهود لتلميذه وشجّعه عليها، وفيما بعد اعترف بما يتمتع به الفراهي من البصيرة القرآنية وجعل يشاوره فيما يعتريه من المشاكل القرآنية".[2]

براعته في اللغة العربية: وألقى الندوي الضوء على جوانب عديدة من حياة الإمام الفراهي إلى جانب براعته في اللغة العربية. وجعله عالمًا بالعربية وماهرًا فيها، وسوق عكاظ لها. ويوجد جميع جهوده العلمية باللغة العربية إلا واحدًا أو اثنين. ونتفق تمامًا على ما قاله المودودي عن الفراهي: "يمكن القول بكل اطمئنان وثقة إنه لا يوجد شعر عربي رائع إلا وقع نظره فيه".[3] وذكر السيّد سليمان الندوي أنّ من أساتذة الفراهي للغة العربية الذين تلمذ عليهم العلامة شبلي، ومولانا عبد الحي الفرنكي محلي، والعلامة فيض الحسن السهارنفوري، وتعلم العربية وهو ابن عشرين سنة، وبرع فيها حتى فاق أساتذته الهنود، ويدل على ذلك ديوانه العربي".[4]

وأشار الندوي إلى ما كتب السير سيّد أحمد خان إلى مستر بك[5] حينما التحق

[1] مختصر حيات حميد، ص 8-9
[2] حيات شبلي، ص 595
[3] أدبيات مودودي، ص 52-53
[4] مختصر حياة حميد، ص 5
[5] انظر للتفصيل عن حياة مستر بيك: برنسبل تيودر بيك، نفيس بانو، ناموران علي كره (أعلام علي كره، الجزء الأول) مجلة "فكر ونظر"، ص 269-270

الفراهي بمدرسة العلوم بعلي كره، كتب إلى مستر بك عن الفراهي: "إنه بارع في اللغة العربية والفارسية كأساتذة هذه الكلية، ولذلك أنه يستثنى من حصص العلوم الشرقية، فسمح له أن لا يحضر فيها".[1]

وكذلك أشار الندوي في مقالته أيضًا إلى أنّ مستر أرنولد[2] خطر بباله أن يُنقل كتاب قواعد اللغة العربية إلى الإنجليزية فلم يخطر في ذهنه إلا اسم الفراهي[3] وذلك لأنّ الفراهي له قدرة على اللغة العربية والإنجليزية على حد سواء.

واشتهر الفراهي ببراعته في اللغة العربية وآدابها وعلومها وفنونها حيث إن اللورد كرزن عندما قام بجولة سواحل العرب وخليج فارس ذهب به كترجمان له ليترجم ما يقول أمام شيوخ العرب وأمرائه. والخطاب[4] الذي ألقاه اللورد كرزن أمام رؤساء العرب رتّبه الفراهي، وفوّضت هذه المسؤولية إلى الفراهي لما أنه كان يجيد اللغة العربية والإنجليزية تمامًا.

وكان الفراهي لا يريد أن يقوم بهذه المسؤولية كمترجم إلا أنه استعد لأن العلامة شبلي النعماني أصرّ عليه، ولكنه لم يظن هذا الأمر فخرًا ومباهاة له أبدًا، بل يندم عليه طول حياته، واعتبره خطأ سياسيًا.[5] ولكن في هذه الأيام يرى أحد من الباحثين أنّ الفراهي لم يندم على ترجمته، ولا تأسف عليها أبدًا.[6] ولكن بما أنّ هذا الباحث ليس من تلامذة الفراهي ولا من معاصريه فلذلك لا يعتد برأيه.

---

[1] مختصر حيات حميد، ص 5-6

[2] انظر للتفصيل عن حياة آرنولد: برنسبل السير تامس آرنولد، الدكتور عبد الباري، ناموران علي كره (أعلام علي كره، الجزء الأول) مجلة "فكر ونظر"، ص 243-258

[3] مختصر حيات حميد، ص 6

[4] المصدر نفسه، ص 7

[5] المصدر نفسه، ص 35

[6] نشرت آراء محمد عارف العمري هذه في أي عدد للجريدة "دعوت" التي تصدر في كل ثلاثة أيام من دهلي في سنة 1998م.

وأفاد الندوي خلال ذكره لتعيين العالم الألماني جوزف هارويز في كلية محمدن إنجلو الشرقية في سنة 1906م كمحاضر للغة العربية وآدابها،[1] وفي تلك الفترة عيّن الفراهي كأستاذ مساعد في نفس الكلية لتعليم اللغة العربية، فتعلم هارويز العربية من الفراهي، وتعلم الفراهي العبرانية من هارويز.[2]

تبيّن من جميع هذه الأمور أنّ الفراهي كانت له ملكة تامة على التكلم والكتابة والتعبير عن آرائه في اللغة العربية.

براعته في اللغة الفارسية: وكان له ذوق حسن في اللغة الفارسية وآدابها كذوقه في العربية. يقول السيّد سليمان الندوي "وكان له ذوق طبيعي للأدب وبدا ذوقه في الفارسية وآدابها منذ طفولته[3] وكان يتناوب إلى الأستاذ الشهير للعربية والفارسية العلامة فاروق التشرياكوتي (ت1909م)".[4]

وأضاف السيّد سليمان الندوي ملقياً الضوء على براعته في الفارسية أنّ الفراهي كتب قصيدة رائعة في مدح السلطان عبد الحميد في الفارسية، وانتهج فيها أسلوب الخاقاني الشاعر الفارسي وعمره ست عشرة سنة. وتعجب من رأى هذه القصيدة بلغتها وحسن تعبيرها ورشاقتها. وسأل العلامة شبلي العلامة فاروق التشرياكوتي عن هذه القصيدة بعد أن قدم أمامه لمن يمكن أن تكون هذه القصيدة؟ فأجاب قائلًا يمكن أن تكون لأحد الشعراء القدامى، ولما أخبره أنّ هذه القصيدة للفراهي فتحير للغاية.[5]

وكذلك أمر السير سيّد العلامة شبلي أن يكتب رسالة في السيرة النبوية تم نشرها

[1] انظر للتفصيل عن حياة جوزيف هارويز: جوزيف هارويز، ظفر الإسلام الإصلاحي، ناموران علي كره (أعلام علي كره، الجزء الثالث) مجلة "فكر ونظر"، 1991م، ص:31-42

[2] مختصر حيات حميد، ص 7-8

[3] حيات شبلي، ص 212

[4] انظر للتفصيل عن حياة الشيخ فاروق التشرياكوتي، ايك اور آفتاب علم غروب هوكيا (غربت إدى شموس العلم) مقالات شبلي، ص 37-38

[5] مختصر حيات حميد، ص 3-4

بعنوان "بدء الإسلام" ونقلها الفراهي إلى العربية فيما بعد، وهذه الرسالة كانت من المقررات الدراسية في قسم الدراسات الإسلامية.

وعثر السير سيّد على جزء من طبقات بن سعد يتعلق بالرموز النبوية، ولم يطبع بعد، ففوّضها إلى الفراهي لينقلها إلى الفارسية ونشرها السير سيّد بعد الترجمة، ويقول السير سيّد عن لغة هذه الترجمة وأسلوبها إنّه يبدو من لغته كأن يكتب الفارسية ناثر من العهد الساساني.[1] ونظرًا إلى أعلى مستوى لغته الفارسية أرسل العلامة شبلي النعماني ديوانه الفارسي إلى حبيب الرحمن الشرواني[2] وكتب أنّ هذه هي اللغة الفارسية القحة.[3] وكذلك عندما كلّف العلامة شبلي النعماني ليقدم خطاب الوداع للبروفيسور آرنولد في الفارسية كتب إلى الفراهي لإعداد هذه الخطبة قائلًا: "يغادر مستر آرنولد إلى بلده ويُقدم له خطاب الوداع وكُلّفت له، ولكن لا أستطع أن أكتب بالفارسية جيدًا ولذلك اكتب خطبته على الفور وأرسلها إلى البروفيسور أبي الحسن، كلية محمدن إنجلو الشرقية بعلي كره.[4]

مؤلفات الفراهي: قام السيّد سليمان الندوي بدراسة تحليلية لبعض كتب الفراهي، وعبّر عن آرائه حولها في بعض المناسبات، وتتجلى عظمة الفراهي وجلالته من هذه الدراسات. وذكر الندوي ثلاثة وثلاثين مؤلفًا للفراهي لأول مرة في الطبعة المصرية لكتاب "الإمعان في أقسام القرآن" من بينها كان عدد الكتب غير المطبوعة ستة وعشرون كتابًا. ويقول بعد أن ذكر هذه الكتب "من يلقي نظرة على موضوعات هذه الكتب يقع في حيرة واستعجاب، ويعترف بما أعطى الله تعالى مؤلف هذه الكتب من المكانة العلمية،

[1] المصدر نفسه، ص 6

[2] انظر للتفصيل عن حياة حبيب الرحمن خان الشرواني: حبيب الرحمن خان الشرواني للدكتور عبد الباري، ناموران علي كره (أعلام علي كره، الجزء الثاني) مجلة "فكر ونظر"، ص 51-64

[3] مكاتيب شبلي إلى حبيب الرحمن خان الشرواني، 124/1

[4] مكاتيب شبلي، 17/2

وصلاح الفكر والنظر، وسعة العلم، والذوق السليم، والصحوة العقلية، والتدبر في القرآن الكريم، أصوله ومعانيه، بالإضافة إلى الوصول إلى معاني القرآن المشكلة والسهلة".[1]

إنّ كتاب "الإمعان في أقسام القرآن" من أهم كتب الفراهي، وتناول الباحثون هذا الموضوع من البداية وكتبوا كتباً جمة ولو نظرنا في كتاب الفراهي في ضوء هذه الكتب، لوجدنا تفرده. ونظراً إلى هذا التفرد والآراء القيمة اهتم الندوي بنشره من مصر، وكتب له مقدمة، وأشار إلى أهمية الكتاب بهذه الكلمات:

"إن الفراهي ألّف كتابه "الإمعان في أقسام القرآن" خلال إقامته بعلي كره، وقدّم حلولًا لهذه المشكلة، وهي لماذا أقسم الله تعالى في القرآن الكريم، وكتب الإمام الرازي بعض الفقرات في كتابه "التفسير الكبير" جواباً لهذا السؤال. ثم ألّف ابن القيم رحمه الله تعالى كتابه "التبيان في أقسام القرآن" ولكن الإمام الفراهي تميز عنهم بما قدّم من تحقيقات جديدة في ضوء الاستشهاد بكلام العرب وفي الحقيقة أنه قدّم عن الموضوع نموذجًا من البحث العلمي لا يوجد له نظير في الإسلام خلال ألف وثلاثمئة سنة. ولأهمية هذا الكتاب قام العلامة شبلي بنشر خلاصته من الندوة بفرح وسرور في إبريل 1906م وطبعت الرسالة بالعربية على حدة باسم "أقسام القرآن"، ثم أضاف إليها بعض البحوث الجديدة ونشرها باسم "الإمعان في أقسام القرآن" من علي كره، وما كتب الباحثون في أقسام القرآن منذ ذلك الوقت فقد استفاد فيه من الإمام الفراهي".[2]

وأشاد الندوي بالأجزاء التفسيرية للفراهي وقدرها وأشار إلى أهميتها بقوله: "أهم أعماله التي اشتغل فيها منذ أكثر من عشرين سنة وهو أنه يكتب تفسيراً للقرآن الكريم على نهج جديد".[3]

وتقدم بما في سورة اللهب وسورة القيامة من محاسن وجمال من حيث طبع بعد ذلك

[1] إمعان في أقسام القرآن، ص 8-9
[2] مختصر حيات حميد، ص 9-10
[3] مكاتيب شبلي، 1/2

تفسير سورة أبي لهب، وتفسير سورة القيامة في أغسطس 1906م، بالإضافة إلى تأليف كتاب "أقسام القرآن" فأشاد بها العلماء وقدروها تقديرًا، وكان العلامة رشيد رضا المصري الذي يكتب تفسيرًا،[1] قدّم له تقريظًا وأشاد بخصائصه.[2]

وقد أكمل الفراهي تأليف كتابه "خردنامه" يعني النصائح السليمانية، وقام بنشره خلال إقامته بحيدرآباد (1914-1919م)[3] وقام الندوي باستعراضه في مجلة "معارف". ومن أهم الميزات التي يتميز بها هذه المنظومة أنها في لغة فارسية أصيلة، أي ليس فيها دخيل من الكلمات العربية.[4] وأشاد به السيّد سليمان الندوي بهذه الكلمات: "ولد الفراهي وترعرع في الهند ولكن حسن ذوقه، وذوقه الفارسي جعله الشيرازي. وكان العلامة شبلي بنفسه يفتخر بلغته الفارسية حيث يرسل إلى صديقه الحميم كلامه المطبوع "ديوان حميد" ويقول: هذه هي اللغة الفارسية.

إن تميز الفارسية من العربية كمثل تمييز اللحم من الأظافر، فإن هناك عديدًا من الناس غير الفراهي، من كتب الفارسية بهذا الاحتياط والحذر ولكنهم لم يستطيعوا أن ينجحوا فيه. ومن ميزات كتابه "خرد نامه" أنها في اللغة الفارسية الأصيلة ليس فيها أية كلمة عربية. وعلى الرغم منه لا يقع الخلل في رشاقة اللغة وسلاستها وسهولتها وأناقتها.[5]

كتب مسعود عالم الندوي في رسالة إلى السيّد سليمان الندوي أنه يشعر بعد دراسة جمهرة البلاغة[6] أنّ لغة الفراهي يوجد فيها أثر العجمة. فأجابه الندوي قائلًا: "من

[1] نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، مجلة المنار، 2/12، 22 مارس 1909، ص 135-136

[2] مختصر حيات حميد، ص 10

[3] المصدر نفسه، ص 18

[4] المصدر نفسه، ص 11

[5] خردنامه (دراسة سيد سليمان الندوي)، معارف، أكتوبر 1916م، ¼، ص 58-59

[6] مقالة البروفيسر محمد راشد الندوي حول جمهرة البلاغة جديرة بالإشادة والتقدير. راجع للتفصيل: الآراء النقدية للإمام الفراهي في ضوء جمهرة البلاغة، علامة حميد الدين فراهي: حيات وأفكار، ص 533-546

المستحيل أن تجد أثر العجمة في لغة الفراهي، ومن الممكن أن توهم من شدة الحذر، وذلك لأنك تحبّ اللغة المصرية، فلماذا تشك في أثر العجمة وعلى كل حال عليك أن ترسل اسم الكتاب والسطر الذي تشك فيه".[1]

بعد أن حصل على هذه الرسالة أرسل مسعود عالم الندوي هذا الكتاب إلى السيّد سليمان الندوي وخط فوق الأمكنة التي يشك فيها فأجابه الندوي: "نعم! يا أخي العزيز قد ألمحت البصر على هذه العبارات، وملاحظاتك صحيحة. ويبدو أنّ هذا الكتاب من أول كتبه، كتبه في سنة 1904م ثم ترصع أسلوبه، ومع ذلك أنّ لغته العربية عالية جدًا، إلا أنّ هذه الكلمات والتعابير خرجت من قلمه عفويًا".[2]

وللفراهي كتاب شهير باسم "أسباق النحو" واعترض على عنوانه مولانا علي حيدر نظم طباطبائي أنّ كلمة "أسباق" ليست عربية بل عجمية أو هندية. ولا يستعمل "سبق" في هذا المعنى في العربية بل من الصحيح هو "درس" و"دروس" كما أنه اعترض على تركيب مستعمل في الكتاب "فرس نفيس" وقال: هذا ليس من التعابير العربية بل هندية خالصة.[3]

وقدّم عبد الماجد الدريآبادي هذا الاعتراض إلى سليمان الندوي فأجابه قائلًا: إنما نبحث عن كلمة "أسباق" في اللغات، فأين كان التعليم في العرب، فيوجد عندهم مفهوم الأسباق أو كلمة لها. هذا استعمال عجمي ويستعمل في الكتاب. فنجد هذا في مقدمة شرح وقاية أيضًا كما أنّ الاعتراض على "فرس نفيس" مهمل أيضًا".[4]

واستعرض الندوي كثيرًا من كتب الفراهي، وذكر أهميتها وفوائدها في الأوساط العلمية خلال دراسته لها. ويتضح من استعراض السيّد سليمان الندوي أنّ الفراهي

[1] مكاتيب سيد سليمان الندوي، ص 163
[2] المصدر نفسه، ص 180
[3] مكتوبات سليماني إلى عبد الماجد الدريآبادي، 89/1
[4] المصدر نفسه، 89/1

كان ضليعًا في الدراسات القرآنيات تمامًا.[1]

سيرة النبي: إنّ كتاب "سيرة النبي" هو آخر مؤلفات العلامة شبلي النعماني، ولا يوجد له نظير في اللغة والأسلوب والبحث والدراسة والنقد والتحليل. ووردت مباحث عديدة خلال تأليف هذا الكتاب استفاد فيها العلامة شبلي من تلميذه وقريبه الشيخ الفراهي، يوجد ذكرها في الأمكنة العديدة من رسائل العلامة شبلي النعماني[2] وكذلك أشار إليه السيّد سليمان الندوي، قائلًا:

"كثيرًا ما كان يستشير أخاه حميد الدين الفراهي في المباحث التي تتعلق بصحف بني إسرائيل، والقرآن الكريم، والتي تدبر فيها وفي مثل هذه المسائل. ونجد في رسائل شبلي هذه المكاتبات في مواضع عديدة".[3]

وأشار إليه البروفيسور محمد راشد الندوي أيضًا بهذه الكلمات: "بدأ عمل تدوين السيرة النبوية طبقًا للخطة التي خطّها من قبل بأسلوب منظم فربما نرى في ذلك السيّد سليمان الندوي، وربما عبد السلام، وحينًا حميد الدين الفراهي، وفي حين آخر عبد الماجد الدرياآبادي.[4]

مما يؤسف أنّ العلامة شبلي لم يستطع إكمال تأليف "سيرة النبي" طبقًا للخطة التي رتبها في سنة 1906م، فلبّى نداء ربه في 17 نوفمبر 1914م. وكان قد أحسّ العلامة شبلي لظروفه الصحية بأنّ إكمال هذا المشروع ليس في وسعه، فلذلك كتب رسالة إلى ثلاثة تلامذته قبل وفاته لكي يقدم أمامهم خطة تأليف هذا العمل، ولكي يكملوها. ولذلك أرسل برقية إلى الفراهي وأبي الكلام آزاد والسيّد سليمان الندوي في 15 نوفمبر 1914م.

[1] راجع للتفصيل عن هذا: كتابيات فراهي.

[2] راجع للتفصيل عن هذا مقالة هذا الكاتب: العلامة الفراهي في ضوء رسائل شبلي، علامة حميد الدين الفراهي: حيات وأفكار، ص 442-452.

[3] سيرة النبي وكتب جديدة للسيرة النبوية، محمد راشد الندوي، ص 296

[4] مطالعه سليماني، ص 296

ولكن لم تصل هذه البرقية إليهم إلا مولانا آزاد،[1] وقد كتب في هذه البرقية، "لو التقيت بي في هذه الأثناء لحل تأليف السيرة النبوية وإلا ستفشل جميع الإجراءات في هذه الصدد. لو كان السيّد سليمان موجودًا لأوضحت له هذه الخطة كاملًا".[2]

لم يتمكن مولانا آزاد من الوصول إليه، ولكن وصل السيّد سليمان الندوي مساء 15 نوفمبر 1914م فأمسك يده بيده كاتفاقية وقال: "السيرة النبوية هي ثروة حياتي كلها فعليك أن تكمله دون الأعمال الأخرى. فأجابه الندوي نعم! بالتأكيد سأكمل".

وقدم الفراهي أيضًا من حيدرآباد مساء 16 نوفمبر، وكان العلامة شبلي ينتظره بشدة، وطلب العلامة شبلي السيّد سليمان الندوي والشيخ الفراهي صباح 17 نوفمبر، ولبّى نداء ربه قائلًا السيرة، السيرة، ثم أشار بيده إلى كتابته دون الأعمال الأخرى.[3]

فعقد الندوي العزم على إكمال كتاب "السيرة النبوية" بأمر أستاذه العلامة شبلي، وقام بإتمامه بأحسن وجه ولله الحمد واستعان من الفراهي في أمكنة عديدة في تكميله. وحق ما قال الشيخ إكرام: "إنّ العلامة شبلي لم يستطع أن يكمل السيرة، ولكن السيّد سليمان الندوي ورفقاءه قاموا بإكماله بعد أن توفي العلامة شبلي العماني".[4]

وكان الفراهي على رأس طليعة هؤلاء الأصدقاء الذين أشار إليهم شيخ إكرام. وقال السيّد صباح الدين مشيرًا إلى ما كان للفراهي من مساهمة علمية في إكمال كتاب "سيرة النبي": "إن الجزء الثالث للسيرة النبوية الذي يشتمل على المعجزات، هو تقليد فلسفة الفراهي".[5]

ولاحظوا ذكر هذه الاستعارة بألفاظ الندوي نفسه فيقول: "وآخر ما تمتعت به كان

[1] راجع للتفصيل: حيات شبلي، ص 722-723. وانظر أيضًا، شبلي نامه، ص 268-269
[2] مكاتيب شبلي إلى مولانا أبو الكلام آزاد، 289/2
[3] حيات شبلي، ص 722-723، وانظر أيضًا: حيات سلطاني، ص 141
[4] شبلي نامه، ص 266
[5] بزم رفتغان، ص 164

القرآن، ابتدأه العلامة شبلي وازداد هذا الشغف في جلسات شيقة مع الإمام الفراهي وكان لهذا أثر وهو أنّ القرآن هو أساس بنائي في كل بحث عن السيرة النبوية، والحديث النبوي كان مظاهره".[1]

واعترف الندوي في مقدمة الجزء الثالث من السيرة النبوية أنه كان يراجع الفراهي فيما يواجه من المشكلات، ويقول: "نتقدم بالشكر إلى كل من مدّ يد العون والمساعدة في إتمام هذا الجزء واستفدنا من مخدومنا الشيخ حميد الدين الفراهي في المشكلات والأمور الغامضة التي واجهناها خلال إكمال هذا البحث".[2]

الإمام الفراهي بحيدرآباد: قد قام الإمام حميد الدين الفراهي أثناء إقامته بحيدرآباد بعدة خدمات علمية، وكانت هناك مدرسة عربية قديمة اسمها دار العلوم، وقد تمت معادلتها بقسم العلوم الشرقية بجامعة مدراس. وأنهت الجامعة هذه المعادلة في سنة 1908م، فتفكر مسؤول هذه المدرسة في أمرها وشكلوا لجنة مكونة من أصحاب العلم والفن، وكان العلامة شبلي النعماني أحد أعضائه. فأعدت هذه اللجنة خطة للجامعة العربية وعُيّن الشيخ حميد الدين الفراهي لإدارة مدرسة "دار العلوم" طبقًا لهذه الخطة. فارتحل الشيخ من إله آباد إلى حيدرآباد في سنة 1914م، وقام بتطويرها بجهوده الشخصية. وقد وكّلت إليه الأمور الإدارية بالإضافة إلى خدمة التدريس.

وأما الترجمة الإنجليزية للقرآن الكريم التي ابتدأها النواب عماد الملك في حيدرآباد ووصل إلى النصف توجد فيها نقائص عديدة، فاغتنم النواب وجود الفراهي في حيدرآباد واستفاد منه في هذه الترجمة. يقول الندوي: يذهب الفراهي صباح كل يوم إلى النواب عماد الملك ويراجع هذه الترجمة، وبهذا تم تصحيح الترجمة لأجزاء عديدة. وسأل السيّد سليمان الندوي لاحقًا خلف النواب الرشيد النواب مهدي يار

[1] الكتب النادرة لدى الأعلام، ص 12
[2] سيرة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، 1/3

جنك عن هذه الترجمة فأجاب بعد تفقدها بجد: لا أعلم عنها.[1]

وأضاف قائلًا: إن الفراهي خلال مكوثه في حيدرآباد اقترح تدريس العلوم الحديثة، والفنون الجديدة بواسطة اللغة الأردية، بالإضافة إلى ترتيب الخطة لذلك. كان يفكر أن تدرس العلوم الإسلامية باللغة العربية، بينما يدرس غيرها من العلوم حتى أصول الفقه بالأردية، فوافق راس مسعود، والنواب حيدر نواز جنك الحيدري على أن تدرس العلوم بالأردية، ولكنهما رفضا أن يدرس جميع الطلاب العلوم الإسلامية والعربية وهذا ما جعله متضائقًا من حيدرآباد.

إنّ العمل الذي بدأته الجامعة العثمانية في 1917م لتراجم المقررات الدراسية ووضع المصطلحات الجديدة. كان الفراهي عضوًا لهذه اللجنة، وكما يقول الندوي كان الفراهي يقوم بالنصائح والمشورة المفيدة والقيمة في وضع المصطلحات الجديدة، ولعب دورًا بارزًا في تكميل ما عزمت عليه الجامعة العثمانية من أعمال وأهداف. تم تدشين الجامعة رسميًا في سنة 1919م، وعُيّن الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني أول رئيس الجامعة لها. وأنه كتب في رسالة له[2] "أن الفراهي أيضًا كان من مؤسسي الجامعة العثمانية".[3]

استمر الفراهي في أعماله التأليفية والبحثية في حيدرآباد إلى جانب أداء هذه المسؤوليات كلها. أكمل "خردنامه" وقام بطبعها من هنا، ورتب الجزءين من كتاب "أسباق النحو"، وقامت بنشرهما انجمن ترقي أردو (لجنة ازدهار اللغة الأردية)، وكذلك قام بطبع ديوان أستاذه فيض الحسن السهارنفوري بعد التصحيح والمراجعة، وهنا أيضًا أكمل كتابه الشهير "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح" وكتب بعض مقدمات تفسيره.[4]

[1] مختصر حيات حميد، ص 12-13
[2] المصدر نفسه، ص 17-18
[3] المصدر نفسه، ص 18
[4] المصدر نفسه، ص 18

وأثناء إقامته بحيدرآباد أسّس حلقة لدروس القرآن الكريم. يقول عنها السيّد سليمان الندوي أنه يعقد هذه الحلقة بعد صلاة المغرب، يخطب فيها الفراهي، ويجيب على الشكوك والشبهات التي يقدمها الحاضرون. ومن المشاركين المهمّين لهذه الحلقة الشيخ مناظر أحسن الغيلاني الذي كان حينذاك بروفيسرًا في الجامعة العثمانية. وربما يحضر في هذه الحلقة المولوي وحيد الدين سليم. وأضاف الندوي قائلًا: إنني تشرفت بحضور هذه الحلقة لدرس القرآن الكريم.

أقام الشيخ الفراهي في حيدرآباد إلى سنة 1919م، ثم غادر حينما وضع خطة الجامعة العثمانية وكان البعض قلقين للغاية برجوعه إلى وطنه.[1]

دار المصنفين: كان العلامة شبلي يعتمد على موهبة الفراهي وقدرته اعتمادًا كاملًا، واعتبره مؤهلًا للأمور العلمية والإدارية في دار المصنفين كما اعتبره أهلًا لإكمال كتاب "السيرة النبوية". وكتب العلامة شبلي في رسالة إلى الفراهي "مما يؤسف أنّ السيرة النبوية لم تكتمل، ولم أر أحدًا يستطيع أن يتمه، وكان هناك نزاع على الطابع في خطاب الوقف، فلذلك أرسلت الطلب إلى الجابي، إن وافق عليه يكتمل وجعلتك من المسؤولين، وإن تم تأسيس دار المصنفين فمن يقوم بإدارتها غيرك".[2]

فنظرًا إلى تلبية أمنية أستاذه المؤقر عقد الفراهي اجتماعًا بعد ثلاثة أيام من وفاة العلامة شبلي في 21 نوفمبر 1914م، وأسّس لجنة باسم "إخوان الصفا" وعُيّن الفراهي في هذا الاجتماع رئيس هذه اللجنة.[3] وبدأت تعمل هذه القافلة العلمية في البحث عن وجهتها. وكانت تراجع هذه القافلة الشيخ الفراهي في جميع أمورها.

وأشار الندوي إلى ما كان للفراهي من أهمية في دار المصنفين قائلًا: "كان وجوده

[1] المصدر نفسه، ص 18-19

[2] مكاتيب شبلي، 54/2

[3] حيات شبلي، ص 687، وانظر أيضًا: حيات سليمان، ص 96

بمثابة الدعامة لدار المصنفين".[1]

وعندما غادر السيّد سليمان الندوي الهند وذهب إلى باكستان، قال من هناك عن رئيس اللجنة التنفيذية: أن من المناسب أن يُعين عبد الماجد الدريآبادي لهذا المنصب، بيد أن هذا المنصب أصبح غير ضروري بعد أن توفي الفراهي".[2]

ويسهل لنا في ضوء أقوال السيّد سليمان الندوي هذه أن نقدر أنّ الفراهي لعب دورًا مهمًا في بناء دار المصنفين وتطوّرها.

مدرسة الإصلاح: جعل الفراهي محور اهتمامه مدرسة الإصلاح علاوة على عنايته بدار المصنفين، وقدّم العلامة شبلي النعماني قضية مدرسة الإصلاح أمام الفراهي كتقديمه قضية دار المصنفين. وكتب إليه رسالة: "هل يمكن أن تقيم في مدرسة الإصلاح، سرائ مير لعدة أيام، ومن الممكن أن أحضر فنصلح أمورها الإدارية، ونجعلها مدرسة دينية خالصة بأن تكون الحياة فيها بسيطة وبسيطة، وقانعة، وأن يكون هدفها الخدمة الدينية الدينية".[3]

وإنما قاله العلامة لأنه كان يفكر في تأسيس الجامعة الإسلامية، فكتب إلى الشيخ مسعود علي الندوي، يقول: "أن تكون دار المصنفين بمثابة صف التكميل، ومدرسة الإصلاح (سرائ مير) بمثابة صفّ الابتدائية، فيوجد هناك أشياء ضرورية للجامعة الإسلامية. المهم أن نبدأ العمل".[4]

ولإتمام هذه الأمنية بذل الفراهي كل ما في وسعه لرقيّ مدرسة الإصلاح، وإنما كان منهج التعليم الأصلي أن يدرس القرآن الكريم، ثم تدرس جميع العلوم والفنون في

[1] الصلوة على ترجمان القرآن، معارف، نوفبر 1930م، 6/26، ص 224
[2] حيات سليمان، ص 590
[3] مكاتيب شبلي، 33/2
[4] المصدر نفسه، 135/2

ضوء القرآن الكريم. وكان من أهداف هذه المدرسة أنّ القوم لا يمكن لهم أن يخرجوا مما يعاني من الانحطاط والتخلف إلا بالتمسك بالقرآن الكريم، ويسيروا على الصراط المستقيم. وبعد ذلك أضاف الندوي قائلًا: "وبتوفيق الله تعالى أنّ مدرسة الإصلاح نالت هذا السر، واعترفت بأنّ القرآن الكريم هو مصدر للهداية والتقدم، وبدأ فيها تدريس جميع العلوم والفنون في ضوء القرآن الكريم. بالإضافة إلى تدريس الفقه والحديث والسير والمنطق والحكمة، ولكن من مناهجها أنّ أيّ علم يدرس فيها يكون في ضوء القرآن الكريم. وأنّ أيّ باب لا يفتح إلا بالقرآن.[1]

وكان الفراهي قد تولّى أعلى المناصب في حيدرآباد قبل مجيئه منها. يقول الندوي ملقيًا الضوء على ذلك: "ما هو الذي قام الفراهي بإصلاحه للقوم بتطوير هذه المدرسة؟ أنه ترك الراتب العالي، والمكانة الرفيعة، والمناصب الدنيوية، ولذة العيش التي يتمتع بها القلب، ولماذا عاش في قرية زمنًا طويلًا، وحياة البساطة والقناعة، والخمول في خدمة مدرسة عربية".[2]

وأضاف قائلًا: إن الفراهي قام في عصر إدارته بتأسيس العديد من الأبنية، وأوقف مكتبته الذاتية للمدرسة. ومن أهم الميزات التي يتميز بها هذه المدرسة في كل قسم من أقسامها بساطة، ويقوم الأساتذة بخدمة التدريس بأحسن أسلوب ومع شوق وحفاوة على راتب قليل، وكذلك أفادنا الندوي أنّ الفراهي كان يقدم مباحث القرآن الكريم ومسائله المختلفة أمام الأساتذة، ويخبرهم عن منهج تدريسه وقام بتشكيل حلقة للأساتذة والطلاب المتفوقين، وألقى عليهم دروس القرآن الكريم مرارًا، إلى جانب ذكر الفلسفة الجديدة أمامهم. وعلى طليعة هؤلاء التلامذة الذين استفادوا من دروسه حق الاستفادة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي. وفي آخر حياته ترك الفراهي التأليف والتصنيف، وبذل معظم أوقاته في تربية الطلاب والتفكر فيه، واعتبر ذلك مآثر حياته.[3]

[1] مختصر حيات حميد، ص 21-22

[2] المصدر نفسه، ص 22

[3] المصدر نفسه، ص 23-25

فتنة التكفير: إنّ فتنة التكفير في الهند من الأمور العامة، وازدادت هذه الفتنة في حلقة يحمل أهلها الكتاب والسنة ويلقبون بوارثة الأنبياء. ورمت هذه الفتنة سهام الطعن إلى الناس الذين قد عاشوا حياته في إحياء القرآن والسنة. وقد أكّد الإسلام على حفظ القرابة الدينية بأساليب مختلفة ولا يسمح في أيّ صورة أن يكفّر المؤمن. وقد جاء في تعاليم الإسلام أنّ الكافر لو ادعى بأنه مؤمن فلا يحق لنا أن نكفّره. كما جاء في القرآن الكريم: "وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ".[1]

ومرة قال رجل في سرية بعد أن رأى المسلمين "السلام عليكم، لا إله إلا الله محمد رسول الله: فقتله مسلم ظنًا أنه شهد بكلمة الله لينجي نفسه، ولكن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حينما علم عن هذا الحادث، غضب غضبًا شديدًا وسأله عن هذا بشدة، وقال: "هل شققت قلبه". وبالجملة يحتاج علماؤنا في هذا الباب إلى الحذر الشديد. ولكن تستمر هذه الفتنة إلى اليوم، ومن سلسلة هذه الفتاوى أنّ العلامة شبلي والفراهي رحمهما الله قد تم تكفيرهما. أُصدِرت هذه الفتوى من تهانه بهون ووقع عليها الشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ ظفر أحمد، والشيخ شبير أحمد العثماني، والشيخ قاري محمد طيب رحمهم الله جميعًا. وأيّدها بعض علماء سهارنفور، وكنكوه وديوبند أيضًا.[2] وهؤلاء هم العلماء الذين لا نشك في علمهم وزهدهم وورعهم وخشيتهم. ولكن كما يقول المودودي إن الإغماض الذي عمل به هؤلاء العلماء في تكفير شبلي والفراهي تتضح منه أنّ تكفير مؤمن أصبح اليوم أسهل من قتل النملة.[3]

وأُصدرت فتوى تكفير العلامة شبلي نظرًا لبعض مقتطفات كتابه "الكلام"، وفي الواقع هذه المقتطفات كانت اعتراضات للملحدين نقلها العلامة في كتابه لكي يرد عليها ويبطلها. ولا نكذب إن نقول: إن لا يوجد في الكتاب أي شيء يدل على الإلحاد والزندقة، بل

[1] سورة النساء: 94.

[2] دو عمده مضامين، ص 23-24

[3] المصدر نفسه، ص 13-14

يبدو من قراءته أنّ مؤلفه مؤمن صادق يفكر في حفظ إيمان المسلمين الآخرين.[1]

وكلام الفراهي الذي أصدر بسببه فتوى تكفيره، هو في الواقع كان بعض إشاراته غير المرتبة، وقام بنشرها الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في مجلة "الإصلاح" بعد أن نقلها إلى الأردية. وعلّق على هذا الكتّاب وأوضح فيها أنّ هذه المذكرة لم يتيسر للمصنف إتمامها، وسقطت العبارات في بعض المواقع ويوجد فيها الإبهام أيضًا.[2] ولكن رغم هذه الملاحظة على أساس هذه المذكرات غير المرتبة أُصدرت فتوى تكفير الإمام الفراهي الذي عاش حياته في خدمة القرآن، والذي اشتعل رأسه شيباً في البحث عن أسرار القرآن ورموزه ونشأ في قلوب آلاف من المسلمين الشغف بالقرآن الكريم والتفكر فيه بعد أن قرؤا تفسيره، والذي يشهد كل حرف من تفسيره أنه مؤمن صادق ويفدي نفسه عليه. فلو أنّ مثل هذا المؤمن لم يك مؤمناً فأين نبحث عن المسلمين في هذه الأرض؟[3]

وهنا نترك عبارات الفراهي بسبب طولها إلا أنّ من المناسب أن هذه الفتوى أصدرت على أساس ثلاثة أشياء:

1. أسماء السور القرآنية الموجودة مخلة لمطالب السورة.[4]
2. استعملت في القرآن كلمات غير مناسبة رعاية للقافية.[5]
3. تقسيم الركوع والأحزاب الموجودة في القرآن يخل في توضيح نظام السورة فلذلك لا يجب على طالب النظم أن يلزمه.[6]

من الممكن أن يختلف عن هذه الآراء للفراهي، ولكن ليس فيه أي شيء نصدر

[1] المصدر نفسه، ص 15
[2] قرآني مقالات، ص 82
[3] دو عمده مضامين، ص 12
[4] المصدر نفسه، ص 22
[5] قرآني مقالات، ص 18
[6] مجلة الإصلاح، أغسطس 1936م

على أساسه فتوى تكفيره. وأثبت غلام أحمد برويز بعد أن قام باستعراض هذه الفتوى بالدلائل أنّ تكفير الفراهي على أساس هذه الآراء هو ظلم وعدوان.[1] وكذلك أصدر فتوى تكفير العلامة شبلي نظراً إلى العبارات الجلية التي توجد في كتابه "الكلام". أفادنا الشيخ بدر الدين الإصلاحي بعد أن استعرض هذه العبارات كلها بأنها لم تكن للعلامة بل هي مقتبسات للملحدين نقلها العلامة في كتابه لكي يرد عليها. فلذلك أنّ هذه الفتوى مبنية على عدم البصيرة تماماً وتكفير العلامة خيانة للغاية.[2] فتراجع فيما بعد الشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ شبير أحمد العثماني عن هذه الفتوى عندما علما بحقيقة الحال.[3] وأيضًا ندم الشيخ لطف الله الذي وقّع على هذه الفتوى.[4] وأعرب كبار علماء الهند عن أسفه على فتوى التكفير هذه. ونشرت بعض المقالات من هذه السلسلة في مجلة "الإصلاح " مثل مقالة مولانا أبي الكلام آزاد، والشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ أبي المحاسن محمد سجاد (نائب أمير الشريعة بولاية بيهار)، والشيخ مناظر أحسن الكيلاني، والشيخ عبد الماجد الدريآبادي.[5] وتمت المناقشة عن هذه الفتوى في افتتاحيتين لمجلة "الإصلاح".[6]

والآن نلاحظ أنّ صديق العلامة الحميم وتلميذه السيّد سليمان الندوي كيف تأثّر بهذه الفتوى، وما كان رأيه في هذا الباب؟ فيكتب إلى الشيخ عبد الماجد الدريآبادي في رسالة: "من الممكن أن وصلك اطلاع فتنة التكفير في سرائ مير. فلا آسف على تكفير العلامة شبلي لأنه متكلم، ومن المتكلمين من لا يصدر عليه

[1] راجع للتفصيل: دو عمده مضامين، ص 34-23

[2] راجع للتفصيل: رد فتاوى التكفير على العلامة شبلي للمولوي بدر الدين الإصلاحي، مجلة الإصلاح بسرائمير، أغسطس 1936م، 8/1، ص 29-54

[3] راجع للتفصيل: مجلة الإصلاح، سبتمبر 1935م، 9/1، ص 2

[4] المصدر نفسه، سبتمبر 1935م، 9/1، ص 2

[5] المصدر نفسه، أغسطس 1936م، 8/1، ص 56-61

[6] المصدر نفسه، يوليو 1936م، 7/1، ص 1-7.

فتوى التكفير، ولكن آسف على تكفير عبد الحميد الفراهي الذي نعلمه أنه ليس أقل في العلم والفضل والزهد والورع والخشية من كبار علماء ديوبند.[1]

قد حزن السيّد سليمان الندوي حزنًا شديدًا بسبب هذه الفتوى، وجعل أفعال العلماء هذه من الخطوات الجريئة للغاية. وقال: "إنّ الشخ الفراهي الذي لم يكن فريدًا في العلم والفضل فحسب، بل كان من خواص هذه الأمة لصحة اعتقاده، وزهده وتقواه، فتكفيره بناء على بعض ألفاظه هي خطوة جريئة للغاية".[2]

وإنّ إصدار هذه الفتوى ليس إلا نتيجة للعداوة والمخالفة فيما بين المدارس. وأثارت هذه الفتنة إحدى المدارس في سرائ مير ضد مدرسة الإصلاح، لأنّ هذه المدرسة تأسّست عدواة وبغضًا لمدرسة الإصلاح. وإنما حاول مؤسّسوها أن يثيروا عواطف عامة الناس ضد مدرسة الإصلاح لكي يستغنوا عنها ولا يعطوها التبرعات، ولا يرسلوا أطفالهم إليها للتعلم. وأشار السيّد سليمان الندوي إلى ذلك بهذه الكلمات: "لا يقل كبار العلماء في أطرافها، فإنهم أسّسوا مدرسة جديدة بإزاء مدرسة الإصلاح ويحاولون منع المسلمين من أن يعاونوها بعد أن أذاعوا الدعاية ضدها لترويج مدرستهم أو لعاطفة صادقة حسب ظنهم. ولكن العدو إذا كان قويًا فالمحافظ يكون أقوى منه. وظلت محاولتهم تفشل، ومدرسة الإصلاح تزدهر.[3]

وأظهر الندوي أسفه الشديد على ما يجري بين المدارس من مخالفة وعداوة. وقال: قد وصل هذا الأمر لدرجة أنّ مسؤولي هذه المدارس جعلوا يصدرون فتاوى التكفير للآخرين فيما بينهم، وهذا مؤسف جدًا.[4]

وأضاف الندوي قائلًا: من هم الذين أصدروا هذه الفتوى؟ وماذا قالت مدرسة

[1] مكتوبات سليماني، مجلة الإصلاح، أغسطس، 1936م، 8/1، ص 27
[2] مجلة معارف، أغسطس 1936م، 2/38، ص 84
[3] ضجة تكفير، مجلة الإصلاح، أغسطس 1936م، 8/1، ص 25
[4] مجلة معارف، أغسطس 1936م، 2/38، ص 84

سرائ مير للعداوة والمخالفة؟ بكلماته:

"هذا التقدم الجديد ثبت نارًا لإبادة المخالفين. وأنهم استعملوا لتدميرها الحيلة الأخيرة لإصدار فتاوى التكفير، ونجحوا فيها حتى أنّ بعض علماء تهانه بهون، وسهارنفور، ومومبائ، وديوبند وغيرها أصدروا فتاوى التكفير خلافًا للعلامة شبلي، والشيخ الفراهي بسبب مقتبساتهما الزائفة، ووقّع عليها العلماء مع الختم للتصديق. ثم اهتموا بدعوة عشرات من العلماء من دهلي، وميرت وغيرهما، وذلك لكي يوجّهوا إلى مخالفيهم أجود ما يمكن لهم من سبّ وشتم، فعقدوا الجلسة في أرض قريبة من المدرسة لمدة ثلاثة أيام متتالية، وذكروا فيها المرحومين العلامة شبلي النعماني، والشيخ الفراهي، ومدرسة الإصلاح التي ينسبا إليها بكلمات شنيعة لا تناسب شخصيات إسلامية كأمثالهما".[1]

وكان الندوي قد تأسف على هذه الفتوى تأسفًا بالغًا لعلاقته الوطيدة بالفراهي من جانب، ومن جانب آخر أنه بايع الشيخ أشرف علي التهانوي، فلذلك لا يزال يحاول أن يراجع التهانوي عن هذه الفتوى ولا تلحق أية أذية بالتهانوي. وقد قام عبد الماجد الدريآبادي بالجهود المستحسنة في هذا الباب، فقال الدريآبادي عن أمين أحسن الإصلاحي: "إنّ الشيخ أمين قد تشرف بقدومه مع كتابة العلامة، فقلت له: ليس من المناسب أن تفعل أيّ شيء بشدة".[2] أي أنّ السيّد سليمان الندوي قد منع أمين أحسن الإصلاحي أن ينشر لعامة الناس كتابات تطعن في شخصية التهانوي، وأنه كان يريد أن يراجع عن هذه الفتوى بأسلوب حسن. وهذا هو السبب عندما تراجع العلماء عن هذه الفتوى بجهود الدريآبادي شكره السيّد سليمان الندوي من صميم قلبه. وأجاب على بطاقة له: "وصلت إلي بطاقتك، وقبل ذلك وصلت رسالة أخرى أيضًا، فالخدمات التذكارية التي قمت بها في هذا الصدد، لا بد لكل محب للصلح أن يشكرك.

[1] مكتوبات سليماني، 57/2

[2] المصدر نفسه، 55/2

ومن أصعب الصعوبات التي نواجها في هذا الباب هو إيفاء هذه العلاقة المزدوجة. وعلى كل حال فإني كتبت شيئًا للإفتتاحيات القادمة مع الحذر والاحتياط".[1]

ما هي الحاجة لكتابة المقالات المفصلة التي تتعلق بعقائد العلامة شبلي النعماني، والشيخ الفراهي ومن عنده الفراغ لها؟ "تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ".[2] وقد كتب مقالة طويلة أحد متخرجي مدرسة الإصلاح، وحاول فيها الرد على هذه الاتهامات التي وجّهت إلى العلامة شبلي. ومن الممكن أن تنشر هذه المقالة في مجلة "الإصلاح".[3]

وعندما تراجع أشرف علي التهانوي عن هذه الفتوى، فرح الندوي فرحًا شديدًا، وأشاد بعمله هذا أيضًا. يقول في افتتاحية مجلة "معارف": "فرحت جدًا بعد الاطلاع على أنّ التهانوي قد تراجع عن هذه الفتوى لتكفيرهما بسبب توسعه في المسلك بعد أن قرأ بعض الأجوبة فصل فيها عن هذا. وفي هذا العصر عندما يفقد الاعتراف بالحق، نشيد بما ظهر من التهانوي حبًا للحق والصدق".[4]

الزهد والتقوى: كان الفراهي ينتسب إلى أسرة ذات عز وشرف ويمتاز بما كان لديه من علم وفضل. عاش حياته متمكنًا من مناصب جليلة ولكن بالرغم عن كل هذه لا يوجد عليه أثر الكبر والتكبر. ودائمًا كان يبعد عن الصيت والسمعة والرياء ويحبّ العزلة، فلذلك قال العلامة شبلي النعماني: "هم يعطون عشرة آلاف روبية نقدًا، ورفضتها نظراً إلى صحتي، ولكن أكتب إليك هذا لكي تعيش حياة سعيدة إذا خرجت من الوطن ولكن لم تتحرك".[5]

[1] شذرات سيد سليمان الندوي، 2/38، ص 85
[2] سورة البقرة: 134.
[3] كانت هذه المقالة لبدر الدين الإصلاحي ونشرت في مجلة الإصلاح في عدد 8/1 في أغسطس 1936م
[4] مجلة معارف، سبتمبر 1936م، 3/38
[5] مكاتيب شبلي إلى حميد الدين الفراهي، 7/2

وكتب الشيخ الدريآبادي حين وفاة الفراهي في صحيفة "صدق جديد": "أصبحت بفراقه مسيرتنا بدون القائد". وقد تكوّنت هذه المسيرة العلمية من الشيخ حميد الدين، والشيخ عبد الباري، والشيخ مسعود علي الندوي، والشيخ عبد الماجد الدريآبادي. وما هي مكانة الفراهي في هذه المسيرة العلمية، لاحظوا بلسان الدريآبادي: "كان الفراهي أكثر منا في العلم والفضل، والزهد والتقوى، وإلى جانب ذلك كان قريبًا للعلامة شبلي النعماني".[1]

وعكس الندوي في موضع ما كان في حياة الفراهي من التمسك بالدين بهذه الكلمات: "تشرفت بلقاء الشيخ حسين أحمد في حفلة قريب انعقدت في 9 شوال، أدّيت الصلاة خلفه في المسجد هناك، فشعرت بحضور القلب والخشية في الصلاة الآن بعد وفاة الفراهي".[2]

وكتب الندوي مشيرًا إلى مكوث الفراهي في حيدرآباد: أنه آثر هناك أيضًا الخمول والخلوة، ويمكن له أن يحصل على شيء كثير إن أراد"، وأضاف قائلًا: "وطبعًا كان الفراهي يحبّ العزلة والسكوت ويحذر اللقاء مع الأمراء والوزراء عمدًا. فلذلك لم تتغير حالته بعد وصوله إلى حيدرآباد الذي كان مركزًا للعالم، وأعجوبة للدهر، إلا أنّ الناس الأقربين إليه فيلقاهم، ولا يذهب إلى أيّ مكان".[3]

وعندما قدّم الفراهي الاستقالة عن دار العلوم بحيدرآباد لرجوعه إلى الوطن، فكان يريد المسؤولون أن يمكث الفراهي هنا. وذكر الندوي استقالته بهذه الكلمات: "أنه غادر حيدرآباد ورجع إلى وطنه متوكلًا على الله لما كان في طبيعته من استغناء، وترك عملًا كان راتبه ألف روبية شهريًا. طالما أقام في حيدرآباد بقي صامتًا محبًا للعزلة".[4]

[1] وفيات ماجدي، ص 69
[2] مكتوبات سليماني، 18/2
[3] مختصر حيات حميد، ص 14
[4] المصدر نفسه، ص 19

وعبّر الندوي عن ذلك في موضع آخر: "أنّ الشيخ الفراهي لماذا عاش معظم حياته بأن ترك الراتب العالي، والمكانة الرفيعة، والمناصب الدنيوية، ولذة العيش التي يتمتع بها القلب، ولماذا عاش في قرية زمنًا طويلًا، وحياة البساطة والقناعة، والخمول في خدمة مدرسة عربية".[1] فلو نفكر في ضوء اقتباسات الندوي المذكورة يظهر أمران، الأول: أنه كان يستغني عن العزة والشهرة والسمعة الدنيوية بحد كبير. والثاني: كان في طبيعته الزهد والورع والخشية والخوف، ولذلك عاش طول حياته في خدمة القرآن تفكرًا وتدبرًا.

وفاة عبد الحميد الفراهي: قد أحست الأوساط العلمية بوفاة عبد الحميد الفراهي بشدة. وجعل السيّد سليمان الندوي هذه الحادثة مثل حادثة موت ابن تيمية. وأفاد بأنّ اليوم توفي عالم فريد في اللغة العربية، وحاصل على شهادة البكالوريوس في اللغة الإنجليزية، ومثال في الزهد والورع، والفضل والكمال، وضليع في اللغة الفارسية، وسوق عكاظ للغة العربية، وكما مضى أنّ علاقة السيّد سليمان الندوي كانت علاقة شخصية، فلذلك قد واجه صدمة عنيفة بوفاته. فإنه لما اطلع على مرضه، وعلم أنه ذهب إلى متهرا للعلاج عند الطبيب الذي كان من المواطنين، فذهب هو أيضًا. وقد ألقى الشيخ الدريآبادي الضوء على ذلك بهذه الكلمات:

"كان الفراهي قد مرض مرضًا شديدًا فذهب إلى متهرا عند الطبيب حفيظ الله أحد المواطنين. وقد أجري عليه عديد من عمليات الجراحية، ولكن حالته حرجة جدًا، وأنا أذهب اليوم إلى متهرا بالقطار، وسأرجع عن طريق لكناؤ".[2]

وصل السيّد سليمان الندوي إلى متهرا، ولكنه لم يستطع زيارته فإنه قد تم دفنه فأبدى عما تدفق في قلبه من عواطف وانطباعات بهذه الكلمات:

[1] المصدر نفسه، ص 22

[2] مكتوبات سليماني، 268/1

"من الحزن المفرط أنّ نجم الإسلام المنير قد غرب في معبد متهرا؛ قد توفي الفراهي رحمه الله قبل أمس. وَصَلْتُ اليوم ولكن لم أتمكن من زيارته الأخيرة. فيا أسفى! ذهب بهاء العلم، وتوفي ترجمان القرآن. واليوم أرتحل إلى لكناؤ وسأمكث هناك عدة أيام".[1]

[1] المصدر نفسه، 286/1

المصادر والمراجع

1. أدبيات مودودي (بالأردوية)، خورشيد أحمد (ترتيب)، المكتبة الإسلامية المركزية، دلهي، ط1، 1980م
2. إمعان في أقسام القرآن، المعلم عبد الحميد الفراهي، دار القراءة، الكويت، 1980م
3. بزم رفتغان (وفيات الأعيان بالأردوية)، صباح الدين عبد الرحمن، مكتبة جامعة، دلهي الجديدة، ط1، 1981م
4. پرانے چراغ (أعلام الهند بالأردوية)، العلامة أبو الحسن علي الندوي، مكتبة فردوس، لكناؤ، ط1، 1975م
5. تفسير نظام القرآن، حميد الدين الفراهي، (ترجمة أردوية: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، 1990م
6. حيات سليمان (بالأردوية)، الشاه معين الدين أحمد الندوي، دار المصمنفين أعظم كره، د.ت.
7. حيات شبلي (بالأردوية)، السيّد سليمان الندوي، دار المصمنفين أعظم كره، د.ت.
8. حياة سلطاني، محمد أمين زبيري، مطبعة عزيزي، آغره، 1939م
9. دو عمده مضامين (مقالتان رائعتان بالأردوية)، بدر الدين الإصلاحي (جمعه)، مطبعة إصلاح، سرائ مير، أعظم كره، د.ت.
10. سيرة النبي ﷺ (بالأردوية)، السيّد سليمان الندوي، مطبعة معارف، أعظم كره، ط5، 1973م
11. شبلي نامه (بالأردوية)، الشيخ محمد إكرام، نامه آفس، شارع محمد علي، مومبائي، د.ت.
12. شذرات، السيّد سليمان الندوي (بالأردوية)، معارف، دار المصنفين أعظم كره، أغسطس 1936م
13. علامة حميد الدين الفراهي: حيات وأفكار (بالأردوية)، منظمة الطلبة القديمة

لمدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، 1992م
14. كتابيات فراهي (ببليوغرافية حول الإمام الفراهي بالأردوية)، الدكتور ظفر الإسلام الإصلاحي، إداره علوم القرآن، علي كره، ط1، 1991م
15. مختصر حيات حميد (الموجز من سيرة الفراهي بالأردوية)، عبد الرحمن ناصر الإصلاحي، مطبعة معارف، أعظم كره، د.ت.
16. مشاهير علم كي محسن كتابين (الكتب المفيدة لدى الأعلام بالأردوية) محمد عمران الندوي، مطبعة معارف، أعظم كره، د.ت.
17. مطالعه سليماني (مقالات سليمان (بالأردوية)، مسعود الرحمن خان الندوي (ترتيب)، محمد حسان خان، دار العلوم تاج المساجد بهوبال، د.ت.
18. مكاتيب سيّد سليمان الندوي (بالأردوية)، الشيخ مسعود عالم الندوي (ترتيب)، مكتبة جراغ، لاهور، ط1، 1954م
19. مكاتيب شبلي (بالأردوية)، (برعاية المولوي مسعود علي الندوي)، مطبعة معارف، أعظم كره، ط2، 1927م
20. مكاتيب شبلي إلى مولانا أبو الكلام آزاد (بالأردوية)، السيّد سليمان الندوي (ترتيب)، مطبعة معارف أعظم كره، ط2، 1928م
21. مكتوبات سليماني (بالأردوية)، عبد الماجد الدريآبادي (ترتيب)، مطبعة شاهي، لكناؤ، 1938م
22. وفيات ماجدي (بالأردوية)، الشيخ عبد الماجد الدريآبادي، ترتيب: الحكيم عبد القوي الدريآبادي، نيو يونائيتيد انديا بريس، لكناؤ، 1978م

ISSN: 2321-7928

العلامة عبد الحميد الفراهي ومنهجه في كتابه "مفردات القرآن"

- د. محمد مغربي[1]

ترجع صلتي بكتاب "مفردات القرآن" إلى المراحل الأولى من إعدادي أطروحة الدكتوراه سنة 1328هـ/2006م وأنا أحرّر إشكالية البحث المسمّى "معجم المعاني القرآنية للألفاظ"، إذ إني وقفت على جملة اعتبارات منهجية وتأصيلات فنية، فوفقت كتاب العلامة اللغوي المفسّر المعلّم الفراهي الهندي "مفردات القرآن" سديد الحكم قوي التأصيل متين التنظير غزير الشواهد فريد القلائد في إعطاء موضوعات المفردات القرآنية حقَّها من الدراسة والبحث وردّها إلى أصول التفسير وقواعد التأويل الجاري على حسن السبيل؛ ورغبت حينذاك أن أوفق إلى إفراد كتابه "المفردات" بدراسة منهجه وما أتى على الجديد فيه. وأراني عازمًا في هذه الورقات، على تقديم شذرة من التأطير العلمي لقواعده التفسيرية ومعرفًا بمعالم مأخذه في غريب القرآن نظرية وتطبيقًا، فوضعت هيكلًا دراسيًا وخطة محكمة لتناول أهم العناصر في هذا العرض، مقترحًا الآتي:

- أهمية كتاب مفردات القرآن وحاجة البحث العلمي إلى أمثاله.
- التعريف بالإمام المعلم الفراهي.
- تأطير مباحث الكتاب ومحاوره الأساسية.
- انتخاب جمل قواعد الكتاب اللغوية ونماذجها من تفسير المفردات.

أولًا: أهمية الكتاب وحاجة البحث العلمي إلى أمثاله: تتجلى أهمية الكتاب العلمية والفنية فيما يلي:

[1] أستاذ محاضر "أ" بكلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1-بن يوسف بن خدة

1. تأصيل الكتابات المتخصصة في الدراسات المعجمية وخدمتها بأصول المفسرين والأصوليين واللغويين لمقاربة النظر والاستثمار الحي لدى البحوث الموسوعية. وكتاب كصنيع الإمام الفراهي هو مقدمة تأصيلية لفتح مجال العمل الموسوعي في مختلف المجالات التفسيرية اللغوية كالغريب والاشتراك اللفظي والمتشابه اللفظي أو الوجوه والنظائر.

2. انتخب هذا السفر جملًا من قواعد التفسير تشكّل لبنة متينة لرسم منهج قويم في فن الغريب، ويعبّد بذلك طرقًا تحصيلية للأداء الدلالي للمفردات؛ أي استجلاء المدلولات بوجه من وجوه المسالك الدقيقة في اللسان العربي الأصيل، مما يفصح عن كثير من مجاري الاستعمال وتعدده، وأثر ذلك في كلام الصحابة وعرفهم، وتفهم إطلاقاتهم في تناول تفسير الكلم القرآني، والاهتمام بتقديم شروحهم وأقوالهم على كتب اللغة.

3. يعتبر الكتاب إسهامًا تجديديًا في تدريس مهارات التحصيل لدى مناهج التفسير اللغوي عمومًا، بل يفرغ خصوصًا لعلاقة غريب القرآن بجملة من الفنون الدقيقة كالوجوه والنظائر ومألوف الاستعمال القرآني لمفرداته، والاشتقاق ومعاني الأوزان والصيغ الصرفية من خلال القواعد المعجمية المجراة في تحليل مفردات نصوص الوحي والنظم العام لخطابه.

ثانيًا: التعريف بالإمام المعلم الفراهي: هو عبد الحميد[1] بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي، الأنصاري الفراهي الأعظمكدهي، المعروف بحميد الدين الفراهي، المشهور بلقب المعلّم.

ولد في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائتين وألف في قرية "فريهه" من قرى مديرية "أعظم كده"، واشتغل بالعلم أيامًا على المولوي محمد مهدي والعلامة شبلي النعماني، ثم

[1] الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، 1267/8.

سافر إلى لكهنؤ وأخذ عن العلامة عبد الحي ابن عبد الحليم وفضل الله بن نعمة الله، ثم سار إلى لاهور وتأدب على الشيخ فيض الحسن السهارنبوري، ثم تعلم الإنكليزية ونال الفضيلة في العلوم الغربية أيضًا وامتاز في الفلسفة الحديثة، ثم ولّي التدريس بمدرسة الإسلام بكراتشي فدرس بها زمانًا، ثم ولّي بالمدرسة الكلية بعليكده ثم بإله آباد، ثم سافر إلى حيدر آباد، وتصدر بدار العلوم وأقام بها مدة من الزمان.

ثم اعتزل عنها ولازم بيته ببلدة أعظم كده عاكفًا على المطالعة والتأليف، وأسّس في سراي مير قريبًا من قريته مدرسة دينية سمّاها "مدرسة الإصلاح" من أكبر مقاصدها تحسين طريقة تعليم العربية والاختصاص في علوم القرآن، وانتخب رئيسًا للجنة دار المصنفين الإدارية.

وهو من كبار العلماء، له خبرة تامة بالعلوم الأدبية وقدرة كاملة في الإنشاء والترسل وتودد إلى معارفه وأصحابه مع جودة فهم ووفور ذكاء وزهد وعفة وشهامة نفس وانجماع، لا سيما عن بني الدنيا وعدم اشتغال بها لا يعنيه، راسخ في العلوم العربية والبلاغة متعمق فيها متضلع من أشعار الجاهليين وأساليب بيانهم واسع الاطلاع على الصحف السابقة حسن النظر في كتب اليهود والنصارى عاكف على التدبر في القرآن والغوص في معانيه وأساليبه .. الخ

من مؤلفاته: ديوان الشعر الفارسي، ومنظومة في اللسان الدري لأمثال سليمان، ومنظومة بالأردو في الإعراب سمّاها تحفة الإعراب، ورسالتان في النحو والصرف، ورسائل بالعربية في تفسير القرآن، منها الإمعان في أقسام القرآن، والرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، وبعض أجزاء من تفسيره المسمّى "نظام الفرقان وتأويل القرآن بالقرآن" منها تفسير سورة التحريم، والعصر، والذاريات، والشمس، والقيامة، والتين، والكافرون، واللهب، وجمهرة البلاغة، وديوان شعر عربي، ومنها ما لم يطبع إلى الآن.

مات في التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وثلاثمئة وألف في مدينة

متهرا، ودفن بها.

ثالثًا: تأطير مباحث الكتاب ومحاوره الأساسية: تضمّن كتاب "مفردات القرآن" مقدمة منهجية،[1] أفرد فيها عرضًا مجملًا للبنية الصرفية للأصول اللسانية، وبيان كيفية وقوع الوهم في فهم الكلمات- من خلال الاشتراك في الاستعمال- وشهرة التداول لنظائرها، وموقع غريب الألفاظ من ساحة الأصول اللسانية؛ وأهمية الوقوف على المفردة والإحاطة بلسان قبائل العرب لتحرير أوفق وجه ومعنى محصل للكلمة القرآنية.

وهاك أخي القارئ تأطيرًا مختصرًا لمقدمة هذا السفر المشتمل على تقسيمها إلى ثلاثة أقسام، في مقابل ثلاث مقدمات أساسية، بعد أن أبان باعث إنشاء مصنفه وهو تخصيص الإحالة إليه في تفسيره "نظام القرآن" لجملة من الكلمات التي تقتضي بيانًا وإيضاحًا، درءًا لتكرار بحثها، نخصّص دراستها في هذا المصنَّف.

فأمّا المقدمة الأولى: في مقصد الكتاب وحاجتنا إليه، إذ ذكر أنّ عمدة فهم الكلام هو المعرفة بالألفاظ المفردة، لأنّ الخلل في فهم الجملة آتٍ من خلل فهم الجزء وهو المفردة المراد بيانها، "وإنما يسلم المرء عن الخطأ إذا سدّ جميع أبوابه؛ فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن أغلق عليه باب التدبر وأشكل عليه فهم الجملة، وخفي عنه نظم الآيات والسورة".[2]

وأما المقدمة الثانية: ففي الأصول اللسانية؛ فأولها المشكلة على غير العرب أو العارف بلغتهم، والمشكله نوعان:

الأول: ما لم يتبين لهم معناه فأخطؤوا أصل الأمر.

والثاني: ما لم يتبين لهم الأمور المتعلقة به من الأحوال الصحيحة فصارت الكلمة غير

[1] مفردات القرآن للفراهي، ص 60 وص 95 فما فوق.
[2] المرجع السابق، ص 95.

دالة على ما أريد منها.

ثم أمر المشتركة بين معنيين أو أكثر. ولا يهتدي إلى المعنى المراد في موضع خاص إلا بسياق الكلام أو موقعه واختيار ما كان أحسن تأويلًا.

ثم المرادفة لغيرها وهي قسمان: المطابقة لمرادفه من جميع الوجوه، وهذا قليل جدًا.

والثاني ما يوافقه من بعض الوجوه، وهذا كثير جدًا. وفيه معظم الوهم، ولربّما ظُنّ اتحادهما، وكثيرًا ما يكون بينهما فرق لطيف لا يفطن إليه غير الممارس باللسان، فيلتبس عليه بعض معاني الكلام.

وقد نبّه المصنف القارئ اللبيب على أنفع شيء في فهم الكلمات المترادفة، ألا وهو معرفة تفسير الصحابة والتابعين، فإنهم كثيرًا ما فسّروا الكلمة بمرادفها حسب ما أريد في موضعها، وأشار إلى الخطأ الذي وقع فيه المتأخرون وهو توهم الترادف من جميع الوجوه فأخطأوا صحيح معنى الكلمة.[1]

وآخر أنواع الكلمات، الكلمه الجامعة:[2] أي الجامعه المعاني، وصورتها الكلمة المشتركة التي لم يذهل عن الجامع بين معانيها. والفرق بينها أن المشترك إنما يراد به أحد الوجوه نصًا ولجهة نظم الكلام، والباقي إشارة.

وذكر المصنف أنّ الكلمة الجامعة أيضًا كثيرًا ما تكون عرضة للوهم، إذ يفسّرها السلف بمرادف لها ببعض الوجوه فيظن أنهما متطابقان تمامًا. ولكون القرآن حافلًا بالألفاظ الجامعة وتنزيلها على وجوهها يحتاج إلى تدقيق النظر في موقعها وسياق الكلام، اعتنى المؤلف بها اعتناءً خاصًا. وفي كتابه "مفردات القرآن" نماذج هائلة للكلمات الجامعة سأمثّل لها لاحقًا.

[1] المرجع السابق، ص 104.
[2] المرجع السابق، ص 105 و106.

وأما المقدمة الثالثة ففي وجوه الاستدلال نفى الغريب في القرآن وكونه خاليًا منه.[1]

وقد قرّر ذلك بالتحرير الواسع، إذ عرض جملًا من الشواهد على ردّ وجود الغرابة في القرآن، بل ونكر ذلك حتى عند الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ولأنّ القرآن نزل بأسلوب خطابهم وليس فيه ملغز، بل دلّت الآيات القرآنية على كونه عربيًا مبينًا، وإنما دعوى الغرابة لمن كان من أهل العجمة أو غير العالم بلسان العرب، قال الفراهي: "قد أفصح القرآن بكونه عربيًا مبينًا وقد وجدناه كذلك فإنه من مارس لغة العرب ونظر في أشعارهم وخطبهم ومحاوراتهم وجد القرآن أسهلها كلمًا وأقومها نظمًا وأبينها مقالة وأوضحها دلالة، ... فأما التسمية بالغريب فبالنسبة إلى العجم ومن قل علمه بالعربية".[2]

هذا، وإن محاور كتاب "مفردات القرآن" تُعدّ من أنفس المسائل العلمية في الدراسات القرآنية الحديثة الآتية بالتجديد، والأصيل والتحرير، ويكفي إحالة الفراهي على الكتاب نفسه لمن طلب التوسيع حالة قراءة كتابه "نظام القرآن"، وقد أحصيت عدة الألفاظ المفسرة فيه فوجدتها تربو على بضع وثمانين مفردة مع المضاف من المحقق الدكتور أجمل الإصلاحي[3] تلميذ المعلّم الفراهي، إذ طفق ينقل من المسودة ومن كتب أخرى كتب الفراهي على هامشها شيئًا من ذلك فثبته الدكتور محمد أجمل مشكورًا ومأجورًا إن شاء الله، وسبب ذلك تكملة ما عسى أن يكون مراد المؤلف من إلحاق المفردات الواردة على هامش كتبه الأخرى مما كان يقرأ ويدرس ويتعقب.

وامتاز عرضه الفني وطريقته في التناول بتحديد الكلمة القرآنية وبيان إطلاقاتها عند العرب وسوق الشواهد الشعرية على ذلك والنظر في الاستدلال على صحة المأخذ بالقرآن واستعماله للمفردة في نظائرها من مواضع الآي في السور القرآنية، مع محاولة تعزيز ما ورد عن العرب ببيانات من لسان العبرية والسريانية لإثبات المواطأة في الاستعمال.

[1] المرجع السابق، ص 108.
[2] المرجع السابق، ص 109.
[3] الدكتور محمد أجمل الإصلاحي ليس من تلامذة الفراهي. (مدير التحرير)

ومن معضلات ما انفرد بتحريره، ونقد الغير في دراسته وتوجيهه، ما اشتمل الكتاب على طائفة من المسائل العلمية التي يكثر دورانها في التفسير، فحاول تأصيل درسها التفسيري، كالتي أشار إلى الحروف المقطعة أوائل السور في مبتدأ كتابه، وهأنا ذا ناقل رأيه فيها على طريق الإيجاز ثم أتبعه بمنهجه التأصيلي النقدي في دراسة المفردات، برسم قواعد لغوية مرتبة.

• **الحروف المقطعة أوائل السور:** ذكر المؤلف أنّ الحروف المقطعة أسماء للسور القرآنية،[1] وهذا الذي ذهب إليه حكاه غير واحد من العلماء بل ونسب إلى الجمهور،[2] غير أنّ ما أضافه في كتابه هذا هو العدول[3] عن وجه التسمية لعدم الاحتياج إليه كما لا يفتقر إلى وجه تسمية السماء والأرض والماء، ومع ذلك فقد نوى نقل كلام أهل العلم في هذا الأمر، واختلافهم فيه ولم يتم له ذلك. ولمّا برّر صنيعهم في تتبع وجه التسمية لشأن منزلة الحروف المقطعة في التفسير، اجتهد في إبراز ذلك، وأبان أن مردّها إلى نشوء حركات الأصوات من العواطف الآتية على الفؤاد، فتورد هذه الأصوات التي هي مسمّيات في الاستعمال القديم عند العرب أنفسهم، كالتي استعملوا لمعنى الحزن حرف "آه" دلالة، هذا الذي انتهى إليه في كتابه "المفردات"؛ ومن هذا القبيل أطبق المفسرون على إفادة الحروف المقطعة معاني في نفسها معلومة، اختصرت بطريق الرمز والإشارة لمألوف استعمالها وعدم الجهالة بها، كمنقولهم قول الوليد بن المغيرة[4]. قلنا لها قفي فقالت قاف. أي قالت: وقفت. وقول زهير بن أبي سلمى:[5]

بالخير خيرات وإن شرّافا ولا أريد الشر إلا أن تا

[1] مفردات القرآن، ص 117.
[2] تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، 120/1 ومحاسن التأويل، 1/ 242.
[3] مفردات الفرآن، ص 117.
[4] ينظر ترجمته في: أنساب الأشراف.، 1/ 133
[5] ينظر ترجمته في: الشعر والشعراء، 137/1-141.

وفُسّر: وإن شرًّا فشر، و: إلا أن تشاء. قال ابن عطية: "الشواهد في هذا كثيرة، فليس كونها في القرآن ما تنكره العرب في لغتها، فينبغي إذا كان من معهود كلام العرب أن يطلب تأويله ويلتمس وجهه.[1].." الخ

وأفاد محقق الكتاب الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي، بفوائد عزيزة من كتاب تفسير سورة البقرة للمؤلف حيث ذكر[2] كلامًا دقيقًا يفرق عما رسمه في المفردات ولعله انتهى إليه في أواخر عمره إذ لم يكتب له أن يحقّقه في مفرداته فآثر التحرير في تفسيره والله تعالى أعلم؛ ولولا خشية الإطالة بما ثبته في التفسير والخروج عن مقصود هذا المقال المختصر لنقلت مذهب المؤلف الأخير في الحروف المقطعة من حيث وجه التسمية، ليعلم مضافه إلى الجهود في الدراسات القرآنية الحديثة، ولعلّ الدهر يسعه ما لا يسع هذا المقال من تناول جهود الفراهي في تجديد الدراسات القرآنية الحديثة فيخصّص مستقبلًا بإذن الله تحرير هذا التجديد وتقريره في كتاب مستقل، والله الموفق.

جمل قواعد الكتاب اللغوية ونماذجها من تفسير المفردات

1) قاعدة: اتباع معهود لسان العرب والشائع من الاستعمال في القرآن: وهذه القاعدة أصل مأخذ الإمام الفراهي في كل كتبه، بل عضّ عليها بإحكام غير مخل بمقتضاه مما كان زمن نزول القرآن في العهد النبوي، لأنّ آية الاعتداد بفهم الخطاب من نصوص المحي إنما مرجعها إلى كلام العرب أنفسهم خاصة المخضرمين منهم، ألم تر إلى الملأ منهم كيف أعجبوا بخطاب القرآن وأسلوبه ولم يستغربوه، بل شدهم إليه إعجازه وقوة نظمه. ولما كان ذلك أوتي فهم ألفاظ القرآن من قبلهم وفي مقدمتهم الصحب الكرام رضوان الله عليهم، فلا جرم أن يفرّع على هذه القاعدة قاعدة أخرى مرسومة في غريب القرآن خاصة، وهي معرفة عرف الصحابة في تأويلهم وتفسيرهم حتى يقف القارئ على

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 83/1

[2] مفردات القرآن (هامش)، ص 117-120.

بيّنات من الفهم السليم لمفردات القرآن خصوصًا وللتراكيب والنظم عمومًا.

ومن نماذج هذه القاعدة الكلية في مفردات القرآن للفراهي، مفردة "آلاء" في غير ما موضع من الذكر الحكيم، فإنه قرّر أن الشائع من معناها عند اللغويين والمفسرين هو النعم، ونقده بالمعهود من شعر العرب ومألوف الاستعمال القرآني، قال الفراهي: "ولكن القرآن وأشعار العرب يأباه؛[1] وعزّز توجيهه بشواهد منها:- ورودها في القرآن بعد حكاية العذاب والسياق يقتضي ترك الكلام عن النعم، ووُجّه إلى الفعال العجيبة التي اختصت بها القدرة الإلهية، كقوله تعالى: "فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾"،[2] وقوله تعالى: "هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾".[3]

ومنها، قول طرفة:[4]

كامل يحمل آلاء الفتى نبه سيد سادات خِضَمّ[5]

ورثى المهلهل[6] أخاه كليباً:

الحزم والعزم كانا من طبائعه ما كل آلائه يا قوم أحصيها[7]

وقال ربيعة بن مقروم[8] الضبّي:

ولولاَ فَوارِسُنَا ما دَعَتْ بذَات السَّلَمْ تَمِيمٌ تَمِيما

[1] مفردات القرآن، ص 125.
[2] سورة النجم: 55-56.
[3] سورة الرحمن: 43-45.
[4] ينظر ترجمته في: طبقات فحول الشعراء، 137/1 والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، ص 189.
[5] ديوانه، ص 74.
[6] ينظر ترجمته في: طبقات فحول الشعراء، 39/1-40.
[7] العقد الفريد، 73/6.
[8] ينظر ترجمته في: الشعر والشعراء، 1/ 308 وخزانة الأدب ولب لباب ولسان العرب، 438/8-439.

وما إن لأوئثها أن أُعدّ مآثرَ قومي ولا أن أَلومَا
ولكن أُذَكّرُ آلاءَنا حديثًا وما كان منّا قديمَا[1]

وأوضح مما سبق قول فضالة العدواني:[2]

وفي الفقر ذل للرقاب، وقلما رأيت فقيرًا غير نكس مذمم
يلام وإن كان الصواب بكفه وتحمد آلاء البخيل المدرهم[3]

عقّب الفراهي هنا بقوله: "أي يحمدون صفات البخيل وفعاله، وهذا البيت أوضح دلالة مما ذكرنا قبله على معنى الآلاء".[4] وفي هذه الشواهد غنية عما تركنا من الاستئناس به استدلالًا من الكتاب عما ورد من غيرها في الدواوين.

وقد رد الفراهي الوهم الوارد في مصنفات اللغة والتفاسير إلى استصحاب أولي الفن آية الرحمة المصوغة بالنعم فأخذوا بالاشتمال والعموم- وحق المفردة معرفة الفروق- بالإضافة إلى ما ورد من الرواية عن ابن عباس في حمل الآلاء على النعم، ووجّه مأخذ ابن عباس بأنه أراد الجواب عن سؤال مخصوص فأخرج منقوله عن سياقه. ومن نظائر مفردات هذه القاعدة، فعل "تنازع" الوارد في سورة الكهف من الآية، "وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١"،[5] وإليها أشار الفراهي بقوله: "قد تبدل معناه -أي الفعل تنازع-.

وفي الصحيح التنازع هو التناول والجذب عمومًا ويستعمل للكأس والحديث،[6] يعني به

[1] المفضليات، ص 184.
[2] ينظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة، 296/5.
[3] الحماسة البصرية، 83/2.
[4] مفردات القرآن، ص 132.
[5] سورة الكهف: 21.
[6] مفردات القرآن، ص 160.

تغيير معنى التنازع وتأويله إلى الخصومة في الاستعمال الآن بل وللخلاف أيضًا،[1] بل حكى الزمخشري تأويلًا للكلمة حاد به عن السياق، ففسّر الآية بإرادة السرّ حالة التنازع وردّه صاحب البحر المحيط معلّلًا إياه بأنه لو حصل الأمر في السر لما أطلق عليه لفظ التنازع، فعلمنا بهذا التقرير أن التنازع غير مقيد بالسر أو النجوي، وإنما هي حالة قد تحصل ولا يجيء التنازع واردًا فيها، ولذلك استدل الفراهي بالآيات الأخرى، منها قوله تعالى: "فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾"؛[2] فإن اعترض عليه بأن التنازع اشتهر بالتخاضم والاستعمال كقوله تعالى: "فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ"،[3] صُحّح بقيد التعدي بحرف "في" وهو المعتمد في الاستعمالين أي أسلوب التنزيل ولسان العرب، أولم تر إلى سياقه في الآية فإنه تعدّى بحرف الخفض!، وقال الألوسي: وأصل التنازع التجاذب ويعبر به عن التخاصم وهو باعتبار أصل معناه يتعدى بنفسه، وباعتبار التخاصم يتعدى بـ"في" كقوله تعالى: "فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ" ففرق بين أصل معناه في الوضع والشيوع والشهرة وبين محامل الاستعمال وسياقاته، وكل مأخذه لسان العرب، فلا جرم أن الفراهي أصاب موافقة الاستدلال لصحة المدول.

ولقد سبق القول بحكاية عرف الصحابة في تعدد مقالاتهم في الآية الواحدة وكذا إطلاقاتهم، وذلك من اختلاف العبارات الوارد على المآل الواحد فلا يعد من اختلاف الاعتبارات ولا التناقض أو التضاد، وعلاقة هذا التقرير بالقاعدة المرسومة- وهي التفسير على الشائع في الاستعمال هي استكمال الرؤية الشاملة في تفسير المفردات مما هو من قبيل المترادف مقاربة أو تشابهًا أو تمثيلًا" فيعتبر به لأن مأخذه العرب الأولون ويُتقبل في التفسير حملًا على ما عساه أن يكون ثراءً في معنى المتشابه اللفظي والنظائر من الكلمات، وبه تُعرف مقاصدهم وصنيعهم في الخطاب

[1] ينظر: تقييدات وتحقيقات المحقق على كتاب مفردات القرآن، ص 160، هامش رقم: 3.
[2] سورة طه: 62.
[3] سورة النساء: 59.

ووجه تقديمهم على منقول اللغويين.

ومن مظنة أمثلة هذا التفريع ما قد ضربنا قبل مثل قول ابن عباس في تأويل كلمة "آلاء" بالنعم فإنه نبه على بعض أفراد اللفظ الجامع ولم يقصر المعنى عليها، وهذا النوع في تفسير السلف كثير، وقلّ من تأصل بهذا التقرير في منقول كتب الغريب والتفسير، فإذا علمت أخي القارئ أصل هذا الحكم فانظر في المتشابه من طريقة التفسير على هذا النمط وقس عليه ينجل لك المأخذ والله الموفق.

ويضاف إلى مثالنا هذا، تأويل ابن عباس- فيما رواه أبو جعفر الطبري عنه- قوله تعالى: "يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾"،[1] فإنه قال "هي أول ساعة تكون في يوم القيامة"[2] وقوله "كان أهل الجاهلية يقولون: شمّرت الحرب عن ساق يعني إقبال الآخرة وذهاب الدنيا"،[3] وهذا مشكل الظاهر فإن الفراهي، ضعّف القول واختار الشائع عن العرب في استعمال هذا التركيب، إذ المشهور الذي لا يعدل عنه هو استعمال هذا الأسلوب في وقت الشدة والتشمير إذا راع الرجل أو المرء الخطب والأمر الفظيع والمعاناة شمّر عن ساقه، فاستعير الساق في موضع الشدة،[4] ومنه قول الشاعر:

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح[5]

قال حاتم:

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا

[1] سورة القلم: 42.
[2] جامع البيان في تأويل آي القرآن، 555/23.
[3] المرجع نفسه، 555/23.
[4] النهاية إلى بلوغ الهداية، 1522/2.
[5] باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن، 1536/3.

وقال الراجز:

عجبت من نفسي ومن إشفاقها ومن طرادي الخيل عن أرزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها حمراء تبري اللحم عن عراقها[1]

وقال أبو عبيدة: هذه كلمة تستعمل في الشدة، يقال: كشف عن ساقه إذا تشمّر. قال: ومن هذا تقول العرب لسنة الجذب: كشفت ساقها، ونكّر ساق للدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة، خارج عن المألوف، كقوله تعالى: "فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦"،[2] فكأنه قيل: يوم يقع أمر فظيع هائل"،[3] وعلى هذا التأويل مشى الفراهي وأمضاه وقواه بنظائر من الاستعمال القرآني لوصف هذه الحالة كقوله تعالى: "يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣"،[4] وقوله: "مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨"[5]...الخ؛ فههنا قولان أحدهما جارٍ على الأصل والوضع في لسان العرب وهو مذهب الفراهي وجمهور المفسرين وهي الرواية المشهورة عن ابن عباس،[6] والآخر رواية عن ابن عباس في حمل اللفظ على المعنى الذي يصير إليه ذلك اليوم وهو المآل.

ولحلّ هذا الإشكال ودفعه، وجب تتبع إطلاق الصحابة في خطابهم لحمل كلامهم على مقتضاه في عرفهم، إذ الوضع والاستعمال وصفان بحسب الحقيقة التي يؤول

[1] الزاهر في معاني كلمات الناس، 371/2 والبحر المحيط في التفسير، 247/10.
[2] سورة القمر: 6.
[3] البحر المحيط في التفسير، 247/10-248.
[4] سورة المعارج: 43.
[5] سورة القمر: 8.
[6] وقد سئل عن ذلك، فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن، فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر:
صبيرًا عناق إنه شر باق :: قد سن لي قومك ضرب الأعناق :: وقامت الحرب بنا على ساق، ينظر: التفسير المسند

إليها الكلام، ومثالنا من هذا الضرب؛ وذلك أنه إن حكّمنا القول الأول أخذنا بالظاهر وأصل الكلام، وإن أخذنا بالآخر حملناه على عرف الاستعمال، وأريد به المآل وهو في تأويل الصحابة والتابعين كثير، فقد فسّروا اللفظ والتراكيب بتأدية المعنى لا الحد المطابق لمحدوده، ولو كان قريباً منه، ولهذا ورد عن مجاهد قوله: كل كرب أو شدة فهو ساق، ومنه قوله تعالى: "وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾"،[1] أي: كرب الدنيا بكرب الآخرة،[2] فهذا تفسير على المعنى لا على التعريف بذات اللفظ، ومثله شائع في طريقة السلف كالذي مضى من قبل، ولو أنه كلما وقع القول على خلاف الظاهر فُهم منهم التضاد والتعارض لأدّى الأمر إلى فوضى الاستعمال وتهمة القول في التفسيربغير علم، وقد علمنا تورع الصحب الكرام عن ذلك؛ فإذا تقرّر هذا فلا إشكال إذًا في الجمع بين القولين، وهذا الذي ارتضاه الفراهي فإنه قال: "ووَهِم الرواة فيها رووا عن ابن عباس أنه آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، فإنه لو صح فهو بيان الواقعة وليس بتفسيره"، والشاهد بيّن واضح عبّر عن تأويل ابن عباس ببيان الواقعة وهو ما حررته من قبل بتسميته المآل، وحكم عليه بأنه ليس بتفسير، أي للفظ إذ الساق هي الساق وليست الحرب، ولم يزعم أحد أنها من أسماء الحرب، وإنما الدلالة بمجموع اللفظ لا بأجزاء الكلمة، فصحّ بهذا تأويل ابن عباس للمعنى لا للفظ.

ومن المناسب ذكر قول ثالث في الآية، رواه أصحاب المصادر الأصلية من مصنفات التفسير والسنة كالطبري وابن أبي حاتم والبخاري وابن منده وأبي الحسن الدارقطني، وهو الكشف عن ساق الإله سبحانه، وهي الرواية عن أبي سعيد الخدري وابن مسعود -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا-، بحيث وردت المرويات بالتصريح، مع الاعتداد بالخلاف الحاصل في تأويل الآية، وممن حكى الخلاف الطبري[3] والحافظ أبو عبد الله بن منده، ومنشأ

[1] سورة القيامة: 29.
[2] تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، 22/5.
[3] ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن

الخلاف سعة الدلالة وتعدد المداليل، ولم يؤد السياق إلى رفع أحدها لعدم الوقوع في التضاد، وذلك لأن اللفظ سيق بأسلوب التنكير أي "يكشف عن ساق" فسوّغ احتمال المعاني وتعددها، خاصة وأن الشواهد من اتحاد الدليل والمدلول واردة وقوي توجيهها، ويلزم على هذا تقرير حكم التنوع في الاختلاف لا التعارض ولا إيهامه.

نعم، اختلف كثير من المفسرين في إلحاق صفة الساق بالإله جلّ وعزّ، لمراعاة مخالفة الحوادث، فقد حكى البيهقي[1] إجراء التأويل السليم حذرًا من التشبيه وتسليمًا للتنزيه، غير أنّ ثبوت النقل عن الصحابة أنفسهم مع التسليم التام للنص المنقول، وعدم الالتفات إلى حقيقة ذلك وكيفيته وترك الخوض فيه، يوجب الاستمساك باعتقاده، وترك تأويله على طريقة المتكلمين، لأنّ فعل هذه الصفة في محكم إرادة الله تعالى إذ لا يُسأل عما يفعل، مع تحقق نفي الشبيه. وأما شبهة التماثل فهي بمنأى عن الأسلوب القرآني إذ لم يفد أنه موهم للتشبيه بل أقر عظمة تليق بنفس الإله سبحانه، ولم نؤمر بتتبع ذلك حقيقة وكيفية، ولو صحّ هذا الإيهام لأشكل على الصحابة أنفسهم، ومن محاسن ما أقرأنا شيخنا محمد سالم ولد عدّود رحمه الله تعالى قوله في مقدمة نظمه على مختصر خليل:

ما أوهم التشبيه في آيات وفي أحاديث عن الثقات
هي صفات وصف بها الرحمن وواجب بها الإيمان
ثم على ظاهرها نبقيها ونحذّر التأويل والتشبيها

وتلخص من هذا الوجيه، تعيين ثلاثة معان في الآية "يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾"،[2] وهي الكشف عن شدة الهول والأمر يوم القيامة، وهو اختيار الفراهي ورواية عن ابن عباس، والثاني إنهاء آخر يوم من أيام الدنيا لكشف أول يوم من الآخرة وهو قول ابن عباس، والثالث الكشف عن ساق

[1] الأسماء والصفات.
[2] سورة القلم: 42.

الإله سبحانه وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري، وحمله المتكلمون على تأويل صفة النور، وحمله طائفة من أهل الحديث على ساق لله لا يدرى كيفيتها فتُقبّلت من غير خوض فيها ولا طلب لحقيقتها، والقلب إليه أميل وبه آخذ.

والمقصود، هو إمكان حمل المعنى على الثلاثة مما تقدم من تأصيلها، من غير إلزام باختيار الفراهي في ترجيح المعنى الأصيل للصيغة الواردة عن العرب، مع اعتداده بالقول الآخر عن ابن عباس على افتراض صحته. والله تعالى أعلم.

1) قاعدة موافقة لغات غير العرب -كالعبرانية والسريانية والبطية- للاستعمال العربي:

وهذه قاعدة مصرح بها، بل ثبّتها في أول كتابه عند عرضه طريقة بحثه في معاني المفردات بإعمال المقابلة بين المستعمل عند العرب ووجوده كذلك في الأصول اللسانية غير العربية كالعبرانية، قال الفراهي: "إذا اشتبه المعنى فطريق التوضيح تتبع استعمال لفظه كما فعلنا في لفظ «آلاء» و"العصر" والنظر في أصله، واستعماله في أخوات العربية كالعبرانية والسريانية".[1]

1. **الطوفان:** ذكر في المصنف في مفرداته أنّ الطوفان يرد بمعنى الإعصار المستدير يصحبه المطر وفوران الماء. وهو المعنى نفسه عند الرومية، وزعم أنّ قدماء المصريين اتخذوا إلها للريح سموه بـ"الطائفون"، ثم إلى دلالة تاريخية وصفها القرآن المجيد وهي ما حصل لقوم نوح من تلاقي ماء السحاب وفوران البحر، يريد بذلك قوله تعالى: "وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا"،[2] وقد علّق المحقق في حاشيته على مفردات القرآن للمصنّف بالإفادة من الفراهي نفسه في تفسير سورة الذاريات- عند تأويل آية قصة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- بالاستفادة من إطلاقات ألسنة أخرى غير العربية، واستأنس بما ورد في سفر التكوين ص 7 في 11 "في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات

[1] مفردات القرآن، ص 114.

[2] سورة القمر: 12.

السماء" ثم قال وفي سورة هود "وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ"،[1] وأتبعها بقوله ومن ركب البحر علم أنّ الأمواج كالأمواج لا تنشأ إلا بريح شديدة...".[2]

ومن شواهد لغة العرب في هذا التوافق في الاستعمال بين العرب وغيرهم قول الراعي يصف الناقة:[3]

تمسي إذا العيس أدركنا نكائثها خرقاء يعتادها الطوفان والزؤد

2. القربان:[4] وهو ما يُتقرب به إلى الله تعالى تعبدًا وتضرعًا وشكرًا، وأعظمه قربان النفس والأبكار، ومنه قربان سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ابنه إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

1. قال الفراهي وفي التوراة تصريح بذلك[5].

1) **كفر:** بمعنى ستر كما هو معلوم في مشهور استعمال العرب،[6] ومن الموضوع المشار إليها في التفسير قول الله تعالى: "إما شاكرًا وإما كفورًا"، وذكر الفراهي استعمال غير العرب لهذه المادة اللغوية قديم ورودها كما في الإنكليزية بمعنى ستر وغطّى.[7]

2) **المنّ:** ذكر الفراهي أنّ هذه الكلمة مأخذها عن أهل الكتاب، ثم عرفتها العرب

[1] سورة هود: 42

[2] مفردات القرآن (هامش، رقم 2، ص 219.

[3] تهذيب اللغة، 104/10.

[4] القربان مصدر قرُب يقرُب أي يتقربون إلى الله بإراقة دمائهم في الجهاد. وكان قربان الأمم السالفة ذبح البقر، والغنم، والإبل. وفي الحديث: الصلاة قربان كل تقي: أي أن الأتقياء من الناس يتقربون بها إلى الله تعالى أي يطلبون القرب منه بها. في حي الجمعة: من راح في الساعة الأولى، فكأنما قرّب بدنة أيكأنما أهدى ذلك إلى الله تعالى كما يهدى القربان إلى بيت الله الحرام ..الخ. ينظر: لسان العرب، 665/1)

[5] مفردات القرآن، ص 232.

[6] المرجع السابق، ص 306. وورد أيضًا: كفر بالله كُفرًا وكفورًا وكفرانًا. نقيض الإيمان. والكفر: كفر النعمة، وهو نقيض الشكر. والكفر: جحود النعمة، وهو ضد الشكر . وقوله تعالى: "إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ"؛ أي جاهدون. وكفر نعمة الله يكفرُها كفورًا وكفرانًا وكفر بها: جحدها وسترها. ورجل كافر: جاحد لأنعم الله، مشتق من الستر، وقيل: لأنه مغطّى على قلبه. قال ابن دريد: كأنه فاعل في معنى مفعول، والجمع كفّار وكفرة وكِفار مثل جائع وجياع نائم ونيام .. الخ. اهـ. ينظر: لسان العرب، 144/5

[7] مفردات القرآن، ص 306.

وأنشد الأعشى:

لو أطعموا المن والسلوى مكانهم ما أبصر الناس طعما فيهم نجعا[1]

وأراد بذلك تأويل الآية "وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ"،[2] ثم أبقى الفراهي اللفظ على عمومه من إرادة كل ما أمكن أن يُنعم الله تعالى على عباده، واستشهد بما يدل على ذلك من نصوص التوراة اليهودية، وأما ما بلغنا من آثار التابعين فهو مما فهموه من مسمى المنّ العام الدلالة فاختلفوا في ماهيته، كقول السدي الكبير[3] "المن كان يسقط على شجر الزنجبيل"،[4] وقول ابن وهب فيه "خبز الرقاق مثل الذرة" وقول ابن زيد "عسل كان ينزل من السماء" والله أعلم.

3) وأما **السلوى** فلم يختلفوا في معناه لكونه مرادًا في مادة الطيران غير أنهم نسبوه إلى التشبيه بالسُّماني أي طائر يشبهه أنزل عليهم مأكلًا وطعامًا، والرواية عن ابن عباس بهذا وردت،[5] ومأخذها عن أهل الكتاب. والله أعلم.

قاعدة: تتبع موارد اللفظ لدى استعمال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

ـ وهي معنى قول الفراهي ومن أنفع شيء في هذا الباب معرفة تفسير الصحابة والتابعين فإنهم كثيرًا ما فسّروا الكلمة بمرادفها حسب ما أريد في موضع خاص:

- والأمثلة كثير ورودها وروايتها في مصفات التفاسير خاصة الأثرية منها، بحكم شهرتها وإسنادها الآثار عن الصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن أمثلة هذه القاعدة تفسير لفظ التوفّي بالإماتة على ما ورد عن التابعين- بخلفهم فيه- كما نقله الطبري وغيره، وليس بمشكل لأنّ

[1] أدب الكاتب، ص 374.

[2] سورة البقرة: 57.

[3] ينظر ترجمته في: مشاهير علماء الأمصار، ص 178 وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، 132/2 وسير أعلام النبلاء، 264/5.

[4] جامع البيان في تأويل آي القرآن، 92/2. وكل ما ورد أعلاه من المرويات وارد في ثبت ابن جرير فلينظر.

[5] المرجع السابق، 94/2.

الترادف ههنا ليس بتام لإمكاني الجمع بين اللفظين بتوجيه الإماتة مشبهة بالذي أنهى تعلقه بالغير وتصرّفه فيه، فعُومِل معاملة من سلبت حياته أفاده القاسمي في محاسن التأويل.[1] وهذا التوجيه هو عين ما أراده الفراهي لتصريحه بأن الوفاة أعمّ من الإماتة.[2]

ومن الأمثلة أيضًا تفسير الفوم في آية "فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ"[3] بالثوم، وهي قراءة ابن مسعود[4] كما أشار إليها الفراهي في مفرداته،[5] وعلّق عليها الطبري بحلول الإبدال وجوازه عند العرب بين الفاء والثاء لقرب المخرجين[6] وهو كثير التداول والاستعمال.

- ومن منقول هذا التمثيل ما ورد عن ابن عباس من تأويله "ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢" تمثيلًا بلفظ "هذا الكتاب"،[7] وقد روي عن طائفة من أصحابه المكّيين، وهو اختيار الطبري في إلحاق معنى "ذلك" بـ"هذا"، وقرّر أنه استعمال للفظ البعيد الغائب على إرادة القريب الحاضر، وأعلّه بأن ما تقضّى أو انقضى في الذهن إخبارًا به. فهو والحاضر واحد أو كالحاضر، فعومل معاملته، وههنا سواء، وقرينته لفظ "ذلك" وتعقبه الفراهي بأن كلمة "هذا" تأتي للإشارة إلى ما تريده المخاطب مما هو بين يديه، بخلاف "ذلك" فإنها كلمة مستعملة لبيان المعهود الذهني السابق الذكر مما علمه المخاطب، ومن الأول قوله تعالى: "فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣"،[8] وقوله تعالى: "إِنَّ أَوَّلَ

[1] محاسن التأويل، 324/2.
[2] مفردات القرآن، ص105.
[3] سورة البقرة: 61.
[4] جامع البيان في تأويل آي القرآن، 126/2.
[5] مفردات القرآن، ص 370.
[6] جامع البيان في تأويل آي القرآن، 126/2. قال الطبري: ... فإن كان ذلك صحيحًا، فإنه من الحروف المبدلة كقولهم: "وقعوا في عاثور شر: وعافور شر" وكقولهم: "للأثافي، أثاثي؛ وللمغافير، مغاثير، وما أشبه ذلك مما تقلب الثاء فاء والفاء ثاء، لتقارب مخرج الفاء من مخرج الثاء... الخ".
[7] المرجع السابق، 222/1.
[8] سورة قريش: 3.

ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ "،[1] فاستعمل كلمة هذا. ومن الآخر قوله تعالى بعد ذكر قصة داود عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ "تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم"...[2] وقوله بعد ذكر الحدود "تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ "،[3] فاستعمل ما عبّر عنه النحاة بأسلوب البعيد[4] وهو لفظ "ذلك، وتلك".

وقد ضعّف الفراهي اعتماد شعر خفاف السلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في تبنّي البدل بين "ذلك" و"هذا"، معللًا قصور المعنى عن التوجيه المزعوم لما فيه من التكلف إذ لم يرد إلا بيان عظمته ولا فائدة في التنويه بها بقوله أنا هذا، قال الفراهي وأما البيت فيقبح فيه لفظ "هذا"، فإن الشاعر بعدما ذكر اسمه لعدوه، قال له: إنني عدوك الذي سمعته وعلمته من قبل. فلو قال: إنني أنا هذا، لم يدل على ذلك المعنى، وأيضًا سقط، لما في "ذلك" دلالة على عظمته، ولا فائدة في "أنا هذا"[5]]اهـ.

بيد أنّ ما ذهب إليه الطبري أوسع مما نقله الفراهي، فإنّ الناظر في سياق كلام الطبري في جامعه هو في معرض الأقوال الواردة في معنى تركيب كلمتي "ذلك الكتاب" لا في ترجيح القول بالاستعمال البدلي بين ذلك وهذا، بدليل اختياره القول الأول من سائر الأقوال، وهاك أخي القارئ سياق كلام الطبري لتشهد توجيه الإشكال الوارد بين مذهب الطبري وما انتهى إليه الفراهي مما حكيته عنه سابقًا.

قال الطبري "... وقد وجّه معنى "ذلك" بعضهم إلى نظير معنى بيت خفاف[6] بن ندبة السلمي:

فإن تك خيلي قد أصيب صميمها فعمدًا على عين تيمّمت مالِكا

[1] سورة آل عمران: 68.
[2] سورة البقرة: 253.
[3] سورة النساء: 13.
[4] ينظر: المفصل في صنعة الإعراب، ص 181 وأوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، 141/1.
[5] مفردات القرآن، ص 354.
[6] ينظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 451/2 وأسد الغابة في معرفة الصحابة، 178/2 والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، ص 136.

أقول له والرمح يأطر متنه تأمّل خفافًا إنني أنا ذالكا[1]

كأنه أراد تأملني أنا ذلك. فزعم أن "ذلك الكتاب" بمعنى "هذا" نظيره. أظهر خفاف من اسمه على وجه الخبر عن الغائب، وهو مخبر عن نفسه. فكذلك أظهر "ذلك" بمعنى الخبر عن الغائب، والمعنى فيه الإشارة إلى الحاضر المشاهد.

والقول الأول أولى بتأويل الكتاب، لما ذكرنا من العلل[2]]اهـ.

فهذا الذي بين يديك- أخي القارئ- من منقول الطبري يفصح عن اختياره القول الأول واعتماده، دون ما نقله استئناسًا من الشعر في توجيه قيام لفظ "ذلك" محل "هذا" وتجويزه. ألم تر إلى تصريحه بأولوية القول الأول، والمراد به تفسير التركيب "ذلك الكتاب" بهذا الكتاب، وهو ما نقله بأسانيده عن عكرمة ومجاهد والسدي وابن عباس في الأخير بل وزعم أنه قول عامة المفسرين؛[3] فالإشكال في قول الطبري بتأويل ذلك بهذا غير وارد، وغرابة تبنّيه توجيه تأويله بشعر خفاف الصحابي السابق الذكر أيضًا دعوى لا مقتضى لها، ولا يسلّم للفراهي ما ذهب إليه من كونه مذهبًا للطبري.

وذلك، أن حقيقة مذهب الطبري ما نقله عن عامة المفسرين، خاصة مرويات مدرسة ابن عباس المكية، ولا يضرّ اعتماد ذلك، لأنا قدمنا أن كلام الصحابة والتابعين، ينبغي فحصه وفهمه على مراده في عرف إطلاقهم، وتوجيه ألفاظهم على محامل الترادف المتقارب جمعًا لما عسى أن يكون من الاختلاف المأذون فيه، وهو من توارد العبارات على المعنى الواحد وجنس هذا الأمر من الصنيع في تأويلهم كثير. ولقد ضربنا من الأمثلة ما قد سبق، سيما هذا الأمر الذي نازع فيه الفراهي، لأ ن مراد السلف من

[1] ينظر البيت في: مجاز القرآن، 28/1. قال الفراء "وقد تخاطب العرب الشاهد فتظهر له مخاطبة الغائب. اهـ وقد أورده الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب بإضافة بيت توسط البيتين المذكورين وهو:
"وقفت له علوي وقد خان [1] صحبتي ... لأبني مجدًا أو لأثأر هالكا" ينظر: الاستيعاب، 451/1.

[2] جامع البيان في تأويل آي القرآن، 227/1.

[3] المرجع السابق، 225/1.

التأويل به تقريب القصد والحمل على المراد أو التأويل بالمثال، وقد غفل الفراهي ههنا عن التنبيه إلى هذا القيد الأصيل في عرف السلف في تفسير الغريب والكلم، إلا ما حكى من صحة التأويل ووجوب التفرقة بين استعمال العرب لكلمتي هذا وذلك فقد أجاد.

وأما الدعوى، فإن الطبري ضعّف المأخذ وكفى به تقوية للراجح مما اختاره، وعدولًا عن المرجوح مما نقله من التوجيه، فكان الأحرى من الفراهي تحديد مذهب الطبري من أدلته المنقولة من الآثار لا من منقوله الشعري، إذ لا يقوى الشعر على توجيه مأخذ الصحابة للتأويل وإنما يفصح بطريقتهم في فهم سياق الشعر، وعليه فإن تأويل "ذلك الكتاب" بهذا الكتاب، تأويل صحيح أسلوبًا واستعمالًا وبيانًا، ولا يردّ بقصور الشعر عن مواطأته. والله أعلم.

الخاتمة: إنه لمن القليل دركه في الوقوف على غريب القرآن وتتبع تفسيره اللغوي وما اقتضاه من تحكيم قواعده، وجنوح طريقتنا في التعبير عن ما يراعى ضبطه وإحكامه باتخاذ نموذج تطبيقي هادف كدراسة العلامة الفراهي في كتابه "المفردات" يفصح عن التأهيل المنهجي للتكوين المتكامل الرؤية، الشامل التصور مما يأتي بتحرير الدرس اللغوي وتدقيق مباحثه، وهذا دأبنا فيما طلبنا علمه وصعب تناوله، وعليه فإن سلوك سبيل منهج الفراهي في فن المفردات وغريب القرآن يعد لبنة أساسية في تجديد الدراسات المعجمية واللغوية لفن التفسير.

ومن نتاج القول في كليات التفسير لدى منهج الفراهي، تقليب اللفظ وتثويره بعرضه على أصل استعماله ومألوف عهده في المنهاج القرآني، بل هذا أصل كليات منهجه وذروة سنامه.

ومن لوازم هذه الكلية في التفسير أيضًا تحكيم الشائع في لسان العرب ومقارنته بالعرف السائر لدى المفسرين من الصحابة لعلمهم التام بمقتضى أسلوب عربيتهم وموارد خطابهم ومحاكاة لسان القرآن، وشهودهم التنزيل وأسبابه، وسؤالهم عما أشكل من الكلم ومفرداته. والله أعلم.

قائمة المصادر والمراجع

1. أدب الكاتب لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، د.ت
2. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م.
3. أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض-عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م
4. الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
5. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) لعبد الحي بن عبد العلي: الحسني، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.
6. أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996م.
7. أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك لابن هشام، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
8. باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن لمحمد بن أبي الحسن الغزنوي، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة حرسهاالله تعالى، 1998م.
9. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
10. تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة- محمد بن مصطفى الكنز. الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة. ط1، 2002م.
11. التفسير المسند لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ.

12. تهذيب الكمال في أسماء الرجال ليوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980م.
13. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
14. الحماسة البصرية لأبي الحسن علي بن أبي الفرج البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
15. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م.
16. ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط3، 2002م.
17. الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1992م.
18. سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م.
19. الشعر والشعراء لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ.
20. طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د.ت.
21. العقد الفريد لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ.
22. لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
23. مجاز القرآن لمعمر بن المثنى الفراء، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381هـ.
24. محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ
25. مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حبان التميمي البستي، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم،

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1991م.

26. مفردات القرآن لعبد الحميد الفراهي، تحقيق: د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، 2002م

27. المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م.

28. المفضليات للمفضل بن محمد بن سالم الضبي، تحقيق: حمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط6

29. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.

30. الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف: أ. د: الشاهد البوشيخي، ط1، 2008م.

ISSN: 2321-7928

أسلوب الحِجاج عند الإمام الفراهيّ

من خلال الإجابة عن أسئلة نظام القرآن

- د. عامر خليل الجرّاح[1]

ملخّص البحث

إذا كان التخييل طاقة شعرية أو موهبة لصيقة بالشاعر فإنّ الحِجاج طاقة عقلية خطابية تميّز الخطيب من الشاعر، فالتخييل أقرب إلى سحر الشعر، والحِجاج ألصق ببيان الخطابة، وبينهما يتردّد شأن الكذب والصدق غير أنّ الشعراء والنقّاد تبنّوا خُلُق الكذب ووسموه بالكذب الفنّيّ، وأعني هنا المتأخّرين الذين جعلوا من البديع وتوليد المعاني منطلقهم وديدنهم، ويرى الإمام الفراهيّ رحمه الله أنّ تأثّرهم بالفلسفة اليونانية ومحاكاة أرسطو هو ما دفعهم إلى ذلك حتى إنهم قالوا: "إنّ أعذب الشعر أكذبه"، والنبيّ عليه الصلاة والسلام نبّه إلى تداخل مسارات الشعر والخطابة في قوله: "إنّ من البيان لسحرًا، وإنّ من الشعر لحِكَمًا"، غير أنّ الأمر بات متمايزًا مع تمايز مدرستي الطبع والصنعة، والحِجاج يدخل في غير مجالات النصّ الخطبيّ أو القرآنيّ أو حتى الشعريّ، فقد يكون أسلوبًا وأداةً لبناء نظري كما سنُظهر ههنا في إجابات الإمام الفراهيّ عن أسئلة علم نظام القرآن، إن إثباتًا لهذا العلم وأهمّيته، وإن بيانًا لأدواته والوسائل الموصلة إليه، فيكون البحث بذلك حديثًا في مبحثين: الأوّل في حِجاج منكري النظام وإثبات أهمّيته، والآخر في حِجاج منكري وسائل النظام وأدواته، ونجعل بين يدي المبحثين مقدّمة في الكلمات المفاتيح؛ أي نظرية الحجاج ومفهوم نظام القرآن. تكمن أهمّية البحث في عرضنا لجانب حِجاجي جديد لم يلتفت إليه المتكلّمون في الحِجاج أو البلاغة الجديدة، وهو الحِجاج التطبيقي

[1] أستاذ مساعد، معهد اللغات الحيّة، جامعة ماردين أرتقلو التركيّة، تركيا

النظري، وفي تسليطنا الضوء على الاقتدار الحِجاجي عند الإمام الفراهيّ الذي أفاد فيه من دراسته الفلسفة الحديثة وثقافته الواسعة التي امتدت على مساحة ثقافات عديدة هي العربية والفارسية والإنكليزية والعبرية إضافة إلى ثقافته الهندية الأمّ، وتكمن الأهميّة فوق ذلك في كشف القناع عن نظام القرآن، وإزالة الإشكالات العالقة؛ إذ إنّ الإمام قد أتى بعلم جديد ابتدعه من عند نفسه، وكان له أثر كبير في الكشف عن المعاني القرآنية المتشابهة التي اختلف فيها المفسّرون وترجيح أقوى الأقوال فيها، وكان هناك بالمقابل من شكّك في النظام وجدواه في التأويل والترجيح، فكان هذا البحث، وعلى الله التّكلان، وإليه قصد السبيل.

مقدّمة في مفهوم الحِجاج ونظام القرآن

نتكلّم في هذه المقدمة على الكلمات المفاتيح للبحث، ونعني هنا الحِجاج بوصفه نظرية تداولية، ونظام القرآن بوصفه علمًا لتأويل القرآن الكريم.

أوّلًا: الحِجاج: نتحدّث عن الحِجاج في هذا البحث بوصفه أسلوبًا اعتمده الإمام الفراهيّ في إثبات نظام القرآن وأهميّته وأدواته، وهو في الواقع نظرية تداوليّة لها مفهومها واتّجاهاتها وأدواتها الإجرائية ومدارسها، ونشير إلى أنّ الحِجاج يمثّل بُعدًا تداوليًّا تأثيريًّا،[1] وسنعرض لذلك مبيّنين أهمية الحِجاج.

يُعدّ مفهوم الحجاج التداوليّ عند المحدثين من الدارسين الغربيين امتدادًا للبلاغة الأرسطية القديمة المسمّاة بلاغة المواضع أو الطوبيقا (Topiques).[2] فهو بلاغة جديدة تفارق البلاغة القديمة التي قصرت اهتمامها على الجانب التزييني (النَّصّيّ) في اهتمامها بالجانب التداوليّ (الخطابيّ) المتجلّي في الاهتمام بالمتخاطبين، وفي تركيزها على الفعالية الاجتماعية، وتسليطها الضوء على البعدَينِ: الحجاجيّ والتأثيريّ الدافعَينِ إلى

[1] يُنظر كتابنا: الإجراءات التداوليّة التأثيريّة في التّراث البلاغيّ العربيّ بين التّأويل والحِجاج والإنجاز.
[2] يُنظر: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، ص 29.

تحقيق الإقناع والفعل، وغير ذلك،[1] والحقّ أنّ هذه "البلاغة الجديدة تتأسّس- من بين ما تتأسّس عليه- على تعاضد فكرتين جوهريتين: أولاهما وجوديةٌ ظاهراتيةٌ في آنٍ، عمادها مقولة هيدكر (Heidegger) التي عدّ فيها اللغة هي الوجود بكل أبعاده وأزمنته، أمّا الثانية فتأويليةٌ (هرمينوطيقيةٌ) مفادها الانطلاق من اللغة المرسلة في مقامٍ معينٍ، ثم تفكيكها والغوص فيها للوصول إلى مكوّناتها الأساسية وعلاقتها بالمتكلّمين والمخاطبين".[2] إنّ هذا النوع من الحجاج يهدف إلى الإقناع انطلاقًا من اللغة وظروف الخطاب وأطرافه.

يُظهر لنا التتبّع التاريخيّ للحجاج أنّه يمتدّ من زمن أرسطو إلى يومنا، فترسّمت خلال ذلك الزمن الطويل معالم هذه النظرية، ولنا أن نقف على ثلاث مراحل أو مدارس مهمةٍ في تاريخها، ترسّخت فيها الدعائم، وتوضّحت فيها المعالم: مرحلةٍ قديمةٍ تتمثّل في البلاغة الكلاسيكية (بلاغة أرسطو)، وأخريين حديثتين تتجلّيان في البلاغة الجديدة لبيرلمان (CH.Perelman)، والحجاج اللسانيّ لديكرو (O.Ducrot)، وذلك على النحو الآتي:

1- الخطابة (La rhétorique) والجدل (La dialectique) عند أرسطو الذي يمثّل الاتجاه الإغريقي أو البلاغة الكلاسيكية؛ فنذكر أن أرسطو أقرّ بوجود الحجاج في غالب الأقاويل، واهتمّ تحديدًا بجنسين حجاجيين جامعين يمثّلان مؤسّستين قوليتين مهمّتين في المجتمع اليونانيّ، هما: المناقشة الجدلية (Discussion dialectique)، والخطبة (Discoursoratiore) ووراء تحليلهما يكمن نمطان حجاجيان هما: الحجاج الجدليّ والحجاج الخطبيّ.[3]

2- البلاغة الجديدة (La nouvelle rhétorique) لبيرلمانوتيتيكا (L.Tytica) اللَّذَيْن

[1] نظر: الفلسفة والبلاغة؛ مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص 17.
[2] الحجاج في البلاغة المعاصرة؛ بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص 105.
[3] يُنظر: الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب (أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، ص 120-121.

يمثّلان مع مايير (M. Meyer) وجهة نظر المدرسة البلجيكية. أعاد بيرلمانوتيتيكا في مُصنَّفهما الحجاجيّ (البلاغة الجديدة) المنشور سنة 1958م تمثيل الحجاج الأرسطيّ الذي اندثر زمنًا طويلًا، إذ كان البلاغيون يحتفون بالجانب التزيينيّ فحسب جاعلين ذلك هِجّيراهم. على أن المؤلّفين لم يحاكيا حجاج أرسطو حرفيًّا، بل قاما بتجديده، وهذا معنى تسميتهم البلاغة الجديدة، والحقّ أنّ مشروعهما الذي تبنّيا من خلاله تجديد البلاغة هو مشروعٌ يقوم على محاولة التأصيل لعلمٍ يرتبط من جهةٍ باللغة، ومن جهةٍ أخرى بالواقع بكلّ أبعاده أو بمعنى آخر ينطلق من عبارة هيدكر التي تفيد أنّ "اللغة هي الوجود بكلّ أبعاده وأزمنته"،[1] ويتأسّس على صفتي الحرية والعقلانية. إنه يقوم على احترام المتخاطبين من خلال تبنّي مفهوم (الاقتناع) بدلًا من (الاستدلال) الذي يقضي باستلاب حرية المخاطَب بحسب الجدل الأرسطيّ، وبدلًا من (الإقناع) الذي يعني التلاعب بعواطف المخاطَب كما في الخطابة.[2] إن في ذلك ما يُسهم في إيلاء المخاطَب أهميةً كبرى. أمّا (مايير) فقد ركّز من خلال نظرته اللغوية والبلاغية والفلسفية إلى الحجاج على تحقيق التواصل ومن ثمّ الإقناع بتضييق شِقّة الخلاف بين المتخاطبين أو إلغائها متّبعًا بذلك السبل المتاحة كلّها، فمن هذا المنطلق ومن منطلق ضرورة الاهتمام بإنسانية الإنسان، تحت اسم (بلاغة النوازع)، أعلى من شأن المتكلّم بإحلاله محلّ العارف المتيقّن الواثق من نفسه، وأعاد إلى دائرة الضوء أثر نوازعه (الإيتوس) وطاقته التأثيرية وثقافته ووعيه بمستوى المتلقّي وأهدافه (الباتوس)، وكذلك أثر المقام في تقليص المسافة بينه وبين المتلقّي، ومن ثمّ تحقيق الإقناع سادًّا الثغرات التي تركها أستاذه بيرلمان من جهةٍ، وراجعًا إلى أرسطو معيدًا بلاغته إلى دائرة الاهتمام من جهةٍ أخرى.[3] غير أنّ

[1] حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، ص 16.

[2] يُنظر: الحجاج؛ أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال (مصنّف في الحجاج؛ الخطابة الجديدة) لبيرلمانوتيتيكا، ص 300-301.

[3] يُنظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 134-135-136-137.

مايير لاحظ أنّ الاعتماد على تصوّرات المتكلّم وتوقّعاته ووعيه بالمتلقّي وبالعالم من حوله يبقى غير مضمونٍ، فحوّل اهتمامه بدرجةٍ كبرى إلى لغة الخطاب (اللوغوس) من خلال المجاز بما يتيحه من ضمانات توصف بأنها حجاجيةٌ،[1] ومن خلال (نظرية المساءلة).[2] فالخطاب يتشكّل في كلامٍ ليس هو سوى الوجه الآخر للفكر والعقل، وعملية التفكير ليست سوى عملية مساءلةٍ؛ لذلك نجده يركّز على السؤال ويشترط له أن يكون حاملًا لطرافةٍ فكريةٍ تحقّق للمتلقّي في أثناء بحثه عن دلالاتها متعةً من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى تؤيّد أو تؤكّد مضمون الفرضيات المُقدّمة فيها،[3] وليس ذلك إلا في البنى الأسلوبية ولا سيّما الصور المجازية.

3- الحجاج في اللغة (L'argumentationdans la langue) لديكرو الذي يجسّد مع أنسكومبر جهود المدرسة الفرنسية تحت عنوان (التداولية المُدمَجة)، ويُعدّ الحجاج (التداوليّ) عند ديكروو‌أنسكومبر ذا صبغة لسانية وبلاغية؛ إذ "يُحلّل القول حسب التداولية المدمجة اعتمادًا على الربط بين جملة من المعطيات اللغوية التي تعود إلى (المكوّن اللغويّ) وجملة من المعطيات غير اللغوية التي تعود إلى (المكوّن البلاغيّ)".[4] إنّ نظرية ديكرو في التداولية المدمجة عامّةً وفي الحجاج خاصّةً تأسّست بوضوحٍ على أساس إنعام النظر في أنّ الأدوات الحجاجية (العوامل والروابط) تساعد على تأويل الأقوال الحاضنة لها وبيان قيمتها الحجاجية على أساس عملها داخل الأقوال، وعلى أساس النتائج المتحصَّلة منها بمعونة الأغراض والمقاصد متجاوزةً بذلك معاني الأقوال. وبمعنى أوضح تسهم الأدوات الحجاجية في تحديد القيمة الحجاجية (التداولية) للأقوال داخل البنى

[1] يُنظر: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ص 400.

[2] يرى مايير أن أزمة الفكر الغربيّ المعاصر وفلسفته تكمن في أنه جعل العناية بالتساؤل ثانويًّا كما أن الفلسفة القديمة لم تُعنَ به بما فيه الكفاية مع أن الوصول إلى السؤال الجوهريّ هو الذي يجسّد النظرية، أو أنه يُعدّ أهمّ خطوةٍ فيها، وفي أيّ موضوعٍ. يُنظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 134.

[3] يُنظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 134-135.

[4] نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب (أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، ص 354.

التركيبية (التركيب) باستقلالٍ عن المحتوى الإخباريّ (الدلالة)، فانتهى الأمر بديكروأنسكومبر تبعًا لذلك إلى رفض النموذج الخطّي الذي يتمّ الانتقال فيه من مستوى التركيب إلى مستوى الدلالة فإلى مستوى التداول.[1] ثم إنّ التمييز بين تلك المكوّنات أو الأدوات اللغوية المسمّاة روابط وعوامل حجاجيةً يسهم أيضًا في ترجيح حجّةٍ على أخرى، ومن ثمّ في تحقيق الوظيفة الحجاجية، وفي توجيه الخطاب أو القول حجاجيًّا من دون الرجوع إلى المقام أو قوانين الخطاب (السياق التداوليّ).[2]

نذهب في حصيلة كلامنا المتقدّم على اتجاهات الحجاج ومدارسه إلى ما توصّل إليه محمد طروس في مقاربته الموسوعات والقواميس المتخصّصة لتحديد مفهوم الحجاج،[3] وما قام به العزاوي من تمييزٍ بين نمطين من الحجاج الطبيعيّ،[4] ذلك أننا نقف على اتجاهين متقاطعين يفترقان في أنّ أحدهما لسانيٌّ يعالج الأقوال من الداخل، وهو المتوسّل باللغة وإمكاناتها كما هو الحال عند ديكروأنسكومبروماييرر، والآخر تداوليٌّ يعالج الأقوال في الغالب من الخارج أي بمراعاة المقامات وقوانين الخطاب ونوازع المتخاطبين كما هو الحال عند أرسطو وبيرلمانوتيتيكا، مع الإشارة إلى أنّ هذا التصنيف ليس صارمًا أو نهائيًّا، كما أنه لا يعني أنّ كلًا من الاتجاهين منفصلٌ عن الآخر؛ إذ لا يمكن لأحدهما أن يعمل بمعزل عن معطيات الآخر،[5] إنما هي نظرةٌ

[1] يُنظر: اللغة والحجاج، ص 26.

[2] يُنظر: المرجع نفسه، ص 25.

[3] يرى طروس في وضعه تحديدًا أوليًّا للحجاج أننا أمام نظرتين متقابلتين: الأولى تعدّ الحجاج سلسلةً من حجج تتّجه جميعها نحو النتيجة نفسها، والأخرى تبيّن أن مجال الحجاج هو مجال المحتمل والمعقول وميدان تفاعُل الذوات. يُنظر: المرجع نفسه، ص 8.

[4] يرى العزاوي أن النمط الأول يتمثّل في "اعتبار الحجاج تقنياتٍ بلاغية ومنطقية وأصولية وكلامية... [وأن النمط الثاني ينظر إلى] الحجاج باعتباره آلياتٍ لغوية محضٍ". الخطاب والحجاج، ص 35.

[5] يؤكّد ذلك التضافر بين مستويات اللغة التركيبية والدلالية والتداولية دعوة ديكرو إلى (البلاغة المتكاملة) "التي تستثمر منطق اللغة المتكامل وتستفيد من جميع المستويات والمحاور التي تتقاطع في نسق اللغة". الفلسفة والبلاغة؛ مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفيّ، ص 107.

تقوم على أساس طغيان مادّة التحليل وأدواتها، واختلاف زاوية النظر عند المحاجيين، وثمّة نقطةٌ افتراقيةٌ أخرى مهمّةٌ تتمثّل في أنّ هدف المحاج في الاتجاه اللسانيّ هو إعادة الاعتبار للّغة بوساطة الإنسان، أمّا هدفه في الاتجاه التداوليّ فيتمثّل في إعادة الاعتبار للإنسان المعبَّر عنه بوساطة اللغة.[1]

إذا كانت دراسة المحاج من الداخل تتمثّل في اختيار الحجج وترتيبها وإيراد الأدوات المحاجية وفق معطيات اللغة الطبيعية وإمكاناتها، فإنها تتجلّى من الخارج بدراسة البنيات والوقائع المتمثّلة في: (النموذج والشاهد والمثل والتمثيل) بوصفها "بنياتٍ مستمدّة من الواقع الماضي بما يختزنه من تجارب إنسانيةٍ وأحداثٍ تاريخيةٍ أو شخصيةٍ تترجمها الحكم والأمثال والحكايات والكنايات وغيرها... [ويُشترط] أن يكون توظيفها محكمًا حتى لا تفقد طاقتها وقوتها الإقناعية، كما تختلف توظيفاتها في المحاج حسب الخصائص المميّزة لها ووفق الضرورة السياقية أو المقامية".[2] ونشير إلى أنه قد جرى حديثٌ عن مفهوم حجاجيّ يتّصل بتلك البنيات، ألا هو مفهوم المواضع، أو المبادئ المحاجية (Les Topoî) التي تمثّل معتقداتٍ وفِكَرًا مشتركةً متّفقًا عليها بين جمهورٍ واسعٍ، ويرتكز عليها الاستدلال في اللغة؛ إذ تربط بين الحجج نفسها أو بينها وبين النتائج.[3]

إنّ هذا البناء النظريّ للحجاج يعقبه بناء تطبيقيّ في مبحثي البحث نعرض فيه لحجاج الإمام الفراهي منكري النظام وأهميّته، وهو حجاج منطقي (استدلالي) لا يخلو من التأثير، يتوسّل باللغة، ويُراعي طبيعة مادّة الحِجاج، وينبني على الأسئلة والإجابة عنها.

ثانيًا: نظام القرآن: يُعدّ علم (نظام القرآن) أبرز ما قدّمه الإمام، وهو عبارةٌ عن قراءةٍ جديدةٍ لآلية تأويل القرآن الكريم، ونشير إلى أنّ له قراءاتٍ جديدةً للبلاغة العربية والإعجاز وتفسير مفردات القرآن الكريم وشأن النزول وغير ذلك، ويُعدّ (نظام القرآن)

[1] يُنظر: المرجع نفسه، ص 120.
[2] عندما نتواصل نغيّر، ص 94.
[3] يُنظر: اللغة والحجاج، ص 31. ونظرية الحجاج في اللغة، ص 380.

مركز دراساته وجِماعها، وخلاصة أفكاره، وكلّ الدراسات الأخرى تنتهي إليه أو تمهّد له أو تتفرّع عنه. نعرّف بالنظام ههنا نظريًّا استنادًا إلى كتابه (الدلائل)، وإلى (التكميل) وتفسيره (نظام القرآن) الذي يمثّل الإجراء التطبيقي لتلك النظرية أو العلم كما يأتي:

- النظام هو علم تأويل القرآن جملةً وفق وجهة نظرٍ تركيبيةٍ- التركيب له قيمةٌ عليا عند الفراهيّ، فهو أصل ماهية كلّ شيءٍ وحقيقة وجوده- ترى أنّ القرآن كالكلمة الواحدة ترتبط آياته وسوره بروابط مركزية تبدأ من الأعلى ببيان الهدف العام للقرآن الكريم، ثمّ بتوزيع سوره وجمعها في مجموعات تلتقي في معانٍ مركزية يلتقي فيها المعنى العام لكل سورة (عمود السورة)، وهذا العمود تلتقي فيه المعاني الفرعية للآيات (المطالب)، وبذلك تتحقّق وحدة القرآن ويُفهم نظامه وتتحدّد أصحّ التأويلات فيه، وتنفتح أمامنا الحِكَم التي ينطوي عليها.
- يقوم النظام على أسس الترتيب والتناسب وقوّة الوحدانية.
- يقوم النظام على أجزاء إجمالية تتمثّل في العمود، وهو المعنى المركزي الذي تجري إليه المعاني الفرعية أو المطالب، والتمهيد الذي يتقدّم بين يدي العمود ويمهّد له، والمنبج وهو الذي يحدّد جهات الخطاب، والخاتمة التي ينتهي عندها العمود. وتوجد أجزاء تفصيلية تمثّل آليات إجرائية تحقّق فهم النظام ترتيبًا وتناسبًا ووحدانيّة، ومنها: الاستدلال والتعليل والتأصيل والتفريع والتفصيل والتمثيل وغير ذلك...
- مفاتيح معرفة النظام متمثّلة في تدبّر القرآن الكريم والإيمان باليوم الآخر مع العلم باللسان العربيّ، والتدبّر هو وسيلة معرفة النظام وهو غايته.
- يرى الفراهي أنّ خلْقَ الإنسان جاء لغاية العبادة، وأنّ العبادة لا تتحقّق على وجهها إلا وفق مراد الله، ولا يكون ذلك إلا بتعلّم القرآن وتعليمه، كما جاء في أوائل سورة الرحمن، فالعلم بالنظام هو ما يحقّق التعلّم والتعليم والفهم والعبادة

وفق مراد الله، وإلا كيف افترقت الأمّة على ثلاثٍ وسبعين فرقة، فالجهل بالنظام حجب عنهم أنّ القرآن قطعيّ الدلالة.

- تتجلّى أهداف النظام في تحقيق الفهم الأمثل لمعاني القرآن والانتفاع به وتحقيق الإيمان وتكميل الفطرة الإنسانية التي سجدت لها الملائكة، وثمّة هدف جوهري آخر يتمثّل في توحيد الأمّة؛ إذ إنّ النظام يخلص إلى توحيد التأويل الذي يكون أصحّ التأويلات، فيسدّ باب الاختلاف والخلاف والأهواء التي تتسبّب في الشقاق والبغضاء كما حدث مع أهل الكتاب من قبل، والفراهي ذهب إلى أنّ نظم القرآن دليل على نظم الديانة كلها.
- أفضل طرق التأويل بالاستعانة بالتدبّر والإيمان هو تأويل القرآن بالقرآن، والمعرفة باللسان العربيّ، أما الاعتماد على السنّة والأحاديث وأقوال الصحابة وكتب الأمم السابقة فيأتي تبعًا وتوكيدًا وزيادة ثقة واطمئنانًا بما أظهره النظام.
- يجعل الفراهيّ إدراك العمود وتحقّق الوحدانية في السورة واتصال أجزائها بحيث تصبح سورة كاملة مستقلة= مرهونًا بمعرفة مساق الكلام ووجهته التي تسلك إليها أجزاؤه حتى تراها منظومة في سلك واحد، وبالجملة فالنظام هو الذي يعطي السورة وحدانيتها.[1]
- يرى الفراهيّ أنّ النصّ المراد تحليله ينقسم إلى ثلاثة أقسام: أوّلها هو تركيب الكلمة بالكلمة، وهذا هو (الجملة)، وهو مجال اشتغال نظرية النظم، وثانيها هو تركيب الجملة بالجملة، وهذا نسمّيه (النصّ الناقص) إن صحّ الوصف، وهو مجال مشترك بين أنواع الدراسات القرآنية المذكورة، وآخر الأقسام هو مجموع من الجمل يتضمن تأليفًا آخر، له دلالة على ما يدلُّ عليه أجزاء هذا التأليف من حيث الانفراد، وهذا الأخير يسمّيه الفراهيّ (الكلام)،[2] ونسمّيه (النصّ

[1] يُنظر: دلائل النظام، ص 88.
[2] يُنظر: المرجع نفسه، ص 84.

الكامل)، وهو مادّة اشتغال النظام بخاصّة، ويرى أنّ الكلام إنما هو بنظامه، فإنه يحسن أو يبلغ أقصى البلاغة لا بمحض أجزائه، بل بنظامه وترتيبه على ما ينبغي، فمن أراد أن يطلع على حسن بيانه وقوة استدلاله وتأثيره في النفوس ودلالته على مكنون الحكمة، فلا بد أن يلتمس ذلك من معرفته بتركيب جملاته، فإن ذلك حصل للكلام من مواقع معانيه وترتيبها.[1]

- يشرح الفراهيّ أحوال النصّ بحسب تردد ثلاثية التناسب والترتيب والوحدانية أو تصاحبها، يقول: "الكلام يتفاوت من جهة الوحدانية والمناسبة والترتيب، فيمكن أن يكون ذا وحدانية، ولكن خاليًا عن التناسب والترتيب، مثلًا إذا ألّفتَ كتابًا في النصائح، وقد جمعتَ فيه أقوالًا كثيرة ممَّا يتعلّق بالدين والأخلاق والمعاشرة والسياسة، فإن وضعتَ كل ذلك من غير ترتيب لم يكن خاليًا عن وحدانية ولو ضعيفة لما أنّ كله في النصائح، فله نوع من الوحدانية والشخصية المميزة، ولكنه عديم المناسبة والترتيب، فأمَّا إذا قسمته في أبواب مثلًا، باب في الدين، وباب في الأخلاق، وهلم جرًّا، ووضعت كل قسم من الأقوال في بابه، صار الكتاب متناسب الأجزاء مع بقائه على ضعف الوحدانية، فأما إذا نظمت نصائح كل قسم في قصة جامعة، كما ترى في كتاب كليلة ودمنة، صار كل باب شديد الوحدانية مع بقاء الكتاب على ضعف الوحدانية. فأما إذا راعيت حسن الترتيب والمناسبة في تقديم الأبواب بعضها على بعض، ومع ذلك جعلت الكلام في كل باب بيانًا واحدًا جاريًا إلى موضوعه مع تناسب في أجزاء الكلام صار الكتاب ذا نظام كامل. وبالجملة فلا بد لحسن النظام من أن يكون الكلام حسن الترتيب، حسن التناسب، قويّ الوحدانية".[2] فهذه الثلاثية (حُسن الترتيب وحُسن التناسب وقوّة الوحدانية)

[1] يُنظر: المرجع نفسه، ص 31.
[2] المرجع نفسه، ص 88-89.

هي المعالم الكبرى التي تحدّد مفهوم النظام القرآني، وتميّزه من غيره من الأنظمة. ولها نظير في الدراسات النصّية الغربية؛ إذ يُقيم فان دايك القسم الدلاليّ من علم النصّ أو تحليل الخطاب على ثلاثية (الترابط، والانسجام، والبنيات الكلية)،[1] إضافةً إلى القسم التداوليّ.

- تكلّم الفراهي على أجزاء النظام أو أجزاء (الكلام) المنتظم، وجعلها في ضربين: إجمالية، وتفصيلية، وذلك قوله: "اعلم أنّ الجملة كما أنّ لها أجزاء تركيبية من جهة النحو كالمبتدأ والخبر والفعل والفاعل وأقسام المفاعيل والحال والتمييز والتوابع وغيرها، فكذلك للكلام- وهو مجموع الجمل- أجزاء تركيبية، فالأجزاء الإجمالية منها: (1) العمود (2) التمهيد (3) المنهج و(4) الخاتمة.

وأمّا الأجزاء التفصيلية فمنها:

1. التعليل إما لإثبات أو لدفع شبهة. (الدليل ربما ينبّه عليه لتعليم التفكّر، وربما يذكر عرضًا لكيلا يتنفّروا).
2. التفريع ببيان الفروع، ومنه الإنتاج، ويدخل فيه الشرائع كثيرًا.
3. التأصيل ببيان الأصول، وبه ينبّه على سرّ الشرائع والاستدلال البرهاني.
4. التفصيل لمجمل، وهذا باب وسيع يفرق في مواضع لتوجيه النظر وقلّة المؤنة وتعليم التدبّر والحكمة.
5. التمثيل إمّا للتوضيح أو للتدليل من القصص وضرب الأمثال وذكر الوقائع، وبهذا يتوسّل إلى تعليم الحكمة والاستنباط.
6. إيراد المشابه من البيان، وفي هذا يُضَمّ قرين بقرينه.
7. إيراد المقابل والضدّ، ليدلّ على مقامهما، كالشرك مع الزنا، والتوحيد مع الإحسان بالوالدين وصلة الرحم.

[1] لسانيات النص؛ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 27 .

8. التنبيه بالوعد والوعيد والتحسين والتقبيح، وهو خطاب إلى القلب، كما أن الاستدلال خطاب إلى العقل".[1]

تمثّل الأجزاء الإجمالية صلب نظرية النظام أو علم النظام، لأنها ترسم الإطار العامّ للسور، في حين أنّ الأجزاء التفصيلية تتعلّق بربط الآيات، وبعضُها ذُكر في حديثنا السابق عن أساليب إدراك النظام، وهي أساليب تفصيلية جزئية تأتي في خدمة الأساليب الإجمالية الكلّية التي سنفصّل فيها فيما يأتي.

- بيّن الفراهي ماهية الأجزاء الإجمالية للكلام (النصّ)، فتحدّث عن العمود والتمهيد والمنهج، غير أنه لم يتحدّث عن الخاتمة، وترك في مكانها بياضًا كما يشير الجامع، وهذا دأبه- رحمه الله- لكثرة انشغاله، وبركة وقته، فكان يتنقّل من فكرة إلى أخرى، ومن كتاب إلى آخر، وينسى أن يتمّ ما تركه، لاحظنا ذلك في تحقيقنا كتابه الجمهرة، فعمدنا أن نسدّ الثغرات هناك.

يقول الفراهي في تحديد ماهية العمود والتمهيد والمنهج: "أمّا العمود فهو جماع مطالب الخطاب، فإليه مجرى الكلام، وهو المحصول أو المقصود منه، فليس من أجزائه الترتيبية، ولكنه يسري فيه كالروح والسر والكلام وشرحه وتفصيله وإنتاجه وتعليله، وربما يحسن إخفاؤه، فلا يطلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام والتدبّر فيه.

وأمّا التمهيد فأكثر ما يحتاج إلى تقديمه في الكلام إذا خوطب به من لعله يصعب عليه، فيُقدَّم بيان، ليُمهَّد لإلقاء ما هو المقصود، وهذا هو الأصل فيه، ولكنه يأتي على أنحاء لا تحصى، ومقادير متفاوتة ومحاسن غير محصورة، وملاك أمره ذكر كلِّ ما له تأثيرٌ في قلب السامع وعقله، حتى يصغي، ويستمع، ولا تستحسن إطالته حتى يصير أكثر أو قريبًا من المقصود، ولكن المتكلّم الماهر ربما يصرف في الكلام ما لم ينتظروه، ويدخل على السامعين من باب جديد، فربما يطيل التمهيد فإمّا يأتي

[1] دلائل النظام، ص 84.

بالمقصود بأوجز عبارة، أو لا يذكره أصلًا، ولكن التمهيد قد كفاهم، وربما يتدرّج منه إلى المقصود، فلا تكاد تفصل بينهما، وهذه أنحاء الكلام في الابتداءات لا تكاد تحصى، وربما يُترَك التمهيد، وذلك حين يُخاطَب المطيع المنقاد الفاهم، أو يلقي الأمر بالقهر والغضب، فيهجم على المخاطَب كالصاعقة، كما ترى في سورة النور والبراءة وفي كل ما خوطب به النبيّ-صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- وهذا الذي ذكرنا يتعلّق بالتمهيد من جهة الترك؛ لتعلم مقتضى الحكمة في الإتيان به والامتناع عنه.

وأما المنهج فهو مساق الكلام، وهو إما خطاب إلى النبيّ، أو إلى المؤمنين، أو إلى المنكرين، أو جامع، فإلى النبي إما بما يخصّه من التسلية والصبر والصدع بالحق".[1]

ولعلّ الفراهيّ أراد أن يُكمل فيقول: وهو إلى المؤمنين بما يثبّتهم ويبشّرهم، وإلى المنكرين بما يحاجّهم وينذرهم، وذلك كثير في كتاب الله، أمّا الخاتمة فالمراد بها ما ينتهي إليه مساق الحديث، أو هي نهاية السورة، كما أنّ التمهيد بدايتها، والخاتمة قد تناظر التمهيد من جهة الوجود أو الانعدام، وهي قد تكون بمنزلة نتيجة لما سبق، أو رابطة، أو توضيح...

إذًا نحن أمام ثلاثة معطيات لعلم النظام: مادّة الاشتغال (السياق)، والأسس البنائية (الإجراء)، والأجزاء التفصيلية والإجمالية.

المبحث الأوّل: حِجاج منكري نظام القرآن

قسّم الإمام الفراهيّ كتابه (دلائل النظام) قسمين: أوّلهما في الاحتجاج لوجود النظام وأهميته (ما يدلّ على وجود النظام في القرآن ويثبته)، والآخر في بيان أصول النظام (وما يهديك إلى معرفة النظام وطريق استنباطه)،[2] فهو كتاب حجاجيّ بمعنى الكلمة، ونحن جعلنا لكل من القسمين المذكورين مبحثًا؛ نفصّل فيهما، وكان أوّلهما

[1] المرجع نفسه، ص 85-86.
[2] يُنظر: المرجع نفسه، ص 23.

في إثبات النظام وأهميته، فما يقول الإمام في ذلك؟ وكيف يحتجّ للنظام؟

جعل الفراهي نظام القرآن مدخلًا إلى تفهيم القرآن كما ذكر وارث المظهري،[1] ولعل هذه هي غايته الأسمى، وقالها الفراهي بصيغة أخرى: هي التدبّر، وقال: إنه بالتدبّر يتّضح النظام، "وإذا اتّضح النظام كل الاتّضاح تجلّى محاسن السورة والحكمة التي هي تمام العلم والتقوى"،[2] وذكر أنّ من أهمّ الفوائد الانتفاع بالقرآن وتحقيق الإيمان وتكميل الفطرة الإنسانية التي سجدت لها الملائكة،[3] وثمّة هدف جوهري آخر يتمثّل في توحيد الأمّة؛ إذ إنّ النظام يخلص إلى توحيد التأويل الذي يكون أصح التأويلات، فيسدّ باب الاختلاف والخلاف والأهواء التي تتسبّب في الشِّقاق والبغضاء كما حدث مع أهل الكتاب من قبل.[4] فالفراهي ذهب إلى أنّ نظم القرآن دليل على نظم الديانة كلها،[5] وبذلك يحتّج لأهمية النظام وفهمه، وأثر ذلك في وحدة الأمّة، فأعظم به من هدف، وأعظم بها من حُجّة.

بدأ الفراهي من حيث انتهى سابقوه من علماء المناسبة، فوقف على حجج من ذهب إلى أنّ المناسبة ضرب من الهذر، وأنه من مزلّات الأقدام، وأنّه ليس من مهمات الدين،[6] وفنّدها ليؤكّد مشروعية المناسبة وما هو أعمّ من المناسبة، وذاك علم النظام، وبيّن أنّ الاهتمام بالنظم والتركيب ليس هو الغاية، بل هو وسيلة لتدبّر القرآن وفهم معانيه ومقاصده، يقول: "ليست معرفة نظام الكلام وروابط معاني الآيات ما هي طُلْبتنا، كل ذلك يأتيك عَرَضًا، إنما المقصود هو التدبّر في معنى القرآن الذي سبق إليه بيانه، ومعرفة

[1] إطلالة على رسائل في علوم القرآن لحميد الدين الفراهي، ترجمة: محمد معراج الحقّ البغدادي، مجلة الهند، 1/6-608/4.
[2] يُنظر: دلائل النظام، ص 21.
[3] يُنظر: المرجع نفسه، ص 26.
[4] يُنظر: المرجع نفسه، ص 17.
[5] يُنظر: المرجع نفسه، ص 46.
[6] يُنظر: المرجع نفسه، ص 29.

النظم إنما هي الوسيلة إليه"،[1] فالتدبّر هو الذي يفتح نوافذ الفهم والتأويل، وأنّ لغة القرآن لغة خاصة تميّزه من غيره، وكذلك تكون دراسته وتأويله، كما أنّ لغة الشعر لغة خاصة تميزه من لغة النثر، والحقّ أنّ هذا ما توصّل إليه الفراهي حين بيّن أنّ القرآن يدلّ على نفسه بنفسه، وأنّ الأمر يحتاج إلى فطرة سليمة واكتساب قويم.

إنّ دراسة الأساليب لغاية فنية إمتاعية محضة لا يدخل في مقاصد القرآن، وكم خلط المفسرون في تفسيراتهم؛ لأنهم لم يقفوا على الغاية حق الوقوف. نحن لا ننكر وجود الأساليب الفنية في القرآن الكريم، لكننا نؤكد أنها ذات أهداف سامية لا تفارق أهداف القرآن نفسه في عبادة الله وتوحيده، وبناء الإنسان وتوجيهه وهدايته، وليست هي لمجّرد الزخرفة أو التحسين، فينبغي الوقوف على غاياتها.

يسأل الفراهي أولئك الذين احتجبوا عن معرفة المناسبة والنظام بالغفلة؛ يقول: "لماذا أمرنا الله تعالى بالتدبّر في كتابه والتفكّر في آياته؟ وإن لم يكن هنالك معارف مكنونة فبماذا يرجع التدبّر والتفكّر فيه؟".[2] إنّ هذين السؤالين كفيلان بحِجاج أولئك، غير أنّ الفراهي استمرّ في بيان مشروعية النظام، فبعد أن تحدّث عن أهمية التركيب أو النظام ومكانته في التفهيم بيّن أن ذلك لا يكون بمعرفة أجزائه، بل بالنظر في كلّه، فإنّ ذلك حرًى أن يُطلِعَ على حسن بيانه وقوة استدلاله وتأثيره في النفوس ودلالته على مكنون الحكمة.[3] ثمّ يعتمد التمثيل، لأنه أشدّ إيضاحًا وحِجاجًا؛ قال: "فإن كنت في شكّ ممّا ذكرنا، أو أردت زيادة اطمئنان وإيضاح فاعمد إلى خطبة بليغة مشتملة على الترغيب والترهيب والحكم والأمثال والحجة والاستدلال، ثم سل عنها النظام، وقدِّم وأخِّر من غير مراعاة مواقعها، ثم انظر كيف ذهب عنها أكثر ما فيها من التقريب بين الدعوى وعللها، والتدريج من المقدمات إلى المقاصد، والتوضيح لما يقتضيه، وكل

[1] يُنظر: المرجع نفسه، ص 29.
[2] المرجع نفسه، ص 30.
[3] يُنظر: المرجع نفسه، ص 29.

ما فيها من حسن البيان وكمال البلاغة، وكل ما يشير إليها من المطالب والفوائد، أو حلَّ شبهة ناشئة أو إلماع إلى معارف تاريخية أو أخلاقية أو حكمية، ربما يكون بعضها أصلًا لمعارف جمَّة وأصول مهمة، فإن خليتها عن نظامها فربما تعود إلى قريب من الهذيان".[1] والفراهي ينظر بعين المفكّر الفيلسوف، فيرى أنّ هنالك أسبابًا اضطرت الزاهدين في معرفة النظام إلى زهدهم فيه، فرأى أنّ الوقوف على تلك الأسباب يعزّز موقفه في إثبات مشروعية النظام، فذكر:

- الأول: وهو أقوى الأسباب، تبرئة كلام الله عن كل عيب وشين، ولا شك أنه ظاهر النظام والترتيب في كثير من المواضع، ولكنهم لو ادَّعوا أنّ كله منظم، والنظم مرعيّ فيه لاضطروا في مواضع إلى القول بعدمه، وذلك لغموضه ودقّته، فتركوا هذا المسلك، ولم يحولوه إلى قصور أفهامهم، فإن ما وجدوه خلاف أصل النظم، وتيقنوا أنه لا يمكن تصوُّر نظم ما...

- الثاني: وليس بأدون من الأول، ولكن الأول يتعلّق بالمصنّفين، والثاني يتعلّق بالناظرين في كلامهم، وهو أنّ أكثر من ذهب إلى وجود النظم كالإمام الرازي- رحمه الله- فتح في هذا الأمر الصعب بما هو أهون من نسج العنكبوت مع سبقه الظاهر في العلوم النظرية والذكاء، فمن نظر في كلامه تيقّن بأنّ النظم لو كان كما يدّعيه هذا الإمام المتبحّر وأمثاله لَمَا خفي عليه مع خوضه فيه، وإذ لا يأتي هو ولا غيره إلا بكل ضعيف، فلا مطمع فيه لأحد بعد هؤلاء، فإمَّا بقي على قوله بوجود النظم، ولكن يئس من علمه، وأغلق بابه، فإن سمع أحدًا يدعوه إليه لم يسمعه، وإمّا صار إلى الرأي الذي ظنه أسلم، وهو أنّ القرآن إنما نزل منجّمًا مفرّقًا، فلا يطلب فيه نظامٌ.

- والثالث: إكثار الوجوه في التأويل، وإكثار الجدل وقال وقيل، وذلك بأنّ النظم

[1] المرجع نفسه، ص 32.

إنما يجري على وحدة، فبحسب ما تكثرت الوجوه تعذّر استنباط النظام، فمن نظر في هذه الوجوه المتناقضة والأقاويل المتشاكسة تحيَّر، لا يدري ماذا يختار منها؟ ... عدم التمسك بالنظام هو أكبر سبب للولوع بكثرة التأويل، فإنّ النظم هو الذي يوجهك إلى الوجه الصحيح، والسلف رحمهم الله لم يجمعوا وجوهًا، بل كل منهم ذهب إلى أمر واحد، وإنما شاع إكثار الوجوه في الخلف...

- والرابع: وهو قريب من الثالث، إنّ تحزّب الأمة في فرق وشيع قد ألجأهم إلى التمسك بما يؤيدهم من الكتّاب، فراق لهم تأويله الخاص، سواء كان بظاهر القول أو بإحدى طرق حمل الكلام على بعض المحتملات، ولا يخفى أن غلبة رأي وتوهّم يجعل البعيد قريبًا، والضعيف قويًّا، وكذلك يفعل كل فريق، فلكل حزب تأويل حسب مذهبه، وحينئذ لا يمكن رعاية النظام، فإنّ الكلام لا بد له من سياق، ولا بد لأجزائه من موقع يخصّه، فلو رعوا النظام ظهر ضعف ما يمليه ويجذبه إلى غير مساقه، كما أنّ الكلمة الواحدة ربما تكون مشتركة بين المعاني المتعددة، ولكن إذا وضعت في كلام منعَ موقعُها وقرائنُها من كثرة الاحتمالات، وتعيَّن منها ما وافق معنى الجملة، والتأم به...".[1]

يتحدّث الفراهي عن أهمية النظام بعد أن أثبت مشروعيته بذكر أهداف عديدة تكمن وراءه وهي:

1- "التقريب بين الدعوى والدليل، فمن فرق بينهما لم يطلع على دليل، فكيف بالتقريب؟

2- الإيقان بما قد استدل عليه ...

3- المصداق، فمن لم يعلمه خفي عليه ما نيط به من الأمور...

4- وجوه البلاغة من حسن التقسيم والإشارة وبراعة الاستهلال وحسن الترتيب

[1] المرجع نفسه، ص 35-36-37-38.

وغير ذلك.

5- زيادة الشوق والمحبة واللذة، فإنما يحصل ذلك بقدر زيادة المعرفة بمحاسن الكلام وحسن النظام وقوة الاستدلال، ومن فاته ذلك يقلق، ويتبرم به، ولو أخفاه فهو على جانب من العمى.

6- الإتيان بما أمر الله من التدبّر والتفكّر والتذكّر".[1] ونتيجة التدبّر في الفهم، ثم في الإيمان والتقوى. ثم ذكر أهدافًا أخرى في موضع آخر تحت عنوان: (الحاجة إلى معرفة النظم) أو النظام، فذكر:

أ- أنّ النظام يهدي إلى معالم الأمور وحكمها، وهذه المعالي هي الحقائق والغاية.

ب- أنّ ترك النظر في النظام ترك لمعنى القرآن معظمه، والقرآن حكمة ونور.

ت- أنّ ترك النظر في النظام يؤدّي إلى الإعراض عن تعاليم النبي- عليه الصلاة والسلام- وإلى عدم اتّباعه؛ إذ إنه بُعِث لتعليم الحِكَم كما بُعِث لتعليم الأحكام، والحِكَم إنما تحصّل بمعرفة النظام.

ث- أنّ النظام من دلائل إثبات النبوة وهو دليل إعجاز القرآن الكريم.[2]

إنّ بيان أهمية النظام لا ينفكّ عن بيان مشروعيته؛ إذ إنّ تلك الأهمية التي تحدّدت بالأهداف الجزئية المذكورة أخيرًا، والأهداف الكلّية المذكورة أوّلًا هي التي تُفضي إلى تأكيد مشروعيته، وكانت مناقشات الفراهي في الوقوف على آثار عدم الإلمام بالنظام، ثم بيان أسباب الزهد فيه، والمحاجة عن طريق السؤال والحوار والمناقشة وقانون المخالفة، كل ذلك يؤدّي بنا إلى القول: إننا أمام ذهنية فذّة فريدة، تؤمن بما تعتقده، وتتّبع السبل الفكرية المقنعة لإثبات اعتقادها، وتدأب من ذلك لخدمة الدين والبشرية.

[1] المرجع نفسه، ص 38-39.

[2] يُنظر: المرجع نفسه، ص 50-51.

المبحث الثاني: حِجاج منكري أدوات نظام القرآن ووسائله

يقع الحديث في هذا المطلب تحت سؤال الفراهي: كيف يهديك القرآن إلى نظامه وأصوله؟ والحق أنّ الفراهي جعل التدبّر المشروط بالإيمان باليوم الآخر، وجعل علم التناسب مدخلين إلى العلم بالنظام، كما ذكر أهمية العلم باللسان العربيّ والعلم بأساليب القرآن وأثرهما في ذلك.[1] وذكر أساليب إدراك النظام، وهي بمنزلة قوانين تعتمد أسلوب المقايسة والموازنة بين المتشابهات والمختلفات والمثاني في القرآن الكريم، وتتّكئ على ما أسماه الفراهي الفكر الفطريّ، وبناء تلك الأساليب يقوم على مذهبه في أنّ مأخذ النظام هو القرآن نفسه، أي هو الذي يدلّ على انتظامه ونظامه بنفسه، ومن تلك الأساليب:

- الحمل على النظائر في التركيب والنظم، وفي الربط.
- الاستدلال باللزوم والمشابه والضد والعام والخاص.
- الانتقال من تصوّر إلى آخر.
- ملاحظة الجامع.[2]
- النظر في محلّ السورة.
- الاستدلال اللغويّ.
- الاستتمام.[3]
- التفصيل والإجمال.[4]
- التلازم أو القِران.[5]
- الحذف.[6]

[1] يُنظر: المرجع نفسه، ص 13-14-15.
[2] يُنظر: المرجع نفسه، ص 43-44-45.
[3] يُنظر: المرجع نفسه، ص 60-61.
[4] يُنظر: المرجع نفسه، ص 70.
[5] يُنظر: المرجع نفسه، ص 75.
[6] يُنظر: المرجع نفسه، ص 77.

إنّ أمر التدبّر عظيم عند الفراهي، فهو أهمّ وسائل معرفة النظام، وهو الضابط الذي عرت منه ممارسات المفسّرين من قبل، وإن كان البقاعي قد أشار إليه في حديثه عن التأمّل،[1] غير أنّ الفراهي ضبطه بالإيمان باليوم الآخر، وجعله أساسًا لمعرفة ضابط علمي منهجي أسماه العمود، فقال: "اعلم أنّ تعيين عمود السورة هو أقليد لمعرفة نظامها، ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمُّل والتمحيص وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فيضيء به السورة كلها، ويتبين نظامها، وتأخذ كل آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها".[2] فالفراهي لم يختلف عن البقاعي في التسليم للفكر الفطري، وعمق التدبّر الذي يخصّ الله به ناسًا دون آخرين، وهذا الضابط يقابل ضابط علماء النص الغربيين في اعتماد قانون (المعرفة بالعالم)،[3] وهو يعني عند العلماء المسلمين (المعرفة بالله سبحانه)، فهو أمر توفيقي فطريّ، غير أنّ الفراهي اختصّ بخصيصة ميزته عن كل من سبقه هي اعتماد العمود، وهو ما سنفصّل فيه في المطلب الآتي، وما يدلّ على العمود هو سابق حديث أوردناه عن ابن العربي والزركشي في أنّ التناسب يُفضي إلى عدّ القرآن الحكيم بناءً متكاملًا أو هو كالكلمة الواحدة، غير أنهما لم يوضّحا كيفية ذلك، كما أنّ البقاعي لم يوضّح مفهوم التدبّر وكيفية تأثيره في معرفة التناسب.

إنّ وجوه إنكار وسائل النظام التي وفدتْ أو قد تَفِدُ على النظام تظهر من جهتين: الأولى الاعتماد في التأويل على القرآن دون الأحاديث أو المأثور، والأخرى الاكتفاء بالعقل أو الرأي والعلم باللسان العربي.

يرى الفراهيّ أنّ الاعتماد على الرأي أو العقل لا يخرج عن مراد القرآن، يقول: "ليستِ الحكمةُ إلا تربيةَ النظرِ والأخلاقِ، وقد استعملَ القرآنُ لذلك طرقاً شتّى:

[1] يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 11/1.
[2] دلائل النظام، ص 89.
[3] نظرية النصّ بين التنظير والتطبيق، علامات في النقد، 13/49، سبتمبر 2003م، ص 516 بتصرّف يسير.

أ- فمِن جهةِ كونِهِ مُتشابهاً ومثانيَ حثَّ النَّظرَ على الانتقالِ مِن النَّظيرِ إلى النَّظيرِ.
ب- وعلى تصوُّرِ البعضِ مِن بعضٍ آخرَ، وهما مِن طرقِ الفِطرةِ، ينتقلُ العقلُ مِنَ العلامةِ إلى ذي العلامةِ، ومِن المِثْلِ إلى المِثْلِ.
ت- حذفَ بعضَ المُقدّماتِ، فرُبَّما يذكرُ الطَّرفينِ، ويتركُ الوسطَ، ورُبَّما يكتفي مِنَ الأمرينِ بأحدِهما، ورُبَّما يكتفي مِن أربعةِ أمورٍ فيها مزدوجانِ بأمرينِ، فيأخذُ من كلِّ مزدوجٍ زوجاً. وهذا بحثُ الاستدلالِ باللُّزومِ، وهو الأصلُ الأعظمُ في فطرةِ العقلِ، ويقتضي التَّدبُّرَ والتَّفكُّرَ، وقد جاءَ في كلامِ العربِ قبلَ الإسلامِ".[1]

إنّ المعرفة باللسان العربي والتمكّن فيه مع التدبّر والإلمام الشامل بالقرآن ومعانيه هو ما يسدّد الرأي ويوضّح المعاني، فالرعيل الأوّل من العرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم إنّما فهموا القرآن من القرآن نفسه ومن تملّكهم زمام اللغة، ففهموا القرآن وآمنوا ببلاغته وإعجازه، وأمر آخر أنّ الفراهيّ رحمه الله كان يؤسّس النظام وفي ذهنه، إضافة إلى تأمين الفهم الأمثل للقرآن وتعلّمه وتعليمه، الردّ على رادّي النظام من المسلمين، والقائلين باضطراب نظام القرآن من الزنادقة، لذلك جعل القرآن هو الأساس في التأويل؛ يفسّر بعضه بعضًا، وكان الرجوع إلى السنّة والمأثور والكتب المقدّسة السابقة لتعزيز ما استبان من النظام، وللاحتجاج به على الآخرين، ويرى أنّ التفسير بالمأثور كتفسير الإمام الطبري الذي يُعدّ إمامًا في هذا الباب فيه آراء متشاكسة متناقضة،[2] وهو غير موثّق، فلا يؤخَذ منه ولا من غيره إلا ما يقبله نظام القرآن ويتوافق مع معانيه ومطالبه ومقاصده وأعمدته، فالقرآن حكمٌ على غيره، وهذا الكلام لا ينعكس، ويقول: "ترى في القرآنِ أهمَّ شيءٍ أمْرَ الآخرةِ والقرآنِ، فإنَّ العملَ لا يأتي إلا على الإيمانِ بالجزاءِ والبعثِ بعدَ الموتِ، والإيمانُ بكتابٍ يهديهم، والشُّبهةُ على هذَينِ الأمرَينِ تبقى على مرِّ الدُّهورِ. وكذلك ترى أمرَ الوحدانيَّةِ أهمَّ،

[1] دلائل النظام، ص 43-44.
[2] يُنظر: المقدّمة الخامسة من تفسير الفراهي: (تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان)، ص 39.

فإنَّهُ كالأساسِ والأبجدِ، فترى في القرآنِ هذه الأمورَ مشتبكةً ومعتورةً ومدرجةً ومندمجةً بعضَها في بعضٍ، فتجدُها كما قالَ الشَّاعِرُ:

نَطْعَنُهُمْ سُلْكَى ومَخْلُوجَةً كَرَّكَ لِأَمَيْنِ على نَابِلِ

ويلحقُ بذلك ما يُناسبُهُ كالإطاعةِ والشُّكرِ، وتفصيلِ أمورِ الآخرةِ مِنَ الجنَّةِ والنَّارِ، وحُسْنِ أحكامِ القرآنِ بذكرِها وغيرها".[1] إنّ الحديث عن حجج إثبات وسائل النظام كثيرة؛ إذ إنّ الوسائل نفسها كثيرة متشعّبة، وقد جعل الإمام الفراهي كلّ همّه ووكده إثبات النظام وأهمّيته، وسلك لذلك كل سبل الحجاج وأساليبه قبل أن يتّجه نحو إفراد تفسير خاصّ أسماه (تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان)، غير أنه لم يتسنّ له أن يفسّر القرآن كاملًا رحمه الله.

خاتمة البحث: قدّم الفراهي علمًا جديدًا هو علم النظام، وهو فوق نظرية النظم الجرجانية وفوق علم المناسبة، أسّه وسعى إلى إثباته بما أوتي من حجج في كتابه (دلائل النظام)، وله كتاب آخر في هذا الباب هو (التكميل في الأصول التأويل) إضافة إلى مقدّمات ذكرها في بداية تفسيره، وثمّة كتب أخرى تصبّ في بوتقة ذلك مثل (تاريخ القرآن) و(مفردات القرآن) وغيرهما، ولم أشأ أن أدخل في الحديث عنها خشية الإطالة، فكتاب (دلائل النظام) الذي استندت إليه لم أتمم تفاصيل حججه، والحقّ أنّ قارئ الحجج سيصل إلى يقين أنّ النظام العلم الذي أوجده الفراهي هو سبيل ممهّدة للتأويل والترجيح، فجعلت هذا البحث لبنة لبناء تصوّر واضح أقدّمه للقارئ العربي ليطّلع على تراث الإمام ويفيد منه، فالعلم إن لم يخرج للناس وينفعهم يفقد قيمته، وهذا العمل مواصلة لبحوث وتحقيقات سابقة حول تراث الإمام.

لقد بسط الإمام لنا معاني القرآن كما فهمه الرعيل الأوّل بحسب ما يرى بالاعتماد على الفهم الثاقب للقرآن وللسان العرب، بالتوسّل بالإيمان والتدبّر، كما بدا أنّه يميل

[1] دلائل النظام، ص 133.

إلى رجال ذلك الزمان ويقدّسهم ويفتخر بأخلاقهم وفهمهم وسجاياهم وبلاغتهم، وخصّ لذلك مقدّمة في تفسيره بعنوان (المعروف ما عرفته العرب صالحًا، والمنكر ما أنكرته) فهم الذين اصطفاهم الله سبحانه لحمل رسالته الخاتمة والخالدة، وكان يؤيّد الجاحظ في بيان فضل زمانهم ومكانهم وسجاياهم وبلاغتهم، وأنّه قد خلفَ من بعدهم خلْفٌ خرجوا عن سيرتهم وأبعدوا وخلطوا عملًا صالحًا وآخر سيّئًا. فالقرآن بيّنٌ نزل بلسان عربيّ مبين، وتعهّد الله ببيانه فقال: "ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾" (سورة القيامة: 19) إنّما اختلفت الآراء في فهمه وتأويله عند المتأخّرين لمّا غاب عنهم فهم نظامه، فأكثروا من التأويلات التي تسير على غير هدى، وتخضع للاعتقادات البشرية الفاسدة التي تُحيل إلى معتقد المؤوّل، ولا تخضع لنظام النصّ القرآنيّ أو لمراد الله، فالإمام ربط معرفة النظام بحفظ الديانة وصلاح الأمّة ووحدتها، فحسبه ذلك من شرف، وكفاه من حجّة، فبدا الإمام من خلال طرح الأسئلة والإجابة عنها فيلسوفًا حجاجيًّا يمتلك طاقات استدلالية، ومبعث ذلك كلّه فيما ظهر لي من ثقافته الواسعة ومن إيمانه بما يقدّمه من أفكار ونظريات وعلوم أيّد بعضها بعضًا، وقبل كلّ شيء من توفيق الله وهداه، ألم يقل سبحانه: "إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾" (سورة يونس: 9). ولا يُزكّى على الله أحد. وآخر دعوانا أنِ الحمد لله.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. أبو بكر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
3. الجرّاح، عامر: الإجراءات التداوليّة التأثيريّة في التّراث البلاغيّ العربيّ بين التّأويل والحِجاج والإنجاز، دار سنابل، إسطنبول، ط1، 2019م.
4. جمعة، خالد محمود: نظرية النصّ بين التنظير والتطبيق، علامات في النقد، ج49، م13، سبتمبر 2003م، ص 516 بتصرّف يسير.
5. الحباشة، صابر: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، الإصدار الأول صفحات للدراسات والنشر، دمشق 2008م.
6. الريفي، هشام: الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب (أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، المجلد 39، سلسلة آداب كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة، تونس، د.ت.
7. صولة، عبد الله: الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال (مصنّف في الحجاج، الخطابة الجديدة) لبيرلمانوتيتيكا، ضمن كتاب (أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، المجلد 39، سلسلة آداب كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة، تونس، د.ت.
8. طروس، محمد: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2005م.
9. الطلبة، محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008م.
10. الطلبة، محمد سالم محمد الأمين: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، فضاءات ع8- منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس،

الجماهيرية العظمى، ط1، 2004م.
11. العزاوي، أبو بكر: الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، المغرب، ط1، 2007م.
12. العزاوي، أبو بكر: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 2006م.
13. عشير، عبد السلام: عندما نتواصل نغيّر، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006م.
14. عمارة، ناصر: الفلسفة والبلاغة؛ مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفيّ، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009م.
15. الفراهيّ، عبد الحميد: تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، ط1، 2008م.
16. الفراهيّ، عبد الحميد: دلائل النظام (ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن)، جمعها: بدر الدين الإصلاحي، الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، 1388هـ.
17. القارصي، محمد علي: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ضمن كتاب (أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، المجلد 39، سلسلة آداب كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة، تونس، د.ت.
18. المبخوت، شكري: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب (أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، المجلد39، سلسلة آداب كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة، تونس، د.ت.
19. محمد خطابي: لسانيات النص؛ مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ط1، 1991م.
20. وارث المظهري: إطلالة على رسائل في علوم القرآن لحميد الدين الفراهي، ترجمة: محمد معراج الحقّ البغدادي، م6، ع1-4، مجلة الهند، الهند يناير– ديسمبر 2017م.

ISSN: 2321-7928

انتقادات العلّامة الفراهي للإمام عبد القاهر الجرجاني في كتاب "جمهرة البلاغة"

(عرض وتقويم)

- د. يوسف طفيف الدعدي[1]

المستخلص

تتلخص فكرة البحث في جمع الاعتراضات والانتقادات المتفرقة التي وجّهها العلامة عبد الحميد الفراهي للإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه "جمهرة البلاغة"، وإفرادها بالمباحثة والتحري والمناقشة العلمية النابعة من المنطلق البلاغي والإجراءات المنهجية التي عالج بها العلماء قضاياهم في الدرس البلاغي والنقدي، فالفراهي عالم مجتهد وله نظرات واجتهادات في مسائل ومباحث هذا العلم، تناولها تناولًا مغايرًا لما كان معهودًا من قبل في المنطلق والرؤية والتقسيمات، وكانت له مآخذ واعتراضات عديدة على الإمام عبد القاهر الجرجاني في تحقيق مسار هذا العلم، بعضها في قضايا الأصول العلمية وبعضها في فروع المسائل والمباحث، وقسم منها في تحليلاته الفنية التذوقية.

وهذا البحث قصد الوقوف على أصول تلك المسائل وفروعها، وتحرير أفكارها ونقدها وتقويمها بميزان الإنصاف؛ سعيًا للوصول إلى الرأي الصواب، متوسلًا بالمنهج الوصفي للخطاب النقدي وفق منهجية نقد النقد.

ويهدف البحث أيضًا، إلى التعريف بجهود الإمام الفراهي وإبراز مكانته العلمية، ووضعها في مكانها من الدرس البلاغي، والتعريف بكتابه "جمهرة البلاغة" وإلقاء الضوء عليه وكشف ما فيه من جديد، فهو عالم جليل لم يشتهر ويعرف عند البلاغيين

[1] أستاذ مساعد، كلية العلوم والآداب بالمندق بجامعة الباحة

العرب على الرغم من جهوده المبذولة في هذا الحقل.

الكلمات المفتاحية: انتقاد، الفراهي، الجرجاني، جمهرة البلاغة، النقد.

المقدمة

الحمد لله حمدًا يزع في النفس مهابة وإجلالًا لعظيم صنعه وبديع ملكوته، والصلاة والسلام على الهادي البشير، ومعلّم الناس الخير، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد.

فلا تزال البلاغة الرافد الأول لتبيُّن وفهم معاني كتاب الله والكشف عن الطرق المؤدية إلى تحقيق مراد الشارع الحكيم، وهو علم يتجدد بتجدد عقول العاملين في حقله؛ بالمدارسة لأصوله وفروعه عبر توالي الأزمان والحقب؛ وإنمائها لتبلغ غاية نطاقات الكلام والمعاني التي يؤمها البشر؛ ليبينوا عما في نفوسهم من معانٍ وخواطر وأفكار وتصورات ومفاهيم.

وأخذ العلوم من المشتغلين بها، والرد عليهم أو الاعتراض مع المناقشة المستحكمة لأصول المعرفة، هو سبيل أهل العلم في الارتقاء بالمعارف والعلوم إلى الوصول للنضج والكفاية، لاسيما عند من يشهد لهم بالريادة في هذا الحقل. وعبد القاهر إمام العربية الأول في الحقل البلاغي، ومؤسس نظرية النظم في المعاني وباسط علم البيان، عرفت له طريقته ومنهجه في ترتيب مفردات وفصول هذا العلم، وإقامة أصوله ومباحثه حتى استوى على سوقه، ثم جاء السكاكي ورتّب أبوابه وفصوله على الطريقة المعروفة إلى يومنا هذا، من معانٍ وبيان وبديع، وما ينضوي تحت كل فرع من هذه الفروع من أبواب ومباحث، وجاءت من بعده الشروحات لتغنيه وتمتد به عبر الأزمنة ومستجدات الحياة ومقتضياتها، فكانت هناك اجتهادات مختلفة لعلماء البيان في الدرس البلاغي، نحت بعضها في حقول التفسير ونمت وترعرعت هناك بين آي الذكر الحكيم وإماطة اللثام عن لطائف المعاني ودقائقها وكشف

أسرارها البيانية في محكم التنزيل، ومنها ما اقتصرت على المدارسة والمفاتشة، فأغنت المتون بالحواشي والشروح، وثبيت المادة العلمية في عقول الناشئة وطلبة العلم وفق التصور المتبع لفروع علم البلاغة. وعلى هذين النهجين سارت البلاغة زمنًا ممتدًا إلى عصرنا الحديث مع بعض المحاولات في التجديد في روحها أو بالخروج عن هذا الإطار نوعًا ما.

وفي العصر الحديث اتسعت دائرة الاهتمام بعلوم العربية وارتقت وتطوّرت في المعاهد والجامعات النظامية الحديثة في كافة أنحاء المعمورة، فكان لعلماء الهند اهتمام ظاهر باللغة العربية والدرس البلاغي، وكانت لهم اجتهادات في تجديد علوم العرب ومن طلائع هؤلاء المجتهدين العلّامة عبد الحميد الفراهي، فهو أحد المبرزين الذين كانت لهم جهود حثيثة في شبه القارة الهندية في بحث مسائل هذا العلم وأبوابه وفصوله، تناولها بطريقة مغايرة في تقسيماتها ومباحثها لما كان معهودًا من قبل، وكانت له اجتهادات في بعض مسائله، وله مآخذ واعتراضات وانتقادات عديدة على الإمام عبد القاهر الجرجاني خاصة، وبعض الاعتراضات النادرة على غيره من العلماء كالباقلاني والزمخشري في تحقيق مسار هذا العلم.

من هنا نشأت فكرة البحث المتلخصة في جمع الاعتراضات والانتقادات المتفرقة التي وجّهها العلّامة الفراهي للإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه "جمهرة البلاغة"، وترتيبها وسردها بصورة واضحة في صعيد معرفي واحد، ومناقشتها مناقشة علمية نابعة من التصور البلاغي العربي والكيفية التي عالج بها العلماء القضايا البلاغية والنقدية، مبيّنة عن أصول تلك المسائل، وتحريرها وعرض أفكارها ونقدها نقدًا منهجيًا بميزان الإنصاف والاعتدال والاتزان؛ بغية الوصول إلى الرأي الصواب، متبعة في ذلك المنهج الوصفي للخطاب النقدي وفق منهجية نقد النقد.

ويهدف البحث أيضًا، إلى التعريف بجهود الإمام الفراهي وإبراز مكانته العلمية، ووضعها في مكانها من الدرس البلاغي، والتعريف بكتابه "جمهرة البلاغة" وإلقاء الضوء عليه

وكشف ما فيه من جديد، فهو عالم جليل لم يشتهر ويعرف عند البلاغيين العرب على الرغم من جهوده المبذولة في هذا الحقل؛ وله جهود بارزة في قضية النظم القرآني وتناسب العلاقات، كما له عناية خاصة بالتفسير القرآني مكّنته من الريادة في هذا الباب.

الدراسات السابقة: يمكن أن أورد أهم الدراسات التي تناولت جهود الفراهي البلاغية، وهي دراستان:

الدراسة الأولى: التي قدّمها الدكتور أحمد مطلوب، رحمه الله، في المجمع العراقي وقد استعرض فيها جهود العلامة الفراهي البلاغية، وقدّم فيها ورقة مختصرة نسبيًا، أبان فيها عن سيرة هذا العالم، مجملًا أهم القضايا البلاغية والنقدية التي تناولها في كتابه "جمهرة البلاغة"، ثم لفت إلى الطريقة الجديدة التي قسّم بها البلاغة إلى قسمين عمومي وخصوصي، وكانت هي أشد ما لفتت إليه.

وعلى الرغم من أنه ردّ على بعض انتقادات الفراهي الشديدة على عبد القاهر الجرجاني؛ كمسألتي أعجمية المنهج وتأثره بأرسطو في التأسيس البلاغي، ومسألة بعده عن الذوق في اختيار بعض تشبيهات المولدين وأن الندرة والبعد في التشبيه من محاسنه عنده، وجمعه التشبيهات الرديئة. إلا أنها لم تكن ردودًا مستفيضة علمية مستقصية لأبعاد القضية وعمقها؛ وإنما كانت إشارات مقتضبة يلفت بها الباحثين للرد عليها؛ كأن يقول في القضية الأولى: وهذا إسراف في الحكم على بلاغة عبد القاهر الجرجاني التي لم تكن أعجمية كما قال الفراهي، وإنما هي قرآنية، فضلًا عن أنّ عبد القاهر لم يكن جاهلًا بكلام العرب نحوًا وأسلوبًا، وهو النحوي الذي ترك كثيرًا من الكتب في بلاغة القرآن، والنحو والصرف والعروض وغيرها، ثم يحيل على بعض المراجع في ذلك.[1]

وفي رده على المسألة الأخرى يقول:[2] "وكلام الفراهي باطل، لأنّ التشبيهات التي ذكرها

[1] مقال" جمهرة البلاغة والعلامة الفراهي، د.أحمد مطلوب، موجود على شبكة الحاسب:http://www.al-edu.com/wp-content/uploads/2013/12/islamic-23.pdf

[2] المرجع السابق.

الجرجاني من الروائع، وكان تحليله لها أكثر روعة وبيانًا" ولا يتجاوز ذلك كثيرًا.

الدراسة الثانية: وهي مقالة بحثية مطوَّلة نشرت للدكتور صالح بن سعيد الزهراني في مجلة عالم الكتب السعودية، كشف فيها عن سياسة التفكير البلاغي عند الفراهي، وعن الرؤية الخاصة لبنائها، واستعرض لأهم تقسيماته والمفردات التي شكّل بها رؤيته البلاغية. وعلى الرغم من تقصي المقالة البحثية لعمق التفكير البلاغي عند الفراهي وكشفها عن العديد من الجوانب التي تميز فيها؛ كاستراتيجيته في الإبداع، وكشفه عن منهجه في إنتاج المعرفة، فإنها لم تتصدّ بالرد الموجه لآرائه البلاغية التي جاءت في ثنايا كتابه أو التي انتقد فيها العلماء بمن فيهم عبد القاهر الجرجاني، فذكر الدكتور صالح في آخر المقالة البحثية، بأن الفراهي وفّق- بحسب رأيه- "في كثير من الرؤى النقدية. وجانبه الصواب في رؤى أخرى انطلاقًا من تصور غير دقيق للقضية، أو وقوعًا تحت سلطة قراءة إسقاطية فرضت على الفراهي النتيجة قبل عرض المسائل والمواقف، كما حدث في نقده لسياسة البلاغة عند عبد القاهر الجرجاني التي يقلدها وينقدها".[1]

الفراهي، حياته وجهوده العلمية: هو عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي، حميد الدين أبو أحمد الأنصاري الفراهي، نسبة إلى (فريها) قريته التي ولد فيها عام 1280هـ. فعرف بها، روي أنّ أصوله ترجع إلى المدينة المنورة من أسرة أنصارية كريمة عرفت بالمكانة العلمية والاجتماعية والفضل ثم إلى أفغانستان، فأقاموا بها زمنًا في (فراه) فلما انتقلوا إلى هذه القرية في الهند سمّوها باسم موطنهم، وتعرفت على ألسنة الناس إلى فريها.[2]

بدأ تحصيله العلمي في منزله فحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، ثم تعلّم اللغة الفارسية

[1] سياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي، د. صالح الزهراني، مجلة عالم الكتب، السعودية، العدد 3-4، يناير ٢٠٠4م.

[2] مقال "ترجمان القرآن مولانا حميد الدين فراهي"، الدكتور شرف الدين الإصلاحي، مجلة "معارف"، عدد رجب 1411هـ، ص 88.

في منزله أيضًا وامتلك ناصية البيان فيها، فقرض بها الشعر وجارى بها شعراءها الفحول، ثم بدأ في تعلّم اللغة العربية، فانتقل من قريته إلى مدينة (أعظم جره) وقرأ فيها أكثر كتب الدرس النظامي على العلّامة شبلي النعماني، ثم توجه إلى مدينة (لكناؤ) وحضر فيها دروس الشيخ عبد الحي الأنصاري، كما أخذ المنطق والمعقولات عن الشيخ فضل الله نعمة الله الأنصاري. ثم نهل الأدب العربي على يد العالم الأديب فيض الحسن السهارنفوري، فقرأ عليه الأدب العربي بصفة شخصية وكان قريبًا منه، وفي عام 1300هـ، بدأ يتعلم اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة في كلية (علي جره) والتي تطورت فيما بعد فأصبحت (جامعة علي جره)، وقد عني الفراهي بالفسلفة الحديثة ونال فيها درجة الامتياز، وقد درسها على يد المستشرق الإنجليزي (توماس أرنولد) الذي كان من أساتذة الكلية.[1]

تولّى الفراهي بعد إكمال دراسته مناصب عدة في التعليم، فعيّن مدرسًا للعربية والفارسية بمدرسة الإسلام بكراتشي، ثم عيّن أستاذًا مساعدًا للعربية في كلية علي جره، والتقى هناك مع المستشرق اليهودي الألماني (جوزيف هوروفيتس)، فتبادلا الاتصال المعرفي، حيث أخذ الفراهي عنه اللغة العبرانية، وأتمّ المستشرق العربية على يديه. ثم عيّن الفراهي أستاذًا للعربية بجامعة الله آباد، وأصدر تفسير سورة التحريم، واختير عضًوا في اللجنة العربية للعلوم الشرقية، ولما اقترح سنة 1331هـ تأسيس جامعة عالمية في المدينة المنورة، كان هو والعلّامة شبلي النعماني من بين العلماء الذين اقترحت أسماؤهم للتدريس فيها.

كان الفراهي أحد المؤسسين للجامعة العثمانية بحيدر آباد، وهو الذي اقترح أن يكون تدريس العلوم الشرعية باللغة العربية، والعلوم العصرية باللغة الأوردية واستجابوا لمقترحه الثاني ولم يعملوا بالأول. وهناك بدأ رحلته في جني ثمر العلم والتأليف فكتب

[1] ضمن مقالة في صحيفة الداعي، الأستاذ عبد الماجد الدربادي، عدد 3 ديسمبر، 1979م.

مجموعة كتب منها، مقدمات تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" بحيدرآباد، وكانت له حلقة أسبوعية لتفسير القرآن الكريم يحضرها العلماء والباحثون وطلبة علم القرآن، ويعرضون عليه أسئلتهم فيجيب عنها. ثم استقال من منصبه في عام 1337هـ، وعاد إلى وطنه وهو ابن خمس وستين من عمره، ليتفرغ في مدارسة القرآن والنظر في محكم آيه وبراعة نظمه، منصرفًا عن الدنيا وشواغلها.[1]

مكانته في العلوم العربية والبلاغة: برع الفراهي في علوم العربية وكانت له تحقيقات واستدراكات في كل فرع من فروعها من لغة، ونحو، وعروض، وكان في البلاغة إمامًا، فكانت له اجتهادات معدودة في كتابه "جمهرة البلاغة" الذي نحن بصدده، حاول أن ينقض فيها الأساس الذي يقوم عليه هذا العلم عند اليونانيين منذ أرسطو فيما يعرف بالمحاكاة، فيرى أنّ البلاغة العربية قد تأثرت تأثرًا كبيرًا بهذه النظرية الدخيلة، لذا كان يدعو إلى إعادة بناء علم البلاغة على أسس منبثقة من القرآن الكريم وكلام العرب الأقحاح.

منهجه في كتابه "جمهرة البلاغة": للفراهي عناية خاصة بعلم البلاغة، وكان دافعه إلى ذلك منطلقه الديني وغيرته الإسلامية الدافقة في دمائه، فهو يرى أنّ الحكمة الإلهية إنما تتحقق من خلال البحث عن أوليات علم البيان، وكان يرى فرقًا ظاهراً بين العرب والأمم الأخرى في التعاطي مع أصول هذا العلم، وذلك أنّ منشأه عند الأمم الأخرى غاية دنيوية خالصة، أما عند العرب فهو مختلف، فقد نشأ في أحضان علوم الشريعة من تفسير وإعجاز قرآن وحديث وعلم كلام ... فدأب يسعى إلى إعادة تأسيس هذا العلم وفق هذه الرؤية، علمًا بأنّ المتقرر أنّ هذا العلم إنما نشأ في بيئة العرب وثقافتهم، ولعلّه أدرك الفرق في نشأة أصول هذا العلم بين العرب وغيرهم من الأمم الأخرى، ولكنه رأى تأثرًا من منطلق ما ببلاغة اليونانيين، واجتهد فحاول فيه، كما أسلفنا، أن يعيد بناءه على أساس

[1] راجع: جمهرة البلاغة، عبد الحميد الفراهي، 40-10.

منبثق من القرآن الكريم وكلام العرب الأقحاح، كما اجتهد في ترتيب مفردات هذا العلم بطريقة جديدة غاير فيها طريقة شراح التلخيص في تقسيمهم المعروف الذي يقوم على تقسيم البلاغة إلى ثلاثة فروع رئيسية، علم معان ومباحثه الثمانية، وعلم البيان، وأقسامه الثلاثة التشبيه والمجاز والكناية، وعلم البديع بشقيه اللفظ والمعنوي.

وهذه المغايرة تقوم على تقسيم هذا العلم إلى قسمين رئيسيين، عمومي وخصوصي، فجعل تحت القسم العمومي: البحث عن مكانة هذا العلم ونسبه، وانضوى تحت هذا القسم تفريعات كثيرة، فبدأ بصعوبة الكلام ومعرفة محاسنه، والفرق بين بلاغة العرب وبلاغة العجم، ثم شرع إلى علم البلاغة وفصّل القول في التفريق بين حدّ الشعر والخطابة، والنثر البليغ، ورسم طريقًا مفضية إلى رحاب البلاغة وذلك من عدة سبل، فجهة من استعمال الألفاظ، وجهة من استعمال الصوت، وجهة من اختيار المعاني، ثم جعل قسمًا في تصوير الشيء بالتشبيه والاستعارة والتمثيل والمجاز، ثم وقف على دلالة التشبيه والقول الباطل فيه، وحرّر بابًا في الأصول العامة للبلاغة وجعلها قائمة على الاعتدال في الكلام، ومطابقته للمعنى والابتعاد عن سذاجة القول، والحرص على الترتيب في بناء جمل الكلام واستخدام المقابلة في المعاني والألفاظ، والتعرف على درجات المعاني والتمييز بينها، وتنقيح الألفاظ، ومعرفة أصول الإيجاز والإطناب، وادخار الأساليب البيانية وسعة الألفاظ حتى تصل إلى منبع الكلام الذي لا ينضب معينه.

أما القسم الخصوصي: فقد جعله أدقّ شأنًا في تصريف معاني الكلام وتصويرها، فابتدأها بدلالة الوصل في معاني الكلام من خلال الحذف أو التقديم والتأخير، وصحة التصوير، ثم بدلالة الفصل بين جمل الكلام وإقامة تتمة الكلام من خلال تصوير الخيال، وهو من أحسن أساليب الإيجاز عنده، فبه يوصل مقطوع الجمل وتسد ثغرات المعاني. ولعل من جميل التفاتة الفراهي في بناء منهج كتابه أنْ جعل للسامع حظًا من ذلك في بلاغة المتكلم، كأن يلقى عليه بالاستفهام كي لا يذهب المعنى من ذهنه، والسكوت عنه ليستريح خاطره

فلا يملّ، وأن يقصد له بحذف بعض الكلام ليتشارك مع المتكلم في بناء المعنى ويعمل عقله معه، والالتفات إليه ليتنبه ويشعر بالمعنى حين يلقى، ومنها التمثيل بالمشاهد المحسوسة ليستيقظ من غفوته، ثم تحدث عن دلالة الحذف، ويقصد به حذف المسند أو المسند إليه من الجملة، ومن الموضوعات التي تميز الفراهي في عرضها، قضية الترتيب في نسق الجملة فقسمها على مثال قرآني فريد، فجعل لها وجوهًا، منها: الصاعد والهابط، ومنها: التقابل، ومنها: رعاية التناسب والجمع بين المتقابلين. وفصّل القول في المقابلة بعد أن أجمله في القسم العمومي، وعقد بابًا في انتهاز فرصة القول وضرب لها أمثلة وشواهد من القرآن الكريم والشعر الجاهلي، وهو ما يشبه الجملة المعترضة بين أطراف الكلام، وتحدث عن دلالة المجاز في الأزمنة، ولفت لفتة بارعة في ما يسمّى بلسان الغيب؛ وهي الأقوال التي لا يذكر قائلها كأن الحقيقة نفسها تمثّلت وقالت، ومثالها من القرآن قوله تعالى: "فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا"... "بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ "،[1] وجعل تحت هذا القسم أيضًا الإشارة والكناية والتعريض.

ثم عقد فصلًا خاصًا لمّ فيه ما تفرق من المباحث البلاغية، كصرف الكلام عن سنته، والجمل المعترضة، والتمييز بين حسن الكلام وقبيحه، وبيّن أنّ روح البلاغة وسرّها تكمن في صدق القول والبعد عن الكذب وضعف الرأي، وضعف الاعتقاد فيما يقوله المتحدث، والجرأة في القول وإظهار القوة...، وتحدّث عن كمال البلاغة والإعجاز، وجعلها: كامنة في جهة معرفة اللسان وأساليبه، وجهة القدرة على سلاسة القول ومطابقته للمعاني التي في صدر القائل، وتحدّث عن مناط محاسن كلام العرب التي تكمن في صحة التأثر ووضاحة التصوير وإصابة التعبير، كما تحدّث عن أخلاق العرب وقواهم العقلية والكلامية وفي قدرتهم على الارتحال، وبين مذهبهم في نقد الكلام، وعقد بابًا لطيفًا في التمرين على النقد واختزله في السرقات الشعرية، وتحدّث

[1] سورة الأحقاف: 24.

في خاتمة البحث عن الفواصل والقوافي في الشعر وفيها ظهر حسّه النقدي.

حاول الفراهي إعادة تأسيس مباحث هذا العلم، فوقف على العديد من القضايا البلاغية وكانت له آراء مختلفة عارض فيها عبد القاهر الجرجاني، وقد صرح فيها بنقده الشديد له، ابتداء من فكرة التأثر والتأسيس، مرورًا بقضايا التأصيل العلمي ومباحث هذا العلم، وانتهاء بتتبعه في تحليلاته الفنية التذوقية وسأبدأ بعرض الانتقادات أولًا، ثم مناقشتها ونقدها وتقويمها.

أولًا: عناية عبد القاهر الجرجاني بشعر المحدثين، وقلة الأخذ عن شعراء العرب الأقحاح: رأى الفراهي أنّ طريقة عبد القاهر في استخلاص مسائل البلاغة لم تسرْ على هدي عربي حُقّ، فقد بعدت عن ذلك السنن، وقلّ استشهاده بكلام العرب الخلص، وكثر عنده الاستشهاد بأشعار المحدثين، مما يوحي بميله إلى تفضيل أساليبهم. إذ يقول: "إنّ علماء الإسلام أقبلوا على هذا الفن (البلاغة)، لأجل الكشف عن إعجاز القرآن، فلو أنهم استقصوا كلام العرب، واقتفوا آثار المحاسن فيه، وقيدوها بالحدود، ونظموها في ترتيب حتى يصير لهم ميزانًا ومحكًّا لمعرفة محاسن الكلام، ثم نظروا في بلاغة القرآن ونظمه المعجز لكانوا أقرب إلى معرفته، لكنهم لم يأخذوا من العرب ولا من كلامهم، فإنهم أثرت فيهم علوم العجم، كما خالطتهم سجاياهم، إلا الأولين منهم كالجاحظ، فإنه لا يبعد عن سنن العرب، كبعد صاحب "دلائل الإعجاز"، ولم يبعد هذا إلا لقلة ممارسته لكلام العرب الخلص- فلو تيسّر له ذلك، عرف منزلتهم في هذه الصناعة، واعترف بفضلهم على المولدين".[1]

ولا أدري ما الذي هيّأ تفكير الفراهي للميل بهذا القول في تكوين عبد القاهر البلاغي وتأسيسه لمباحث هذا العلم وفصوله، وهو يقف بين يدي أسراره ودلائله، هل هو المدخل الزمني مثلًا، كتأخر عبد القاهر عن زمن السليقة اللغوية وحجية

[1] جمهرة البلاغة، ص 61-60.

اللسان العربي في القرن الأول والثاني مثلًا؟، أم أنه رأى كثرة ركون عبد القاهر في استنباطاته وتقعيداته والاستشهاد بأبيات الشعراء الذين سبقوا عصره وعاشوا في العصور المتأخرة نسبيًا عن زمن العرب الخلص في الجاهلية وزمن المبعث، كابن المعتز وأبي تمام والبحتري والمتنبي ...؟، أو أنه رأى في كلام عبد القاهر و تأصيله شيئًا من العجمة والتأثر بلسان العجم ؟!.

والفراهي صاحب طبيعة استنباطية غالبة على سجيته الاستقرائية، إذ إنه كثيرًاما يلقي بأفكاره وآرائه في المسائل البلاغية ويلحظ عليها التطلع إلى أفق جديد، وله زاوية مختلفة نسبيًا في النظر إذ يرى بضرورة اقتصار هذا العلم على استنباط تقعيداته الأصولية من الأساليب القرآنية وشعر الشعراء الجاهليين، وربما نقبل من المجتهد اجتهادَه وإن خالف ما استيقنّاه في العرف البحثي البلاغي، لأنّ هذا الرأي إنما نبع نتيجة بحث وتأمل وإحاطة وطريقة تفكير، لذا ربما أتفهّم أنّ دافع هذا الرأي كان وراءه، كثرة استشهاد عبد القاهر بشعر المتأخرين، وشيوع أبيات الموالي من الشعراء والمولدين كبشار بن برد وأبي نواس وأبي الوأواء، وهذا هو الراجح؛ على الرغم من أنّ شواهد عبد القاهر الشعرية في مباحثه المتفرقة تفيض بنماذج الشعراء الجاهليين ومن في حكمهم، لأنه عقد بابًا في آخر الكتاب للتمرين على النقد، يقول فيه: "نورد في هذا الباب، من معانٍ أخذها المولدون من السلف. فترى كيف طمسوا حسنها ورونقها"،[1] ويقصد بالمولدين المحدثين كالمتنبي، ويقصد بالسلف الشاعر بكر بن النطاح،[2] وهو من شعراء القرن الثاني الذي توفي 192هـ، أي ليس من عصر الاحتجاج على وجه الدقة.[3]

فالفراهي يرى أنّ الطريقة المثلى في صياغة علم البلاغة، هو استقصاء كلام العرب الخلص الأقحاح واقتفاء آثار المحاسن فيه، وأن يقيدوا تلك المحاسن بالحدود والتعريفات وينظموها

[1] المرجع السابق، ص 215-214.
[2] الأغاني، 13/19.
[3] الأعلام، الزركلي، 71/2.

حتى يصبح لهم ميزانًا ومعيارًا لمعرفة محاسن الكلام، ثم ينظروا في براعة القرآن ونظمه المعجز".[1] وهو يرى أنّ خير مَنْ مثّل هذا المذهب الجاحظ، ويتمثل بمقولته التي صدّر بها مباحث بيانه وتبيينه حين قال: "لم أجد في خطب السلف، الأعراب الأقحاح ألفاظًا مسخوطة، ولا معاني مدخولة، ولا طبعًا رديًا ولا قولًا مستكرهًا. وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين وفي خطب البلديين المتكلفين، ومن أهل الصنعة المتأدبين، وسواء ذلك على جهة الارتجال والاقتضاب، أو كان من نتاج التخيّر والتفكر".[2]

وكان انتقاد الفراهي لعبد القاهر شديدًا في هذه المسألة، حينما فرّط في الاقتضاء بهذا السبيل وخالف طريق الجاحظ، على حد تصوره!.

كانت غاية عبد القاهر التأسيس لملكة بيانية يُهتدى بها إلى معرفة مواطن الإعجاز وإدراكه في كلام الله، وكان يهدف إلى تأسيس علم بياني، يقوم على طريقة الصناعة والتدقيق المعرفي، فلا يكتفي في مثل ذلك بالتبويب في شواهد البيان وحسن التأني لضروب المعاني، وجمع الملح والنوادر، دون صناعة ثقافة بيانية تقف على معالم الحسن وإدراك الفروق بين بيان وبيان وأسباب التفوق بين مقام ومقام في أداء المعنى الواحد، وهذا يحتاج إلى التأطير المعرفي لتدريب ملكة اللسان وتقويمه، ووضع اليد على الأسباب والعلل التي تؤدي إلى أسباب التفوق في إبراز المعاني ومعرفة الفروق اللغوية والأسرار والدقائق البيانية.

والحق أنّ عبد القاهر من أكثر علماء البيان تأثرًا بالجاحظ، فما نتاج معرفته إلا مرحلة متطورة تمخضت من أدب الجاحظ وحسن درايته بالشعر ونقده، وحديثة عن البلاغة والفصاحة والبيان. وهذا متواتر عند أهل العلم والاختصاص،[3] ثم إنّ علم البلاغة فنّ ممتد بامتداد فنون الكلام وإيراد المعاني على ألسنة البلغاء وحذاق الكلام، وليس هو

[1] انظر: جمهرة البلاغة، ص 60.

[2] البيان والتبيين، 2/9-8.

[3] مدخل لكتابي عبد القاهر الجرجاني، ص 50-19.

كعلم صناعة النحو واشتقاق اللغة، مثلًا، ليقف على مرحلة زمن الاحتجاج وفصاحة أهل السليقة اللغوية لاستخلاص قواعده وأصوله اللسانية واستنباطها من بيانهم العالي وألفاظهم الفصيحة وطرائقهم التي لم يخالطوا فيها الأعاجم.

البلاغة تدور على جهات الحسن في تأدية المعاني، فليس لها عصر محدّد، وإنما يعتد فيها بكل أسلوب حيّ راقٍ حتى لو أتى بها المحدثون فيمكن أن يقاس عليهم في ذلك. ثم إنّ أكثر لفتات عبد القاهر في مسائله البلاغية إنما هي ومضة لمعت في غرر الشعر فصيّرها بذكائه وقوة بصيرته قاعدة بلاغية تجري في كلام البشر، وأبعد من ذلك، أنّ عبد القاهر لم يقف فقط على أقوال الشعراء ليستنبط منهم أصول قواعده في مسائل البلاغة ومعاني النحو... بل كان يمتد فيدخل الكتب العلمية المتميزة دائرة البيان والبلاغة، وبذلك يصير تحليل الصيغ وإدراك الفروق ليس مقصورًا على الشعر والنثر الأدبي، وإنما تدخل فيه كل عبارة فيها إتقان وتدقيق مهما كان المعنى المعبر عنه، حتى لو كانت قاعدة نحوية أو فقهية، المهم أن تكون العبارة قد داخلها صقل وتثقيف واختيار".[1]

والأمر الأهم في ذلك كله، أنّ عبد القاهر لم يتجاوز كلام العرب الخلص فيما له صلة بمسائل البلاغة ودقائق الأسرار، فباب الوصل والفصل مثلًا، الذي هو أدق مباحث علم المعاني وأوسعها؛ لاشتمالها على باب فروق الجملة الخبرية، وفروق الجملة الحالية وعطف الجملة على الجملة، إنما هُدي إليه بتتبع دقيق وتأمل وطول نظر لما ينطوي عليه لسان الأعراب الخلص، وقد صرح بتلك الحقيقة المائلة: "واعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص، وإلا قوم طبعوا على البلاغة، وأوتوا فنًا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد".[2]

[1] المرجع السابق، ص 25.
[2] دلائل الإعجاز، ص 222.

فهذا دليل قولي ظاهر في هذه المسألة يثبت المنهج الذي كان يؤمه في استنباطاته واستخلاصاته لطرق البيان.

أما برهان ذلك العملي، يؤكده المنهج التطبيقي واقتحام الشيخ لمسائل علم البلاغة وتتبع تطور مسائله، بدءًا من تحقيق القول في باب الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان إلى أبواب التشبيه والمجاز والكناية وتفريع مسائل المعاني من تقديم وتأخير وحذف وذكر وأبواب القصر والفصل والوصل فنشأتها أمر لا يخفى على باحث عكف على تلك المسائل وتحرى الدقة في معرفة كيفية نشوئها، فسيجد الحقائق ظاهرة أمامه للعيان.

ثانيًا: عناية عبد القاهر بالصنعة البلاغية وإهماله الذوق، والتأثر بأرسطو في القول بالمحاكاة: وهذا المأخذ، بحسب رأي الفراهي، ماثل عند عبد القاهر من وجهين:

الوجه الأول: أنّ عبد القاهر هو الذي بدأ بتأصيل نقد الشعر وتحويله إلى صناعة، وهذا يأتي بنتائج عكسية في مسألة الذوق والقدرة على إدراك مواطن الجمال. إذ يقول: "ثم علمت أنّ سبيلهم في نقد الكلام، لم يكن كسبيل صاحب "أسرار البلاغة"- وهو القدوة لمن جاؤوا من بعده، فاتبعوا خطواته- فكان سبيله سدًا بينهم وبين العرب. فلو التزموا كلام العرب، ولم يلتفتوا إلى أصول مهّدها المبعدون لكان خيرًا لهم (ويقصد بهم أرسطو واليونانيين)، وكانوا أقرب إلى معرفة إعجاز القرآن عن طريق الذوق، وإن لم يكونوا من طريق الصناعة".[1]

وهذا النهج الارتياضي القائم على إشباع الذائقة اللغوية لدى الفراهي ربما يقبلها حس المتلقي ووعيه في مرحلة متقدمة من مراحل الوعي اللغوي، لذا ناسبها طريقة الجاحظ في "البيان والتبين"، التي سلك فيها طريق جمع الخطب والرسائل والأراجيز وأقوال الأعراب والتخيّر من الطبقات الأولى للشعراء الأولين. ثم إن هناك خلطًا من الفراهي بين منهجين مختلفين كل منهما يماهي مع مادته العلمية وأسلوبه المعرفي، فالجاحظ سلك

[1] جمهرة البلاغة، ص 62.

طريق التأصيل العلمي المنهجي لقواعد اللسان العربي بطريقة مختلفة وزاوية نظر مغايرة، نخاض في طريق التعريفات والمقارنات في أقوال الأمم والإكثار من الأخبار والملح الكلامية والنوادر وبعض الإشارات إلى الفنون البلاغية والنقدية والتأصيل لها في نطاق محدود، كقضية اللفظ والمعنى، والطبع والصنعة، وبيان حدود البلاغة، وهذا يتناسب مع الطبيعة المعرفية لتلك المرحلة والمنهج الموسوعي الاستطرادي الذي يجيده الجاحظ ويأسر به المتلقين. أما عبد القاهر فقد كان معنيًا بمسائل علمية دقيقة في البيان أرقته وشغلت باله؛ فكان يقوم بتأسيس قواعد أصولية لبيان اللسان العربي، الذي وجد من الضيم في زمانه، ويحاول جاهدًا أن يربط تلك القواعد بفطرة الإنسان واستجابته للمركوز في طباعه، فكان يسير في إطار محدد مخصوص في تلقي طرق هذا اللسان التي تفضي إلى معرفة الفرق بين ما هو داخل في نطاق القدرة البشرية، وما يخرج عن تلك الدائرة، فكان يبحث في أسرار البلاغة، عن الكيفية التي تدل المتلقي على أسباب التفاضل في الكلام، وكيف يميز المتلقي بين الكلام الجيد والرديء، وبين الكلام الجيد والأجود، ثم انتقل في دلائل الإعجاز إلى مرحلة تالية ذلك، وهو كيف تهتدى إلى التفريق بين دلالة ودلالة والتفريق بين طرائق الإبانة عن وجوه المعاني في تلك الدلالات، وما هو داخل في نطاق ومألوف كلام البشر ليتلمسوا الفرق ذوقيًا، بعد ذلك، لما هو خارج عن ذلك المألوف. والأمر الآخر، وهو أنّ الجاحظ كان واسع النظر في فقه البلاغة ولم يقف على لسان العرب الخلص والأعراب في جمعه وتدوينه وتبويبه فقط، فقد عقد فصولًا مطولة لأقوال الحمقى والنوكى وأصحاب العي وأخبار اللحانين البلغاء، واستشهد أيضًا، بطبقات الشعراء كافة، عربًا خلصًا ومولدين، كأبي نواس وأبي تمام ومسلم بن الوليد الخرساني، وهذا فيه ردّ صريح على قول الفراهي بأنّ عبد القاهر يستشهد بكلام المولدين، وهذا دليل واضح بأنّ طريق البيان والبلاغة والفصاحة طريق مشاعة لكل من نطق بهذا اللسان وفصحت ألفاظه، ويهتدى فيه بكل فكر، وكل أسلوب وطريقة أدّت إلى الإبانة عن جهة الحسن في الكلام.

الوجه الثاني: ذهب الفراهي إلى أنّ اهتمام عبد القاهر بفنّي التشبيه والاستعارة،

وجعلهما رأسي الإجادة والتفوق في القول الشعري عند العرب، إنما كان بتأثر عن فهم أرسطو لشرح الشعر، عندما رأى أنّ الاختلاق الشعري والتزيّد والتنقص في نقل الحقيقة، هي أساس الإجادة عندهم. فيقول: "وإذ ليس في أشعار العرب من أمر القصة، والحكاية، إلا التشبيه ظنوا أنّ الغلو في التشبيه من المحاسن، وكما أنّ المحاكاة صارت عمود الرجاحة عند أرسطو، فكذلك صار التمثيل والتشبيه الذي يشابه القصة عندهم قطب البلاغة. ثم إنهم وافقوه في عين هذا الرأي، فإنه قال في عدّ محاسن الكلام: "إنّ أعلى كمال البليغ أن يكون حاذقًا في استعمال التشبيه". وقال صاحب "أسرار البلاغة": "كأن جل محاسن الكلام- إن لم نقل كلها- متفرعة عنها- أنواع التشبيه– وراجعة إليها، فانظر ما أشبه الليلة بالبارحة فدخل في الكلام بذكره وخرج به".[1]

وهذا الكلام يتسق في مضمونه مع ما قال به كل من أمين الخولي، وطه حسين في الثلث الأول من القرن الماضي، ولكنه يختلف عنه في التفاصيل؛ لذلك لا يمكن الجزم بأنّ الفراهي تأثر بقول الرجلين- وهما عرّابا هذا الرأي في عالمنا العربي- بل إن هناك قرائن تعضِّد القول بأنه لم يطلع على آرائهما بشكل مباشر لسببين، الأول: أنّ الفراهي توفي عام 1349هـ، أي قبل أن ينشر أمين الخولي وطه حسين بحثيهما، والسبب الثاني: أنّ الفراهي لم يشر إليهما لا من قريب ولا بعيد، وأسلوبه مختلف تمامًا عن الرجلين؛ لأنه كان يميل إلى محاكاة أسلوب القدماء في التأليف وانتهاج أسلوب العرب وسمتهم في الكلام، والتباهي بذلك، بالإضافة إلى نزعته الاستنباطية واجتهاده لوضع لبنات تأسيسية لإعادة هيكلة صرح علم البلاغة على أساس عربي خالص يستقي أساليبه من كلام العرب الخلص ونهج القرآن التعبيري، وإن كنت أرى أنه يفتقر أحيانًا إلى ربط منهجي ومقومات علمية تصله بما يذهب إليه، وعلى الرغم من ذلك، فلا يمكن نفي ما إذا التقت أفكاره مع الرجلين من خلال اللقاءات والمؤتمرات أو ما يكتب في الصحف أو يصل في حلقات العلم من خلال الطلاب وما شابه ذلك، وإن كنت أصرّ أنّ طبيعة الفراهي تختلف عن طبيعة الخولي وطه حسين،

[1] المرجع السابق، ص 67.

لأنّ اعتراضات الفراهي ومآخذه التي أخذها على عبد القاهر، هي نتاج فهم خاطئ أحيانًا، وتأويل ينطلق من أسس تستقي قيمها وأصولها من منظور بلاغي عروبي خالص، لكنه مختلف عن نهج القدماء البلاغيين، وله أفق محدود وغير منضبط معاصرةً وحداثةً، بينما كلّ من أمين الخولي وطه حسين كانا مهووسين بإثبات صلات التلاقي والتأثر بين علماء العرب الأفذاذ وفلاسفتهم وعلماء وفلاسفة يونان، وهم يحرصون على إيجاد معلم تلاقٍ وتأثر وتقليد واتباع، وهذا ما كان يكرهه الفراهي وينبذ السعي إليه. والمحاضرة التي ألقاها أمين الخولي بعنوان: "البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها" كان مقرها الجمعية الجغرافية الملكية في 19 مارس سنة 1939م، وقد طبعت في كتيب صغير، وذكر فيها أنّ الفلسفة اليونانية قد أثرت في البلاغة العربية منذ نشأتها وأثناء تطورها، وعملت على ضبط أبحاثها، وتعيين غرضها وغايتها.

وقال: "إنّ الأبحاث البلاغية التي تصدى لها أرسطو في كتابه "الخطابة" تكاد تكون جمهرة ما بأيدينا من أبحاث بلاغتنا، أو هي على الأقل أنواع كثيرة من فنونها الثلاثة".[1] والآخر بحث قدّمه الدكتور طه حسين للمؤتمر الثاني عشر لجماعة المستشرقين، الذي عقد في سبتمبر سنة 1931م، في مدينة ليدن بهولندا، وقرر فيه أنّ أرسطو هو المعلم الأول للمسلمين في علم البيان، وأن الهيلينية واضحة في آثار الشعراء والكتّاب. واعتبر المعتزلة مؤسسي البيان العربي بتضلعهم في الفلسفة. وذهب إلى أنّ العرب استلذوا البيان اليوناني، وهضموه حين عرّبوه. على حدّ تعبيره، واعتبر عبد القاهر الجرجاني فيلسوفًا يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه، وادّعى أنه ألّف قواعد النحو العربي وبيّن آراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب والفصول".[2]

لقد طارت مقولات هذين الرجلين في الآفاق، نظرًا لموقعهما الريادي وتمكنهما في مفاصل الجامعة المصرية كما يقول: الدكتور عباس أرحيلة،[3] فتلقفها ركبان الكتّاب

[1] البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها، ص 12.

[2] مقدمة نقد النشر: تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر الجرجاني، ص 30.

[3] مدونة الدكتور عباس أرحيلة في شبكة الحاسب، "التأثير الأرسطي في البلاغة المغربية منخلال كتاب التنبيهات لابن عميرة" http://abbasarhila.blogspot.com .

والباحثين المتعجلين الذين تستهويهم الأقوال الجاهزة ولا يكلفون أنفسهم كثيرًا في مسألة التحقق العلمي، فأصبح هذا الرأي مادة مركوبة مرغوبة لبعض المهووسين بإلصاق كل قيمة علمية متميزة في فروع المعرفة إلى الغرب وامتداداته الجذرية الهيلينية، دون تمحيص علمي واعٍ يقوم على منهج محايد رصين، على الرغم من أنّ طبيعة المنهجين؛ الأرسطي والجرجاني مختلفتان في ظروف البيئة والنشأة التكوينية لمفردات هذا العلم، وفي غايتيهما أيضًا، فالنشأة الأرسطية تقوم على فحوى المحاجّة والبحث عن سبل التأثير والإقناع في إنتاج الخطاب وعدم تلمس مواطن الإيحاء التعبيري الجمالي في المجمل العام، وإنما النظر إلى مناط الحجة والبرهان، وظلت كذلك حتى أعادت تأسيسها على مفهوم كلام العرب على يد رتشاردز، وبحثت عمّا يجعل من العمل المعطى أثرًا أدبيًا كما هو مفهوم الشعرية الحديثة لدى جاكبسون.[1]

ثم إنّ التأثر والتأثير مسألة نسبية، وتأخذ أشكالًا مختلفة، فليست كلها تصب في سياق التبعية والذم، فمنها ما هو ليس كذلك، وقد أبان الدكتور محمد عابد الجابري في معالجاته لنظام البيان وتقصّيه لنظم المعرفة في التراث الثقافي في بنية العقل العربي أنّ التماثل الحاصل بين السكاكي في "مفتاح العلوم"، ومنطق أرسطو في فلسفته، كان تماثلًا قائمًا على تشابه الظروف بين العلمين، وليس تماثلًا قائمًا على التقليد والتأثر والاتباع، فكما بلغت العلوم الفلسفية اليونانية منتهاها حينما دفع بها تطورها الذاتي إلى الكشف عن منطقها الداخلي مع أرسطو، فإنّ العلوم البيانية العربية قد كشفت هي الأخرى عن منطقها الداخلي مع السكاكي حينما دفع بها تطورها إلى ذلك".[2] وهذا ما يحصل بين كل ثقافتين مختلفتين أحاطت بهما ظروف متقاربة في نموّ المعرفة وامتدادها، وامتدت بمسائل علومهما ومفرداتها أن تدعهما بذات الاتجاه في كل منهما، وهذا ما يفسّر عملية التقارب الوشيج أحيانًا بين قوم وقوم، وثقافة وثقافة، ونهج ونهج في المعارف والعلوم.

[1] انظر : فلسفة البلاغة، ص 5. وقراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 19.
[2] بنية العقل العربي، ص 11، 90.

وعبد القاهر يعيش همَّ المعرفة، وكان يؤرقه الضيم الذي لحق بعلم البيان، فكان يوقد من عزائم فكره ويستجمع حسّه اللغوي، ليدفع عنه هذا الضيم الذي لحق به، ويؤسس قواعد راسخة لهذا العلم ويقعد لها، وذلك باستخلاص بلاغة هذا اللسان العربي المبين. وهو في ذلك لا ينفك في بنائه وتأصيله عن ركنين أساسيين في انتزاع الفكرة البلاغية، أولهما: ارتباطها بهدي العرب وسننهم في إيراد المعاني وبناء تراكيب الكلام، وراجع كتاب الدلائل الذي حوى نظرية النظم التي هي جوهر الفكر البلاغي والعمود الذي قامت مسائل البيان عنده، تجده يقوم في جميع أحواله من عطف الجمل في مسائل الفصل والوصل وأحوال المسند والمسند إليه من تقديم وتأخير وحذف وذكر وتعريف وتنكير على أغراض ومعانٍ راجت وشاعت طرائقها في لسان العرب وسننهم البياني في التعبير عما يجيش في نفوسهم، فمثلًا هم يقدمون الذي بيانه أهم وهم به أعني، وتقديم اسم الإشارة تفيدة توكيد.[1]

والركن الثاني: ربطها بطبائع النفس الإنسانية بعامة، وما هو مركوز في فطرة النفس الإنسانية، وهذا هو الأمر الذي تسرب منه وهم من وهم أنّ عبد القاهر قد حاكى أرسطو وفلاسفة يونان في نهجهم وهو يضع لبناته لبناء قواعد ومسائل وأصول هذا العلم. فهناك قواعد بشرية عامة لا تختص بها أمة دون أمة، خاصة في قواعد الاستحسان البياني في فنون الكلام كالشعر وغيره تعتمد على الإيحاء والتصوير والقدرة على إثارة النفس للإبانة عن دقائق المعاني وفروق التعبير الكلامي. والتصوير ركيزة أساسية في العمل الفني، وهو المنبئ عن خبيئات العقل ومقدار التفاضل في أسرار الصنعة الخيالية والفنون الكلامية، فهي من طبائع النفس الإنسانية، لذا فتفسير ملامح الالتقاء بين ثقافتين متباعدتين تشتغلان في علم واحد وارد جدًا، بل أظنه أمر حتمي، ولا يحكم فيه مباشرة بالتأثر إلا بدليل قطعي الثبوت والدلالة. وهذا ما لم يظهره لنا الفراهي في هذه

[1] راجع: مراجعات في أصول الدرس البلاغي، ص 159-161.

الادعاءات. وقضية تأثر البلاغة العربية بالغارة الهيلينة قضية أشبعت جدلًا وتحريًا وتحقيقًا، وقال فيها العلماء الثبوت كلمتهم، والخوض في هذا لم يعد مما يحتاج فيه إلى كثير بيان، وأحيل إلى بعض المراجع الأصيلة لمن أراد أن يتوسع في ذلك.[1]

ثالثًا: نفي القول بمزية اللفظ: ذهب الفراهي إلى أنّ حروف الكلمة وأصواتها لها ارتباط وثيق بدلالة المعنى، وتتناسب تناسبًا طرديًا معها، فكلما زادت الحروف، أحدث ذلك أثرًا في دلالة المعنى، وأنّ هذه الخاصية موجودة في سائر اللغات، وهي أظهر في كلام العرب من غيرهم من الأمم. وقد فصّل القول في مسألة أثر الصوت على المعنى وفرّق في المسألة من حيث وجه الدلالة إلى جهات أربع:

أولًا: أنّ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. وضرب لها بعض الأمثلة: "كسَّر" وكَسَرَ" و"حَطَّم" و"حَطَمَ".

ثانيًا: أنّ دلالة صوت الحروف وحركاتها لها تناسب مع المعنى وتؤثر فيه. مثل توالي الحركات في الصوت تدل على توالي الحركات في المعنى مثل: "خَفَقَان"، و"عَسَلَان" و"ضَرَبان".

ثالثًا: إنّ تكرار صوت الحروف تدل على تكرار في معنى الكلمة، مثل: "زلزل" و"كبكب" و "لألأ".

رابعًا: دلالة جوهر اللفظ على المعنى. وفصّل الفراهي في هذه القسم، فجعل ضربًا منها قائم الدلالة على صوت الحرف مثل: "قطَّ" و"فَلَقَ" و"خرَّ" و"شقَّ". وقسم آخر قائم على غير صوت الحروف، وهو عميق ويحتاج إلى مزيد نظر وتأمل، ولم يغفل عنه علماء الاشتقاق، فقالوا: إنّ كذا وكذا من الحروف، يدل على معنى فلاني معلوم، وكان سبيلهم في ذلك الاستقراء، وأنّ التكلف قد داخلهم في ذلك بعض الشيء".[2]

[1] راجع: دراسة بحوث بلاغية، د. أحمد مطلوب. ومراجعات في أصول الدرس البلاغي، ودراسة في البلاغة والشعر، د. محمد أبو موسى.بنية العقل العربي، للدكتور محمد عابد الجابري

[2] جمهرة البلاغة، ص 105-104.

ثم يأتي الفراهي فيقول:"وأعجب من صاحب "دلائل الإعجاز" كيف غمض عينه عن هذا الأمر، وردّ على العلماء الذين جعلوا للفظ حظًا في مزية الكلام من جهة صوته ردَّ مكابر ألدّ".[1] وهو يقصد بذلك ظاهر ما اشتهر من أقوال علماء الاشتقاق في جعلهم حظًا لمزية الكلام من جهة الصوت.

ومما يؤخذ على هذه الانتقادات والاعتراضات، أنّ الفراهي ذكر مسائل متفرقة دون أن يعزوها إلى مظانها في كتابي "الأسرار والدلائل"، لذلك لا بد قبل الاجتهاد في الرد على هذه المآخذ أن نحاول أن نبحث عن أصداء هذه المسائل والاعتراضات في كلام عبد القاهر الجرجاني، وننقل هذه النصوص ونحلّلها لنتبين وجه الاعتراض.

فيظهر أنّ الفراهي قد خلط في هذه المسألة واعتسف الاعتراض على عبد القاهر وتشعب كثيرًا، والتحري في هذا الرأي يحيل بنا إلى الرجوع إلى قضية اللفظ والمعنى عند عبد القاهر، وما أثاره من مسائل في شأن اللفظة المفردة ونحقق فيها القول. هل ادعاءات الفراهي على عبد القاهر قائمة على وجه من الدقة فيما ذهب إليه؟

هل فصّل عبد القاهر في مسألة الجرس الصوتي وعن أثره في المعنى، أو عارض أقوال العلماء فضلًا عن ردّها في هذا السياق؟

أظن أنّ مبعث هذا القول ناشئ من حديث عبد القاهر وتحقيقه القول في باب البلاغة والفصاحة، فقد كان مشغولًا بفكرة النظم، وأنّ البلاغة إنما تكون في إيراد المعنى وأنّ الألفاظ تتوالى في الكلام بحسب توالي الفكرة في النفس، وأن لا مزية فيها فوق ذلك سوى أنها خدم للمعنى.

فقد كان هناك جدل قائم بين العلماء في تبين مقدار ما للفظ من مزية في تحقيق حدّ الإعجاز في القرآن، فكان عبد القاهر يردّ على الشبه حول مسألة فصل بين الفصاحة

[1] المرجع السابق، ص 103.

والبلاغة، والتي كانت تمثل عنده وجهًا واحدًا من براعة البيان، فيقول: "والذي يبطل هذه الشبهة، إن ذهب إليها ذاهب، أنّا إن قصرنا صفة "الفصاحة" على كون اللفظ كذلك، وجعلناه المراد بهما، لزمنا أن تخرج "الفصاحة" من حيز البلاغة ومن أن تكون نظيرة لها".[1]

ثم يستطرد عبد القاهر في عرض هذه الفكرة وتوضيحها فيقول: "وإذا فعلنا ذلك (أي: إخراج الفصاحة من حيز البلاغة)، لم نخل من أحد أمرين: إما أن نجعله العمدة في المفاضلة بين العبارتين ولا نعرج على غيره، وإما أن نجعله أحد ما نفاضل به الوجوه التي تقتضي تقديم كلام على كلام".[2] فعبد القاهر كان معنيًا بإزالة اللبس في هذه المسألة وتفنيد أوهام الطاعنين في إهمال مزية اللفظ وتلاؤم حروف الكلمات من حيث هي ألفاظ مفردة دون سياق، ولم ينكر أثر صوت الفظ في الدلالة على المعنى، فيتبع حديثه فيقول: "فإن أخذنا بالأول، لزمنا أن نقصر الفضيلة عليه حتى لا يكون الإعجاز إلا به وفيه، وفي ذلك ما لا يخفى من الشناعة؛ لأنه يؤدي إلى أن لا يكون للمعاني التي ذكروها في حدود البلاغة: من وضوح الدلالة وصواب الإشارة وتصحيح الأقسام وحسن الترتيب والنظام، والإبداع في طريقة التشبيه والتمثيل... وإن أخذنا بالثاني، وهو أن يكون تلاؤم الحروف وجهًا من وجوه الفضيلة، وداخلًا في عداد ما يفاضل به بين كلام وكلام على الجملة، لم يكن لهذا الخلاف ضرر علينا، لأنه ليس بأكثر من أن نعمد إلى الفصاحة فنخرجها من حيز "البلاغة والبيان"، وأن تكون نظيرة لهما، وفي عداد ما هو شبههما من البراعة والجزالة وأشباه ذلك مما ينبئ عن شرف النظم".[3]

وقد حرصت أن أطيل النقل حتى أظهر حقيقة المناط الذي كان يؤمه عبد القاهر في هذه المسألة، وأنه لم يكن ينفي ما للفظة المفردة من مزية من حيث الخلية والثقل وما تثيره في النفس من دلالة، فلا يمكن أن تحدث اللفظة أثرًا في النفس وهي

[1] دلائل الإعجاز، ص 58.
[2] المرجع السابق، ص 58.
[3] المرجع السابق، ص 59.

بمعزل عن جرس صوتها" فإذا وجب لمعنى أن يكون أولًا في النفس، وجب في اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولًا في النطق[1] فلا تكتسب الألفاظ موقعًا يتناسب مع نسقها في الجملة إلا بمقدار ما تثيره دلالاتها الصوتية والنفسية والإيحائية من معنى. "وقد تؤدي شدة التأثر بالباعث الصوتي على توليد الكلمات إلى ما يكاد يكون اعتقادًا غامضًا في وجود مطابقة بين الصوت والمعنى".[2]

إذًا عبد القاهر لم ينف أثر الصوت في المعنى ودلالاته في قضية النظم وتبيين مقدار الأثر الذي يحدثه اللفظ في نسق الكلام ومستوى بلاغته. عبد القاهر فرّق بين مسألة نظم الحروف ونظم الكلم، وهو يعالج مسألة دقيقة في قضية نظم المعنى، فأوضح أنّ توالي الحروف في الكلمة المفردة، وجريان نطقها على اللسان دون ثقل ليس بمقتضٍ عن معنى من معاني الكلام وما تثيره هيئات تركيب الكلام من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير وحذف وذكر...وما إلى ذلك من الأسباب التي توجب التفاضل في الكلام بما تطابق فيه صور المعاني الماثلة في النفس، فلا فرق عنده في أصل الوضع اللغوي بين "ضرب" و"ربض"، وأن تقليب الحروف لا يؤدي إلى فساد أو أثر في المعنى من حيث نظم الكلام وتصويره للأفكار الماثلة في النفس، وهذا أمر لا شبهة فيه"، بعد أن كنا لا نشك في أن لا حال للفظة مع صاحبتها تعتبر إذا أنت عزلت دلالتهما جانبًا؟ وأي مساغ للشك في أنّ الألفاظ لا تستحق من حيث هي ألفاظ، أن تنظم على وجه دون وجه؟[3] فعبد القاهر يريد في المقام الأول أن تتضح هذه المسألة وتتقرر في النفوس بشكل أعمق وأدق، فيقول: "ولو فرضنا أن تخلع من هذه الألفاظ، التي هي لغات، دلالتها، لما كان شيء منها أحق بالتقديم من شيء، ولا تُصِّور أن يجب فيها ترتيب ونظم.[4] فعبد القاهر لا ينفي

[1] المرجع السابق، ص 52.
[2] أثر اللسانيات في النقد الأدبي الحديث، ص 61.
[3] دلائل الإعجاز، ص 5.
[4] المرجع السابق، ص 50.

مقدار ما للفظة المفردة من حظ في الفصاحة، ووقع من حيث الصوت، وأن ذلك المقدار يكون من حيث البعد عن ثقل اللسان وتوالي حروفها وسهولة مخارجها في النطق وهو مقيد ومرتبط بموقعها من نسق المعنى في الكلام ونظر المتكلم في ترتيب الفكرة في داخل النفس وحال هيئة المعنى وجهة أداء بيانه. ولا ينفي ذلك من إمكانية التفاضل فيما بينها في نطاق محدود الدلالة، فلا يتعدى القدرة على إيحاء الفكرة أو إثارة جزئياتها في أروقة النفس دون أن تكتمل لتشكل نسقًا فكريًا يتفاضل فيه بين متكلم ومتكلم من حيث البلاغة. إذن عبد القاهر كان معنيًا بالرد على من تصور أنّ البلاغة راجعة إلى اللفظ، لذا صرف عنايته في بناء وتأسيس هذا المفهوم، ولم يغفل أثناء ذلك، حق الكلمة المفردة من تشكيل المعنى، فكيف نفهم وهو يعالج بناء المعنى وعلاقته باللفظ حيث يقول: "ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه ويظهر فيه مزية. وإذا كان كذلك فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارًا وأمرًا ونهيًا واستخبارًا وتعجبًا...".[1]

هذا الكلام فيه دلالة على أنّ عبد القاهر لا ينفي دلالة الصوت من جوهر اللفظ، ويرد على قول الفراهي: "والعجب كل العجب، كيف غلب الوهم، على صاحب "دلائل الإعجاز" فزعم أنّ المتكلم لايعنيه إلا المعنى، ولا همّ له في الألفاظ من جهة جواهرها، وخالف جمهور العلماء".

والتعميم بأنّ عبد القاهر خالف الجمهور في ذلك قول فيه عدم استقصاء وتمعن، فعبد القاهر لم ينكر شأن الألفاظ، ولكنه لا يُرجع إعجاز القرآن الكريم إليها".[2] ويؤكد على ذلك بقوله: "واعلم أنّا لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان

[1] المرجع السابق، ص 43-44.

[2] مقال الدكتور أحمد مطلوب عن "جمهرة البلاغة "، موجود على شبكة الحاسب، http://www.al edu.com/wp- content/uploads/2013/12/ islamic-23.pdf، ص 26.

داخلًا فيما يوجب الفضيلة، وأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز، وإنما الذي ننكره ونفيّل رأي من يذهب إليه، أن يجعله معجزًا به وحده، ويجعله الأصل والعمدة، فيخرج إلى ما ذكرنا من الشناعات".[1] لأنني تتبعت مواطن هذه المسألة عند ابن جني في "باب في قوة اللفظ لقوة المعنى" فوجدته دقيقًا في مسلكه ولا يتعارض مع جملة ما قال به عبد القاهر، وهو أنّ المعنى هو العنصر المتحكم في البنية اللفظية وليس العكس كما يدل عليه الظاهر من قولهم: "زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى"، قد عقد بابًا واسعًا في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني، وجعله من أشرف فصول العربية، وقال: "إذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسّنوها وحموا حواشيها وهذّبوها وصقلوا غروبها وأرهفوها فلا ترين أنّ العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ، بل هي عندهم خدمة للمعاني".[2]

فالمعنى عنده هو الذي يستدعي اللفظ ويقتضيه، وكلما ازداد المعنى وتفرّع وتخصص استدعى ذلك تغييرًا في اللفظ الأصلي لينسجم مع هذا التغير الجديد الحاصل، ولا يدل كلامه على إيمانه بالمناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني.

أما ما أثاره الفراهي من تكرار صوت الحروف في الكلمة، وأنّ زيادة مبناها تدل على زيادة معناها، والتشديد في اللفظ يوقع معنى غير التسهيل فيه، فهذا شأن يختص بدلالة الوضع اللغوي، وليس له صلة وثقى بالسياق، وهي مسألة مختلفة، وقد بينتُ فيها الفرق.

رابعًا: العناية ببلاغة التأليف بين المختلفات في التشبيه: ذهب الفراهي إلى أنّ سعي البليغ إلى تحقيق الصورة العزيزة النادرة، والبحث عن غرابة التشبيهات، ومحاولة إيجاد علاقة متباعدة بين المشبه والمشبه به أمر ليس مطلوبًا، ولا يستساغ عقلًا وإن كان ألذ طريقة وأجمل أسلوبًا؛ فالغاية المنشودة في مثل تلك الأساليب هي بيان حال الصفة. وكان اعتراضه شديدًا حادّ اللهجة على عبد القاهر الجرجاني في هذا الأمر وهذه المسألة، فقد

[1] دلائل الإعجاز، ص 522.
[2] الخصائص، 217/2.

اتهمه بجهله في جوهر هذا الأسلوب، دون أن يكشف عن الموطن الذي يعترض عليه تحديدًا، وهذا دأبه في كل انتقاداته واعتراضاته عليه التي وردت في كتاب الجمهرة. إذ بدا معترضًا عليها قائلًا: فلا يضلنّك ما قال صاحب "أسرار البلاغة "، أنّ المغايرة بين المشبه والمشبه به لازمة، لأجل الحسن، فأنه لم يدر كنهه، فلو كان نظرة من جهة التأدية لظهر عليه الوجه الصحيح".[1] ثم عرض جملة من الأبيات لشعراء جاهليين يرى أنها المثال المحتذى في صدق التصوير ومطابقة الحال بين المشبه والمشبه به.

قول زهير بن أبي سلمى:[2]

تُطالعنا خيالات لسلمى كما يتطلّع الدينَ الغريمُ

ولعبيد بن الأبرص:[3]

القائل القول الذي مثله يمرع منه البلد الحائلُ

وللنابغة الذبياني:[4]

كأنّ الظُعْن حين طفون ظُهرا سفين البحر يمّمن القراحا

الفراهي نظر إلى مباحث التشبيه والاستعارة والمجاز ومباحث علم البيان نظرة كانت أقرب إلى روح علماء المنطق أو فقهاء الشريعة من روح الناقد اللغوي والأديب المتذوق الأسرار البيان، وهذا ليس استنقاصًا لهذين الاختصاصين في القدرة على التذوق، ففقهاء الشريعة على وجه الخصوص لهم قدرة على النفاذ في أسرار الكلام وتبيّن جهات المعاني واستنباط العلل ما يؤهلهم لإدراك مكامن الجودة والرداءة في النص بمختلف مستوياته اللغوية، لكني أعني أنّ الفراهي في هذه المسألة بالذات، كان

[1] جمهرة البلاغة، ص 131.
[2] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 209.
[3] ديوان عبيد الأبرص، ص 100.
[4] ديوان النابغة الذبياني، ص 213.

منطقيًا يغلب الجانب العقلي على العاطفي على الرغم من لفتاته النقدية العميقة التي بثّت في تضاعيف الكتاب في مسائل الفرق بين القول الشعري والنثري والخطابة، وكونه شاعرًا له ديوان مطبوع.!

لقد أقصى الفراهي الملمح الجمالي في هذه الأساليب من حيث منطقها البياني الأدبي ليستبدلها بطرائق منطقية بحتة تستمد مثلها من المطابقة للواقع العقلي في الإبلاغ وتأدية المعنى ومقاربته وتحقيق الإبانة عنه فقط، على الرغم أنّ توخيه واختياره للشواهد من الشعر الجاهلي تظهر حسّه الأدبي العالي وأنه لم يغفل الجانب الجمالي، وإن كانت التشبيهات لدى الشاعر الجاهلي من أبرع الأغراض عنده، وأدلّها على المعاني وعلى حذاقة الصنعة الشعرية.

ثم عقّب الفراهي على مسألة البحث عن الندرة في التشبيه وسمّاها: المذهب الباطل في التشبيه، وذهب إلى أنّ المولدين هم من زعموا أنّ هذا المذهب من محاسن الشعر، وأجرى تعقيبًا آخر منتقدًا فيه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "وقد أسهب الجرجاني- رحمه الله - في ذلك وجمع التشبيهات الرديئة. وإنا نورد عليك منها، لكي تعمل فيها ذوقك، وتبين سخافتها".[1]

وانتقاد الفراهي لعبد القاهر يمكن تقسيمه إلى وجهين رئيسيين:

الوجه الأول: أنه يرى أنّ الغاية من وراء التشبيه والمجاز والاستعارة هي الإبلاغ والإتيان بما يفصح عن حال الصفة. ولا يرى بأن يسعى البليغ في تحقيق وجه اللذة بالبحث عن الصورة النادرة والتشبيه البعيد.[2]

والوجه الثاني: اعتراضه على عبد القاهر الاستكثار من الاستشهاد بالشعراء المولدين في

[1] جمهرة البلاغة، ص 147.
[2] المرجع السابق، ص 130-131.

هذا الباب من التشبيهات في كتابه، وهو يريد بذلك ما عقده عبد القاهر الجرجاني في كتاب الأسرار من التشبيهات التي جعلها من الأمثلة على أسباب الغرابة في التشبيه.[1]

كتشبيه كشاجم:[2]

أرقتَ أم نمتَ لضوء بارق مؤتلقًا مثل الفؤاد الخافق
كأنه إصبعُ كفّ السارق

وتشبيه ابن المعتز:[3]

وكأنّ البرق مصحف قارٍ فانطباقًا مرة وانفتاحا

والصنوبري في تشبيه الشقيق:[4]

كأنّ محمرّ الشقيـ يقِ إذا تصوّب أو تصعّد
أعلام ياقوتٍ نشرن على رماحٍ من زبرجد

ويمكن تفنيد ادعاء الوجه الأول، بأنّ النقد الأدبي علم من علوم الجمال الذي يبحث عن كيفية تذوق أسرار الإجادة في الكلام، والبلاغة جزء من ذلك العمل الذي يبحث عن إتقان الصنعة البيانية والحذاقة في كيفية تأتي المعاني، ولا يكتفي في العلاقة بين المشبه والمشبه به بإظهار الصفة والبلاغ، وهذا هو الوجه الذي ميّز عبد القاهر عن غيره ممن تناولوا مسائل علم البيان، فلم يكتف بالبحث عن وجوه التأدية للمعني من حيث الغرض والإبلاغ، إذ بحث في سرّ تعلق النفس وتأثرها في الإبلاغ عن الغرض والتمييز ما بين تشبيه وتشبيه، وعقد لذلك بابًا مطولًا في أسرار البلاغة وجعل الغرابة في وجه الشبه من التكلف في ذلك، وعلل لذلك بتعليل لطيف يدل على رسوخ قدمه في هذه

[1] انظر: أسرار البلاغة، ص 159.
[2] ديوان كشاجم، ص 136-137، وتتمة الشطر (يسوقها الرعد بغير سائق).
[3] ديوان ابن المعتز، ص 141.
[4] ديوان الصنوبري، ص 416.

الصناعة إذ يقول: "والمعنى الجامع في سبب الغرابة أن يكون الشبه المقصود من الشيء مما لا يتسرع إليه الخاطر، ولا يقع في الوهم عند بديهة النظر إلى نظيره الذي يشبه به".[1]

والانحياز للجمال وحذاقة الصنعة البديعة في البيان، هو جذر العمل البلاغي ونواة التأسيس لعلم البلاغة العربية، ولا شك أنّ الميل إلى طريقة العرب الخلص ولغتهم في طرق بنائهم وتصويرهم للمعاني، هو انحياز للجمال بالدرجة الأولى، ولكن لا ينبغي أن يصمّ أذواقنا ويشلّ قدراتنا على تبيّن معالم الجودة والإحسان في فنون اللسان من دون ذلك الطريق، لأننا رأينا أنّ مقياس الحسن عند الفراهي في العلاقة بين المشبه والمشبه به في التشبيهات الحسنة عنده هو: "تصوير الشيء، أو لأجل الترجمة من حاسة إلى حاسة، وكل ما هو أشد تصويرًا وأطبق ترجمة، فذلك أحسنها".[2]

فالمعيار عنده المطابقة للمعنى وصحته، وهذا ما لم يغفله عبد القاهر، فادعاء الفراهي، أنّ المغايرة بين المشبه والمشبه به لازمة لأجل الحسن عند عبد القاهر، أمر فيه شطط، لأننا رأينا عند عبد القاهر في عقد فصوله لمباحث هذا الباب في التشبيه يصرح ويفصل في بيان هذه المسألة فيقول: "واعلم أني لست أقول لك إنك متى ألفت الشيء ببعيد عنه في الجنس على الجملة فقد أصبت وأحسنت، لكن أقوله بعد تقييد وبعد شرط، وهو أن تصيب بين المختلفين في الجنس وفي ظاهر الأمر شبهًا صحيحًا معقولًا، وتجد للملاءمة والتأليف السوي بينهما مذهبًا وإليهما سبيلًا، وحتى يكون ائتلافهما الذي يوجب تشبيهك، من حيث العقل والحدْس، في وضوح اختلافهما من حيث العين والحسّ".[3]

فهذا النص واضح الدلالة ولا يلتبس على الأفهام، أنّ عبد القاهر ينكر التصنع في إيجاد العلاقة بين طرفي المشبه والمشبه به، فلا موقع لانتقاد الفراهي والتبكيت على عبد القاهر في هذه المسألة بقوله: "فلا يضلنّك ما قال صاحب "أسرار البلاغة"، أنّ المغايرة

[1] أسرار البلاغة، ص 107.
[2] جمهرة البلاغة، ص 143-142.
[3] أسرار البلاغة، ص 151.

بين المشبه والمشبه به لازمة، لأجل الحسن".[1] بل لم يدع عبد القاهر مجالًا لمعترض في الفهم في هذا المسلك حين أتم بيان تعليله في هذه المسألة، فقال: "فأما أن تستكره الوصف وتروم أن تصوره حيث لا يُتصور، فلا، لأنك تكون في ذلك بمنزلة الصانع الأخرق".[2] إلا أن يروم الفراهي بُعدًا آخر للمسألة فذلك مسلك عجيب. لأننا رأينا فيه تحاملًا غير مبرر ولا مسوّغ له حتى لو افترضنا أنّ الفراهي يريد أن يذهب إلى تنقية البلاغة من أقوال الشعراء المتأخرين عن الاحتجاج، والعودة بها في كافة مناحيها البيانية من صور تشبيهية ومجازات واستعارات وطرائق بيان إلى لسان عربها الخلص وأعرابها الأصفياء في تأتي الوصف وتأدية المعاني، فذلك ما كان ينبغي منه؛ لأنّ البلاغة كما أسلفنا فن يختلف عن علم اللغة والاشتقاق، فكل من صحّت عربيته واستقام لسانه فهو من أهل هذه اللغة، وإبداعه محل اعتبار لدى علماء البلاغة، وخاصة ممن حسنت خلطته مع العرب وأخذ علومه من بيئتهم وثقافتهم واصطبغ بلونهم البياني.

أما الانتقاد الثاني: فالفراهي يستنكر على عبد القاهر استشهاده بتشبيهات الشعراء المتأخرين عن زمن الاحتجاج مهما بلغت براعتهم في التصوير، ويرى أنّ للعرب الخلص- المتمثل في شعر الجاهليين- مذهبًا مختلفًا في الإبانة والتصوير وحسن التأتي للكشف عن خواطر أفئدتهم وإظهار معانيهم وتصوير مختلجات نفوسهم.

نعم لا شك أنّ بيان مَنْ نزلت فيهم كلمة الله وحاجّهم ربنا ببلوغ آيته فيهم وسطوع برهانه عليهم، ثم عجزهم عن مجاراة كلامه، جلّ في علاه، حتى أصبح عجزهم دليلًا وحجة على سائر الأزمان والأمم إلى أن تقوم الساعة، في هذا دليل على أنّ أهل ذلك اللسان هم أرقى الطبقات الإنسانية بيانًا وبلاغتهم هي الذروة البشرية في الفصاحة والبراعة، وأنهم أقرب الناس شبهًا- في حسن التأتي وطرق الإبانة- بكلام الله تعالى، وإن كان الشأو بعيدًا جدًا كالفرق بين الأمر المعجز وغير المعجز، ولكن الجمال

[1] جمهرة البلاغة، ص 131.
[2] أسرار البلاغة، ص 151.

البياني الذي جاء بمنطق هذا اللسان ومنطوقه وطرق تعبيره موصول به، ولا يعزل عنه، فهو من جملته بوجه من الوجوه طالما أنه دخل بشروط تعبير هذا اللسان وطرقه وقوانينه ونهج أسلوبه، والبلاغة كما أسلفنا تنتصر لمنطق الجمال وتركن إليه مادام أنه لم يخل بشرط حدودها التي اتفق العلماء عليها.

ثم إن علماء البلاغة ونقاد الشعر الأولين الذين تناولوا مسائل تقارب هذا المسلك، وضعوا شروطًا جمالية خالصة في تحديد المذهب البياني للشعراء في طرق بيانهم وإبداعهم ومسالك بيانهم، فلم يقيدوه بعصر دون عصر ولم يجعلوا البلاغة والتذوق البياني بعصر دون عصر، فضبطوا حدود مسائل الفرق بين طرائق الأقدمين والمحدثين بقيود ومعايير علمية ونهج بين قويم، فكتبوا في عمود الشعر وجعلوا له شروطًا، كصحّة المعنى، وجزالة اللفظ، وإصابة الوصف، ومطابقة المشبه للمشبه له، ومناسبة المستعار للمستعار له، وتخيَر الوزن، وعمدوا إلى جملة من الشعراء الذين يمثلون هذا الطريق والمذهب كالبحتري من المتأخرين، ولم يزدروا الشعراء المحدثين الآخرين الذين خالفوا هذا النهج في طريقته؛ إذا أصاب أحدهم وأحسن في وصفه وبيانه.

إنّ النهج الذي يتبناه الفراهي هنا يكشف عن منطلق بلاغي مغاير عن المنطلق الذي يعتمده عبد القاهر في بنائه التأسيسي لعلم البلاغة، فيظهر الأساس الفكري والتصوري الذي يتبناه، وهو تخليص البلاغة من كل فكر دخيل على العرب الأقحاح من حيث التأطير الزماني والتقعيد التأصيلي البياني والاستشهاد الشعري، ويرى السبيل الوحيد في ذلك الرجوع إلى شعر الشعراء الجاهلين ومن في حكمهم، فهو الوحيد القادر على بناء نمط بلاغي يتلاءم وتراث العرب ولسانهم، ويستطيع الكشف عن الطرق المؤدية إلى بيان مواقع الإعجاز وقضاياه في القرآن الكريم، فهو النواة التي تشكل الذائقة اللسانية والبلاغية على حد سواء، وهو المتن الذي ينبغي أن يستند إليه هذا العلم وما عدا ذلك يصح أن يكون هامشًا له. لذلك نراه يصرّ في بناء هذا العلم على الاقتصار على المادة القرآنية وكلام العرب الأقحاح شعراً ونثرًا والذي يكون ماثلًا في

حقبة الجاهليين، كما ظهر ذلك في اقتصاره على الاستشهاد به.

والحق أنّ الفراهي وإن سما مطلبه ومقصده فلن يسلم في إحكام هذا العلم السير في طريق وعر المسلك، ضيق الأفق الفكري والمجال الأسلوبي، لأنه يقصر الطريقة على أفق زمني غير ممتد، وهذا يضع التجديد والمواكبة لمقتضيات العصر مركونة في زاوية قصيّة، ويزهد فيها أبناؤها الأجيال المتعاقبة لأنه يلغي كثيرًا من مقتضيات العصر اللغوية ويحجر واسعًا من التراكيب والأساليب، ويجعل طرق التقليد والتجمد قائمة مبنى ومعنى.

خامسًا: إغفال ترتيب المعاني في الكلام: عدّ الفراهي الترتيب في معاني الكلام من الأصول البلاغية العامة التي لا بد من تحريّها؛ لتعلقها بعناصر التواصل الكلامي من متكلم وسامع...، فلا بد أن يراعى فيه مطابقة الكلام بالمعنى والوضوح، ونفي الفضول، والمقابلة، والتشبيه، والتمثيل. واستدرك على عبد القاهر في مسألة لطيفة من مسائل ترتيب المعاني في بيت المرقّش الأكبر:[1]

والنشر مسك، والوجوه دنا نير وأطراف الأكفّ عنم

فذكر أنّ صاحب "أسرار البلاغة" غفل عن أسرار الترتيب في المعنى، وقال: "ونوجّه إلى ترتيب هذه الصفات، لتعلم كيف غفل عنه مثل الجرجاني، فتعلم دقّة هذا المسلك، ورفعة محلّه، ولا تستبعد خفاء نظام القرآن، عن جمهور المفسرين.[2] ثم بدأ بتحليل البيت وبيان ترتيب المعاني فيها: "فاعلم أنّ الشاعر ذكر النشر أولًا، لأنك تجده عن ظهر الغيب. ثم ذكر حسن الوجوه لما تجده عند المشاهدة. ثم إذا اقتربت ولمست الأكفّ، وجدت نعومتها".[3]

[1] البيت في المفضليات، ص 238 وبهامشه: (أطراف البنان: وهو الأجود، العنم: شجر أحمر يشبه حمرة أطراف الأصابع به).

[2] جمهرة البلاغة، ص 154.

[3] المرجع السابق، ص 154.

وهذا الإلماح النسقي في معاني الكلام يدل على بصر الفراهي بدقائق أسرار الترتيبات في الكلام، فله باع واسع في هذا مع كلام الله في كتبه، خاصة في كتابيه[1] "تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ودلائل النظام" التي تدل على تبحره، ولا شك أنّ ما ذكره الفراهي يعدّ إضافة في جمال البيت من حيث تناسق المعنى وانسجامه، وكون عبد القاهر الجرجاني لم يفطن إليه أو لم يذكره في سياق معالجته لا يعد غفلة منه، وإلا حاكمنا سائر علمائنا المجتهدين الذين تركوا مجالًا للاجتهاد لمن بعدهم بأنهم من الغافلين أيضًا، وهذا منطق فيه تحامل وإجحاف بحقهم، الجرجاني كان يعالج مسألة من مسائل التشبيه، ويبين الفرق بين التشبيه الذي امتزجت عناصر المشبه به حتى أصبح نسيجًا واحدًا متجانسًا، لا ينفك بعضه عن بعض، وهو ما يعرف بالتشبيه التمثيلي، الذي بني على نسق مخصوص من العناصر المتضامّة، وبين التشبيهات المفردة التي لا ينظر فيها إلى نسق الترتيبات وإن تعددت، بل إلى علاقة تشابه الطرفين المشبه والمشبه به. فيستقل فيها كل تشبيه على حده، فلذا لم يكن فكر عبد القاهر وهمّه مصروفين إلى هذا النوع من الترتيب النسقي بل إلى مسألة مختلفة في التأصيل وإدراك الفروق بين التشبيهات التي ينتزع وجه الشبه فيها من جملة من الكلام أو أكثر، وغيرها، وفضل الفراهي هنا لا ينكر في التنبيه على أسرار الترتيب في هذا التشبيه، لأنّ عبد القاهر عدّ بيت المرقّش كقولك: "زيد كالأسد بأسًا، والبحر جودًا، والسيف مضاءً والبدر بهاءً"، يمكن أن تبدأ فيها بأيهم شئت، ولم يجب عليك أن تحفظ في هذه التشبيهات نظامًا مخصوصًا.

فمن حيث تحقيق المسألة علميًا وتأصيلها وفق منهج علمي بيّن، فقول عبد القاهر لا مأخذ عليه، إذ إنّ لطف العلاقات وخفاءها في التحقيق المنهجي أمر يصعب ضبطه، فهي متروكة للذوق والقدرة على التغلغل في أسرار البيان ودقائقه، فضابطه الذوق المحض، وليس المنهج العلمي المجرد، وعبد القاهر كان يعالج المسألة منهجيًا وليس

[1] راجع: تفسير نظام القرآن و تأويل الفرقان بالفرقان، ودلائل النظام (للفراهي)

ذوقيًا، وإن كان الأكمل أن يسيرا وفق منظومة متأخية. فالفراهي بدا متحاملًا ليس على عبد القاهر وحده، بل على كل من لم يدرك اللمع واللطائف، ولم يستبعد ذلك على جمهور المفسرين.[1] وقد ذكرنا أنّ هذه العلاقات الدقائق واللطائف التي يجتهد المحلل والمفسر في البحث عنها والغوص من أجلها والكشف عنها، وللمفسرين جهود جليلة في ذلك كتفسير البقاعي "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، وتفسير الرازي الكبير، وغيرهم، واجتهادهم في تحقيق تلك العلاقات واللطائف بين معاني الآيات القرآنية وتركيب الجمل وكشفهم عن العلاقات والروابط بين المطالع والمقاصد التي تضمنتها السور القرآنية والعلاقات والمطالع والخواتيم لم يسوغ لهم بخس جهود العلماء السابقين واتهامهم بالغفلة لعدم استحثاثهم الجهود في محاولة إدراك اللطائف وخوضهم في لجج البحث عن أسرار الترتيبات بين المعاني غفلة منهم.

وقد عدّ الفراهي موضعًا آخر لم يراع فيه الشيخ عبد القاهر لمسألة الترتيب في المعاني وإدراك أسرار العلاقات بين الجمل حينما استشهد بقول الجاحظ: "جنّبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة سببًا، وبين الصدق نسبة، وحبب إليك التثبت، وزين في عينك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عزّ الحق، وأودع صدرك برد اليقين، وطرد عنك ذل اليأس، وعرّفك ما في الباطل من الذلة، وما في الجهل من القلة".[2] وقال: "بأن ليس فيه ترتيب" ويقصد به قول عبد القاهر، وعلّق عليه بقوله: وإني لا أدري كيف يذهل عاقل عن الترتيب- لاسّيما مثل الجاحظ- وأيّ شيء يمنعه أن يراعي الترتيب في معانيه؟ ولم يمنعه سجع، ولا وزن شعري!

ثم بدأ الفراهي في تفنيد قول عبد القاهر، عن طريق تحليله لجمل الكلام في قول الجاحظ، مبيناً تناسب المعاني مع بعضها البعض وتلازم بنائها التركيبي، واضعًا يده على

[1] المرجع السابق، ص 154.
[2] الحيوان، 3/1. أسرار البلاغة، ص 10. دلائل الإعجاز، ص 97.

أسرار العلاقات واللطائف الغائرة بين ثنايا الجمل، فهو كما يقول: "يريد أن يشرح كلام الجاحظ ليكون لك أنموذجًا ومثالًا".[1] لتتفكر وتتدبر نظام كلام الله، فقال: "فاعلم أنّ الشبهة أول البليّة، فتغادر المرء متحيرًا، لا يدري إلى أي الأمرين يرجّح. فإن كان له سبب إلى المعرفة مال إليها، فهدي إلى الصدق. وحينئذ يحتاج إلى التثبت عليه، ثم التثبت يعود تعسّفًا، إذا نبذ الإنصاف، فيجمد على ما عرف ولا يصعد إلى ما هو أرفع منه، فإن زيّن في عينيه الإنصاف تاق إليه، هاهنا كملت له أسباب العلم، فهذه ست منازل في العلم".[2] والحق أنه أجاد وأبدع في الكشف عن توالي علاقات المعاني في كلام الجاحظ، وأماط لثام الحسن عنها، فبدت بشكل أكثر تماسكًا وأشد صلة في علاقات المعاني من رحم الجمل، فبدت متضامّة من خلال تحليله لها، خلاف من ظن أن لا علاقة بينها لمن لم يمعن النظر فيها على هذا النحو من الفقه بمعاني الكلام. وعبد القاهر لم يشر إلى هذا الترابط المنطقي ولم يوجه عنايته لبيانه- وأظنه- لم يتأمل كلام الجاحظ على هذا الوجه من النظام في طريقة بناء المعاني، وهو كما أسلفنا أمر لم يكن يصرف همّه وفكره إليه، وإنما ساق الشاهد في سياق آخر من البحث، ويريد أن يضرب مثالًا على كيفية صياغة الكلام وطلب المعاني فتنقاد إليه الألفاظ وعدم الانشغال بالجناس والسجع بين الجمل، واتخذ من قول الجاحظ نموذجًا في ذلك، فيريد أن يبرهن أنّ الجاحظ لم يقصد إلى السجع ولم يطلبه ولم يتكلفه، وإنما ترك المعنى يطلب ما يناسبه من الألفاظ، فبذلك وصل إلى ذروة البلاغة. والفراهي أثبت هنا بصيرة في التغلغل في بنى الجمل، ولديه قدرة تحليلية تمكنه من إدراك المعاني المتباعدة والمختلفة، فيوجد بينها روابط تقارب ووشائج ائتلاف وعلائق تناسب.

والحديث عن علاقات التناسب بين معاني الكلام كانت إشارات ولمعة لم تحرر مسائلها على هذا الوجه من التحليل ذلك الحين، وكانت جهود البلاغيين الأوائل عتبة مهمة في

[1] جمهرة البلاغة، ص 155.
[2] المرجع السابق، ص 155-156، وقد أفاض الفراهي في تحليلها.

هذا الطريق، وعبد القاهر من طلائع أولئك الذين مهدوا لذلك. ولا أجد خلافًا كبيرًا بين ما توصل إليه الفراهي وما ذكره عبد القاهر في أصل المسألة؛ لأنّ توجيه الفراهي لقول الجاحظ هي مرحلة تالية من مراحل إنعام النظر والتأمل في علاقات الجمل والمعاني، ومرحلة عبد القاهر مرحلة أولية لذلك. ثم يجب ألا تغفل جهود عبد القاهر في إظهار أسباب التأثير في التشبيهات والجمع بين أعناق المتنافرات وإيجاد علاقة تناسب بين المشبه والمشبه به والتي عقد لها بابًا مطولًا وجعلها من أسباب التأثير في المتلقي؛ فهو من باب تأليف المختلف وتأنيس المتنافر وتناسب علاقات المعاني.[1]

وعبد القاهر أورد هذا الشاهد من كلام الجاحظ مرتين، مرة في كتابه أسرار البلاغة،[2] وهو يعالج التكلف في طلب البديع في الكلام، وأنه لا يقع في النفس موقعًا حتى يطلبه المعنى، ثم استشهد بكلام الجاحظ، ليبرهن إمامته في البلاغة حيث عدل عن السجع والجناس وطلب وفاء المعنى، وهذا لا خلاف فيه، هنا، ثم أورد مثال الجاحظ مرة أخرى في كتابه الدلائل،[3] وهنا يظهر الخلاف، لأنّ عبد القاهر جعل هذا المثال من كلام الجاحظ في معرض الكلام الذي ما إن تدبرته تعلم أنّ واضعه لم يحتج فيه إلى فكر وروية حتى انتظم، سبيل من عمد إلى لآلٍ نخرطها في سلك، لا يبغي أكثر من أن يمنعها التفرق، وكمن نضد أشياء بعضها على بعض، لا يريد في نضده ذلك أن تجئ له منه هيئة أو صورة".[4] والجملة الأخيرة، هي التي حملت الفراهي على رد كلام عبد القاهر، ولا أستطيع أن أرد اجتهاد الفراهي في كشف تلك العلاقات أو إيجاد روابطها على هذا الوجه، ولا أستطيع- أيضًا- أن أتّهم عبد القاهر الجرجاني بالقصور، لأنّ عبد القاهر لم يعالج مسائل التناسب في علاقات المعاني بشكل ظاهر على مستوى النص

[1] راجع: أسرار البلاغة، ص 126-121.
[2] انظر: أسرار البلاغة، ص 10.
[3] انظر: دلائل الإعجاز، ص 97.
[4] دلائل الإعجاز، ص 99-97.

أصلًا سوى في مسائل تأليف المختلف في طرفي التشبيه، وكونه قال: إن كلام الجاحظ ليس فيه ترتيب؛ يقصد به في ظاهر المعنى والتركيب، ولو أتيح لعبد القاهر قراءة أو تحليل مثل الذي جاء به الفراهي لكان- فيما أعتقد- من أول المرحّبين به؛ لأنّ ذلك تتميم لنظرية النظم والانتقال بها من نظم الكلمة في الجملة إلى الجمل في الكلام، فدائمًا هو الذي ما يدعونا إلى التأمل والتدبر وإعمال الفكر والروية، فنظر في هذه الجمل ورأى أنها مثال يحتذى في استقلال الجمل بالمعاني، أي أنه كلام بني على أساس متين من البلاغة والانسجام العام، فلم يكن النسج فيها مهلهلًا أو متداخلًا، فجاء الفراهي ووسع أفق النظر، فوجد أنّ كل جملة فيها تفضي إلى جملة، وأنّ بينها أواصر رحم وقربى، فالعلاقة بينهما علاقة تكامل وائتلاف لا علاقة تناقض واختلاف.

سادسًا: التكلُّف في الإبانة: في بيان حسن الترتيب في الكلام، تناول الفراهي مسألة تمييز المعاني وفرق درجاتها، وأن هذا الأمر من الأصول البلاغية الدقيقة في تفاضل الكلام التي ربما خفيت على العلماء، فضلًا عن العامة، وضرب مثالًا على أولئك العلماء الذين يقعون في مثل ذلك بعبد القاهر الجرجاني والباقلاني، وأنك تجد في تأليفهما وبيانهما ترادفًا في معاني الألفاظ، وقال: "ولذلك ترى الجرجاني والباقلاني، وأمثالهما- رحمهم الله- مع سعة باعهم في التصريف بأنحاء التعبير، يأتون بفقرات مترادفة ظنًا منهم بأنها من جنس: "جنّبك الله الشبهة" وشتان ما بينهما".[1] وهو يقصد بأنهما يظنان بأنّ كلامهما من النمط العالي الذي تستوفي الجملة فيه المعنى وتستقل به، وأظنه يقصد- أيضًا- أنهما يتكلفان في الإنشاء الكلامي ويظهران ثروة كلامية لأنه قال معلّلًا بعد ذلك: "والعاقل يشمئز عن التكلف المحض، وإظهار ثروة الكلمات، وفقر المعنى".[2]

هذه المسألة ليست في باب من أبواب البلاغة أو مبحث من مباحثها فيمكن استنباطها

[1] جمهرة البلاغة، ص 163.
[2] المرجع السابق، ص 163.

من كتابي "الأسرار أو الدلائل"، وإنما هي في كلام عام عن الأسلوب والمستوى البياني على وجه الإجمال، فلذا وجب علينا أن نعرض نماذج متفرقة من كلام الإمام عبد القاهر، ونبحث في معاني الجمل عنده وترادف الألفاظ في أسلوب التأليف عنده في الكتابين "الأسرار والدلائل"، فكما أسلفت أنّ الفراهي- عادة- ما يلقي اعتراضاته ومآخذه على وجه من الاسترسال دون بيان لموقع المسألة على وجه التحديد.

ويمكن أن أصنّف أسلوب عبد القاهر في تأليفه إلى ضربين:

ضرب تنظيري: تجده يحرك فيه فكره وقلمه في أغوار المسائل والتفاصيل الدقيقة، فهو مهتم باستخلاص الفكرة وعرضها بتأنٍ وتأنق وحرص شديد على وضوح فكرته وسطوع بيانه.

وضرب تمهيدي: يجعلها كمقدمة موجزة بين يدي القارئ قبل الخوض في صميم المسائل، وعادته في مثل ذلك، التأنق والاحتشاد في الكلام والتحبير في المعاني ليحفز القارئ ويختصر له بعض الفوائد التي يحتوي عليها الفصل أو الباب. وهو في كل ذلك حسن العبارة جميل الأسلوب ناصع البيان.

ولا أجد في كلا الضربين وجهًا لهذا الاعتراض، بل إنّ حديثه وفكره يطلب المعنى ويحث الخطى تجاهه، فمثلًا في باب التجنيس والسجع تجده يقول: "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسًا مقبولًا، ولا سجعًا حسنًا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبغي به بدلًا، ولا تجد عنه حولًا".[1] فهو حريص على تحقيق فائدة الكلام والبعد عن الحشو الذي لا طائل من ذكره حتى وإن وافق فواصل الكلمة أو جرس الحروف. ولو حققت الفحص في كتابيه "الأسرار والدلائل" وجدته في كل ذلك من أشد النابذين لمسألة الترادف في الألفاظ أو التكلف في الأسلوب، فمثلًا تجده يحث على إرسال المعنى على سجيته دونما تكلف فيقول: "ولن تجد أيمن طائرًا، وأحسن أولًا وآخرًا، وأهدى إلى الإحسان وأجلب إلى الاستحسان

[1] أسرار البلاغة، ص 11.

من أن ترسل المعاني على سجيتها، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ، فإنما إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها".[1]

فهو هنا يذمّ الحشو في الكلام وإقحام اللفظ في غير ما حاجة، ويطلب أن يكون اللفظ بإزاء المعنى المستقر في النفس، وهذا مدار نظرية النظم التي أصل لها لذلك هو شديد الحيطة والتحسس من الوقوع في هذا الداء.

ثم يجب علينا ونحن نقرأ في كتابه ألا نحاكمه في أسلوبه محاكمة الكاتب الأديب في رسائله أو خطبه أو محاكمة الشاعر بين يدي قصائده، لأنّ العلم له نهجه وخطابه العقلي الذي يعنى بشرح وتبيين مسائله وإيصالها إلى الأذهان وضرب الأمثال والشواهد عليها، فهو خطاب معني بترسيخ الأفكار بعد بيانها وتوضيحها.

أما الخطاب الإبداعي فأمره مختلف، لأنه خطاب مشروط بصفات وحدود ومميزات تقوم على الإلهام والتصوير والإحساس والإيحاء، فقوامه الإبداع والتحليق في عوالم اللغة وطاقاتها المتولدة من تصريف أبنيتها وتركيبها ووجوه استعمالات اللغة وتصوير المعاني، وأيّ إخلال بشروط الإبداع يضعفه أو يخرجه من هذه الدائرة. وعلى الرغم من ذلك فقد اشتهر عبد القاهر الجرجاني بعلوّ بيانه وبعده عن التكلف والحشو حتى إنه صار مدرسة في البيان العربي وله قدرة على التأثير في أسلوب من تعاوروا كتبه كالأستاذ محمود شاكر، والدكتور محمد أبو موسى، وهما من أصحاب الأقلام العلمية والأدبية المتينة،[2] ومع ذلك لا يمكنني أن أنزهه عن الوقوع في شيء من اللمم في ذلك، فكتابا "الدلائل والأسرار" كُتبا على مراحل متفاوتة نسبية، فلا أستطيع أن أنفي عنه أو عن أيّ عالم في الوقوع في شيء من ذلك. وأيّ شاعر وأديب لا يخلو من الوقوع في شيء من الترادف اللفظي، لأنني كما ذكرت أنّ من شأن العلماء أن يحتشدوا أحيانًا

[1] المرجع السابق، ص 14.

[2] هناك دراسات استقصت هذا الباب منها، (البديع عند عبد القاهر الجرجاني بلاغيًا وبليغًا)، الطالبة هاني عسيري، كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، 1438هـ.

لبيان مسألة ما، لفرحهم بلذة الوصول إليها بعد جهد وعناء، فتجده يتأنق ويطرب حين يعرضها فتراه يعيد المعنى ويحبّر تلك المعاني ويؤكد على أهميتها، فيقع في شيء من ذلك، أو تجده ينبه على مسألة مهمة تستدعي التكرار بوجه من الوجوه، فتراه يعيد المعنى ويحبّره لغاية يرجوها، وليس منها التكلف أو التلاعب اللفظي أو الحشو.

سابعًا: ضعف الاعتماد على الخيال: عرض الفراهي وهو يعالج بعض المسائل فيما أسماه بالبلاغة الخصوصية وذكر باب انتهاز الفرصة، وهو أسلوب يكون في الجمل الاعتراضية، وأورد بيت النابغة المشهور:[1]

ولستَ بمستبق أخًا لا تلمّه على شعث أيّ الرجال المهذب

وبيّن أنّ التعريف في "المهذب" أضفت معنى احترازيًا عن الوصف بالتنكير "مهذب" وإلا لوقع في الخطأ. وعقّب بقوله: "ولكن براعة هذا الشعر في الخيال. لا في نفس حرف المعرفة- كما ظن الجرجاني".[2] وقد بحثت في كتابي عبد القاهر "الأسرار والدلائل" على الموقع الذي تحدث أو علّق فيه عبد القاهر على هذا البيت، فلم أجده، ولم يرد هذا البيت سوى في ملحق الدلائل وهي الرسالة الشافية، وكان الاستشهاد به في معرض حديث ابن عباس عندما سأل الحطيئة: من أشعر الناس؟. ولما أورده ابن عباس على الحطيئة لبيان منزلته، علّق الحطيئة عليه: بأنّ الضراعة أفسدته. ولم يرد لعبد القاهر أيّ تعليق لا في التعريف، ولا في التنكير، ولعل هذا مما يؤخذ على الفراهي!.

ولم أتبين بشكل واضح مفهوم الخيال عند الفراهي، ما الذي يقصده منه، هل هو أفق الشاعر البعيد الذي أتى به على هذا المعنى؟! لأنّ تعليقه كان في حرف التعريف "ال" الذي دخل على الوصف "المهذب" فأكسبه معنى التهذيب الكامل، وهذا لا يكون إلا للأنبياء الذين عصمهم الله في سائر أفعالهم وأخلاقهم من النقص، فكمال التهذيب يتنافى مع فطرة

[1] ديوان النابغة الذبياني، ص 56.
[2] جمهرة البلاغة، ص 195.

البشر، والذي صنع كل هذا الفرق هو حرف التعريف "ال" فلا قيمة للبيت من دونه!

الخاتمة: الحمد لله الأول والآخر، الذي شرح فهدى، وأعان ويسّر، والصلاة والسلام على الحبيب المجتبى وعلى آله وصحبه ومن اقتدى. أما بعد،

فهذه أهم النتائج التي استخلصها البحث، أجملها في نقاط:

1. كان مناط الاختلاف في تقدير المسائل العلمية والقضايا البلاغية التي وقف عندها الفراهي واعترض فيها على عبد القاهر الجرجاني نابعًا من طريقة التفكير المغايرة والزاوية المختلفة التي يطلّ منها الفراهي على علم البلاغة ولا يراها إلا منها، فهو شديد التحفظ في قيام أسس هذا العلم على أصول عربية مستخلصة من شواهد القرآن الكريم وشعر الجاهليين خاصة، كما يتضح من شواهده واعتراضاته، ولو اتحد منهجه ومناط نظره مع عبد القاهر لربما كان له شأن آخر أكثر قبولًا وتوافقًا.

2. اجتهاد الفراهي في البحث عن بلاغة تستنطق لغة العرب وأساليبهم المستمدة من كتاب الله كانت ثمرة من ثمار المطالعة وإعادة النظر في كتب علماء البلاغة عامة، وكتابي "الأسرار والدلائل" للإمام عبد القاهر الجرجاني خاصة، فنجد أثر ذلك ظاهرًا في تتبعه لهما، وكثرة الاعتراضات على صاحبهما والانشغال بالرد عليه، قياسًا بغيره من العلماء كالجاحظ والباقلاني والزمخشري.

3. إقامة أواصر العلم في كافة الأقطار، وإلقاء الضوء على المجتهدين منهم أمر مهم في إبراز جهود العلماء المجتهدين في العصر الحديث في علوم البلاغة، وتقريب سيرهم للناشئة والمهتمين بالدرس البلاغي.

4. إلقاء الضوء على الدراسات البلاغية الحديثة التي اجتهدت في إعادة ترتيب مفردات هذا العلم بطريقة جديدة غايرت فيها طريقة شرّاح التلخيص في تقسيمهم المعروف؛ الذي يقوم على تقسيم البلاغة إلى ثلاثة أقسام رئيسة: علم

المعاني ومباحثه الثمانية، وعلم البيان، وأقسامه الثلاثة التشبيه والمجاز والكناية، وعلم البديع بشقّيه: اللفظي والمعنوي. وهذه المغايرة قامت على تقسيم هذا العلم إلى قسمين رئيسين: عمومي، وخصوصي، وقد فصّلنا القول في ذلك.

5. يمكن إجمال اعتراضات الفراهي على عبد القاهر الجرجاني في ثلاثة أقسام: قسم عام يعنى بفكرة التأثر بثقافة الأمم من غير العرب والتأسيس عليهما، وقسم خصوصي يعنى بمسائل التأصيل العلمي للبلاغة ومباحثها، وفرع يندرج تحت القسم الخصوصي؛ يعني بالملح والتحليلات التذوقية في البلاغة.

6. البلاغة ليست كعلم اللغة والنحو والاشتقاق تقف في استخلاص قواعدها على لسان عصر الاحتجاج، هي تدور على جهات الحسن في تأدية المعاني، فليس لها عصر محدد، وإنما يعتدّ فيها بكل أسلوب حيّ راقٍ حتى لو أتى بها المحدثون، فيمكن أن يقاس عليهم في ذلك.

7. من المآخذ العامة التي لوحظت على الإمام الفراهي أثناء إبداء اعتراضاته وانتقاداته على عبد القاهر الجرجاني أنه يذكر المسألة البلاغية المعترض عليها دون تحديد موضعها في كتابي عبد القاهر الجرجاني بشكل محدد، مما يخضعها إلى اجتهاد الباحث في الوصول إليها.

8. يعدّ الفراهي من البلاغيين البارعين الذين نهضوا بقضية مراعاة التناسب في المعاني وتراكيب الكلام وله جهود جليلة في ذلك من خلال مؤلفاته تستحق عكوف الباحثين عليها ليخرجوها إلى ساحة الدرس البلاغي.

المصادر والمراجع

1. آ. رتشاردز، فلسفة البلاغة، ترجمة: سعيد الغنمي ود. ناصر حلاوي، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002م.
2. ابن المعتز، ديوانه، دار صادر، بيروت، د.ت.
3. ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، د.ت.
4. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ.
5. تهاني عسيري، البديع عند عبد القاهر الجرجاني بلاغيًا وبليغًا، كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، 1438هـ.
6. توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد الأدبي الحديث، دار الفكر، دمشق، ط2، 2004م.
7. الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، 1405هـ.
8. الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مصطفى البابي، مصر، 1965م.
9. الدكتور أحمد مطلوب، بحوث بلاغية، مطبوعات المجمع العلمي، بغداد، 1997م.
10. الدكتور أحمد مطلوب عن "جمهرة البلاغة" على الشبكة العالمية:
http://www.al-edu.com/wp-content/uploads/2013/12/islamic-23.pdf
11. الدكتور أشرف الإصلاحي، مقال "ترجمان القرآن مولانا حميد الدين فراهي"، مجلة "معارف"، عدد رجب 1411هـ.
12. الدكتور صالح الزهراني، سياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي، مجلة عالم الكتب، الرياض، العدد: 3-4، يناير 2004م.
13. الدكتور محمد أبو موسى، المدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1418هـ.
14. الدكتور محمد أبو موسى، دراسة في البلاغة والشعر، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1411هـ.

15. الدكتور محمد أبو موسى، مراجعات في أصول الدرس البلاغي، مكتبة وهبة، مصر، 1426هـ.
16. الدكتور محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1.
17. الدكتور عباس أرحيلة، مدونة في شبكة الأنترنت، بعنوان: "التأثير الأرسطي في البلاغةالمغربية من خلال كتاب التنبيهات لابن عميرة"> http://abbasarhila.blogspot.com/
18. رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة: عمرأوكان، دار رؤية، القاهرة، 2011م.
19. الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط1، 2002م.
20. زهير بن أبي سلمى، ديوانه، صنعة: أبي العباس ثعلب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، ط3.
21. طه حسين، مقدمة نقد النثر، تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر، ترجمة: عبد الحميد العبادي عن الأصل الفرنسي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1980م.
22. عبد الحميد الفراهي، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، الهند، ط1، 2008م.
23. عبد الحميد الفراهي، جمهرة البلاغة، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات ود. محمد إقبال فرحات، نشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 2017م.
24. عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، ط1، 1388هـ.
25. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قراءة محمود شاكر، دار المديني، جدة، ط1، 1412هـ.
26. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قراءة محمود شاكر، ط3، دار المديني، جدة، 1413هـ.
27. عبيد الأبرص، ديوانه، تحقيق وشرح: د. حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي

الحلبي، القاهرة، ط1، 1957م.
28. كشاجم، ديوانه، تحقيق محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.
29. المفضل الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، ط11، 1994م.
30. النابغة الذبياني، ديوانه، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1977م.

ISSN: 2321-7928

العروض والقوافي وشعر الإمام الفراهي العربي نموذجًا

- د. محمد معتصم الأعظمي[1]

لا يخفى على من له إلمام بالشعر أنّ العروض علم يدرس أوزان الشعر فيعرف الوحدات المكونة للوزن ويحدد قوانين تركيبها ويضع القواعد التي تخضع لها القصيدة العربية. وفيما يلي دراسة وجيزة لهذا الفن وممارسته في ضوء الشعر العربي للإمام عبد الحميد الفراهي.

العروض في اللغة: الناقة التي لم تُرَضْ،[2] من المجاز : ميزان الشعر[3] الناحية،[4] الطريق[5] الغيم[6] مكة والمدينة واليمن وما حولهن.[7]

العروض في الاصطلاح: العروض: "علم يبحث فيه عن أحوال الأوزان المعتبرة"[8] أو "هو ميزان الشعر، به يعرف مكسوقه من موزونه، كما أنّ النحو معيار الكلام به يُعرَف معربه من ملحونه".[9]

فالعروض على وزن فَعُول، كلمة مؤنثة[10] والمراد بها علم يبحث فيه عن صحيح أوزان

[1] نائب مدير تحرير المجلة ومدرس، قسم اللغة العربية وآدابها، سيوري فيديا ساغر، بنغال الغربية، الهند

[2] تاج العروس 378/18

[3] 379/18

[4] 380/18

[5] 381/18

[6] 381/18

[7] 382/18

[8] كتاب كشف الظنون 1133/1

[9] أبو القاسم إسماعيل بن عباد: كتاب الاقناع في العروض وتخريج القوافي، ص 3

[10] الدكتور محمد علي الهاشمي: العروض الواضح وعلم القافية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1412هـ/1991م، ص 9

الشعر العربي وفاسدها وعن أبحر الشعر العربي التي اختارها الشاعر لشعره فبها يتعين معيار الكلام.

ومن المعروف أنّ الفضل في نشأة علم العروض يرجع إلى الخليل ابن أحمد الفراهيدي (100-175هـ) الذي يعدّ أحد أئمة اللغة والأدب في القرن الثاني من الهجري.

سبب تسمية هذا العلم: قد ذكروا في وجه تسمية هذا العلم بالعروض وجوهًا أقربها أنّ العروض اسم لا يعرض عليه الشيء فنُقِل إلى هذا الفن لأنه يُعْرَضُ عليه الشعر، فما وافقه فصحيح وما خالفه ففاسدٌ.[1]

البيت: كلام تامّ يتألف من أجزاء وينتهي بقافية، فالبيت ينقسم في شطرين وعروض وضرب وحشو، فالشطر الأول يسمّى "صَدْر" والشطر الثاني يسمّى "عَجُز"، والعروض اسم للجزء الأخير من النصف الأول من البيت أو للجزء الأخير في الشطر الأول أي من الصدر[2]، والضرب اسم للجزء الأخير من النصف الثاني من البيت أو للجزء الأخير في الشطر الثاني أي من العَجُز[3]. والحشو هو ما عدا العروض والضرب من أجزاء البيت.

لَقَدْ حَلَّ بِالرَّوْمِ شَرٌّ شَمِرْ	فَنَارُ الحُرُوْبِ بِهِمْ تَسْتَعِرْ
//ه/ه //ه/ه //ه/ه //ه	//ه/ه //ه/ه //ه/ه //ه
فعولن فعولن فعولن فَعُلْ	فعولن فعولن فعولن فَعُلْ
حشو عروض	حشو ضرب
صدر	عجُز

[1] العيون الغامزة على خبايا الرامزة للدماميني بدر الدين، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر، تحقيق الحساني حسن عبد الله، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية 1415هـ/1994م، ص 15

[2] ويقال أيضًا: آخر تفعيلة من الصدر.

[3] ويقال أيضًا: آخر تفعيلة من العجُز.

وكما ينقسم البيت في التام والمجزوء والمشطور والمتهوك والمصرع والمقفى.

فالبيت التام هو الذي لم ينقص من أجزائه شيء.

والبيت المجزوء هو الذي حذف منه عروضه وضربه، فأصبح ما قبلهما عروضًا وضربًا.

والبيت المشطور هو الذي حذف شطره وبقي على شطر واحد.

والبيت المنهوك هو الذي حذف ثلثا شطره.

البيت المصرّع هو الذي غُيّرت عروضه بزيادة أو نقص، لتوافق الضرب في الوزن والسجع.

والبيت المقفى هو الذي واقفت عروضه ضربه في الوزن والسجع دون التغيير.

والبيت المدور هو الذي فيه كلمة مشترك بين شطريه بعضها في الشطر الأول وبعضها في الشطر الثاني.[1]

البحر: هو الوزن الموسيقي الذي تسير عليه القصيدة في أبياتها جميعًا.

التفعيلة: هي الوحدة الموسيقية في البحر أو هي كل كلمة من كلماته ومن اجتماع طائفة من التفعيلات على نسق خاص يتكون البحر. وعدد التفعيلات ثمانٍ في اللفظ عشرٌ في الحكم وهي كما يلي:

فعولن، فاعلن، مفاعيلن، مفاعلتن، مستفعلن، متفاعلن، فاعلاتن، ومفعولات فاع لاتن ومستفع لن، وتصف هذه التفتعيلات أيضًا كالآتي:

الخماسية:

فعُولُن (//ه/ه) تتكون من وتد مجموع (فع) وسبب خفيف (لُن).

فاعلن (/ه//ه): تتكون من سبب خفيف (فَا) ووتد مجموع (عِلُن).

[1] العروض الواضح وعلم القافية، ص 12-13

السباعية:

مفَاعيلن (//ه/ه/ه) تتكون من وتد مجموع وسببن خفيفين.

مستفعلن (/ه/ه//ه) تتكون من سببين خفيفين ووتد مجموع.

مفَاعَلَتُن (//ه///ه) تتكون من وتد مجموع وفاصلة صغرى.

مفعولاتُ (/ه/ه/ه/) تتكون من سببين خفيفين وتد مفروق.

فاع لاتن (/ه/ /ه/ه) تتكون من وتد مفروق وسببين خفيفين.

مستفع لن: (/ه /ه/ /ه) تتكون من سبب خفيف فوتد مفروق فسبب خفيف

فاعلاتن (/ه//ه/ه) تتكون من سبب خفيف فوتد مجموع فسبب خفيف.[1]

بحور الشعر: من المعروف أنّ الخليل بن أحمد اكتشف خمسة عشر بحراً ثم تدارك الأخفش الأوسط البحر[2] المتدارك، فيكون بحور الشعر العربي ستة عشر بحراً؛ الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل والهزج والرجز والرمل والسريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث والمتقارب والمتدارك. وقد نظم أحدهم هذين البيتين لحفظهما:

طويلٌ يُمَدَّ البَسْطَ بالوَفْرِ كَامِلٌ ويَهْزجُ في رجْزٍ ويُرمِلُ مُسرعا

فسرَحْ خفيفًا ضارعًا تقتضب لنا بما اجتثّ عن قربٍ لتُدرِكَ مطْمَعَا[3]

كما نجد ضوابط عديدة منشورة في الكتب لأبحر العروض ويستظهر الشادي هذه

[1] الدكتور عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، دار النهضة العربية للنشر والطباعة، 1407هـ 1987م، ص 20

[2] العروض الواضح وعلم القافية، ص 12

[3] مصطفى حركات: أوزان الشعر، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1418ه/1998م

الضوابط في علم العروض ليسهل عليه حفظ بحور الشعر أو تذكرها، وهي كما يلي:

1. **الطويل:**

طويلٌ له بين البحور فضائلٌ فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلُ

2. **المتقارب:**

عن المتقارب قال الخليل فعولن فعولن فعولن فعولُ

3. **البسيط:**

إن البسيط لديه يُبسَطُ الأملُ مستفعلن فاعلن مستفعلن فعِلُ

4. **الرجز:**

في أبحر الأرجاز بحرٌ يَسهُلُ مستفعلن مستفعلن مستفعلُ

5. **السريع:**

بحرٌ سريعٌ ما له ساحلُ مستفعلن مستفعلن فاعلُ

6. **المنسرح:**

مُنْسَرِحٌ فيه يُضرَبُ المثلُ مستفعلن مفعولات مفتعلُ

7. **الكامل:**

كَمَلَ الجمالَ من البحور الكاملُ متفاعلن متفاعلن متفاعلُ

8. **الوافر:**

بحورُ الشعر وافرُها جميلُ مفاعلتن مفاعلتن فعولُ

9. **المديد:**

لِمديدِ الشعر عندي صفاتُ فاعلاتن فاعلن فاعلاتُ

10. الرمل:

رَمَلَ الأبحر ترويه الثقاتُ فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتُ

11. الخفيف:

يا خفيفًا خفَّت به الحركاتُ فاعلاتن مستفعلن فاعلاتُ

12. الهزج:

على الأهزاج تسهيلُ مفاعلين مفاعيلُ

13. المضارع:

تعدّ المضارعاتُ مفاعيلُ فاعلاتُ

14. المقتضب:

اقتضب كما سألوا فاعلاتُ مفتعلُ

15. المجتث:

اجتثّتِ الحركاتُ مستفعلن فاعلاتُ

16. الرمل:

حركاتُ المحدّثِ تنتقِلُ فعِلن فعْلن فعِلن فعِلُ[1]

من المعروف أنّ البيت الشعري يتألف من الأجزاء، والأجزاء هي التفعيلات، وتتألف التفعيلات من المقاطع العروضية، وهي الأسباب والأوتاد والفواصلُ.[2] فالسبب حرفان وينقسم في خفيف وثقيل:

[1] الدكتور محمد علي الهاشمي: العروض الواضح وعلم القافية، ص 24-26

[2] الدكتور محمد بن حسن بن عثمان: المرشد الوافي في العروض والقوافي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ص 16

1. السبب الخفيف: يتألف من حرفين من حركة وسكون (/ه) مثل مِنْ، مَا، هَلْ وبَلْ، (مُسْ- تَفْ) من مستفعلن و(فَاْ) من فاعلن وفاعلاتن.
2. السبب الثقيل: ويتألف من حرفين متحركين (//) مِثل بِكَ، لَكَ ولِمَ، (فُعُ) من فعولن (مُفَ) من مُفَاعلتن و(مُتَ) من مُتَفاعلن ومَفَاعيلن.

والوتد ثلاثة أحرف وينقسم في مجموع ومفروق:

1. الوتد المجموع: يتألف من متحركين فساكن يعني اجتماع متحركين وساكن بلا فاصل مثل: نَعَمْ، عَلَى، بِكُمْ، (فعوْ) من فعولن و(عِلُنْ) من مستفعِلُن وفاعِلُنْ وغيرها.
2. الوتد المفروق: يتألف من متحركين بينهما ساكن مثل: مُنْذُ، قَالَ، مِصْرُ.

وأما الفاصلة فهي أربعة أحرف وتنقسم في صغرى وكبرى:

1. الفاصلة الصغرى هي مجموعة ثلاثة متحركات فبعدها ساكن أو تتألف من سبب ثقيل وآخر خفيف (///ه) مثل: كُتُبٌ، نَظَمُوا، جَبَلٌ، (مُتَفَا) من مُتَفَاعِلُنْ، و(عَلَتُنْ) من مُفَاعَلَتُنْ.
2. الفاصلة الكبرى هي مجموعة أربعة متحركات فبعدها ساكن أو تتألف من سبب ثقيل ووتد مجموع (////ه) مثل: كُتُبُهُمْ، سَمَكَةٌ، جَعَلَنَاْ.

ويقال أنّ الخليل قد جمع ما بين هذه المصطلحات المذكورة أعلاه كلها بقوله: "لَمْ أَرَ عَلَى ظَهْرِ جَبَلٍ سَمَكَةٌ".[1] ويقال أنّ أوزان الشعر العربي محصورة في عشر تفاعيل.

البيت الشعري ينقسم إلى قسمين متساويين من حيث النغم والقياس الموسيقى،

[1] الدكتور محمد علي الهاشمي: العروض الواضح وعلم القافية، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى 1412هـ، 1991م، ص 16

ويعرف كل قسم بالمصراع تشبيهًا بمصراعي الباب، أو بالشطر، فيقال: الشطر الأول أو الثاني، كما يقال المصراع الأول أو الثاني من البيت.

التفعيلة الأخيرة: ولما كان للتفعيلة الأخيرة من كل شطر أهمية خاصة فقد انفردت بتسمية خاصة.

فالتفعيلة التي في آخر الشطر الأول من البيت تسمّى "العروض" بفتح العين، والتفعيلة التي في آخر الشطر الثاني تسمّى "الضرب" وما عدا ذلك من تفاعيل البيت يسمّى "الحشو" هكذا:

فعولن مفاعيلن فعولن	مفاعلن		فعولن مفاعيلن فعولن	مفاعلن
حشو	عروض		حشو	ضرب

وكل بحر من بحور الشعر له نظام خاص في التغييرات التي تدخل على الحشو أو على العروض أو على الضرب.[1]

القافية: فالمعروف أنّ الشاعر يلتزم حروفًا في آخر كل بيت من أبيات أشعاره أو قصيدته فتسمّى هذه الحروف "القافية". فإذا أنهى الشاعر مطلع قصيدته أي البيت الأول منها بحرف أو كلمة مثل "الوطنْ" بسكون النون فالتزم اختتام بقية أبيات قصيدته بنون ساكنة مثل "الزمنْ"، و"الشجنْ" و"الوسنْ" و"الفننْ" إلخ.[2]

وتتكون القافية من حرف أساسي ترتكز عليه يعرف باسم "الروي".

القافية في اللغة: من قفوت فلانًا إذا تبعته، وسميت قافيةً؛ لأنها تفقو آخرَ كلّ بيت،

[1] الدكتور عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، دار النهضة العربية للنشر والطباعة، 1407هـ 1987م، ص 26

[2] الدكتور عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، دار النهضة العربية للنشر والطباعة، 1407هـ 1987م، ص 134

وكل قافية تتبع أختها التي قبلها، فهي قوافٍ يقفو بعضها بعضًا.[1]

القافية في الاصطلاح: القافية ما بين آخر ساكنين مع المتحرك الذي قبل الساكن الأول وهو قول الخليل.[2] وقال الأخفش إنها آخر كلمة في البيت.[3]

فإنّ القافية أحيانًا تكون بعض كلمة أو كلمة واحدة أو أكثر كلمة مثل قول طرفة بن العبد:

إذا القوم قالوا من فتى خلتُ أنني عنيت فلم أكسل ولم أتبلَدِ

فالقافية هنا بلّدِ (بعض كلمة)

وقول لبيد بن ربيعة:

ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ وكل نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

فالقافية هنا زائلُ (كلمة)

وقول الشاعر:

وكلّ خيرٍ في أتباع من سَلَفْ وكل شرّ في ابتداع من خَلَفْ

والقافية هنا من خلف (أكثر من كلمة).[4]

وتعدّ حروف القافية ستة؛ الروي والوصل والخروج والردف والتأسيس والدخيل وكلها إذا دخلت أو القصيدة تلزم كلّ أبياتها.[5]

[1] محمد بن فلاح المطيري: القواعد العروضية وأحكام القافية العربية، الطبعة الأولى 1425هـ 2004م، ص 103

[2] المصدر نفسه

[3] الدكتور محمد بن حسن بن عثمان: المرشد في العروض والقوافي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2004م 1425هـ، ص 152

[4] القواعد العروضية وأحكام القافية العربية، ص 103

[5] المرشد في العروض والقوافي، ص 157، والقواعد العروضية وأحكام القافية العربية، ص 104

فالروي هو الحرف الصحيح آخر البيت والذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه فيقال قصيدة نونية أو دالية أو ميمية أو لامية. فجميع الحروف الهجائية تصلح أن تكون رويًا ما عدا الأحرف التي ليست من أصل الكلمة، بل هي زائدة على بنية الكلمة.[1]

والوصل هو حرف مدّ يجيء بعد الروي وينشأ عن إشباع حركة "الروي" والوصل يكون بأربعة أحرف وهي الألف والواو والياء والهاء.

والخروج هو حرف مدّ يلي هاء الوصل المتحركة ويتولد عن إشباع حركتها سمّي بذلك، لأنه يخرج به من البيت مثل الألف في "فرجامها" والواو في "حسنهُ" والياء في "قلبهِ".

الردف هو حرف مدّ أو لين يقع قبل الروي مباشرة سواء أكان هذا الروي ساكنًا أو متحركًا وسمّي بذلك لوقوعه خلف الروي ويكون بثلاثة أحرف وهي الألف والواو والياء، مثل "شبابْ" و"قلوبْ" و"حبيبْ" و"أحجارِ" و "رسولُ" و"رحيلُ" و"قول" و"العين".

التأسيس هو الألف التي يكون بينها وبين الروي حرف واحد متحرك يسمّى الدخيل مثل: "المكارم" و"العظائم" فالألف من (المكارم) و(العظائم) تأسيس، والميم من (المكارم) و(العظائم) روي بينما الراء من (المكارم) والهمزة من (العظائم) فهما دخيلان.

الدخيل: وهو الحرف المتحرك البين الفاصل بين الروي وألف التأسيس وهذا الحرف وإن كان من لوازم القافية، فليس بلازم التزامه بعينه في القصيدة، وذلك بخلاف حروف القافية الأخرى[2] ومثال الدخيل: الراء والهمزه في "المكارم"

[1] العروض الواضح وعلم القافية، ص 136
[2] المرشد في العروض والقوافي، ص 160

و"العظائم" كما أسلفناه.

الزّحاف: لغةً: يُطلق لغة على الإسراع، ومنه قول الله عزّ وجلّ: (إذا لقيتم الذين كفروا زَحْفًا) (سورة الأنفال: 15) أي مسرعين، وسُمّي بذلك لأنه إذا دخل الكلمة أضْعفها وأسرعَ النطقَ بها.[1]

واصطلاحًا: تغييرٌ يطرأ على ثواني الأسباب (أي الحرف الثاني من السبب) دون الأوتاد، وهو غير لازم، بمعنى أنّ دخوله في بيتٍ من القصيدة لا يستلزم دُخُوله في بقيةِ أبياتها. والزّحاف ينقسم في نوعين؛ مفردٌ ومركبٌ.

فالزحاف المفرد هو تغيير واحد في التفعيلة، مثل "مستفعلن" تصير "متفعلن"، وهو ينقسم في ثمانية أنواع:

1. الخَبْنُ: هو حذف الثاني الساكن من التفعيلة "مستفعلن" تصير "متَفْعلن"، "فاعِلُن" تصير "فَعِلن"، "فاعِلاتُن" تصير "فعِلاتن".
2. الوقص هو حذف الثاني المتحرك، متفاعلن تصير مفاعلن.
3. الإضمار هو تسكين الثاني المتحرك، متفاعلن تصير متْفاعلن.
4. الطيّ هو حذف الرابع الساكن، مستفعلن تصير مُسْتَعِلُن= مُفْتَعِلُن.
5. القَبْض هو حذف الخامس الساكن، مفاعيلن تصير مفاعلن.
6. العَقْل هو حذف الخامس المتحرك، مفاعلتُن تصير مفاعَتُن=مفاعلُن.
7. العَصْب هو تسكين الخامس المتحرك، مفاعَلَتن تصير مفاعَلْتُن.
8. الكَفّ هو حذف السابع الساكن فاعِلاتُن تصير فاعلاتُ.

[1] المرشد الوافي في العروض والقوافي، ص 28

فالزحاف المزدوج أو المركب هو تغيير مرتين في التفعيلة أي يطرأ زحافان في التفعيلة وهو ينقسم في أربعة أنواع:

1. الخَبْلُ هو حذف الثاني والرابع الساكنين من التفعيلة أي هو مركب من الطيّ والخبن، مستفعلن تصير مُتَعِلُن=فَعِلَتُن.
2. الخَزْل هو تسكين الثاني المتحرك وحذف الرابع الساكن من التفعيلة أي هو مركب من الطيّ والإضمار، متفاعلن تصير مُتْفَعِلن= مُفْتَعِلن.
3. الشكْل هو حذف الثاني والسابع الساكنين من التفعيلة أي هو مركب من الخبن والكف، فاعلاتن تصير فَعِلَاتُ.
4. النقص هو تسكين الخامس المتحرك من التفعيلة أي هو مركب من العصْب والكفّ، مفاعلَتن تصير مفاعلْتُ.[1]

العلة: لغة: المرض، وسّميت بذلك؛ لأنها إذا دخلت التفعيلة أمرضتها وأضعفتها، فصارتْ كالرجل العليل.[2]

واصطلاحًا: تغييرٌ يطرأ على الأسباب والأوتاد من العروض أو الضرب، وهي لازمة، بمعنى أنّها إذا وردت في أول بيتٍ من القصيدة التزمت في جميع أبياتها. والعلة تنقسم في نوعين؛ علل الزيادة وعلل النقص.

فعلل الزيادة لا تدخل إلاضرب البيت المجزوء فقط، لأنها تكون عوضًا عن النقص الذي وقع في البحر وتكون بزيادة حرف أو حرفين في آخر التفعيلة، وتنقسم في ثلاثة أنواع:

1. الترفيل هو زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع، فاعلن تصير فاعلاتن

[1] العروض الواضح وعلم القافية، ص 126-127، والمرشد الوافي في العروض والقوافي، ص 28-32
[2] المرشد الوافي في العروض والقوافي، ص 32

ومتَفَاعلن تصير متَفَاعلاتن.

2. التذييل هو زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع، متَفاعلن تصير متفاعلانْ ومتستفعلن تصير مستفلانْ وفاعلن تصير فاعلانْ.

3. التسبيغ هو زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف، فاعلاتن تصير فاعلاتانْ.[1]

وعلل النقص تنفسم في تسعة أنواع:

1. الحذف هو إسقاط سبب خفيف من آخر التفعيلة، مفاعيلن تصير مفاعي=فعولن.

2. القطْف هو مركب العصب والحذف مفاعلتُن تصير مفَاعَلْ=فعُولُنْ

3. القصْر وهو حذف ثاني السبب الخفيف وتسكين ما قبله، مفاعيلن تصير مفاعيلْ.

4. القطْع هو حذف آخر الوتد المجموع، تسكين ما قبله، فاعلن تصير فاعلْ.

5. الجَذَذ هو حذف الوتد المجموع كله من آخر التفعيلة، متفاعلن تصير متَفَا=فَعِلُنْ.

6. الصَّلْم هو حذف الوتد المفروق من آخر التفعيلة، مفعولاتُ تصير مفعوْ=فعْلن.

7. الكسْف (الكشْف)هو حذف السابع المتحرك أي حذف آخر الوتد المفروق، مفعولاتُ تصير مفعولا=مفعولن.

8. الوقْف هو تسكين السابع المتحرك من آخر التفعيلة أي تسكين آخر الوتد المفروق، مفعولاتُ تصير مفعولاتْ.

[1] القواعد العروضية وأحكام القافية العربية، ص 33 والمرشد الوافي في العروض والقوافي، ص 33

9. البَتْر هو مركب من الحذف والقطع، فاعلاتن تصير فاعلْ=فعْلن.

وهناك علل غير لازمة تقع في بيتٍ من القصيدة ولا تقع في آخر، فلم يجب التزامها على شاعر في سائر أبيات القصيدة، وتسمّى هذه العلل بـ"العلل الجارية مجرى الزحاف" وهي:

1. التشّعيث هو حذف أو الوتد المجموع، فاعلاتن تصير فالاتن=مفعولن.
2. الحذف هو زيادة حرف أو أكثر في أول صدر البيت أو أول عجزه في بعض البحور، أو هو يقع في عروض المتقارب التام، فعولن تصير فعُو.
3. الخَرْم هو حذف أول الوتد المجموع في صدر الشطر الأول، وله أسماء تختلف حسب التفعيلة فالخرم يسمّى (الثَّلم).
4. الثَّرْم هو مجموع من الخرم والقبض، فعولن تصير عولُ=فَعْلُ.
5. الشَّتْر هو مثل الثرم، ولكنه يلحق مفاعيلن خاصة، مفاعيلن تصير فَاعلن.[1]
6. الخَرب: هو الخرم مع الكفّ، مفاعيلن تصير فاعيلُ=مفعولُ.
7. العضْب هو مثل الخرم ولكنه يلحق (مفاعلتن) خاصة، مفاعلتن تصير فاعلتن.
8. القصْم وهو مجموع من الخرم والعصب، مفاعلتن تصير فاعلْتن=مفعولن.
9. الجَمّ هو مجموع من الخرم والعقل، مفاعلتن تصير فاعتن= فاعلن.
10. العَقْص هو مركب من الخرم والنقص، مفاعلتن تصير فاعلتُ=مفعولُ.[2]

والآن نودّ أن نورد القصائد والأبيات المختلفة للإمام الفراهي نموذجًا:

[1] العروض الواضح وعلم القافية، ص 130،

[2] العروض الواضح وعلم القافية، ص 128-131، و المرشد الوافي في العروض والقوافي، ص 32-35

﴿1﴾

في الاستعاذة

أَعُوْذُ بِاللهِ العَظِيْمِ الإِفْضَالِ الغَافِرِ الذَّنْبِ الشَّدِيْدِ الأَنْكَالِ[1]

(مفاعلن) متفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات

مخبون سالم صحيحة سالم سالم صحيح

مِنْ هَمَزَاتِ النَّفْسِ ذَاتِ الإِيْغَالِ وَنَفَثَاتِ كُلِّ بَاغٍ مُحْتَالِ

مفتعلن مستفعلن مفعولات فعلتن مفاعلن مفعولات

مطوي سالم صحيحة مخبول مخبون صحيح

وَسَطَوَاتِ كُلِّ طَاغٍ مُخْتَالِ وَفِتْنَةِ الجُبْنِ وَبَلْبَالِ البَالِ

فعلتن مفاعلن مفعولات مفاعلن مفتعلن مفعولات

مخبول مخبون صحيحة مخبون مطوي صحيح

وَفِتْنَةِ الحِرْصِ وَطُوْلِ الآمَالِ وَفِتْنَةِ الأَهْلِ وَمَالٍ مَيَّال

مفاعلن مفتعلن مفعولات مفاعلن مفتعلن مفعولات

مخبون مطوي صحيحة مخبون مطوي صحيح

[1] نجد الإفضال والأنكال الروي المتحرك المطلق حققه الدكتور أورنك زيب الأعظمي إذ جاءت تفعيلة سائر القصيدة الأخيرة على وزن "مفعولاتُ" حسب البحر السريع، بينما نجد في كتاب "شعر الإمام عبد الحميد الفراهي للدكتور محمد خالد الزهاوي والدكتور عامر خليل الجرّاح الأفضالْ والأنكالْ والروي المقيد المترادف، إذ جاءت تفعيلة سائر القصيدة الأخيرة على وزن "مفعولاتْ" حسب البحر الرجز المجزوء كما ينقلان على الصفحة الـ95: "ينتهي العروض والضرب- القصيدة مصرّعة بالكامل- بتفعيلة (مفعولاتْ) وهذا ما عدّه العروضيون من الشاذ الذي لا يعتدّ به، ومثله قول رؤبة:

يا صاح هاجتكَ الديارَ الأكراسْ على هوى في النفس منهَ وسواسْ

يُنظر: ديوان رؤبة ص 66، وموسيقا الشعرً 137"

وَفِتْنَةِ الدُّنْيَا كَرَقْرَاقِ الآلِ وَفِتْنَةِ العِلْمِ وَزَيْغِ الأَقْوَالِ

مفاعلن مستفعلن مفعولات مفاعلن مفتعلن مفعولات

مخبون سالم صحيحة مخبون مطوي صحيح

وَفِتْنَةِ الجَهْلِ وَسُوْءِ الأَعْمَالِ وَفِتْنَةِ الشَّيْطَانِ رَأسِ الضَّلَالِ

مفاعلن مفتعلن مفعولات مفاعلن مستفعلن مفعولات

مخبون مطوي صحيحة مخبون سالم صحيح

وَفِتْنَةِ الغَاوِيْ المَسِيْحِ الدَّجَّالِ وَكُلِّ طَاغُوْتٍ إمَامِ الجُهَّالِ

مفاعلن مسفتعلن مفعولات مفاعلن مستفعلن مفعولات

مخبون سالم صحيحة مخبون مطوي صحيح

بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ وَالآلِ[1]

مفاعل مفاعلن مفعول

مخبون مكفوف مطوي صحيحة

فنجد بحر السريع ووزنه[2]

مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ

ونجد في الأبيات كلها العروض الصحيحة والضرب الصحيح، كما نجد الحشو سالمًا ومخبونًا ومطويًا.

[1] ينقل الدكتور عامر خليل الجراح "يظهر أن هذا الشطر مدخول على القصيدة التي لتوحدّه وخلافه في الوزن؛ إذ جاءت تفعيلته الأخيرة على وزن (مفعول)، وسائر القصيدة على (مفعولاتْ) كما أسلفنا."

[2] ولو اعتبرنا البحر الرجز الشاذ كما أسلفناه على وزن "مستفعلن مستفعلن مفعولاتْ" فيطابق البحر السريع المشطور "مستفعلن مستفعلن مفعولانْ"

فهذه القصيدة تحتوي على القافية المتحركة المجرى ونوعها مطلقة مردوفة بـ"ألف" ورويها اللام المكسورة.

﴿2﴾

في غفلة الإنسان

أمَا	للنَّاسِ	أحْلَامُ	أ هُمْ في	السكرِ نُوَّامُ
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن
سالم		صحيحة	سالم	صحيح
وَهُمْ	وُرَّادُ	حَوْضِ	المَوْ تِ	أصْرَامٌ فأصْرَامُ
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن
سالم		صحيحة	سالم	صحيح
فآبَاءٌ		وَأبْنَاءٌ	وَأخْوَالٌ	وَأعْمَامُ
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن
سالم		صحيحة	سالم	صحيح
وَإخْوَانٌ		وَخُلّانٌ	وَأخْدَانٌ	وأحْلَامُ
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن
سالم		صحيحة	سالم	صحيح
فَخَانَتْهُمْ		قَرَابَاتٌ	وَأنْسَابٌ	وَأرْحَامُ
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن
سالم		صحيحة	سالم	صحيح

وَرَيْبُ	الدَّهْرِ	يَبْرِيْهِمْ	وَتُوْهِيْ	العَظْمَ	أَسْقَامُ
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيلن		مفاعيلن
سالم		صحيحة	سالم		صحيح
فَجَبْلُ	المَوْتِ	مَمْدُوْدٌ	وَحَبْلُ	العَيْشِ	أَرْمَامُ
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيلن		مفاعيلن
سالم		صحيحة	سالم		صحيح
وَهُمْ	بِاللَّهْوِ	وَاللَّذَّا	تِ	مَشْغُوْلُوْنَ مَا	دَامُوْا
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيلن		مفاعيلن
سالم		صحيحة	سالم		صحيح
بِجَمْعِ	الوَفْرِ	مَنْهُوْمُوْ	نَ	وَالآثامُ	هُيَّامُ
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيلن		مفاعيلن
سالم		صحيحة	سالم		صحيح
لَهُمْ	بَالبَغْيِ	تَهْمَامٌ	وَبِالفَحْشَاءِ		إِبْرَامُ
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيلن		مفاعيلن
سالم		صحيحة	سالم		صحيح
وَهُمْ	لَا بُدَّ	مَحْشُوْرُوْ	نَ	يَوْمًا وَهُوَ	أَيَّامُ
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيلن		مفاعيلن
سالم		صحيحة	سالم		صحيح
عَنِ	النَّعْمَاءِ	مَسْؤُوْلُوْ	نَ	وَالسَّائِلُ	عَلَّامُ
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيل		مفاعيلن
سالم		صحيحة	مكفوف		صحيح

سُؤَالًا	فِيْهِ	إيْلَامٌ	وَإِلْزَامٌ	وَإِفْحَامُ
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن
سالم		صحيحة	سالم	صحيح
وَتَفْجَيْعٌ		وَتَقْرِيْعٌ	وَتَخْضِيْعٌ	وَإِرْغَامُ
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن
سالم		صحيحة	سالم	صحيح

فنجد بحر الهزج المجزوء والعروض الصحيحة والضرب الصحيح والحشو المكفوف، بينما وزن الهزج في الأصل كما يلي:

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

ولكنه لا يستخدم إلا مجزوءًا كما نرى في الأبيات المذكورة أعلاه.

فهذه القصيدة تحتوي على القافية المتواترة المجرى ونوعها مطلقة مردوفة موصولة بلين ورويها الميم المضمومة.

﴿3﴾

في تقلب الأيام بالناس

العَيْشُ	إحْلَاءٌ	وَإمْرَارُ	والدَّهْرُ	إقْبَالٌ	وَإدْبَارُ
مستفعلن	مستفعلن	فعْلن[1]	مستفعلن	مستفعلن	فعْلن
سالم	سالم	أصلم	سالم	سالم	أصلم

[1] كما نقل محمد بن فلاح المطيري في كتابه القواعد العروضية وأحكام القافية العربية زاد بعضهم للعروض الثانية أَصْلَمَ (فعْلن)، وهو حذف الوتد المفروق من آخر التفعيلة، بينما نرى هنا في العروض الأول والعروض الثاني مطوية مكشوفة (فاعِلن)، ص 67

بَيْنَا الفَتَى يَرْفُلُ فِيْ ثَرْوَةٍ إِذْ نَابَه بُؤْسٌ وَإِقْتَارُ

مستفعلن مفتعلن فاعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن

سالم مطوي مطوية مكشوفة[1] سالم سالم أصلم

وَبَيْنَمَا المَرْءُ مُقِيْمٌ إِذَا جَشَّمَه لِلبَيْنِ أَسْفَارُ

مُتَفْعلن مفتعلن فاعِلن مُتَفَعلن مستفعلن فعْلن

مخبون مطوي مطوية مكشوفة مخبون سالم أصلم

وَكَمْ رخيّ العَيْشِ فِيْ قَصْرِه يَفْغَمُه مِسْكٌ وَأَزْهَارُ

مُتَفْعلن مستفعلن فاعِلن مفتعلن مستفعلن فعْلن

مخبون سالم مطوية مكشوفة مطوي سالم أصلم

إِذْ رُفِعَ النَّعْشُ لَه بَغْتَةً فَضَمَّه تُرْبٌ وَأَحْجَارُ

مُتَفَعلن مفتعلن فاعِلن مُتَفعلن مستفعلن فعْلن

مخبون مطوي مطوية مكشوفة مخبون سالم أصلم

وَكَمْ قويّ البَطْشِ يَعْنُوْ لَه فِيْ كُلِّ قُطْرِ المُلْكِ جَبَّارُ

مُتَفْعلن سالم فاعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن

مخبون مطوي مطوية مكشوفة سالم سالم أصلم

إِذْ سُلِبَ المُلْكَ فَلَمْ يُغْنِه جُنْدٌ وَأَحْرَاسٌ وَأَسْوَارُ

مفتعلن مفتعلن فاعِلن مفتعلن مستفعلن فعْلن

مطوي مطوي مطوية مكشوفة مطوي سالم أصلم

[1] يكتب مكسوف أيضًا

مَا بَالُ أتْرَابٍ لَنَا قَطَعَوْا عَنَّا حِبَالَ الوُدِّ إذْ سَارُوْا

مستفعلن مستفعلن فعِلن مُستفعلن مستفعلن فعْلن

سالم سالم مخبولةمكشوفة سالم سالم أصلم

هَلْ شُغِلُوْا عَنَّا فَلَمْ يُخْبِرُوْا عَنْ نَبَأٍ أمْ سُدَّ أخْبَارُ

مفتعلن مستفعلن فاعِلن مُتْفعلن مستفعلن فعْلن

مطوي سالم مطويةمكشوفة سالم سالم أصلم

يَا لَيْتَ شِعْرِيْ كَيْفَ دَارَ بِهِمْ دَهْرٌ بِأمْرِ النَّاسِ دَوَّارُ

مستفعلن مستفعلن فاعِلن مفتعلن مستفعلن فعْلن

سالم سالم مطويةمكشوفة مطوي سالم أصلم

هَلْ بَلَغُوْا مَا كَانَ مَقْصَدَهُمْ أمْ عَنْ سَبِيْلِ القَصْدِ قَدْ جَارُوْا

مفتعلن مستفعلن فعِلن مُستفعلن مستفعلن فعْلن

مطوي سالم مخبولةمكشوفة سالم سالم أصلم

فَهَلْ أنَاخُوْا فِيْ ذُرَى غِبْطَةٍ فِيْهَا لَهُمْ ظِلٌّ وَأنْهَارُ

مُتَفْعلن مستفعلن فاعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن

مخبون سالم مطوية مكشوفة سالم سالم أصلم

أرضَاهُمُ الرَّبُ فَزَكَّاهُمُ عَنْ ذَنْبِهِمْ فَالرَّبُّ غَفَّارُ

مستفعلن مستفعلن فاعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن

سالم سالم مطويةمكشوفة سالم سالم أصلم

أمْ ضَلَّتِ الرَّكْبُ فَثَمَّ لَهُمْ وَيْلٌ فَوَادِيْ الْغَيِّ فَالنَّارُ

مستفعلن مفتعلن فعِلن مُستفعلن مستفعلن فعْلن

سالم مطوي مخبولةمشكوفة سالم سالم أصلم

فِيْمَنْ مَضَى وَقَدْ قَضَىَ نَحْبَه لِلمَرْءِ تَفْكِيْرٌ وَإِنْذَارُ
مستفعلن مُتَفْعِلن فاعِلن مُستفعلن مستفعلن فعْلن
سالم مخبون مطويةمكشوفة سالم سالم أصلم

فنجد بحر السريع التام مع العروض الأصلم والمطوية المكشوفة والمخبونة والضرب الأصلم، كما نجد الحشو سالمًا ومطويًا ومخبونًا بينما وزن السريع الأصلي كما يلي:

مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ

وهذه القصيدة تحتوي على القافية المتواترة المجرى ونوعها مطلقة مردوفة موصولة بلين ورويها الراء المضمومة.

﴿4﴾

في نور الحكمة والإيمان

"قال أبيّ بن كعب رضي الله عنه وغيره في قوله تعالى "مثل نوره كمشكوة فيها مصباح" مثل نوره في قلب المؤمن".[1]

مَا أَبْلَغَ القُرآنُ مِنْ دَاعٍ لَوْ كَانَ فِيكُمْ سَامعٌ وَاعِ
مستفعلن مستفعلن فعْلن مستفعلن مستفعلن فعْلن
سالم سالم أصلم سالم سالم أصلم

كَمْ حِكْمَةٍ فِيْه وَكَمْ مَثَلٍ لِلنَّصْح وَالتَّفْكِيْرِ جَمَّاعِ
مستفعلن مستفعلن فعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن
سالم سالم مخبولةمكشوفة سالم سالم أصلم

[1] تفسير الطبري، تفسير سورة النور

يُعْمَى بِهِ الغَاوِيْ وَيُهْدَى بِهِ عَبْدٌ عَلَى نَهْجِ الهُدَى سَاعِ
مستفعلن مستفعلن فعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن
سالم سالم مخبولةمكشوفة سالم سالم أصلم
كَالمُزْنِ فِيْهِ البَرْقُ وَالوَدْقُ وَالْ إِظْلَامُ ضرَّارٌ وَنَفَّاعِ
مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مفتعلن فعْلن
سالم سالم مطوية مكشوفة سالم مطوي أصلم
فَمَثَلُ الإِيْمَانِ يَلْمَعُ فِيْ قَلْبٍ سَلِيْمٍ لِلتَّقَى رَاعِ
مُتَعِلُن مستفعلن فعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن
مخبول سالم مخبولةمكشوفة سالم سالم أصلم
مِثْلَ سِرَاجٍ فِيْ زُجَاجٍ كَمْثْـ ـلِ الكَوْكَبِ الدَّرِّيِّ لَمَّاعِ
مفتعلن مستفعلن فعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن
مطوي سالم مخبولةمكشوفة سالم سالم أصلم
فِيْ وَسْطِ مِشْكَاةٍ وَيُوْقَدُ مِنْ زَيْتُوْنَةٍ فِيْ خَيْرِ أَقْطَاعِ
مستفعلن مستفعلن فعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن
سالم سالم مخبولةمكشوفة سالم سالم أصلم
مِن البِلَادِ لَا بِشَرْقِيَّةٍ وَلَا بِغَرْبِيَّةٍ أَصْقَاعِ
مُتَفعلن مستفعلن فعِلن مُتَفْعلن مستفعلن فعْلن
مخبون سالم مخبولةمكشوفة مخبون سالم أصلم
كَادَ يُضِيْءُ زَيْتُهَا قَبْلَ أَنْ تَمُسَّه النَّارُ لإِشْمَاعِ
مُفْتعلن مُتَفعلن فاعِلن مُتَفعلن مفتعلن فعْلن
مطوي مخبون مطوية مكشوفة مخبون مطوي أصلم

نُورٌ عَلَى نُورٍ وَمَنْ يَهْدِهِ الـ ـلّٰهُ لَه يَهْتَدْ بإسْرَاعِ
مستفعلن مستفعلن فاعِلن مُفْتعلن مستفعلن فعْلن
سالم سالم مطوية مكشوفة مطوي سالم أصلم
وَمَثَلُ الكُفَّارِ أعْمَالُهُمْ كَلَمْعٍ رُقْرِقَ بِالقَاعِ
مُتَعِلن مستفعلن فعِلن مُتَفْعِلن مستفعلن فعْلن
مخبول سالم مخبولة مكشوفة مخبون سالم أصلم
يَحْسَبُه الظَّمْآنُ مَاءً فَيَأْ تِيْه بِإهْرَاعٍ وَإيْضَاعِ
مُفْتعلن مستفعلن فاعِلن مُفْتعلن مستفعلن فعْلن
مطوي سالم مطوية مكشوفة مطوي سالم أصلم
حَتَّى إذَامَا جَاءَه لَمْ يَجِدْ شَيْئًا سَوِيًا غَيْرَ خَدَّاعِ
مستفعلن مستفعلن فعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن
سالم سالم مخبولة مكشوفة سالم سالم أصلم
وَوَجَدَ اللهُ لَدَيْه فَوَفْـ ـفَاهُ جَزَاءَ الصَّاعِ بِالصَّاعِ
متعلن مُفْتعلن فعِلن مُفْتعلن مستفعلن فعْلن
مخبول مطوي مخبولة مكشوفة مطوي سالم أصلم
وَمَثَلُ الكُفْرِ عَمَايَاتُه غَطَّتْ عَلَى قَلْبٍ وَأسْمَاعِ
متعلن مُفْتعلن فاعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن
مخبول مطوي مطوية مكشوفة سالم سالم أصلم
كَظُلُمَاتِ البَحْرِ هَاجَتْ بِهِ الـ ـأرْوَاحُ مِنْ هَوْجَاءَ زَعْزَاعِ
متَفعلن مستفعلن فاعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن
مخبون سالم مطوية مكشوفة سالم سالم أصلم

يَقْمُصُ بِالفُلْكِ عَلَى لُجِّه دَفَّاعُ مَوْجٍ بَعْدَ دَفَّاعِ
مُفْتعلن مُفْتعلن فاعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن
مطوي مطوي مطوية مكشوفة سالم سالم أصلم
فِيْ لَيْلَةٍ سَحْمَاءَ قَدْ غَمَّهَا جَـمَّاعُ غَيْمٍ فَوْقَ جُمَّاعِ
مستفعلن مستفعلن فاعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن
سالم سالم مطوية مكشوفة سالم سالم أصلم
فَالْجَوَّ فِيْ ظَلْمَاءَ حَالِكَةٍ وَالقَلْبُ فِيْ الغَّمَّاءِ وَالهَاعِ
مستفعلن مستفعلن فعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن
سالم سالم مخبولة مكشوفة سالم سالم أصلم
قَدْ مَطَتِ الظُلْمَةُ أَطْرَافَهَا وَالطَّرْفُ لَا يَمْطُوْ مَدَى البَاعِ
مُفْتعلن مُفْتعلن فاعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن
مطوي مطوي مطوية مكشوفة سالم سالم أصلم
مَنْ أَخْرَجَ الْكَفَّ لِيَبْصُرَها لَمْ يَرَهَا، مَاذَا بِمُسْطَاعِ
مستفعلن مُفْتعلن فعِلن مُفْتعلن مستفعلن فعْلن
سالم مطوي مخبولة مكشوفة مطوي سالم أصلم
فَظُلُمَاتٌ بَعْضُها فوقَ بَعْـ ـضٍ طُبِّقَتْ لَيْسَتْ بِشَعْشَاعِ
متعلن مستفعلن فاعِلن مستفعلن مستفعلن فعْلن
مخبول سالم مطوية مكشوفة سالم سالم أصلم

فنجد هنا أيضًا بحر السريع التام مع أصلم والخبل والطي المكشوف في العروض ومع أصلم في الضرب. كما نجد الحشو سالمًا ومطويًا ومخبونًا ومخبولًا.

وهذه القصيدة تحتوي على القافية المتواترة المجرى ونوعها مطلقة مردوفة موصولة

بلين ورويها العين المكسورة.

﴿5﴾

في تطاول الطليان على طرابلس

كَيْفَ القَرَارُ وَقَدْ نُكِسْ أَعْلَامُنَا بِطَرَابُلُسْ

مستفعلن (متْفاعلن) متَفَاعلن مستفعلن (متْفاعلن) متَفَاعلن

مضمر صحيحة مضمر صحيح

كَيْفَ القَرَارُ وَحَوْلَنَا الْ أَعْدَاءُ تَرْتَقِبُ الْخُلُسْ[1]

مستفعلن (متْفاعلن) متَفَاعلن مستفعلن (متْفاعلن) متَفَاعلن

مضمر صحيحة مضمر صحيح

مِنْ كُلِّ[2] ذِئْبٍ إنْ رَأى مِنْ غِرَّةٍ فِينَا اخْتَلَسْ

مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن

مضمر مضمرة مضمر مضمر

أوْ أفْعُوَانٍ مُطْرِقٍ إنْ لَمْ نُبَادِرْه نَهَسْ

مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن

مضمر مضمرة مضمر مضمر

نَبْكِي عَلَى إخْوَانِنَا بَيْنَ القَتِيْلِ وَمَنْ حُبِسْ

مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن مستفعلن متفاعلن

مضمر مضمرة مضمر صحيح

[1] سلب الشيء بالمخاتلة والعجلة

[2] "الكل" لا يوجد في مكاتيب فراهي، ص 77

كَمْ مِنْ تَقِيٍّ طَاهِرٍ فِيْهِمْ وَنِحْرِيْرٍ نَدِسْ
مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن
مضمر مضمرة مضمر مضمر
نَبْكِيْ لِرَبَّاتِ الخُدُوْ رِ شَرَقْنَ بِالمَاءِ السَّلِسْ
مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن متفاعلن مستفعلن
مضمر مضمرة سالم مضمر
جَرَتِ الحُتُوْفُ عَلَى الأُلُوْ فِ مِنَ الزُحُوْفِ وَمَنْ جَلَسْ
متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن
سالم صحيحة سالم صحيح
هُمْ أَهْلُنَا وَعَشِيْرُنَا أَفَيَأْلَمُوْنَ وَلَا نُحِسْ
مستفعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن
مضمر صحيحة سالم صحيح
يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ يَا أَبْنَاءَ آبَاءٍ شُمُسْ
مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن
مضمر مضمرة مضمر مضمر
هَلْ تَنْعَسُوْنَ وَخَصْمُكُمْ عَنْ كَيْدِه مَاإِنْ نَعِسْ
مستفعلن متفاعلن مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن
مضمر صحيحة مضمر مضمر
هَلْ تَرْتَضُوْنَ بِذُلَّةٍ وَالأَمْرُ لَيْسَ بِمُلْتَبِسْ
مستفعلن متفاعلن مستفعلن متفاعلن
مضمر صحيحة مضمر صحيح

إنْ لَا تَهُبَّوْا اليَوْمَ فَالْ إِسْلَامُ يَتْعَسُ بَلْ تَعِسْ

مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن متفاعلن

مضمر مضمرة مضمر صحيح

قَدْ زُلْزِلَتْ أَرْكَانُه حَتَّى تَقَعْقَعَتِ الأُسُسْ

مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن متفاعلن

الإضمار مضمرة الإضمار صحيح

فَالْخَصْمُ يَجْهَدُ أَنْ يَرَى الْ إِسْلَامَ فِيْ بُؤسٍ بَئِسْ

مستفعلن متفاعلن مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن

الإضمار صحيحة مضمر مضمر

هَلْ لَا ذَكَرْتُمْ مَا أَصَا بَ المُسْلِمِيْنَ بِأَنْدُلُسْ

مستفعلن مستفعلن مستفعلن متفاعلن

مضمر مضمرة مضمر صحيح

سَلَبَوْكُمُ شَطْرَ البِلَا دِ وَمَا لَهَا مِنْ مُلْتَمِسْ

متفاعلن مستفعلن متفاعلن مستفعلن

سالم مضمرة سالم مضمر

أَفَكُلَّ يَوْمٍ يَنْكِصُ الْ إِسْلَامُ حَتَّى يَنْدَرِسْ

متفاعلن مستفعلن مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن

سالم مضمرة مضمر مضمر

هَذَا وَلَمَّا يَنْكَأِ الْ جُرْحُ القَطِيْعُ بِأَنْدُلُسْ

مستفعلن مستفعلن مستفعلن متفاعلن

مضمر مضمرة مضمر صحيح

هَلْ يَذْهَبُ الحَقُّ النَّقِيْ يُ وَيَغْلِبُ الكِذْبُ الرَّجِسْ

مستفعلن متفاعلن مستفعلن

مضمر صحيحة سالم مضمر

هَلْ تَرْتَضُوْنَ بِذُلِّ دِيْ نِكُمُ وَلَيْسَ بِمُلْتَبَسْ

مستفعلن متفاعلن متفاعلن

مضمر صحيحة سالم صحيح

وَاللهِ لَا نَرْضَى بِه مَا دَامَ فِيْنَا مِنْ نَفَسْ

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

مضمر مضمرة مضمر مضمر

فَاليَوْمَ إنْ لَمْ تَدْفَعُوْا فَلْيَأْتِيَنْ يَوْمٌ نَحِسْ

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

مضمر مضمرة مضمر مضمر

إنِّيْ أرَى فِتَنًا تَمُوْ جُ وَقَدْ ظَهَرْنَ لِمَنْ حَدَسْ

مستفعلن متفاعلن متفاعلن

مضمر صحيحة سالم صحيح

نَارًا تَأَجَّجُ فِيْ البِلَا دِ وَقَدْ تلهَّبَتِ الأُطُسْ

مستفعلن متفاعلن متفاعلن

مضمر صحيحة سالم صحيح

الخَصْمُ لَيْسَ بِمُؤْتَلٍ حَتَى يَرَى الحَقَّ طَمِسْ

مستفعلن متفاعلن مستفعلن (مستفعلن

مضمر صحيحة مضمر مضمر

يَبْغُوْنَ قُسْطُنْطِيْنِيَـ ـةَ وَبَعْدَهَا أَرْضَ القُدُسْ

مستفعلن مستفعلن متفاعلن مستفعلن

مضمر مضمرة سالم مضمر

وَاللهُ يَأْبَى أَنْ يُدَنْـ ـنِسَ قُدْسَه القَوْمُ النَجِسْ

مستفعلن متفاعلن متفاعلن مستفعلن

مضمر صحيحة سالم مضمر

قَدْ صِيْحَ فِيْ حُجُرَاتِها وَلَتَسْمَعَنَّ لَهَا الجَرَسْ

مستفعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

مضمر صحيحة سالم صحيح

فَلَنَنْضِحَنْ أَوْ نُقْتَلَنْ عَنْ قُدْسِنَا القَوْمَ النَجِسْ

متفاعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

سالم مضمرة مضمر مضمر

فاحْمَوْا ذِمَارَ المِلَّةِ الْـ ـبَيْضَاءِ كَالأُسُدِ الشُكُسْ

مستفعلن متفاعلن مستفعلن متفاعلن

مضمر صحيحة مضمر صحيح

وَاسْتَجْمِعُوْا عُدَدًا فَمَا تَجْرِيْ السَّفِيْنُ عَلَى اليُبُسْ

مستفعلن متفاعلن مستفعلن متفاعلن

مضمر صحيحة مضمر صحيح

أَعْنِيْ المَرَاكِبَ وَالْمَدَا فِعَ وَالكَتَائِبَ وَالحَرَسْ

مستفعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

مضمر صحيحة سالم صحيح

وَتَعَلَّمُوْا	حِيَلَ	الحُرُوْ	بِ لِتَغْلِبُوْا الخَصْمَ الشَّرِسْ
متفاعلن		متفاعلن	متفاعلن مستفعلن
سالم		صحيحة	سالم مضمر
فَتَأَهَّبُوْا		وَتَأَلَّبُوْا	وَتَلَبَّبُوْا لِوَغًى ضَرِسْ
متفاعلن		متفاعلن	متفاعلن متفاعلن
سالم		صحيحة	سالم صحيح
وَاسْتَنْصِرُوْا	اللهَ	المَهَيْـ	ـمِنَ فِيْ العِشِيِّ وَفِيْ الغَلَسْ
مستفعلن		مستفعلن	متفاعلن متفاعلن
مضمر		مضمرة	سالم صحيح
"وَلَيَنْصُرَنَّ	اللهَ	مَنْ	يَنْصُرُهُ" فَلْيَحْتَمِسْ
متفاعلن		مستفعلن	متْفعلن مستفعلن
سالم		مضمرة	مضمر مضمر

فنجد هنا بحر الكامل المجزوء صحيح العروض والضرب وإضمارهما. كما نجد الحشو سالمًا ومضمرًا.

ووزن بحر الكامل الأصلي:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

وهذه القصيدة تحتوي على التوجيه (القافية الساكنة) ونوعها مقيدة مجرّدة من الردف والتأسيس ورويها السين الساكنة.

﴿6﴾

في ذكر هجوم الطليان وظلمهم

يَا عَيْنُ بَكِّيْ بِالهَوَامعْ لَا تَرْقَأَنَّ لَكِ المَدَامعْ

مستفعلن (متْفاعلن) متْفَاعلاتن[1] مستفعلن (متْفاعلن) متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة مرفلة مضمر مرفل

قَتْلَى طَرَابَلَسَ الذِيْـ ـنَ تَطَحْطَحَتْ بِهِمِ القَوَارِعْ

مستفعلن (متْفاعلن) متَفَاعلن متَفاعلن متفَاعلاتن

مضمر صحيحة سالم مرفل

نَبْكِيْ عَلَى إخْوَانِنا أهْلِ المَكَارِمِ وَالدَّسَائِعْ

مستفعلن مستفعلن مستفعلن متفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مرفل

دَهَمَتْهُمُ الرُّوْمُ الفَوَا تِكُ بِالمَرَاكِبِ وَالمَدَافِعْ

متَفَاعلن مستفعلن متَفاعلن متفَاعلاتن

سالم مضمرة سالم مرفل

جَاءُوْا عَلَى حَرْدٍ بِجَمْـ ـعِهِمِ فَضَاقَ بِنَا المَفَازِعْ

مستفعلن مستفعلن متَفاعلن متفَاعلاتن

مضمر مضمرة سالم مرفل

[1] هذا لا يقع إلا بسبب علة الزيادة

دَخَلُوْا المَدِيْنَةَ يَقْتُلُوْ نَ بِهَا المَشَائِخَ وَالرَّعَارِعْ
متفاعلن متَفَاعلن متَفاعلن متَفَاعلاتن
سالم صحيحة سالم مرفل

قَتَلُوْا المَرَاضِعَ فِيْ المَضَا جعْ وَالضَّوَارِعَ فِيْ الشَّوَارِعْ
متفاعلن متَفَاعلن مستفعلن متَفَاعلاتن
سالم صحيحة مضمر مرفل

وَعَلَوْا بِطَيَّارَاتِهِمْ يَتَحَسَّسُوْنَ لَنَا المَوَاقِعْ
متفاعلن مستفعلن متَفاعلن متَفَاعلاتن
سالم مضمرة سالم مرفل

صَارَتْ تُحَلِّقُ فَوْقَنَا مِثْلَ الغَرَانِيْقَ الطَّوَالِعْ
مستفعلن متَفَاعلن مستفعلن متْفَاعلاتن
مضمر صحيحة مضمر مضمرمرفل

يَرْمُوْنَ مِنْهَا بِالكِرِيـْ ـنِ تَمُجَّ بِالزَهْرِ القَوَارِعْ
مستفعلن مستفعلن متَفاعلن متْفَاعلاتن
مضمر مضمرة سالم مضمرمرفل

لِيُبَدِّدُوْا أفْرَاسَنَا وَيُحَرِّقُوْا مِنَّا الوَشَائِعْ
متفاعلن مستفعلن متَفاعلن متْفَاعلاتن
سالم مضمرة سالم مضمرمرفل

لَا دِيْنَ عِنْدَهُمُ وَلَا حِلْمٌ عَنِ العُدْوَانِ وَازِعْ
مستفعلن متَفَاعلن مستفعلن متْفَاعلاتن
مضمر صحيحة مضمر مضمرمرفل

يُبْدُوْنَ نَصْرَانِيَّةً زُوْرًا وَقَدْ رَفَضُوْا الشَّرَائِعْ
مستفعلن مستفعلن مستفعلن متفَاعلاتن
مضمر مضمرة مضمر مرفل

بَلْ يَشْمَئِزَّ الكُفْرُ مِمْـ ـمَا يَرْكَبُوْنَ مِنَ الشَّنَائِعْ
مستفعلن مستفعلن مستفعلن متفَاعلاتن
مضمر مضمرة مضمر مرفل

البَغْيُ مِنْ أخْلَاقِهِمْ وَالغَدْرُ سِيْطَ مِنَ الطَّبَائِعْ
مستفعلن مستفعلن مستفعلن متفَاعلاتن
مضمر مضمرة مضمر مرفل

غُرُّوْا بِأَنَّ البُعْدَ بَيّـ ـنَ العَرْبِ وَالأتْرَاكِ شَاسِعْ
مستفعلن مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن
مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل

وَبَأَنَّ بَيْنَ قُلُوْبِنَا صَدْعًا مِنَ الأضْغَانِ وَاسِعْ
متفاعلن متفَاعلن مستفعلن متْفَاعلاتن
سالم صحيحة مضمر مضمرمرفل

يَا ضَلَّةً لَمْ يَعْلَمُوْا أنَّ الخِلَافَةَ خَيْرُ جَامِعْ
مستفعلن مستفعلن مستفعلن متفَاعلاتن
مضمر مضمرة مضمر مرفل

فَلَنَبْذَلَنَّ لَهَا النُّفُوْ سَ وَدُوْنَ حَوْزَتِهَا نُدَافِعْ
متفاعلن متفَاعلن متفَاعلن متفَاعلاتن
سالم صحيحة سالم مرفل

مَا التَّرْكُ إلّا مِثْلُ كَفْ ـفِ البّاسِلِ العَارِيْ الأشَاجِعْ

مستفعلن مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل

وَالعَرْبَ مِثْلُ أصَابِعَ لَا كَفَّ إلَّا بِالأصَابِعْ

مستفعلن مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل

فنجد هنا أيضًا بحر الكامل المجزوء صحيح العروض وإضماره وترفيل الضرب وإضماره. كما نجد الحشو سالمًا ومضمرًا.

وهذه القصيدة تحتوي على التوجيه (القافية الساكنة) ونوعها مقيدة مجرّدة من الردف والتأسيس ورويها العين الساكنة.

﴿7﴾

في كرة العرب على الطليان

غَدَرَتْ بِنَا الرَّوْمُ الفَوَاجِرْ ذَاكَ الذِيْ كُنَّا نُحَاذِرْ

متفاعلن متْفَاعلاتن[1] مستفعلن (متْفاعلن) متْفَاعلاتن

سالم مضمرة مرفلة مضمر مضمر مرفل

شَبَّتْ إطَالِيَةُ الحُرُوْ بَ وَمَا لَهَا فِيْ النَّاسِ عَاذِرْ

مستفعلن (متْفاعلن) متَفَاعلن متَفاعلن متْفَاعلاتن

مضمر صحيحة سالم مضمر مرفل

[1] هذا لا يقع إلا بسبب علة الزيادة

لِتَنَالَ فَخْرًا ثُمَّ ذُخْـ ـرًا لَوْ أَطَاعَ لَهَا المَقَادِرْ
متَفَاعلن متْفَاعلن متَفاعلن متْفَاعلاتن
سالم مضمرة صحيحة سالم مضمرمرفل
حَثَّتْ لَهَا أبنَائَهَا الْـ ـغَاوِيْنَ فِيْ الهَيْجَا المُضَاجِرْ
مستفعلن مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن
مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل
لِيُدَوِّخُوْا مُلْكًا وَيَنْـ ـتَهِبُوْا المَدَائِنَ وَالعَمَائِرْ
متفاعلن مستفعلن متَفاعلن متَفَاعلاتن
سالم مضمرة سالم مرفل
فَأَتَوْا طَرَابُلُسَ التِيْ لَاحَتْ لَهُمْ أدْنَى المَعَابِرْ
متَفَاعلن متَفَاعلن مستفعلن متْفَاعلاتن
سالم صحيحة مضمر مضمرمرفل
هَجَمُوْا عَلَيْهَا مُفْعِمِيْـ ـنَ البَحْرَ بِالسَّفُنِ المَوَاخِرْ
متَفَاعلن مستفعلن مستفعلن متَفَاعلاتن
سالم مضمرة مضمر مرفل
دَخَلُوْا المَدِيْنَةَ يَقْتُلُوْ نَ بِهَا الأكَابِرَ وَالأصَاغِرْ
متَفَاعلن متَفَاعلن متَفَاعلن متَفَاعلاتن
سالم صحيحة سالم مرفل
لَمْ يَتَّقُوْا إثْمًا وَقَدْ أَلْقَوْا عَلَى الشَّرِّ الشَرَاشِرْ
مستفعلن مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن
مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل

لَا دِيْنَ عِنْدَهُمُ وَلَا حِلْمَ[1] عَنِ الْعُدْوَانِ زَاجِرْ

مستفعلن متَفَاعلن مفْتعلن متْفَاعلاتن

مضمر صحيحة مخزول مضمرمرفل

غُرُّوْا بِأَنَّ التَّرْكَ لَا تَأْتِيْ إِلَيْهِمْ بِالعَسَاكِرْ

مستفعلن مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل

وَبِأَنَّ شِدَّةَ وَقْعِهِمْ تُوْهِيْ مِنَ العَرَبِ المَرَائِرْ

متَفَاعلن متَفَاعلن مستفعلن متَفَاعلاتن

سالم صحيحة مضمر مرفل

غَرَّتْهُمُ الآمَالُ مِثْـ ـلَ سَرَابِ مَعْمَعَةِ الهَوَاجِرْ

مستفعلن مستفعلن متفاعلن متَفَاعلاتن

مضمر مضمرة سالم مرفل

فَرَأَوْا بِلَادَ المُسْلِمِيْـ ـنَ كَفَقْعِ قَاعٍ بِالقَرَاقِرْ

متَفَاعلن مستفعلن متَفَاعلن متْفَاعلاتن

سالم مضمرة سالم مضمر مرفل

وَالكَلْبُ يَجْهَلُ أَنَّ بَعْـ ـضَ العَظْمِ يَنْشَبُ فِيْ الحَنَاجِرْ

مستفعلن متَفَاعلن مستفعلن متَفَاعلاتن

مضمر صحيحة مضمر مرفل

[1] ونقل صاحبا كتاب "شعر الإمام عبد الحميد الفراهي" "حلمٌ"، ص 111

فَإِذَا هُمُ يَتَغَلَّبُوْ نَ جَرَى لَهُمْ بِالشَّوْمِ طَائِرْ

متَفَاعلن متَفَاعلن متفاعلن متْفَاعلاتن

سالم صحيحة سالم مضمر مرفل

كَرَّتْ عَلَيْهِمْ شَجْعَةُ الـ أَتْرَاكِ كَالأُسُدِ الهَوَاصِرْ

مستفعلن مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مضمر مرفل

وَأَتَتْهُمُ الأَعْرَابُ تَخْـ ـطَفُهُمْ كَعُقْبَانٍ كَوَاسِرْ

متَفَاعلن مستفعلن متفاعلن متْفَاعلاتن

سالم صحيحة سالم مضمر مرفل

فَتَفَلَّلُوْا بَدَدًا كَمَا ذَعَرَتْ مِنَ الصِّقْرِ الغَرَاغِرْ1

متَفَاعلن متَفَاعلن متفاعلن متْفَاعلاتن

سالم صحيحة سالم مضمر مرفل

فَاقْنِيْ حَيَاءَكِ يَا إطَا لِيَةُ المُرَغَّمَةَ المَنَاخِرْ

مستفعلن متَفَاعلن متفاعلن متَفَاعلاتن

مضمر صحيحة سالم مرفل

أ وَضَعْتِ نَفْسَكِ بَيْنَ أقْـ ـوَامٍ كِرَامٍ فِيْ المَفَاخِرْ

متَفَاعلن متَفَاعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

سالم صحيحة مضمر مضمر مرفل

وَلَأَنْتِ فِيْ الدَّوَلِ العِظَا مِ كَمَا مِنَ الأَيْدِيْ الخنَاصِرْ

متَفَاعلن متَفَاعلن متفاعلن متْفَاعلاتن

سالم صحيحة سالم مضمر مرفل

فنجد هنا أيضًا بحر الكامل المجزوء صحيح العروض وإضماره و ترفيل الضرب وإضماره. كما نجد الحشو سالمًا ومضمرًا.

وهذه القصيدة تحتوي على التوجيه (القافية الساكنة) ونوعها مقيدة مجرّدة من الردف والتأسيس ورويها الراء الساكنة.

﴿8﴾

في عتاب العرب الترك على الصلح بالطليان

يَا تُرْكُ لَا تَبْغُوْا الهُوَيْنَا لَا تُنْعِمُوْا الحُسَّادَ عَيْنَا

مستفعلن (متْفاعلن) متْفَاعلاتن[1] مستفعلن (متْفاعلن) متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة مرفلة مضمر مضمرمرفل

أ تُسَالِمُوْنَ الظَّالِمِيْـ ـنَ الغَانِمِيْنَ لِمَا حَمَيْنَا

متفاعلن مستفعلن مستفعلن متَفَاعلاتن

سالم مضمرة مضمر مضمرمرفل

النَّاهِبِيْنَ بِلَادَنَا وَالغَاصِبِيْنَ لِمَا حَوَيْنَا

مستفعلن متَفَاعلن مستفعلن متَفَاعلاتن

مضمر صحيحة مضمر مرفل

أ تُسَالِمُوْنَ عَدُوَّنَا وَتَرَكْتُمُوْنَا بَيْنَ بَيْنَا

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متْفَاعلاتن

سالم صحيحة سالم مضمرمرفل

[1] هذا لا يقع إلا بسبب علة الزيادة

هَلْ لَا ذَكَرْتُمْ يَوْمَ أَلْـ ـقَيْتُمْ أُمُوْرَكُمُ إِلَيْنَا

مستفعلن مستفعلن متفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مرفل

كُنْتُمْ لَنَا الإِخْوَانَ إِذْ فِيْ الدِّيْنِ وَالوُدِّ اسْتَوَيْنَا

مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل

فَنُفُوْسُنَا وَنُفُوْسُكُمْ خُلِطَتْ مَعًا لَمَّا الْتَقَيْنَا

متفاعلن متفاعلن متْفَاعلاتن

سالم صحيحة سالم مضمرمرفل

حَتَّى تَخَالَطْنَا كَأَمْـ ـوَاجِ الخَلِيْجِ إِذَا جَرَيْنَا

مستفعلن مستفعلن متفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مرفل

نَحْمِيْ الخِلَافَةَ بِالسُّيُوْ فِ البَاتِرَاتِ إِذِ انْتَضَيْنَا

مستفعلن متفاعلن مستفعلن متفَاعلاتن

مضمر صحيحة مضمر مرفل

فَرَبَتْ حَدَائِقُ مَجْدِهَا بِدِمَائِنَا لَمَّا سَقَيْنَا

متفاعلن متفاعلن متْفَاعلاتن

سالم صحيحة سالم مضمرمرفل

تُنْبِيْ عُيُوْنُ الكَاشِحِيْـ ـنَ الحَاسِدِيْنَ لِمَا سَعَيْنَا

مستفعلن مستفعلن متفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مرفل

أَفَبَعْدَ ذَاكَ تُخَاذِلُوْ نَ وَتَذْهَبُوْنَ فَأَيْنَ أَيْنَا

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متَفَاعلاتن

سالم صحيحة سالم مرفل

إِنَّ العَدُوّ هُمُ هُمُ لَوْ تُبْصِرُوْنَ كَمَا رَأَيْنَا

مستفعلن متفاعلن مستفعلن متَفَاعلاتن

مضمر صحيحة مضمر مرفل

هَلْ تَأْمَنُوْنَهُمُ فَقَدْ غَرّوْكُمُ زَوْرًا وَمَيْنَا

مستفعلن متفاعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

مضمر صحيحة مضمر مضمرمرفل

كَالصِّلِّ يُطْرِقُ ثُمَّ يَقْـ ـطُرُنَا بِهِ سُمًّا وَحَيْنَا

مستفعلن متفاعلن متفاعلن متْفَاعلاتن

مضمر صحيحة سالم مضمرمرفل

فَلَئِنْ بَدَا لَكُمُ مُسَا لَمَةَ العَدُوِّ لَقَدْ أَبَيْنَا

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متَفَاعلاتن

سالم صحيحة سالم مرفل

لَا سِلْمَ بِالطَّلْيَانِ حَتْـ ـتى يَتْرُكُوْا بَلَدًا ثَوَيْنَا

مستفعلن مستفعلن مستفعلن متَفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مرفل

نَنْفِيْهِمِ عَنْ أَرْضِنَا لَا نَرْعَوِيْ عَمَّا قَضَيْنَا

مستفعلن مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل

فَالمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَا ةٍ تَحْتَوِيْ ذُلًا وَشَيْنَا

مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل

إنَّا لَأَحْرَارٌ نَعُدْ دُ القَتْلَ للأَحْرَارِ زَيْنَا

مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل

صَبْرٌ إذَا لَجَّ الوَغَى لَا نَشْتَكِيْ نُصْبًا وَأَيْنَا

مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل

مِثْلُ الجِبَالِ الشُّمِّ نَحْ ـتَقِرُ السَّيُوْلَ إذَا أَتَيْنَا

مستفعلن مستفعلن متفاعلن متَفَاعلاتن

مضمر مضمرة سالم مرفل

لَا نَرْهَبُ الطَّلْيَانَ إنْ يَسْتَكْثِرُوْا فَلَقَدْ كَفَيْنَا

مستفعلن مستفعلن متَفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مرفل

نَلْقَاهُمُ بَهْشِيْنَ نَقْـ ـرِيْهِمْ كَمَا كُنَّا قُرِيْنَا

مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل

بِيْضًا كَشَحْمِ الكُوْمِ لَمْ تَرَ فَوْقَهَا صَدْءًا وَرَيْنَا

مستفعلن مستفعلن متفاعلن متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة سالم مضمرمرفل

حَتَّى يُقَالَ لَنَا بِحَقْـ ـق النَّازِلِيْنَ لَقَدْ وَفَيْنَا

مستفعلن متفاعلن مستفعلن متَفَاعلاتن

مضمر صحيحة مضمر مرفل

كَمْ نَابَنَا حَرْبُ المُلُوْ كِ فَلَمْ نَمُلَّ وَلَا وَنَيْنَا

مستفعلن مستفعلن متفاعلن متَفَاعلاتن

مضمر مضمرة سالم مرفل

لَمْ يَبْسُطُوْا الأَيْدِيَّ إلْـ ـلَا مَا كَسَرْنَا أَوْ لَوَيْنَا

مستفعلن مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل

لَمْ يَرْفَعُوْا الأَعْنَاقَ إلْـ ـلَا ما قَطَعْنَا أَوْ كَوَيْنَا

مستفعلن مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل

حَتَّى انْثَنَوْا طُرًّا سِوَى جَمْعٍ قَتَلْنَا أَوْ سَبَيْنَا

مستفعلن مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل

لَوْلَا الحَمَاسَةُ وَالحِمَا يَةُ قَفْرَ لِيْبَا مَا امْتَطَيْنَا

مستفعلن متفاعلن متفاعلن متْفَاعلاتن

مضمر صحيحة سالم مضمرمرفل

فَخُرُوْرُهَا وَصُخُوْرُهَا مِمَّا ارْتَدَيْنَا وَاحْتَذَيْنَا

متفاعلن متفاعلن مستفعلن متْفَاعلاتن

سالم صحيحة مضمر مضمرمرفل

نَصْلِيْ بِنَارِ الحَرْبِ أجْـ ـسَادًا صَهَرْنَا وَاشْتَوَيْنَا
مستفعلن مستفعلن مستفعلن متْفَاعلاتن
مضمر مضمرة مضمر مضمرمرفل
لَا نَبْتَغِيْ الدَّنْيَا وَزُهْـ ـرتَهَا فَبِاللّهِ اكْتَفَيْنَا
مستفعلن مستفعلن متفاعلن متْفَاعلاتن
مضمر مضمرة سالم مضمرمرفل
لَا هَمَّ فِيْ تَرَفٍ فَأسْـ ـبَابَ الغَوَايَةِ مَا ارْتَضَيْنَا
مستفعلن متفاعلن مستفعلن متَفَاعلاتن
مضمر صحيحة مضمر مرفل
فَاللهَ نَعْبُدُهُ وَعُبْـ ـبَادَ الصَّلِيْبِ فَقَدْ قَلَيْنَا
مستفعلن متفاعلن مستفعلن متَفَاعلاتن
مضمر صحيحة مضمر مرفل

فنجد هنا بحر الكامل المجزوء صحيح العروض وإضماره وترفيل الضرب وإضماره، كما نجد الحشو سالمًا ومضمرًا.

فهذه القصيدة تحتوي على القافية المتواترة ونوعها مطلقة مردوفة موصولة بـ"لين" ورويها النون المفتوحة.

﴿9﴾

في ثوران الفتنة البلقانية

شُبَّتْ عَلَى بُلْقَانِ نَارُ الحُرُوْبْ أشْعَلَهَا بِالبَغْيِ أهْلُ الصَّلِيْبْ
مستفعلن مستفعلنْ فَاعلان[1] مستفعلن مستفعلنْ فَاعلان

[1] هذا لا يقع إلا بسبب علة الزيادة

سالم سالم مطوية موقوفة سالم سالم مطوي موقوف
لَمْ تَبْقَ فِيْ الآفَاقِ أَرْضٌ بِهَا الْـ ـإِسْلَامُ إِلَّا نَالَهَا مِنْ لَهِيْبْ
مستفعلن مستفعلنْ فَاعلن مستفعلن مستفعلنْ فَاعلان

سالم سالم مطوية مكشوفة سالم سالم مطوي موقوف
قَدْ حَزَّبَ الشَّيْطَانُ أَحْزَابَه وَحَثَّهُمْ لِكُلِّ شَرٍّ وَحُوْبْ[1]
مستفعلن مستفعلنْ فَاعلن مفاعلن مفاعلنْ فَاعلان

سالم سالم مطوية مكشوفة مخبون مخبون مطوي موقوف
شَنُّوْا عَلَى الإِسْلَامِ غَارَاتِهِمْ يَذْهَلُ فِيْهَا عَنْ حَبِيْبٍ حَبِيْبْ
مستفعلن مستفعلنْ فَاعلن مفتعلن مستفعلن فَاعلان

سالم سالم مطوية مكشوفة مطوي سالم مطوي موقوف
يَا كُرْدُ يَا تَاتَارُ يَا كَابُلُ يَا كُلَّ مَنْ للهِ عَبْدٌ مُنِيْبْ
مستفعلن مستفعلنْ فَاعلن مستفعلن مستفعلنْ فَاعلان

سالم سالم مطوية مكشوفة سالم سالم مطوي موقوف
فِيْ مَشْرِقِ الآفَاقِ أَوْ مَغْرِبٍ أَوْ فِيْ شَمَالِ الأَرْضِ أَوْ فِيْ جُنُوْبْ
مستفعلن مستفعلنْ فَاعلن مستفعلن مستفعلنْ فَاعلان

سالم سالم مطوية مكشوفة سالم سالم مطوي موقوف
يَدْعُوْكُمُ الإِسْلَامُ جَهْرًا إِلَى ذَبِّ العِدَى عَنْه فَهَلْ مِنْ مُجِيْبْ
مستفعلن مستفعلنْ فَاعلن مستفعلن مستفعلنْ فَاعلان

سالم سالم مطوية مكشوفة سالم سالم مطوي موقوف

[1] الحوب: الإثم

قُوْمُوْا لِنَصْرِ الحَقِّ مِنْ فَوْرِكُمْ وَاسْتَنْفِرُوْا مِنْ كُلِّ مُرْدٍ وَشِيْبْ
مستفعلن مستفعلنْ فَاعلن مستفعلن مستفعلنْ فَاعلان
سالم سالم مطوية مكشوفة سالم سالم مطوي موقوف
مُسْتَنْصِرِيْنَ اللهَ يَنْصُرْكُمُ بِنَصْرِهِ المَوْعُوْدِ غَيْرِ الكَذُوْبْ
مستفعلن مستفعلنْ فَاعلن مفاعلن مستفعلنْ فَاعلان
سالم سالم مطوية مكشوفة مخبون سالم مطوي موقوف
كُنْتُمْ سُيُوْفَ اللهِ مِنْ وَقْعِهَا فِيْ الكُفْرِ وَالأَوْثَانِ تَبْقَى نُدُوْبْ
مستفعلن مستفعلنْ فَاعلن مستفعلن مستفعلنْ فَاعلان
سالم سالم مطوية مكشوفة سالم سالم مطوي موقوف
فَالآنَ يَا إِخْوَانُ مَا بَالُكُمْ قَدْ مَسَّكُمْ مِنَ الجِهَادِ لُغُوْبْ
مستفعلن مستفعلنْ فَاعلن مستفعلن مفاعلنْ فَاعلان
سالم سالم مطوية مكشوفة سالم مخبون مطوي موقوف
مَا بَالُكُمْ لَا تَنْفُرُوْنَ وَقَدْ حَلَّ عَلَى الإِسْلَامِ يَوْمٌ عَصِيْبْ
مستفعلن مستفعلنْ فَعِلن مستفعلن مستفعلنْ فَاعلان
سالم سالم مخبولة مكشوفة سالم سالم مطوي موقوف
يَبْلُوْكُمُ اللهُ بِبَأْسِ العِدَى فَإِنَّ أَمْرَ اللهِ يَبْلُوْ القُلُوْبْ
مستفعلن مستفعلنْ فَاعلن مفاعلن مستفعلنْ فَاعلان
سالم سالم مطوية مكشوفة مخبون سالم مطوي موقوف
إِنْ تَصْبِرُوْا للهِ لَا يُخْزِكُمْ فَإِنَّ للهِ عَلَيْنَا رَقِيْبْ
مستفعلن مستفعلنْ فَاعلن مفاعلن مستفعلن فَاعلان
سالم سالم مطوية مكشوفة مخبون سالم مطوي موقوف

يَا قَوْمَنَا إنْ تَصْبِرُوْا يَأتِكُمْ "نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيْبْ"

مستفعلن مستفعلنْ فَاعلن مستفعلن مستفعلنْ فَاعلان

سالم سالم مطويةمكشوفة سالم سالم مطوي موقوف

ونجد هنا البحر السريع التام؛ العروض المطوية المكشوفة والمخبولة المكشوفة والضرب المطوي الموقوف، كما نجد الحشو سالمًا ومخبونًا.

فهذه القصيدة تحتوي على القافية المترادف ونوعها مقيدة مردوفة ورويها الباء الساكنة.

﴿10﴾

في ذكر أشراط الساعة

لَقَدْ لَجَّ بِالرَّوْمِ إشْطَاطُهَا فَتَعْدُوْ إلَى الهُلْكِ أشْوَاطُهَا

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم مطوي محذوف

وَكَمْ أهْلَكَ البَغْيُ مِنْ أمَّةٍ وَخَيْرُ الأُمُوْرِ لَأوْسَاطُهَا

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعول فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم مقبوض سالم محذوف

فَإنْ صَعَّدَ الرومَ رَيْبُ الدَّهُوْ رِ لَنْ يَعْجِزَ اللهَ إهْبَاطُهَا

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

فَقَدْ خُطَّ فِيْ زُبُرِ الأوَّلِيْـ ـنَ أنْ تُسْقِطَ الرَّوْمَ خُطَّاطُهَا

فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

قُبَيْلَ القِيَامَةِ مِيْعَادُهَا فَقَدْ قَرُبَ اليَوْمَ إِسْقَاطُهَا

فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف

فإنَّ القِيَامَةَ قَدْ أَزْلَفَتْ إِلَيْنَا فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا

فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

فَقَدْ أَخَذَ النَّاسُ جُهَّالُهُمْ هُدَاةً فَيَخْبِطُ خَبَّاطُهَا

فعول فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعول فعولن فَعُلْ

مقبوض سالم سالم محذوفة سالم مقبوض سالم محذوف

فَضَاعَ الأُمُوْرُ وَشَاعَ الفُجُوْرُ وَذَاعَ الخُمُوْرُ وَإِفْرَاطُهَا

فعولن فعول فعولن فَعُول فعولن فعول فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم مقبوضة سالم مقبوض سالم محذوف

وَقَدْ أُوْرِطَتْ أُمَّةُ المُسْلِمِيْـ ـنَ فِيْ هُوَّةٍ، شَدَّ إِيْرَاطُهَا

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

وَأَوْقَعَهَا الدَّهْرُ فِيْ عُقْدَةٍ تَعَسَّرَ لِلقَوْمِ إِنْشَاطُهَا

فعول فعولن فعولن فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ

مقبوض سالم سالم محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف

وَقَامَتْ لِتَعْزِيْزِ دِيْنِ الإِلَـ ـهِ مِنْ أَهْلِ سُوْدَانَ أَقْطَاطُهَا

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

هُتَافُهُمُ اللهُ قَوْلًا بِهِ جِمَاعُ الأُمُوْرِ وَحُوَّاطُهَا

فعول فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعول فعولن فَعُلْ

مقبوض سالم سالم محذوفة سالم مقبوض سالم محذوف

وَعَادَ اليَهُوْدُ إلى أَرْشَلِيْمَ أَحَاطَتْ بِصَيْهُوْنَ أَسْبَاطُهَا

فعولن فعول فعولن فَعُولُ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم مقبوضة سالم سالم سالم محذوف

وَمِنْ قَبْلُ كَانَتْ مُمَزَّقَةً فَقَدْ جُمِعَ اليَوْمَ شِمْطَاطُهَا

فعولن فعولن فعول فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم مقبوض محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف

وَمَا أَكْثَرَ الرَّوْمَ فِيْ العَالَمِيْـ ـنَ طَبَّقَتِ الأَرْضَ ضُبَّاطُهَا

فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف

فَدَبَّتْ عَقَارِبُهَا فِيْ البِلَادِ وَصُبَّتْ عَلَى النَّاسِ أَسْوَاطُهَا

فعولن فعول فعولن فعول فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم مقبوضة سالم سالم سالم محذوف

وَمِنْ جَوْرِهَا أُمَمٌ أَهْلِكَتْ وَشَرَّ مِنَ الجَوْرِ أَقْسَاطُهَا

فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

تَدُوْسُ البِحَارَ كَأَنْ بُسِطَتْ عَلَى بثج[1] البَحْرِ أثْمَاطُهَا
فعولن فعول فعول فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ
سالم مقبوض مقبوض محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف
يَطِيْرُ لَهَا مَرْكَبٌ فِيْ السَّمَاءِ وَأَوْدَعَتِ البَرْقَ أخْيَاطُهَا
فعول فعولن فعولن فَعُول فعول فعولن فعولن فَعُلْ
مقبوض سالم سالم مقبوضة مقبوض سالم سالم محذوف
وَمَا بَيْنَ قُدْسٍ وَبَيْنَ البِحَا رِ قَدْ ضَرِبَ اليَوْمَ فُسْطَاطُهَا
فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ
سالم سالم سالم محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف
وَضُمَّتْ بِيَاجُوْجَ مَاجُوْجُهَا تَحَزَّبَ لِلشَّرِّ أرْهَاطُهَا
فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ
سالم سالم سالم محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف
فَأَبْنَاءُ جَوْمَرَ فِيْ جَمْعِهَا وَنَسْلُ تَجَرْمَا وَأخْلَاطُهَا
فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ
سالم مقبوض سالم محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف
كَأَنِّيْ بِهَا كَآتِي[2] الجِبَا لِ أرْسَلَتِ السَّبْلُ إفْرَاطَهَا
فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ
سالم مقبوض سالم محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف

[1] يراجع كتاب "شعر الإمام عبد الحميد الفراهي للدكتور محمد خالد الزهاوي والدكتور عامر خليل الجراح،121

[2] يراجع كتاب "شعر الإمام عبد الحميد الفراهي للدكتور محمد خالد الزهاوي والدكتور عامر خليل الجراح، ص 121

تَرَجْرَجَ فِيْ بَعْضِهَا بَعْضُهَا كَغَطْمَطَةِ البَحْرِ أَلْغَاطُهَا

فعول فعولن فعولن فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ

مقبوض سالم سالم محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف

فَإِنْ كَانَتِ الشَّامُ مَوْرِدَهَا فَقَدْ بَلَغَ السَّدّ فُرَّاطُهَا

فعولن فعولن فعول فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم مقبوض محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف

فإنْ بَسَطَتْ بَاعَهَا بَسْطَةً تَأَبَّطَتِ القُدْسَ آبَاطُهَا

فعول فعولن فعولن فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ

مقبوض سالم سالم محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف

إذًا يُنْزِلِ اللهُ نارَ العَذَابْ عَلَيْهَا، فَتَّامَ إسْخَاطُهَا؟

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

ونجد في هذه القصيدة البحر المتقارب بالعروض المحذوفة والضرب المحذوف وبالحشو السالم أو المقبوض.

ووزن البحر المتقارب:

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

فهذه القصيدة تحتوي على القافية المتداركة ونوعها مطلقة مردوفة موصولة بـ"هاء" ورويها الطاء المضمومة.

﴿11﴾

في ذكر الملحمة الكبرى

لَقَدْ حَلَّ بِالرَّوْمِ شَرٌّ شَمِرْ فَنَارُ الحُرُوْبِ بِهِمْ تَسْتَعِرْ
فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ
سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف
فَهُمْ حَصَبٌ كَالهَشِيْمِ اليَبِيـ ـسِ يَصْلَوْنَهَا زُمَرًا فَزُمَرْ
فعول[1] فعْلن (عولن)[2] فعولن فَعُلْ فعولن فعول فعول فَعُلْ
مقبوض مخروم سالم محذوفة سالم مقبوض مقبوض محذوف
رَحَى الحَرْبِ تَطْحَنُهُمْ وَالدِّمَا ءُتُدِيْرُ الرَحَى مِثْلَ جَرْيِ النَهَرْ
فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ
سالم مقبوض سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف
فَكَمْ أَلْفَ أَلْفٍ وَكَمْ مِثْلَها قَتِيْلٌ وَكَمْ مِثْلَهَا قَدْ أَسِرْ
فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ
سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف
فَكَمْ أَلْفَ أَلْفٍ وَكَمْ مِثْلَهَا عَلَى مَوْرِدٍ مَا لَه مِنْ صَدَرْ
فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ
سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

[1] يجوز في الحشو والعروض بسبب الزحاف ويقال له القبض، وهو حذف الخامس الساكن
[2] يلحق في أول الصدر ويسمى الخرْم وهو خذف أول الوتد المجموع فعولن --- عولن=فعْلن

وَكَمْ بَلَدٍ عَامِرٍ قَدْ خَوَى وَكَمْ هُدَّ مِنْ أَطُمٍ مُشْمَخِرْ

فعول فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعول فعولن فَعُلْ

مقبوض سالم سالم محذوفة سالم مقبوض سالم محذوف

فَيَا بُؤْسَ حَرْبٍ لِرَوْعَاتِهَا تَرَى كُلَّ مَمْلَكَةٍ تَقْشَعِرْ

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعول فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم مقبوض سالم محذوف

جَنَتْهَا أُرُوْبَّا وَلَكِنَّهَا إِلَى مُنْتَهَى الشَّرْقِ تَرْمِيْ الشَّرَرْ

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

فَهَلْ سَمِعَتْ أُذُنٌ مِثْلَ ذَا كَ أَمْ خُطَّ فِيْ أَوْلَيَاتِ الزَّبُرْ

فعول فعول فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

مقبوض مقبوض سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

فَمَا هِيَ مِنْ سُنَنٍ جَارِيَاتٍ وَلَكِنَّهَا هِيَ إِحْدَى الكُبُرْ

فعول فعول فعولن فعولن فعولن فعول فعولن فَعُلْ

مقبوض مقبوض سالم صحيحة سالم مقبوض سالم محذوف

فَإِنَّ الإِلهَ يُجَازِيْ العِبَا دَ خَيْرًا بِخَيْرٍ وَشَرًّا بِشَرْ

فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

وَلكِنَّه يُمْهِلُ الظَّالِمِيْـ ـنَ يَبْلُوْهُمُ بَرْهَةً مِنْ عُمُرْ

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

بِبُؤْسًى وَنُعْمًى لِكَيْ يَرْعَوُوْا وَيَزْجُرُهُمْ مَا أَتَتْ مِنْ نُذُرْ

فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف

فَإِنْ لَمْ يَتُوْبُوْا وَلَمْ يَتَّقُوْ هُ يَبْطِشُهُمْ بَطْشَةَ الْمُقْتَدِرْ

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف

كَذَا الرَّوْمُ لَمَّا طَغَوْا فِيْ البَلَا دِ، يَعْثُوْنَ فِيْ الأَرْضِ بَحْرًا وَبَرْ

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

أَتَاحَ لَهُمْ رَبُّهُمْ نَقْمَةً وَكَانَتْ قَضَاءً وَأَمْرًا قُدِرْ

فعول فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

مقبوض سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

وَكَمْ نَقْمَةٍ تَحْتَهَا نِعْمَةٌ فَقَوْمٌ يَسَارٌ وَقَوْمٌ يَسُرْ

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

فَأَغْرَى بَنِيْ أَصْفَرَ الأَقْوِيَا ءَ لِلحَرْبِ مِثْلَ الكِلَابِ العُقُرْ

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

لِيَلْبِسَهُمْ شِيَعًا فَيُذِيْـ ـقَ بَعْضًا مِنَ البَعْضِ بَأْسًا نَكُرْ

فعول فعول فعول فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

مقبوض مقبوض مقبوض محذوفة سالم سالم سالم محذوف

فَصَارَ التَّنَافُسُ يَحْثُوْهُمُ مِنَ الحِقْدِ بَيْنَ الضَّلُوْعِ الأَبَرْ

فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

وَكَانُوْا دُهَاةً وَلَكِنْ إِذَا أَتَى قَدَرُ اللهِ أَعْمَى البَصَرْ

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف

فَبَيْنَاهُمُ يَجْمَعُوْنَ الأَدَا ةَ يَخْشَوْنَ يَوْمًا لَهُمْ مُكْفَهِرْ

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

تَبَادَرَ غَلْيُوْمُ مِنْ بَيْنِهِمْ يُجَاهِرُ بِالحَرْبِ مِنْ غَيْرِ سِرْ

فعول فعولن فعولن فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ

مقبوض سالم سالم محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف

شَدِيْدَ الـمِحَالِ شَدِيْدَ النَّكَا لِ حَدِيْدَ الفُؤَادِ حَدِيْدَ النَّظَرْ

فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعولن فعول فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم محذوفة سالم مقبوض سالم محذوف

وَأَلْمَانُ أُمَّتُه حَوْلَه وَنَمْسَا حَلِيْفٌ لَه مُسْتَمِرْ

فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

فَقَامَ يُبَارِزُ أَعْدَاءَه فَرَنْسَا وَرُوْسَا وَإِنْكَلْتَرْ

فعول فعول فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

مقبوض مقبوض سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

وَكَيْفَ اثْنَتَانِ بِحَرْبِ الثَّلَا ثِ لَكِنَّ أَلْمَانَ قَوْمٌ صُبُرْ

فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

وَقَدْ جَمَعُوْا عُدَّةً مُدَّةً وَلَمْ يَفْشُ مِنْهُمْ لِقَوْمٍ خَبَرْ

فعول فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

مقبوض سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

فَصَاغُوْا مَدَافِعَ لَمَّا يَكُنْ لَهَا الْمِثْلُ فِيْ قُوَّةٍ وَكِبَرْ

فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعول فَعُلْ

سالم مقبوض سالم محذوفة سالم سالم مقبوض محذوف

وَزِفْلِيْنُ طَيَّارَةٌ فِيْ السَّمَا ءِ كَالفُلْكِ مَشْحُوْنَةٌ بِالذّخِرْ

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

وَيَرْمُوْنَ أَعْدَاءَهُمْ بِالدَّخَا نِ، يعمي وَيُرْهِقُهُمْ بِالحَذَرْ

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعول فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم مقبوض سالم محذوف

فَجَاءَ بِهِمْ كَصَبِيْرِ الغَّمَا مِ أَوْ مِثْلَ بَحْرٍ إِذَامَا زَخَرْ

فعول فعول فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

مقبوض مقبوض سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

وَبلْجِيْكُ سَدَّتْ عَلَيْه الطَّرِيـ ـقَ إِذْ غَرَّهَا الحُلَفَاء الخُتُرْ

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعول فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم مقبوض سالم محذوف

بِوَعْدِ الكِذَابِ كَلَمْعِ السَّرَابِ وَظِلِّ السَّحَابِ وَرِيْحٍ تَمُرْ

فعولن فعول فعولن فَعُول فعولن فعول فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم مقبوضة سالم مقبوض سالم محذوف

وَظَنُّوْا لَهَا مَوْئِلًا اِنْطُوَرْ بَ، حِصْنًا عَلَى كَائِدِيْه عَسِرْ

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

فَأَصْبَحَ يَرْمِيْ عَلَى سُوْرِهَا قَنَابِلَ، مِثْلَ جُذُوْعِ الشَّجَرْ

فعول فعولن فعولن فَعُلْ فعول فعول فعولن فَعُلْ

مقبوض سالم سالم محذوفة مقبوض مقبوض سالم محذوف

فَدَمَّرَهَا وَسَبَى أَهْلَهَا وَمَا كَانَ إِلَّا كَلَمْحِ البَصَرْ

فعول فعول فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

مقبوض مقبوض سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

فَبَلْجِيْكُ صَارَتْ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ كَذَاكَ الجَزَاءُ لِقَوْمٍ كُفُرْ

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

فَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ مَا أَنْزَلَتْ عَلَى كَانِجُوْ مِنْ عَذَابٍ وَضُرْ

فعول فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعولن فعولن فَعُلْ

مقبوض سالم سالم محذوفة سالم سالم سالم محذوف

وَلَمَّا قَضَى النَّحْبَ مِنْهَا اسْتَمَرْ رَ غَرْبًا فَأَضْرَمَ فِيْهِ السُّعُرْ

فعولن فعولن فعولن فَعُلْ فعولن فعول فعولن فَعُلْ

سالم سالم سالم محذوفة سالم مقبوض سالم محذوف

فَبَيْنَا يُذِيْقُ فَرَنْسَا الهَوَا نَ، أَفْزَعَه نَبَأٌ مِنْ أَخَرْ

فعولن فعول فعولن فَعُلْ فعول فعول فعولن فَعُلْ

سالم مقبوض سالم محذوفة مقبوض مقبوض سالم محذوف

فَكَرَّ إِلَى الشَّرْقِ فَاسْتَعْجَلَتْ كَتَائِبُ رُوْسٍ تُوَلِّيْ الدَّبْرْ

فعول فعولن فعولن فَعُلْ فعول فعولن فعولن فَعُلْ

مقبوض سالم سالم محذوفة مقبوض سالم سالم محذوف

ونجد في هذه القصيدة البحر المتقارب بالعروض المحذوفة والضرب المحذوف وبالحشو السالم أو المقبوض، كما نجد القبض والخرم في الصدر الأول والحذف في العروض والضرب أيضًا.

فهذه القصيدة تحتوي على القافية من المتدارك ونوعها مقيدة مجردة من الردف والتأسيس" ورويها الراء الساكنة.

﴿12﴾

في ذكرى الأيام[1]

أَكَلِّمُ دَارًا مَا بِهَا مِنْ أَنِيْسِ كَأَنَّ جُنُوْنًا مَسَّنِيْ بِمَسِيْسِ

فعول مفاعيلن فعولن فعولن فعول مفاعيلن فعول فعولن

مقبوض سالم سالم محذوفة مقبوض سالم مقبوض محذوف

وَكُنَّا غَرِيْرًا نَاعِمَ العَقْلِ حِقْبَةً نَبِيْتُ بِهَا لَيْلًا كَلَيْلِ عَرُوْسِ

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعول مفاعيلن فعول فعولن

سالم سالم سالم مقبوضة مقبوض سالم مقبوض محذوف

أَغَادِيْ الصَّبُوْحَ عِنْدَ بَيْضَاءَ طَفْلَةٍ تُعَلِّلُنِيْ مِنْ خَمْرِهَا بِكُؤُوْسِ

فعولن مفاعلن فعولن مفاعلن فعول مفاعيلن فعول فعولن

سالم مقبوض سالم مقبوضة مقبوض سالم مقبوض محذوف

[1] هذه المنظومة لا توجد في نسخة الأعظمي

تُضِيْءُ لَنَا لَبَّاتُها وَحُلِيُّها ... كَجَمْرِ الْغَضَا شُبَّتْ بِدَيْرِ مَجُوْسِ

فعول مفاعيلن فعول مفاعلن ... فعولن مفاعيلن فعول فعولن

مقبوض سالم مقبوض مقبوضة ... سالم سالم مقبوض محذوف

تَذَكَّرْتُ أَنِّيْ لَوْ سَقِمْتُ بِدَارِهَا ... فَدَتْنِيْ، وَمَا ضَنَّتْ، بِعِلْقٍ نَفِيْسِ

فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن ... فعولن مفاعيلن فعولن فعولن

سالم سالم مقبوض مقبوضة ... سالم سالم سالم محذوف

تَسَرْبَلْتُ مِنْ دَائِيْ بِضُرٍّ وَبُؤْس ... وأَلْبَسَنِيْ دَهْرِيْ أَضَرَّ لَبُوْسِ

فعولن مفاعيلن فعولن فعولن ... فعول مفاعيلن فعول فعولن

سالم سالم سالم مقبوضة ... مقبوض سالم مقبوض محذوف

كَأَنِّيْ بِجِسْمِيْ مِنْ قُرُوْحٍ كَرِيْهَةٍ ... قَدِ انْتَشَبَتْ أَظْفَارُ وَرْدٍ نَهُوْسِ

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ... فعول مفاعيلن فعولن فعولن

سالم سالم سالم مقبوضة ... مقبوض سالم مقبوض محذوف

ظَلِلْتُ بِسُقْمِيْ فِيْ عَنَاءٍ مُبَرِّحٍ ... وَأَصْبَحْتُ مِنْه فِيْ عِقَابٍ بَئِيْسِ

فعول مفاعيلن فعولن مفاعلن ... فعولن مفاعلن فعولن فعولن

مقبوض سالم سالم مقبوضة ... سالم مقبوض سالم محذوف

أَلَحَّ عَلَيَّ الدَّهْرُ شَرًّا وَغِلْظَةً ... فَيَا لَكَ مِنْ دَهْرٍ شَرِيْرٍ شَرِيْسِ

فعول مفاعيلن فعولن مفاعلن ... فعول مفاعيلن فعولن فعولن

مقبوض سالم سالم مقبوضة ... مقبوض سالم سالم محذوف

وَلَيْلِيْ خِدَارِيٌّ بَهِيْمٌ سُدُوْلُه ... مَنُوْطٌ بِيَوْمٍ قِمْطَرِيْرٍ عَبُوْسِ

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ... فعولن مفاعيلن فعولن فعولن

سالم سالم سالم مقبوضة ... سالم سالم سالم محذوف

بتَأْرِيْخِ[1] أَسْقَامٍ تَرُوْحُ وَتَغْتَدِيْ دِرَاكًا فَمَا أَبْقَتْ لَنَا مِنْ نَسِيْسِ

فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن فعولن

سالم سالم مقبوض مقبوضة سالم سالم سالم محذوف

وَتَأْتِيْ الرَّزَايَا عِنْدَ أُخْرَى كَأَنَّهَا عَلَى خَبَرٍ أَوْ تَهْتَدِيْ بِجَسِيْسِ

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعول مفاعيلن فعول فعولن

سالم سالم سالم مقبوضة مقبوض سالم مقبوض محذوف

وَكَيْفَ مَنَاصٌ مِنْ خُطُوْبٍ طَوَارِقَ تُسَاوِرُنَا وَمَا لَهَا مِنْ حَسِيْسِ

فعول مفاعيلن فعولن مفاعلن فعول مفاعلن فعول فعولن

مقبوض سالم سالم مقبوضة مقبوض مقبوض مقبوض محذوف

وَأَيْنَ مَحِيْصٌ مِنْ سِهَامٍ سَدِيْدَةٍ مُقَدَّرَةٍ أَنْبَالُهَا لِلنُّفُوْسِ

فعول مفاعيلن فعولن مفاعلن فعول مفاعيلن فعولن فعولن

مقبوض سالم سالم مقبوضة مقبوض سالم سالم محذوف

وَمَا النَّاسُ إِلَّا مِثْلُ زَرْعٍ وَشَطْئِه سَيَهْمُدُ يَوْمًا كَالحَصِيْدِ اليَبِيْسِ

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعول مفاعيلن فعول فعولن

سالم سالم سالم مقبوضة مقبوض سالم مقبوض محذوف

فَمَا غَانِمٌ إِلَّا كَآخَرَ خَائِبٍ وَمَا آمِلٌ إِلَّا كَمِثْلِ يَئُوْسِ

فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن فعولن مفاعيلن فعول فعولن

سالم سالم مقبوض مقبوضة سالم سالم مقبوض محذوف

ونجد في هذه القصيدة البحر الطويل والبيت المصرع، كما نجد القبض في الحشو

[1] هذا مكتوب في كتاب "شعر الإمام عبد الحميد الفراهي" تباريح ص 128

والقبض والحذف في العروض والضرب أيضًا.

فهذه القصيدة تحتوي على القافية المتداركة ونوعها مطلقة مردوفة موصولة بـ"لين" ورويها السين المكسورة.

﴿13﴾

في التهنئة للعلامة شبلي النعماني[1]

(حين تلقّبه بشمس العلماء)

يَا خَيْرَ مَنْ يَسْمُوْ إلى العَلْيَاءِ كَالشَّمْسِ بَازِغَةً بِوَسْطِ سَمَاءِ

مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن فَعْلاتُن[2] مستفعلن (متْفاعلن) متَفاعلن فَعِلاتن

مضمر مضمر مضمرةمقطوعة مضمر سالم مقطوع

قَدْ كُنْتَ قِدْمًا لِلمَعَالِيْ سَامِيًا أوْرِثْتَه عَنْ شِيْمَةِ الآبَاءِ

مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن مستفعلن مستفعلن (متْفاعلن) متَفاعلن فَعْلاتن

مضمر مضمر مضمرة مضمر سالم مضمرمقطوع

فَلَئِنْ سَمَوْتَ إلى المَكَارِمِ وَالعُلَى فَلَقَدْ نَشَأتَ بِعِزَّةٍ قَعْسَاءِ

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متَفاعلن فَعْلاتن

سالم سالم صحيحة سالم سالم مضمرمقطوع

لَا غَرْوَ نَصْلُ السَّيْفِ إنْ يَكُ صَارِمًا أوْ يَسْتَهِلَّ البَرْقُ بِاللَّأْلَاءِ

مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن متفاعلن مستفعلن (متْفاعلن) مستَفعلن فَعْلاتن

مضمر مضمر صحيحة مضمر مضمر مضمرمقطوع

[1] هذه المنظومة لا توجد في نسخة الأعظمي

[2] فعْلاتن= مفعولن

فَلَأَنْتَ بِالعَزْمَاتِ سَيْفٌ صَارِمٌ وَلَأَنْتَ بَرْقٌ لَامِعٌ بِذَكَاءِ
متفاعلن مستفعلن مستفعلن متفاعلن مستَفعلن فَعِلاتن
سالم مضمر مضمرة سالم مضمر مقطوع

لَاذَتْ بِجَانِبِكَ العُلُوْمُ فَإِنَّهَا لَوْ لَمْ تَصُنْهَا آذَنَتْ بِفِنَاءِ
مستفعلن (متْفاعلن) متفاعلن متفاعلن مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن فَعِلاتن
مضمر سالم صحيحة مضمر مضمر مقطوع

قَدْ أَمْحَلَتْ أَرْضُ العُلُوْمِ وَأَصْبَحَتْ عَرْصَاتُهَا كَسَمَالِقِ البَيْدَاءِ
مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن متفاعلن مستفعلن متَفاعلن فَعْلاتن
مضمر مضمر صحيحة مضمر سالم مضمرمقطوع

لَعِبَتْ بِهَا هُوْجُ الرِّيَاحِ تَنُوْبُهَا مِنْ كُلِّ عَاصِفَةٍ مِنَ النَّكْبَاءِ
متفاعلن مستفعلن متفاعلن مستفعلن متَفاعلن فَعْلاتن
سالم مضمر صحيحة مضمر سالم مضمرمقطوع

فَجَعَلْتَ تُمْطِرُهَا بِسَحٍّ وَاكِفٍ صَوْبَ الرَّبِيْعِ بِدِيْمَةٍ هَطْلَاءِ
متفاعلن متفاعلن مستفعلن مستفعلن (متْفاعلن) متَفاعلن فَعْلاتن
سالم سالم مضمرة مضمر سالم مضمر مقطوع

فَرَبَتْ رِيَاضُ العِلْمِ مِنْكَ وَأَنْبَتَتْ مُهْتَزَّةً بِغُصُوْنِهَا الخَضْرَاءِ
متفاعلن مستفعلن متفاعلن مستفعلن (متْفاعلن) متَفاعلن فَعْلاتن
سالم مضمر صحيحة مضمر سالم مضمر مقطوع

كَمْ مُعْضِلَاتٍ فِي المَسَائِلِ قَدْ أَبَتْ أَنْ يَكْشِفُوْا عَنْهَا ذَوُوْ الآرَاءِ
مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن متفاعلن مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن فَعْلاتن
مضمر مضمر صحيحة مضمر مضمر مضمرمقطوع

مَزَّقْتَ أَسْتَارًا لَهَا فَتَمَزَّقَتْ كَالبَرْقِ يَهْتِكُ سَدْفَةَ الظَّلْمَاءِ

مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن متفاعلن مستفعلن متَفاعلن فَعْلاتن

مضمر مضمر صحيحة مضمر سالم مضمرمقطوع

عَلَّمْتَنَا سُبُلَ الرَّشَادِ وَإِنَّمَا كُنَّا نَكَابِطِ لَيْلَةٍ لَيْلَاءِ

مستفعلن (متْفاعلن) متفاعلن متفاعلن مستفعلن متَفاعلن فَعْلاتن

مضمر سالم صحيحة مضمر سالم مضمرمقطوع

كُنَّا بِمَهْجَلَةٍ يُخَافُ بِهَا الرَّدَى فَهَدَيْتَنَا لِمَحَجَّةٍ بَيْضَاءِ

مستفعلن (متْفاعلن) متفاعلن متفاعلن متفاعلن متَفاعلن فَعْلاتن

مضمر سالم صحيحة سالم سالم مضمرمقطوع

فَلَنَشْكُرَنَّكَ مِنْ صَمِيْمِ قُلُوْبِنَا شكر الخليل بثنه برداء

متفاعلن متفاعلن متفاعلن مستفعلن متَفاعلن فَعْلاتن

مضمر مضمر مضمرة مضمر سالم مضمر مقطوع

فَلَأَسْأَلَنَّ اللهَ طُوْلَ بَقَاءِكُمْ فِيْ كُلِّ بُكْرَتِنَا وَكُلِّ عِشَاءِ

متفاعلن مستفعلن متفاعلن مستفعلن متَفاعلن فَعِلاتن

سالم مضمر صحيحة مضمر سالم مقطوع

وَأَهَنِّئَنَّكُمُ بِمَا أَعْطِيْتُمُ مِنْ خَيْرِ مَا وَجَدُوْا مِنَ الأَسْمَاءِ

متفاعلن متفاعلن مستفعلن مستفعلن متَفاعلن فَعْلاتن

سالم سالم مضمرة مضمر سالم مضمرمقطوع

إِنْ كَانَ تِلْكَ الشَّمْسُ شَمْسَ سَمَاءِهَا فَلَصِرْتَ شَمْسَ العِلْمِ وَالعُلَمَاءِ

مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن متفاعلن متفاعلن مستفعلن فَعِلاتن

سالم مضمر صحيحة سالم مضمر مقطوع

إذْ أَنْتَ شَمْسٌ وَالعُلُوْمُ سَمَاؤُكُمْ فَالشَّمْسُ شَمْسِيْ وَالسَّمَاءُ سَمَائِيْ

مستفعلن (متْفاعلن) مستفعلن متفاعلن متفاعلن مستفعلن فَعِلاتن

سالم مضمر صحيحة سالم مضمر مقطوع

ونجد في هذه القصيدة البحر الكامل والبيت المصرع، كما نجد الاضمار في الحشو الاضمار والقطع في العروض الأول وجميع الضرب.

فهذه القصيدة تحتوي على القافية المتداركة ونوعها مطلقة مردوفة موصولة بـ"لين" ورويها الهمزة المكسورة.

﴿14﴾

في الرجوع إلى العقل[1]

سِرْ مَعَ العَقْلِ أَيْنَمَا سَارَا دُرْ مَعَ الحَقِّ حَيْثُمَا دَارَا

فاعلاتن مفاعلن فعْلن فاعلاتن مفاعلن فعْلن

سالم مخبون محذوفة مخبونة سالم مخبون محذوف مخبون

لَا تَهُوْلَنْكَ لَيْلَةٌ عَكِرَتْ إِنَّ بَعْدَ الظَّلَامِ أَنْوَارَا

فاعلاتن مفاعلن فَعِلن فاعلاتن مفاعلن فعْلن

سالم مخبون محذوفة مخبونة سالم مخبون محذوف مخبون

إِنَّ فِيْ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفِي الشْـ ـشَمْسِ وَالنَّيِّرَاتِ تِذْكَارَا

فاعلاتن مفاعلن فَعِلن فاعلاتن مفاعلن فعْلن

سالم مخبون محذوفة مخبونة سالم مخبون محذوف مخبون

[1] هذه المنظومة لا توجد في نسخة الأعظمي

رَاكِعَاتٍ مُسَبِّحَاتٍ يَدْ عُوْنَنَا لِلسُّجُوْدِ أَسْحَارَا
فاعلاتن مفاعلن فعْلن فاعلاتن مفاعلن فعْلن
سالم مخبون محذوفة مخبونة سالم مخبون محذوف مخبون

نجد في هذه الأبيات البحر الخفيف بالعروض المحذوفة المخبونة، وبالضرب المحذوف المخبون، كما نجد الحشو به خبن.

وهذه القصيدة تحتوي على القافية المتواترة ونوعها مطلقة مردوفة موصولة بـ"لين" ورويها الراء المفتوحة.

﴿15﴾

في التحذير عن الدنيا

يَا بُؤْسُ لِلدُّنْيَا شَقِيًّا سَعِيْدُهَا فَيَا وَيْلُ مَنْ يَسْعَى لَهَا يَسْتَزِيْدُهَا
فعلن(عولن) مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن
مخروم سالم سالم مقبوضة سالم سالم سالم مقبوض
فَلَا يَرْجِعَنْ إِلَّا إِلَى الضَّرِّ نَفْعُهَا وَلَا يَرْجِعَنْ إِلَّا إِلَى الشُّحِّ جُوْدُهَا
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن
سالم سالم سالم مقبوضة سالم سالم سالم مقبوض
فَسِيَّانِ عِنْدِيْ عَدْمُهَا وَوُجُوْدُهَا وَصِنْوَانِ عِنْدِيْ وَصْلُهَا وَصُدُوْدُهَا
فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن
سالم سالم مقبوض مقبوضة سالم سالم مقبوض مقبوض

ونجد في هذه القصيدة البحر الطويل ونجد القبض في الحشو والقبض في العروض والضرب أيضًا.

فهذه القصيدة تحتوي على القافية المتواترة ونوعها مطلقة مردوفة موصولة بـ"لين" ورويها الدال المضمومة.

﴿16﴾

في التهنئة للعلامة شبلي النعماني[1]

(حين تلقّبه بشمس العلماء)

لَدَى العَقْلِ شَمْسٌ غَيْرُ مَا هُوَ لِلحِسِّ ... فَإِنَّكَ شَمْسُ العَقْلِ يَا لَكَ مِنْ شَمْسِ

فعولن مفاعيلن فعول مفاعيلن ... فعول مفاعيلن فعول مفاعيلن

سالم سالم مقبوض صحيحة ... مقبوض سالم مقبوض صحيح

فَمِنْ ضَوْءِ تِلْكَ الشَّمْسِ تَجْلَى عُيُوْنُنَا ... وَنُوْرُكَ مِنْه تَنْجَلِيْ ظُلْمَةُ النَّفْسِ

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ... فعول مفاعيلن فعولن مفاعيلن

سالم سالم سالم مقبوضة ... مقبوض سالم سالم صحيح

وَمَا الشَّمْسُ إلّا كُلَّ يَوْمٍ كَمَا بَدَتْ ... وَإِنَّكَ كُلَّ اليَوْمِ أَبْهَى مِنَ الأَمْسِ

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ... فعول مفاعيلن فعولن مفاعيلن

سالم سالم سالم مقبوضة ... مقبوض سالم سالم صحيح

لَقَدْ سُعِدَتْ أَيَّامُنَا كُلُّهَا بِكُمْ ... وِلِلشَّمْسِ أَيَّامٌ مِنَ السَّعْدِ والنَّحْسِ

فعول مفاعيلن فعولن مفاعلن ... فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

مقبوض سالم سالم مقبوضة ... سالم سالم سالم صحيح

[1] هذه المنظومة لا توجد في أي من نسخ وطبعات الديوان. إنما نقلها الدكتور شرف الدين الإصلاحي من لدن الشيخ بدر الدين الإصلاحي.

وَيَخْفَى ضِيَاءُ الشَّمْسِ عِنْدَ مَسَائِنَا وَنُوْرُكَ مَبْسُوْطٌ أَ نُصْبِحُ أَمْ نُمْسِيْ

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعول مفاعيلن فعولن مفاعيلن

سالم سالم سالم مقبوضة مقبوض سالم سالم صحيح

لَقَدْ كُنْتَ شَمْسًا ثُمَّ سُمِّيتَ بِاسْمِهَا كَذَا الاسْمُ بَعْدَ العَيْنِ مَا فِيْهِ مِنْ بَأْسِ

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعول مفاعيلن فعولن مفاعيلن

سالم سالم سالم مقبوضة مقبوض سالم سالم صحيح

لِيَهْنَأَكَ هَذَا الاسْمُ ثُمَّ مُنِحْتُمُ بِطُوْلِ بَقَاءٍ صَانَهُ اللهُ مِنْ بُؤْسِ

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعول مفاعيلن فعولن مفاعيلن

سالم سالم سالم مقبوضة مقبوض سالم سالم صحيح

وَأَوْرِثْتَ نُوْرَ العِلْمِ يَمْحُوْ غِيَاهِبَ الْـ ـجَهَالَاتِ لَا يَمْحُوْه عَصْرٌ وَلَا يُنْسِيْ

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعول مفاعيلن

سالم سالم سالم مقبوضة سالم سالم مقبوض صحيح

وَأَبْلَجَ وَجْهُ الدَّهْرِ مِنْ كَلِمَاتِكُمْ مَدَى الدَّهْرِ مَا خَطَّتْ يَرَاعٌ عَلَى الطِرْسِ

فعول مفاعيلن فعول مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

مقبوض سالم مقبوض مقبوضة سالم سالم سالم صحيح

البحر الطويل ونجد القبض في الحشو كما نجد القبض في العروض والضرب أيضًا.

القافيتان: "شمسي" و"نفسي"

فهذه القصيدة تحتوي على القافية المتواترة ونوعها مطلقة مردوفة موصولة بـ"لين" ورويها السين.

﴿17﴾

في الفخر بهدية أستاذه[1]

(هذه نسخة المصنّف سوّدها وصحّحها بيده وهو أستاذي وملاذي صاحب البراعة واللسن مولانا المولوي فيض الحسن وقد هداني هذا الكتاب وأني حينئذ كنت أتعلّم الأدب بلاهور)[2]

هَذَا الكِتَابُ الفَاقِدُ البَذِيْذِ لَا زَالَ أَهْلُ السَّمْعِ للتَحْبِيْذِ
مستفعلن مستفعلن فعولن مستفعلن مستفعلن مفعولن
سالم سالم مخبونة مكشوفة سالم سالم مشطور مكشوف
قَدْ نِلْتُ مِنْ أَسْتَاذِيَ الحِنْذِيْذِ كَفَى هَذَا فَخْرًا لِلتِّلْمِيْذِ
مستفعلن مستفعلن مفعولن مستفعلن مستفعلن مفعولن
سالم سالم مشطورة مكشوفة سالم سالم مشطور مكشوف

البحر السريع ووزنه للشطر والكشف في العروض والضرب:

مستفعلن مستفعلن مفعولن مستفعلن مستفعلن مفعولن

فنجد هنا العروض مخبونة مكشوفة ومشطورة مكشوفة والضرب مشطور مكشوف. كما نجد القبض في الحشو والخبن والكشف والشطر في العروض والكشف والشطر في الضرب أيضًا.

فهذه القصيدة تحتوي على القافية المتواترة ونوعها مطلقة مردوفة موصولة بـ"لين" ورويها الذال المكسورة.

[1] هذه المنظومة لا توجد في أي من نسخ وطبعات الديوان. إنما ذكره الدكتور شرف الدين الإصلاحي.
[2] كتبه الفراهي على لوح مخطوط "رياض الفيض" لأستاذه العلامة فيض الحسن. السهارنبوري

ISSN: 2321-7928

أهمية الشعر الجاهلي في فهم القرآن الكريم
ومدى الاستفادة منه

- د. سيد أزكيا الهاشمي[1]
ترجمة من الأردوية: محمد شفاء الرحمن[2]

ليس المقصود من فهم القرآن الكريم في هذا الموضوع الذي بين أيدينا هو العلم بموضوعاته علمًا سطحيًا، بل المقصود هنا استخراج الأحكام والمسائل بعد التدبر والتفكر فيه بجدّ واجتهاد، وفهم الدلالات من الكلام ومنطوقه حقيقة، وتعيين المعنى الصحيح له، والوصول إلى أسراره ومعارفه.

وإنّ هناك معيارًا خاصًا لأهلية فهم القرآن الكريم نظرًا إلى هذه القدرة والموهبة التي لا يتمكن منها كلّ شخص، وله شروط وآداب معينة يمكن للإنسان أن يصل باهتمامها إلى أسراره وكنهه، ولا يقع فيخطأ. ومن المهارات والقدرات التي أوجبها المحققون لفهم القرآن الكريم هي العربية.

أهمية اللغة العربية في فهم القرآن الكريم: نزل القرآن الكريم بلغة العرب الفصحى كما جاء في قوله تعالى: "بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ"،[3] ولا شك أنّ هذه اللغة تستحق أمّ الألسنة وعروسها لجمالها وشمولها واتساعها وفصاحتها وبلاغتها. وهذه الميزة الوحيدة التي يمكنها أن تحتوي جميع ما يشتمل عليه كتاب الله تعالى، وتعبر عن علومه ومعارفه.

وبما أنّ القرآن الكريم نزل على المصطلح العربي الخالص، فإنّ أوائل من خاطبهم القرآن الكريم أي: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يفهمون منطوق كتاب الله تعالى ومراده بسهولة

[1] قسم الدراسات الإسلامية، كلية الدراسات العليا الحكومية، مانسهرا.
[2] باحث، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، الهند.
[3] سورة الشعراء: 195.

ويسر لما أنهم كانوا يتمتعون بالأذواق الفطرية والقدرات الطبيعية لأنهم كانوا من أهل اللغة، بالإضافة إلى استفادتهم من شارح القرآن الكريم مباشرة. ثم أصبحت الحاجة إلى الرجوع إلى أصل اللغة (الذي مصدره الشعر الجاهلي) علاوة على العلوم والفنون الأخرى، والقواعد والمبادئ مع ظهور الصعوبات في فهم القرآن الكريم لاحقًا نتيجة اختلاطهم بالعجم، وقلة الأذواق العربية والتغيرات اللغوية.

المصدر الأصلي لفهم القرآن الكريم: من المهم أن نوضح هنا أنّ الآيات التي لها معنى واضح وسهل، والتي لا غموض في معناها ولا إجمال، ولا لبس فيها، ولا حاجة إلى العلوم الأخرى ذات الصلة لفهمها، فمصدر تفسير هذه الآيات هو اللغة العربية، ولا يتطلب لها الأمر إلا الكفاءة والبصيرة في اللغة العربية.[1] ولكن الآيات التي يكون فيها شيء من الإجمال أو الغموض أو اللبس، أو يصعب فهم معناها، أو تحتاج إلى معرفة الخلفية التاريخية لإيضاحها، أو يكون المقصود من هذه الآيات استخراج واستنباط الأحكام والمسائل، والأسرار والمعارف فتحتل اللغة المكانةَ الثانويةَ في مثل هذه المواضع، بينما يأخذ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وآثار الصحابة والتابعين المكانة الأولى. سنناقش هنا المكانة الأصلية لهذه المصادر بإيجاز.

المصدر الأول- القرآن الكريم: اتفق المفسرون على أنّ المصدر الأول لتفسير القرآن هو القرآن نفسه. ويجب الرجوع إلى اللغات والمصطلحات القرآنية لفهم كلمات القرآن وتعبيراته، لأنّ القرآن يفسّر بعضه بعضًا. أحيانًا يكون اللفظ مبهمًا في الآية، أو يكون جانب من الآية خفيًا تمامًا، ولكن في موضع آخر يكون واضحًا جدًا، ويمكن العثور على نوع من هذه الأمثلة في القرآن الكريم، سنوضحه هنا بأمثلة عديدة.

تعيين المعنى باللغات القرآنية: مثل قوله تعالى: "فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ"[2] فما

[1] البرهان في علوم القرآن، 2171.
[2] سورة البقرة: 37.

المقصود بهذه الكلمات؟ ورد تفسير هذه الكلمات في آية أخرى كقوله تعالى: "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ".[1] وكذلك ما المراد بـ"النعمة" في قوله تعالى: "يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ"[2] ففسّر القرآن الكريم هذه النعمة في آية أخرى بـ"النبوة، والحكومة، والفضائل الأخرى الخاصة، فمثلًا قال الله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ".[3]

ومثل هذا يوجد في القصص والوقائع، ذكر في بعض الأمكنة إجمالًا بينما ذكر في الأخرى مفصلًا. ولهذا لا ينبغي الاستفادة في تفسير الكلمات والآيات من المعاجم وغيرها في أماكن فسّرها القرآن نفسه، ومثال ذلك قوله تعالى: "أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ"[4] قال بعض المفسرين: إن المراد بـ"اللمس" في الآية هو المعنى الحقيقي (أي لمس البدن مطلقًا)، بينما قال المفسرون الآخرون: إن المراد به هو المعنى المجازي (أي الجماع). ولكن يتضح بعد البحث والتحقيق أنّ القرآن الكريم كنّى بها عن العلاقات الجنسية بين الرجال والنساء بدلًا من أن يذكر صراحة. وعلى سبيل المثال أنّ المراد بـ"الاعتزال" في مسألة الحيض في قوله تعالى: "فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ"[5]، هو الامتناع عن الجماع. وبـ"المس" في مسألة الطلاق في قوله تعالى: "لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ"،[6] وفي قوله تعالى: "و إِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن

[1] سورة الأعراف: 23.
[2] سورة البقرة: 40.
[3] سورة المائدة: 20.
[4] سورة المائدة: 6.
[5] سورة البقرة: 222.
[6] سورة البقرة: 236.

تَمَسُّوهُنَّ"،[1] هو الجماع. وكذلك المراد بـ"المس" في مسألة العدة والحداد في قوله تعالى: "ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا"[2] هو الجماع. فيتعين معناها بنفسه من خلال الجمع بين هذه الآيات.

وما المراد بالفلق في قوله تعالى: "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ"[3]؟ وفي العادة أنه يترجم بـ"رب الصبح" على الرغم من أنّ معناه الأصلي هو الشق، لأنّ الصبح حينما يظهر يشق ستار الليل، لذا فهو ينطبق عليه أيضًا، ولكن الأفق لا يكون مصداقًا للصبح فقط، بل ينطبق على الأشياء الأخرى التي توجد فيها هذه الخصائص، لأنّ كل شيء يظهر يشقّ شيئًا ما. فمثلًا أنّ الغرس حينما ينبت من النواة يشق الحبوب، وحينما تنبت الأنبتة تشق الأرض، وهكذا مع الينابيع والأنهار التي تفور من الجبال، وكذلك حينما تخرج الأفراخ تشق البيض، فتأتي كل الكائنات الحية الأخرى إلى عالم الوجود بفتح فم الرحم. قال المفسّر المعاصر أمين أحسن الإصلاحي في بحثه عن هذه الكلمة: "هذه الكلمة لها معنى واسع في اللغة. وورد في القرآن الكريم مشتق من هذا اللفظ "فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ"،[4] وكذلك "فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ".[5] وكذلك قوله تعالى عن السماء والأرض: "أَوَ لَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا"،[6] ومعنى ذلك أنّ الله تعالى فتق السماء وأنزل المطر منها، وفتق الأرض بأن جعل النبات يخرج منها، فلذلك أنه يترجم "رب الفلق" لسعة هذا اللفظ بـ"رب الإظهار والإبراز" وهذه الترجمة أكثرها شمولًا وذات مغزى كما أنها ذات صلة

[1] سورة البقرة: 237.
[2] سورة الأحزاب: 49.
[3] سورة الفلق: 1.
[4] سورة الأنعام: 96.
[5] سورة الأنعام: 95.
[6] سورة الأنبياء: 30.

بالموضوعات التالية.[1] وبهذه الطريقة يمكن تحديد المعنى بجمع الآيات القرآنية.

تعيين المعنى بسياق الكلام: في القرآن الكريم كلمات كثيرة تحتمل أكثر من معنى. وتستعمل الكلمة نفسها في العديد من الأماكن لمعان مختلفة. وفي الغالب يتغير المعنى بتغير السياق، لذلك يتم تحديد المعنى بالسياق (Context) وبعد التدبر والتفكر في نظم القرآن، بغض النظر أنّ الوصول يصعب إلى الحقيقة للغاية. وعلى سبيل المثال أنّ كلمة "الروح" استخدمت في القرآن الكريم أيضًا لـ"جبريل الأمين"، كقوله تعالى: "نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾"[2] كما استخدمت كلمة "الروح" لعيسى عليه السلام في آيات عديدة، منها قوله تعالى: "إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ"،[3] وقوله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا"،[4] وكذلك أنّ كلمة "الروح" استعملت للنفس، كما يدلّ على ذلك قوله تعالى: "وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى".[5] وكما أنّ كلمة "الكتاب" و"الذكر" استعملتا في القرآن الكريم لمعانٍ عديدة، فتتضح معانيها ويتم تحديدها بنفسها بالتدبر والتفكر في سياق الكلام، وتحلّ به المسائل الصعبة والمعقدة.

لا يُنكر أنّ المصدر الأساسي في فهم القرآن الكريم هو القرآن نفسه، ولكن من المبالغة أن يقال إنّ القرآن الكريم يوضح بنفسه جميع ما فيه من الإجمال، ويعيّن معناه ولا يحتاج إلى أي شيء لتبيين مقاصده ومطالبه، وتوضيح أسراره وحقائقه، كما أعرب عن هذا الرأي أحد المفسرين المعاصرين.[6] ولو سلّمنا صحة هذا الرأي ليتعين

[1] تدبر قرآن (تدبر القرآن)، ص 660.
[2] سورة الشعراء: 93-94.
[3] سورة النساء: 171.
[4] سورة الشورى: 52.
[5] سورة الإسراء: 85.
[6] انظر: امبادى تدبرقرآن (مبادئ تدبر القرآن)، ص 60.

علينا أن نفقد كنوز السنة النبوية، وعلينا أن نتجاهل التراث التفسيري الضخم للسلف، ومع ذلك أنّ المفسر المذكور لا ينكر أيضًا أهميتها في تفسير القرآن الكريم.

المصدر الثاني- الأحاديث النبوية: إنّ صاحب القرآن هو النبي الكريم الذي وضح لنا ما ورد في القرآن الكريم من خفاء أو إشكال بسنته المطهرة، لأنّ القرآن الكريم جعله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ شارحًا ومفسرًا ومعلمًا له بقوله: "وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ"،[1] وقوله: "وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ"،[2] فلذلك لا يمكن الوصول إلى المراد الإلهي بتجاهل هذه السلسة، بل يبقى القرآن بدونها مجموعة من القصص والأوامر والنواهي المجملة، حتى لا تفهم الصورة الحقيقية للعبادات المهمة مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها. وأنّ هذه العبادات تستعمل في المعاجم لأيّ معنى من المعاني، ولكن السنة النبوية عيّنت معانيها وصورها العملية. كما نحتاج إلى لغات العرب ومعاجمهم لفهم معاني الكلمات القرآنية، نحتاج إلى الحديث والسنة لتحديد الصورة العملية للأحكام القرآنية.

إنّ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ الذين كانت لغتهم الأم هي العربية، وأنهم كانوا متضلعين في اللغة العربية وأساليبها وتعبيراتها وما إلى ذلك، وكانوا يعرفون بيئة نزول القرآن الكريم تمامًا، ومع ذلك أنهم كانوا يرجعون إلى النبي صاحب الوحي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لفهم بعض المشكلات القرآنية. وأحيانًا أنّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يشرح آية أو كلمة. مثلًا أنه فسّر الظلم في قوله تعالى: "وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ"[3] بالشرك، و"ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ"،[4] باليهود، و"وَلَا ٱلضَّآلِّينَ"،[5] بالنصارى. وأنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فسّر "القوة" في قوله تعالى: "وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا

[1] سورة النحل: 44.
[2] سورة آل عمران: 164.
[3] سورة الأنعام: 82.
[4] سورة الفاتحة: 7.
[5] سورة الفاتحة: 7.

ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ"،[1] بالرمي، و"كلمة التقوى"[2] بالكلمة الطيبة (لا إله إلا الله)، و"ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ"[3] بالنهار. و"ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ"[4] بالليل. وقيّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ اليد في عقوبة السارق في قوله تعالى: "فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا"[5] باليد اليمنى. وبيّن أنّ المراد بـ"السبع المثاني" في قوله تعالى: "وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ"،[6] هو سورة الفاتحة.

هناك يوجد كثير مثل هذه الأمثلة في كتب الأحاديث، ولا سيما تحت عنوان "كتاب التفسير". ومع ذلك يجب أن لا يغيب عن البال أنّ الروايات التفسيرية تحتوي على كل من الروايات الصحيحة والضعيفة. وقد جمع كثير من المفسرين القدامى هذه الروايات في تفاسيرهم بدون أيّ تحقيق. كما أنّ المحدث الشهير العلامة أنور شاه الكشميري يرى أنّ الأقوال التفسيرية التي أوردها الإمام البخاري في كتابه الشهير "صحيح البخاري" بأنّ هذا هو رأيه هذا ليس من الصحيح، بل مكانته في هذا الباب ليست إلا كناقل فقط، أنه جمع في كتابه أقوال أبي عبيد معمر بن المثنى" اعتماداً على كتابه "مجاز القرآن" بدون أي نقد. ولذلك لا يستند عليه إلا بعد البحث والتحقيق وفقًا لقواعد ومبادي المحدثين.[7]

المصدر الثالث- أقوال الصحابة والتابعين: التفسير الذي بيّنه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ له أولوية في فهم القرآن لأنهم سمعوا من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بشكل مباشر أو غير مباشر، والقرآن الكريم لم ينزل إلا في أحوالهم وأحداثهم، وأنهم كانوا يعرفون أسباب النزول. وكانوا بارعين ومتضلعين في اللغة العربية للغاية وكانت لهم علاقة وطيدة بأساليبها وتعابيرها لكونهم عربًا،

[1] سورة الأنفال: 60.
[2] سورة الفتح: 26.
[3] سورة البقرة: 187.
[4] سورة البقرة: 187.
[5] سورة المائدة: 38.
[6] سورة الحجر: 87.
[7] انظر: نقش دوام، ص 342-343.

كما نقلوا مجموعة كبيرة من التفاسير إلى الأمة باجتهادهم واستنباطهم الشخصي. ومن بينهم اشتهر ابن عباس، وعلي، وابن مسعود، وأبي بن كعب شهرة خاصة في هذا المضمار. والروايات التي تنسب إليهم تحتوي على الصحيح والضعيف أيضًا، فلا بد من تحقيقها على أساس أصول الحديث. وعند المفسرين خلاف في أقوالهم التفسيرية هل هي حجة أم لا؟ نعم، ولكن أعدل الآراء هو أنّ أقوالهم تكون حجة إذا لم يُنقل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفسير آية بطرق صحيحة، وإذا خالف قول الصحابي حديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلن يكون مقبولًا، إلا أنّ الروايات المنقولة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا اختلفت فيحاول الجمع بينها، وفي حالة عدم إمكانية الجمع بينها يُرجح أقواها من حيث الأدلة وأوفقها للنص. ولهذا يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: "اجتهادهم فوق اجتهادنا".

ويكفي لأهمية أقوال التابعين وآرائهم القيمة أنهم أخذوا علم التفسير من الصحابة مباشرة، ونقلوا ثرواتهم التفسيرية إلى الأمة. ومن بينهم اشتهر مجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعلقمة، وحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح شهرة خاصة. وأعدل الآراء في أقوالهم التفسيرية هو أنّ مكانة تفسير التابعي المنسوب إلى الصحابي تكون كتفسير الصحابي، ولكن إذا أجمع التابعون على أمر فحينئذ لا شك في كونها حجة، وإذا اختلفت آراؤهم فلا يكون قول أحدهم حجة على أحد، ولا يجب على من بعدهم أن يرجعوا في مثل هذه الأحوال إلى لغات العرب، ولا إلى السنة النبوية وآثار الصحابة والأدلة الشرعية الأخرى.

ومن الضروري التذكير هنا أنّ الاختلاف في معظم أقوال الصحابة والتابعين التفسيرية لفظي فقط، وربما يكون من الخداع لبيان المعنى الواحد بكلمات وعبارات مختلفة، مع أنّ مرجع الجميع، والغرض منه واحد. وقد ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بعض الأمثلة على ذلك في كتابه "مقدمة أصول التفسير".[1] وليس من العدل أن نغض

[1] مقدمة في أصول التفسير، ص 45.

البصر عما خلفوه من التراث التفسيري القيم لمجرد أنّ أقوالهم وآراءهم متناقضة، وأن نعتبرها مجموعة رطب ويابس، وأن نضع أساس التفسير على اللغة والاجتهاد الشخصي فقط، بل يُخشى من ذلك أن يفتح باب الكثير من الفتن والضلالات.

المصدر الرابع- لغة العرب: إنّ المصدر الوحيد لمعرفة أحكام القرآن الكريم وموضوعاته الصريحة والواضحة هو لغة العرب. أما إذا كان هناك حكم أو موضوع فيه إجمال، فتكون الأولوية للقرآن والسنة وآثار الصحابة والتابعين فقط، وأما إذا لم يوجد أي دلالة أو حلّ تطمئن به القلوب فهناك حاجة إلى الرجوع إلى لغة العرب.

قال الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن المفسرين من الصحابة، ولا سيما عبد الله بن عباس: "نعم ترجمان القرآن" ودعا له "اللهم فقه في الدين" وأنه كان يرجع إلى اللغة في حلّ المشكلات القرآنية مع علمه وفضله ويقول: "كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها". (أي حفرت هذا البئر أولًا) ففهمت معنى كلمة "فاطر".[1]

ولكن الصحابة كانوا شديدي الحذر في الاستدلال باللغة. إذا لم يعرفوا معنى أيّ كلمة فكانوا يسكتون بدلًا أن يقيسوا ويجتهدوا فيه، كما توجد مثل هذه الروايات عن عبد الله بن عباس وعمر أنهما لم يبديا رأيهما عن بعض كلمات القرآن الغريبة التي لم يعرفا معناها خشية أن لا يكون التفسير بالرأي.[2]

ومن الضروري التعرف على مستوى اللغة العربية لفهم القرآن الكريم حقًا، الذي يحوزه القرآن االكريم بمعاييره وأساليبه الخاصة. وأيضًا أن يكون الذوق السليم في اللغة العربية للوصول إلى مطالبه وكنهه وحقائقه وأسراره وحكمه بالإضافة إلى الممارسة الشديدة باللغة العربية، يعني أن يكون هناك علم بجودة هذه اللغة ولطافتها وأسرارها، وأن تكون

[1] الإتقان في علوم القرآن، 4/2.
[2] المرجع نفسه، 4/2.

المعرفة التامة للغة العربية، والتعابير، والاستعارة والكناية والحقيقة والمجاز، وأساليب الكلام المختلفة، وهذه القدرات لا يمكن الحصول عليها بمجرد قراءة بعض كتب اللغة، ومن الضلال والخطأ القيام بتفسير القرآن الكريم دون الحصول على هذه القدرات.

قال مجاهد: "لا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب".[1] وعن مالك قال: "لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالًا".[2]

إنّ عملية إخضاع القرآن الكريم لأفكاره العصامية بتجاهل اللغة وآدابها، وأصول التفسير المسلّمة تستمر في كل عصر، ولكن هذه الجهود بلغت أوج الرقي بشكل خاص في القرنين التاسع عشر والعشرين. وهناك تم تأويل حقائق الإسلام المسلّمة من المعجزات، والجنة، والنار، ويوم البعث، ويوم القيامة، والملائكة، والشياطين وما إلى ذلك الذي يندرج في فئة التحريف والتبديل تمامًا.

ويمكن العثور على مثل هذه الأمثلة في كتاب "تفسير القرآن" و "التحرير في أصول التفسير" للسير سيد أحمد خان، وفي مقالاته (الجزء الثاني) وفي كتاب "مطالب الفرقان" للسيد برويز، و"مفردات القرآن".

أهمية الشعر الجاهلي في فهم القرآن الكريم: ثبت أنّ المفسرين من الصحابة رجعوا إلى أصل اللغة أي: الشعر الجاهلي لحل المشاكل وشرح الغريب، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه".[3] وقال أبو عبيد عن ابن عباس أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر. قال أبو عبيد: يعني كان يستشهد به على التفسير.[4]

[1] المرجع نفسه، 213/4.
[2] المرجع نفسه، 209/4.
[3] المرجع نفسه، 67/2.
[4] المرجع نفسه.

ونقل السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتابه: "الإتقان في علوم القرآن" عن ابن عباس عدة أشعار من العرب الجاهليين واستشهد بها على سؤال عن معاني الكلمات الواردة في القرآن الكريم، وهناك أجوبة على حوالي مئتي سؤال أجاب عليها مستدلًا بأشعار العرب.[1] وقد أخرج بعضها ابن الأنباري في كتابه "الوقف والابتداء"، والطبراني في كتابه "المعجم الكبير". منها بعض هذه الأمثلة كالتالي:

مثلًا سئل ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن قول الله تعالى: "عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ"،[2] قال العزون: الحلق الرقاق، واستشهد بشعر عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاؤا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا[3]

وسئل عن قوله تعالى: "مَثْبُورًا"،[4] قال: ملعونًا محبوسًا من الخير قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت عبد الله بن الزبعري يقول:

إذ أتاني الشيطان في سنة النـ ـنوم ومن مال ميله مثبورا[5]

كان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ضليعًا في الأدب الجاهلي لدرجة أنه لم يوجد له مثيل في تحقيق لغة العرب والكلمات الغريبة، يقول الجاحظ عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "كان عمر بن الخطاب -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أعلم الناس بالشعر"،[6] وجعله ابن رشيق أكبر ناقد في الشعر في عصره، كما يقول: "عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكان من أنقد أهل زمانه للشعر".[7] وكان يحفظ أشعار أشهر الشعراء العرب، وكان له آراء خاصة في أشعار جميع

[1] المرجع نفسه، 2/67-105.
[2] سورة المعارج: 37.
[3] الإتقان في علوم القرآن، 2/68.
[4] سورة الإسراء: 102.
[5] الإتقان في علوم القرآن، 2/70-71.
[6] البيان والتبيين، 1/202.
[7] العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص 33.

الشعراء،[1] وأنه أرسل إلى الأمراء والحكام أن يأمروا الناس بحفظ الشعر، وكتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أبي موسى الأشعري: "مر من قبلك بتعلم الشعر؛ فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب".[2]

نظرًا إلى أنّ الشعر العربي له مكانة خاصة في فهم القرآن، مع مراعاة هذا الجانب من الهدف، فقد جعله محور اهتمامه، وأكّد على تعليمه بشكل خاص. إلى أيّ مدى يشعر عمر بفائدتها؟ وكيف يستفيد منه في تحقيق الكلمات القرآنية يقدّر بهذه القصة أنه سأل الناس يومًا وقال: يا أيها الناس، ما تقولون في قول الله عزّ وجلّ: "أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ"،[3] فسكت الناس، فقال شيخ من بني هذيل: هي لغتنا يا أمير المؤمنين، التخوف التنقص. فقال عمر: أتعرف العرب ذلك في أشعارهم؟ قال نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلى يصف ناقة تنقص السير سنامها بعد تمكه واكتنازه:

تخوّف الرحل منها تامكًا قردًا كما تخوّف عودَ النبعة السفن[4]

فقال عمر: يا أيها الناس، عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإنّ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم".[5]

الجوانب المختلفة من فوائد الشعر الجاهلي: إن الشعر الجاهلي لا يساعد على تحقيق غريب القرآن ومشكله فحسب، بل يشرح أيضًا المشاكل الأدبية والمعنوية والنحوية في القرآن الكريم، بالإضافة إلى أنه يساعد على فهم الاستعارة والكناية فيه، ويتضح به الجمال الأدبي، وبه يُعرف أساليبه المختلفة. كما يشرح الخلفية التاريخية التي نزل فيها القرآن الكريم. وكما أنّ أدب العرب الكلاسيكي يبيّن إلى حد كبير عاداتهم ومعتقداتهم الدينية، وأحوال حياتهم الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية،

[1] المرجع نفسه، 59/1، وأيضًا 238/2.
[2] المرجع نفسه، 28/1.
[3] سورة النحل: 47.
[4] تفسير القرطبي، 110/10.
[5] المصدر نفسه، 111/10.

وحالاتهم الأخلاقية. فمن الضروري جدًا الاستفادة من هذه الأمور في فهم القرآن الكريم. وهنا سوف نشرح هذه الجوانب بشيء من التفصيل.

(أ) - الاستفادة في تحقيق الكلمات المشكلة والغربية: عندما لا يتضح معنى الكلمات المشكلة والغربية بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، وآثار الصحابة إذن فلا بد من الرجوع إلى الأدب الجاهلي كما أوضحنا في السطور الماضية أنّ المفسرين من الصحابة ولا سيما ابن عباس وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانا يرجعان إليه كثيرًا في تفسير القرآن الكريم، ويستشهدان في تحقيق اللغات القرآنية بأشعار العرب.

في بعض الأحيان يُوضع لفظ في اللغة لمعنى واحد. وحينًا آخر للمعاني المختلفة، ويُقصد المعنى الحقيقي للكلمة في مكان، بينما يقصد المعنى المجازي في مكان آخر، ويُراد معناه اللغوي أحيانًا، بينما يراد المعنى الاصطلاحي في حين آخر. وكان هناك عديد من الكلمات تغيرت معانيها وقت نزول القرآن الكريم، وعلى سبيل المثال أنّ معاني بعض الكلمات كانت في الجاهلية عامة، ولكنها صارت بعد مجئ الإسلام خاصة لمعنًى من المعاني كالصلاة، والزكاة، والحج، والبيع، والمزارعة وما إلى ذلك. وهناك توجد بعض الكلمات في القرآن الكريم التي كان العرب لا يستعملونها في الجاهلية، نحو لفظ "المنافق" وهو مصطلح إسلامي لم يكن العرب يعرفونه في زمن الجاهلية. وكما يقول ابن الأعرابي إن لفظ "الفاسق" لم يسمع في أشعار العرب وكلامهم في الجاهلية، لذلك لا يكفي القليل من معرفة اللغة في تحقيق اللغات القرآنية، ولهذا يُهتم بجميع هذه الأمور المذكورة بالإضافة إلى الرجوع إلى الأدب الجاهلي لكي يفتح باب الفهم الحقيقي. وتسبب المشاكل الكبيرة في تفسير القرآن الكريم لغض النظر عن هذه الأمور، وفتح باب الضلالات المختلفة. أخذ البعض المعنى المجازي للكلمة، وترك المعنى الحقيقي لها، بينما البعض ترك المعنى الاصطلاحي والشرعي، وأخذ المعنى اللغوي. كما حاول بعضهم إثبات عقائدهم وأفكارهم الفاسدة من القرآن الكريم بالبحث في اللغات

والقواميس عن المعاني المجهولة وقليلة الاستعمال. كما أراد المعتزلة بالنظر التوقع والرجاء في قوله تعالى: "إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ".[1] وكذلك يُقصد الجرح بـ"كَلَّمَ" في قوله تعالى: "وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤"،[2] كما أراد الرافضة المتعة بقوله تعالى: "فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ"،[3] وكما أنّ السير سيد يرى معنى قوله تعالى: "أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ".[4] هو المشي على الصخر بمساعدة العصا، وأنّ السمك أمسك يونس عليه السلام بفمه فقط في قوله تعالى: "فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ"،[5] ولم يبتلعه. وهذه عدة أمثلة من هذه السلسلة.[6]

(ب) الاستفادة في معنى التعابير القرآنية: وأيضًا يتضح معنى كلمات القرآن الكريم بكلام العرب، والعلم بتعابيرهم ومواضع استعمالها. وعلى سبيل المثال: "كشف الساق" (معناه اللغوي هو فتح الساق) هذا من أنواع تعابير العرب التي يستخدمونها عند حلول المشاكل الكبيرة، ويقال: شمرت الحرب عن ساقها، أو كشفت الحرب عن ساقها إذا جرت المعركة الشرسة. وفي الواقع أنّ الإنسان إذا أراد أن يعمل عملًا جادًا يكفت لباسه ويكشف عن ساقه. ولذلك أنّ هذا التعبير يستخدم عند الشدائد. يقول الشاعر الراجز:

قد كشفت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا[7]

فيتضح معنى "كشف الساق" في الآية "يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ"،[8] بالشعر الجاهلي بأنّ

[1] سورة القيامة: 23.
[2] سورة النساء: 164.
[3] سورة النساء: 24.
[4] سورة البقرة: 60.
[5] سورة الصافات: 142.
[6] انظر: الكشاف، 192/4. واستدل الزمخشري على أن معنى النظر هو التوقع والرجاء بقول الشاعر:
وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما
انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 662/4. ويقول أكثر الرافضة، إن المراد بقوله: "فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ" هو المتعة. وانظر: (لمراجع السرسيد) السرسيد أحمد خان، تفسير القرآن، ص 91، وأيضًا مقالات سر سيد (مقالات السرسيد) 253/2.
[7] تفسير القرطبي، 248/18.
[8] سورة القلم: 42.

معناه الكرب والشدة، كما يؤيده تفسير ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.[1]

وكذلك قوله تعالى: "فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ"،[2] وقوله تعالى: "فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا"،[3] كلاهما استعارة يستخدم عند غاية الجد والجهد، وفي هذا المعنى استخدم زهير، والأعشى مثل هذه التعابير، يقول زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم[4]

ويقول الأعشى:

فلو كنت في جبّ ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم[5]

(ج) الاستفادة في حل المشكلات الأدبية والنحوية: تتشكل قواعد اللغة وأساليبها باستقراء كلام أهل اللغة، ويرجع إلى كلامهم الموثوق به لنظائرها وشواهدها. ومصدر القواعد والمبادئ للغة العربية هي أشعار الجاهلية، وبها رُتبت كتب قواعد اللغة والمبادئ والصرف والنحو والمعاجم. حيثما تعوق المشكلات الأدبية والنحوية في فهم القرآن الكريم يصبح لحلها من الضروري الرجوع إلى قواعد اللغة وأساليبها، وإلى ما في كلام العرب من نظائرها، وتتضح أهمية هذا الموضوع بالأمثلة التالية.

منها: قوله تعالى: "وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ"،[6] فهل مرجع الضمير "ها" هو الصبر أو الصلاة أو كلاهما؟ على الرغم من أنّ الضمير هو للواحد المؤنث. فاختلفت آراء المفسرين في ذلك. ولكن هذا الرأي هو الأصح أن مرجع الضمير هو الصبر والصلاة. ويؤيد ذلك كلام العرب، ونظائرها القرآنية

[1] تفسير القرطبي، 249/18.
[2] سورة الحج: 15.
[3] سورة الأنعام: 35.
[4] ديوانه، ص 6.
[5] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 118/5.
[6] سورة البقرة: 45.

الأخرى، عندما يكون مرجع الضمير المنصوب أو المجرور هو المذكر والمؤنث فإن القاعدة العامة هي أن يؤتى ضمير المثنى "هما" ولكن حيث لا يوجد إبهام في المعنى، وأن تكون القرائن لرجوع الضمير إلى المذكر والمؤنث واضحة تمامًا (كما في الآية المذكورة) يمكن أن يؤتى للاختصار ضمير الواحد المؤنث "ها". وهناك يوجد أمثلة كثيرة على ذلك في كلام العرب. ومن هذه الأمثلة يقول الشاعر الحماسي عبد الله بن الزبير الأسدي:

سمعت بكاء باكية وباك أبان الدهر واحدها الفقيدا[1]

استخدم في هذ الشعر الضمير المؤنث للواحد "واحدها" لـ"باكية" و"باكٍ" وليس "واحدهما". وهناك يوجد بعض الأمثلة في القرآن الكريم أيضًا كقوله تعالى: "وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا"،[2] ففي هذه الآية الكريمة استخدم الضمير المؤنث المفرد الذي يرجع إلى "الذهب والفضة"، وكذلك قوله تعالى: "وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ"[3] فاستخدم فيه ضمير "ه" وهو يرجع إلى الله ورسوله.

ومن الأمثلة التي تحل بها المشكلات النحوية، قوله تعالى: "وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ"[4] علم بهذه الآية أنّ الهدف من خلق الكثير من الجن والإنس هو أن يكون الوقود لجنهم، بينما علم بقوله تعالى: "وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ"،[5] أنّ الغرض من خلق الجن والإنس هو العبادة لله تعالى. وأجاب على هذا الإشكال الإمام الرازي بإجابات مختلفة ولكن الأصح عنده هو أنّ "اللام" في جهنم هي للعاقبة، أي عاقبة خلقهم صارت أنهم جعلوا أنفسهم وقودًا لجنهم بسبب كفرهم وعصيانهم. وأن "اللام" في قوله تعالى: "وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا

[1] ديوان الحماسة، 391/1..
[2] سورة التوبة: 34.
[3] سورة التوبة: 62.
[4] سورة الأعراف: 179.
[5] سورة الذاريات: 56.

لِيَعْبُدُونِ"، هي للغاية، أي أن غاية خلقهم أن يعبدوا الله تعالى. واستعمل شعراء العرب "لام العاقبة" في كلامهم. يقول الشاعر:

وللموت تغدو الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن

ويقول آخر:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدَّهر نبنيها

ويقول آخر:

له ملك ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب[1]

واللامات استخدمت في هذه الأشعار للعاقبة وليست للغاية، وهناك العديد من الأمثلة على ذلك في أماكن أخرى من القرآن الكريم. منها: قوله تعالى: "ٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا"،[2] أي أنّ نتيجة التقاطهم هي أنّ موسى ألحق ضررًا كبيرًا بفرعون بعد أن كبر. واللام هنا للعاقبة.[3]

وقوله تعالى: "أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ"،[4] قبل هذه الآية وردت كلمة "قرين" وهي مفردة، ولكن هنا لماذا جيء "ألقيا" بصيغة المثنى بدلًا من "ألق" بصيغة المفرد؟ وحل هذه المشكلة هو أنّ فصحاء العرب يستعملون أحيانًا المثنى للمفرد عند الخليل والأخفش، كما أنّ الصديق يستعمل لصديقه "خليلَي" مكان "خليلِي"، وكان هذا الاستعمال شائعًا في العرب، ومثال ذلك شعر امرئ القيس يقول مخاطبًا رفيقه أثناء السفر:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[5]

[1] التفسير الكبير، 410/15.
[2] سورة القصص: 8.
[3] التفسير الكبير، 159/13.
[4] سورة ق: 24.
[5] السبع المعلقات، انظر: التعليقات على السبع المعلقات، ص 5.

استعمل هنا "قفا" صيغة المثنى بدل "قف".

وقوله تعالى: "إِنْ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَانِ"،[1] وهناك إشكال أيضًا وهو أنّ "إنْ" مخففة من "إنّ"، وهي من الحروف التي تنصب الاسم، لذلك من المناسب أن يكون لفظ الآية "إن هذين لساحران"، ولكن هنا هذان مرفوع. أجاب على هذا الإشكال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المبرد والأخفش، وهو أن يقال إن "إن" هنا ليست من الحروف الناصبة بل هي بمعنى نعم، واستشهد بالعديد من الأشعار.[2] ولكن الجواب الأصح لدى علماء النحو واللغة والتفسير هو أن لغة بعض قبائل العرب يجعلون المثنى بالألف عند الرفع والنصب والجر، كما يقول الشاعر:

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

وقال القرطبي: أنها لغة بني الحرث بن كعب وزبيد وخثعم. وكنانة بن زيد يجعلون رفع الاثنين ونصبه وخفضه بالألف.[3]

وتكلم العديد من المفسرين أيضًا حول موضوع الحروف المقطعات القرآنية حسب ذوقهم وقدراتهم، واختلفت آراؤهم في هذا الموضوع، ومن الآراء المشهورة بين العلماء وهو أنّ الحروف المقطعات في الحقيقة تشير إلى الكلمات التي أخذت منها هذه الحروف، أي: هذه الحروف هي اختصارات لهذه الكلمات (Abbreviation)، (على الرغم من عدم وجود قاعدة في تحديد هذه الكلمات)، مثلًا نقل عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ معنى "ألم": "أنا الله أعلم"، ويقول عن "كهيعص" أنّ الكاف أخذ من "الملك"، والهاء من "الله"، والياء والعين من "العزيز" والصاد من "المصور".[4] والاكتفاء ببعض الكلمة معهود في العربية. وذكر السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأييد هذه الفكرة عدة أمثلة من

[1] سورة طه: 63.
[2] تفسير القرطبي، 218/11.
[3] المرجع نفسه، 216/11.
[4] الإتقان في علوم القرآن، 25/3.

كلام الشعراء العرب كما يقول أحد الشعراء:

قلت لها قفي فقالت ق

يعني وقفت، فكلمة "ق" اختصار من "وقفت". ويقول آخر:

بالخير خيرات وإن شرا فا ولا أريد الشر إلا أن تا[1]

والمراد بـ"وإن شرافا" في هذا الشعر هو "وإن شرًا فسر"، و "إلا إن تا" اختصار من "إلا أن تشاء".

(د) الاستفادة من أهم المصادر لتاريخ العرب: إن أشعار الجاهلية هي أهم المصادر لتاريخ العرب، ولا بد من معرفة أحوال العرب في فهم القرآن الكريم. وما لم تكن المعرفة لمعتقداتهم، وأفكارهم، وثقافتهم، وعاداتهم، والنظر إلى الظروف التاريخية، والجغرافية، والاجتماعية في ذلك العصر، فلن يمكن التفسير الصحيح للآيات التي تتعلق بهم. وجميع تفاصيل هذه الموضوعات موجودة في الشعر الجاهلي.

أحد الجوانب المفيدة لهذا الموضوع هو أنه يُعلم بها التغيرات الثورية التي حدثت في المجتمع العربي من خلال ترويج الرسالة الخالدة للقرآن الكريم. وهنا نوضح ذلك بمثال أو مثالين، وفي الحقيقة أنّ الآيات التي ذكر فيها أنّ الجبال تكون عند قيام الساعة حطامًا، وعلى وجه الخصوص نزلت على رد مغالطات العرب، نحو قوله تعالى: "وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾"،[2] وقوله تعالى: "وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ"،[3] وغيرها من الآيات. وفي الواقع أنهم يرون حشر الأجساد وجمعها بعيدًا، كما يرى عقلاؤهم أنّ الجبال لا تزول من مكانها، وهي غير فانية، ويستحيل أن تغيب عن الأرض في

[1] المرجع نفسه، 27/3.

[2] سورة طه: 105-107.

[3] سورة القارعة: 5.

يوم من الأيام. يقول زهير وهو من شعراء العرب الحكماء:

ألا لا أرى على الحوادث باقيا ولا خالداً إلا الجبال الرواسيا[1]

وفي الحقيقة كان اعتقاد بعض فرق العرب أنّ الجبال غير فانية فردّ القرآن الكريم على ذلك ردًا قاطعًا، وهذا يتضح بأشعارهم.

وأنّ القرآن الكريم ذكر في موضع اعتقاد بعض فرق العرب وهو أنهم كانوا يعوذون بالجن، قال تعالى: "وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا"،[2] ويتضح ذلك بالأشعار التالية، وأنهم كانوا يعوذون بكبير الجن في الوادي إذا دخلوا فيه، ومرة استعاذ رجل أثناء سفره مع ابنه بالجن في وادٍ فأكله الأسد فقال:

قد استعذنا بعظيم الوادي من ما فيه من الأعادي
فلم يجرنا من هزبر عادي[3]

وقال آخر:

قد بتّ ضيفًا لعظيم الوادي المانعي من سطوة الأعادي
راحلتي في جاره وزادي[4]

وكان من عادات العرب أنهم كانوا يشعلون النار في خيامهم في المكان المرتفع، ويأتي إليهم المسافرون الضائعون فهؤلاء يضيفونهم، يقول الشاعر العربي يعرب عن جود ممدوحه وكرمه في هذه الكلمات:

[1] ديوانه، ص 48.
[2] سورة الجن: 6.
[3] انظر: بلوغ الأرب، (ترجمة: پير محمد حسن)، 336/3.
[4] المرجع نفسه، ص 337.

له نار تشب على يفاع إذا النيران ألبست القناعا[1]

وقال آخر:

وإني لأدعو الضيف بالضوء بعدما كسا الأرض نضاح الجليد وجامده[32]

إن عادات العرب هذه إذا لم نراجع لها الأشعار فلا يتضح معنى قوله تعالى: "نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ".[4] وأنّ النار إن كانت مفيدة للمقيمين والمسافرين على حد سواء، فما سبب تخصيص فائدتها للمسافرين؟ فيمكن أن يجاب على هذا السؤال تمامًا بهذه الأشعار.

لتذكر هذه الحقيقة هنا أنّ القرآن الكريم نفسه مصدر مهم وموثق لتاريخ العرب. توجد تفاصيل القوم العرب السابقين في القرآن الكريم مثل عاد، وثمود، ومدين، وقوم لوط وما إلى ذلك، وذكرت اعتقادات أولئك القوم، ودعوة أنبيائهم، وردود قومهم بالتفصيل. بينما لم يوجد ذكر تلك الأمم بالتفصيل في كلام الشعراء العرب، ولكن هناك توجد بعض الإشارات التي يمكن أن يستفاد منها إلى حد ما. كقوله تعالى: "كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾"،[5] فمن المراد بـ"أَشْقَىٰهَا" في الآية؟ فنجد الإجابة على هذا السؤال من كلام الخنساء التي قالت:

ولاقاه من الأيام يوم كما من قبل لم يخلد قدار[6]

يقول الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقدار، هو أحمر ثمود، عاقر الناقة وكان شديدًا جبارًا طاغية

[1] ديوان الحماسة، 269/2.
[2] ديوان الحماسة، 322/2.
[3] ديوان الحماسة، 269/2.
[4] سورة الواقعة: 73.
[5] سورة الشمس: 11 – 12.
[6] انظر: تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 320.

رئيسهم وإمامهم كما كان قبله قيل بن عمرو في عاد. قال الأفوه الأودي، وهو جاهلي قديم، يذم أشرار قومه يشبههم بقيل وقدار: رئيسي عاد وثمود:

أضحوا كقيل بن عمرو في عشيرته إذ أهلكت بالذي سدّى لها عاد

أو بعده كقدار حين تابعه على الغواية أقوام فقد بادوا[1]

لا يوجد أي إشارات خاصة تتعلق بتاريخ العرب القديم، وتاريخ الأمم في الشعر الجاهلي، ولكن تتوفر المعلومات المفصلة عن العصر الجاهلي، وليكن الاعتماد على القرآن الكريم في فهم هذه الموضوعات، والاستفادة من جميع الآيات ذات الصلة بعد جمعها، بالإضافة إلى الرجوع إلى الأحاديث، لأنّ هناك أحاديث كثيرة نقلت من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ظروف وأحداث الأمم السابقة فيتضح بها بعض مجملات القرآن الكريم. كما أنه من الضروري تحقيق الروايات والآثار الصحيحة من الآثار الضعيفة والإسرائيليات المتعلقة بهذا الموضوع والتي تنسب إلى الصحابة، ومن ثم يستفاد منها في تفسير الآيات، وليجتنب من أمثال هذه القصص الضعيفة التي لا تساعد في فهم القرآن الكريم، ولكنها في بعض الأحيان يمكن أن تكون عوائق في تعيين معناها الحقيقي. كما أن لا يغيب عن البال إذا اتضح الموضوع بالتفصيل بكلام العرب ولا يوجد أي توجيه في القرآن والسنة، وتفسير الصحابة، فلا يُحكم على وجه اليقين أن هذا هو المراد الحقيقي، بل تكون دلالات الألفاظ ظنية في ذلك الموضوع، وسيكون هناك مجال لاحتمالات أخرى.

(هـ) الاستفادة في فهم المحاسن الأدبية وأساليب الكلام: من الضروري جدًا الإلمام بالأدب الجاهلي لفهم المحاسن الأدبية والمزايا الإعجازية والأساليب المتنوعة للقرآن الكريم. ومن خلال مقارنة القرآن الكريم بكلام العرب تظهر مكانة القرآن المتميزة، وخصائصه الإعجازية كما أنّ أهمية الأدب الجاهلي في فهم المعاني مسلَّمة. مثلًا أنّ القرآن

[1] المرجع نفسه.

الكريم يختار كلمة من اللغات العربية هي الأنسب حسب السياق والموقع، ويمكن القول أيضًا أنّ القرآن الكريم أوجد كلمات كثيرة، وأن اللغة العربية وآدابها رهينة له في العديد من الكلمات حيث إنه أغنى ذخائر اللغة العربية ووسّع فيها كما أنه عرّفها بكلمات موجزة جامعة وفصيحة وبليغة لم يكن العرب مألوفين لها تمامًا. وهذ الميزة للقرآن الكريم تتضح بدراسة الأدب الجاهلي. ومن الأمثلة على ذلك كلمة "توفي" وهي في اللغة أخذ شيء كاملًا وافيًا، واستخدمها القرآن الكريم أولًا بمعنى "الموت".[1] واستعملها شعراء العرب بمعنى "الموت" بعد نزول القرآن الكريم. وذكر ابن سيده الأندلسي في كتابه "المخصص" أربعًا وعشرين كلمة من اللغة العربية بمعنى الموت نقلًا من الشعر الجاهلي استخدمها الشعراء الجاهليون في كلامهم، نحو الموت، والهلاك، والفناء، والحتف، والشعوب، والحمام، والمنون، والسام، والقاضية، والهميغ، والنيط، والفود، والجياز، والمقدار، والحلاق، والطلاطل، والطلاطلة، والعول، والذام، والكفة، والجداع، والحزرة، والخالج، وقد كان اختار الشعراء الجاهليون هذه الكلمات للموت مبنيًا على اعتقاداتهم الشركية وتصوراتهم الباطلة بأنّ الجسد فانٍ وأنّ الحياة الثانية مستحيلة، وأنّ القرآن الكريم استخدم كلمة "توفي" للموت وانتقد عقائد المشركين الفاسدة في هذا الصدد نقدًا شديدًا، كما أنه قدّم الحياة الآخرة من خلالها كعقيدة. ومعنى كلمة "توفي" في اللغة كما مضى هو "أخذ الشيئ كاملًا وافيًا"، حتى لا ينقص شيء، واتضح أنّ الموت ليس اسم الفناء الأبدي باستعمال هذه الكلمة له، بل هو قبض الروح من الله تعالى، وهو قادر على أن يجمع الأجسام المنتشرة ويعيد الروح إليها. وتكلم العلامة أنور شاه الكشميري في بحثه كلامًا رائعًا حول هذا الموضوع.[2]

[1] نحو قوله تعالى: "قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ"، [سورة السجدة: 11].

[2] المخصص، 2/71-73. وأنور شاه الكشميري، تحية الإسلام. وأيضًا تكلم الشيخ يوسف البنوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول هذا الموضوع في مقدمة كتاب شاه "مشكلات القرآن" يتيمة البيان لمشكلات القرآن نقلًا منه، وطبع هذا الكتاب من مجلس علمي ڈابهيل، 1357هـ، انظر: ص 56، والشيخ محمد تقي العثماني في كتابه "علوم القرآن" بالإشارة إلى المراجع السابقة، انظر: ص 255.

وكذلك بعض الكلمات الثقيلة في اللغة العربية التي تعتبر غير فصيحة، وباستخدامها يحدث ثقل في الكلام. ولكن القرآن الكريم استخدمها بأسلوب جميل من حيث إنه لم يحافظ على سلاسة الكلام فحسب، بل زاد أيضًا من جمالها وأناقتها.

إنّ القرآن الكريم نزل باللغة العربية وتنوع أساليب هذه اللغة، ولذلك استخدم القرآن الكريم أيضًا وفقًا للأساليب الشائعة عند العرب. كاستخدام الحقيقة والمجاز، والاستعارة والكناية، والإيجاز والإطناب، والتأكيد والمبالغة، والسخرية والتعريض، والأسف واللوم وما إلى ذلك. ويحيط الشعر الجاهلي هذه الأساليب ومعظم أساليب القرآن الكريم تتوافق مع هذه الأساليب، وبدون معرفتها لا يمكن فتح باب فهم القرآن الكريم، ولا يكفي معرفة اللغة اليسيرة، بل من شروطها الإلمام الكامل بها. كما قال الإمام الشافعي: ما لم يفهم النص وفقًا لأسلوب فهم العربية، فلا يمكن لأحد أن يعرف الأسلوب البليغ للقرآن الكريم وتعبيره الخاص، وهناك زوايا وجوانب للمفاهيم والمطالب القرآنية لا يستطيع عقله وفهمه أن يستوعبها.[1]

لا يخفى على دارس القرآن الكريم أنّ هذا الكتاب يقدّم معناه وهدفه بأسلوب جميل في إطار هذه الأساليب فلا يمكن أن يكون أيّ أسلوب أو تعبير أحسن منه. بل أنّ القرآن الكريم يحمل الخصائص والميزات الإعجازية لما تتميز به من أساليبه الفريدة، وقوة كلامه، وفصاحته وبلاغته، ونظمه وترتيبه، وبساطته وإيجازه. وتتضح هذه المحاسن للقرآن الكريم جيدًا بالمقارنة مع كلام العرب.

لا يكون من الصحيح استخراج النتيجة مما مضى أنّ القرآن الكريم يقتصر في بيانه على الأساليب التي توجد في كلام العرب، بل أنه أبدع كثيرًا من الأساليب الجديدة. وتكلم الشيخ عبد الحميد الفراهي مؤسس الفكرة الفراهية في كتابه "أساليب القرآن" كلامًا رائعًا، وأنه وضح الأساليب التي تخص بالقرآن الكريم، واللغة العربية

[1] انظر: فهم القرآن لسعيد الأكبرآبادي، ص 27-28.

بالأمثلة من القرآن الكريم، وكلام العرب، بالإضافة إلى أنه عرّف ببعض الأساليب الجديدة الخاصة بالقرآن الكريم فقط.

والجدير بالذكر هنا أنّ الصحابة كانوا هم العرب الخلص وأهل اللغة، وأنهم شاهدوا بأعينهم أحوال وظروف نزول القرآن الكريم، واستفادوا من صحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لذلك أنهم كانوا أكثر معرفة وعلمًا منا بمدلول كلام الله تعالى ومنطوقه، وإشاراته وكنايته، ودقته وأسراره، وجميع أساليب كلامه. ولذلك ليس من الحكمة غض البصر عن الذخائر التفسرية المنقولة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اعتمادًا على معرفة اللغة فقط، ولكن الحقيقة أنه لا يمكن الوصول إلى المراد الإلهي دون الاستفادة منها. اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1980م.
3. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م.
4. ابن سيده، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996م،
5. أبو تمام، ديوان الحماسة، فضل مالك تاجران كتب، بشاور، د.ت.
6. الإصلاحي، أمين أحسن، مبادى تدبرقرآن (مبادئ تدبر القرآن)، فاران فاونديشن، لاهور، 1996م.
7. الأكبرآبادي، سعيد، فهم القرآن، إدارة إسلاميات، لاهور، 1982م.
8. الألوسي، بلوغ الأرب، ترجمة: پير محمد حسن، مركزي أردو بورد، لاهور، 1967م.
9. الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
10. البنوي، يوسف، يتيمة البيان لمشكلات القرآن، مجلس علمي ڈابهيل، 1357هـ.
11. الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.
12. خان، سيد أحمد، تفسير القرآن، دوست ايسوسي ايتس، لاهور، 1995م.
13. خان، سيد أحمد، مقالات سر سيد (مقالات السير سيد)، ترتيب: الشيخ محمد إسماعيل الباني بتي، تفسيري مضامين (الموضوعات التفسيرية)، مجلس ترقي أدب، لاهور، د.ت.
14. الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
15. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1957م.

16. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
17. الزمخشري، الكشاف، مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1385هـ.
18. السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.
19. الفراهي، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، يو بي، الهند، ط1، 2008م.
20. القرطبي، تفسير القرطبي، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1405هـ.

ISSN: 2321-7928

جهود علماء الهند في خدمة العلوم العربية والإسلامية
الإمام عبد الحميد الفراهي نموذجًا

- د محمد البويسفي[1]

مقدمة

تميّز علماء المسلمين بالهند بالإبداع في العلوم الإسلامية المختلفة، وأسهموا في خدمة اللغة العربية، سواء من خلال الكتابة والتأليف بها أو الترجمة من وإليها، وكان الدافع إلى ذلك هو حبّهم للغة العربية باعتبارها لغة الوحي قرآنًا وسنة، ووعيهم بوحدة الأمة المسلمة رغم تنوّعها العرقي والجغرافي واللغوي، فأثمرت هذه الجهود ثراءً في المكتبة العربية والإسلامية، وتقوية لجسور الأخوة والثقافة بين المسلمين في شبه القارة الهندية وإخوانهم العرب.

فهذه كتابات العلامة الفراهي أغنى بها المكتبة الإسلامية، والتي جاءت في وقت أحوج ما تكون الأمة إلى مَنْ يُنير لها الطريق، من حيث بيان كيفية الاستفادة من كتاب الله أولًا، ثانيًا تسديدًا للفهوم الخاطئة، وثالثًا ردًا على طعون المستشرقين الطاعنين في المصادر التشريعية: القرآن والسنة. فقد غطّت كتاباته الدراسات القرآنية في مجملها، وما ميّز كتاباته أنها متناسقة في مشروع فكري إصلاحي يروم من خلاله إحياء هذه الأمة وتجديد دينها، تجديد الفهم للقرآن الكريم. كما أنه في كل ذلك صاحب رأي مستقل غير تابع، ومؤسس وبدع غير مجتر لما قيل من قبل.

وللإمام الفراهي منهجه الخاص في التأليف حيث إنه إذا شعر بحاجةٍ إلى الكتابة أو التأليف في موضوع ما، أو حلّ مشكلة من المشكلات في مسألة علمية؛ فكانت

[1] باحث في الدراسات القرآنية جامعة القاضي عياض، المغرب

الموضوعات في ذلك الموضوع تتمثَّل بين عينيه، وهو يُديم النظرَ والبحث فيها، فإذا حقَّق مسألةً أو حلَّ معضلةً، أو أحكم رأيًا؛ قيَّد ذلك وكتب عليه: "من كتاب ..."، حتى إذا اكتملت جوانب البحث أقبل على تأليفها وتنسيقها، لذلك كان يؤلِّف كتبًا عديدةً في وقت واحد، ولهذا السبب بقي أكثرُ مؤلفاته ناقصةً.

ومن مزايا منهج الفراهي في مؤلَّفاته أنه لا يكرِّر في مؤلَّفاته ما قاله الآخرون دون الوقوف عندها وقفات في غاية الحسن والنفع.[1]

وقد تميّز أسلوب الإمام الفراهي في مؤلَّفاته بالجرأة والثقة بالنفس في مناقشة المسائل، وهذه صفةٌ لا بد منها للعالم الذي يعتقد صواب قوله، لا بد له من الجرأة ونبذ التردد، ولا سيما في المسائل العلمية التي يتسع فيها مجال الأخذ والرد، ولا يستطيع طرف أن يدعي أنه قال القول الفصل فيها.

أولًا: جهود الإمام الفراهي في خدمة القرآن الكريم: والإمام الفراهي، صاحب هذا المشروع، تجمّعت لديه شروط التجديد وأدواته، فقد نشأ في أسرة علم وفضل، وكرّس حياته للعلم: تعليمًا وتعلمًا، وامتلك أدواء البحث العلمي، خاصة علوم الآلة والاطلاع الواسع على الفكر الغربي، فأحسن المنطلق في الإصلاح باعتماده القرآن الكريم، وسبيل الإصلاح هو تصحيح الفهم أولًا، وعناوين كتبه تبين ذلك: "التكميل في أصول التأويل" و"مفردات القرآن" و"نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"..، سعى من خلال ذلك إلى تأسيس سياج نظري يؤطر فهم القرآن ويوجهه نحو الصواب، ويحمي التأويل من الانحراف وإعادة الأمة المسلمة إلى مكانتها العلمية والحضارية باعتبارها خير أمة أخرجت للناس، وبكونها أمة الشهادة على الناس. ولا سبيل لرجوع الأمة إلى الدور الريادي بين الأمم إلا بالقرآن الكريم وبيانه في السنة النبوية الشريفة، ويخطئ من يرى غير ذلك، وقد جربت الأمة ولا زالت اتباع الغرب وفكره

[1] قارن ذلك مع ما كتبه الدكتور أجمل الإصلاحي في ترجمة الفراهي في فاتحة كتاب "مفردات القرآن"، انظر: ص 31

ومنهجه في الحياة ونظرته للإنسان والكون، فلم تجن سوى الخيبة والتبعية والتخلف، فعاشت ومن تيه فكري وحضاري، وقد ذهب جيل وجاء جيل جديد، نرجو أن تكون معه الصحوة والخيرية الموعودة في قوله تعالى: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ".[1]

وكان الإمام الفراهي سبّاقًا بهذا العمل إلى التنبيه إلى ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم وفهمه والعمل به، وفي الوقت نفسه لاحظ الحاجة الكبيرة إلى تصحيح الفهم عن الله تعالى، حتى لا يقع الخطأ والانحراف عن هدايات القرآن الكريم وعن مقاصد كلام الله تعالى، فنظر في كتب التراث بحثًا عن قواعد وأصول للتفسير، فوجد علم التفسير يغلب عليه الجانب التطبيقي، أما الجانب النظري فلم يكتمل بناؤه بعد، مما دفعه إلى الدعوة إلى استكمال بناء علم أصول التفسير، مع العلم أنّ دعوات النهوض بهذا العلم ظهرت متأخرة عنه رحمه الله تعالى بعقود طويلة، وكان حريًا بها أن ترجع إلى أعماله وتستفيد منها وتبني عليها لتستأنف السير الحضاري والبناء العلمي، وعدم القفز على مجهوداته أو تكريرها. ولذلك فإنّ دراسة كتبه والوقوف على نظرياته في كيفية التعامل مع كتاب الله تعالى في غاية الأهمية.

والذي دفع الإمام الفراهي إلى الاهتمام بالقرآن الكريم وتسييج الفهم والتفسير ما عاشه في زمنه من أعمال المستشرقين الطاعنين في القرآن والسنة وفي التراث الإسلامي، وما شاهده من تفاسير فاسدة للقرآن الكريم مثل تفسير السير سيد أحمد خان،[2] ولذلك وجّه اهتمامه إلى تأسيس منهج خاص في النظر إلى العلوم الإسلامية، يقوم على نقد الأعمال العلمية التي بها عيوب علمية أو منهجية أو التي تجاوزها الزمن، وبناء منهج جديد في التعامل مع العلوم الشرعية غايته التجديد وسبيله

[1] سورة آل عمران: 110

[2] ذهب السيد أحمد خان إلى أنّ النظر الصحيح في القرآن يوجب الاعتماد على روحه أكثر من الاعتماد على حرفيته، وادعى أنّ الوحي كان بالمعنى دون اللفظ، وأنكر نظام تعدد الزوجات والرق ووجود الجن وغيرها من الموضوعات التي كانت سببًا في إثارة معارضة العلماء له. انظر: https://www.marefa.org/

الاجتهاد، بما يعود على الأمة المسلمة بالنهوض الحضاري والتقدم والازدهار، وإيمانًا منه بأنّ معيقات النهضة وأسباب التخلف لها جذور علمية بالأساس، وأنّ التحدي أمام المسلمين اليوم هو التحدي العلمي والفكري، لأنّ باستقامة الفكر يستقيم السلوك واستقامة الفكر والسلوك تنتج ثمارًا طيبة تعود على الإنسان بالرقي والازدهار. ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعودة إلى القرآن الكريم، النبع الصافي والهدي الكامل، قال تعالى: "إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ"[1] وقال تعالى: "قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ".[2] ولكي تتم الاستفادة من القرآن الكريم لا بد من فهم سليم له حتى لا تزيغ الفهوم وتنحرف، فتكون ثمار هذا الفهم الخاطئ والمنحرف هي فتن قطع من الليل المظلم، وقد عاشت الأمة ذلك فترة من الزمن وتعيشه اليوم، ولذلك تنبه الإمام الفراهي إلى سدّ هذه الثغرة- ثغرة الفهم الخاطئ عن الله ورسوله- فأولى اهتمامه إلى تسييج فهم القرآن الكريم بوضع قانونٍ للتأويل والتفسير يُرجع إليه ويعول عليه.

فألّف رحمه الله تعالى عدة كتب في هذا الصدد منها: فاتحة نظام القرآن ونظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان والتكميل في أصول التأويل ومفردات القرآن وإمعان في أقسام القرآن وأساليب القرآن والرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، .. وهذه الكتب تشكّل مشروعًا فكريًا متكاملًا يرتكز على القرآن الكريم باعتباره منقذًا للأمة من براثين الجهل والتخلف والضلال.

أما في موضوع أقسام القرآن فقد كتب الإمام الفراهي كتابين، الأول "أقسام القرآن" وهو رسالة صغيرة الحجم والكتاب الثاني: "إمعان في أقسام القرآن" وهو أكبر حجمًا وأكثر تفصيلًا.

وقد أثنى العلامة سيد سليمان الندوي في مقاله القيم عن الفراهي على الكتابين "أقسام القرآن" و"الإمعان"، وقال رحمه الله تعالى: "بعد الفراغ من تأليف "أقسام القرآن"

[1] سورة الإسراء: 9
[2] سورة البقرة: 120

شرع في تأليف الإمعان في أقسام القرآن"، ويتجلَّى في ذلك دقته وبراعته العلمية وعبقريته في البحث والتحليل، فسبق به الأولين وتطفل على مائدته الآخرون".[1]

وأهم أفكار ورؤى الفراهي في كتابه "إمعان في أقسام القرآن": أنّ القسم إذا كان مجردًا عن المقسم به فإنما يراد به تأكيد قول أو إظهار عزم، أما إذا أقسم بشيء فإن المقصود هو الإشهاد، حتى في الأيمان الدينية، وإنما اختلط به معنى التعظيم من جهة المقسم به لا من جهة أصل معنى القسم وهو بذلك يرد على المقولة الشائعة بين المسلمين أنّ القسم القرآني بالشيء كان من أجلّ المقسوم عليه. وقال ربما يكون القسم لمحض الاستدلال. وخلاصة رأيه أنّ أقسام القرآن هي للاستدلال والاستشهاد بالآيات الدالة.

أما كتاب "أساليب القرآن" فهو كتاب صغير عبارة عن رسالة موجزة عن أساليب العرب، وإحاطة العلم بدلالات الصور والأساليب ومواقع استعمالها، حيث قال: "كما أنّ المقصود من كتاب المفردات إحاطة العلم حتى الوسع بدلالة الكلم بحرمه ووجوهه فكذلك المقصود من هذا الكتاب إحاطة العلم حتى الوسع بدلالات الصور والأساليب ومواقع استعمالها".[2]

تحدّث الإمام الفراهي في كتابه حول أساليب القرآن عن أساليب الكلام وسياق استعمالها مع إعطاء الأمثلة القرآنية، بحيث لا يمكن الوصول إلى المعنى المراد الصحيح إلا بمعرفة هذه الأساليب وسياق استعمالها.

أما في كتابه "التكميل في أصول التأويل"، فنبّه إلى الحاجة الملحة لقانون يُرجع إليه ويُحتكم إليه لضبط الفهم والتأويل، ويدعونا إلى أن نؤمن بأنّ القرآن هو قطعي في دلالته والفاصل في حكمه.[3] وهذا القانون يقوم أساسًا على نظم القرآن حيث دعا إلى

[1] ياد رفتكان، ص 136

[2] أساليب القرآن، ص 9

[3] ولمزيد تفصيل انظر مقالي المعنون ب: "االإمامالفراهي واستكمال علم أصول التفسير"، مجلة الهند، المجلد: 9 ستمبر 2020م

التفكر فيه. قال رحمه الله تعالى: "التفكر في نظم القرآن. فالنظم هو الحبل المتين الذي يعصم من يعتصم به عن الزيغ وهو السراج المنير الذي يدل على الحكم فإنّ الآيات إنما تنتظم بما تتضمن من الحكمة فإنها هي الجامعة."[1]

وبعد أن أرشد إلى سبيل الوصول إلى المعنى المراد ذكر مجموعة من الأصول الأخرى المعينة على التأويل السليم، منها: تأويل القرآن بالقرآن، رعاية نظم الكلام، جامع لأبواب الإجمال، في وجوه الألفاظ والمعاني، وجوه الإثبات والنفي، مفهوم الإثبات من النفي بالعكس ووجوه في إطلاق الفعل.

وإذا علمنا أنّ كتاب: "التكميل" في أصله مقدمة لكتاب "نظام القرآن" وتمهيد له، أدركنا أنّ التأويل عند الإمام الفراهي يقوم على نظم القرآن، وكتبه الأخرى مكملة وممهدة لنظرية النظم عنده رحمه الله تعالى.

وتقوم نظرية النظم أو الوحدة الموضوعية عند الإمام الفراهي على أنّ القرآن الكريم نص منسجم متكامل ومتناغم، يكمل بعضه البعض الآخر، مصداقًا لقوله تعالى: "كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ"[2] وأنّ القرآن الكريم قائم على حسن النظم والترتيب، في ألفاظه ومفرداته وسوره، فهي منتظمة ومترابطة في سلك واحد، لو تمّ تبديل أحدها عن مكانه لاختلّ المعنى واضطرب.

ويميز رحمه الله تعالى بين نظام القرآن والمناسبة بين الآيات والسور في القرآن، والفرق بينهما أنّ التناسب جزء من النظام، ويوضح أنّ المراد بالنظام بـ:" أن تكون السورة كلامًا واحدًا، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها على بُعد منها، فكما أنّ الآيات ربما تكون معترضة، فكذلك ربما تكون السورة معترضة، وعلى هذا الأصل نرى القرآن كله كلامًا واحدًا، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه، من الأول

[1] التكميل في أصول التاويل، ص 22

[2] سورة هود: 1.

إلى الآخر، فتبين مما تقدّم أنّ النظام شيء زائد على المناسبة وترتيب الأجزاء".[1]

وسبيل الوصول إلى هذا نظام القرآن هو التدبر، ولا يمكن فهم كلام الله إلا بمعرفة نظامه، وهذا النظام هو سبيل الانتفاع به: فهمًا وتطبيقًا، مصداقًا لقوله تعالى: "كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩"[2] مع ضرورة الإيمان بالله واليوم الآخر.

ويضيف إلى التدبر، مراعاة دلالة السياق في فهم الآيات القرآنية. ويحدّد وظيفة النظام هي الوصول إلى تدبر صحيح للقرآن الكريم والترجيح بين القوال المتضاربة وتعيين الصحيح من الاحتمالات المتعددة، وهو الإقليد الذي تُفتح به كنوز القرآن.[3]

وهذا يعني أنه لا يمكن فهم القرآن الكريم وتدبره فهمًا سليمًا إلا بعد فهمه في كليته، بعد التتبع والاستقراء لمواطنه وحمل بعضه على بعض وتكميل بعضه لبعض، لأنّ الآيات القرآنية عبارة عن لبنات متراصة منسجمة كالعقد المنظوم، إذا فقدت منه حلقة واحدة، انفرط العقد وانهار البناء وتشوهت الصورة. وهذه الخاصية التي تميزت بها آيات القرآن الكريم جعلتها وحدة منسجمة غير قابلة للتجزأ، وفرضت على القارئ الالتزام بالقراءة الكلية للقرآن الكريم.

ونذكر في هذا السياق مقارنة لنفرق بين نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم عند الفراهي، أنّ الدافع للقول بالنظم عند الجرجاني هو الجدل القائم حينذاك حول إعجاز القرآن بين المعتزلة وبين أهل السنة، حيث قال المعتزلة إنّ سر الإعجاز هو "الصرفة" حيث إنّ الله صرف الناس عن قول مثل القرآن الكريم، فجاء الجرجاني وبيّن أنّ سر الإعجاز هو نظم القرآن الكريم وتناسق آياته وكلمات وحروفه،

[1] دلائل النظام، ص 74-75.
[2] المصدر نفسه، ص 29
[3] المصدر نفسه، ص 9 وما بعدها

بحيث لو غُيرت كلمة عن مكانها أو حرف عن مكانه لاختل المعنى، فالسياق المذهبي والجدل الكلامي بين الفرق الإسلامية كان حاضرًا عند الجرجاني. وفعلًا بعدما أخذ أهل السنة الآلة البلاغية من عند المعتزلة قوي مذهبهم وحجتهم، ولم يعد للمعتزلة تلك الصولة التي كانت لهم خاصة في نصرة مذهبهم وتأويلهم لآيات الصفات.

أما سبب بحث الإمام الفراهي في النظم القرآن والقول به فهو حرصه على الفهم السليم للقرآن الكريم، وعدم اجتزاء النصوص من سياقها أو ليّ أعناقها، وإبعادًا للفهم الجزئي للآيات القرآنية الذي من شأنه تحريف الفهم وإبعاده عن مقصد المتكلم الذي هو الله تعالى. والسياق الذي بحث فيه الفراهي في النظم كان الطعن في القرآن الكريم واجتزاء نصوصه من مواقعها والطعن في النصوص الشرعية خاصة من لدن المستشرقين وأتباعهم في البلاد الإسلامية. فكان هاجس الإمام الفراهي هو ردّ الشبهات وتفنيدها وإبطال الباطل وإحقاق الحق وتنوير عقول المسلمين وتنبيههم إلى سبيل الفهم الصحيح والاهتداء بهدايات القرآن الكريم في حياتهم.

وتميّز تفسير الإمام الفراهي بالتركيز على الهدايات القرآنية التي تفيد الناس في إبصار الحق ثم اتباعه، فيستقيم حالهم على الطريق الصحيح، وهذا مصداقًا لقوله تعالى: "إِنَّ هَذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ".[1]

ونجد تنبيه الإمام الفراهي إلى هذه المسألة في مقدمة تفسيره بقوله: "ولكني ما أردت أن أجمع كل ما يتعلق بالقرآن، فإنه كثير لا ينفد على كثرة المجتهدين، وكتب التفسير كثيرة، فمن يسرح فيها بنظر التحقيق يؤت من العلم ما شآء الله، ولكني أردت ما يكون كالأساس والأم والوسط والحكم، ولهذا اقتصرت على ما في القرآن غير جاحد لما تركته، كما جمع الإمام البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في كتابه ما ثبت عنده من الحديث متفقًا عليه مع ما ترك كثيرًا من الصحاح".[2]

[1] سورة الإسراء: 9
[2] فاتحة نظام القرآن، ص 7

وهذا اختيار راشد لأنّ الغاية من التفسير هي بيان مراد الله تعالى للناس واستنباط أحكامه وحِكمه، مع العلم أنّ كثيرًا من كتب التفسير توسعت في بعض المجالات المعرفية حسب تخصص كل مفسّر، وكان هذا على حساب جوهر التفسير ووظيفة المفسر، التي ذكرتها من قبل، وهي بيان مراد الله تعالى للناس، فنجد كتبًا بالغت في الأحكام الفقهية الفرعية فيما يُعرف بكتب أحكام القرآن، وأخرى بالغت في قضايا اللغة العربية فيما يُعرف بكتب التفاسير اللغوية، وهذا من شأنه أن يشوش على ذهن القارئ لكتب التفسير ويصرفه عن المقصود منها.

وفي هذا الصدد قال العلامة رشيد رضا بعد أن اطَّلع على بعض أجزاء من تفسير الفراهي، ما نصه: "وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحةً من النظر، فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير، يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية، دون المباحث الفنية العربية...، وإنَّ للمؤلِّف لفهمًا ثاقبًا في القرآن، وإنَّ له فيه مذاهب في البيان...، وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها والصدور عنها ريان من شواهدها".[1]

وإذا تتبعنا كتب الإمام الفراهي نجد امتدادات لهذه النظرة التي تركز على المقاصد أكثر من الفروع، والكليات أكثر من الجزئيات، ويقول الإمام الفراهي في كتابه "الرائع في أصول الشرائع": "الشرائع جلها للتزكية كما مرّ، ولكن يحتاج إلى أحكام غير مقصودة بالذات للفرق بين المطيع والعاصي أو بين القوي في الإيمان والضعيف. فمن هذا النوع ابتلاؤهم بالنهر والحطة. وهذا الابتلاء يكون لحكمة، وفي أمور لا يضر العصيان فيها الأمور العامة. فإذا أضر الناس فهي من نوع الشرائع المقصود بها النفع لذاتها".[2]

ويرى الإمام الفراهي تعليل الشريعة وأنها جاءت لتحقيق غايات كبرى من خلال

[1] انظر: مفردات القرآن، ص 21، نقلاً عن رشيد رضا، في مجلة المنار، عدد شهر صفر، عام 1327

[2] الرائع في أصول الشرائع، ص 18

أحكامها وشعائرها، ومن هذه المقاصد مداوة أمراض الحياة الدنيا وابتلاء الناس لتمييز المطيع من العاصي والمؤمن من الكافر أو المنافق، يقول الفراهي في مقدمة كتابه "الرائع في أصول الشرائع": "وربّ شريعة فيها الابتلاء مع كونها مقصودة لذاتها كصرف القبلة كما قال تعالى: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾"[1] "ففي أكثر المنافقين من جماعة المسلمين بصرف القبلة. ودعت الحاجة إلى هذا الفرق حين أذن لهم بالقتال واستخلاص الكعبة من أيدي الظالمين الغاصبين".[2]

ثانيًا: جهود الإمام الفراهي في خدمة اللغة العربية: أما جهود الإمام الفراهي في خدمة اللغة العربية فالملاحظ عليها أنها مرتبطة بالقرآن الكريم لأنه يرى أنّ الغاية الكبرى من العلوم الإسلامية هي خدمة القرآن الكريم، من حيث الفهم والاستنباط والتنزيل. أما اللغة العربية فهي من علوم الآلة التي تعين على فهم النص القرآن والاستنباط منه لأنه نزل بلسان عربي مبين وأنّ العربية هي مفتاح الدخول إلى أنواره وأسراره والاغتراف من معينه. قال الله عَزَّوَجَلَّ: "إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾".[3]

ولذلك نجد الإمام الفراهي في كتابه: "مفردات القرآن" ينبه إلى أهمية المفردة القرآنية باعتبارها المفتاح لولوج القرآن الكريم والنهل من معينه الذي لا ينضب، ولأنّ سوء فهم الألفاظ قد يصرفه عن المقصود بالسورة كلها، وأنّ فهم الألفاظ القرآنية يجب أن يكون من القرآن نفسه ووفق معهود العرب زمن نزول القرآن الكريم، وليس الوقوف

[1] سورة البقرة: 143
[2] الرائع في أصول الشرائع، ص 11
[3] سورة يوسف: 2

على المعاني اللغوية للمفردة فقط، لأنّ المعاني المقصودة هي ما كانت زمن نزول الوحي، أما ما تم استحداثه من معانٍ بعده فيضرب عنه صفحًا. وهذا يفرض ضرورة معرفة كلام العرب وأساليبهم في التعبير قديمًا، أما كتب اللغة فيقول عنها بأنها مقصرة لأنها: "كثيرًا ما لا تأتي بحد تام ولا تميز بين العربي القح والمولد ولا تهديك إلى جرثومة المعنى فلا يدرى ما الأصل؟ وما الفرع؟ وما الحقيقة وما المجاز؟ فمن لم يمارس كلام العرب واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد لفهم بعض معاني كتاب الله".[1]

وقدّم الإمام الفراهي لكتابه هذا بثلاث مقدمات، الأولى خصّها لمقصد الكتاب والحاجة إلى معرفة الألفاظ المفردة وهي الخطوة الأولى لفهم الكلام، ومن خفي عليه معاني الألفاظ المفردة من القرآن أشكل عليه فهم الجملة وخفي عليه نظم الآيات والسور، أما المقدمة الثانية فخصّها للأصول اللسانية وتحدّث فيها عن كثرة الأوهام عن الكلمة، وأنّ سبب ذلك إما عدم تبين معنى الكلمة وإما عدم تبين أحوالها الصحيحة. وفي المقدمة الثالثة تحدّث عن كون القرآن الكريم نزل بلغة عربية، وأنّ سبيل فهمه هو التمكن من العربية.[2]

ونبه إلى تغير معاني الكلمات والمفردات عند نزول الوحي وما صارت إليه بعد ذلك، ومن تمكن من ناصية المفردة القرآنية زمن نزول الوحي سهل عليه فهم القرآن والنهل من أسراره وحكمه غير المتناهية، وفي ذلك يقول: "فإن من عرف معنى الكلمة وأحاط بوجوهه وما يتعلق به من الأحوال، أمكنه أن يطلع على ما هو أكملُ رِباطًا و أحسنُ تأويلًا".[3] وأهم ما ميّز هذا الكتاب مقدماته التي تناول فيها مسائل مهمة تتعلق بلغة القرآن. وتقديمه لبعض تفسيرات جديدة لبعض الألفاظ. ثم كشفه عن أصول جديدة ترجع إليها مشتقات المواد اللغوية. وأخيرًا تأصيله لبعض الكلمات التي زعم

[1] مفردات القرآن، ص 53

[2] انظر: مفردات القرآن بتحقيق وشرح الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي

[3] المصدر نفسه، ص 112

الطاعنون أنّ القرآن أخذها عن اليهود والنصارى.[1]

أما كتابه "جمهرة البلاغة" وهو كتاب صغير لم يتممه رغم أنه صدر في حياته، لأنه أراد إعادة النظر فيه، فتطرق فيه إلى معنى البلاغة وأصولها العامة بالإضافة إلى معنى النقد ونظرياته، ثم الأساليب البلاغية خاصة علمي المعاني والبيان، ثم تطرق إلى مواضيع متفرقة من مباحث البلاغة مثل محاسن البلاغة وسرها ومذاهب العرب في نقد الكلام، وغاية الكتاب هي بيان بلاغة القرآن الكريم. وقد صرح بذلك في كتابه، حيث قال: "فوجب علينا أن نعرف أسرار البيان وفضائله كما وجب علينا أن نعرف إعجاز القرآن ودلائله لنستكمل من فطرتنا عنصرها ونستسقي من عيون الوحي كوثرها".[2]

وأهم ما ميّز هذا الكتاب أنّ الإمام الفراهي ربط فيه بين البلاغة والنقد، واتخذ البلاغة معيارًا للأحكام النقدية، كما أنه نقض نظرية المحاكاة لآرسطو وانتقد عبد القاهر الجرجاني وبيّن الفرق بين بلاغة العرب وبلاغة العجم وفرّق بين الشعر والخطابة، وغير ذلك من الآراء المبثوثة في الكتاب..، ويعتبر هذا الكتاب إضافة نوعية إلى المكتبة النقدية والبلاغية العربية.[3] يقول الدكتور أجمل أيوب الإصلاحي مشيرًا إلى هذا الكتاب: "هو كتاب نقض فيه الأساس الذي قوم عليه فن البلاغة عند أرسطاطاليس، وهو نظرية المحاكاة، التي يرى الفراهي أنّ فن البلاغة العربية تأثر بها، فجار عن قصد السبيل، وانتقد في ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني مع اعترافه بجلالته. وقصد في هذا الكتاب إلى تأسيس فن البلاغة على قواعد جديدة في ضوء القرآن الكريم وكلام العرب القحاح".[4]

وهذا ما صرح به الإمام الفراهي منتقدًا البلاغيين عندما أغفلوا كلام العرب والقرآن

[1] جهود الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي في التفسير وعلوم القرآن لمحمد فريد راوي بن عبد الله، رسالة الدكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، سنة 2015م

[2] جمهرة البلاغة، ص 1

[3] انظر: جمهرة البلاغة للدكتور أحمد مطلوب، https://www.ust.edu/usty/images/open/library/islamic&arabic/37.pdf

[4] مفردات القرآن، ص 26

الكريم وأخذهم عن الفلسفة اليونانية أصول البلاغة، وبذلك ابتعدوا الحق وتجاهلوا أنّ العرب كما كانوا على ذروة من البلاغة، وهذا من شأنه أن يؤهلهم للتمييز بين جيد الكلام من ردئه، وعبّر عن ذلك بقوله: "كما أنّ علماء الإسلام أقبلوا على هذا الفن لأجل كشف إعجاز القرآن، فلو أنهم استقصوا كلام العرب واقتفوا آثار المحاسن فيه وقيّدوها بالحدود ونظموها بترتيب حتى يصير لهم ميزان ومحك لمعرفة محاسن الكلام. ثمّ نظروا في براعة القرآن ونظمه المعجز لكانوا أقرب إلى معرفته. ولكنهم لم يأخذوا من العرب ولا من كلامهم. فإنهم أثرت فيهم علوم العجم كما خالطتهم سجاياهم إلا الأولين منهم كالجاحظ، فإنه لا يبعد عن سنن العرب كبعد صاحب دلائل الإعجاز ولم يبعده هذا إلا لقلة ممارسته بكلام العرب الخالص. فلو تيسر له ذلك لعرف منزلتهم في هذه الصناعة".[1] وهذا كان أقرب إلى الوصول إلى أسرار الإعجاز القرآني، فقال رحمه الله تعالى: "لو التزم البلاغيون كلام العرب ولم يلتفتوا إلى أصول مهّدها المبعدون لكان خيرًا لهم. وكانوا أقرب إلى معرفة إعجاز القرآن من طريق الذوق. وإن لم تكن من طريق الصناعة".[2]

وفي تقييم الكتاب أيضًا يقول الزهراني: "تكمن القيمة العلمية لهذا الكتاب في أنه رؤية ناقدة للبلاغة العربية في مثاقفتها مع الثقافة اليونانية، حيث أدت تلك المثاقفة إلى زرع عدد من الرؤى الجمالية التي لا تمثل خصوصية البيان العربي، ولا تقف على كمال بلاغته، وبخاصة في كتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. كما أنّ الكتاب بحث في سياسة "الفن الجميل" يتأسس على وعي دقيق بخصوصية البلاغة العربية وفلسفتها للفن، وكيف نشأت تلك الفلسفة؟ وما الذي أدّى بها إلى الانحراف عن ذلك المسار، من خلال قراءة شاعرية تقف على أدق قوانين الخطاب الأدبي في التراث البلاغي والنقدي عند العرب".[3]

[1] جمهرة البلاغة (للفراهي)، ص 3

[2] المصدر نفسه، ص 7

[3] سياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي لصالح سعيد الزهراني، ص 15

للإمام الفراهي ثقافة واسعة شملت الإلمام بالتراث العربي والإسلامي وبثقافة العصر الذي عاش فيه بما في ذلك تمكنه من أهم اللغات المؤثرة في بيئته، وكذلك بثقافة الغرب وكتبه المقدسة واطلاعه هذا مكّنه من توجيه النقد لهذه الكتب وكشف التحريفات التي طالتها والأباطيل التي تضمنتها، سالكًا في ذلك المناهج التاريخية والتحليلية والمقارنة والمقابلة، كما وظف ما جاء في هذه الكتب لنصرة القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية، وبرز ذلك بشكل جلي في بحثه القيم حول من هو الذبيح هل هو إسماعيل أم إسحاق عليهما السلام. مع اعترافه بفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام وإيمانه بوحدة الدين المنزل من عند الله تعالى الذي هو الإسلام، مع تعدد الكتب والشرائع السماوية الخاصة بكل نبي وقومه.

وقال الإمام الفراهي رحمه الله تعالى: "إنّ القرآن أحد الكتب الْمُنَزَّلة ونبينا واحدٌ من الأنبياء، ونحن مسلمون مع كثرة الرسل أمة واحدة، لا بد أن ننظر فيما سبق لنعرف قدر القرآن الحكيم ونشكر فضل الله الجسيم، ويظهر لنا تأويل تلميحات القرآن التي خفيت عن الخلف من المفسرين فلم يهتدوا لوجه الكلام في غير موضع. وتبيَّن لنا سبيل إفحام أهل الكتاب، وأما أهل التفسير فمع أنهم أكثروا من الإسرائيليات، لكنهم تركوا الكتب المقدسة إلا قليلًا من العلماء الذين أظهروا الحق على أهل الكتاب وأقاموا عليهم الحجة كابن تيمية فنعم ما فعلوا فكأني على أثرهم".[1]

وبيّن موقفه من الإسرائيليات التي أثرت في كثير من كتب التفسير القديمة، وكذلك أعانته هذه الثقافة الواسعة في الردّ على اليهود والنصارى في بعض المسائل الدقيقة، كما نرى ذلك في كتابه "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح"، فقد جاء فيه بثلاثة عشر دليلًا من التوراة نفسها للرد على زعمهم بأنّ الذبيح إسحاق عليه السَّلام، وناقش علماءَ أهل الكتاب وفسَّر بعضَ ما أشكل عليهم من كتبهم.[2]

[1] انظر: مقدمة تفسير نظام القرآن، ص 23

[2] انظر: مفردات القرآن بتحقيق وشرح الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي، ص 24

خاتمة: شكّلت جهود الإمام الفراهي صلة وصل بين جهود الأمة في الماضي والحاضر، ولبنة مهمة من لبنات البناء العلمي والحضاري للأمة، وكان تنوع مكونات الأمة عنصر غنى وثراء، فما يكاد يخبو نور في شرق الأمة حتى يشع في غربها وهكذا.

والذي يظهر أنّ كتب العلامة الفراهي قد خُدمت بشكل جيد من لدن الباحثين في الهند، لكن بقي التعريف بها والإفادة منها لدى القارئ العربي ضعيف، لأسباب متعددة منها، وهذا واجب على تلاميذ الفراهي خاصة، وهذا يقتضي ربط جسور التواصل العلمي والثقافي بين الباحثين في العالمين العربي والهندي. خاصة وأنّ للإمام الفراهي نظرة ثاقبة للتراث لبعض قضاياه العلمية، وهو مبدع في ذلك غير مقلد، ومستقل برأيه غير تابع، وفي زمننا كثُر التقليد والتكرير. وكل من يروم التجديد ويهتم بالاجتهاد والنهوض العلمي والحضاري، لا بد له من قتل التراث بحثًا، ودراسة المشاريع العلمية الجادة مثل مشروع الإمام الفراهي، حتى لا تضيع مثل هذه الجهود ويطويها النسيان.

والخير في الأمة إلى قيام الساعة، ينبع الخير في بقاع مختلفة من مشارق الأرض ومغاربها، ويبقى من يجمع هذه المشاريع العلمية وينسق بينها، مع ضرورة الانتقال من جهود الأفراد إلى جهود المؤسسات، وخير هذه المؤسسات هي الجامعات ومراكز البحوث والدراسات العلمية، فوجب التنسيق العلمي من خلال تبادل الخبرات والتجارب والبعثات الطلابية، وتنظيم الملتقيات العلمية، والتعاون في مشاريع البحوث العلمية المشتركة.

المصادر والمراجع

1. أساليب القرآن للإمام الفراهي، الدائرة الحميدية ومكتبتها، سنة 1389هـ.
2. الإمام الفراهي واستكمال علم أصول التفسير للدكتور محمد البويسفي، مجلة الهند، المجلد 9 ستمبر 2020م
3. التكميل في أصول التأويل للإمام الفراهي، الدائرة الحميدية، الفراهي، أعظم كره، الهند، ط2، 1357هـ
4. جمهرة البلاغة للإمام الفراهي، الدائرة الحميدية، أعظم كره، يوبي، الهند، ط1، 1968م.
5. جهود الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي في التفسير وعلوم القرآن لمحمد فريد راوي بن عبد الله، رسالة الدكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، سنة 2015م
6. دلائل النظام للإمام الفراهي، الدائرة الحميدية ومكتبتها، ط1، 1388 هـ.
7. الرائع في أصول الشرائع للإمام الفراهي، إعداد: عبيد الله الفراهي، ومراجعة: الشيخ أمانة الله الاصلاحي، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، الهند، ط1، 2011م.
8. سياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي لصالح سعيد الزهراني، بحث محكم نشر في الموقع الرسمي لجامعة أم القرى.
9. فاتحة نظام القرآن وهي مقدمة الفراهي لتفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، الدائرة الحميدة، سرائ مير، أعظم كره، الهند، 1357هـ.
10. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، المجلد2
11. مفردات القرآن للإمام الفراهي، تحقيق وشرح: الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002م

مجلة الهند ـ ـ ـ

مجلة الهند ـ ـ ـ

مجلة الهند ـ ـ ـ

مجلة الهند ـ ـ ـ

مجلة الهند ـ ـ ـ

مجلة الهند ـ ـ ـ

مجلة الهند ـ ـ ـ

مجلة الهند ـ ـ ـ

مجلة الهند ـ ـ ـ

مجلة الهند ـ ـ ـ

ISSN: 2321-7928

"مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا"

- د. أورنك زيب الأعظمي[1]

قال المعلّم عبد الحميد الفراهي متحدثًا عن هذه الكلمة:

"المتاع: مصدر، ثم اسم لما يتمتع به. ومنه للسلعة. والمتاع يتضمن قلة المدة. فربما يؤكّد بالتصريح بها، وربما يكتفى بما يفهم منه، كما قال تعالى: "مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ" [سورة يونس: 70] أي تمتّع لمدة قليلة. والشواهد على ما ذكرنا كثيرة".[2]

وأودّ أن أشرح هذا القول فيما يلي:

فالمتاع يعني ما هو قليل وحقير، قال تعالى: "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾". (سورة آل عمران)

وقال: "وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾". (سورة القصص)

وربما صرح بذكر المدة، فقال تعالى: "فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾". (سورة البقرة)

وقال: "وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ

[1] مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي
[2] مفردات القرآن، ص 310

حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾". (سورة البقرة)

وكذا صرّح بقلتها، فقال تعالى: "لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾". (سورة آل عمران)

وقال: "أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾". (سورة النساء)

وقال أيضًا: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾". (سورة التوبة)

وجاء في سورة هود: "الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤﴾".

وكذا أشير إلى قلتها، فقال تعالى: "فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾". (سورة يونس)

وقال: "قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾". (سورة يونس)

وقال أيضًا: "يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾". (سورة غافر)

وكذا صرّح بغرورها، فقال تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ *لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾". (سورة آل عمران)

وقال أيضًا: "أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾". (سورة الزخرف)

وهكذا أشير إلى غرورها وقلتها، فقال تعالى: "ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ﴿٢٦﴾". (سورة الرعد) فتنكشف في الآخرة قلة هذه الدنيا وغرورها.

وقال أيضًا: "ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًاۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾". (سورة الحديد)

وكثر ورود هذه الكلمة في كلام العرب وللمدلولات المذكورة أعلاه. فالمتاع مصدرًا كما قال المُسَبَّب بن عَلَس، شاعر جاهلي كان الأعشى راويته:

أرحلتَ من سلمى بغير متاع قبل العُطاس ورُعتَها بوداع

من غير مقلية وإنّ حبالها ليست بأرمام ولا أقطاع[1]

والمتاع: ما يتمتع به كما قال الفرزدق:

فلا أسطيعُ ردَّ الشيب عني ولا أرجو مع الكبر الشبابا
فليت الشيبَ يومَ غدا علينا إلى يوم القيامة كان غابا
فكان أحبَّ منتَظَر إلينا وأبغضَ غائب يُرجَى إيابا
فلم أرَ كالشباب متاعَ دنيا، ولم أر مثلَ كسوته ثيابا[2]

فتنكير المتاع هنا للتعظيم والفخامة.

وقال مشعَّث العامري:

تمتّعْ يا مشعّثُ إنّ شيئًا سبقتَ به الوفاةَ هو المتاع[3]

وأنشد اللحياني:

كلُّ شيءٍ حتى أخيكَ متاعٌ وبقدْرٍ تفرُّقٌ واجتماع[4]

والمتاع هو البضاعة كما قال امرؤ القيس:

ولووا متاعَهم وقد سُئِلُوا بذلَ المتاع فضُنَّ بالبذل[5]

وقال تأبط شرًا:

عاذلتي إنّ بعض اللوم مَعنَفة وهل متاعٌ وإن أبقيتُه باق
إني زعيمٌ لئن لم تتركوا عذلي أن يسئل الحيّ عني أهلَ آفاق

[1] ديوان المفضليات، ص 60-61
[2] ديوانه، ص 75-76
[3] ديوان الأصمعيات، ص 148
[4] لسان العرب: قدر
[5] ديوانه، ص 132

سدّدْ خلالَك من مالٍ تجمّعه فلا يخبّرهم عن ثابتٍ لاق
ولم يك ينهر الأيتامَ قطّ حتى تلاقي الذي كلُ امرئ لاق[1]

وقال طفيل الغنوي:

لقد أردى الفوارسُ يوم نجدٍ غلامًا غيرَ منّاع المتاع
ولا فرِحًا بخيرٍ إنْ أتاه ولا جزِعًا من الحدثان لاع
ولا وقّافةً والخيلُ تردي ولا خالٍ كأنبوب اليراع[2]

وقال قطري بن الفجاءة:

وما للمرء خير في حياة إذاما عُدّ من سقَط المتاع[3]

وقال جرير:

فرَقّعْ لجدّك أكيارَه وأصلحْ متاعَك لا تفسِد[4]

وقال هدبة بن الخشرم العذري:

لقد كان جوادًا طولَ عمرٍ نصيبُ الفتى من ماله ما تمتّعا[5]

والمتاع: ما يكون قليلًا كما قال الأفوه الأودي:

إنما نعمةُ قومٍ مُتعةٌ وحياةُ المرء ثوبٌ مستعار[6]

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

هل النفسُ إلا مُتعةٌ مستعارةٌ تُعارُ فتأتي ربَّها فرطَ أشهر[7]

[1] ديوان المفضليات، ص 30
[2] ديوانه، ص 145
[3] شرح ديوان الحماسة، 25/1، ويروى لقطري بن الفجاءة المازني، شعر الخوارج، ص 109
[4] ديوانه، ص 103
[5] شعره، ص 113
[6] ديوانه، ص 73
[7] ديوانه، ص 72

كما يوصف بالقلة أيضًا فقال أعشى تميم:

فنعم ابنُ عمّ المرء آتيه مُغرَمًا قليلَ المتاع والبضاعة مُعدَما[1]

وقال متمم بن نويرة:

ولقد حرصتُ على قليل متاعها يوم الرحيل فدمعها المستنفَع[2]

كما يكون زائلًا في فترة وجيزة فقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

وكلُ غَضارةٍ لك من حبيبٍ لها بك أو لهوت بها متاع

قليلًا، والشبابُ سحابُ ريحٍ إذا ولّى فليس له ارتجاع[3]

وقال مسكين الدارمي:

وحصن بصحراء الثوية بيته ألا إنما الدنيا متاع يمتع[4]

والمتاع أيضًا هو الوداع كما قال المثقب العبدي:

ألا إنّ هندًا أمس رثّ جديدُها وضنّتْ، وما كان المتاعُ يؤودها[5]

وأما كون المتاع غرورًا فمعنى زائد جاء به القرآن الكريم.

---

[1] الصبح المنير في شعر أبي بصير، ص 276

[2] ديوان المفضليات، ص 49

[3] ديوانه، ص 88

[4] ديوانه، ص 49

[5] ديوانه شعره، ص 83، ويؤيده هنا ما جاء في سورة البقرة:

"ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥".

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. ديوان الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط3
3. ديوان الأفوه الأودي، شرح وتحقيق: د. محمد التونجي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م
4. ديوان الفرزدق، شرح الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م
5. ديوان المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6
6. ديوان امرئ القيس، ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م
7. ديوان بِشر بن أبي خازم الأسدي، تقديم وشرح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1994م
8. ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986م
9. ديوان شعر المثقب العبدي، تحقيق وتعليق: حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، 1971م
10. ديوان طفيل الغنوي، تحقيق: حسّان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م
11. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، د.ت.
12. ديوان مسكين الدارمي، جمع وتحقيق: عبد الله الجبوري وخليل إبراهيم العقبة، مطبعة دار البصرى، بغداد، ط:1، 1970م
13. شرح ديوان الحماسة للعلامة التبريزي، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى
14. شعر الخوارج، جمع وتحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1974م

15. شعر هدبة بن الخشرم العذري، صنعة الدكتور يحيى الجبوري، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1986م
16. الصبح المنير في شعر أبي بصير، مطبعة آدلف هلزهوسنين، بيانة، 1927م
17. لسان العرب لابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، د.ت.
18. مفردات القرآن للإمام عبد الحميد الفراهي، تحقيق وشرح: د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002م

ISSN: 2321-7928

"يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ"

- د. أورنك زيب الأعظمي[1]

جاءت هذه الجملة في سورة الأحزاب حينما أمر الله تعالى باتخاذ الحجاب خارج الدار فيقول الله تعالى:

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩". (سورة الأحزاب)

في هذه الآية كلمتان لهما أهمية في فهم معنى الحجاب، وهما "إدناءُ شيء على شيء" و"جلابيب جمعُ جلباب". لنتتبع كلام العرب ونحدّد معانيهما.

فعل "دَنَا يَدْنُوْ" و"أَدَنَى يُدْنِيْ" تأتي لهما أربع صلات مختلفة وهي "اللام" و"إلى" و"مِنْ" و"على" كما يستخدمان بدون الصلة. قال حاتم الطائي:

يسعى الفتى، وحِمامُ الموت يُدركه وكلَّ يوم يُدنِي للفتى الأجلا[2]

وقال سهم بن حنظلة الغنوي:

يُدني الفتى للغنى في الراغبين إذا ليلُ التمام أَهَمَّ المقترَ العزَبَا
حتى يُصادِفَ مالًا أو يقال فتى لاقى التي تشعب الفتيانَ ما انشعبا[3]

وقال روبة بن العجاج:

تُدني ليوم القذف والرجام[4]
صوادمًا يَقين للصِدام[5]

[1] مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

[2] ديوانه، ص 57

[3] ديوان الأصمعيات، ص 54-55 تشعب الفتيان: تفرقهم وتهلكهم وهي المنية، ومن هنا تسمّى "شعوب".

[4] القذف: الرمي من كل شيء- السهم والحجارة والكلام، الرجام: الرمي بالحجارة، الصوادم: التي تتصادم في الحرب

[5] شرح ديوانه، 17/3

وقال روبة أيضًا:

نحن ما لم نرَ أمرًا رشدا
نُدنِي لنُكدِ الناس منا نُكدا[1]

فلو أنّ الشاهدين الأولين يشيران إلى قرب الشيء من الشيء ولكن الشاهدين الأخيرين يلمح منهما أنّ هذا القرب قد ازداد حتى لم يبق فرق بين المقرَّب والمقرَّب منه.

وقال الكميت الأسدي:

وأدْنِ إلى ريّان هوجًا كأنها بحوصل أو من وحش نَيَّانَ ربربُ[2]

وقال الأخطل:

ولولا هوانُ الخمر ما ذقتَ طعمَها ولا سُفتَ إبريقًا بأنفك مُترَعا
كما لم يذقها إذ تكون عزيزة أبوك ولا تُدنى إليه فيَطْعَما[3]

سُفتَ: شممتَ.

وقال سلمة الجُعفي:

فتًى كان يُدنيه الغنى من صديقه إذاما هو استغنى ويُبعِده الفقر[4]

وقال ضابئ بن الحارث بن أرطأة البرجمي الذي أدرك النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ:

وما عاجلاتُ الطير تُدني من الفتى رشادًا ولا عن ريثهنّ يخيب[5]

[1] شرح ديوانه، 130/3، النكد: الشوم وكل شيء جرّ على صاحبه شرًا، والنُكد جمع أنكد.
[2] ديوانه، ص 52، ريّان: اسم موضع، الهوج: بقر الوحش أو النوق، الربرب: قطيع من بقر الوحش وقيل من الظباء، نيّان: اسم موضع.
[3] ديوانه، ص 205
[4] شرح ديوان الحماسة، 669/1
[5] ديوان الأصمعيات، ص 184

وقال الفرزدق:

يُدني خوافقَ من خوافقَ تلتقي في كلِّ مُعتَبَطِ الغبار مُثار[1]

وقال الفرزدق أيضًا:

عجبتُ لحادينا المُقَحِّم سيرُه بنا مُزحِفاتٍ من كَلالٍ وظُلَّعا

ليُدنينا ممن إلينا لقاؤه حبيبٌ ومن دارٍ أردنا لتجمعا[2]

وله كذلك:

سيُدنيك من خير البرية فاعتَدَل تناقلُ نصّ اليعملاتِ الرواسم[3]

وقال الأخطل:

فأدنيتُ منهم سبحليًّا[4] كأنه قتيلٌ من السودان عبلٌ مُجَرَّح[5]

ففي الأبيات المذكورة أعلاه يبدو القرب فقط ولكن الأبيات المذكورة أدناه تدلّ على أنّ الشيئين قد التصق بعضهما بالبعض ولم يبق فارقٌ بينهما فقال المرقش الأصغر:

أموالُنا نقي النفوسَ بها من كلِّ ما يُدنَى إليه الذم[6]

وقال العُجَير السلولي:

فقام فأدنى من وسادي وسادَه طوي البطنِ ممشوقُ الذراعينِ شرجَبُ[7]

---

[1] ديوانه، ص 267، الخوافق: الرايات الخافقة، معتبط الغبار: مثاره.

[2] ديوانه، ص 363-364، المقحم سيره: الذي يُزجي الإبل ويدفعها بقوة، المزحفات: التي تكاد تزحف من الإعياء، الضلع: التي تمشي عرجًا من كلالها وتعبها.

[3] ديوانه، ص 611، النصّ: السير، اليعملات (جمعُ يعملة): الناقة المجدّة في سيرها، الرواسم: ضرب من السير.

[4] سبحلي: وعاء كبير.

[5] ديوانه، ص 68

[6] ديوان المفضليات، ص 240

[7] شرح ديوان الحماسة، 955/2، طوي البطن: صغيره، الممشوق: الطويل القليل اللحم، شرجب: طويل.

وقال زهير بن أبي سلمى:

فزادك أنعمًا وخلاك ذمّ إذا أدنيتَ رحلي من سنان
فتًى لا يرزأ الخلّانَ شيئًا ولا يبخل بما حوتِ اليدان
أبى لك أن تُسامَ الخسفَ يومًا إذاما ضيم غيرُك خلّتان:
عطاءٌ لا تكدّره بمنّ إذا دنت الكعابُ من الدخان
وقودُك للعدو الخيلَ قُبًّا مُسَوَّمةً، جنابَك فيلقان[1]
فدًى لك والدي وفدتك نفسي ومالي، إنه منه أتاني[2]

في البيت الأول لزهير خطاب للجمل، وفي البيت الثاني اعتبر سنانٌ فتًى وهو كهل كما في البيت الثالث التفات من الغائب إلى الحاضر.

وقال الأخطل:

ليستْ بسوداء من مَيثاءَ[3] مُظلِمةٍ ولم تُعَذَّبْ بإدناءٍ من النار[4]

وقال الأخطل أيضًا:

هل تُدنينك من أروى مُقَتَّلَةٌ لا ناكتُ يُشتَكى منها ولا زَوَر[5]

ففي بيتي الأخطل هل يمكن أنْ يعذّب أحدٌ بشيء بدون أنْ يلتصق الشيء به أو هل يستلذّ المرء من حبيبه بدون أنّ يلبس أحدهما الآخر.

وقال الأعشى الكبير:

بأبي الأشعث قيسٍ إنه يشتري الحمدَ بمَنْفُوْسِ الثَمَن

[1] قُبّ جمعُ أقبّ: ضامر الخاصرتين، جناب: ناحية، فيلق: كتيبة ضخمة العدد والعدة.
[2] ديوانه، ص 134
[3] الأرض اللينة
[4] ديوانه، ص 142
[5] ديوانه، ص 160، أروى: حبيب الشاعر، مقتلة: ناقة، ناكت: جرح، وزور: ميل عن المكان.

جئتُه يومَا فأدنى مجلسي وحباني بلَجُوجٍ في السَنَن[1]

لجوج: فرس، وسنن: نهج الطريق.

وقال عبيد بن الأبرص:

ليستْ بسوداء من مَيثاءَ[2] مُظلِمةٍ تدني النصيف بكفٍّ غير موسومه[3]

وقال مسكين الدارمي:

وبينهما المضطر يلتمس التي جميعهم فيها بكل طريق
فذاك تدانيه فتدنيه مرة وتجفوه أخرى منك فعل رفيق[4]

وقال كعب بن سعد الغنوي:

ألم تعلمي أن لا يراخي منيتي قعودي، ولا يُدني الوفاةَ رحيلي[5]

ففي هذه الأبيات كلها الإدناء يعني لزوم الشيء بالشيء ولا غير.

وأما "أدناه على أحد" الذي استخدمه القرآن الكريم في آية سورة الأحزاب فلنمعن النظر فيه في ضوء الأبيات الآتية:

قال النابغة الذبياني يصف ظليمًا:

يُدنِي عليهنّ دفًّا، ريشُه هدم وجؤجوًا، عظمُه من لحمه عار[6]

أي الظليم ينشر ريشه وصدره على البيض، والدفّ هو الجنب.

---

[1] ديوانه، 729/2
[2] الأرض اللينة
[3] ديوانه، ص 110
[4] ديوانه، ص 55
[5] ديوان الأصمعيات، ص 74
[6] ديوانه، ص 150

وقال امرؤ القيس يصف فتاة:

إذا أخذتْها هِزَّةُ الروع أمسكتْ بمنكب مقدام على الهول أروعا
تصدّ عن المأثور بيني وبينها وتُدني عليّ السابري المُضَلعا[1]

أي عندما تأخذها هزة الروع فهي تصدّ عن المأثور وتغطّيني بثوبها الرقيق المخطّط.

وقال الكميت الأسدي:

وأدْنِينَ البرودَ على خدودٍ يُزيّنَّ الفداغمَ بالأسيل[2]

برد جمعه برود: ثوب في خطوط، والفداغم من الرجال الحسن مع العِظَم. أي يغطّين الخدود بالأثواب المخطّطة بحيث يزيّن حسن الرجال وعظمتهن بالأسيل.

وقال مالك بن خالد الخُناعي الهذلي:

أي أنه يغطّيها بالثوب الخلق لإخفائها مع أنه يتصف بالأخلاق. فالحشيف: الثوب الخلق، والأطمار: الأخلاق.

وقال عوف بن عطية بن الخرع الرباني:

وجلّلْنَ دمغًا قناعَ العرو س أدنتْ على حاجبيها الخمارا
فكادت فزارةُ تصلى بنا فأولى فزارةُ أولى فزارا
ولو أدركتهم أمرّتْ لهم من الشرّ يومًا مُمرًّا مُغارا
أبرنَ نُميرًا وحيَّ الحبيش وحيَّ كِلابٍ أبارتْ بوارا[3]

فالدمغ هو الجبل وجلّل: غطّى أي كأنهم غطّوا الجبل بجيشهم مثلما تغطّي الفتاة وجهها بالخمار. وفي البيت الأخير شاهد آخر وهو دار البوار كما في قوله تعالى: "وَأَحَلُّواْ

[1] ديوانه، ص 100
[2] ديوانه، ص 369
[3] ديوان المفضليات، ص 413

قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ" (سورة إبراهيم: 28).

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

وتُدني النصيفَ على واضحٍ جميلٍ إذا سَفَرَتْ عنه حُرّ[1]

أي أنها تغطّي وجهها الجميل الأسيل بالنصيف.

وقال كثيّر عزة:

وتُدني على المتنين وَحْفًا كأنه عناقيدُ كرمٍ قد تدلّى فأنعما[2]

وَحْف: أسود أي شعر أسود، أنعم: أمعن في الطول والتدلّي. وفي الشطر الثاني شاهد آخر على قوله تعالى: "وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩" (سورة النجم)

ويرادفه الإمالة كما قال الكميت الأسدي:

ولم ألقَه بدَثورِ الضحى أمال السُباتُ عليه الدُثارا[3]

فالدثار هو اللباس فوق الشعار ومنه المدّثّر فأماله السُبات عليه أي غشيه به. والسبات ما جاء في قوله تعالى: "وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۝٩" (سورة النبأ)

وكذا الإرخاء كما قال امرؤ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدولَه عليّ بأنواع الهموم ليبتلي[4]

والسدول هي الستور.

وأما الجلباب (جمعه: الجلابيب) فهو رداء يلبس فوق اللباس العادي ليغطّي به ما

[1] ديوانه، ص 300
[2] ديوانه، ص 134
[3] ديوانه، ص 148
[4] ديوانه، ص 117

ظهر من أعضاء الجسد أو ما أمكن أنْ يظهر. ومن هنا عمّ استخدامه لكل ما يغطّي العورة حتى أنه استعير به العورة. قال الأعشى الكبير في جارية من بنات الملوك:

تنازعني إذ خلتْ بردَها مُفَضَّلةً غيرَ جلبابها[1]

وقال الأعشى أيضًا:

فبتَّ أزجّيَ ليلَ التمام تَبَطَّنَ من تحتِ جلبابيه
فلما جلى الصبحُ جُنْحَ الظلام رواسي كواكبها التاليه[2]

وقال ابن مقبل:

لبستْ جلابيبَ الحرير، وخدّرتْ بالريط فوق نواعِجٍ وجِمال[3]

وقال مُزَرِّد بن ضِرار الذبياني:

أملحُ الخلَقِ، إذا جرّدتها غيرَ سِمطين عليها وسُؤُر
لحسبتَ الشمسَ في جِلبابها قد تبدّتْ من غمامٍ مُنسَفِر
صورةُ الشمس على صورتها كلّما تغرب شمسٌ أو تذر[4]

ويلمح من البيت الأول أنّ زوج النعمان التي سمّيت مجرّدة قد أعطيت هذا الاسم لأنها كانت تجلس بدون الجلباب. وفي البيت الأخير تشبيه مقلوب. وكذا يثبت أنّ النصيف غير الجلباب كما في قول النابغة الذبياني:

سقط النصيف، ولم ترد إسقاطه، فتناولته، واتقتنا باليد[5]

فقد جلسن في الهودج وعلى أجسادهن جلابيب، وخدّرت: أي جعلن الهودج

[1] ديوانه، 410/2
[2] ديوانه، 730/2
[3] ديوانه، ص 187
[4] ديوان المفضليات، ص 92
[5] ديوانه، ص 107

بالملاءة، والنواجع السراع من النوق والإبل.

وقال تأبط شرًا:

وأدهمَ قد جبتُ جلبابَه كما اجتابت الكاعب الخيعلا[1]

إلى أنْ حدا الصبح أثنائه ومزّق جلبابه الأليلا[2]

وقال علقمة الفحل:

يعدو به سابحٌ، نهدٌ مراكله، مُجَلَّبٌ بسواد الليل جِلبابا[3]

وقال الأعشى الكبير:

هِركُولةٌ مثل دِعصِ الرمل أسفلُها مكسوّةٌ من جَمالِ الحسنِ جلبابا[4]

قال أبو زيد:

مجلبب من سواد الليل جلبابًا[5]

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

"معاشر المسلمين، استشعروا الخشية، وتجلببوا السكينة".[6] وقال: وتجلبَبَ الخوفَ".[7]

وكذا يبدو من الأبيات التالية أنّ الجلباب يغطّي الوجه أيضًا فقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

قالتْ سُعَيدةُ والدموعُ ذوارفُ منها على الخدّينِ والجلباب[8]

---

[1] الخيعل: القميص الذي لا كمّ له، وفي حماسة ابن الشجري (178/1): ثوب تبتذله المرأة كالبقيرة، الأدهم: الليل، جبته واجتبته: لبسته ودخلت فيه.

[2] ديوانه، ص 164

[3] ديوانه، ص 13

[4] ديوانه، 640/2

[5] تفسير الكشاف، ص 864

[6] نهج البلاغة، ص 97

[7] المصدر نفسه، ص 118

[8] ديوانه، ص 28

وقال الشماخ بن ضرار الشيباني:

وترفع جِلبابًا بعبلٍ موشّمٍ يكُنَّ جبينًا كان غيرَ مُشَجَّج[1]

قال الشارح في معنى البيت: "أنها تتقي من تخاف وقوع نظره عليها بيدها وخمارها وجلبابها".[2]

وقال حميد بن ثور الهلالي:

حتى اكتسى الرأسُ قناعًا أشيبا
أملحَ لا لذًا ولا مُحَبَّبا
أكرهَ جِلبابٍ إذا تُجُلبِبَا[3]

وقال الفرزدق:

إذا حُسِرَتْ عنها الجلابيبُ وارتدتْ إلى الزوج ميّالًا يكادُ يصورها[4]

وقال جرير:

من كلِ حَنكَلَةٍ[5] ترى جلبابَها فَروًا وتقلِبُ للعباءة نيرا[6]

وقال الأخطل:

إذا جاء سربٌ من نساء يَعُدْنَها تَعَرَّيْنَ، إلا من جلابيبَ أو خُمر[7]

يعدْنها أي يزرن للتعزية.

[1] ديوانه، ص 75
[2] ديوان الشماخ بن ضرار الشيباني، ص 75
[3] ديوانه، ص 61
[4] ديوانه، ص 313
[5] الدميمة السوداء والجافية
[6] ديوانه، ص 225
[7] ديوانه، ص 145

وشعر كثيّر عزة أبين في تحديد أنّ الجلباب ما يغطّي الوجه كذلك كما قال:

واجرةٍ يا عزَّ يلتفَّ حرَّها بركبانها من حيث ليّ العمائم
نصبتُ لها وجهي وعزّةُ نتقي بجلبابها والسِتر لفحَ السمائم[1]

وقال سلامة بن جندل:

تُجري السواكَ على غُرٍّ مُفَلَّجةٍ لم يغذُها دَنَسٌ تحت الجلابيب[2]

وقال أعشى همدان:

فقد تركوا الأهلينَ والمالَ خلفهم وبيضًا عليهنّ الجلابيبُ خُرَّدا[3]

وقالت جنوب:

تمشي النسور إليه وهي لاهية مشي العذارى عليهنّ الجلابيب[4]

وقال روبة بن العجاج:

والأمرُ يُقضى في الشقا للنُّيّاب
بل بلدٍ ذي صُعُدٍ وأصياب[5]
يُخشَى مَراديه وهجْرٍ ذوّاب[6]
أشهبَ ذي سُرادقَ وجِلباب[7]

[1] ديوانه، ص 450
[2] ديوانه، ص 226
[3] ديوانه، ص 104
[4] ديوان الهذليين، 125/3
[5] أصياب جمعُ صيب: وهو تصوّب نهر أو طريق يكون في حدور.
[6] المرادي من الردى: المهالك، الهجر: شدة الهاجرة والحرّ، أشهب: شديد البياض من لون السراب كأنّ عليه سرادقًا وجلبابًا.
[7] شرح ديوانه، 245/3

وقال قيس بن الحطيم:

كأنّ القرنفل والزنجبيل وذاكي العبير بجلبابها[1]

وقال جرير يصف الخيل:

تخدِي بنا نُجُبٌ أفنى عرائكَها خِمسٌ وخِمسٌ وتأويبٌ وتأويب[2]

حتى اكتستْ عرقًا جَونًا على عرقٍ يُضحي بأعطافها منه جلابيب[3]

وقال ذو الرمة:

إذا اكتستْ عرقًا جَونًا على عرقٍ يُضحي بأعطافها منه جلابيب[4]

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

مرّ بي سِربُ ظباءٍ رائحاتٍ من قباء

زُمرًا نحو المُصلّى مُسرِعاتٌ في خلاء

فتعرّضتُ وألقَيْـ ـتُ جلابيبَ الحياء[5]

ولقد استعار منها الراعي فأبدع معنى جديدًا فقال:

إني أقسّمُ قدري وهي بارزةٌ إذ كلّ قدرٍ عروسٌ ذاتُ جلباب[6]

فبدا من هذه الشواهد أنّ الجلباب غطاء من ثوب للجسد ومنه الوجه خاصة.

وقال القتّال الكلابي لما احتجب في حجلة ابنة حبيب بن جبّار بن سلمى مخافة بعث مروان:

ألا هل أتى فتيانَ قومي أنني تسمَّيتُ لما اشتدّتِ الحربُ زينبا

[1] ديوانه، ص 48

[2] تأويب: أنْ يمشي القوم طول النهار وينزلوا في الليل، جون: أسود.

[3] ديوانه، ص 35

[4] ديوانه، ص 23

[5] ديوانه، ص 22

[6] ديوانه، ص 42

فلما جلى الصبحُ جُنْحَ الظلام وأبديتُ للقوم البنان المخضّبا[1]

وكان العرب يعتبرون الحجاب ما تفتخر به النساء فقال عنترة بن شداد العبسي:

فخرُ الرجال سلاسلٌ وقيودُ وكذا النساءُ بخانقٌ وعقود[2]

بخنق جمعه بخانق: قناعٌ يغشى عنق المرأة وصدرها.

وقالت الشاعرة الجاهلية صفية بنت ثعلبة الشيبانية معتبرة الجلباب دليلًا على شرف المرأة وعزتها فقالت:

المجدُ والشرفُ الجسيم الأرفعُ لصفيّةٍ في قومها يُتَوَقَّعُ

ذاتِ الحجابِ لغيرِ يومِ كريهةٍ ولدى الهياج يُحَلَّ عنها البرقعُ

نطقاءُ لا لوصالِ خلٍّ نطقُها لا، بل فصاحتَها العوالي تسمع[3]

كما كانوا يذمّون الفتاة التي تمشي بدون الجلباب فقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

قالت لذاك لها فتاةٌ عندها تمشي بلا إتبٍ ولا جلباب[4]

ويعير الكميت الأسدي خصومه فيقول:

ولا يُدنين من خفرٍ حياءً على أعقابهنّ إذا رُمينا[5]

وبالجملة فبدا من دراسة هذه الشواهد أنّ معنى الآية "يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ" ليست سوى أنْ تغطّي النساء وجوههن بالجلباب فالقول بأنّ الوجه لا يدخل فيما تجب تغطيته صادر عن قلة ممارسة كلام العرب.

[1] ديوانه، ص 35
[2] ديوانه، ص 56
[3] شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص 24
[4] ديوانه، ص 73
[5] ديوانه، ص 460

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. ديوان ابن مُقبِل، تحقيق: د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 1995م
3. ديوان أعشى همدان، تحقيق: د. حسن عيسى أبو ياسين، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1983م
4. ديوان الأخطل، شرح: مهدي محمّد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994م
5. ديوان الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط3
6. ديوان الأعشى الكبير بشرح محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، إدارة البحوث والدراسات الثقافية، الدوحة، قطر، 2010م
7. ديوان الشماخ بن ضرار الشيباني، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، د.ت.
8. ديوان الفرزدق، شرح الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م
9. ديوان القتّال الكِلابي، تحقيق وتقديم: إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1989م
10. ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م
11. ديوان المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6
12. ديوان النابغة الذبياني بشرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م
13. ديوان الهذليين، الجمهورية العربية المتحدة، الثقافة والإرشاد القومي، طبعة دار

الكتب، بيروت، 1996م
14. ديوان امرئ القيس، ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م
15. ديوان تأبط شرًا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984م
16. ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986م
17. ديوان حاتم الطائي، شرح: أبي صالح يحيى بن مدرك الطائي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1994م
18. ديوان حميد بن ثور الهلالي، صنعة: الأستاذ عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1951م
19. ديوان ذي الرمة، تقديم وشرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م
20. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم: الأستاذ علي حسن فاعور، دار التب العلمية، بيروت، ط: 1، 1988م
21. ديوان سلامة بن جندل، صنعة: محمد بن الحسن الأحول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م
22. ديوان عبيد بن الأبرص، بشرح: أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م
23. ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.
24. ديوان قيس بن الحطيم، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1962م
25. ديوان كُثيِّر عَزّة، جمع وشرح: د. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971م
26. ديوان مسكين الدارمي، جمع وتحقيق: عبد الله الجبوري وخليل إبراهيم العقبة، مطبعة دار البصرى، بغداد، ط:1، 1970م
27. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمع وترتيب: بشير يموت، المطبعة

الوطنية، ط1، 1934م
28. شرح ديوان الحماسة، كتب حواشيه: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م
29. شرح ديوان روبة بن العجاج، تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي محمد، جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية، ط1، 2011م
30. شرح ديوان عنترة بن شداد العبسي، للعلامة التبريزي، دار الكتاب العربي، ط1، 1992م
31. شعر الراعي النميري وأخباره، جمع وتقديم وتعليق: ناصر الحاني، دمشق، 1964م
32. علقمة الفحل، شرح ديوان علقمة الفحل للسيد أحمد صقر، المطبعة المحمودية، القاهرة، ط1، 1935م
33. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009م
34. مختارات شعراء العرب لهبة الله بن علي أبي السعادات العلوي المعروف بابن الشجري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م
35. نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط4، 2004م

ISSN: 2321-7928

نظرات في مؤلفات الإمام عبد الحميد الفراهي
(في ضوء ما نُشِرَ في مجلة الهند عن الإمام الفراهي)

- د. جمشيد أحمد الندوي[1]

أثر الإمام الفراهي مؤلفات قيمة ذات أهمية بالغة تشهد بعلوّ كعبه حول الموضوعات المختلفة وهي لا تزال موضع اعتناء للعلماء والباحثين. ويمكن أن نقدر حجم أبحاثه الكثيرة من هذه الكتب. وكان له رؤية عميقة في البحوث الفلسفية قديمها وجديدها، ترى ملامحها في كتاباته. وكان مولعًا بالقرآن الكريم، فقضى حياته كلها شارحًا معانيه وموضحًا مفاهيمه.

كثيرًا ما كان الإمام الفراهي يكتب بالعربية وكل ما كتب عن القرآن كتبه حين انشرح صدره بما كتب، ولقد ألّف تفسير السور المختلفة حينما ظهر له في تفاسير القرآن أنهم عدلوا عن صحيح تأويل القرآن أو ضعّفوه فوضعوه وراء ظهورهم وقد كان يقول الإمام خلال إلقاء الدروس أنّ العديد من الأقوال الصحيحة ذكرها المفسرون بـ"قيل" أو "يقال" فأقلوا من مفهومها والحال أنّ تلك الأقوال هي الصحيحة. لقد أوتي الأستاذ الإمام ذهنًا وفكرًا ممتازًا عن الآخرين وعلى هذا فحيثما وقف قلمه البديع في كتاباته العربية أو الأردوية لم يقدر على إكماله الآخرون ولا زادوا عليه وحتى عجز عن ذلك تلامذته الذين قضوا أعمارهم في الاستفادة منه فما تراه من الفراغ في تفسير سورة الإخلاص وغيره من التفاسير بقي فارغًا حتى الآن ولا يستطيع أحد منا أن يملأه.

لم يكن الإمام الفراهي مؤلفًا على طريقة مؤلفي وكتّاب عصرنا فلم يكن يحبّ الكتابة لأجل الكتابة بل كان يكتب عندما يجد شيئًا جديدًا حين البحث والتحقيق. يبلغ

[1] رئيس، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مومبائ، مومبائ، مهاراشترا

عدد كتبه ومؤلفاته نحو خمسين كتاباً ورسالة بالعربية في شتى العلوم والفنون وخاصة منها الدراسات القرآنية، طبعت بعضها وما زالت بعضها الأخرى مخطوطة، ومن أهم مؤلفاته هي: "مفردات القرآن"، "أساليب القرآن"، "التكميل في أصول التأويل"، "تاريخ القرآن"، "دلائل النظام"، "حكمة القرآن"، "حجج القرآن"، "القائد إلى عيون العقائد"، "الرائع في أصول الشرائع"، "إحكام الأصول بأحكام الرسول"، "أسباب النزول" و"الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ" وغيرها.

لو لم يكتب الإمام الفراهي شيئًا عن القرآن سوى تعليقات في تفسير القرآن الكريم لكفت حلّ مشكلات القرآن كلها ودرسه وتدريسه، وفهمه وتفهيمه، ولكشفت عما أغلق منه وثبتت هذه التعليقات سراجًا لمن أراد تكميل تفسير "نظام القرآن" من تلامذته الخواص.

وكما ركّز الإمام الفراهي جلّ مؤلفاته ورسائله على القرآن وعلومه فقام بخدمات علمية جليلة في هذا المجال كذلك ربّى جيلًا علمياً قرآنيًا واصل عمله المبارك هذا ومن أبرزهم الشيخ أمين أحسن الإصلاحي والشيخ أختر أحسن الإصلاحي والشيخ محمد سعيد الندوي والشيخ نجم الدين الإصلاحي والشيخ محمد شبلي الندوي والشيخ عبد الصمد الندوي الذين نالوا شهرة كبيرة في الأوساط العلمية وروّجوا أفكار ونظريات الإمام الفراهي في الهند وخارجها.

ولو أنّ مؤلفاته غير المطبوعة معظمها غير مكتملة ولكن بإمكاننا أن نقوم بأعمال جليلة بناء على المباحث التي تحويها هذه الكتب والرسائل. نريد فيما يلي أنْ نتحدّث قليلًا عما تحويه مؤلفاته وندلي بتعليقاتنا على ما مسّت الحاجة إليه.

- **إحكام الأصول بأحكام الرسول:**

هذه الرسالة في علم أصول الفقه المأخوذ من استنباطات الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في القرآن الحكيم.

بيّن الإمام الفراهي فيها أنّ تعاليم الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كلها مستنبطة من القرآن الكريم وكشف القناع عن حجية أحكام الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأنها مأخوذة من القرآن الكريم .

هذه الرسالة تتكون من جزئين: أما الأول، فعنوانه إحكام الأصول بأحكام الرسول، والآخر في بيان أسباب النزول.

ويبدو أنّ الجزء الأول من الرسالة لا يتعلق بعلوم القرآن؛ بحيث يشتمل على مبحث من علم أصول الفقه، ولكن الواقع أنّها بجزئيها لها علاقة وثيقة بعلوم القرآن؛ فإنّ الجزء الأول يدل على أنّ الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يستنبط الأحكام من القرآن الكريم، فمعرفة هذه الاستنباطات وطرقها وكيفيتها من مباحث علوم القرآن، ولم يعتن العلماء السابقون به اعتناءً كافيًا، والجزء الثاني لا يحتاج إلى قول قائل؛ فإنه من أهم أبواب علوم القرآن.

تحدّث الإمام الفراهي في رسالته المذكورة عن ست مسائل مهمة في أصول الفقه، ثم تطرق إلى ذكر بعض المسائل المختلفة، والهدف من وراء هذه المسائل أنّ كل ما شرع به رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ليس نابعًا ومستنبطًا إلا من القرآن الكريم، مثل قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ "لا تجتمع أمتي على ضلال"، مبني على قول الله عَزَّوَجَلَّ: "وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥". (سورة النساء: 115). وفي الرضاعة الكبرى جاء عن عائشة أمّ المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا وذكره رجال التفسير الآخرون والعلماء حيث قالوا إنها كانت تعتقد أنّ رجلًا لو رضع من ثديي امرأة تثبت الرضاعة له بهذا العمل، فكتب الفراهي استنادًا إلى المؤطا والزرقاني أنّ استناد هذه الرواية إلى السيدة عائشة أمّ المؤمنين غير صحيحة[1] كما تكلم في هذا الكتاب على بعض المسائل الأخرى من هذا النوع.

[1] إحكام الأصول في أحكام الرسول، ص 120

وهذه الرسالة تبدأ بمقدمة تشتمل على الحكم والفوائد التي تحصل بمعرفة طرق استنباط الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فيذكرها الفراهي أولًا بقدر من التفصيل، ثم يلخّصها قائلًا: "وإن شئت سرد ما قد ذكرناه من فوائده العظيمة، فاعلم:

1. أنّ فيه تأسيسًا لعلم أصول الفقه الذي يعم الشرائع والعقائد، وهو المعنى الأعلى للفقه، وبه يتم التأسي بالرسول فيما علمنا من الكتاب والحكمة،
2. وأنّ فيه اعتصامًا بعروة وثيقة في تأويل الكتاب بنفس الكتاب،
3. وأنّ فيه كشفَ قناعٍ عن رفيع منزلة الرسول وعلوّ محل كتاب الله الحكيم العلام،
4. وأنّ فيه رفعَ نزاع من بين العلماء في تطبيق السنة بالكتاب،
5. وأنّ فيه إطاعة لما أمرنا الله به من الرجوع إلى الله والرسول عند التنازع،
6. وأنّ فيه خروجًا من اختلاف ربما يفضي إلى خلاف- أعاذنا الله منه- وهو الغاية التي يجري إليها أكثر ما أصنّف، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، وإياه أدعو وهو نعم المجيب".[1]

ويبدو من خلال دراسةٍ لبحوث الإمام الفراهي وخدماته أنه كان يريد أن يقدم الإسلام وشخصية النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى العالم وخاصة إلى المستشرقين في أسلوب علمي. ولا يزال ينهمك في تقديم حبّه للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من خلال البحث والتحقيق. وإتمامًا لهذا الهدف رتّب الفراهي كتيباً صغيراً باسم "إحكام الأصول بأحكام الرسول" يشمل خمس عشرة صفحة. وهذه مسودة غير تامة ولو تم الكتاب لكان إضافة قيمة في مؤلفات السيرة النبوية. ولعله من المناسب أن ننقل هنا ما قال الدكتور أجمل أيوب الإصلاحي في التعريف بهذا الكتاب.

[1] رسائل في علوم القرآن للإمام عبد الحميد الفراهي، المجموعة الثانية، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، أعظم جراه، الهند، 2011، ص 112

"كان الفراهي يريد بهذا الكتاب أن يبيّن أصول استنباط الأحكام الفقهية في ضوء الاستنباطات القرآنية للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. تشمل مسودة هذا الكتاب سبع عشرة صفحة. فيه أرقام الصفحة إلى ثماني صفحات ثم وضعت مباحث متفرقة متعلقة بهذا الكتاب. وتتضمن المبيضة تسع صفحات. وجاء اسم الكتاب وموضوعه على غلافه هكذا: "إحكام الأصول بأحكام الرسول في علم أصول الفقه المأخوذة من استنباطات الرسول عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ من القرآن الكريم". ويبدأ التمهيد على الورقة الثالثة بعد البسملة وخطبة الكتاب:

"أما بعد فهذا كتاب في أصول الفقه المؤسسة على أحكام الرسول عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ مما استنبطه من كتاب الله، وهذا علم جديد، وإنما لم يلتفت العلماء إليه لظنهم بأنّ الله تعالى لما فرض عليهم طاعة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، أغناهم عن طلب السند لما كان يأمرهم به وينهاهم عنه. فإنّ قوله عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ أصل مستقل سواء استنبطه من الكتاب أم لم يستنبطه. وهذا أمر مسلم لا يشك فيه مسلم ومع ذلك معلوم أنه عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ كان يستنبط من كتاب الله كما جاء التصريح منه عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ في كثير من الأحكام وقد أمره الله عَزَّوَجَلَّ بذلك في القرآن كما سنذكر جملة وندع تفصيلها للتدبر".[1]

وملخص رسالته هو أنّ العلامة كان يؤمن بأنّ القرآن هو الأصل والأساس في فلسفة الشريعة وأحكامها، ويقول إنه إذا تناقض شيء بين القرآن والحديث فالأصل هو القرآن الكريم لأنه قطعي الدلالة منزل من عند الله، والأحاديث ظنية تشتمل بجانب أقوال الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على روايات بالمعنى، فالقرآن هو الذي يرجح، وإن وجدت هذه الأحاديث والروايات في كتاب البخاري الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله أو في صحيح مسلم الذي يساويه في المرتبة.

فقد بذل الإمام الفراهي أكبر جهد في كتابه هذا للقضاء على الاتجاه التقليدي القديم في الأصول، ولتقديمه بطريقة متوازنة. ولا ينبغي لنا أن نفهم بهذا في أيّ

[1] علامه حميد الدين فراهي- حيات وأفكار، ص67-68

صورة أنه لم يهتم أحدٌ بذلك قبل الإمام الفراهي، فقد مضى عدد من العلماء في كل عصر ومصر ألقوا نظرة انتقادية على هذا الاتجاه، لكن طبيعة خدمة الفراهي فريدة تمامًا.

فقد عالج الإمام الفراهي في هذه الرسالة قضيتين مهمتين، وإن لم يقدر له إتمامهما، إلا أنه قدّم نقاطًا لطيفة وآراء مفيدة جدًا في الموضوعين، وهذه كلها بأسلوب رائع وبلغة فصيحة، فهذه الرسالة تستحق عناية الباحثين واهتمام الدارسين.

وكما تلقي هذه الرسالة الضوء على أحكام الرسول فما قاله الإمام الفراهي في هذا الصدد مهم جدًا، فننقله فيما يلي:

"فاعلم هداك الله أنّ أحكام الرسول من حيث نسبتها إلى الكتاب على ثلاثة أقسام موجودة، وقسمين مفروضين.

فالقسم الأول ما صرح فيه الرسول بأنه حكم بالكتاب، ولم يكن الحكم بظاهر الكتاب ونصه. فقد علمنا أن كان يستنبط منه وقد أمره الله أن يبيّن للناس ما نزل إليهم كما مرّ، ومعرفة وجه الاستنباط لا تصعب بعد العلم بالأصل والفرع.

والقسم الثاني من الأحكام ما لم يصرح فيه بذلك ولكن وجه استنباطه من الكتاب ظاهر على العارف بدلالات الكلام. فالحكم بكونه مأخوذًا من الكتاب أقرب إلى الصواب، فإنّ الله تعالى أمره بالحكم بما أراه الله من نص الكتاب أو غامضه. قال تعالى: "إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥". (سورة النساء: 105)

فقد بسط الإمام الفراهي الكلام في هذا الموضوع، وأكّد أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستنبط من القرآن الكريم، ففي بعض الأحيان صرح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه حكم الكتاب، وحينًا آخر لم يصرح فيه، ولكن وجه استنباطه من الكتاب ظاهر على

العارف بدلالات الكلام، والقسم الثالث فيه ما لا نجده في الكتاب، ولكن الزيادة به محتملة، فجعلنا السنة فيه أصلًا مستقلًا لأنّ الله تعالى أمر الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالحكم بما يريه الله تعالى سواء كان بالكتاب أو بالنور والحكمة التي ملأ الله بها قلبه، وهذا القسم الثالث أيضًا مأخوذ من القرآن، ولكنه مكنون.

فخلاصة القول: إن الله هدى نبيه بالقرآن من جهة مكنونة أيضًا وهذا ما أشار الله عَزَّوَجَلَّ بقوله "وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢". (سورة الشورى: 52) فأحيى الله قلب نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بهذا الروح، وهداه بهذا النور، فعلّمه ما لم يكن يعلم.[1]

ثم استدل المؤلف على موقفه بقول الإمام الشافعي "إن فتاوى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كانت مستنبطة من القرآن" وأنّ الشافعي -رَحِمَهُٱللَّهُ- استدل في ذلك بقوله تعالى "فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ".[2]

ثم يقول المؤلف: "سواء صح هذا الاستدلال أو لم يصح، لا شك أنّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يستنبط من القرآن، وذلك بدا لي من مطابقاتٍ وجدتها بين قول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والقرآن، والآن نذكر منها، فنقدم بعضًا منها على سبيل المثال:

1. قول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم" أصله في القرآن: " وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ". (سورة التوبة: 100)
2. جاء في الحديث الشريف أن "الكلمة الطيبة صدقة" فهذا مستفاد من الآية:

[1] رسائل في علوم القرآن للإمام عبد الحميد الفراهي، المجموعة الثانية، ص 113-114
[2] المصدر نفسه، ص 126

"قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى" والآية: "وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا".

هذه بعض الأمثلة من استنباطات الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من القرآن الكريم وهناك أمثلة أخرى ذكرها الفراهي في هذه الرسالة بقدر من التفصيل، ومنها حديث موسى وحديث السبع المثاني وأحاديث الرضاع، وأحاديث تحريم الجمع بين المرأة وأختها وعمتها وخالتها، وأحاديث الرجم وتغريب عام، وهذه كلها مستنبطة من القرآن الحكيم.

ويختم الفراهي هذا المبحث بذكر "أصل راسخ" وهو حكمة الله -عَزَّوَجَلَّ- في الشريعة وأحكامها، فالرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يعرف هذه الحِكم معرفة كاملة، وأحكامه كانت مبنية على رعاية هذه الحكم التي ذكرت في القرآن صراحة أو بدونها، وفي نهاية هذه الرسالة أضاف المؤلف رسالة من عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- وهذه الرسالة مملوءة بالحكم والمعارف.

هذه الرسالة شاملة في مجموعة ثانية لرسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن التي صدرت الطبعة الأولى من الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، يو- بي، الهند. في 1432هـ/2011م. أعدّها أ.د. عبيد الله الفراهي (ت2021م)، وراجعها الشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي ولو أنّ المجموعة تخلو من مقدمة المدير الجامع ولكنها تشمل المراجع الهامة الضرورية فهي طبعة شبه محقّقة.

أما الجزء الثاني لهذه الرسالة- كما سبق ذكره- فهو ما سمّاه المؤلف بـ"أسباب النزول" ويتعلق بكتاب إحكام الأصول بأحكام الرسول. إنّ الجزء الثاني قد طبع على حدة ويلقي الضوء عليه في الصفحات الآتية.

- **الأزمان والأديان (غير مطبوع):**

هذه الرسالة في حكمة عناية الدين بشهور وأيام وساعات معينة وكشف فيها الإمام الفراهي

عن أسرار ورموز الأشهر والأيام والأوقات الخاصة في الدين والتواريخ المهمة في الإسلام وأثبت بأنّ الدين لا يتقلب بتقلب الأزمان، والدين كله واحد. لهذه الرسالة ثلاث مسودّات يبلغ عدد صفحاتها 22 صفحة. (في مقالة: عدد أوراقها 11 ورقة)

- **أسباب النزول:**

هذه الرسالة في بيان أسباب نزول القرآن الكريم كما هو واضح من عنوانه. بيّن فيها الإمام الفراهي نظريته وآراءه عن شأن وأسباب نزول الآيات القرآنية. وهو الجزء الثاني لرسالة "إحكام الأصول بأحكام الرسول" كما سبق ذكره في دراستها.

هذه الرسالة منضمة إلى المجموعة الثانية لرسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن وهي عبارة عن "أساليب النزول" وتحتوي على 10 صفحات. ذكر الإمام الفراهي فيها مبحثًا عن أسباب النزول والقصة المتعلقة بهذا الشأن. كما تطرق على بيان نكت علمية ودراسات قيمة في هذا الصدد، والنكتة المهمة والتي لم يذهب إليها العلماء وهي: ليس المراد من سبب النزول ما لأجله نزل الوحي إنما هو شأن الناس وأمرهم والحالات والواقعات التي بينها وبين ما نزل...[1] وهو كلام نفيس جدًا عن في تعريف أسباب النزول. ظهر فيه إمعانه النظر في كلام السلف.

طبعته الدائرة الحميدية ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن (المجموعة الثانية)، سرائ مير، أعظم كره، أترا براديش، الهند، إعداد: د. عبيد الله الفراهي، والمراجعة: الشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي، الطبعة الأولى، 1432هـ/2011م.

- **أساليب القرآن:**

هذا كتاب رائع للإمام عبد الحميد الفراهي، لم يخصّه الإمام بذكر أساليب القرآن بل أراد أنْ يبيّن فيه أساليب العربية بما فيها أساليب القرآن. ، كما يقول بنفسه: "هذا الكتاب ليس

[1] الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ، ص 129

ككتاب المفردات مختصًا بالقرآن، ولكنه متضمن لفن برأسه، يجري حكمه في عموم أساليب كلام العرب، غير ما اختص بالقرآن لكونه منزلًا على رسول؛ وهذا الفن صنو اللغة، والفرق أنّ اللغة علم مادي خاص، وهذا علم صوري عام. وموقعه بعد النحو؛ فإنه إتمام له، وهو بالحقيقة ما سمّوه بفن المعاني. ولكن القوم فاتهم هذا التصميم واختلط عليهم الأمر فجعلوه جزءًا من فن البلاغة، فكان دخيلًا غير موفٍ له الحق، فلو وجدت فن المعاني على سداد أمره واستقصاء مسائله، كفيت هذا التجشم".[1] ولذا سمّاه بـ"أساليب القرآن"، وهو اللائق به؛ لأنّ كل كتابات الفراهي انصبت في تمهيد السبيل لفهم القرآن وتدبره واستخراج أسراره ومعانيه العميقة، ولكنه لم يوفّق له سوى بيان بعض أساليب القرآن.

ومما يدلّ على أهمية الكتاب وموضوعه محتوياته وما يحتله هذا الفن من مكانة عالية شامخة في التصريحات والتعليمات التي ذكرت في هذا الكتاب، ولكن الإمام الفراهي لم يتحدَّث عن أهمية هذا الفنّ ولم يتناول هذه النقاط إلا بإيجاز واختصار، ولو قمنا باستعراض هذه النقاط لطال الكلام ولضاق المقام، ولم يثر كذلك علماء المعاني موضوع أساليب الكلام، إلا أنّ الفقهاء الأصوليين اقتبسوا من هذا الموضوع بعض القواعد والمسائل حسب ما ألجأتهم الضرورة إليه، ولم يستطع هذا الفن أن يركز عناية عدد من الباحثين والمحققين رغم أنه يحمل في طيه أهمية بالغة قصوى، والفراهيُّ هو أول من استشعر أهمية هذا الفن في فهم القرآن، ولم ير بدًا أن يؤلف فيه تأليفًا مستقلًاّ، فلم يسبقه أحد في هذا الباب، والفضل في ذلك يرجع إليه، فليته أتَمَّ هذا الكتاب وفقًا لما كان تصوره، وما كان في الكتاب فهو ناقص، ورغم ذلك كله لا يمكن الجحود والإنكار بأهميته وإفادته.

[1] أساليب القرآن لعبد الحميد الفراهي، جمع: بدر الدين الإصلاحي، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، 2003م، ص: 6.

وقد تطرَّق كلام الإمام الفراهي في هذا الكتاب إلى أساليب الكلام ومواقع استعمالها المتنوعة مصحوبة بالأمثلة القرآنية عن طريق العناوين المختلفة التي يصل عددها إلى اثنين وثلاثين بعد وضع الأبواب والفصول التمهيدية، ولا يمكن الوصول إلى المعنى المراد الصحيح إلا بمعرفة هذه الأساليب ومواقع استخدامها.

ومما يجدر بالذكر أنّ الأمثلة المختلفة كلها في هذا الكتاب مقتبسة من القرآن الكريم، غير أنّ هناك أمثلة عديدة مأخوذة من أساليب كلام العرب.

وإنّ نظرة سريعة على عناوين الكتاب ومحتوياته تكفي لمعرفة ذكاء المؤلف، وتوقُّد ذهنه، وتبحُّر علمه، وسعة مطالعته، وآرائه القيمة، وأفكاره السديدة، فجاء ككتاب مستقل بعينه يسلِّط ضوءًا على أساليب القرآن.

هذا الكتاب عبارة عن إشارات متفرقة قام بجمعها الأستاذ بدر الدين الإصلاحي- مدير الدائرة الحميدية- وألقى الضوء على أهمية هذا الكتاب وأبرز مكانته القرآنية والأدبية والدافع لنشره لهذا الكتاب في ديباجة الكتاب وتفرده في هذا المجال وعبقريته الموسوعية القرآنية فيقول:

"إنّ هذا المجموع أول خطوة الاستاذ الإمام الفراهي في هذا الميدان والحق أنه ما حقق فيه من آداب القرآن وأساليبه فهو على أساس متين مأخوذ من سنن كلام العرب الخالص والقرآن الحكيم لا أمت فيه ولا عوج فإن نظرنا فيه وسلكنا سبيله في دراستنا فالمرجو منه أن يكون شعورنا بجمال القرآن وأساليبه أدقّ وألطف ويكون لنا التطلع إلى إعجازه أسهل وأقرب والله هو المستعان وبيده التوفيق".[1]

وكما يقول: "هذا الكتاب يحتوي الإشارات التي اختزنها أستاذنا الإمام الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأفرده لذكر وجوه الأساليب في القرآن، ومفاهيمها وبيان دلالاتها ومواقع استعمالاتها

[1] كلمة الجامع بدر االدين الإصلاحي، رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، ص147

التي تعين على فهم المعنى المراد، ولكنه لم يتيسر له أنْ يؤلّف هذا الكتاب الجليل، وينقل فيه هذه الإشارات إلى مواضعها. فبقيت هي، كما كانت، مبثوثة في مخطوطاته ومبعثرة فيها، ولكنها إذ كانت مشتملة على مباحث مهمة وفوائد جليلة، فأردت أنْ أجمع هذه الدرر وأنظمها في سلك، لعلها تكون نافعة لمن أراد أنْ ينتفع بها. فجمعتها في هذا المجموع من زيادة ولا نقصان. فالرجاء من الذين سيقرؤونه أن لا يعاملوه ككتاب مرتب، بل ينظروا فيه بالإمعان والتدبر، لأنه مجموع من الإشارات".[1]

أوضح الإمام في "أساليب القرآن" الأساليب المختلفة في ضوء كلام العرب والقرآن الكريم لكي لا تبقى مشاكل التأويل والفهم للقرآن في مثل هذه المواضع واكتشف كثيرًا من الأساليب الجديدة بفطانته وتحقيقه، وبمهارته في كلام العرب وممارسته التي لم ينظر لها مثال لدى العلماء القدماء وكتابه الصغير المذكور خير دليل على دعواه هذه فقد قام العلامة الفراهي بحلّ العديد من أساليب القرآن في ضوء اللغة العربية.

قد أوضح الأستاذ غاية "أساليب القرآن" ألا وهي تأصيل لفهم القرآن الصحيح ونسف للتأويل السيء. والمفسر قد احتاج أشد الاحتياج إلى المعرفة بالأساليب والمعاني وبدونها هو يمشي على الطرق الضالة التي تبعد المفسر بعيدًا عن المفاهيم القرآنية والمقاصد المطلوبة كما صرّح الأستاذ الفراهي في غاية الكتاب:

"كما أنّ المقصود من كتاب المفردات إحاطة العلم حتى الوسع بدلالة الكلم بحرمة وجوهه فكذا المقصد من هذا الكتاب إحاطة العلم حتى الوسع بدلالة الصور والأساليب ومواقع استعمالها فإنّ محض العلم بأسلوب خاص من دون تخصيص مواقعه يفتح بابًا عظيمًا لسوء التاويل مثلًا قالوا: إنّ كلمة "لا" ربما تأتي زائدة. فإهمال هذا القول أقرب إلى الضرر منه إلى النفع فإنه يجعل للنفي إثباتًا فلا بد أن نعلم مواقع الأساليب فنستدل على معانيها ولا نحوّلها عن مواضعها الخاصة. ومن هذه الجهة اشتدت الحاجة إلى إقامة

[1] المصدر نفسه، ص 147

الحجة على هذه الدلالات فإنّ ذلك جزء من معاني الكلام والجاهل به كالجاهل ببعض المعاني لكلمة مشتركة فلا يؤولها إلا إلى ما علم من معانيه وربما يكون المراد غيره".[1]

وقدكان الإمام الفراهي وضع كتابًا آخر كتوطئة لهذا الكتاب يسمّى بـ"مفردات القرآن" الذي يبحث فيه الألفاظ المفردة ويتناولها بكشف معانيها ووضع حدودها وقيودها وتجلية ملامحها وقسماتها وشرح لوازمها وعوارضها فبعد ما يفرغ القارئ من معرفة الألفاظ المفردة يترقى إلى معرفة الجمل والتراكيب فههنا يأتي دور "أساليب القرآن" يسلط الضوء على الطرق الموجهة لفهم دلالة التراكيب المختلفة الوجوه التي تدل عليه الأساليب المختلفة".[2]

في هذا الكتاب تحدّث الإمام الفراهي على اختلاف الأساليب وذكر أنه كما أنّ الكلمة لها معنى حقيقي وضعت له، ومعنى مجازي ربما يكثر، فكذلك الأساليب منها حقيقي، ومنها مجازي تكثر الدلالات به، فلا بد لكلام جم الدلالة من استعمال الأساليب المختلفة مثلًا قوله تعالى "مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴿٩٨﴾". (سورة البقرة: 98) دلّ على أنّ عداوة الملائكة من عداوة الله، وعلى أنّ عداوة الملائكة كفر، وعلى أنّ جبريل وميكال من الملائكة والرسل، وعلى أنّ جبريل وميكال من كبار الملائكة والرسل، وعلى أنّ الرسل من نوع الملائكة، وعلى أنّ اليهود كانوا أعداء لجبريل وميكال، وعلى أنهم عدوّ لله. وكل ذلك مفهوم من نظم الكلام.

نرى أنّ الأستاذ الفراهي يعتني بأساليب القرآن الخاصة اعتناء بالغًا في معرفة النظم المعنوي والمراد القطعي الواحد. ومن معنى أساليب القرآن أنه ينزل آيات وأحكامًا حسب الحاجة والظروف، ثم تنزل آيات أخرى في نفس الحكم للتخفيف أو التوضيح. وهذه الآيات التي يطلق عليها المخففات والمتممات والمبينات تظهر قاطعة لنظم السورة حسب

[1] المصدر نفسه، ص 155

[2] المصدر نفسه، ص 440-444

الظاهر، ولكنها في الحقيقة ليست كذلك بل أنّ مجيئها أو نزولها متأخرة جعلت لها هذا التمييز والاستقلال، ولكن من عرف أسلوب وضعها وربطها مع الآيات الأخرى لا يصعب عليه بما قبلها وبما بعدها. والفراهي ينفرد بين المفسرين في كشفها ببراعة.

ومن أساليب القرآن عند الفراهي تبديل الخطاب ونجده يهتم أشد الاهتمام بهذا الجانب، ويضع القواعد للتمييز بينها. "قد أجمع المسلمون على أنّ القرآن كله كلام الله تعالى بمعنى أنّ الله تعالى نزّله على محمد، لا بمعنى أنّ كله خطاب من الله تعالى، فإنّ مثلًا (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[1] ليس إلا خطاب من العبد. فقال العلماء إنّ الله علّم هذه السورة كأنه تعالى قال: قولوا هكذا، ولكن ليس هناك كلمة قولوا فكيف العلم بتقدير هذا المعنى. وكذلك السؤال فيمن إليه الخطاب فإنّ للخطاب جهتين: (1) ممن، (2) وإلى من. وكلتاهما ربما تعم والمراد خاص، وربما يعكس الأمر، وإذ يختلف المعنى كثيرًا باختلاف جهتي الخطاب وعمومه وخصوصه وجب البحث عن أصول تهدي إلى الصواب فإنّ الخطأ ربما يسقط المرء في شرك الشرك. قال الرومي إنّ الله تعالى جعل الناس عبادًا للنبي حيث قال (قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ...)[2] وظني به أنه لم يرد الشرك بالله تعالى، ولكن القول يضاهي قول الذين كفروا فيغفر الله له، والأمر ظاهر، فإنّ قوله تعالى: (قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ) خطاب منه تعالى إلى العباد وصدره بقوله: (قُلْ) خطابًا للنبي الكريم لكي يبلغه إلى العباد حرفًا بحرف.

واعلم أنّ هذا العلم من علم توجيه القول العام إلى جهته الخاصة ومن لم يعلم جهة الكلام لا يصيب تأويله الصحيح، فكان ذلك مفتاحًا لفهم التأويل ونظم الحديث، والجهل به من أكبر مثارات الخبط والتخليط وتقليب المعنى".[3]

[1] سورة الفاتحة: 4

[2] سورة الزمر: 53

[3] أنظر تفسير نظام القرآن للفراهي، ص 64-65

ومن أساليب القرآن عنده النظير إلى النظير ويستغل هذه الناحية في معرفة نظم الآيات والسور بعضها ببعض بكثرة وبراعة ودقة وإتقان كما أنّ القرآن يفسّر مطالب آياتها بعضها ببعض فكذلك يدلّك على نظام مطالبها ومناسباتها بآيات بنظائره فتكثر الشواهد على رباط أمر مع أمر. وبذلك يحثّك على التأمل في جامع وصلة بينها ثم يأتي عليه بأمثلة كثيرة بعضها أوضح من بعض حتى تدرج بك على ما كان أدق وأغمض.[1]

ويقول في وضع سورة العصر بعد التكاثر أو ربط بعضها ببعض: "نظام هذه بالتي قبلها كنظام قوله تعالى "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠"."[2]

ويقول في ضمّ سورة اللهب بالنصر: "فاعلم أنّ سورة اللهب تؤكد وتوضح معنى النصر المذكور قبلها وتبشر به. وكأنه قيل: "قد نصر الله نبيه وأهلك عدوه" كما قال الله تعالى: "جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا"."[3]."[4]

هذا، وهناك أساليب قرآنية أخرى مثل ضم الترغيب بالترهيب وبيان الضد بالضد، والاستدلال على الوحدانية والمعاد بالوقائع التاريخية بعد الاستدلال بآيات الفطرة، واتصال الحرب بالنصر، والصلاة مع الزكاة، والعذاب والسلب بعد الرحمة، وأهل النار بعد أهل الجنة، وذكر أمر واحد ذي أطراف في موضع وذكر بعضها في موضع آخر، وتسلية النبي بعد الاستدلال على الوحدانية والمعاد، وإذا طال ذكر أحكام شرعية فوصلها بكليات عالية وهي مدار الشرائع من التوحيد والصلاة والطاعة

[1] راجع للتفصيل رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، ص 40- 43
[2] سورة المنافقون: 9- 10
[3] سورة بني إسرائيل: 81
[4] تفسير نظام القرآن للفراهي، ص 64-65

والتقوى ثمة إذا التمست المناسبة وجدتها بعد تأمل.[1]

والفراهي لا يستكشف هذه الأساليب كلها ولكنه يعتمد عليها كثيرًا في استجلاء النظم الداخلي، فقبل بيانه يبين هذه الأساليب ثم ينظر من خلالها في النظم المعنوي فيرجع إليه الفضل في استخدامها بطريقة مؤثرة بديعة وسهلة. ويظهر التناسق طبيعيًا لا يتردد أحد في قبوله مثلًا يقول في الربط الداخلي في سورة الشمس "فالعشر الأولى شهادات عامة من دلائل الفطرة والخمس الباقية شهادة تاريخية مسلمة. وهذا أسلوب عامّ في القرآن يجمع الله تعالى آيات الفطرة مع آيات الوقائع في الأمم الخالية".[2]

والفراهي لا يعتمد في معرفة الأساليب وخصائصها على كتب المعاني والبلاغة والنحو بل يبحثها في كلام العرب ولم يزل باحثًا إلى أنْ وجد بعض الأساليب التي لم يهتد إليها النحويون مثل الحذف من المعطوف بعض ما في المعطوف عليه وبالعكس، والحذف لشدة الأمر، وحذف جواب الشرط، وكذلك أحيى بعض أساليب مهجورة مثل الحال من المجرور، وحذف الأفعال الناقصة من المضارع، وحذف ما يدل عليه المقابل.[3]

ولذلك ألّف كتاب الأساليب وذكر فيه من الأساليب التي لم يهتد إليها العلماء أو التي ضلّوا وأخطأوا فيها كثيرًا بسبب كونها غير معروفة، منها الخطاب والالتفات، والترتيب والترديد، والتقديم والتأخير، والوصل والفصل، والحذف، والاعتراض، والتلخيص، والتفصيل بعد الإجمال، واستعمال أسلوبٍ عوض أسلوب، والتكرار والتعميم، والمقابلة والتنكير والتعريف، وتضمن القول دليله، والشرط واختلاف الأساليب في العطف وما إلى ذلك. وقد أشار الفراهي إلى نقص هذا الجانب في المفسرين ولذلك نجده يكرر ويعيد ويحث ويحرص في كل مناسبة دارس القرآن على ممارسة كلام العرب إلى أن

[1] أنظر مقدمات تفسير نظام القرآن للفراهي، ص 25-72
[2] تفسير نظام القرآن للفراهي، ص 312-313
[3] أنظر نفس المصدر، ص 171- 176

تحدث فيه ملكة فطرية لتمييز الكلام الجيد من الرديء.

ويرى الفراهي أنّ مَنْ مارس أساليب العرب وكلامهم وقارن أسلوب القرآن بأساليب العرب يظهر عليه فضل القرآن من وجوه. فيقول: "قد أفصح القرآن بكونه عربيًا مبينًا وقد وجدناه كذلك. فإنّ مَنْ مارس لغة العرب ونظر في أشعارهم وخطبهم ومحاوراتهم، وجد القرآن أسهلها كلامًا وأقومها نظمًا وأبينها مقالة وأوضحها دلالة وأجمعها سلاسة وجزالة وقد أخلص عن الوحشي الغريب كما أخلص عن التعقيد في التركيب. ثم يشهد بذلك صريح المعقول فإنّ الغرض منه التبليغ والصدع بالحق والترغيب والترهيب وهذا يقتضي كلامًا واضحًا".[1]

ذكر في هذا الكتاب من أساليب القرآن: القران والوصل، ومن تنوع الخطاب الالتفات، الحذف، العود على البدء، التفصيل بعد الإجمال، الاقتصار على بعض الشيء، وذكر الأثر لما يخفى، وجوه الوصل والفصل، اختلاف الأساليب في العطف وغيره، الاعتراض، استعمال أسلوب عوض أسلوب، الزيادة، الاستفهام، الشرط، الفصل بين المتصلين، استعمال الحال، الإثبات، النفي، التكرار، البدل، الوصف، التنكير والتعريف، العطف بالواو، الترديد، التقديم والتأخير، التخليص، التعميم والتخصيص، اختلاف الصلة والفعل، المقابلة والتفصيل، اختلاف الوضاحة على التقابل، الإبهام ثم الإيضاح، وتضمن القول دليله وذكر الأثر لما لا يخفى، وغير ذلك من الأساليب.

قد قام د.حسن يشو في مقالته بدراسة الكتاب وقسمه في المباحث الآتية:

المبحث الأول: ملابسات الكتاب

لقد اعتنى الجامع لرسائل الإمام الفراهي وهو الشيخ بدر الدين الإصلاحي؛ وهو مدير الدائرة الحميدية فقدّم كتاب: "أساليب القرآن" الذي ورد في (60) صفحة،

[1] مفردات القرآن للفراهي، ص 108

وقد أوضح في المقدمة أنّ الإمام الفراهي كان ينوي تأليف هذا الكتاب وقد اختزن له بعض الإشارات هنا وهناك؛ ولأنه لم يتيسر له جمعها في الكتاب المنشود، فإنّ الجامع قام بذلك، وأشار إلى أنّ الأساليب لها مكانة عظيمة في كل لسان، لأثرها الخاص في تأدية المعنى، وهي ذاتها ما سمّيت بعلم المعاني عند علماء البلاغة، والغرض منه أن يحيط العلم بما يدلّ عليه الكلام من المعاني، حتى يحفظ عما لا دلالة له عليه، وهو سبيل للوقوف على بعض صور الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ابتداء من الإمام الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، وأشار إلى أنّ هذا المجموع أول خطوة للإمام الفراهي يرحمه الله في هذا الميدان، وما حقّق فيه من أساليب القرآن فقد قام على أساس متين مأخوذ من كلام العرب الخالص والقرآن العظيم.[1]

المبحث الثاني: موضوع الكتاب والغاية منه

لقد أشار المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى قوله تعالى: "وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ". (سورة إبراهيم: 4)، واللسان ليس الألفاظ وحدها، بل يشمل أساليب الكلام والإشارات.

وقد أورد موضع الكتاب من العلم، فأشار إلى أنه متضمن لفن برأسه يجري حكمه في عموم أساليب العرب، مشيرًا إلى أنّ "العلامة عبد القاهر الجرجاني مهّد لفن المعاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، وزعم أنّ إعجاز القرآن ليس إلا من هذه الجهة، وكان ذلك غلوًا منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولكنه مصيب في تفخيم أمره".

كما أشار إلى غاية الكتاب، وهي إحاطة العلم بدلالات الصور والأساليب، ومواقع استعمالها، ولا تكفي المعرفة بالأسلوب دون تخصيص الموقع، فذلك قد يفتح بابًا لسوء التأويل.

[1] انظر الإمام الفراهي وجهوده في التفسير لسالم العلوي، ص 164.

المبحث الثالث: أساليب القرآن

لقد أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنّ أساليب القرآن منها ما شارك القرآن فيها كلام العرب، ولم يكن من هدفه استقصاء مسائله كلها في الكتاب، بل ما ليس منه بد فقط، فقال: "ومن الأساليب ما هو مختص بالقرآن من حيث إنه كلام جاء به النبي وأنزل عليه وعلى الناس، وفهمه مبني على صحة الفطرة، فهو بيّن عند المتقين، ومستور على الكافرين، وهذا مما لم نطلع عليه في كتب القوم، والحاجة إلى العلم به شديدة، والأصل في هذا الباب: معرفة صفات الله، ومعرفة صفات النبي ونسبة النبي إلى ربه وأمته، ومعرفة تدبيره في الخطاب ودعوة الناس، وفي الباب نستدل بالعقل الصريح، ونظم القرآن، والصحف الأولى".

المبحث الرابع: القرآن والوصل

وفيه دلالة على اشتراك القرينين في معنى كلي كما في قوله تعالى: "ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ". (سورة الرحمن: 5-6) بوضع الجملتين متصلتين دلّ على كونهما مسخّرتين ومعبّدتين، وفي هذا الأسلوب دلالة أيضًا على كون أحد القرينين توضيحًا وتأكيدًا للآخر، كقوله تعالى: "عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٖ" أو "ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ" أو "عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ" وفيه دلالة أيضًا على كشف أمرين متقابلين كقوله تعالى: {ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّارُ" أو "ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ" أو "ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ" أو "ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ" فارتباط صفة الغفار والرحيم والحكيم والعليم بصفة العزيز يتبين لنا أن هذه المختلفة تحت أمر كلي.

المبحث الخامس: الخطاب والالتفات

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإذا جاء الخطاب إلى واحد وليست هناك قرينة ظاهرة، تبادر إلى عامة المفسرين أنّ المراد به النبي وهذا يوردهم على خطأ عظيم، وحقيقة الأمر أنّ الخطاب ربما يوجّه إلى النبي، من حيث كونه إمامهم ولسانهم وإنما المراد به الناس، إما عامتهم أو طائفة منهم، فالخطاب في الحقيقة إلى الناس، وربما يوجه إلى الناس مستقلًا".[1]

[1] أساليب القرآن (ضمن المجموعة في علوم القرآن)، ص 160- 161.

وأما بخصوص الالتفات فهو معلوم في القرآن الكريم، ذلك وكأن القرآن وقف خطيباً فيلتفت يميناً وشمالًا ويخاطب هذا ويخاطب ذلك، قال تعالى يخاطب نبيه "ومَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ". (سورة النحل: 43)، ثم التفت إلى الناس وقال: "فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ" (سورة النحل: 43- 44]، ثم التفت إلى النبي وقال: "وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾". (سورة النحل: 44).

المبحث السادس: الحذف بإسقاط الفضول من الكلام

وقد تناول الحذف في كلام العرب وكلام الله تعالى مؤكدًا أنّ الحذف هو إسقاط الفضول عن القول، والفضول ما يفهم الكلام بدونه، وأشار إلى أنّ هذا طبع أصيل في لسان العرب، فالعرب لذكائهم وتوقد أذهانهم كان أنجح الأقوال عندهم ما قلّ وكفى؛ ولذلك لم يشكّلوا كلامهم إلا لأجل العجم، وجرّدوه من الروابط كالإضافة، والخبر، والتمييز وغيرها.. وأسقطوا من القصة والحجة أجزاء لا يكاد يحذفها غيرهم؛ ولذلك يصعب على العجم درك حديثهم.

ومعرفة أساليب العرب في الحذف مهمّ جدًا لكي لا نخطئ في تقدير المحذوف، فإنّ الذي يقدر ربما يغير معنى الكلام. كما ينبغي أن نعلم الفوائد التي يدلّ عليها الحذف، فإنّ لكل أسلوب فائدة.

ثم تحدّث عن مواقع الحذف كحذف الماضي المركب بالمضارع، وحذف الفعل بعد فعل مشابه، وحذف جواب الشرط وغيرها.

المبحث السابع: العود على بدء

والمقصود منه تنبيه على أصل الأمر وأهمه، ومثاله قول الله تعالى: "ىَ ،بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾".

(سورة البقرة: 40)، ثم عاد عليه حيث قال: "يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢". (سورة البقرة: 122).

المبحث الثامن: ذكر الأثر لما يخفى

وذلك كقوله تعالى: "ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ"، وكما قال تعالى في نعت داؤد "وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠". (سورة ص: 20).

المبحث التاسع: الاعتراض

وهو كثير، وعلى وجوه، وله فوائد؛ ومن الأمثلة عليه قوله تعالى: "وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٥٨سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٠". (سورة الصافات: 158-160) فقوله سبحانه وتعالى: "سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩". اعتراض، أي أنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين.

المبحث العاشر: الاستفهام

إنه يدل على معان كثيرة بطريقة الكناية.. من فوائده: التأكيد، والإقرار، والتنبيه، والزجر، والأمر، والتحقير. فمن الأمر ما جاء في قوله تعالى: "فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤". (سورة هود: 14).

ومن التحقير ما جاء: "أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ٥٢". (سورة الصافات: 52)، وأيضًا: "إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ٨٦". (سورة الصافات: 85-86). (د. حسن يشو/ 5، سيذكر اسم المقال وتفصيله بالهامش)

وكما قام د. حسن يشو بالموازنة بين الفراهي والزركشي في موضوع الأساليب القرآنية فقال:

إن الإمام الزركشي (794هـ) كان له قصب السبق في إثارة موضوعات علوم القرآن بما فيها أساليبه في كتابه النفيس "البرهان في علوم القرآن"، وقد اعتنى فيه بالنواحي

البلاغية وأساليب القرآن الكريم، ويمكن المقارنة بينه وبين أساليب القرآن عند الفراهي وفق العناصر الآتية:[1]

إنّ كتاب الفراهي عبارة عن رسالة وجيزة تتحدث عن عموم أساليب العرب، ويقصد إحاطة العلم بدلالات الصور والأساليب، ومواقع استعمالها، كما صرّح بذلك الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بداية كتابه حيث قال: "كما أنّ المقصود من كتاب المفردات إحاطة العلم حتى الوسع بدلالة الكلم بحرمه ووجوهه، وكذلك المقصود من هذا الكتاب إحاطة العلم حتى الوسع بدلالات الصور والأساليب ومواقع استعمالها".[2] أما كتاب الزركشي فهو بمثابة الأمهات للكتب المؤلفة في الدراسات القرآنية، ومن ميزاته البارزة: الجمع والاستيعاب والشمول، مع أجود الترتيب والتبويب، وهو في أربع مجلدات ضخمة يجمع ما قاله الأئمة الأعلام في هذا الفن سواء كانوا مفسرين أم محدثين أم أصوليين أم لغويين أم بلاغيين، فيبدو الزركشي في كتابه كأنه يتوخى من خلال كتابه التعرض لجميع المباحث القرآنية واستيعابها بعقلية موسوعية. أما الفراهي فقد اقتصر على مبحث قرآني محدود، وناحية مخصوصة من الكلام الإلهي.

تصدّى كلا الكتابين للمباحث القرآنية والأساليب البيانية من أسلوب الخطاب والالتفات، ومواقع الحذف والعود على البدأ، والوصل والفصل والتذييل، إلا إذا أمعنا النظر بين الكتابين نجد أنّ الفراهي أقدر من الزركشي على تفسير مكنونات صدره وإثبات رأيه بكثير، كما أنّ الفراهي يمتاز أيضًا عن الزركشي في الإتيان بنكت شريفة ولطائف دقيقة، والتي لم أجدها عند الزركشي في "البرهان"، انظر في هذا المقال: "مبحث القران والوصل"، والفرق بينهما في كتابه الأساليب، وهو يدلّ على

[1] انظر الإمام الفراهي وجهوده في التفسير، ص 204- 205، (مع تصرف يسير).
[2] أساليب القرآن، ص 155.

عقلية الفراهي المبتكرة، وطبيعته المخترعة المتوقدة، أما الزركشي فهو يقتصر على الاهتمام بنقل الآراء عن الآخرين أكثر من الاهتمام بالاختراع والابتكار.

نجد ذكر مبحث الالتفات في الكتابين كليهما بغاية من الإسهاب والتفصيل فقد توسع المؤلّفان كلاهما في بسط الحديث عن الالتفات وتقديم الأمثلة والأدلة من كلام العرب الأولين، وأساليب بيانهم، إلا أنّ الفراهي يتفوق على الزركشي بذكر الفوائد والحِكَم الخفية من مجيء الالتفات في القرآن الكريم، يقول الفراهي وهو يذكر فوائد الالتفات: "اعلم أنّ الالتفات في القرآن كثير جدًا في كلام العرب، ومن فوائده العامة:

1. انتباه السامع تصغيرًا له وإعراضًا عنه.
2. ومنها صرف الخطاب الشديد إلى أكبرهم.
3. ومنها التعريض بمن يتوقع منه الإنكار أو الكراهية.
4. والالتفات من مخاطب إلى مخاطب.
5. والالتفات لتنويع المعنى.

والالتفات لإرادة التوبيخ".[1] (د. حسن يشو/ 4، سيذكر اسم المقال وتفصيله بالهامش)

قد قام د. أورنغ زيب بتحقسقها والتعليق عليها في ثلاثة مجلدات ضخام بينما هذه الرسالة لا يتجاوز رقم صفحاتها سبعين صفحة.[2]

قمت بتحقيقه حينما كنت طالبًا في مدرسة الإصلاح بأعظم كره، ولكن لم يتيسّر لي تنضيده على الكمبيوتر إذ شغلتني أعمال علمية عديدة ولكن بقيت ألحق خلال هذه المدة إضافات مفيدة بالكتاب وسترونها حينما يطبع إنْ شاء الله تعالى.

[1] المصدر نفسه، ص 170.

[2] يحتوي هذا التحقيق على ثلاثة مجلدات.

طبعاته

قد طبع هذا الكتاب الفريد مرة بعد مرة فطبع أول مرة سنة 1279هـ. من الدائرة الحميدية، أعظم كره.

ثم طبع مع كتابيه "التكميل في أصول التأويل" و "دلائل النظام" في مجلد واحد عام 1389هـ/1969م في الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الهند، عدد الصفحات: 54.

يوجد الكتاب المطبوع في مكتبة إداره علوم القرآن وتفاصيل النشر هكذا: الدائرة الحميدية ومكتبتها (طبع من المطبعة الحميدية)، 1389هـ، الطبعة الأولى، 56 صفحة+6 صفحات (المحتويات وكلمة الجامع وتصحيح أغلاط الطبع).

وأعيد نشره سنة 1411هـ/1991م، ضمن رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن (المجموعة الأولى، ص141- 202)).

ثم طُبع هذا الكتاب بعناية الأستاذ بدر الدين الإصلاحي في "الدائرة الحميدية" بمدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره أترا براديش، الهند عام 2003م و2013م وكتب مقدمة طيبة، ذكر فيها الدافع لنشره لهذا الكتاب.

- **أسباق النحو (بالأردوية)**

كتيب في جزئين في النحو والصرف بالأردوية على منهج ميسر جديد لتعليم الناشئين وهو من أهم كتب الفراهي الدراسية، ولو أنه صغير الحجم ولكنه يفوق على الكتب الأخرى في الموضوع كما يفضل على كتبه الأخرى لكثرة طبعاته. ألّفه الإمام الفراهي خلال إقامته بعلي كره[1] وذكر فيه قواعد اللغة العربية الابتدائية بطريقة علمية

[1] ترجمان القرآن مولانا حميد الدين الفراهي للدكتور شرف الدين الإصلاحي، معارف فبراير 1991م، 2/147، ص95-96

وسهلة فيستطيع الطلاب من هذا الكتاب فهم القوائد المشكلة لعلم النحو والصرف.

وما من شك في أنّ الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قضى معظم حياته في تدريس اللغة العربية وآدابها وإن هذا من الممكن أنه واجه مشاكل خلال تدريس علم النحو والصرف فأراد أن يؤلف كتابًا باللغة العربية في أسلوب سهل وأنيق، واجتهد في التأليف النحوي للغة العربية ولغير العربية؛ وبدأ تأليفه وسمّاه بـ"الدر النضيد في النحو الجديد" ولكن لم يكمله وهو موجود مخطوطًا بين كتبه الأخرى. وله كتاب في اللُّغة العربية مخطوط نحوي؛ بعنوان: "مسائل النحو"، وفي الصفحة الأولى عنوان الكتاب، وبعده: "من المفصل للزمخشري" وحينما وجد الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فرصة تأليف الكتاب في علم النحو والصرف ألّف كتاب "أسباق النحو" في اللغة الأردوية.

أعدّ العلامة الفراهي خطة تعليمية شاملة لإصلاح منهاج تعليم المدارس ونظامها، فصنّف لهذا الهدف كتبًا ابتدائية لتدريس اللغة العربية كمثل: "أسباق النحو"، و"أسباق الصرف"، و"تحفة الإعراب" وغيرها من الكتب الأخرى، زالت بها كثير من صعوبات طلاب اللغة العربية التي تتعرض لهم خلال التعليم الابتدائي كما قطع دابر العوامل التي كانت تعرقل تعليم مبادئ العربية فقد سهّل الفراهي تعليم العربية بكتبه وخلق الرغبة والحماس في الطلاب ولا سيما كتاب "أسباق النحو" (في جزئين) وكتاب تحفة الإعراب مفيدان للغاية لهذا الهدف.

وكان له أسلوب عملي في تعليم النحو والصرف واللغة العربية، لكي يتعلمها طلاب العربية كلغة حية، ويقدروا على إظهار ما في ضمائرهم بالعربية كتابة وخطابة، وأنه قام بترتيب مباحث الاسم والفعل أولًا باسم "أسباق النحو" بأسلوب جديد لتقليل أعباء قواعد النحو والصرف على الطلاب، حتى أنقذ الطلاب من "مأة عامل" بهذه الطريقة، وكانت طريقة تعليمه القواعد سهلة جدًا، ونتيجة لذلك تلقى الطلاب تسهيلات غير عادية في تعلم اللغة العربية حتى يجتازوا المراحل في تعليم القواعد في شهور فقط، التي كان يقضي

الطلاب لاجتيازها أعوامًا عديدة.

قد قسم الأستاذ الفراهي "أسباق النحو" إلى ثلاثة أجزاء، الأول في بيان الاسم والثاني في بيان الفعل والثالث بعنوان تحفة الإعراب، فيقال هذا الكتاب في الواقع ليس أيّ رسالة خاصة بل هو مجموع الرسائل الثلاث وهي: أسباق النحو وأسباق الصرف وتحفة الإعراب، قام بجمعها وإعدادها والتعليق عليها الشيخ النحوي احتشام الدين الإصلاحي عليه الرحمة (1926-2016م) أبرز طلّاب الشيخ أختر أحسن الإصلاحي المرحوم. إنّ تعليقاته قد سهّلت المواضع الصعبة وقدّمت الرسائل ومباحثها بأسلوب سهل ميسّر للغاية.

وقد أثبتت التجربة أنّ الكتاب مفيد جدًا في تدريس علم النحو والصرف في المرحلة الابتدائية لغير الناطقين بالعربية. ويحتل هذا الكتاب مكانة سامية بين الكتب الآخرى التي أُلّفت في اللغة الأردوية في الهند. وإن هذا الكتاب مفيد وسهل للطلاب الناشئين، وله أهمية بالغة في مجال النحو والصرف حيث إن الطالب بعد قراءة هذا الكتاب يستطيع أن يتجنب اللحن والخطأ أثناء الكتابة والمحادثة ويحفظ قواعد النحو والصرف ومبادئهما بكل سهولة، ولذلك أدخلته بعض المدارس الإسلامية في مقرراتها الدراسية.

ومن الدواعي التي تسببت في تأليف هذا الكتاب أنه لم يلحق ابنه محمد سجاد بأيّ مدرسة إسلامية، وأنه علّمه في منزله، وبدأ تعليمه بنفسه، وأعدّ الدروس بنفسه، يقول محمد سجاد:

"فمكث (والدي) خلال عام 1906 إلى 1907م في مدرسة علي كره، وألّف كتابه "أسباق النحو" لتعليمي وتعليم ابن آفتاب أحمد خان في جزئين".[1]

ألّف الإمام الفراهي كتابه في أسلوب جديد وتدريجي وملائم لذوق الطلاب الناشئين،

[1] محمد سجاد، فريها، 10 مارس، 1980م.

وراعى أن يكون الكتاب نقيًا من التعقيد الذي يواجهه الطلاب خلال دراسته في علم النحو والصرف عامة في شبه القارة الهندية.

بيّن الأستاذ الفراهي طريقة تأليفه في مقدمة الكتاب بأنه قد يراعى في هذا الكتاب أن يتعلم الطالب بقدر حاجته من النحو بسهولة حتى يقدر على قراءة الكتب العربية والكتابة باللغة العربية، وكما أظهر أنه أراد بالنحو في هذا الكتاب بمعناه الوسيع يشتمله الصرف أيضًا.

يكتب الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قسم الكتاب في ثلاثة أجزاء ويقول إن الجزء الأول يشتمل على مباحث النحو وهو يحتوي على ثمانية عشر درسًا، ويشتمل الجزء الثاني على مباحث الصرف، ولكن لم يذكر عدد دروسه، ويذكر في الجزء الثالث مباحث الحروف. ولكن بعد دراسة الكتاب نصل إلى النتيجة أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكتب الجزء الثالث منفردًا بل هو موجود بين مباحث النحو والصرف حسب الحاجة.

ونجد بعد قراءة الكتاب أنّ المؤلف يركز على أمرين مهمين، وهما أساس الإعراب على اختلاف الأحوال ليس على العوامل، ويقدم الأمثلة بدلًا من التعريفات بأنها هي فطرة الإنسان فهو يتعلم من الأمثلة بطريق أسهل، وهما الأمران المميزان لهذا الكتاب.

وإن هذه الطريقة التي نسمّيها الطريقة التطبيقية وهذه الطريقة رائجة في البلدان العربية، ولذلك نجد أنّ الطالب العربي لا يُخطئ في الإعراب لأنه يتعلم اللغة العربية من هذه الطريقة التي يقدم فيها المدرس الأمثلة خلال تدريس النحو. ولكن مع هذا من الواقع أنه لا يقدر على بيان تعريفات القواعد النحوية والصرفية مثل الطلاب الهنود، ولكن هذه الطريقة مفيدة جدًا للطلاب.

هذا الكتاب يمتاز بين المؤلفات النحوية الهندية بأنّ الإمام الفراهي قد خالف بعض مواقف النحويين القدامى في كتابه فقال: "قد أخذنا هذا الكتاب- أسباق النحو- من كتابي "النحو الجديد" فقد خالفنا في بعض مواضعه كتب النحو القديمة وأما سبب اختلافه بيننا

فهو في الكتاب المأخوذ عنه".[1]

وبعد ذلك يذكر بعض مواضعه الأصيل الذي خالف فيه النحويين القدامى:

"ولدفع الشبهة نذكر هناك اختلافين أولهما أنا وضعنا حجر أساس الإعراب على تبدل أحوال الاسم خلاف بنائه على العوامل فمن ذلك أولًا نتخلص من مئة عامل وثانيًا أنّ الأفعال تكون غير معربة لعدم تبدلها فيسهل أن أعلم الأعراب قبل أن أقع في طول الحديث عن الفعل ومن أكبر نفعه أنّ الطالب يجعل يمارس الكلام وإذا بدأ البحث عن الفعل بدأ استعماله توًا لأنّ الطالب قد علم بالإعراب وقبل أن يتم البحث عنه يكون الطالب ذا استعداد رائد في الأدب دون الطريق القديم الذي يحفظ الطالب فيه- لمدة طويلة- قواعد النحو والصرف التي هي صعبة مع عدم ملائمة النفوس ثم بعد ذلك يبلغ الموضع ويبدأ دراسة الأدب العربي فقد جرّبنا هذه الطريقة الحديثة وننا فوزًا باهتًا وثانيهما هو الذي اعتنى به في هذا الكتاب الجديد بأنا وضعنا الأمثلة موضع التعاريف غالبًا وإن الإنسان يعرف شيئًا بالتمثيل لا بالتعريف المنطقي وكثيرًا ما نرى أنّ المنتهي يعجز فهمه عنه فلم يوقع الطالب في صعوبة التعريفات".[2]

وهذا بعض آرائه التي خالف فيها الإمام النحويين القدماء وذهب إلى جهة أخرى جهة موافقة بالعقل وسهلة للعمل بها، فها هي ذي:

1. الموصولات العامة:

قد ذهبوا إلى أنّ "يوم" وأمثاله يأتي بعد الفعل مضاف إليه ففي قوله تعالى: "هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ"، "يوم" مضاف إلى الجملة".[3] وأما الإمام الفراهي فهو ذاهب إلى أنّ "يوم" وأمثال ذلك لا يضاف إلى الجملة بل هو اسم للموصول وأما الذي يأتي

[1] أسباق النحو لحميد الدين الفراهي، 1/4-5، مطبعة تانده، فيض آباد، د.ت

[2] المصدر نفسه، ص 5

[3] المفصل في علم العربية للإمام الزمخشري، دار الجيل، د.ت، ص 96

بعده فهو صلة له كما يقول وهو يذكر الأمثلة تحت عنوان "الموصولات العامة": "الكتاب جليسك حيث لا جليس لك"، و"أنا مسافر غدًا إذ الناس ذاهبون للحج".[1]

1. المقياس:

إن لكل كلمة حروفًا أصيلة يقال لها "المادة" ولما تقبل الحركة ويلتحق بها بعض الحروف الزوائد فتصير صورة جديدة فهي سمّيت بـ"الوزن" كما "ح"، ب، ل" منها حبل وجمعه حبال ووزنه عظم وجمعه عظام ولكنه يصعب حينما نرجع إلى مادتها فلذلك وضع الإمام لكل كلمة "وزنًا خاصًا" وهو "ف، ع، ل" فنقيس على ذلك ما نبغي مادتها كـ"ركاب" فوزنه "فعال" ومادته "ر، ك، ب" وهذا سهل جدًا. فيقول الإمام الفراهي:

"إن لكل كلمة حروفًا أصيلة يقال لها "مادة تلك الكلمة" لما تقبل هذه الكلمة الحركة أو في بعض الأحيان يلتحق بها حروف زائدة فهي تصير صورة جديدة يقال لها "وزن تلك الكلمة" ككلمة "الكتاب" ومادتها "ك، ت، ب" ووزنها "فعال" فلبيانه خصصنا "ف، ع، ل" والأحرف الأصيلة ثلاثة غالبًا فنضع "ف، ع، ل" في موضعها ولا نتعرض للحركات والأحرف الزائدة".[2]

وهكذا نقيس في علم الاشتقاق ونعلم بما في الكلمة من المادة وهذا سهل جدًا دون ما وضعوا من الأصل الصعب.

2. استعمالات الأفعال:

فإذا علمنا أنّ الفعل لا يعرف وأنه لا يؤثره أيّ عامل فقد زال أثر الكلمات التي ذكروها وسمّوها بنواصب المضارع وجوازمه وكيت كيت. فالإمام الفراهي يخالف وذكرها تحت عنوان "استعمالات الأفعال" فيقول:

"إنه تأتي قبل الفعل الماضي- هكذا قبل كل فعل كما يظهر من التفصيل الذي ذكر

[1] المصدر نفسه، ص 39

[2] المصدر نفسه، ص 58

من بعد- أحرف لا يتبدل بها شكل الماضي وتوجد هناك تبدلات معنوية".[1]

مباحث أسباق النحو

بعد تقديمه للكتاب ذكر الأمور الابتدائية للغة العربية مثلًا حروف الهجاء، الحركات وطريقة كتابة اللغة العربية وبعد ذلك يبدأ الكتاب.

إن الجزء الأول من الكتاب يبحث عن علم النحو ويحتوي على ثمانية عشر درسًا.

الدرس الأول: علم النحو: ذكر فيه تعريف علم النحو والكلمة والكلام وأقسام الكلمة، الاسم والفعل والحرف.

الدرس الثاني: أحوال الاسم المختلفة: ذكر فيه أحوال الاسم المختلفة من الرفع والنصب والجر بكل وضاحة وسهولة.

الدرس الثالث: يشتمل هذا الدرس على الإعراب، المعرب والمبني مع تعريفاتهم.

الدرس الرابع: يبحث فيه عن أحوال الإعراب المختلفة بالحركة، مثلًا الرفع والنصب والجر والتنوين وبالمعنى مثلًا آنِ، وْنَ، يْنَ، وذكر فيه أقسام الاسم مع إعرابه وأشكاله الثلاثة حركة ومعنى.

الدرس الخامس: ذكر فيه الإعراب من الثقيل والخفيف ومواقع التخفيف الثلاثة.

الدرس السادس: ذكر فيه المعربات الأصلية وهي عشرة: اثنان من المرفوع: المسند إليه (المبتدأ) والمسند (الخبر) واثنان من المجرور بواسطة حرف الجر والمضاف إليه، وستة من المنصوب، الظرف والحال والتميز والمفعول (المفعول به) والعلة (المفعول له) والمصدر (المفعول المطلق) مع أقسامهم وأمثلتهم.

الدرس السابع: ذكر فيه خمسة أقسام للمعربات المشكلة مثلًا الكلمات المنصوبة

[1] المصدر نفسه، 15/2

بالحروف المشبهة بالفعل، ولا لنفي الجنس، والمستثنى والمنادى العام بذكر أمثلتها.

الدرس الثامن: إعراب المثنى وجمع المذكر السالم

الدرس التاسع: ذكر فيه تعريف كلمة غير منصرفة وأقسامها الخمسة مع الأمثلة، كما ذكر فيه تغيير كلمة غير منصرفة إلى كلمة منصرفة وأشكالها الستة مع الأمثلة.

الدرس العاشر: مبدل الإعراب: يراد به تبديل حالة الإعراب بحرف الياء والواو حينما ارتبطت بأي كلمة فذكر سبعة أقسام فيهن تتغير حالة الإعراب بارتباط حرف الياء والواو مثلًا كتاب: كتابي.

الدرس الحادي عشر: قسم فيه الأسماء المبنية إلى اثنين: لم يظهر إعرابها، ولكن يتأثر بالأحوال وهي الضمائر، ولم يتأثر بالأحوال المختلفة وهي الإشارات والموصولات وغيرهما.

الدرس الثاني عشر: ذكر فيه القسم الأول إلى الضمائر من الاسم المبني وأحوالها المختلفة من الرفع والنصب والجر مع الأمثلة.

الدرس الثالث عشر: ذكر في القسم الثاني من الاسم المبني وأقسامه السبعة مع الأمثلة من الإشارات والموصولات والاستفهامات والمخففات والظروف والمركبات والشروط وأقسامهن مثلًا قسم الإشارات إلى القريب والبعيد والموصولات إلى الموصولات الخاصة والموصولات العامة.

وذكر في هذا الدرس تعريفًا لبعض القسم للوضاحة ولم يذكر القسم السابع (أي الشروط) بأنه يختص بالفعل فيذكر في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

الدرس الرابع عشر: ذكر الأستاذ الفراهي في الدرس الأعداد الباقية بأنه ذكر الأعداد بين العشرة والعشرين في الدرس الثالث عشر.

الدرس الخامس عشر: ذكر فيه أحوال الاسم غير الإعراب، وسمّاها كيفية الاسم

وقسمها إلى اللازم والمتعدي مع تعريفهما وذكر الأستاذ ثلاثة أحوال للاسم اللازم والاسم المتعدي، مع تعريفها بالترتيب كما يلي:

التصغير والترخيم والنسبة، الوسعة، والعدد، والجنس، وذكر أمثالها في الدروس الآتية.

الدرس السادس عشر: ذكر الأستاذ الفراهي فيه الأحوال (يسمّيها الكيفيات) اللازمة الثلاث وصرح القواعد كلها وتفهيمها أسهل بالأمثلة، فذكر الأمثلة لكل حالة لازمة، فبين أولًا أصل الكلمة فبعد ذلك يذكر التصغير والترخيم والنسبة.

الدرس السابع عشر: ذكر فيه الأستاذ الفراهي الأحوال المعتدية الثلاث، فأولًا ذكر الوسعة مع ذكر تعريف المعرفة وأقسامه الخمسة من العلم والضمير والإشارة والمعرف باللام والمضاف إليه مع ذلك أمثلة المطابقة بين المعرفة والنكرة ومواقع المعرفة والنكرة، ثم ذكر العدد ويراد به الواحد والمثنى والجمع، وذكر فيه بعض القواعد وقال: قد مرّ ذكر جمع المذكر السالم، فلذلك يكتفي بذكر الأوزان المعروفة للجمع المكسر.

ذكر في هذا الدرس عشرة الأوزان المعروفة للجمع المكسر مع الأمثلة، وبعد ذلك بحث عن الجنس وذكر فيه قسمين للمؤنث أي المؤنث الحقيقي والمؤنث اللفظي وقسم المؤنث اللفظي إلى المؤنث القياسي مع ذكر علاماتها والمؤنث السماعي وذكر الأمثلة لكل فيها.

الدرس الثامن عشر: المادة والوزن، ذكر فيه أولًا تعريف المادة والوزن مع الأمثلة وبعد ذلك قسم المادة إلى اثنين، المادة الاسمية من التي ينشق الاسم فحسب، وهو يقال الجامد والمادة الفعلية من التي ينشق الفعل وصوره المختلفة.

نريد أن نقدّم بعض نماذج دروس الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كيف يقدّم دروس النحو أمام الطلبة.

هذا درس المجرورين. الأول عن طريق حروف الجر، والثاني المضاف إليه، يكتب الشيخ حروف الجر وهي: في، على، من، إلى، عن، حتى، منذ، مذ، ب، ت، و،

ل، ك. ولا يكتب المؤلف بعد كتابة هذه الحروف شيئًا بل يكتب الأمثلة فقط، ويترك على المدرس أن يُفهم الطلبة من خلال هذه الأمثلة. وهذه الأمثلة كما يلي:

"سعيد ورشد ذاهبان لتجارة من قرية إلى مدينة. سعيد جالس في عجلة ورشيد راكب على جمل. عامر وعمير مشغولان بالزراعة، سالم وسليم مريضان منذ شهر. هاشم غني كحاتم. لرشيد شغل حتى العشاء. طالب مولع بالقصص حتى الخرافات".[1]

وكذلك يكتب الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المنصوبات الستة وهي: 1- الظرف، 2- الحال، 3- التمييز، 4- المفعول به، 5- العلة (المفعول له)، 6- المصدر (المفعول المطلق).

يكتب الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه العناوين فقط، ثم يكتب الأمثلة حسب الترتيب ولم يكتب القواعد مثل المؤلفين الآخرين، ويترك على المدرس أنه يدرّس الطلبة القواعد في الفصل في ضوء الأمثلة التي كتبها، وهكذا يستطيع الطلبة أن يفهموا القواعد بالأمثلة في الفصل. نريد أن نذكر نموذجًا لظروف الزمان:

"1-ظرف

(أ) ظروف الزمان:

زيد مشغول ليلًا ونهارًا. سالم مسبح بكرةً وعشيًا. سليم قادم اليوم صباحًا أو مساءً. سعيد ذاهب غدًا. عامر مسافر غداة غد. سلمان مرتحل بعد غد. الأستاذ فارغ الآن. الأطفال حاضرون الساعة.

(ب) ظروف المكان:

حامد مع زيد. سليم عند خالد. بيت وحيد دون بيت سعيد. دكان عامر وراء المسجد. بيت رشيد إزاء بيت حميد. أمام بيت سليم شجرة طويلة. فوق الشجرة طائرة جميل،

[1] المصدر نفسه، ص20.

وتحت الشجرة بقرة سمينة. وسط المسجد حوض مربع. كتاب سعيد فوق الطاولة".[1]

ومع هذا نرى في الكتاب أنّ المؤلف يكتب بعض القواعد خاصة قاعدة أسباب منع الصرف بقدر من التفصيل.

وأما الجزء الثاني للكتاب فهو يحتوي على علم الصرف فبحث الأستاذ الفراهي فيه عن الصرف بالتفصيل. إنه كتب في البداية القواعد الأساسية، ولكن اكتفى بذكر العناوين ولم يصرح أرقام الدروس، فذكر أولًا الاشتقاق مع تعريفه وذكر معه المادة الأصلية وبعد ذلك ذكر الكلمات والأوزان والحروف الزوائد، ثم قسم الفعل حسب عدد حروف المادة من الثلاثية والرباعية وقسمها في المجرد والمزيد مع وضاحتهما، وأتى بالثلاثي المجرد والثلاثي المزيد فيه والرباعي المجرد فيه، وكتب تفاصيلها وبعد ذلك أشار إلى أنّ هذه الأقسام الأربعة تنقسم في الأقسام العديدة تسميها الأبواب.

إنه يقول تحت هذا العنوان "المشتقات الفعلية" تخرج من المادة خمسة مشتقات من الماضي والمضارع والأمر وذو الفعل (لعل يراد به اسم الفاعل) واسم الفعل ويراد به المصدر وبعد ذلك صرح بالمشتقات المذكورة التي توجد في جميع الثلاثيات والرباعيات ولكن تخرج خمسة مشتقات من الثلاثي المجرد، وهي المبالغة والصفة والمفضل (يراد به اسم التفضيل) والظرف واسم الآلة وفي البحث المذكور ذكر الأوزان ولكن لم يذكر الأمثلة.

بعد ذلك قسم الفعل بحسب المعنى في اللازم والمتعدي والمعروف والمجهول مع تعريفها بالإيجاز، وفي هذا المبحث صرح بقسم من ذو الفعل أيضًا في المعروف والمجهول بذكر الأصول التي فيها جعل الفعل المعروف إلى المجهول.

ثم ذكر الستة من أبواب الثلاثي المجرد مع ذكر خاصية باب كرم بأنه لازم دائمًا.

[1] المصدر نفسه، ص 22.

وبعد ذلك ذكر صرف الكلمة بالتفصيل من الماضي والمضارع المعروف وأقسامه (أي المضارع) الأخرى من الأخف والخفيف والأثقل والثقيل بالوضاحة مع تغييرات التي توجد في آخر المضارع وتسميه بحسب التغيرات.

بعد ذلك ذكر فعل الأمر وأصوله وقواعده مع الصرف الأصلي والأثقل والثقيل بالتفصيل.

وذكر في هذين المبحثين وزن يفتح، يضرب، وينصر بالتمرينات، ثم ذكر استعمال الأفعال من الماضي والمضارع والقواعد المتعلقة بهما بالتفصيل، ويراد به حينما أدخل بعض الكلمات مثلًا "ما"، "إن"، "قد"، "لم"، "لا"، "س"، "سوف" وغير ذلك على الماضي والمضارع فلم تتغير صورتهما الظاهرية، بل يوجد تغيير في معناهما.

بعد ذكر صرف ذو الفعل (اسم الفاعل) بحسب المعروف والمجهول، ذكر اسم الفعل أي المصدر وأوزانه المعروفة، وبعد ذلك بين الأوزان العامة للمبالغة والصفة والمفضل (أي اسم التفضيل) والظرف (الزمان والمكان) والآلة.

نحن ننظر في هذا المبحث شيئًا جديدًا بأنّ الأستاذ الفراهي كتب "أسباق النحو" باللغة الأردية ولكن حينما ذكر أوزان المفضل والظرف والآلة فلم يكتب شيئًا باللغة العربية إلا العناوين، وبعد ذلك كتب كل شيء باللغة العربية مثلًا يقول "بعد ذكر عنوان المفضل وزنه أفعل وجمعه أفعلون وأفاعل والمؤنث فُعلى وجمعه فُعليات وفُعل"، وكذا نجد في المباحث المذكورة بأنه اكتفي على ذكر الأوزان على العموم ولم يذكر الأمثلة إلا قليلًا.

بعد ذلك ذكر أبواب الثلاثي المزيد فيه والرباعي المجرد والمزيد فيه مع الأمثلة، وبعده ذكر المشتقات الباقية من المضارع والأمر وذو الفعل واسم الفعل، وبعد ذلك ذكر جدول الصرف المختصر للثلاثي المزيد فيه والرباعي المجرد والمزيد فيه من المعروف والمجهول.

وبعد ذكر الأوزان الأصلية للمشتقات الفعلية ذكر الأوزان المبدلات بالتفصيل أي

حينما جاءت الحركة أو السكون على أيّ حرف من الكلمة فيصعب نطقها فيتغير وزنه ويقال له الوزن المبدل.

بعد توضيح الوزن المبدل، قسم أصل الأوزان المبدلات إلى خمسة، 1- المثال 2- الأجوف، 3- الناقص، 4- المهموز، 5- المضاعف مع تعريفهم بالإيجاز، وصرح أنّ الأقسام الثلاثة الابتدائية تسمّى بالمعتل.

بعد ذلك ذكر أصول التخفيف وأسسه على خمس قواعد وأوضحه بالأمثلة، ثم كتب الصرف من الأوزان المبدلات مع ذكر مشتقاتها الاسمية وطالب من التلاميذ أن يحفظهن حفظًا جيدًا بعد كل الفهم.

وبعد ذلك ذكر صرف الأقسام الخمسة من المبدلات مع جميع صيغها ومع إبراز مواضع التعليل والتبديل فيها بالتفصيل وأوضحها بالأمثلة.

في هذه الدروس توجد التمرينات لكي يفهم التلاميذ قواعد التعليل والتخفيف بالسهولة ويسهل لهم أن يصرف بأيّ مادة من الأقسام الخمسة من الأوزان المبدلات.

بعد ذلك ذكر المبدلات المركبة للثلاثي المجرد أي حينما يجمع حرفا علة في أيّ كلمة وعلى سبيل المثال "وقى" وهو مثال وناقص معًا، وقسم المبدلات المركبة للثلاثي المجرد إلى ثلاثة أقسام:

1. المثال الناقص (يقال له اللفيف المفروق) أي يوجد تغيير باعتبار المثال والناقص كليهما.
2. الأجوف الناقص (يقال له اللفيف المقرون) يعتبر فيه الناقص حينما هو ليس مضاعفها.
3. الأجوف الناقص المضاعف: يعتبر المضاعف في كلمة الماضي والناقص وفي كلمة المضارع، بذكر لكل ثلاثة أقسام الأمثلة.

ثم ذكر المبدلات المختصة للثلاثي المجرد وأوضحه بأن يوجد بعض التغيرات في الكلمات

الخاصة وذكر خمس كلمات على سبيل المثال.

وبعد ذلك ذكر أوزان المبدلات للثلاثي المزيد فيه ذكر صرف أقسامها الأربعة من المثال والأجوف والناقص والمهموز فحسب.

ثم ذكر المبدلات المختصة للثلاثي المزيد فيه مع الأمثلة، وذكر خاصية الأبواب بالتفصيل وهي صفة ممتازة لهذا الكتاب، بأنّ أكثر الكتب النحوية الرائجة تخلو منها، وبهذا الباب يستطيع الطالب أن يتعين أبواب الأفعال مع تحديد معانيها إلى حد كبير.

في هذا الباب ذكر أولًا خاصية الأبواب الثلاثية المجردة، فذكر الأبواب الستة الأصلية ثم ذكر خاصية الأبواب الثلاثية المزيد فيها، فذكر اثني عشر بابًا وخاصيتها بالتفصيل مع الأمثلة، ومن قبله ذكر خاصية الأبواب فيبين الخاصية الأصلية لكل باب.

وبعد ذلك تأتي خاصية الأبواب الرباعية المجردة والمزيد فيها، فذكر أربعة أبواب وخاصيتهم مع ذكر الخاصية الأصلية لكل منها وأوضح كلها بالأمثلة.

وما من شك في أنّ الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر القواعد الصرفية مثل المؤلفين الآخرين، ولكنه يتميز عن الآخرين في بعض الأمور مثلًا يكتب مؤلفو علم الصرف في اللغة الأردوية والإنكليزية في الهند تصريف الأفعال مع أربع عشرة صيغة للفعل الماضي والفعل المضارع ويكتب هكذا التصريف:

تصريف الفعل الماضي

كتب	كتبا	كتبوا
كتبت	كتبتا	كتبن
كتبت	كتبتما	كتبتم
كتبت	كتبتما	كتبن
كتبت	كتبنا	

تصريف الفعل المضارع

يكتب	يكتبان	يكتبون
تكتب	تكتبان	يكتبن
تكتب	تكتبان	تكتبون
تكتبين	تكتبان	تكتبن
كتب	نكتب	

بينما الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يختار طريقة أخرى لكتابة تصريف الفعل الماضي والمضارع، ويكتب هكذا:

تصريف الفعل الماضي

"المفرد: فعل فعلت فعلت فعلت فعلت

المثنى: فعلا فعلتا فعلتما (للمذكر والمؤنث) فعلنا

الجمع: فعلوا فعلن فعلتم فعلتن فعلنا

تصريف الفعل المضارع

المفرد: يفعل تفعل (للمذكر والمؤنث) تفعلين أفعل

المثنى: يفعلان تفعلان (للمذكر والمؤنث) نفعل

الجمع: يفعلون يفعلن تفعلون تفعلن نفعل"[1]

هذا هو الفرق بين تصريف الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ والمؤلفين الآخرين، وقد اختار الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الطريقة لكي يحفظ الطلاب التصريف في الكلمات

[1] المصدر نفسه، ص 68.

القليلة ويعرفوا الصيغ المشتركة في التصريف.

يكتب الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أولًا صيغ المفرد ثم المثنى وفي الأخير الجمع بينما يكتب المؤلفون الآخرون صيغ الغائب أولًا ثم الحاضر وبعد ذلك المتكلم، وكما يترك الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الصيغة المشتركة التي تُستخدم في المثنى في جميع التصاريف.

وكذا يختار الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ طريقته في تصريف فعل الأمر الحاضر أيضًا.

وهذه حقيقة أنّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريد أن يقدم القواعد النحوية والصرفية في أسلوب سهل أمام الدارسين لكي يفهموا القواعد ويتعلموا اللغة العربية.

حينما نطالع "أسباق النحو" ننتج إلى أنّ الفراهي ألّف كتابًا مفيدًا سهلًا للطلاب المتبدئين، وبهذا الكتاب يستطيع الطالب أن يقرأ ويكتب بالعربية الصحيحة إلى حد كبير، ويقدر على أن يفهم الكتب العربية إلى حد ما، وهذا هو هدف الأستاذ الفراهي لتأليف هذا الكتاب، فبإمكاننا أن نقول بلا ريب أنّ الأستاذ الفراهي قد فاز فوزًا كبيرًا ونال كل أهدافه بهذا التأليف في مجال تعليم النحو والصرف.

وبالجملة أنّ كتاب "أسباق النحو" أسهل وأنفع كتاب للمبتدئين بين الكتب التي ألفت في علم النحو والصرف، وأقرب منهجًا وأيسر سبيلًا للمتأدبين والمثقفين الذين يريدون أن يعرفوا النحو العربي فضلًا عن طلاب المعاهد والكليات. ويبدو منه أنّ للأستاذ الفراهي مكانة رفيعة في علم النحو والصرف، وحينما نطالع أعماله بهذا الصدد فليس لنا إلا الاعتراف بعلوّ كعبه في هذا الفن بين العلماء الهنود وغيرهم من علماء العالم العربي.

طبعاته

تم نشر هذا الكتاب في حياة المؤلف ثم زادها شيئًا كما ترك البياض[1] في بعض المواضع فملأه تلميذه الرشيد أختر أحسن الإصلاحي ونشره من الدائرة الحميدية سنة

[1] المصدر نفسه، ص 1

1357هـ/1937م.

ولكن مع ذلك كله يوجد بعض الفراغ، يجب أن يسدّ كما أشار إليها مجيب الندوي[1] "ويحتاج هذا الكتاب إلى أن يزين بمزيد من الحواشي والملاحظات، كما يحتاج إلى مزيد من الوضاحة في التعبير والتفهيم"،[2] ولعل الأستاذ أختر أحسن الإصلاحي (1901-1958م)[3] أحسّ بهذه الحاجة فكتب كثيرًا من الحواشي التي تضم في طباعة "أسباق النحو" التي صدرت في يناير 2001م من مكتبة الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره.

قد قام بعض الباحثين بإعداد أسباق النحو وتحقيقه وتعليقه مثل الشيخ احتشام الدين بن الشيخ محمد جنيد (إعداد وتحقيق) والشيخ أمانة الله الإصلاحي (تعليق، غير مطبوع) والأستاذ خالد مسعود (تدوين وتحقيق).

حسب ببلوغرافيا كتب ورسائل الإمام عبد الحميد الفراهي للبروفيسور ظفر الإسلام الإصلاحي طبع أسباق النحو مرة بعد مرة في جزئين كما يلي:

أسباق النحو (الجزء الأول، بالأردوية):

- مطبعة جامعة علي كره الإسلامية، 1341هـ/1923م، الطبعة الأولى، عدد الصفحات: غير مذكور
- مطبعة جامعة علي كره الإسلامية، 1346هـ/1928م، الطبعة الثانية، عدد

[1] هو مؤسس مدرسة جامعة الرشاد، بأعظم كره، كان عالمًا بارعًا وفقيهًا، سياسيًا ورئيس التحرير لمجلة "الرشاد" بأعظم كره، الهند.

[2] راجع للتفصيل: مجلة معارف بأعظم كره، المجلد 95، العدد 4، يونيو 1965م، ص 478

[3] ولد في قرية أملوجكا من قرى أعظم كره وتعلم في مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، وهو من تلامذة الفراهي الذين حملوا لواء فكر أستاذه، وله مقالات معدودات في تفسير بعض الآيات القرآنية، التي نشرت في مجلة "الإصلاح"، وأنه وقف حياته لخدمة مدرسة الإصلاح، حسب المنهج الذي رسمه له أستاذه المرحوم، راجع لسيرته: شيدائے قرآن للدكتور محمد عنايت سبحاني، إداره إحياء دين ، بلرياغنج، أعظم كره، الطبعة الثانية، 2000م

الصفحات:48

- (طبع هذا الكتاب أول مرة بمطبعة جامعة علي كره الإسلامية في سنة 1923م في حياة المؤلف وأعيدت طباعته بنفس المطبعة سنة 1938م.)
- الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره، المطبعة الحميدية، سرائمير، 1357هـ/1937م، الطبعة الثانية، عدد الصفحات:55.
- الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره، المطبعة الحميدية، سرائمير، بدون تاريخ، الطبعة الثالثة، عدد الصفحات: غير مذكور.
- الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره، المطبعة الحميدية، سرائمير، 1384هـ/1965م، الطبعة الرابعة، عدد الصفحات:56.
- الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره، مطبعة نشاط، مديرية تانده، 1398هـ/1977م، الطبعة الخامسة، عدد الصفحات:55.

أسباق النحو (الجزء الثاني، بالأردوية):

- مطبعة جامعة علي كره الإسلامية، 1341هـ/1923م، الطبعة الأولى، عدد الصفحات: 42
- منظمة تطوير اللغة الأردوية، حيدرآباد، مطبعة جامعة علي كره الإسلامية، 1346هـ/1928م، الطبعة الثانية، عدد الصفحات: غير مذكور.

(طبع هذا الكتاب أول مرة بمطبعة جامعة علي كره الإسلامية في سنة 1923م في حياة المؤلف وأعيدت طباعته بنفس المطبعة سنة 1938م.)

- مطبعة معارف، أعظم كره، بدون تاريخ، بدون ذكر الطبعة، عدد الصفحات: 52.
- الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره، مطبعة كوه نور، دهلي، 1375هـ/1955م، الطبعة الثالثة، عدد الصفحات: 48.

- الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره، مطبعة كوه نور، دهلي، 1383هـ/1963م، الطبعة الرابعة، عدد الصفحات: 48.
- الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره، مطبعة نشاط، مديرية تانده، 1399هـ/1978م، الطبعة الخامسة، عدد الصفحات: 52. قد ذكر العلامة سيد سليمان الندوي أنه نشر من أنجمن ترقي أردو أيضا. وكما قال باحث: نشر سنة 1135 هـ. قد سمى بعض الباحثين مثل الشيخ شرف الدين الإصلاحي والدكتور حسن يشو (المجلد الأول والثاني) والدكتور أورنغ زيب (المجلد الأول)، وأ.د. ظفر الإسلام الإصلاحي ناقلًا من الشيخ شرف الدين الإصلاحي (المجلد الثالث) والسيد مظفر حسين الغزالي (المجلد الثالث) الجزء الثاني من أسباق النحو بـ"أسباق الصرف".

- **الإشراق في الحكمة الأولى من حقائق الأمور ومكارم الأخلاق (غير مطبوع)**

في أربع أوراق. (د. محمد يوسف الشربجي ود. حمدي عبد الله نافع ناقلًا من مفردات القرآن)

- **أصل الفنن (غير مطبوع)**

رسالة بالأردوية في الأصول العامة لتعليم العلوم في 8 ورقات. (د. محمد يوسف الشربجي ود. حمدي عبد الله نافع ناقلًا من مفردات القرآن)

1. الإشراق في الحكمة الأولى من حقائق الأمور ومكارم الأخلاق، في أربع أوراق.

- **أصول التأويل**

ناقش الإمام في هذه الرسالة الأصول التي يجب وضعها أمام المفسّر خلال تأويل القرآن والتي قد اتبعها الإمام واهتم بها في تفسيره القيّم "تفسير نظام القرآن".

وفي كتاب أصول التأويل يُبيّن عما يؤخذ من المعاني المختلفة، وما لا يؤخذ، وما يمكن

بينها الجمع.

- **أقسام القرآن**

لقد اعتنى الإمام الفراهي بأقسام القرآن ولم يعترف بكل المعلومات المتداولة في تعاريج علوم القرآن ومقدمات المفسرين، وإنما أفرده لأهميته في رسالتين إحداهما "أقسام القرآن"، وهي رسالة صغيرة، والثانية هي كتابه: "إمعان في أقسام القرآن"، وهو البحث الأوسع الذي صبّ فيه أفكاره.

ألّف الأستاذ الفراهي هذه الرسالة الموجزة بعنوان "أقسام القرآن" قبل تأليف "إمعان في أقسام القرآن" خلال إقامته في علي كره وحلّ قضية لماذا أقسم الله سبحانه وتعالى في القرآن المجيد وقدّم هذه القضية بشكل منفرد لم تقدم بها منذ ثلاثة عشر قرنًا من عهد الإسلام. هذه الرسالة تعين القراء في فهم الأسرار والأهداف وراء أقسام القرآن. وطبعت من هناك سنة 1911م. وأشار السيد سليمان الندوي إلى ما كان لهذا الكتاب من أهمية بهذه الكلمات: "ألّف أقسام القرآن خلال قيامه في علي كره وقدّم فيه جوابًا عن سؤال لماذا أقسم الله تعالى في القرآن الكريم. وكتب الإمام الرازي بعض الفقرات في تفسيره في جواب هذا السؤال ثم ألّف ابن قيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى "التبيان في أقسام القرآن" ولكن الأستاذ الفراهي تميز عنهما بما قدّم من تحقيقات جديدة في ضوء الاستشهاد بكلام العرب وفي الحقيقة قدم على هذا الموضوع نموذجًا للبحث والتحقيق لا يوجد له نظير في كتب التراث. ولأهميتها قام العلامة شبلي النعماني بنشر خلاصتها في رسالة الندوة (إبريل1906م) وطبعت الرسالة باسم "أقسام القرآن" في اللغة العربية مستقلًا ثم أضاف فيها بعض البحوث الجديدة وأيّدها بالأدلة ونشرها باسم "الإمعان في أقسام القرآن" في علي كره. وما كتب الباحثون في أقسام القرآن من ذلك الوقت إلى الآن فقد استفادوا فيه من الأستاذ الفراهي.[1] والحق أن ما

[1] حيات حميد، ص9-10

كتبه جميع الباحثين الذين يدّعون التحقيق في هذه القضية، لم يكتبوا إلا بعد الاستفادة من الفراهي.

وقد أجاب الأستاذ الفراهي في هذا الكتاب على ثلاثة شبهات تثور في الذهن حول أقسام القرآن الكريم ونقد منهج الإمام الرازي وأشاد بما كتب ابن قيم حول أقسام القرآن الكريم ثم ألقى الضوء على احتياج القسم وتاريخه وطرقه ومعناه الأصلي الابتدائي وأكد على أنّ هذه الأقسام هي في الواقع للاستدلال والاستشهاد في صدد البحث عن جوانب عديدة للقسم كما إنه بيّن بلاغة أقسام القرآن وذكر أشياء كثيرة غيرها مما تتعلق بهذا الموضوع.[1]

إنه قام بتحقيق المراد بالقسم في القرآن واستنتج أنّ القسم في أصله ليس للتعظيم، وأنّ التعظيم من عوارض القسم، بل ربما يكون القسم لمحض الاستدلال، وأنّ أقسام القرآن ليست إلا للاستدلال والاستشهاد بالآيات الدالة، وقد ظهر أثر هذا جلياً في السور التي فسّرها وهي مشتملة على القسم.

وهذه قائمة المباحث في كتابه "أقسام القرآن":

- أصل القسم هو الإشهاد.
- القسم بغير الله هو الإشهاد بلسان الحال.
- القرآن دلّ على هذا الأمر.
- القسم في القرآن تعبير عن الآية الدالة.
- هذا الرأي ملمح للمفسرين من قبل.
- الفرق بين القسم وما يشبه به مما لا يليق بالله.

[1] راجع للتفصيل: الإمعان في أقسام القرآن للشيخ المعلم عبد الحميد الفراهي، دار القرآن الكريم، الكويت، 1980م، ص 1-75

- لا حرج في غموض جهة الإشهاد.

يوجد الاختلاف عن مكان تأليف رسالة "أقسام القرآن" بين الباحثين فيقول السيد سليمان الندوي إنه ألفها خلال قيامه بعلي كره وحسب رأي الدكتور شرف الدين الإصلاحي هذه الرسالة قد ألفت خلال إقامته بكراتشي فهو يقول إنّ الإمام الفراهي قد أقام بها إلى مايو عام 1908م، لا نجد أيّ خبر لإنهاء كتاب له ولا نشر أيّ أثر علمي له أثناء هذه الفترة، ولكن العلامة سيد سليمان الندوي ينسب تأليف رسالة "أقسام القرآن" إلى هذه الفترة.[1] ولكنه لا يصح. (راجع للتفصيل: ترجمان القرآن مولانا حميد الدين الفراهي، معارف، فبراير، 1991م، 2/127، ص95).

قد طبع "أقسام القرآن" بمطبعة أصح المطابع، لكناؤ، بدون تاريخ، في 21 صفحة. أشار أ. د. ظفر الإسلام الإصلاحي في ببلوغرافيه حول الإمام الفراهي إلى أن لم تذكر سنة الطبع في نسخة أقسام القرآن المطبوعة من لكناؤ، ولكن تتضح جليًا بقول السيد سليمان الندوي أنّ هذا الكتاب أولًا طبع في سنة 1906م. راجع للتفاصيل: مولانا حميد الدين، سيد سليمان الندوي، معارف، 1/27 يناير 1931م، ص14.

ترجمته

قد ترجم الشيخ أمين أحسن الإصلاحي هذا الكتاب بالأردوية ونشر من الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، أترا براديش، الهند، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، في 140 صفحة. (طبع بمطبعة كوه نور برنتنغ بريس، دلهي)

وكما طبع في أبريل 2009م، في 120 صفحة، بدون ذكر سنة الطباعة. (من أيّ مطبعة).

- **الإكليل في شرح الإنجيل (تصحيح ما نطق به الرسول المسيح، وتفسير ما أوّله المبطلون من أهل الصليب)** هل ما هو بين القوسين جزء من اسم الكتاب؟ (لم

[1] ياد رفتگان، دار المصنفين، 1986م، ص 119

يطبع، حبيب الرحمن الأعظمي/أبو آدم/4).

ويمتاز ابن تيمية من بين القدامى كما يمتاز الإمام الفراهي من بين الجدد من العلماء من حيث إنهما كانا يعرفان اللغة العبرية. تقدّر رغبة الإمام الفراهي في الإنجيل واهتمامه به من رسالته "الإكليل في شرح الإنجيل" (في 9 أوراق/عشر أوراق). إنّ الإمام الفراهي قد بدأ شرح الإنجيل وسمّاه "الإكليل في شرح الإنجيل" ولكن من الأسف لم يمهله الأجل لإتمامه ومع ذلك فإنه نادر لا يوجد له نظير ويشهد حقًا على أنه كان يطوي بين جنبيه نصحًا مخلصًا لأهل الإنجيل وكان يقدّسه بالرغم من بعض التحريفات فيه. لو تمّ هذا المشروع لكان خدمة دينية وعلمية كبرى.

قد شرح الإمام الفراهي في رسالته المذكورة كلمات وعبارات الأناجيل التي قام النصارى بتحريفها وبيّن اختلاف آراء العلماء النصارى القدامى عن ملكوت الله ناقلًا آيات متى ومرقس المتعلقة بالموضوع.

- **أمثال آصف الحكيم**

هذه ترجمة عربية لحكايات آصف الحكيم بالإنجليزية "Aesop's Fables" قام بها الإمام الفراهي زمن دراسته للمنهج الدراسي للطلاب الناشئين. وأدخل الكتاب في المقرّرات الدراسية لمدرسة الإصلاح بأعظم كره بعد وفاة الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأنه لم ينشر في حياته. وبعد وفاته نشره بعض تلاميذه بعد التهذيب والتنقيح.[1] هذه ترجمة اختيارية سلسة نظرًا لطلاب الابتدائية. هذه المجموعة تحتوي على 136 حكاية في 73 صفحة.

نقل الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكتاب من اللغة الإنكليزية إلى اللغة العربية في بداية عهده وزمن طلبه كما كتب ناشر الكتاب في واجهة الكتاب: "فهذا كتاب "أمثال آصف الحكيم" قد نقله أستاذنا الإمام عبد الحميد الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من الإنكليزية

[1] كلمة الناشر، أمثال آصف الحكيم، مكتبة الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، عام 1985م، ص 3.

إلى العربية في أوائل عمره حينما كان يتعلم اللغة العربية. وما عثرنا عليه إلا بعدما توفي الأستاذ الإمام، مبثوثًا في مخطوطاته".[1]

ولكن يبدو من كلام الشيخ أمين أحسن الإصلاحي أنه ليس من أعمال صغر سنه بل مما قرّره الفراهي من الإصلاح في المنهاج الدراسي الراهن فيقول:

"هذه (أمثال آصف الحكيم) ترجمة قصص "Aesop's Fables" المختارة التي قام بها الشيخ الفراهي- إثر مشروع الإصلاح في المنهاج الدراسي- لتدريسها للطلاب ككتاب مدرسي لطلاب الصفوف البدائية". (مجلة "الإصلاح"، عدد أبريل عام 1938م، ص 198) ويؤيده الدكتور شرف الدين الإصلاحي صاحب "ذكر فراهي" (أنظر: ص 639-640).

إنّ هذا الكتاب يحتوي على خصائص وميزات تفيد الطلاب خلال دراستهم، ويذكر الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الخصائص في بداية الكتاب وهي كما يلي:

1. التمثيل لا يكون إلا عن العجماوات والجمادات.
2. لا يخلو عن حكمة ما خفي من أخلاق الناس.
3. يكون واضح الدلالة.
4. ربما يظهر عقلًا يشترك فيه الإنسان والعجم فأفعال العجم تدلّ على عقولهم.
5. حين تكلم به آصف كان فيه كل ما يحسنه كأسلوب البيان والأداء، والموقع. ولكن الرواة فاتهم أكثر ذلك، فرددت منها ما يمكنني.
6. لم يذكر الحكمة المخفية لكي يستنبطها الناس ويفهموها، وإنما زادها الرواة فتركتها وما اتبعتهم فيها".[2]

[1] المصدر نفسه، ص3.

[2] المصدر نفسه، ص 4.

ويتضح لنا بعد دراسة هذا الكتاب والخصائص التي كتبها الشيخ في بداية الكتاب أنّ معظم القصص والأمثال قد رويت عن لسان الحيوانات والطيور مثل كتاب "كليلة ودمنة" واختار الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه القصص في سبيل تعليم اللغة العربية للطلاب الناشئين بمبدأ "تعلّم وأنت تلعب" يعني (Learn while play) وإنّ هذه الطريقة وسيلة لخلق الرغبة في تعليم العربية في نفس الدارسين وتقديمهم إلى الأمام.

حينما ندرس هذه القصص والحكايات نجد أنّ أكثر قصصه وحكاياته رويت عن لسان الطيور والحيوانات والإنسان مثلًا: "أسد وفارة"، "حمار وجندب"، "الذئب والغرنوق"، "النمل والجندب"، ديك وجوهرة"، "أرنب وغيلم"، أب وأبناؤه"، "فلاح وحية"، "غزال وأمه"، "حمار وثعلب وأسد"، "السلحفاة والعقاب"، "الصبي والجوز"، وغيرها من القصص والحكايات التي هي موجودة في الكتاب.

وأما الأسلوب الذي اختاره المترجم في هذه القصص والحكايات فجيد، واستخدم فيه الكلمات التي هي متواجدة في الأوساط الهندية ومن نماذجها ما يلي:

"إن أبًا كان له عدة أبناء لم يزالوا متخاصمين بينهم، ولم ينجح وعظ الأب في حسم خصامهم. فعزم على أنْ يبيّن لهم سوءات الشقاق بمثال واضح، ولذلك قال لهم يومًا: أن يأتوا إليه بحبل غليظ. فلما فعلوا ذلك، وضعه في أيديهم واحدًا بعد واحد وأمرهم أن يصرموه، فاجتهد كل واحد منهم بتمام قوتهم ولكن لم يستطيعوا. ثم حلّ طاقاته وأخذها متفرقة ووضعها في أيدهم فرادى، فكسروها بسهولة. فخاطبهم الأب بهذه الألفاظ:

"أبنائي إن تكونوا متحدي الرأي مجتمعين ينصر بعضكم بعضًا، وتكونوا مثل ذلك الحبل الغليظ لن يضركم جميع سعي أعدائكم، وإن تمزقتم تكسرتم مثل طاقاته".[1]

إنّ كثيرًا من الكلمات التي يستخدمها المترجم هي رائجة ومفهومة في اللغة الأردوية

[1] المصدر نفسه، ص 6.

مثلًا: "أبناء" و"متخاصمين" و"وعظ" و"واضح" و"الشقاق" و"يوم" و"قوة" و "طاقات" و"متفرقة" و"سهولة" و"أعداء" وغيرها. وهكذا يسهل للدارس فهم الكلمات الأجنبية بدون أيّ مشكلة.

وأما الكلمات والجمل التي استخدمها الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تدل بكل صراحة على أنه راعى مستوى القارئ والدارس، فأتى بما هو سهل الفهم وقريب الإدراك، ونريد أن نقدّم بعض العبارات من كتاب "أمثال آصف الحكيم" لكي نرى الكلمات والجمل التي استخدمها المترجم:

حمار وثعلب وأسد

تحالف الحمار والثعلب على أن يحمي كلّ منهما حليفه، وذهبا في الحرش للصيد. فلم يمضيا بعيدًا حتى لقيا أسدًا. فلما رأى الثعلب الشر مطلًا عليه أقبل إلى الأسد وواعده أنه سيحتال له على صيد الحمار إن آمنه الأسد. ولما عاهده الأسد على عدم الإضرار به، ذهب إلى الحمار وساقه إلى شفا حفرة عميقة وزوّر الكلام حتى أنزله بها، فلما رأى الأسد أنّ الحمار غير مفلت قبض على الثعلب لوقته، وكرّ على الحمار عند الفرصة".[1]

ونموذج آخر:

القرن المكسور

بذل راعٍ للغنم جهده ليسترد معزًا شريدًا، وطالما صفر ونفخ في القرن، ولكن المعز لم يلتفت إليه. فرمى إليه حجرًا أصاب قرنه وكسره، فقال له الراعي: لا تخبر السيد بذلك، فأجابه المعز: يا لك من غرير، ألم تر أنّ القرن المكسور يصرخ وإن سكتُّ".[2]

يبدو بعد قراءة هذه العبارات أنّ الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد راعى مستوى الدارسين

[1] المصدر نفسه، ص 13.

[2] المصدر نفسه، ص 20.

في ترجمة الكتاب الإنكليزي إلى اللغة العربية، واختار فيها أسلوبًا سهلًا وبديعًا، ومع هذا يريد أن يُعلّم الطلبة القيم الخلقية النبيلة من دروس هذا الكتاب أيضًا وبالجملة فهذا كتاب دراسي مفيد للقراء المبتدئين في المدارس العربية.

طبعاته

صدرت طبعتها الأولى في سنة لم تضبط بعد وفاته، لعلها صدرت من ندوة العلماء، لكناؤ، بدون تاريخ، 69 صفحة.

ثم صدرت الترجمة في 1393م من الدائرة الحميدية كما صدرت في 1405هـ من نفس المطبعة والطبعة الجديدة صدرت في 2007م من نفس المطبعة، في 75 صفحة. إنها لا تخلو من الأخطاء المطبعية.

ترجمته

نقل الكاتب الشاعر أحمد محمود الكوثر الأعظمي، "أمثال آصف الحكيم" شعراً إلى اللغة الأردوية، ونشرها البلاغ ببليكيشنز، دلهي الجديدة، أبريل 2008م، ط1، في 86 صفحة.

- **إمعان في أقسام القرآن**

لا شك أنّ الإمام الفراهي كان مولعًا بالدراسات القرآنية حتى النخاع، وكان عاشقًا للقرآن الكريم، ومما يؤكد على ذلك توليه كل المعارك الفكرية للذود عن حياضه، وكان منها موضوع "أقسام القرآن". لقد اعتنى الإمام الفراهي بأقسام القرآن وأفرده لأهميته في رسالتين :أولاهما كانت عبارةً عن رسالة صغيرة سمّاها "أقسام القرآن"، وأخراهما أوسع من الأولى، وسمّاها "الإمعان في أقسام القرآن" وصبّ فيها أفكاره. إنّ الشيخ السيّد سليمان الندوي قد أثنى على الكتابين في أقسام القرآن فقال: "بعد الفراغ من تأليف "أقسام القرآن"، شرع الفراهي في تأليف "إمعان في أقسام القرآن"، ويتجلى في

ذلك دقته وبراعته العلمية وعبقريته في البحث والتحليل، فسبق به الأولين، وتطفل على مائدته الآخرون". في هذا الكتاب أثبت العلامة بدلائل من كلام العرب أنّ القسم ليس لأن المقسم به عظيم كما يفهمه العامة بل يقسم الله بشيء صغيرًا كان أو كبيرًا للاستشهاد به على ما يودّ إثباته في تلك السورة. ولو أنّ هذا الكتاب لا يكبر في الحجم ولكنه يتفوّق على الآلاف من الكتب لاحتواء مباحثه.

ولما طبع كتابه الأول "أقسام القرآن" تداولته الأيدي بالقبول والاستحسان، وعكف عليه العلماء والباحثون يثنون على المؤلف بأسلوبه العلمي الرصين، وطريقة تدبُّره في القرآن، والاشتغال به، وسلامة فكره، ورجاحة عقله، وشجاعته العلمية النقدية، فكان ذلك حافزًا قويًا له أن ينهض لتناول هذا الموضوع من جديد في ضوء الدراسات القرآنية التي لا نهاية لها ولا تحديد، وليصل منه ما كان منقطعًا ويكمل منه ما كان ناقصًا، ويبسط في الكلام ما كان وجيزًا مجملًا، فألّف كتابًا آخر سمّاه "إمعان في أقسام القرآن"، الذي يختلف عن الأول في اسمه وحجمه ومباحثه اختلافًا كثيرًا. وهو من أجل ما ألف في موضوعه والحق أنّ ما كتبه جميع الباحثين الذين يدعون التحقيق في هذه القضية، لم يكتبوا إلا بعد الاستفادة من الإمام الفراهي.[1]

يوجد الاختلاف عن مكان تأليف رسالة "إمعان في أقسام القرآن" بين الباحثين فيقول السيّد سليمان الندوي إنه ألفها خلال قيامه بعلي كره وحسب رأي الدكتور شرف الدين الإصلاحي هذه الرسالة قد ألفت خلال إقامته بكراتشي فهو يقول إنّ الإمام الفراهي قد أقام بها إلى مايو عام 1908م، لا نجد أي خبر لإنهاء كتاب له ولا نشر أيّ أثر علمي له أثناء هذه الفترة، ولكن العلامة السيّد سليمان الندوي ينسب تأليف رسالة " أقسام القرآن" إلى هذه الفترة.[2] ولكنه لا يصح. (راجع للتفصيل: ترجمان القرآن مولانا حميد الدين الفراهي، معارف، فبراير، 1991م، 2/127، ص95).

[1] حيات حميد، ص 9-10

[2] ياد رفتگان، ص 119

قبل استعراض الكتاب المذكور يجدر بنا أن ننقل هنا ما كتب الشيخ السيّد أبو الحسن علي الندوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقديمًا له بأنه يقوم بأحسن تعريف للكتاب بالإيجاز فقال: فقد كان موضوع أقسام القرآن موضوعًا يسترعي اهتمام المتدبرين في القرآن والمعنيين بتفسيره، والكشف عن معانيه وحقائقه ولطائفه ودقائقه؛ ويدعوهم إلى البحث في هذا الموضوع في بسط وتفصيل، لأنّ ما يتبادر إلى الذهن من الإقسام بشيء هو استشهاد المقسم به على ما يدّعيه المتكلم ويريد أن يثبته ويؤكده. وما شاع واستقر في الأذهان أنّ القسم لتعظيم المقسم به. والله هو أجلّ وأعلى، وأسمى وأغنى عن أن يقسم بشيء هو من خلقه وصنعه، فيؤكد قوله تعالى؛ وينطق بقوله صدقًا وعدلًا، وصوابًا وحقًا. فلم يكن من الغريب والمستبعد أن تكون في هذا الموضوع مكتبة ذات قيمة وقامة، واتساع وضخامة، كما كان الشأن في موضوعات قرآنية أخرى.

ولكن الكاتب لم يجد، في حدود علمه واطلاعه، كتابًا مفردًا واسعًا مفصّلًا في هذا الموضوع الخطير، والمكتبة الإسلامية الدينية والعلمية أضخم وأوسع من أن يدّعي مدّع أنه أحاط بها واستقصاها، إلا كتاب "التبيان في أقسام القرآن" تأليف العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية (ت 751هـ)[1] وهو، في حدود علم كاتب كلمة التقديم، أول كتاب مفصّل علمي مؤسس على الدراسة العميقة والتدبر في القرآن، واستعراض لأنواع الأقسام والمقسم بها ومواردها في القرآن؛ يدلّ على عمق دراسة المؤلف وتذوقه للقرآن، وتحريه للاقتصار والاتزان. ومن سمات الكتاب الشمول والاستيعاب والإحاطة بجميع أقسام القرآن والاستشهاد بأقوال السلف، بما فيهم شيخه شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية. يتوسع فيه المؤلف أحيانًا فيفسّر السورة التي وردت فيها هذه الأقسام، ويشير إلى الرباط الذي يربط آياتها بعضها ببعض. وتجيء أثناء ذلك لطائف وغوامض تفسيرية وتاريخية، ويستشهد أحيانًا بأبيات ذات مناسبة بما جاء في بيان المؤلف. ويتجلى في الكتاب اختصاص المؤلف في فن الحديث والاطلاع على

[1] أمام الكاتب طبعة مكتبة الرياض الحديثة (الرياض)

مصادره وما تضمنته من روايات وأسانيد، وفن الرجال، وذلك مما يرتجى من مؤلف كالحافظ ابن القيم الجوزية، واطلاع المؤلف على علوم تفيد في فهم الآيات وإثبات الإعجاز القرآني كالطب وعلم الأجسام وعلم النفس.

ولكنه كانت الحاجة ماسة ملحّة إلى تناول هذا الموضوع من جديد، في ضوء الدراسات القرآنية التي لا نهاية لها ولا تحديد، فالقرآن كما قال بعض المتبصّرين والمتدبّرين في القرآن "لا تبلى جدته ولا تنقضي عجائبه" وكما قيل: "كم ترك الأول للآخر"، وكذلك في ضوء الدراسات العميقة الشاملة لآداب اللغة العربية، مناهج كلام العرب الأولين، وفي ضوء الدراسات المقارنة للصحف لسماوية والديانات القديمة. وقد كان المؤلف، كما يقول أستاذنا العلامة السيّد سليمان الندوي، "مجمع البحرين و(بينهما برزخ لا يبغيان)، كان عالمًا بالعلوم العربية والدينية، وفاضلًا في العلوم العصرية والإنكليزية، ومات وهو مكبّ على أخذ ما فات من العلماء ولفّ ما نشروه ولمّ ما شتّتوه، وتحقيق ما لم يحقّقوه".[1]

فجاءت هذه الرسالة، على قصر قامتها وكبر قيمتها، تنوب عن المكتبة القرآنية في موضوع أقسام القرآن بصفة خاصة، مع احتوائها على لطائف مفتّقة للقريحة، ومنيرة ومثيرة لإمعان الدراسة في القرآن والتدبر فيه من جديد.

ذكر المؤلف أولًا الشبهات الثلاث على أقسام القرآن. وهي شبهات رئيسية تدور في خواطر أوساط الناس والسطحيين من القرّاء. وقد ذكر أولًا ما أجاب به العلامة الرازي، وقد انتقده، وذكر عدم ارتياحه إلى وجاهته، وعدم إصابته الهدف. يتجلى في ذلك ذكاؤه الحادّ، وقوة تحليله، وشجاعته العلمية والنقدية، واطلاعه الواسع على أساليب كلام العرب، وأثنى على طريق العلامة ابن القيّم ثناء إجماليًا، وقد ناقشه مناقشة هادئة أدبية مما يدلّ على إنصافه واتزانه، وشجاعته العلمية النقدية، وقد تناول

[1] ترجمة المؤلف للعلامة السيد سليمان الندوي

هذا الموضوع "الاعتراف والنقد" بشيء من التوسع.

وقد عقد باباً مستقلاً بعنوان "طريق هذا الكتاب في الجواب على سبيل الإجمال". وقد أيّد فيه أقوال بعض العلماء أنّ هذه الأقسام دلالات، وأعقبه بقوله: "ولكن الغمة التي لم تنجل عنهم والمضيق الذي لم يخرجوا منه، هو ظنهم بكون القسم مشتملاً على تعظيم المقسم به لا محالة، وذلك هو الظن الباطل الذي صار حجاباً على فهم أقسام القرآن، ومنشأ للشبهات". وقد ذكر بعد ذلك بالإجمال "أنّ أقسام القرآن بالمخلوقات ليست إلا آيات دالة، وأنها نوع من القسم مباين للأقسام التعظيمية".

وقد بحث عن تاريخ القسم، وحاجة الناس إليه قديماً وحديثاً، وطرقه المتنوعة وبيّن معاني كلمات القسم ومفهومه الأصلي ومفاهيمه المتشعبة الثلاثة من الإكرام والتقديس والاستدلال المجرّد. وعقد لذلك باباً مستقلاً بعنوان "تاريخ القسم وحاجة الناس إليه، وطرقه المختلفة، والدلالة على حقيقة معناه في أول الأمر". وهو باب يدلّ على اطلاعه الواسع على أساليب كلام العرب، وأساليب غيرهم من الشعوب والأمم، والآداب واللغات، والثقافات والديانات. ونوّه بعض الأخطاء في بعض الترجمات للصحف القديمة، مما يدلّ على دراسته المقارنة العميقة للصحف السماوية والديانات المختلفة، واطلاعه الواسع على كلام العرب الأولين، والاستشهاد بأبياتهم. واستنتج من ذلك أنّ القسم ليس إلا للتأكيد، ولا يحتاج إلى تقدير المقسم به في كل موضع. أما إذا ضمّ إليه المقسم به فإنما هو للإشهاد. ولا يراد منه التعظيم إلا إذا كان بالله تعالى وشعائره".

وذكر أنواع القسم، منها القسم على وجه الإكرام للمقسم به والمتكلم والمخاطب. والقسم على وجه التقديس للمقسم به. استشهد في هذا الباب بأبيات كثيرة للشعراء الجاهليين مما يدلّ على اطلاعه الواسع على الشعر الجاهلي. ومنها القسم على وجه الاستدلال بالمقسم به، وهو الأقرب إلى نوع الأقسام القرآنية، وأبعد عن الشبهات والتساؤلات. وقد استشهد في ذلك بأبيات العرب الأولين، وعرض في ذلك نماذج من كلام

الأولين من بلغاء اليونان، ثم شرح دلالات القسم الاستدلالي، وذكر الأدلة المأخوذة من نفس القرآن على ما فيه من الأقسام الاستدلالية، وهي الغاية من تأليف هذا الكتاب، والمحور الذي يدور حوله. وتوسّع المؤلف في ذكر الأمثلة من القرآن، وتطبيقها على الغايات. ثم ذكر بعض أسباب خفاء الوجه الصحيح في تأويل أقسام القرآن. وذكر بعض ما في القسم من أبواب البلاغة ولطائفها.

وقد جمع هذا المؤلف بين التدبر الطويل العميق في دراسة القرآن، والتشيّع بروحه، والاطلاع الواسع على أساليب البيان والبلاغة، والتعبير عن مكنونات الضمير في لغات مختلفة، والاطلاع على تعبيرات الصحف السماوية والأساليب الدينية البيانية، مع دراسة مقارنة للديانات، واطلاع واسع وتذوق للكلام العربي والشعر الجاهلي. فجاء هذا الكتاب، على صغر حجمه، يجمع بين إزاحة بعض الحجب التي طرأت على هذا الصنف من الإعجاز القرآني، وبين مادة ثرية من الأصول الأدبية، ونكت متعلقة من فن البلاغة وأساليب البيان العربي. ولا يتأتى ذلك إلا لمن جمع بين التمييز في القرآن والاشتغال به، وبين التذوق الصحيح لفن البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية، والتشبع من دراسة بعض اللغات الأجنبية والصحف السماوية القديمة، وبين سلامة الفكر ورجاحة العقل والتعمق. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وبعد، فإن كتابة كلمة تقديم، مهما كانت قصيرة وضئيلة القيمة، لكتاب يصدر من قلم عالم ضليع نابغة مثل العلامة عبد الحميد الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويتحلى بمقال في ترجمة صاحب هذا الكتاب يصدر عن قلم أستاذنا محقق هذا العصر الكبير العلامة السيّد سليمان الندوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرفٌ وتطاول لكاتب هذه السطور، ولكنه مع ذلك محاولة لمعرفة قيمة هذا الكتاب العلمية، وقيامٌ بشهادة بالفضل، وقيامٌ ببعض حقوق المشتغلين بعلوم القرآن. ونية المرء خير من عمله.[1]

[1] إمعان في أقسام القرآن، دار القلم، دمشق، 1994م

وحينما نشرت طبعتها الجديدة من مطبعة دار القلم بالكويت في عام 1980م/1400هـ فعلّق عليها الشيخ ضياء الدين الإصلاحي مدير دارالمصنفين بأعظم كره في مجلة "معارف" قائلًا:

"هذا الكتاب جزء من مقدمة تفسير "نظام القرآن" للعلامة عبد الحميد الفراهي. قد أقسم الله سبحانه وتعالى في عديد من مواضع القرآن الكريم، فكتب العلامة عن هذا الموضوع مباحث أصولية على نحو فريد، كي لا يعيد التكرار لهذه المباحث في تفسيره، وردّ على الشبهات والاعتراضات التي وردت حول أقسام القرآن بالبراهين القاطعة. وقبل الخوض في الموضوع بهذا الخصوص علّق على ردود الإمام الرازي والحافظ ابن القيم بعد ما نقلها، ثم بيّن ضرورة القسم، وتاريخه الموجز واستعماله في الطرق المختلفة باللغة العربية وأثبت أنّ القرآن يتواجد فيه براهين هدف القسم وشهادته وكذلك استدل أنّ اختيار أسلوب القسم في تقديم البراهين هو اقتضاء البلاغة في الكتابة. فالرسالة مفيدة فيما يتعلق بالقسم وهي تشتمل على المباحث الأصولية اللازمة مما يتحقق منها بالمعلومات والحقائق الجليلة".[1]

قائمة مباحث الكتاب:

- تاريخ القسم وحاجة الناس إليه وطرقه المختلفة، والدلالة على حقيقة معناه في أول الأمر.
- بيان العلاقة بين القسم والمقسم به من حيث اللزوم وعدمه، وعلى وجوه الإكرام والتقديس، والاستدلال للمقسم به مع الشواهد.
- شرح دلالات القسم الاستدلالي.
- توضيح أسباب خفاء الوجه الصحيح في تأويل أقسام القرآن.

[1] مجلة "معارف"، 5/125، مايو 1980م، ص 398.

- ذكر بعض ما في القسم من أبواب البلاغة ولطائفها.
- التفريق بين ما يحسن وما لا يحسن من القسم.

قراءات في الإنجيل عن القسم وتوجيه تلك القراءات.

إنّ الإمام الفراهي قد تناول في الكتاب تاريخ القسم وحاجة الناس إليه قديمًا وحديثًا، وقضية القسم على وجه العموم، وذكر أصله وأنواعه وطرقه المتنوعة وأدواته وبلاغته،وبيّن حقيقة القسم وضرورته، وألفاظه، ومعاني كلمات القسم ومفهومه الأصلي ومفاهيمه المتشعبة الثلاثة من الإكرام والتقديس والاستدلال المجرد، وأثبت بالشواهد والدلائل من كلام العرب الجاهلي ومن عهود الاستشهاد أنّ القسم ليس لأنّ المقسم به عظيم كما يفهمه العامة بل يقسم الله بشيء صغيرًا كان أو كبيرًا للاستشهاد به على ما يودّ إثباته في تلك السورة فالمقصود الحقيقي من أقسام القرآن هو الاستدلال والاستشهاد، وتوفير الشواهد على ما في السور، وليس تكريم المقسم به أو تعظيمه، وحيثما يوجد هذا التكريم فهو مصادفة تمامًا. وعقد لذلك بابًا مستقلًا بعنوان" تاريخ القسم وحاجة الناس إليه، وطرقه المختلفة، والدلالة على حقيقة معناه في أول الأمر"، وهو باب يدل على اطلاعه الواسع على أساليب كلام العرب، وأساليب غيرهم من الشعوب والأمم، والآداب واللغات، والثقافات، والديانات، ونوّه ببعض الأخطاء في بعض الترجمات للصحف القديمة، مما يدلّ على دراسته المقارنة العميقة للصحف السماوية والديانات المختلفة، واطلاعه الواسع على كلام العرب الأولين، فهو يرى أهمية تقدير المقسم به في كل موضع، أما إذا ضمّ إليه المقسم به فإنما هو للإشهاد، ولا يراد منه التعظيم إلا إذا كان بالله تعالى وبشعائره.

إنه ذكر من أنواع القسم:

- القسم على وجه الإكرام للمقسم به والمتكلم والمخاطب،
- والقسم على وجه التقديس للمقسم به.

واستشهد في هذا الباب بأبيات كثيرة للشعراء الجاهليين مما يدل على اطلاعه الواسع على الشعر الجاهلي،

- ومنها القسم على وجه الاستدلال بالمقسم به.

وهو الأقرب إلى نوع الأقسام القرآنية، وأبعد عن الشبهات والتساؤلات، واستشهد في ذلك بأبيات العرب الأولين، وعرض في ذلك نماذج من كلام الأولين من بلغاء يونان، ثم شرح دلالات القسم الاستدلالي، وذكر الأدلة المأخوذة من نفس القرآن على ما فيه من الأقسام الاستدلالية، وهي الغاية من تأليف هذا الكتاب، والمحور الذي يدور حوله، وتوسَّع الفراهي في ذكر الأمثلة من القرآن وتطبيقها على الغايات.

وقد أجاب الأستاذ الفراهي في هذا الكتاب على ثلاثة شبهات تثور في الذهن حول أقسام القرآن الكريم ، وهي شبهات رئيسة تدور في خواطر أوساط الناس والسطحيين من القراء، فقال: "اعلم أن الشبهة على أقسام القرآن من وجوه:

(أ) القسم نفسه لا يليق بجلالة ربنا، فإنّ الذي يحلف على قوله يهين نفسه، ويضعها موضع من لا معول على حديثه، وقد جاء في القرآن الكريم: "وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠". (سورة القلم: 10) فجعل الحلفَ من الخلال المذمومة، ونهى المسيح الحواريين عن الحلف مطلقًا، "ليكن قولكم نعم نعم أو لا لا، ولا تحلفوا".

(ب) القسم في القرآن جاء على أمور مهمة كالمعاد والتوحيد والرسالة، ولا فائدة فيها للقسم إلا لمنكرها، فإنه يطلب الدليل والبرهان، والقسم ليس في شيء منه، ولا للمؤمنين فإنه قد آمن بها.

(ج) القسم يكون بالذي عظم ورجل، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت"[1] فنهى عن القسم بغير لله، فكيف يليق بجلالة ربنا

[1] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف؟ برقم: 2679

أن يقسم بالمخلوق لاسيما بأشياء مثل التين والزيتون وغيرهما".[1]

فقد رد الفراهي في "الإمعان" على الشبهات المذكورة وبيّن فيه أنّ القسم إذا كان مجردًا عن المقسم به لأنه ليس من لوازمه، فإنما يراد به تأكيد قول وإظهار عزم وصريمة. ثم إذا أقسم بشيء فإن المقصود هو الإشهاد، حتى في الأيمان الدينية، وإنما اختلط به معنى التعظيم من جهة المقسم به لا من جهة أصل معنى القسم. وربما يكون القسم لمحض الاستدلال. وأما أقسام القرآن فليست إلا للاستدلال والاستشهاد بالآيات الدالة، وهذا ما يلوح بجلاء في تفسير الفراهي للسور التي تنطوي على أقسام.

وإنه نقد منهج الإمام الرازي وأشاد بما كتب ابن قيم حول أقسام القرآن الكريم فذكر أولًا ما أجاب به الإمام فخر الدين الرازي، وقد انتقده وذكر عدم ارتياحه إلى وجاهته، وعدم إصابته الهدف، ثم أثنى على طريقة الإمام ابن القيم ثناءًا إجماليًا، وقد ناقشه مناقشة علمية هادئة أدبية مما يدل على إنصافه واتزانه، وشجاعته العلمية والنقدية.

ساق الإمام الفراهي ردود الرازي[2] وابن القيم[3] على الشبهات لكنه انتهج نهجًا خاصًا

[1] الإمعان في أقسام القرآن، ص 228.

[2] قال الرازي في تفسير الذاريات: "وقد عرفت أن المقصود من القسم التنبيه على جلالة المقسم به".
وعلى هذا الأصل قال في تفسير سورة التين: "اعلم أن الإشكال هو أن التين والزيتون ليسا من الأمور الشريفة فكيف يليق أن يقسم الله تعالى بهما؟ فلأجل هذا السؤال حصل فيه قولان" ثم ذكر فوائدهما إن كان المراد منهما هذه الأثمار، وذكر شرافتهما إن كان المراد منهما مسجدين أو بلدين.
وقد علمت أن التمسك بهذا الجواب مع كونه بادي الخلل لا يزيل الشبهة الثالثة، فإن هذه الأشياء التي أقسم بها في القرآن، ومنها: العاديات ضبحًا، والجواري الكنس، والليل، والصبح، والتين والزيتون، ليست من الجلالة بمكان يقسم بها خالقها وربها إن كان القسم لأجل شرافتها.

[3] لم يضع العلامة ابن القيم كتابه على شكل المجادلة، فيذكر الشبهات ويجيب عنها، لكنه بحث عن حكمة القسم في القرآن، وبين فيه ما يزيل الوهم ويحسم جراثيم الاعتراض، وركنَ إلى الجواب الذي استحسنته. ولكنه مثل الرازي لم يتمسك به كل التمسك، فذبذب بين أمرين. وهو في كتابه ربما يشرع في تفسير السور التي فيها القسم، ويخرج من قول إلى قول.
وهو سبحانه يقسم بأمور على أمور. وإنما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته وصفاته، وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته.

به؛ فقال: لا يخفى عليك مما سبق من أقوال العلماء رحمهم الله أن أحسنهم قولًا من يقول إنّ هذه الأقسام دلالات. ولكن الغمة التي لم تنجل عنهم، والمضيق الذي لم يخرجوا منه هو ظنهم بكون القسم مشتملًا على تعظيم المقسم به لا محالة. وذلك هو الظن الباطل الذي صار حجابًا على فهم أقسام القرآن، ومنشأ للشبهات. فنبطله أولًا حتى يتبين أن أصل القسم ليس في شيء من التعظيم، وإنما يفهم من بعض أقسامه. ثم نبين أن أقسام القرآن بالمخلوقات ليست إلا آيات دالة، وأنها نوع من القسم مباين للأقسام التعظيمية، وليس من القسم بصفات الله كما ذهب إليه ابن القيم .رَحِمَهُ ٱللَّهُ

إنه بحث في الكتاب المذكور عن كلمة القسم في القرآن وبيّن فيه ما يزيل الوهم ويحسم جراثيم الشكوك التي يعارض الأذهان عند تلاوة آيات الأقسام وهو وإن سُبق في بيان هذه المسئلة فقد أراد الرازي في تفسيره الكشف عن وجوهه، وقد أفرد لها ابن القيم كتابًا سمّاه "التبيان في أقسام القرآن"، ولكنها لم تشف غليل الإمام الفراهي فتولى الرد بنفسه؛ فجاء كتابه على نسق واحد، تكتشف ردوده من خلال العناصر التي رتبها في الكتاب، وبيان دلالات القسم. والحق أنّ من طالع "الإمعان" وعرف ما كتب هذان الإمامان ذوا الإتقان في علوم القرآن والشريعة، يشهد أنهما وقعا في الغُمّة التي لم تنجل عنهما والمضيق الذي لم يخرجا منه فكشف الإمام عن وجه هذه المسئلة حتى أسفرت وصارت واضحة. ومَنْ شَكَّ فيما أقول فعليه أنْ يراجع هذا الكتاب.

ثم ذكر بعض أسباب خفاء الوجه الصحيح في تأويل أقسام القرآن ومقاصدها لدى العلماء فعللها في العناصر الآتية:[1]

- أنه في بعض المواقع كان المقسم به في نفسه شريفًا، مثل القرآن وطور ومكة، أو الشمس والقمر والنجوم، أو العصر والليل والنهار، فلم يحتاجوا إلى جعل الإقسام به استدلالًا. وقد ظنوا أن القسم بالشريف العظيم عام شائع. فإذا

[1] إمعان في أقسام القرآن، ص 49 وما بعدها (بتصرف يسير).

وجدوا المقسم به ذا احتمالات أخذوا منها ما يشبه بالشرافة. وبهذا السبب منعوا عن التعريج إلى السمت الصحيح. وذهبوا من القسم في مذهب عام، كما أن الماء يجري إلى الخفض إن لم يصرفه صارف.

- أن الحكماء نجعتهم الأمور الكلية. فلا يعجبهم رأي يخرم بعض جوانبه. ووجه الدلالة في الأقسام مع ظهوره في بعض الأمثلة كان خفيًا في بعضها. ولما لم يتبين لهم وجه الدلالة فيه زعموا أن هذه الكلية لا تصح هاهنا.
- وهو مدار الأولين، أنهم لما وجدوا القسم بالله تعالى وشعائره شائعًا غلب على ظنهم أن ذلك أصله. فإذا وجدوا القسم بغيره جعلوه مجازًا. ثم رأوا أن المجاز لا يصار إليه إلا إذا تعذرت الحقيقة.
- شهرة بعض أمور ذات وجوه على وجه خاص، مثل قصة هلاك فرعون وقومه. فإن المشهور أنهم أهلكوا بمحض الماء، ولا يرون فيه دخلًا للريح. وحقيقة الأمر أنه كان من عجائب تصاريفها بأمر ربها. وهكذا الأمر في طوفان نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، كما بيناه في تفسير سورة الذاريات. فأينما كانت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه منوطة ببعض الوجوه، خفي وجه الاستدلال على من خفي عليه ذلك الوجه. ولما لم يكن تفصيل هذا القصص من مهمات العقائد والأحكام لم يلتفت إليها علماؤنا رحمهم الله تعالى.
- وهو يشبه ما قبله، أنّ علماءنا رحمهم الله تعالى شغلتهم العلوم العقلية والنقلية المشهورة عن علوم هي أكبر منها نفعًا في التفسير، وذلك هو علم لسان أوحي به إلينا وإلى من قبلنا، وتاريخ هذه الأمم السامية، وعلومهم وآدابهم. وإذ هي لا تختص بمسألة القسم لا نبسط القول فيها.

وبعد أن تأول الإمام الفراهي مقاصد الأقسام على خلاف المألوف عند المفسرين؛ فإنه يبدع باستكشاف بعض النكات البلاغية واللطائف العزيزة بين يدي الأقسام في القرآن؛

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ثم في أسلوب القسم معان مفيدة للاستدلال مما يفتح عليه من البلاغة أبوابًا، ويلقي عليه من المحاسن جلبابًا".[1] ويمكن جرد أهمها فيما يأتي:[2]

- هو إظهار التأكيد والجد في القول، كما ترى في قول المرسلين من النصارى حيث جاء في القرآن: "قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧". (سورة يس: 16- 17)، أو كما ترى في قوله تعالى: "وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤". (سورة الطارق: 11-14)، وقد علموا أنّ الحر المهذب إذا أقسم على أمر فقد بالغ في إظهار الجد منه، ونفى عن نفسه الهزل.
- كون القسم إنشاء، وذلك يبهم طريق الإنكار على الخصم. فإنه إن شاء أنكر جواب القسم؛ لكونه خبرًا، ولكن لا يسنح له أن ينكر نفس القسم، لكونه إنشاء. كما أنه لا يتوجه إلى إنكار الصفة مع أنهما في الحقيقة من الأخبار.
- إيجاز هذا الأسلوب للاستدلال؛ فإن اللفظ إذا قل يتراءى المعنى متجردًا عن حجبه، فيزيده تنويرًا وتأثيرًا، كأنه أرهف حده، وقرّب بعده. وهذا مما يجعل الاستعارة أحيانًا أبلغ من التشبيه. ولا حاجة إلى توضيح حسن الإيجاز فإنه مبسوط في كتب البلاغة.
- وضع الدليل في غير صورته؛ لكيلا يبادر المنكر إلى المخاصمة. وذلك غير معنى الإنشاء الذي مرّ آنفًا في الوجه الثاني، فإنه يسدّ باب الإنكار. وهذا إنما يذهل عن الخصام؛ لكونه غير الإنشاء تجده باقيًا في صورة الخبر أيضًا.
- ما يعطي أوائل السور من نضرة بهجتها، ورونق ديباجتها. فتلمع الأقسام في

[1] المصدر نفسه، ص 52.

[2] المصدر نفسه، ص 52، وما بعدها (بتصرف).

قسمات السور على الأكثر كالغرة البارقة، وأما الذي جاء في أثناء السورة فإنما هو قليل. ومثاله كمجيء المطلع في أثناء القصيدة.

- تقديم الدليل على ذكر الدعوى. فيلقي أولًا على الخصم أمرًا يوجهه إلى سمت لا بد أن يجلبه إلى الدعوى. ولكن المنكر إذا علم من قبل ما تريد الاستدلال عليه أخذ سمتًا آخر، وتنكب عن الوجه الصحيح. فإذا لم تذكر الدعوى يوشك أن يتوجه إلى صراط مستقيم. فإذا سار على قصد السبيل قدته إلى آخر النتيجة. ومثال ذلك كل ما ذكرنا في الوجه الرابع والخامس.
- كون القسم من جوامع الكلم. فإن المقسم به لا يذكر معه جهة الاستدلال. فلو ضم به جهة خاصة كان دليلًا واحدًا، ولكن الشيء الواحد يجمع معاني كثيرة ووجوهًا مختلفة. وللمتوسم فيه دلائل شتى.

وكما ذكر أشياء كثيرة غيرها مما تتعلق بهذا الموضوع.[1]

المقارنة بين آراء الإمام ابن تيمية والإمام الفراهي في قضية أقسام القرآن

إنّ الأستاذ أشهد رفيق الندوي[2] قد قام بالمقارنة بين آراء ابن تيمية والإمام الفراهي في قضية أقسام القرآن فقال: إنّ أقسام القرآن من أهم المباحث في الدراسات القرآنية ولكن من العجيب أنها لم تجلب العناية اللائقة للمفسرين والماهرين في علوم القرآن الكريم نظرًا لأهمية موضوعها. وقد أظهر ابن تيمية رأيه في هذا وإن كانت كتاباته في هذا الموضوع لم تتجاوز بضع صفحات. ولكن تلميذه الرشيد ابن قيم (ت751هـ) قد ألّف كتابًا جليلًا باسم "التبيان في علوم القرآن" في ضوء هذه الإفادات وأشبع الموضوع بحثًا ومناقشة. أما الفراهي فاعتنى بهذا الموضوع وألّف كتابًا بديعًا شاملًا باسم "إمعان في أقسام القرآن" واستعرض فيه الجوانب المختلفة لهذا الموضوع ولعل من المفيد أن نقارن

[1] راجع للتفصيل: الإمعان في أقسام القرآن، ص1-75

[2] أستاذ مساعد في المدرسة الثانوية العالية، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره، أوترابراديش

هنا بين آراء ابن تيمية والإمام الفراهي في هذه القضية.

أغلب ما يظن الناس عن القسم أنّ المقسم به يكون أكبر درجة وأفضل من المقسم أو لا بد له من أن يكون هكذا. كما يناسب للمقسم عليه أن يكون من الأشياء التي يفيد ويؤثر القسم في تسليمها. وبذلك تورد الاعتراضات والشكوك حول الأقسام الواردة في القرآن الكريم.[1]

1- يغاير القسم بنفسه شأن الله تبارك وتعالى وعظمته، ويقسم على قوله من يحتقر نفسه والقرآن نفسه يذم الحلّافين: "وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ".

2- وعامة ما يقسم بها الأشياء هي التي فيها جانب من العظمة وعلو الشأن أو يرتبط بها الاعتقاد والحب ولكن الأشياء التي يقسم بها في القرآن، ليس فيها جانب من العظمة والتقدس أو اعتقاد ومحبة.

3- وأما الأمور التي يقسم عليها في القرآن الكريم فهي تتعلق بالعقائد الأساسية للإسلام من أمثال التوحيد والرسالة والآخرة. وهذه من الأمور التي لا يكفي فيها القسم فحسب وذلك بما أنّ المخالف يطلب الدليل والحجة والقسم ليس يكون دليلًا وأما الموافق فيؤمن بهذه الآيات من قبل فلا حاجة له إلى القسم.

وحاول دفع هذه الاعتراضات والإشكالات فخر الدين الرازي أيضًا مع ابن تيمية وابن قيم والإمام الفراهي. ولكن نركز في الأسطر التالية على آراء ابن تيمية والإمام الفراهي فحسب تاركين آخرين غيرهما.

وقد عالج الإمام ابن تيمية الإشكال الثاني فحسب وبيّنه بكل وضوح. فيقول: "قد أقسم الله تعالى ببعض الأشياء على إثبات بعض الأشياء وتتعلق هذه الأقسام بذاته تعالى الذي تتسم بصفات خاصة أو بآيات وعلامات تستلزم ذاته وصفاته وفي بعض الأحيان ربما أقسم

[1] مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية، 314/13

ببعض مخلوقاته وهذا دليل على أنّ هذه من آيات الله العظيمة".[1] وقد حاول ابن تيمية بهذه الإجابة إثبات أنّ المقسم به يتصف بالعظمة والتقديس، وذلك بما أنّ ذات الله تعالى وصفاته وآياته العظيمة تتصف بفائق الأدب والقداسة ولا مجال لأحد للشك فيها.[2]

والأصل الثاني الذي اعتمد عليه ابن تيمية هو أنّ ما يقسم عليها تكون أمورًا معلومة ومتعينة وإنما القسم يقسم به لإتيان الدليل والحجة على المقسم عليه الذي يتجلى في صورة التوحيد والرسالة والآخرة وما شابهها. ولا نجد صراحة لهذه الأصول عند ابن تيمية ولكن يمكن لنا استنباطه بالبحوث التي قام بكتابتها حول الآيات المتعلقة بالأقسام. فقد ذكر سورة الصافات والذاريات والمرسلات في هذا الباب وجعل التوحيد والآخرة على الترتيب مقسمًا عليه،[3] كما أنه أثبت أنّ هذه الأقسام جاءت لأجل كون هذه الأمور من الحقائق. ترك ابن تيمية الإشكال الأول مطلقًا وما تعرض له وأما ما قال عن الإشكال الثاني فلا يشفي غليلنا. لأنّ الإشكال في الواقع كان على كون المخلوقات عظيمة الشأن للخالق، الذي لا يزال على حاله. إنّ العزة والكرامة بيد الله تعالى، يعزّ من يشاء ولا يشك فيه أحد. ولكن هل ترفع درجة المخلوقات إلى أن يقسم بها الله تعالى بعظمته وقداسته؟

وقد حاول الإمام الفراهي دفع الإشكال الأول بقوله إنّ القسم هو حاجة ملحة للمجتمع الإنساني، وليس هناك أيّ شيء أكثر تأثيرًا ونفوذًا من القسم في اطمئنان المخاطب وفي تأييد وتوثيق العهود على الأمور القومية والاجتماعية ذات الأهمية البالغة ونحوها من القضايا الأخرى.[4] ولذلك نجد كثرة استعمال القسم عند أمور

[1] المصدر نفسه، 13/318-319

[2] المصدر نفسه، 13/319-320

[3] أقسام القرآن للفراهي (ترجمة: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ص 26-38

[4] المصدر نفسه، ص 75

هامة في كل لغات العالم. وأما إمساك القسم وذمه في القرآن والسنة فلها خلفية خاصة ويتعلق هذا الذم بأشياء قليلة للغاية.[1]

وأجاب الفراهي على الإشكال الثاني بالإشارة إلى أن المقسم به لا حقيقة له في شأن القسم ولا يكون فيه أي عظمة وقداسة.[2] وأما الأقسام التي وردت في القرآن لكريم مرتبطة بالمخلوقات فليست إلا للاستدلال والاستشهاد. ولا علاقة لها بالصفات الإلهية ولا بالتعظيم والقداسة.[3] وإنما يراد التعظيم في القسم عندما يقسم بالله وشعائره وفي بعض الأحيان يراد بها أيضًا الاستدلال والاستشهاد.[4]

ويرى الفراهي في الإشكال الثالث أنّ الأقسام الواردة في القرآن الكريم يراد بها الاستدلال والاستشهاد فحسب[5] دون تأكيد وتوثيق، وإضافة إلى ذلك توجد في أساليب الأقسام جوانب عديدة لمحاسن البلاغة أي تقصد بها رصانة القول وتأكيدها.[6] وعامة ما يكون أسلوب القسم في صورة الإنشاء فلا يجد المخاطب فيه جانبًا للإنكار والرفض.[7] ويكون في أسلوبه الإيجاز وعندما تكون الألفاظ قليلة، فيأتي المفهوم واضحًا جليًا خاليًا عن الإبهام.[8] ويتجلى الدليل كالمرآة في صورة واضحة في هذا الأسلوب، ولا يجد المنكر أيّ سبيل للمناظرة.[9] ويكون أسلوب القسم في جوامع الكلم التي تكون جملة واحدة ولكن تحمل في طياتها معاني عديدة.[10] فلذلك يفيد استعمال القسم في القرآن

[1] المصدر نفسه، ص 117-122
[2] المصدر نفسه، ص 43
[3] المصدر نفسه، ص 24
[4] المصدر نفسه، ص 83
[5] المصدر نفسه، ص 24-83
[6] المصدر نفسه، ص 100
[7] المصدر نفسه، ص 102
[8] المصدر نفسه، ص 105
[9] المصدر نفسه، ص 110
[10] المصدر نفسه، ص 114-115

الكريم الموافقين والمخالفين، والمؤمنين والكافرين على السواء.

وقد استعرض الفراهي في هذا الكتاب تاريخ القسم وأهميته وأقسامه وأنواعه وحاجته في كل زمان، كما أنه رفع القناع عن أسباب عدم العناية بهذا الموضوع، وبلاغة أساليب القسم وأسباب استقباح القسم وذمه، وألقى الضوء الفاضي على كل ناحية. ومما لا شك فيه أنّ هذا الكتاب ينفرد بأهميته وإفادته في هذا الموضوع.

الموازنة بين الإتقان والإمعان

إنّ الدكتور حسن يشو[1] قد قام بالموازنة بين الإتقان للإمام جلال الدين السيوطي وإمعان في أقسام القرآن للإمام الفراهي في المبحث الذي يتعلق بأقسام القرآن وأوجزها في العناصر الآتية:[2]

- إن الفراهي حين تناول هذا الموضوع ليتحدث عن قضية القسم فكان له هدف محدد سعى إلى تحقيقه؛ وهو إزالة الشبهات الناشئة في أذهان القراء عند تلاوة الآيات القرآنية المتضمنة للقسم، كما يظهر من بيان الفراهي في بداية الكتاب حيث قال: "لما كان المقصد الأعظم من هذا البحث إزالة الشبهات؛ أردت أن أذكرها أولًا؛ ليكون الناظر من قبل على بصيرة بمساق الكلام فيتضح له شكل نظامه وغرض سهامه".بينما لم تكن للسيوطي فكرة خاصة وهدف معين لتعرضه لهذا البحث، لذلك نجد الفراهي يتوسع في القول، ويرخي عنان القلم ليفيض بالأدلة العلمية والشواهد القرآنية والشعرية إثباتًا لرأيه وتحقيقًا للكتب.
- إنّ السيوطي نقل آراء العلماء وأصحاب التفسير في كتاب "الإتقان" كما كانت عادته في سردها دون التمحيص والتنقيح، فكان مقصوده فيه سرد الأقوال

[1] أستاذ مساعد، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة قطر

[2] انظر الإمام الفراهي وجهوده في التفسير، ص 188- 190.

والآراء ولا يعتني بالنقد والنقاش. أما الفراهي فلا يكتفي بذكر أقوال العلماء، بل يضعها على المحك ويميز بين الصحيح والسقيم، كما ذكر ما أجاب به العلامة فخر الدين الرازي وابن الجوزي، ومع ذلك ناقشهما نقاشًا علميًا أصوليًا، وبعد أن قام بعملية تحليل الآراء وغربلة الشواهد ذكر الجواب على سبيل الإجمال فقال: "ولكن الغمة التي لم تنجل عنهم والضيق الذي لم يخرجوا منه هو ظنهم بكون القسم مشتملًا على تعظيم المقسم به لا محالة، وذلك هو الظن الباطل الذي صار حجابًا على فهم أقسام القرآن ومنشأ للشبهات، فنبطله أولًا حتى يتبين أنّ أصل القسم ليس في شيء من التعظيم، إنما يفهم من بعض أقسامه" ثم بيّن أن أقسام القرآن بالمخلوقات ليست إلا آيات دالة، وأنها نوع من القسم مباين للأقسام التعظيمية، وليس من القسم بصفات الله كما ذهب إليه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- إن السيوطي يظهر في الكتاب أنّ من وظيفته تلخيصَ المبحث وتهذيبه فحسب، فليس فيه من عقله نصيب كثير، إلا ما جاء ضمن البحث إيضاحًا للمقصود وربطًا للجملة التالية بالسابقة، فهو فيه ناقل مقلد أكثر من مبدع ومبتكر صاحب رأي. بينما بث الفراهي في كتابه من فكره أوفر نصيب وأعظمه.

- كتاب الفراهي يمتاز عن كتاب السيوطي بأنه يتحدث عن تاريخ القسم وحاجة الناس إليه قديمًا وحديثًا وطرقه المتنوعة، ومعاني كلمات القسم ومفهومه الأصلي، وذلك كله في تفصيل وأسلوب علمي مقنع. أما كتاب السيوطي فيشير إليه إجمالًا.

- ويتحلى كتاب الفراهي بالشواهد الشعرية. أما كتاب السيوطي وخاصة مبحثه في أقسام القرآن فلا نجد فيه شاهدًا شعريًا.

- أشار السيوطي أنّ العرب من عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمرًا، وقد نزل القرآن بلغة العرب فلا بد من رعاية أساليبه، واكتفى بذلك، ولم يبذل أيّ جهد لجمع الاستعمالات والشواهد من كلام العرب؛ ليكون قوله آكد وأبلغ،

بينما يتوسع العلامة الفراهي في جمع الشواهد، وخاض في بحار كلام العرب فأتى بما تجمل به رأيه، وتأكد به قوله، فذكر هناك قول ريطة بنت العباس، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، والحارث بن عباد، وطرفة بن العبد، والمتلمس، والأخطل، وآخرين.

- لم يكتف الفراهي في كتابه "الإمعان" بذكر سنن العرب في القسم بل دفعته العلمية الناقدة، وتبحره في العلوم المختلفة، وتضلعه من اللغات الأجنبية إلى أن يذكر طريقة اليونانيين في القسم، وهذا مما يفوق به "الإمعانُ" على "الإتقان" وغيره من الكتب الأخرى المؤلفة في علوم القرآن.

سمات الكتاب

قد ذكر د. محمد فريد راوي بن عبد الله[1] أبرز سمات الكتاب فقال: إذ قمنا باستعراض ما تضمّن هذا الكتاب من المزايا والسمات البارزة وجدنا الشيء الكثير الذي زانه، وفضل الفراهي على كثير من العلماء والدارسين، نذكر من أهمها ما يلي:

- الشمول والاستيعاب والإحاطة.
- الاستشهاد بأقوال السلف.
- تفسير السورة التي ورد فيها القسم إذا دعت الحاجة إلى ذلك.
- الإشارة إلى الرباط الذي يربط آي السورة بعضها ببعض.
- ذكر اللطائف العلمية، وحل الغوامض التفسيرية والتاريخية.
- الاستشهاد بأشعار العرب الأولين.
- إثبات الإعجاز القرآني.

[1] مدير معهد الأبحاث العلمية المتطورة (RMC) والمحاضر في قسم الكتاب والسنة، الأكاديمية الإسلامية في الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بلانجور- ماليزيا.

- الاحتواء على النُّكَت المستمدة من فن البلاغة وأساليب البيان العربي.
- الاستدلال بالكتب السماوية الأخرى، والاستشهاد باللغات الأجنبية من الإنجليزية والعبرانية.
- المقارنة بالديانات العالمية.

بالجملة فتدلّ هذه الرسالة على نظرية جديدة في أقسام القرآن، وتلقى أضواء جديدة حقًا على ظاهرة القسم في القرآن الكريم وتثبت أنّ كافة الأقسام في القرآن شهادات، استخدمها الله جلّ مجده لإقامة الحجة على القارئ والشاهد.[1]

طبعاته

- رسالة الإمعان في أقسام القرآن، الشيخ المعلم عبدالحميد الفراهي، دار القرآن الكريم، الكويت، 1400هـ/1980م، 75 صفحة.

- إمعان في أقسام القرآن، الإمام عبدالحميد الفراهي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، 1415هـ/1994م، الطبعة الأولى، 147 صفحة

وقد طبع هذا الكتاب مرة بعد مرة في الهند ومصر والكويت ودمشق (وغير ذلك: بيروت، لبنان كما في بعض مقالات) كما يلي:

- طبع أول مرة في حياة المؤلف باسم "أقسام القرآن" من مطبعة أصح المطابع، لكناؤ سنة 1906م وفق صراحة العلامة السيّد سليمان الندوي في مقالته التي أصدرها في مجلة "معارف" (1/27 يناير 1931م، ص14). وكانت صغيرة الحجم فهي مشتملة على 38 صفحة.

[1] قام بتلخيصه الشيخ عبد المجيد الإصلاحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجلة "الرشاد" الشهرية الصادرة من جامعة الرشاد، أعظم كره، راجع: 13/61-62

- ثم زاد المؤلف في فصول الطبعة الأولى وألّفها على نحو جديد وطبعها في المطبعة الأحمدية في علي كره سنة 1329هـ/1911م، 55 صفحة.
- بعد ذلك قامت جمعية دار المصنفين بطبعها من خارج الهند فطبع على نفقتها من المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، بدون ذكر الطبعة، 66 صفحات+صفحة (فهرس)+8 صفحات (ترجمة صاحب هذه الرسالة المعلم عبدالحميد الفراهي بقلم صديقه العلامة الجليل السيد سليمان الندوي). في مقالة: المطبعة السلفية، في مقالة: 1328هـ، في مقالة: 1930م و1949م في مقالة: صفحة 68

قدّم للكتاب السيّد سليمان الندوي وذكر معلومات مفيدة جدًا عن حياة الفراهي وخدماته. والجدير بالذكر أنّ هذا الكتاب هو الأول من بين مطبوعات الفراهي والذي طبع في دولة عربية كذلك.

ومما يجدر بالذكر أنّ هذه الطبعة قد طبعت في آخر حياته ولكن توفي المؤلف في نفس السنة دون أن يراها.

- ثم طبع من دار القرآن الكريم، الكويت، 1400هـ/1980م، باسم "رسالة الإمعان في أقسام القرآن " في 75 صفحة. وفي مقالة: دار القرآن، في مقالة: دار القلم، الكويت، في مقالة: 1410هـ، في مقالة: 1401هـ/1980م، وفي مقالة: 1960م
- ثم طبع من دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، لبنان، باعتناء الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي وتحقيقه سنة 1415هـ/1994م، الطبعة الأولى، 147 صفحة (في فهرسة أ.د. ظفر الإسلام الإصلاحي: 144 صفحة) وفي مقالة: الطبعة الثالثة، دار القلم بدمشق، سنة 1415هـ. وهي أجود الطبعات لهذا الكتاب. وقد قام بضبطه وتحقيقه الدكتور عبيد الله الفراهي. وقدّم له بتعريف بديع العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وترجم له ترجمة

حافلة السيّد سليمان الندوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- أعدّه وعلّق عليه وخرّج آيات القرآن والكتاب المقدس وشكلها محمد سميع مفتي، نسخة إلكترونية.
- **أوصاف القرآن** (غير مطبوع)

شرح الإمام الفراهي في هذه الرسالة ما وصف به القرآن نفسه من الحكمة والذكر والنور والإبانة وغيرها من النعوت، وعلى سبيل المثال ذكر الإمام السيوطي من بين أوصاف القرآن "العزيز" وبيّن سبب تسميته فقال: "وأما العزيز فلأنه يعزّ على من يروم معارضته" (68:1) علّق عليه الإمام الفراهي بعدما وضع الخط عليه. لهذه الرسالة مسودتان. مجموع أوراقهما 25 ورقة.

- **بلاغة القرآن** (بالأردوية)، الإمام حميد الدين الفراهي، إعداد وترجمة: أ.د. عبيد الله الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، يو-بي، الهند، 2019م (بدون ذكر الطبعة)، 197 صفحة.

هذا الكتاب يبحث عن بلاغة القرآن في ضوء إفادات الإمام الفراهي. جمع أ. د. عبيد الله الفراهي آراء الإمام الفراهي وأقواله التي تتعلق ببلاغة القرآن من مؤلفاته عامة ومن تأليفه "تعليقات على القرآن" خاصة وترجمها باللغة الأردوية، كما أظن بأن الدكتور الفراهي لم يكتب تقديمه ولم يصرح شيئًا عن الكتاب.

إنّ الكتاب يبحث عن بعض جوانب بلاغة القرآن أولًا ثم يلقي الضوء على جوانب البلاغة في السور القرآنية حسب ترتيب السور القرآنية.

- **تاريخ القرآن** (لم يكتمل، غير مطبوع)

قد وضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضوع الكتاب (دلائل النظام) وهو معرفة النظم في معاني الآيات والسور، وهو يشير هنا إلى أنه لا شك عنده أنّ ترتيب السور توقيفي كما هو ترتيب الآيات

في كل سورة وأشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنه فصّل في ذلك في كتاب له بعنوان (تاريخ القرآن) فيبدو أنه كان يريد أن يبيّن فيه آراءه حول جمع القرآن وتدوينه بالأدلة من القرآن.

إنّ الإمام الفراهي ألّف كتابين: تاريخ القرآن، ودلائل النظام لدفع الظنون التي بنيت على الأوهام الناشئة عن قلة النظر والتأمل في روايات جمع القرآن ومواقع تنزيلها كما صرح في كتابه "مفردات القرآن" .

وهو كان يعتقد بالأدلة القرآنية الصحيحة أنّ القرآن كان مؤلفًا على عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فنكتفي بذكر بعض أمثلته فيما يلي:

المثال الأول:

تدبّر في الآيات من سورة القيامة: "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾"[1] وانظر كيف استنبط الإمام عبد الحميد الفراهي الحقائق الهامة والجديدة بكلماتها ونظامها:

الأول: إنّ القرآن يجمع في عهد النبي ويقرء عليه بنسق واحد، فإنه لو أنجز هذا الوعد بعد عهد النبي لم يأمره باتباعه وذلك قوله "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾".

والثاني: إنّ النبي مأمور بالقراءة حسب القراءة الثانية التي تكون بعد الجمع، وليس للنبي أن يلقي عليه شيء من الوحي ولا يبلغه الأمة عقلًا ولما أمره الله تعالى في قوله: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ".[2] وقوله تعالى: "مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ" عام ولا يخصه العقل، فكل ما أنزل إلى الرسول من أمر الرسالة لا بد أن يبلغه الأمة ونظم القرآن وصورته منه، فكيف يترك تبليغه وهو مما

[1] سورة القيامة: 16-19

[2] سورة المائدة: 67

أنزل إليه، فلا شك في النبي علم الأمة ق-راءة السورة بنسق آياتها.

والثالث: أنّ بعد هذا الجمع والترتيب بيّن الله ما شاء بيانه من التعميم والتخصيص والتكميل والتخفيف".[1]

وربما لم يسبق الإمام الفراهي أحدٌ بمثل هذا القول المحكم المتعلق بجمع القرآن وترتيبه، ويؤيد "تاريخ القرآن" للشيخ عبد اللطيف الرحماني والبحوث من المحققين الآخرين النقاط التي قدّمها الإمام الفراهي والآن قد أثبت تمامًا أنّ عمل جمع القرآن وترتيبه قد اكتمل في عهد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

هذا الكتاب لم ير النور حتى الآن ومسودته تشتمل على 10 أوراق.

- **تحفة الإعراب** (منظومة بالأردوية)

قد قسم الأستاذ الفراهي أسباق النحو إلى ثلاثة أجزاء، الأول في بيان الاسم والثاني في بيان الفعل والثالث بعنوان تحفة الإعراب وهو جامع لمباحث الجزأين لأسباق النحو. هذه الرسالة في صورة أرجوزة قام بشرحها الأستاذ احتشام الدين الإصلاحي بالأردوية وسماها "شرح تحفة الإعراب".

أعدّ العلامة الفراهي خطة تعليمية شاملة لإصلاح منهاج تعليم المدارس ونظامها، فصنّف لهذا الغرض كتباً ابتدائية لتدريس اللغة العربية كمثل: "أسباق النحو"، و"أسباق الصرف"، و"تحفة الإعراب" وغيرها من الكتب الأخرى، زالت بها كثير من صعوبات طلاب اللغة العربية التي تتعرض لهم خلال التعليم الابتدائي كما قطع دابر العوامل التي كانت تعرقل تعليم مبادئ العربية فقد سهّل الفراهي تعليم العربية بكتبه وخلق الرغبة والحماس في الطلاب ولا سيما كتاب "أسباق النحو" (في جزئين) وكتاب تحفة الإعراب مفيدان للغاية لهذا الهدف.

[1] نظام القرآن للفراهي (ترجمة أردوية)، الدائرة الحميدية، سرائ مير، 1996م، ص 212-213

هذه الرسالة المنظومة بالأردوية على طريقة "الألفية" لابن مالك وهي موجزة ما جاء في أسباق النحو من المواد والأفكار البديعة وذكرت فيها قواعد النحو العربي الأساسية بأسلوب شعري رصين وسهل. هي قصيدة رائية من 128 بيتًا مقررة في بعض المدارس الدينية الهندية.

إنّ الإمام الفراهي قد أبرز أهمية الرسالة المذكورة فقال: "هذه رسالة (تحفة الإعراب)، إنا وجدناها سهلًا ليحفظها الطلاب المبتدؤن. إن ما سلكه القدماء واختاروه سبيلًا إلى إفهام الطالبين هو صعبٌ جدًا وكثيرًا ما ترى أنّ من يسلكه يتعب ويصبه اللغوب لأنّ ذاك السبيل مظلم والمقام المراد بعيد جدًا ومع ذلك لا بد لكل قوم من زلة وركلة فقد عرفنا الإعراب تعريفًا جديدًا ورتّبنا هذا الفن ترتيبًا حديثًا فقد صارت الأفعال متخلصة من الإعراب والعوامل مجلوة عن البلاد فصار الفن غير صعب والطريق سهلًا قصيرًا".[1]

طبعت في حياة المؤلف وصدرت منها عدة طبعات. قد ذكر أ.د. ظفر الإسلام الإصلاحي في كشفه لمؤلفات الإمام الفراهي تفاصيل الطبعة الثالثة والطبعة الرابعة كما يلي واعترف بأنه لم يعثر على طبعته الأولى والثانية.

الطبعة الثالثة، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، مطبعة نامي، لكناؤ، 1375هـ/1955م، 11 صفحة. (في مقالة: نشرت في حياة المؤلف ثم نشرها الدائرة الحميدية في 1919م.)

الطبعة الرابعة، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، مطبعة كوه نور، دهلي، 1391هـ/1971م، 15 صفحة. (في مقالة: صدر من مطبعة معارف، أعظم كره، 1971م).

- **ترجمة جزء من طبقات ابن سعد بالفارسية**

طبعت في مطبعة مفيد عام بمدينة آغره سنة 1891م.

[1] تحفة الإعراب للفراهي، مطبعة الدائرة الحميدية، سرائ مير، د.ت، ص 5

- **ترجمة رسالة بدء الإسلام للشيخ شبلي النعماني.**

نقلها من العربية إلى الفارسية، طبعت في مطبعة مفيد عام بمدينة آغره سنة 1891م.

- **ترجمه قرآن (بالأردوية)**

أراد الإمام الفراهي أن يترجم القرآن إلى الأردوية ولكنه لم يوفّق إلا من سورة القيامة إلى سورة التعوذ كما ترك البياض في بعض المواضع، الذي ملأه الآخرون من ترجمة تلميذه المفسّر أمين أحسن الإصلاحي.[1] هذه ترجمة جيدة تهدي المترجمين إلى بعض الأصول المهمة في هذا الفنّ.[2]

هذه الترجمة تشتمل على ترجمة السور القصار أي من سورة القيامة إلى سورة الناس. وقام بإعدادها ابن حميد الفراهي (بدون صراحة اسم حميد الفراهي)، ونشرت طبعتها الأولى من مكتبة الحسنات، رام فور، ولاية أترا براديش، أغسطس 1972م، 120 صفحة.

والجدير بالذكر أنّ الإمام الفراهي ذكر أفكاره التي يواجهها أثناء ترجمة السور المذكورة في الكتاب.

في بداية الكتاب توجد ترجمة حياة الإمام الفراهي الموجزة التي كتبها الشيخ أمين أحسن الإصلاحي.

أصدرت الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، أترا براديش، الهند، طبعتها الثانية في ربيع الأول 1411هـ/ أكتوبر 1990م (في مقالة: 1989م)، 55 صفحة، لكن لا تشمل ترجمة حياة الإمام الفراهي الموجزة في الطبعة الثانية.

- **تزكية الروح**، في 3 أوراق. (د. محمد يوسف الشريحي ناقلًا من مفردات القرآن)
- **تعليقات في تفسير القرآن الكريم**[3] **(على غلاف الكتاب الموجود في مكتبة إداره علوم القرآن:** تعليقات في تفسير القُرءَان (هكذا) الكريم/ في بعض المقالات:

[1] ترجمة قرآن مجيد، ص 14 و42

[2] المصدر نفسه، ص 7-13

[3] قام البروفيسور عبيد الله الفراهي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة لكناؤ، الهند بجمع هذه التعليقات. تاريخ الكتابة: 22 ربيع الآخر سنة 1431هـ

تعليقاته على القرآن الكريم/ التعليقات على القرآن الكريم)

لقد قرأ الفراهي التاريخ بإمعان، وحلّل بدقة أسباب وعلل تقدم المسلمين وتخلفهم، وفوق ذلك كان الله قد وهبه، لرغبته في القرآن وتدبره المتواصل، بصيرة خاصة. ولذا قد وصل الفراهي إلى أنّ الحل الوحيد لإنقاذ المسلمين من الذل والهوان هو أن يرجع المسلمون إلى أصلهم الأول المتين، ولا يشوبهم جانب من العصبية والبغضاء.[1] وفي هذا الصدد أول عمل كان يريد الفراهي إنجازه نظراً إلى أهميته هو أن يؤلف تفسيراً لكتاب الله في ضوء الأصول والمبادئ التي وفقه الله لاكتشافها وتدوينها. فإنّ أصل معظم مساوئ المسلمين هو ابتعادهم عن القرآن وضعف علاقتهم به. ومع أنه لم تسمح له ظروفه بتأليف تفسير كامل على منهجه الخاص إلا أنه كتب تفسير بعض سوره، فأحقّ به فلسفته هذه، علاوة على ذلك كتاباته الأخرى تكفي لإثبات حقيقة هذا المنهج وأهميته في فهم معنى القرآن الصحيح. إنّ تعليقاته في تفسير القرآن الكريم في مجلدين مشتملين على تسعمئة صفحة وتستوعب القرآن الكريم تماماً وتفيدنا بمعلومات أساسية عن نظم السور وزمن نزولها وعمودها وتفسيرها.

وكانت هذه التعليقات قد بقيت في صورة المخطوط منذ مدة طويلة وتوجد مبيضات قلمية لها عند بعض الناس. وقد أشار سلطان أحمد الإصلاحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أهمية هذه التعليقات وقيمتها في مقالته التي نشرت في مجلة علوم القرآن الأردوية الصادرة عن إداره علوم القرآن في العقد الأخير من القرن العشرين قائلاً: "ومن أهم أعمال الفراهي التي لا تزال تبقى في صورة المخطوط ولا نجد أيّ سبيل لنشرها بل نفقد إحساس قيمتها هي تعليقاته في القرآن الكريم من البداية إلى النهاية، وهي نتيجة لتفكره وتدبره في القرآن الكريم الذي يمتد إلى أكثر من أربعين سنة".[2] وأضاف فيه مؤكداً على إصدارها: "لو أنّ مؤسسة أو لجنة في الهند تقوم بإصدارها لتكونن خدمة عظيمة للقرآن الكريم لا تفوقها أية سعادة،

[1] علامه حميد الدين فراهي، حيات وأفكار، الدائرة الحميدية، سرائمير، أعظم كره، 1992م، ص13-14

[2] انظر للتفصيل: تعليقات غير مطبوعة للإمام الفراهي، سلطان أحمد الإصلاحي، مجلة علوم القرآن، يناير-يونيو،1990م، ص 51-67

وترفع بها سمعة الهند في العالم العربي وتعتز مكانتها خارج الهند أيضًا".[1]

والبروفيسور عبيد الله الفراهي، حفيد صاحب هذه التعليقات، الذي بذل جهوده المضنية في إصدار بعض أهم مؤلفات الفراهي، هو الذي اعتنى بهذه المخطوطات فقام بجمعها وترتيبها وساهمه في هذا العمل الشيخ أمانة الله الإصلاحي وآخرون غيره. فبجهودهم البالغة تم نشر هذه التعليقات بعنوان "تعليقات في تفسير القرآن الكريم" في جزئين. ونشرته الدائرة الحميدية في سنة 2010م. فخدماتهم العلمية هذه تستحق التقدير والإشادة بكل من يشغف بالدراسات القرآنية عامة ومن ينتمي إلى الفكر الفراهي خاصة.

إنّ الإمام الفراهي كان يضبط إشاراته التفسيرية على ورقة أو ورقتين موضوعتين بعد كل ورقة للمصحف الشريف. كان للفراهي ثلاث نسخ من هذا النوع، ذهب بها تلميذه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي عندما انتقل إلى باكستان. ولكن زميله في الدرس الشيخ أختر أحسن الإصلاحي قد نسخ كل تلك التعليقات مميزًا بين المتقدمة منها والمتأخرة كما كانت نسخة أخرى عند الشيخ بدر الدين الإصلاحي، مدير أسبق للدائرة الحميدية. اعتمد عليها الدكتور عبيد الله الفراهي الذي قام بجمع هذه التعليقات كما قام بوضع مذكراته التفسيرية الأخرى المنشورة في رسائله عن القرآن في موضع مناسب لها. راجعها الشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي.[2] إنها في مجلدين فالمجلد الأول في 450 صفحة ويحتوي على مقدمة مدير الدائرة الراهن ومقدمة الفراهي لتعليقاته ومن سورة

[1] المصدر نفسه

[2] هو الشيخ أمانة الله الإصلاحي من أبرز المتخرجين في مدرسة الإصلاح، ولد في حوال 1940م. نال العلوم الابتدائية في مدرسة برامفور ثم التحق بمدرسة الإصلاح على مشورة من الشيخ أختر أحسن الإصلاحي ومن ثم ارتحل إلى المدينة المنوّرة فاستفاد من أساتذة الجامعة الإسلامية بها وبعد ذلك بعث إلى نائجيريا حيث خدم لمدة طويلة، وبعدما أصابه المرض رجع إلى وطنه وهو الآن مقيم في دلهي الجديدة. لم يبلغني كتاب له ولا رسالة. ذكر لي أستاذي الشيخ محمد أيوب الإصلاحي أنه علّق على تفسير "تدبر قرآن" وتفسير "تفهيم القرآن" وكتاب "أسباق النحو" ولكن لم يطبع شيء منها إلى الآن، وهكذا قام الشيخ الإصلاحي بمراجعة بعض مؤلفات الإمام الفراهي التي طبعت أخيرًا.

الفاتحة حتى سورة النور والمجلد الثاني في 514 صفحة ويحتوي على التفاسير من سورة الفرقان إلى سورة الناس. إنها طبعة غير محققة وصدرت من الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، أترا براديش، الهند في 2010م.

يشير الأستاذ الدكتور عبيد الله الفراهي إلى أهميتها بالكلمات التالية:

"إنّ ما وصل إلينا من تراث الإمام عبد الحميد الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير القرآن الكريم ثلاثة أقسام:

الأول: بضع عشرة سورة أكمل تفسيرها حسب منهجه، وطبع معظمها في حياته، وبعضها بعد وفاته، كل سورة في جزء مفرد، طبعة حجرية بالخط الفارسي. وكانت نافدة منذ زمن طويل، فأعادت الدائرة الحميدية طباعتها جميعًا في مجلد واحد قبل سنتين.

الثاني: سور كثيرة شرع في تفسيرها، ولكن لم يتم، وأهمها تفسير سورة البقرة، وقد وصل في تفسير هذه السورة إلى قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ). وقد صدر هذا التفسير من الدائرة سنة 1420هـ.

ومنها تفسير سورة آل عمران، وقد فسّر قدرًا كبيرًا منها مرتين. وسور أخرى كتب في تفسيرها فصولًا عديدة، وسنطبع تفسير هذه السور قريبًا في مجلد مستقل إن شاء الله.

وقد فسّر الإمام الفراهي آيات من سورة البقرة وآل عمران حسب الخطة التي ارتضاها أخيرًا لترتيب مطالب التفسير. فكل مجموعة من الآيات تكلم عنها تحت سبعة عناوين:

1. المقدمة (بيان عمود السورة، ونظامها ومواقع نزولها ووجوه خطابها، وغير ذلك من الأمور الكلية).
2. الكلم (تفسير المفردات).
3. النحو (بيان تأليف الكلم).
4. البلاغة (دلالة الأساليب على معانٍ تناسب المحل).

5. التأويل (حمل الكلام على مراده حسب المحل)
6. التدبر (ذكر المبادئ والنتائج أي اقتضاء النص وإشارته).
7. النظم (بيان موقع جملة من الكلام ورباط بعضها ببعض).

الثالث: تعليقات مختصرة، وهي عبارة عن خواطر وأفكار ظهرت له في أثناء تدبر القرآن الكريم، قيّدها تذكرة لنفسه، لا للنشر. وقد وضع بين كل ورقتين من مصحفه ورقة بيضاء أو أكثر، يدوّن فيها تأملاته بالقلم الرصاص كعادته. ويبدو أنّ ثلاثة مصاحف كهذا كانت عنده. هذه المصاحف ليست بين أيدينا، فإنّ الشيخ أمين أحسن الإصلاحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أخذها معه عندما انتقل إلى باكستان. وقد نسخ زميله الشيخ أختر أحسن الإصلاحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تلك التعليقات من مصاحف شيخه مميزًا بين المتقدمة منها والمتأخرة. هذه النسخة عندنا، ونسخة أخرى بخط المدير السابق للدائرة الحميدية الشيخ بدر الدين الإصلاحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

على هاتين النسختين اعتمدنا في إخراج هذه التعليقات للراغبين في تدبر كتاب الله، محافظين على ترتيبها فيهما، فقدّمنا التعليقة الأولى، ونبهنا على غيرها في الهامش بأنها التعليقة الثانية أو الثالثة.

ثم ضممنا إليها من القسم الثاني ما كان مختصرًا جدًا، فإنه لم يكتب في تفسير بعض السور إلا فصلًا أو فصلين، كما في تفسير سورة يوسف والحجر والنحل والإسراء وغيرها، فرأيناه أليق بهذه المجموعة، وقد نبهنا في آخر هذه الفصول بأنها "من تفسيراته".

وقد وجدنا دفترًا فيه تفسير آيات من سور مختلفة، فوضعنا تفسير كل آية منها في موضعه بين حاصرتين، مع التنبيه في الهامش على أنها "من تفسيراته".

وكان المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد كتب في مواضع من مصحفه إشارات تحت الآيات، فضمناها أيضًا إلى هذه المجموعة، مع التنبيه على أنها "من إشاراته تحت الآية".

وعلاوة على ذلك، أضفنا إلى هذه التعليقات كل ما وجدنا في كتب المؤلف المطبوعة والمخطوطة من كلام أو تذكرة أو إشارة في تفسير آية من الآيات، فزدناه في الموضع المناسب بين حاصرتين مع الإحالة على مصدره في الهامش.

وأخيرًا أحبّ أن أنبّه على هذه التعليقات لم يقيّدها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ للنشر، وإنما هي كالمذكرات كما سبق، وقد يكون رجع عن بعض أقواله الواردة فيها، ولعل بعض أقوال المفسرين التي ذكرها فيها لا لموافقته لهم فيها، بل لنقدها، أو حاجة أخرى في نفسه. ومن ثم لم يكن تلميذه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحبّ نشرها، كما بلغنا عنه. ولكن لما كان المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكمل تفسيره، وتناولت تعليقاته هذه سور القرآن كلها؛ ثم قد اشتملت على كنوز وجواهر استخرجها إمام نابغة كان نسيج وحده في علم كتاب الله رأينا من حق الدارسين علينا أنْ نظهرها لهم، لينتفعوا بما فيها من الحق والصواب، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلوات الله عليه وسلامه".

وقد أصبحت هذه التعليقات مصدرًا موثوقًا به لمعرفة آراء الفراهي التفسيرية حول معظم الآيات القرآنية وتشفي الغلة التي يدركها القارئ بعد قراءة تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" الذي لم يوفق إكماله في حياته.

في التعليقات المذكورة أشير إلى نظم جميع الآيات الصعبة تقريبًا من حيث النظم، وعمود السور، وموضوعاتها الأساسية فيقول الشيخ نجم الدين الإصلاحي[1] عن هذه التعليقات "لو لم يكتب الأستاذ الإمام شيئًا عن القرآن سوى هذه التعليقات لكفت حلّ مشكلات القرآن كلها ودرسه وتدريسه وفهمه وتفهيمه ولكشفت عما أغلق منه ولثبتت هذه التعليقات سراجًا لمن أراد تكميل تفسير "نظام القرآن" من تلامذته الخواص. والحمد لله على أنّ هذه التعليقات مصونة حتى الآن وهي تستطيع بأن نبيّن في ضوئها أفكار الإمام الفراهي بدلًا مما يفعله الآخرون وقد أخفوها على الناس إلى الآن، وهي كذلك

[1] تلميذ الإمام عبد الحميد الفراهي وكاتب ومترجم مؤلفات عديدة.

تقدر على كشف النقاب عن العديد من الجماعات الضالة، وهذا من سوء الحظ وشدة الأسف أنّ هذه التعليقات قد وقعت عليها أيدي من لا يعرفها وهي تسقط في هوة الدمار يومًا بعد يوم، وكل ناسخ ينقل منها حسبما يفهمها فهو يخطئ كثيرًا ونخاف أن تكون هي سببًا لوقوع الأخطاء الفاحشة لأجل سوء فهمها. والحال أنّ الحافظ حفيظ الله قد وهب خمسين ألف روبية لهذا الهدف الخاص عن طريق إقامة "الدائرة الحميدية" المبلغ الذي قد صين بجهود مخلصة للمحامي الحافظ عبد الحميد الكلف بالمدرسة ---- ولقد قلت للأخ أختر أحسن مرارًا وتكرارًا عن إبراز هذه التعليقات إلى حيز الوجود ولقد اجترأت فقلت إني أقوم بها وتقوم أنت بإعادة النظر فيها لأنك لا تستطيع سوى أن تحلّ المشكلات وأما البقية من المهام فلست بجدير لها ولكنه لم يقم بها وتوفي والآن هذه الخزينة الثمينة بأيدي غلمان ليسوا من المتخرجين في المدرسة دعهم أن يتخرجوا منها بانتظام، وأما الاستفادة من الإمام الفراهي وصحبتهم له فهي مما لم يوفقوا لذلك".

قام الدكتور أبو سعد الأعظمي الإصلاحي باستعراض تعليقات الإمام الفراهي حول القرآن الكريم فيقول:

"يتضح من خلال هذه التعليقات منهج الإمام الفراهي وفلسفته في النظم، ففيها قام بتعيين عمود السور وعرض تحقيق المفردات في ضوء كلام العرب وأشار إلى التراكيب النحوية والجوانب البلاغية واستعرض تسامحات أعلام الفن في هذا الصدد ونقدها. ولا يخفى على أحد أهمية معرفة كلام العرب وذلك لكي يصل إلى مفهوم صحيح للكلام وربما يقع الإنسان في أخطاء فاحشة بسبب عدم معرفته بأساليب كلام العرب، وركز الفراهي عنايته بهذا الجانب أيضًا، وقدّم نماذج من أساليب كلام العرب في مواضع عديدة. ونرى في بعض المناسبات تفسيرًا مؤثرًا للآيات الكريمة وربما اكتفى بالإشارات ووعد أن يفصل القول في تفسيره في موضع آخر، كما أنه نقل الأحاديث النبوية وآثار الصحابة تأييدًا للمفهوم المستنبط من الآيات الكريمة وتشريحها وذكر أمهات الكتب التفسيرية أيضًا. له نظر عميق في الصحف السماوية

وقد تعلم اللغة العبرانية وتمهر فيها حتى كان يتمكن من استفادة النسخة العبرانية مباشرة، واستفاد منها كمأخذ ثانوي في تفسير القرآن الكريم واستند في هذه التعليقات أيضًا إلى الصحف السماوية. وبالإيجاز لو نقوم بإعداد مفهرس المباحث الواردة في هذه التعليقات للفراهي، يمكن لنا إلقاء الضوء على هذه العناوين التالية:

تفسير القرآن بالقرآن، الاستفادة من الأحاديث النبوية وآثار الصحابة، الاستفادة من أمهات كتب التفسير والإشارة إلى بعض التسامحات الواردة في تفاسيرهم لعدم عنايتهم بكلام العرب وأساليب كلامهم ولعدم رعاية النظم، تحقيق المفردات والاستشهاد بكلام العرب لتوضيح أساليب الكلام، الاستفادة من الصحف السماوية والمقارنة بين القرآن والصحف السماوية في صدد القصص الواردة فيهما، نماذج التراكيب النحوية والنقد على أصول أعلام النحويين.

وفي السطور التالية نحاول تقديم دراسة تحليلية لهذا الكتاب. فيعرف كلّ منا أنّ الفراهي له منهج خاص في التفسير، وقد أكمل تفسير بعض السور القصار حسب منهجه وشرع في تفسير سور كثيرة منها البقرة وآل عمران ولكنه لم يتم، فنرى منهجه يسود في هذه التعليقات إلى حد. وسيتضح منهج تفسيره بكل وضوح بدراسة هذه التعليقات.

تفسير القرآن بالقرآن: أجمع المفسرون على أنّ تفسير القرآن بالقرآن هو أحسن طرق التفسير، لأنّ القرآن يفسّر بعضه بعضًا. وأشار ابن تيمية إلى أهمية تفسير القرآن بالقرآن بقوله: "فإن قال قائل ما أحسن طرق التفسير فالجواب أنّ أصح الطرق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان، فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر من مكان، فقد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له".[1] وقد التزم الفراهي كتفسيره المطبوع في هذه التعليقات أيضًا أنْ يفسّر القرآن بالقرآن ويقدّم حلّ مشكلاته في ضوء القرآن. فمثلًا لتعيين مفهوم أية كلمة، يستوعب

[1] فتاوى ابن تيمية، عبد الرحمن النحيد الحنبلي، فهد بن عبد العزيز آل سعود، 363/13

الفراهي جميع الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة ثم يمعن نظره في محل استعمالها ويعتني الفراهي في هذا الصدد بعمود السورة ونظام الآيات ونظائرها أكثر من غيرها ثم يعيّن مفهومها. وهذا هو الأساس لمنهج الفراهي. وفيما يلي نقدّم بعض النماذج:

جاء في تعليق سورة البقرة: "وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ" الآية 165، نظيرها في سورة الأنبياء قوله تعالى، "لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ" الآية 39. فقوله "إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ" مثل قوله، "حِينَ لَا يَكُفُّونَ" أي لو يعلم الظالمون الآن ما يعلمونه في الآخرة لانتهوا وتابوا وخافوا، ولكنهم يعلمونه حين لا ينفعهم علمهم بل يكون حسرة عليهم. وهذا على تأويل "حِيْنَ" إلى المفعولية أو على تقدير المفعول، أي لو يرون أحوالهم حين لا يكفون، ونظائر ذلك كثيرة، فمنها في سورة سبأ قوله تعالى، "وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ" الآية 51. فإن صح ذلك فتأويل الآية مثل ما ذكرنا في نظيرها".[1]

وجاء في تعليق سورة النحل الآية 44: "بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ" يتعلق بقوله تعالى "وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ" وذكروا فيه وجوهًا خمسة. والبينات معناها الذكر، كما قال "وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ" (سورة الأنبياء: 105) وروي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أنّ الذكر هو التوراة. وقال "وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ" فأظن، والعلم عند الله، أنّ الكتاب والذكر والتوراة واحد، والمراد به الأحكام من التوحيد والشرائع. وتقابله الحكمة أي النصائح والزبور أي النغم الإلهية. لتبين للناس أي أهل الكتاب".[2]

وجاء في تعليق سورة البقرة الآية 113: "يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ" أي فيما اختلفوا فيه من الدين، لما حبّب إليهم البدع والأهواء، كما جاء كثيرًا في القرآن. ومنه قوله تعالى "وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ" (الشورى: 10). و"فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا

[1] تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر نفسه، 56/1

[2] المصدر نفسه، 348/1

بَيْنَهُمْ" (الجاثية: 17). ذكر ابن جرير روايات طويلة باطلة ولم ينبه على سخافتها".[1]

ونكتفي بهذه النماذج إذ يمكن من خلالها أن نرى كيف التزم الفراهي تفسير القرآن بالقرآن وقدّم نظائرها من سور أخرى وبيّن معناها.

الاستفادة من الأحاديث وآثار الصحابة: وأما نظرية الفراهي عن الحديث، فيرى القرآن كأصل والأحاديث كفرع، وذلك بما أنّ القرآن قطعي الدلالة وأما الأحاديث فهي ظنية الثبوت. يقول في مقدمة نظام القرآن:

"أما الإمام والأساس فليس إلا القرآن نفسه وأما ما هو كالتبع والفرع فذلك ثلاثة: (1) ما تلقته علماء الأمة من الأحاديث النبوية، (2) وما ثبت واجتمعت الأمة عليه من أحوال الأمم، (3) وما استحفظ من الكتب المنزلة على الأنبياء. ولولا تطرق الظن والشبهة إلى الأحاديث والتاريخ والكتب المنزلة من قبل لما جعلناها كالفرع".[2]

وأضاف فيه: "أول شيء يفسّر القرآن هو القرآن نفسه، ثم بعد ذلك فهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذين معه، ولعمري أحبّ التفسير عندي ما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ"[3] ويلقي الضوء على منهج تفسيره قائلًا: "وإني مع اليقين بأن الصحاح لا تخالف القرآن، لا آتي بها إلا كالتبع، بعدما فسّرت الآيات بأمثالها، لكيلا يفتح باب المعارضة للمارقين الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والملحدين الذين يلزموننا ما ليس له في القرآن أصل".[4] ويرى الفراهي أن تمييز صحيح الأحاديث من سقيمها هو أمر صعب، ووضع أساس الدين على روايات ضعيفة خطير جدًا. فلذلك أصر على أن يقوم كل أمور الدين على المتون القرآنية. يقول في كتابه "التكميل في أصول التأويل": "وقبل أن تفهم

[1] المصدر نفسه، 45/1

[2] تفسير نظام القرآن للفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره، الطبعة الأولى، 2008م، ص 28

[3] المصدر نفسه، ص 23

[4] المصدر نفسه، ص 24

القرآن، تتهافت على الأحاديث، وفيه صحيح وسقيم، فيعلق بقلبك من الآراء ما ليس له في القرآن أصل، وربما يخالف هدى القرآن، فتأخذ في تأويل القرآن إلى الحديث ويلبس عليك الحق بالباطل. فالسبيل السوي أن تعلم الهدى من القرآن وتبنى عليه دينك ثم بعد ذلك ننظر في الأحاديث. فإن وجدت ما كان شارداً عن القرآن حسب بادي النظر، أوّلته إلى كلام الله، فإن تطابقا فقرّت عيناك، وإن أعياك فتوقف في أمر الحديث واعمل بالقرآن".[1]

وبهذا الأصل يشير الفراهي إلى الرواية التي يجدها في تأييد ذلك المفهوم الذي يعينه رعاية بعمود السورة ونظام الآيات ونظائرها، كما أنّ الألفاظ المذكورة في القرآن لو يجد تشريحها في الأحاديث الصحيحة، فيستند إليها. فلذلك نرى الأحاديث النبوية وآثار الصحابة متبعثرة في هذه التعليقات. وفيما يلي نقدم بعض النماذج:

وجاء في تعليق سورة البقرة الآية 41: "شهيد أي شفيع، لما بدّلوا معنى الشفيع وصاروا يعبدون الشفعاء فأبطل الله ذلك المعنى، فاستعمل كلمة "شهيد". فالشهيد هو الذي يؤذن بالكلام، وبواسطته يغفر لمن شاء الله. فليس لأحد أن يبدأ بالكلام، ثم اعلم أنّ الأصحاب وصلحاء الأمة شهداء كأنبياء بني إسرائيل، قال الله تعالى "وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ" (سورة البقرة: 143). وهذه مرتبة عظيمة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد روي[2] أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اقرأ القرآن علي، قال فقلت يا رسول الله أنت الذي علّمتنيه، فقال: أحبّ أن أسمع من غيري، قال ابن مسعود: فافتتحت سورة النساء فلما انتهيت إلى هذه الآية بكى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمسكت عن القراءة".[3]

[1] التكميل في أصول التأويل للفراهي، الطبعة الثانية، 1411هـ، ص 65-66

[2] وجاءت هذه الرواية في مسند أحمد، 433/1، رقم الحديث: 4118، وألفاظه مختلفة عما ذكر في الكتاب. وفيه عن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقرء علي القرآن، قلت يا رسول الله، كيف أقرء عليك وإنما أنزل عليك، قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري، قال: فافتحت سورة النساء، فقرأت عليه، فلما بلغت، "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً" قال: نظرت إليه وعيناه تذرفان.

[3] تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر نفسه، 127/1

جاء في تعليق سورة آل عمران الآية 125: فعلمنا أنّ الصبر والتقوى تثمر النصر. وبيّن أنّ من التقوى الإنفاق وبه يتقى من النار كما جاء التصريح به في الآيات التالية. وهكذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، "اتقوا النار ولو بشق تمرة". فإنّ الإنفاق عام".[1]

وجاء في تعليق سورة المائدة "مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ..." (الآية 103): "البحيرة التي منع درّها للطواغيت، والسائبة: ما سيبوها لآلهتهم، والوصيلة: البكر التي ولدت أنثى ثم أنثى، فيسيبونها للآلهة، والحامي: فحل سيبوه للآلهة بعد ضراب معدود". (هكذا روى البخاري، ونقلته بالمعنى).[2] ونقل الإمام البخاري هذه الرواية عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنع درّها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليه شيء، والوصيلة: الناقة البكر تبكرني أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثنى بعد أنثى وكانوا يسيبونهم لطواغيتهم، إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر. والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل، فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي".[3]

ونكتفي بهذه، ويتضح مما سلف أنّ الفراهي لا ينكر الحديث كما يظن بعض الناس، إلا أنّ له منهجًا خاصًا في التفسير، يلتزمه في تفسيره، فلذلك لا نرى الأحاديث الكثيرة صحيحها وسقيمها كما نرى في تفاسير القدماء مثل الطبري وابن كثير.

الاستفادة من أمهات كتب التفسير والإشارة إلى بعض تسامحاتها: وربما يلم بأذهاننا أنّ الفراهي لعله صرف النظر عن أمهات كتب التفسير التي توجد لدى هذه الأمة وذلك بمنهجه الذي التزمه في تفسيره وهو التدبر والتفكر في القرآن مباشرة. ويوثقه هذا عندما نرى تفسيره المطبوع، فلا يرجع إلى أمهات كتب التفسير إلا قليلًا. وفي

[1] تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر نفسه، 113/1

[2] المصدر نفسه، 164/1

[3] الجامع الصحيح للبخاري، كتاب التفسير، باب "ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة"، رقم الحديث: 4623

الواقع بذل عنايته بجميع هذه التفاسير المهمة المتداولة عبر العصور واستفاد منها ودرسها بغاية الإمعان والدقة إلا أنه لم يقبل أيّ رأي على أساس أنه رأي مفسر كبير، بل آثر أن يستعرض هذه الآراء وينقدها كجوهري ثم يأخذ منها ما يجده قريبًا من ألفاظ القرآن ونظام آياته. ويتضح بعد إطلالة على هذه التعليقات أن الفراهي استفاد خاصة من تفسير الطبري ومفاتيح الغيب للرازي، وذلك بما أننا نرى أنه رجع إليهما في مواضع عديدة، وعلاوة على ذلك، نجد في هذه التعليقات ذكر الكشاف والبيضاوي والدر المنثور والعلامة المهائمي وترجمة عبد القادر. وفي هذا الصدد أشار إلى تسامحات بعض المفسرين وانتقدها أيضًا. وفيما يلي بعض النماذج:

نقل الفراهي في شرح آية المائدة "أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ" رأي الإمام الرازي أنه يقول "المراد بالطيبات ههنا الذبائح والعرب تسمى الذبيحة طيباً وتسمى الميتة خبيثًا"[1] ولاحظ ما قاله الرازي في شرح الطيبات "واعلم أن الطيب في اللغة هو المستلذ، والحلال المأذون فيه يسمّى أيضًا طيباً تشبيهًا بما هو مستلذ، لأنهما اجتمعا في انتفاء المضرة، فلا يمكن أن يكون المراد بالطيبات ههنا المحللات وإلا لصار تقدير الآية، قل أحل لكم المحللات، ومعلوم أن هذا ركيك، فوجب حمل الطيبات على المستلذ المشتهى، فصار التقدير، أحل لكم كل ما يستلذ ويشتهي".[2]

وكتب في تعليق آية النساء "وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ" (140): "هذه الآية تشير إلى ما ذكرنا من سورة الأنعام حتى أنّ المفسرين زعموا أنّ تلك الآية قد نسخت بهذه الآية، كما ذكر ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولكن لا نسخ، فإنّ هذه الآية إنما تمنعهم عن القعود معهم إذا سمعوا استهزاءهم حتى يخوضوا في حديث غيره".[3]

[1] تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر نفسه، 113/1

[2] التفسير الكبير للرازي، الطبعة الثالثة، 142/11

[3] تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر نفسه، 137/1

وقال في شرح آية التوبة "ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا..." (الآية 9): أنّ هذه الآية عند الرازي في أهل الكتاب خلافًا للسلف، واستدل بدليلين، الأول: خصوصية قوله تعالى "ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا" بأهل الكتاب. والثاني: تكرار قوله تعالى "إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗ".[1] ولاحظ ما قاله الرازي في تفسير هذه الآية "لا يبعد أن تكون طائفة من اليهود أعانوا المشركين على نقض تلك العهود، فكان المراد من هذه الآية ذم أولئك اليهود. وهذا اللفظ في القرآن كالأمر المختص باليهود، ويقوي هذا الوجه بما أن الله تعالى أعاد قوله "لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗ". ولو كان المراد منه المشركين لكان هذا تكرارًا محضًا، ولو كان المراد منه اليهود لم يكن هذا تكرارًا، فكان ذلك أولى".[2]

وانتقد الفراهي تسامح ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آية آل عمران "كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ" (الآية 110): يقول الفراهي إنّ نسبة الفعل بصيغة الجمع إلى المجموع من حيث هو مجموع، فلا ينسب إلى كل فرد فرد. فزعم ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الأمر بالمعروف واجب على كل فرد من هذه الأمة. وعلى هذا أخطأ في قوله تعالى "وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ" (سورة آل عمران: 104) فزعم أنّ "منكم" ليس للتبعيض، فتمسك بالنادر وترك الكثير الشائع. وهذا مخالف لأصول التأويل، ومخالف للسنة، ومخالف للحكمة ومخالف للشاهد القريب. فإن بعد هذه الأية بقرب منها جاء قوله تعالى "مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣" (سورة آل عمران: 113) فليس المعنى أن أهل الكتاب كلهم هكذا.[3] ولا يخفى أنّ هذا نقد وجيه، لأن الآية تبدأ بقوله تعالى: "لَيۡسُواْ سَوَآءٗ" فدلّ ذلك على أنّ ما اشتملت عليه الآية من مدح إنما يخص طائفة من أهل الكتاب دون غيرها كما أوضح الفراهي.

نرى في هذه النماذج المذكورة أنّ الفراهي له نظر عميق في أمهات كتب التفسير، وقد

[1] المصدر نفسه، 245/1

[2] التفسير الكبير للرازي، 232/15

[3] تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر نفسه، 109/1-110

درسها بالإمعان والدقة، فلا يجوز أن نتصور أنه صرف النظر عنها بعدم الإحالة إليها في تفسيره المطبوع وبمنهجه الخاص الذي يقوم على التفكر والتدبر في آيات القرآن مباشرة.

الاستشهاد بكلام العرب: كان الصحابة يلتزمون باستشهاد كلام العرب في شرح الآيات القرآنية وتوضيحها، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد حفظ أشعارًا كثيرة ويستشهد بها حسب الموقع ومرة خاطب الناس وقال: "يا أيها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإنّ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم".[1] وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا يستشهد بأشعار العرب عندما يسأل عن القرآن،[2] ومن قوله: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه".[3] واستمر الاستشهاد بكلام العرب بعد الصحابة في عصر التابعين أيضًا. يقول ابن الأنباري: "قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيرًا الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر".[4] ونرى أنّ المفسرين القدامى كالطبري والزمخشري والرازي والقرطبي وغيرهم أيضًا اعتنوا بالاستشهاد بكلام العرب في تفاسيرهم ونقلوا أشعارًا كثيرة.

ويمتاز الفراهي من المفسرين الذين نبغوا في القرن العشرين وذلك بما أنه التزم بتفسير القرآن بالقرآن ونظام القرآن في حلّ غرائب القرآن وغوامضه ومشكلاته وأسّس أصوله كما وثق نتائج بحثه بعد أن بحث نظائره من كلام العرب. ويقول الفراهي في مقدمة تفسيره تحت عنوان المآخذ اللسانية: "فأما في سائر الألفاظ وأساليب حقيقتها ومجازها، فالمآخذ فيه كلام العرب القديم، والقرآن نفسه. وأما كتب اللغة فمقصرة، فإنها كثيرًا ما لا تأتي بحد تام، ولا تميز بين العربي القح والمولد، ولا تهديك إلى جرثومة المعنى،

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى، 1987م، 111/10، في صدد الآية "أو يأخذهم على تخوف" (سورة النحل: 47)

[2] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1988م، 55/2

[3] المصدر نفسه، 55/2

[4] المصدر نفسه، 55/2

فلا يدري ما الأصل وما الفرع؟ وما الحقيقة وما المجاز؟ فمن لم يمارس كلام العرب واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد لفهم بعض المعاني من كتاب الله".[1]

ويرى الفراهي أنّ المفسر لا بد له من الاستفادة من كلام العرب في توضيح المفردات اللغوية وذلك بما أنه لا يقبل معنى الألفاظ إلا ما كان عامًا وشائعًا استعمالها عند العرب. وتكثر الأشعار العربية في هذه التعليقات كتصانيفه الأخرى. والتزم الفراهي بذلك في أكثر من أربعين موضعًا فاستشهد بكلام العرب في تحقيق المفردات اللغوية وتوضيح أساليب الكلام وتبيين التراكيب النحوية. ونقدّم هنا بعض الأمثلة:

وهو الرب والشهيد على يو م الحيارين والبلاء بلاء[2]

كتب الفراهي في شرح كلمة "شهيد" الواردة في سورة المائدة "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ" (الآية 8): "الشهيد كالرسول، ولذلك سمّى الله الأنبياء شهداء. ثم الشهيد هو الرقيب والمحافظ كما ترى في آخر هذه السورة. (وهذه إشارة إلى هذه الآية، "وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ") وكما قال الحارث بن حلزة في آخر قصيدته".[3] واكتفى الفراهي بالإشارة وما نقل الشعر. والشعر هكذا:

وكتب في شرح كلمة "الوحي" الواردة في سورة المائدة الآية 111 "الوحي في أصل معناه إلقاء خيال لا بشرط النطق، وهذا هو المعنى المراد في كلام العرب. قال علقمة الجاهلي يصف الظليم يظهر خياله لعرسه:

يوحي إليها بأنقاض ونقنقة كما تراطن في أفدانها الروم[4]

[1] تفسير نظام القرآن، ص 32

[2] ديوان الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم، شرح مجيد طراد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، ص 30

[3] تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر نفسه، 148/1

[4] ديوان الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم، شرح مجيد طراد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، ص 30

وكما قال الله تعالى "وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا" (سورة النحل: 68) "وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ" (سورة الشورى: 51).

وكتب في تعليق الآية "قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ" (سورة هود: 73). "الضمير في "أَتَعۡجَبِينَ"، و"عَلَيۡكُمۡ" لامرأة إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ. وضمير جمع المذكر يستعمل للنساء كثيرًا وخاصة إذا عبر عنها بأهل، كما ترى في سورة الأحزاب "يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣" (الآية 33). ومن ينظر في أشعار العرب يجد كثيرًا من الأمثلة. قال امرؤ القيس:

فلو كان أهل الدار فيها كعهدنا وجدت مقيلا عندهم ومعرسا[1]

وقال عمر بن ربيعة القرشي وقد جمع بين الخطابين كما في الآية.

فوالله ما للعيش ما لم ألاقكم وما للهوى إذ ما تزارين من طعم

ألم تعلمي ما كنت آليت فيكم وأقسمت لا تخلين ذاكرة باسمي[2]

ولولا كراهة ذكر الأشعار لسردت كثيرًا في هذا الباب. وهكذا في قصة موسى في سورة القصص".[3]

وأكثر الفراهي من الاستشهاد بكلام العرب في هذه التعليقات أيضًا وذلك لشرح الكلمات أو تعيين معناها أو لبيان أساليب الكلام وغيرها. ونكتفي بهذه الأمثلة.

الاستفادة من الصحف السماوية: كان الفراهي يستدل بما ورد في الصحف

[1] شعراء النصرانية، ص 500

[2] ديوان عمر بن ربيعة، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: الدكتور فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1992م، ص 338-339 وفي الديوان "لا تحكين" دون "لا تخلين".

[3] تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر نفسه، 1/288-289

السماوية في صدد البحث والتحقيق عن القصص المنقولة عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى دون أن ينقل الأحاديث المأثورة في كتب التفاسير القديمة وذلك ليقوم عليهم حجة. يقول في مقدمة تفسيره، "وبعد التمسك الشديد بالقرآن، آتي بشهادات الكتب التي نزلت من قبلنا، كما آتي بما روي من الأحاديث تبعًا، والغرض كشف ما وافقت فيه الآيات وإقامة الحجة على الأمتين من كتبهم".[1]

والصحف السماوية التي أنزلت على الأنبياء السابقين وتوجد في شكل محرف، يعتمد عليها الفراهي كمصدر ثانوي، ويوضح أنه لا يقبل منها إلا ما يكون مؤيدًا للقرآن ومصدقًا لما فيه. يقول: "ومن نظر في الكتب السابقة استبان له فضل تعليم القرآن عليها وإعادة بعض ما نسوه من كتبهم وكشف ما بدّلوه، والذي يهم~ك ثانيًا هو أن تجعل بين ما نطق به القرآن وبين ما تجد من الفروع سدًا وحاجزًا فلا تخلطهما".[2]

وقد استدل بالصحف السماوية في تفاسيره المطبوعة وفي هذه التعليقات أيضًا على صحة ما ذهب إليه، فنرى فيها نماذج عديدة من ذلك وحاول المقارنة بينهما. وفيما يلي بعض النماذج:

كتب في تعليق آية آل عمران "وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ" أي في حق النبيين. وأخذ هذا العهد بالخصوص من اليهود. انظر الخروج: 23-24، والأعداد: 16-17، و24-29، ومن النصارى كما ترى في أواخر يوحنا".[3]

وكتب في تعليق سورة الكهف الآية 94 "أن ياجوج وماجوج هم أقوام المسيحيين، كما صرح به في التوراة".[4]

وكتب في تعليق سورة القصص "خِفْتِ عَلَيْهِ" (الآية 7) " أي من عذاب فرعون. وهذا

[1] تفسير نظام القرآن، ص 24
[2] المصدر نفسه، ص 29-30
[3] تعليقات في تفسير القرآن الكريم، المصدر نفسه، 101/1
[4] المصدر نفسه، 390/1

يشير إلى القتل وإن لم يكن صريحًا. فإذا كان الأمر هكذا يشكل ما جاء في سورة الأعراف "سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ". واختلف المفسرون، فمنهم من قال: كان يفعل ذلك كما فعله ابتداء عند ولادة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومنهم من قال: بل منع منه. واتفق المفسرون على أن هذا التهديد وقع في غير الزمان الأول. (هذا ما قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هناك). وفي التوراة أنّ فرعون أمر أن يلقوا أبناء بني إسرائيل في البحر. فلما ولد موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أخفته أمه ثلاثة شهور، ولما لم يمكن لها أن تخفيه وضعته في سفينة من اليراع وقيرتها وألقتها في اليم. فهذا قوله تعالى يشير إلى خوفها من أخذ رجال فرعون إياه".[1]

نماذج التراكيب النحوية: ويتضمن النحو أيضًا في سبع عناوين التي تحدث عنها الفراهي في تفسيره، وأكد على ضرورة استعراض المؤلفات المختلفة للنحو في ضوء القرآن الكريم، وذلك بما أنها لا تعين في فهم القرآن وأساليبه مع دقة مباحثها وغمض فكرها. ونرى في هذه التعليقات أنه يقوم بحل المشكلات النحوية مع نقده لأعلام النحويين أيضًا. نقدم بعض الأمثلة:

كتب في تعليق سورة الشعراء "فَظَلَّتۡ أَعۡنَاقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤" (الآية 4)، هذا من مشكلات النحو. والأقرب أن "فَظَلَّتۡ" هاهنا جاءت على الأصل و"خَٰضِعِينَ" حال عن الضمير في "أَعۡنَاقُهُمۡ".[2]

وكتب في تعليق سورة الرحمن "كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٍ ۝٢٦" (الآية 26) أنّ ضمير المؤنث راجع إلى الأرض ولم يسبق ذكرها، وهذا شائع في كلام العرب، إذا كان هناك قرينة فهاهنا القرينة هي مشابهة الأرض للجوار المنشآت.[3]

وكتب في تعليق سورة الزمر الآية 14،"ديني" أقرء "دين" مثل "فاتّقون"، وكذلك أقرء

[1] المصدر نفسه، 33/2
[2] المصدر نفسه، 14/2
[3] المصدر نفسه، 313/2

في سورة القيامة، "كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ۝٢٧". وقد روي أنّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يقف على الآيات. وأخطأ سيبويه حيث قال: هذا يختص بالشعر. هذا أمر شائع. ألا نقول عمرو بن العاص، وألا نقرء "واق"، و"لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦"؟ فحذف ياء المتكلم وياء الناقص شائع في الفواصل وفي الشعر وفي طي الكلام أمثلة أخرى "وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧". (سورة الذاريات: 56-57).

وقد سبقت الإشارة إلى أنّ الفراهي كتب هذه التعليقات تذكرة لنفسه لا للنشر، فلذلك اكتفى بالإشارات دون أن يتطرق إلى التفاصيل. وربما أشار إلى بعض تصانيفه وتصانيف القدماء كمعاني القرآن للفراء ولسان العرب لابن منظور والإتقان للسيوطي والسيرة الحلبية والسيرة النبوية وغيرها في صدد التفصيل عن النظام في السور وربط الآيات لما بعدها وقبلها والاستدلال بالقراءات الأخرى وتعريف إجمال السور وغيرها، كما نجد فيها إشارات مفيدة للنظم الذي يعتبره الفراهي أساس فهم القرآن الكريم، وذكر المسائل الفقهية أيضًا في بعض المناسبات وشرح في اللغة الفارسية في بعض المواقع.

وبالجملة إنّ الأمور التي تحدث عنها الفراهي بعد أنْ قسم تفسيره إلى سبعة عناوين وهي المقدمة والكلم والنحو والبلاغة والتأويل والتدبر والنظم وقد وعد بإحاطتها في تفسيره، تتضح في هذه التعليقات بكل وضوح. وبنشر هذه التعليقات يزول ذلك الإحساس الذي يجده القارئ بعد دراسة تفسيره الذي لم يكتمل، كما يعرف بدراستها آراء الفراهي التفسيرية عن معظم الآيات القرآنية.

وختامًا أودّ أن أقترح أنّ هناك بعض الأعمال التي يمكن لنا أن نقوم بها لتحسين هذه التعليقات ولجعلها أكثر فائدة وأعم نفعًا. وهذا على الراغبين بالقرآنيات والمنتمين إلى الفكر الفراهي أن يحيلوا إلى المصادر الأصلية بعد أن قاموا بتخريج

الأحاديث والأشعار العربية مع ذكر آراء المفسرين وتفاسيرهم وأعلام النحويين وأهل البلاغة حيثما جاء ذكرهم في التعليقات، كما يمكننا أن نخدم هذه التعليقات خدمة كبيرة، لو نقوم بإعداد فهرس شامل للمباحث الواردة فيها وذلك لكي نسهل الاستفادة منها لطلاب العلم".

إنّ الباحث كتب محمد شفاء الرحمن مقالتين حول الكتاب المذكور. أولهما "لمحات تعريفية عن كتاب "تعليقات في تفسير القرآن الكريم" للإمام عبد الحميد الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونشر في المجلد الأول (ص 609).

وثانيهما منهج الإمام الفراهي في كتابه "تعليقات في تفسير القرآن الكريم" ونشر في المجلد الثاني (ص672) وقسمها في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة كما يلي:

الفصل الأول: لمحات موجزة عن حياة وأعمال الإمام الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. (هذا الفصل مأخوذ من تفسير نظام القرآن المترجم باللغة الأردوية للفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، (مقدمة) الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سرائ مير، بأعظم جره، يوبي، الهند، 1990م، ص 9-26)

الفصل الثاني: النظم المقدر بين آي القرآن والسور.

الفصل الثالث: في بيان المحتوى وتقسيمه والفكرة الرئيسة للسورة.

الفصل الرابع: في تفسير الآيات من حيث البلاغة والنحو واللغة.

وأما الخاتمة فذكرت فيها خلاصة منهج الإمام الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكرر أكثر مباحث مقالته الأولى في مقالته الثانية سوى أنه قام بذكر عنوان المبحث وأضاف بعض أمثلة في بعض المباحث.

ننقل هنا مقالته الثانية لحسن ترتيبه حاذفًا الفصل الأول منها بأنه يتعلق بحياة الإمام الفراهي.

سبق القول في المقدمة أنّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يعتني كل العناية بالنظم الموجود في آيات القرآن الكريم وسوره كذلك. وعلى الرغم من أنّ النظم وجه من وجوه

البلاغة، فضلنا أنْ نفصّل له تفصيلًا حتى تتبين عناية المؤلف بالنظم عناية بالغة، ويتضح النظم مع الأمثلة.

النظم بين آيات القرآن الكريم:

فمن أمثلة النظم الموجود بين آيات القرآن الكريم في هذا الكتاب أنّ المؤلف يقول في تفسير سورة الفاتحة: [ثم انظر في حسن النظم: أول المعرفة هو العلم بالنعم، وأول الفرائض الشكر. ومن هنا ينشأ العلم بكون الخالق رحمانًا ورحيمًا. وتكرار الرحمة نبّه على رحمة تكون على الشاكرين. فنبّه على الجزاء وحثّ على الدعاء. وغاية التضرع التفويض والتوكل، ولكن ما أحسن التوكل بعد حسن الظن.][1]

كما يذكر في تفسير الآية "وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤" (سورة البقرة: 4): [من كان إيمانه بالعقل والبصيرة كما علمت في معنى الإيمان بالغيب لزمه الإيمان بما قبل وبما بعد فآمن بجميع الكتب الإلهية والرسل، وآمن بما في المستقبل من المعاد].[2] كما في الآية السابقة "ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣". (سورة البقرة: 3) فذكر المؤلف ما يربط الآيتين بعضهما بالبعض وفسّر النظم الموجود فيهما.

النظم بين سور القرآن الكريم:

يرتاب كثير من الناس في ترتيب سور القرآن الكريم؛ هل هذا الترتيب حقًا صحيح كما كان في عصر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أم أنه من أعمال أبي بكر وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا؟ والنظم خير دليل لهؤلاء المرتابين أنّ النظم في القرآن الكريم ليس محصورًا بين الآيات فقط، بل هو موجود بين السور كذلك، وليس هذا الترتيب إلا رباني وليس

[1] المصدر نفسه (سورة الفاتحة)، 1/12-13

[2] المصدر نفسه (سورة البقرة)، 1/18

عثمانيًا. وفصل المؤلف القول في هذا النظم كما يلي ذكره مع بيان الأمثلة.

أما النظم بين السور فأمثّل لذلك ما ذكره المؤلف في سورة الفاتحة وسورة البقرة: [فهذه سورة الشكر، والبقرة سورة الإيمان.][1] فإن من واجب الشكر الإيمان؛ من شكر الله آمن به، ومن لم يشكره فقد كفر. [والشكر بناء الإيمان، كما قال تعالى: "مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ". (سورة النساء: 147). وهو أول الواجبات وأول المعارف، وهو إيفاء العهد الأول الذي هو الإقرار بالربوبية.][2]

والمثال الثاني للنظم بين السور ما ذكره المؤلف في نهاية سورة الحجر أنّ موضوع ومحتوى وخاتمة هذه السورة استهزاء الكفار والمشركين بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنّ الله سبحانه يعلم أنّ رسوله يكتئب من استهزائهم ويحزنه إصرارهم على الشرك بالله، كما قال تعالى: "فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾". (سورة الحجر: 93-97) فدلّه على العلاج والدواء وهو التسبيح والسجود لله سبحانه حتى يأتي أمر الله ووعده من النصر، قال تعالى: "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾". (سورة الحجر: 98-99)، ثم قال عَزَّوَجَلَّ في بداية سورة النحل- وهي التي بعد سورة الحجر- "أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ". (سورة النحل: 1)، أي حان واقترب، فسورة النحل تقريب الإنذار المذكور في السورة السابقة.[3]

نذكر في هذا الفصل [أي الفصل الثالث] منهج الإمام الفراهي في بيان المحتوى وتقسيم السورة من حيث الموضوع وكيف كان له مسلك خاص يسلكه في تفسير السورة حتى

[1] المصدر نفسه (سورة البقرة)، 18/1

[2] المصدر نفسه (سورة البقرة)، 10/1 و20

[3] المصدر نفسه (سورة الحجر)، 340/1-341

يترسخ كل شيء في النفوس ولا تستقر صعوبة في فهم المحتوى في الأذهان.

تسمية السور بأسماء عديدة:

يبدو للقارئ في أول وهلة أنّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يسمّي سور القرآن بأسماء عدة نظرًا لما يحتوي عليه الآيات في داخلها من الموضوعات المختلفة. يقول في سورة العنكبوت: [السورة حسب ظاهر معناها مدنية، وهكذا يعلم مما روي في شأن نزولها. هذه سورة الجهاد 6، والهجرة 26، 56؛ والفتنة 3 و6 و10، ووعد النصر]،[1] فذكر سورة العنكبوت بهذه الأسماء إذ السورة تحتوي على هذه الموضوعات.

بيان أن السور مكية أو مدنية:

ويذكر المؤلف في بداية السور أنها مكية أو مدنية، ويذكر الخلاف إذا ورد، ويأتي مع ذلك بقوله الصريح ما يفصل بين الخلاف أو يزيل الخلاف إلى حد ما. يقول المؤلف في بداية سورة البقرة [اعلم أنّ السورة مدنية بالاتفاق ويدلّ عليه مضمونها، والخطاب فيها إلى أهل الكتاب، ومنهم معظم أهل النفاق] وكذا في بداية سورة النحل: [في سورة النحل إشارات إلى أنها نزلت قبيل الهجرة. انظر الآيات: 1، 41، 106، 113، 126]،[2] فهذه دلائل من داخل السورة على أنها مكية.

بيان الفكرة الرئيسة:

ومن ميزات هذا التفسير أنّ المؤلف يبيّن الموضوع الرئيسي في بداية كل سورة بإيجاز، كما بيّن في سورة الفاتحة قائلًا: [سورة الفاتحة جامعة كالديباجة، ففيها مفتاح لجميع ما في القرآن.][3]

وذكر في سورة البقرة: [سورة الإيمان المطلوب، وهو الإيمان ببعثة محمد

[1] المصدر نفسه (سورة العنكبوت)، 50/2

[2] المصدر نفسه(سورة البقرة)، 14/1، و(سورة النحل)، 341/1

[3] المصدر نفسه (سورة الفاتحة)، 9/1

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ..... ثم معظم المنافقين هم اليهود. فاحفظ هذه الأمور لفهم تأويل آياتها.][1]، وهكذا ترى في بداية كل سورة. (لم يذكرها الباحث في مقالته الأولى)

وكذلك يبيّن في بعض الأحيان الملخص الجامع للسورة في النهاية ويذكر النقاط المهمة في صفحتين أو ثلاث ليتبين محتوى السورة من كل وجه ويتذكر القارئ مرة أخرى كلَّ ما درسه في السورة على وجه التفصيل. وأقتبس هنا على سبيل المثال بعض النكات من سورة ص: [(1-8) بيان شقاقهم وعزتهم، وذكر أسباب إعراضهم عن استماع القرآن إجمالًا. منها استعجالهم بكون النبي بشرًا وأمره بعبادة الله الواحد القهار خلافًا لسنتهم وسنة آبائهم الأولين.

ومنها حميتهم الجاهلية واستمساكهم بسنة آبائهم واتباع آثارهم ولو كانوا غير مهتدين.

ومنها غرورهم بزخارف الدنيا وزعمهم أنّ الذكر لا ينزل إلا على رجل من القريتين عظيم.

... ثم ذكر قصص إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ليتضح للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ العاقبة للمنيبين إليه والصابرين على أذى الأعداء][2]

ولا يفسّر المؤلف كلّ لفظ وكلّ كلمة كما هو واضح من الكتاب. وكذلك لم يتعرض لتفسير الحروف المقطعات في بدايات بعض السور مثل الم والمص وكهيعص وغيرها، كما فسّرها المفسرون الآخرون بذكر الأقوال الكثيرة والتأويلات المتكلفة.

تقسيم السورة في فصول:

ومما يجدر به الذكر أنّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يفسّر آيات القرآن الكريم أو بعض قطعه عدة مرات، يفسّر قطعة من آية من ناحية ثم يعود مرة أخرى فيفسّرها من ناحية أخرى كما ترى فيما يأتي حتى يتضح لك الأمر:

[1] المصدر نفسه (سورة البقرة)، 14/1

[2] المصدر نفسه (سورة ص)، 154/2-155

ويقسم المؤلف الآيات في فصول ويبيّن موضوع كل فصل حتى يتضح الأمر للقارئ ويتيسر له فهم آيات القرآن. فصّل سورة البقرة في فصلين؛ الأول من البداية حتى الآية 151 وفيه تمهيد الشرائع، والثاني في بيان الشرائع من الآية (152) حتى نهاية السورة؛ ويذكر هذه الشرائع وهي الذكر والصلاة والصبر والحج والعمرة وغيرها، ويقول: فهذه أربعون حكمًا (يذكر كل حكم واحدًا بعد آخر) إجابة لما دعا إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ "رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ"[1] (سورة البقرة: 129). وكذلك يقسم السورة بين التمهيد والبداية والخاتمة كما ترى في تفسير سورة الحجر يذكر الآيات (85-95) أنها كالخاتمة تجمع ما مرّ من مطالب السورة... جاء في سور أخر بأساليب مختلفة مفيدة كما في الذاريات، وحم السجدة.].[2]

ربما يؤجل المؤلف تفسير آية إلى آية أخرى في سورة أخرى لأجل التفصيل أو التطويل أو لأسباب أخرى، كما يقول في تفسير الآية من سورة البقرة "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا". (سورة البقرة: 104): [في 46 من النساء تفسير هذه الآية.[3]

تفسير المتشابه من السور:

ومن سور القرآن ما هو مشابه بعض السور الأخرى من حيث المضمون والآيات فذكر المؤلف الفرق بينهما إيضاحًا للأمر وإثباتًا أنّ القرآن ليس فيه حشو ولا لغو كما يتفوه به المستشرقون والطاعنون في القرآن الكريم. يقول المؤلف في بداية سورة الأعراف: [هذه السورة مثل الم ذلك الكتاب في بعض الأمور. ولكن تلك داعية وهذه منذرة بالعذاب والقيامة وتنهى عن الشرك، كما قال في (2-3)،[4] [من سورة الأعراف]. وقال أيضًا:

[1] المصدر نفسه (سورة البقرة)، 24/1- 25
[2] المصدر نفسه (سورة الحجر)، 336/1
[3] المصدر نفسه (سورة البقرة)، 41/1
[4] المصدر نفسه (سورة الأعراف)، 207/1

وفي ذلك ذكر قصص الأمم المكذبة واليهود معًا[1]ولما تكررت قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الشيطان اللعين في سورتي البقرة والأعراف ذكر المؤلف وجهًا لذلك: [راعى جانب الإنذار في ذكر قصة آدم وأمر الخلافة في سورة البقرة.][2]

أما القصار المفصل من السور فهي متشابهة الموضوع والمحتوى؛ بعضها يترابط بالبعض إلى ثلاث أو أربع أو خمس سور. يقول الإمام الفراهي في هذا الصدد: [اعلم أنّ قران السور ربما يكون من جهة العمود، وربما يكون من جهة الخصائص أو البيان أو أسباب أخر غير ذلك كما هو مبسوط في موضعه. ذكر الإنفاق في هذه السور من جهة كونه ابتلاء وتعليمًا وكونه أصلًا عظيمًا في الدين تاليًا للتسبيح بل فرعًا منه.][3]

ويقول في سورة الحديد: [من الحديد إلى التحريم عشر سور في أمر المنافقين، وتحذير المؤمنين عن عاداتهم وكفهم عن مودتهم, ففي هذه السورة منع عن البخل وحبّ متاع الدنيا، وبشّرهم بالملك والنصر، وعلّمهم أن الإنفاق هو سبيل العروج، وهذه السور في اليهود.]

ثم يقول: [اعلم أنّ هذه السور العشر من الحديد إلى التحريم متشابهات وكلها مدنية. فيهن خمس ذوات التسبيح وخمس لواحق لكونها من صنفها، ومزج بينهما ليعلم أنّ كلها من قسم واحد... ونرى تقديم "سبّح" على "يسبّح". ولا يخفى عليك أنّ "يا أيها النبي" في معنى "يا أيها الذين آمنوا". وكذلك "يا أيها النبي" الثانية إلا أولها. وذلك يدل على التسوية بين العباد في التزام الطاعة، ويدلّ على كون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أنفسهم. فخاطبه كزعيم قومه والحامل لأعبائهم. وفيه تسلية المؤمنين وتنبيه النبي على ثقل ذمته.][4]

ربط الأمور بالأسباب:

ومن هذا القبيل ربط الأمور بأسبابها وذكر السبب بين الآثار والمؤثرات الذي تراه كثيرًا في

[1] المصدر نفسه (سورة الأعراف)، 21/1

[2] المصدر نفسه (سورة الأعراف)، 209/1

[3] المصدر نفسه (سورة التغابن)، 357/2

[4] المصدر نفسه (سورة الحديد)، 318/2-319

هذا التفسير الوجيز، كما ترى في تفسير الآية- مثلًا- "إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧". [بيان سنة الله من فطرة الأمور وربط الآثار بالمؤثرات]. ثم قال: [وبيان هذه السنة على العموم كثير في القرآن، وهو أنّ الإنسان أعطاه الله الهداية أولًا، ثم هو يزيدها أو يطفئها بالشكر أو الكفر، كما قال تعالى "إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣" ... وقال "وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى". فجعل الله الإنسان مختاراً يجلب على نفسه الهداية والضلالة حسب ترتيب الآثار والمؤثرات][1]

ويبيّن حقيقة الكفر بأنّه ينبع ويصدر من كفران النعمة كما قال تعالى: "وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا" وقبله "إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ"، والكفران ينبع من التكبر، وهو الأصل والأساس للكفر، [بينما الصلاة هي الأصل للتقرب وهي المركز، وروحها التوحيد. ومركز الصلاة السجدة، فالسجدة تزيل الكبر الذي هو المانع عن الشكر الذي هو باب الإيمان.][2]

ذكر الآيات في نفس المعنى والسياق:

وكذلك إذا ذكر المؤلف آية أو قطعة منها ذكر معها كل ما في معناه من الآيات في نفس السياق، وبذلك يفسر القرآن بالقرآن. يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية "إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ". (سورة البقرة: 6): ونظير هذا الكلام من أول السورة إلى قوله (عظيم): قوله تعالى: "يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ

[1] المصدر نفسه (سورة البقرة)، 19/1

[2] المصدر نفسه (سورة الأعراف)، 209/1

خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١". (سورة يس: 1-11)[1] وهكذا قال مرة أخرى في نفس الآية: [(إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا) كما قال تعالى: "وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٠٨". (سورة النحل: 107 و108). وكما قال تعالى: "وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ۝٤٦". (سورة الإسراء: 45 و46). وكما قال تعالى: "فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ". (سورة الصف: 5)، وكما قال تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ". (سورة الزمر: 3)][2]

وكذلك في سورة النحل في "مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ۚ" (سورة النحل: 13) ذكر مع ذلك ما ورد في سورة الرعد (الآية: 4). ويقول في سورة الرعد: ["وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ" أي علماء أهل الكتاب، (43)، و17 من هود، و10 من الأحقاف][3]

بيان الحكم وراء الأحكام الإسلامية:

ويبيّن المؤلف كذلك الحكم التي تخفى على كثير من الناس في الأحكام الإسلامية التي يطعنها الطاعنون في كل زمان. وقد قيّد الإسلام تهمة الزنا بأربعة شهداء على الأقل لأنّ هذا الأمر عظيم، وعظم المقول يقتضي عظم الشهادة كما في سورة النور الآية: 13، "لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٣". كما يقول في سورة البقرة "وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ". (من سورة

[1] المصدر نفسه (سورة البقرة)، 20/1

[2] المصدر نفسه (سورة البقرة)، 26/1

[3] المصدر نفسه (سورة الرعد)، 319/1

البقرة: 190، 240) من ههنا شرع في وجوب القتال، وبناه على دفع الفساد والفتنة لكي يدخلوا في السلم كافة. فالقتال لنفي القتال، وجعل الحج لذلك. وبيّن أنّ القتال إنما هو مع من قاتل وبقدر عدوانهم.[1]

ربما يفصّل المؤلف الكلام في تفسير آية من عند نفسه تفصيلًا حتى يتبين الأمر. يتحير الناس في اختيار الأمور بين الصلح والفساد، يغلط العقل مرة ويغلط الفؤاد أخرى، ولكنهما يتحدان في بعض الأحيان في اختيار الشر والإيقان بالباطل. ويبيّن المؤلف أنّ القرآن الكريم قد دلّ على هذه الأصول كلها في الآية الكريمة "إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾".[2] (سورة النجم: 23).

وكما يفسّر أسباب الشرك قائلًا: [أصل الشرك عمد التعقل، وأصله العكوف على الدنيا. وأصل ذلك عدك الإحساس بإحسان المنعم واعتراف المنة، وذلك أصل الكفر والظلم والاستكبار السيئ, وإذ لا يسمعون فالإعراض عمن أعرض أنفع.].[3]

الاستدلال بالجغرافيا:

ومن ميزات هذا التفسير أنّ صاحبه ربما يفسّر بعض الأماكن من حيث الجغرافيا استدلالًا بآيات القرآن الكريم. يقول الإمام الفراهي في سورة الحجر "وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾" (الآية: 82): [كانت قريش تمر بقرى مهلكة لقوم لوط، وقوم شعيب ... ويعلم من ههنا أنّ أرض لوط كانت قريبًا من مكة، ثم أرض شعيب، ثم أرض ثمود. وأرض بقرب يثرب، فالأغلب أنّ أرض لوط ليست ببعيد من مكة. ويؤيد ما قلناه قوله تعالى: "وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾". (سورة إبراهيم: 45)، وقوله تعالى

[1] المصدر نفسه (سورة البقرة)، 63/1

[2] المصدر نفسه (سورة النجم)، 299/2

[3] المصدر نفسه (سورة النجم)، 301/2

بعد ذكر قوم لوط وشعيب عليهما السلام: "وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ". (سورة العنكبوت: 38)].[1]

الاستشهاد بالأشعار العربية أحيانًا:

ربما يحتجّ المؤلف في تفسير الآيات بالشعر العربي أو يورده أثناء التفسير تأييدًا لتأويله أو في المسائل النحوية. ولكن يكره هو أنْ يورد هذه الأشعار تكريمًا للقرآن الكريم. يقول في تفسير الآية "فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ". (سورة النجم: 10): في هذه الآية تعانق كما في قول عمرو بن معدي كرب:

ليس الجمال بمئزر فاعلم وإن رديت بردا][2]

ويقول في ضمير جمع المذكر إذا استعمل للنساء استدلالًا بشعر امرئ القيس: [الضمير في "أتعجبين"، و"عَلَيۡكُمۡ" (من سورة هود: 73) لامرأة إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: وضمير جمع المذكر يستعمل للنساء كثيرًا وخاصة إذا عبر عنها بأهل، كما ترى في سورة الأحزاب: "يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ٣٣" (الآية: 33). ومن ينظر في أشعار العرب يجد كثيرًا من الأمثلة: قال امرؤ القيس:

فلو كان أهل الدار فيها كعهدنا وجدت مقيلًا عندهم ومعرسا

وقال عمر بن ربيعة القرشي وقد جمع بين الخطابين كما في الآية:

فوالله ما للعيش ما لم ألا قكم وما للهوى إذ ما ترى تزارين من طعم

ألم تعلمي ما كنت آليت فيكم وأقسمت لا تخليـن ذاكرة باسمى][3]

ثم يقول: [ولولا كراهة ذكر الأشعار لسردت كثيرًا في هذا الباب. وهكذا في قصة

[1] المصدر نفسه (سورة الحجر)، 335/1

[2] المصدر نفسه (سورة النجم)، 258/2

[3] المصدر نفسه (سورة هود)، 288/1-289

موسى في سورة القصص.][1]

كما يذكر بعض الأقوال والأمثال الفارسية تأييدًا لقوله. يقول في تفسير سورة الفلق: [... فإن الشر لم يخلق إلا تبعًا لغيره كالحزن بعد الخطيئة الداعي إلى التوبة والألم بعد الجراحة الداعي إلى المداواة. ولنعم ما قال بعض أولي الألباب: عاشقم برهمه عالم كه همه عالم أوست].

بيّنت في هذا الفصل [أي الفصل الرابع] خصائص هذا التفسير من الناحية البلاغية والنحوية واللغوية التي نجد فيها للمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهجًا خاصًا. أما شرح الكلمات والمفردات فلا يشمل جميع الكلمات لا من حيث اللغة ولا من حيث النحو ولا من الناحية البلاغية. وفيما يلي ذكر منهج المؤلف في هذه الأمور بقدر من التفصيل.

تفسير الكلمات:

أما إذا نظرنا في هذا التفسير من الناحية اللفظية واللغوية وجدنا أنّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسلك منهجه الخاص في البحث اللغوي ولا يذكر جميع الألفاظ إلا إذا رأى نكتة أو جوابًا لسؤال مقدر. يقول المؤلف في تفسير الآية "إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ": ["كَفَرُواْ" يدلّ على الاستمرار والرسوخ، أي الذين ألحوا على الكفر ورسخوا فيه، وهذا الاستعمال عام في الماضي، مثلًا قوله تعالى "وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا" يدلّ على دوام كونه غفورًا رحيمًا].[2]

وكذلك في تفسير الآية "قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ" (من سورة المؤمنون: 1) ذكر ثلاثة معان لكلمة (أفلح)؛ فاز وعاش بالنعمة وبقي. ولم يفصل القول إلا لأنّ كل هذه المعاني الثلاثة يدل عليها قوله تعالى "قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ" حتى الآية العاشرة، ففي البداية الفلاح وفي النهاية البقاء في الفردوس في عيشة النعيم.[3]

[1] المصدر نفسه (سورة هود)، 289/1

[2] المصدر نفسه (سورة البقرة)، 26/1

[3] المصدر نفسه (سورة المؤمنون)، 430/1

ويقول في تفسير الآية "وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ". (من سورة البقرة:15): تفصيل وعطف بيان. وقال: لا فرق بين "مَدَّه" و"مَدَّ له". قال تعالى: "قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا". (سورة مريم: 75) أيضًا: "وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ". (سورة مريم: 79) فهذان بمعنى الزيادة.[1]

ويقول في سورة التغابن في تفسير الآية "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ" (سورة التغابن: 14) في استعمالات أداة "إنّ" وجوابها بالفاء: [هذا أسلوب يستعمل كثيرًا في القرآن، وهو: "إنّ"..."فإنّ". ومعناه جامع لكل ما يصح لأن يستدل عليه بما بعد "إنّ". مثلًا "إن تعفوا يرض به الرب فإنه غفور".[2]

الغرض وراء التمثيل:

ويقول في بيان التشبيه والتمثيل في القرآن في قصة المنافقين: [والمثل في القرآن لا يكون تشبيه شيء بشيء. إنما هو ذكر شيء أو حالة يهدي إلى مطابقتين، فلا حاجة إلى التقدير كما تكلفوا.][3] ويعلم من هذا القول أنّ المؤلف يميل إلى العبرة بعموم اللفظ دون تأويله إلى بعض الناس وتعيينهم، كما هو من مناهج بعض المفسرين إيراد الأقوال السخيفة المتكلفة ليعلموا من هم المنافقون والذين نزلت فيهم الآية على وجه التعيين، وورد فيهم التشبيه بالظلمة.

بيان النظم في وجوه الإطناب والإعجاز:

والإطناب والإيجاز نوعان من أنواع البلاغة إلا أنّ بعض الإطناب في القرآن يتحول إلى الإيجاز بسبب النظم الموجود فيه. يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآيتين من سورة البقرة 55-56 "وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ" حتى الآية "لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (سورة البقرة: 55، 56) [ننظر في هذا النظم إيجازًا عجيبًا، ومن لم ينظر في التوراة

[1] المصدر نفسه (سورة البقرة)، 28/1

[2] المصدر نفسه (سورة التغابن)، 357/2

[3] المصدر نفسه (سورة البقرة)،28/1-29

يعدّه من الإطناب. وهذا قولي: أنّ كل إطناب في القرآن فهو إيجاز من جهة أخرى، فإنه لا يكون معناه إلا أضعافَ ما في لفظه].[1]

بيان حذف ما هو مفهوم من السياق:

ومن أساليب البلاغة حذف ما هو مفهوم من السياق، وهذا في القرآن كثير، ذكره المؤلف أثناء التفسير حيثما ورد، كما في الآية "وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾" (سورة الأنبياء: 95) [أي حرام على القرية المهلكة (أن يرجعوا)، إنهم لا يرجعون. فحذف جزءًا دلّ عليه ما بعده.][2]

الاستدلال بالظاهر على الباطن:

ومن الوجوه البلاغية التخليص والاستدلال بالظاهر والاعتبار بالباطن وقد حثّ القرآن على هذا الأمر كثيرًا كما يذكر المؤلف ذلك في مواضع مختلفة. يقول في سورة النحل الآية:9 "وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ" كما هيّأ لكم ما يبلغكم إلى بلاد الدنيا فكذا هيّأ لكم ما يهديكم في الدين. هذه الآية من التخليصات اللطيفة، وقد كثر في القرآن الحث على الاعتبار من الأمور الظاهرة إلى الباطن.

ذكر بيان الإعراب:

ويذكر المؤلف في باب النحو في تفسير الآية الكريمة رقم 162 في سورة النساء "وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ" (سورة النساء: 162): [أخطأ (الشاه عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ) في ترجمة "وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ" وظن أن "وَٱلْمُقِيمِينَ" منصوب على المدح كما قال سيبويه ... ونصب "وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ" بفعل "سَنُؤْتِيهِمْ" (من سورة النساء:162). فإنّ المفعول إذا قدّم على فعله والفعل علق بضمير يرجع إلى المفعول جاز في المفعول

[1] المصدر نفسه (سورة البقرة)، 35/1

[2] المصدر نفسه (سورة الأنبياء)، 414/1

المقدم وجهان: النصب والرفع على الابتداء، فهكذا هنا.][1]

شرح الوجوه النحوية:

وكثيرًا ما يرى من يدرس هذا التفسير أنّ صاحبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبيّن الوجوه النحوية أثناء التفسير. ربما يشرح أدوات الشرط ومواضعه التي تستعمل فيها وغيرها من أدوات النفي وغيره إذا وردت هذه الأدوات في معنى آخر، كما في تفسير الآية "وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ" (سورة الأنبياء: 31) أوضح استعمالات كلمة "أنْ".[2]

ويقول في تفسير الآية "فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾" (سورة البقرة: 91): [أي لستم بمؤمنين. الشرط يستعمل على وجوه. وفيه دلالات جمة:

.... ومنها إظهار الإنكار من القائل، مثلًا قوله تعالى: "ب ِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾" (سورة البقرة: 93) أي لستم بمؤمنين، فإن إيمانكم يأمركم بالسوء. وهذا المثال يجمع الدلالتين (أي إلزام أمر بإقرار المخاطب، وإظهار الإنكار من القائل) وتشد إحداهما الأخرى. وفيه إشارات جمة][3]

شرح الضمائر والمراجع:

كما ترى المؤلف يفسّر بعض الضمائر، وهذا قليل، بذكر ما تعود إليه. ومثال ذلك ما تراه في تفسير الآية "وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ" (سورة البقرة: 132) فالضمير في كلمة (بِهَآ) يرجع إلى الملة أو بتلك الكلمة. وأتى بكلمة (بَنِيهِ) بعد يعقوب تبيانًا للعطف؛ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب بنيه.[4]

[1] المصدر نفسه (سورة النساء)، 1/139- 140
[2] المصدر نفسه (سورة الأنبياء)، 1/412
[3] المصدر نفسه (سورة البقرة)، 1/40
[4] المصدر نفسه (سورة البقرة)، 1/47

أما مصدر المؤلف ومرجعه في بيان التفسير وشرح الألفاظ فهو مفردات القرآن، والقائد إلى عيون العقائد، ودلائل النظام وهذه الكتب الثلاثة للمؤلف نفسه، وأساس البلاغة للزمخشري على الأكثر وبعض الكتب الأخرى كما ترى في الحاشية.

الانتقاد على بعض المفسرين:

ومن يدرس هذا التفسير يطلع على أنّ المفسر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينتقد في بعض الأحيان بعضَ المفسرين الآخرين كما انتقد على الشاه عبد القادر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة قوله تعالى: "وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ" (سورة النساء: 162) وظن أنّ "وَٱلْمُقِيمِينَ" منصوب على المدح كما قال سيبويه. ولكن المراد بالمخصوص بالمدح هو ما يقدر قبله "يعني" فهو المنصوب بهذا المقدر[1]، كما ينتقد لذكرهم بعض ما هو باطل من الأقوال أو الروايات أو ما لا يجدر به الذكر من الإسرائيليات. ومن هذا الأمر يتجلى لنا أنّ المؤلف لم يكن يحبّ ولا يعتني بذكر الروايات من غير فائدة، وإنما قصده الإيجاز في كل ما يذكر في تفسير القرآن إذا كان فيه فائدة لعامة الناس حتى لا يزلوا عما يفيد إلى ما لا فائدة فيه.

بيان الاختلاف في تفسر الآيات:

ويفصّل المؤلف الكلام في بعض الأحيان في آية ورد في تفسيرها اختلاف، وينهي الكلام بقوله كما ترى في تفسير الآية "وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى" (سورة الحجر: 87). ابتدأ تفسير الآية وانتهى بقوله، وذكر القول المشهور في السبع المثاني أنها سبع آيات الفاتحة. وهذه التأويلات على فرض صحة ذلك الحديث، لكن من المحتمل أيضًا أن يكون المراد بالسبع هي السور السبع دون الآيات لتعينات أخر، مثل سبع أل حم، أربع عشرة من سورة البقرة إلى سورة الحجر.[2]

وكذلك الأمر في تفسير كلمة (ٱلْمُقْتَسِمِينَ) و(ٱلْقُرْءَانَ) في نفس السورة "كَمَآ

[1] المصدر نفسه (سورة النساء)، 139/1

[2] المصدر نفسه (سورة الحجر)،337/1

أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾" (سورة الحجر: 90، 91). فيقول في كلمة (ٱلْمُقْتَسِمِينَ) نقلًا عن الإمام الرازي يذكر روايتين عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أولاهما أنهم الذين اقتسموا طريق مكة يصدون عن الإيمان. وثانيتها أنهم هم اليهود اقتسموا القرآن بأنهم قالوا نؤمن بما يوافقنا ونكفر بما يخالفنا.وعندي، والله أعلم أنهم اليهود اقتسموا قرآنهم فجعلوه عضين ليلبسوا الحق كما تعلم من النظر في كتبهم, ثم قال: [والقرآن يطلق على كتب الله، كما قال في سورة الرعد الآية:31، وآي أخر. وهكذا روي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا][1]

ربما يفصّل المؤلف الكلام في تفسير آية من عند نفسه تفصيلًا حتى يتبين الأمر. يتحير الناس في اختيار الأمور بين الصلح والفساد، يغلط العقل مرة ويغلط الفؤاد أخرى، ولكنهما يتحدان في بعض الأحيان في اختيار الشر والإيقان بالباطل. ويبيّن المؤلف أنّ القرآن الكريم قد دلّ على هذه الأصول كلها في الآية الكريمة "إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾"[2] (سورة النجم: 23).

وكما يفسّر أسباب الشرك قائلًا: [أصل الشرك عمد التعقل، وأصله العكوف على الدنيا. وأصل ذلك عدك الإحساس بإحسان المنعم واعتراف المنة، وذلك أصل الكفر والظلم والاستكبار السيئ, وإذ لا يسمعون فالإعراض عمن أعرض أنفع.][3]

بيان الكلمات المترادفات:

وكذلك يفرق بين الكلمات القريبة المعاني في القرآن الكريم، وينقل كلام العلماء فيها، ويرد عليه إذا كان الفرق مخالفًا للنصوص الشرعية، ومنها الرسول والنبي، فيبين الفرق قائلًا: "فرقوا بين النبي والرسول بأن الرسول صاحب الشريعة، والنبي يتبع

[1] المصدر نفسه (سورة الحجر)، 338/1
[2] المصدر نفسه (سورة النجم)، 299/2
[3] المصدر نفسه (سورة النجم)، ص 301

شريعة من كان قبله. ولكن القرآن يبطل هذا الرأي. وأظن أنّ الرسول من أرسل إلى قوم وإن لم يكن نبيًا كرسل عيسى المذكورين في سورة يس".[1]

خاتمة:

ولم ينس الإمام الفراهي النظم في آخر القرآن فذكر بكل عناية ما يربط سورة الناس بسورة الفاتحة. يقول في تفسير سورة الناس: ابتدأ القرآن بالاستعاذة وختمه بها. ثم يفصّل أقسام الوسواس وينهي التفسير بقوله: هذه أبواب الشرك، فدلّ على دلائل التوحيد من الآيات الدالة على الربوبية والملك والألوهية. وذلك يقمع الأمارة بالسوء والساهية عن الذكر.] وهكذا ذكر النظم والرابط بين فاتحة القرآن وبين نهايته.

هذا هو منهج الإمام الفراهي في تعليقاته والذي بيّنته مع الأمثلة كل ما يهمّ على سبيل الاختصار، سواء يتعلق ذلك بالبلاغة أو النحو أو الدلالات اللفظية والاستعمالات اللغوية لأدوات النفي والشرط وغيرهما.

قد طبعت هذه التعليقات من "الدائرة الحميدية"، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، أترا براديش، الهند،1431هـ/2010م، الطبعة الأولى. قام بإعدادها الأستاذ الدكتور عبيد الله الفراهي وراجعها الشيخ محمد أمانة الله الإصلاحي.

نشرت هذه التعليقات في جزئين، والجزء الأول يحيط 450 صفحة، والجزء الثاني يحتوي على 514 صفحة.

الجزء الأول من التعليقات يبتدئ من كلمة الجامع (ص 3-6)، ومقدمة للمؤلف (ص 7-8)، وتشتمل على آيات السور الآتية:

سورة الفاتحة، ص 9-13

سورة البقرة، ص 14-86

[1] المصدر نفسه (سورة النساء)، 140/1

سورة آل عمران، ص 86-122

سورة النساء، ص 122-142

سورة المائدة، ص 142-169

سورة الأنعام، ص 170-207

سورة الأعراف، ص 207-235

سورة الأنفال، ص 235-244

سورة التوبة، ص 245-255

سورة يونس، ص 256-279

سورة هود، ص 279-294

سورة يوسف، ص 295-309

سورة الرعد، ص 310-320

سورة إبراهيم، ص 320-331

سورة الحجر، ص 331-340

سورة النحل، ص 341-367

سورة بني أسرائيل (الإسراء)، ص 368-380

سورة الكهف، ص 380-391

سورة مريم، ص 391-397

سورة طه، ص 397-408

سورة الأنبياء، ص 408-417

سورة الحج، ص 418-428

سورة المؤمنون، ص 429-440

سورة النور، ص 441-450

والجزء الثاني من التعليقات يشمل بقية السور القرآنية كما يلي:

سورة الفرقان، ص 5-11

سورة الشعراء، ص 12- 20

سورة النمل، ص 21- 31

سورة القصص، ص 32- 49

سورة العنكبوت، ص 50- 58

سورة الروم، ص 59- 73

سورة لقمان، ص 74- 82

سورة السجدة، ص 83- 87

سورة الأحزاب، ص 88- 100

سورة سبأ، ص 101- 112

سورة فاطر، ص 113- 124

سورة يس "سورة رحمانية"، ص 125-132

سورة الصافات، ص 133- 143

سورة ص، ص 144-155

سورة الزمر، ص 156- 170

سورة المؤمن (غافر) ، ص 171- 184

سورة حم السجدة (فصلت)، ص 185- 200

سورة الشورى، ص 201- 218

سورة الزخرف، ص 219-234

سورة الدخان، ص 235- 238

سورة الجاثية، ص 239- 245

سورة الأحقاف، ص 246- 254

سورة محمد، ص 255- 260

سورة الفتح، ص 261- 273

سورة الحجرات، ص 274- 276

سورة ق، ص 277- 281

سورة الذاريات، ص 282-289

سورة الطور، ص 290- 294

سورة النجم، ص 295-307

سورة القمر (مكية) ، ص 308- 309

سورة الرحمن، ص 310- 314

سورة الواقعة، ص 315-317

سورة الحديد، ص 318- 332

سورة المجادلة، ص 333- 338

سورة الحشر، ص 339- 343

سورة الممتحنة، ص 344- 346

سورة الصف، ص 347-348

سورة الجمعة، ص 349- 352

سورة المنافقون، ص 353- 354

سورة التغابن، ص 355- 357

سورة الطلاق، ص 358- 361

سورة التحريم، ص 362- 366

سورة الملك، ص 367- 374

سورة القلم، ص 375-379

سورة الحاقة، ص 380- 382

سورة المعارج، ص 383- 386

سورة نوح، ص 387- 388

سورة الجن، ص 389- 392

سورة المزمل، ص 393- 395

سورة المدثر، ص 396- 400

سورة القيامة، ص 401- 403

سورة الدهر (سورة الإنسان) ، ص 404- 409

سورة المرسلات، ص 410-412

سورة النبأ، ص 413- 414

سورة النازعات، ص 415-417

سورة عبس، ص 418-419

سورة التكوير، ص 420- 422

سورة الانفطار، ص 423- 424

سورة التطفيف (سورة المطففين) ، ص 425- 426

سورة الانشقاق، ص 427-428

سورة البروج، ص 429- 430

سورة الطارق، ص 431- 432

سورة الأعلى، ص 433- 447

سورة الغاشية، ص 448

سورة الفجر، ص 449- 454

سورة البلد، ص 455- 457

سورة الشمس، ص458

سورة الليل، ص 459- 462

سورة الضحى، ص 463- 464

سورة الانشراح، ص 465

سورة التين، ص 466-471

سورة العلق، ص 472-474

سورة القدر، ص 475-476

سورة البينة، ص 477-479

سورة الزلزال (الزلزلة)، ص 480- 481

سورة العاديات، ص 482

سورة القارعة، ص 483

سورة التكاثر، ص 484-485

سورة العصر، ص 486- 488

سورة الفيل، ص 489- 490

سورة قريش، ص 491

سورة الماعون، ص 492- 500

سورة التكاثر، ص 501

سورة الكافرون، ص 502

سورة النصر، ص503- 504

سورة اللهب، ص 505- 506

سورة الإخلاص، ص 507

سورة الفلق، ص 508- 513

سورة الناس، ص 514

قد قام أ. د. عبيد الله الفراهي بترجمة هذه التعليقات بالأردوية، وسمّاه "إمام فراهي کی قرآني حواشي" وطبعت من الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، أترا براديش، الهند، 2019م، الطبعة الأولى، 648 صفحة.

- **تفسير سورة آل عمران**

وقد فسّر الإمام الفراهي آيات من سورة البقرة وآل عمران حسب الخطة التي ارتضاها أخيرًا لترتيب مطالب التفسير. فكل مجموعة من الآيات تكلم عنها تحت سبعة عناوين:

- المقدمة (بيان عمود السورة، ونظامها ومواقع نزولها ووجوه خطابها، وغير ذلك من الأمور الكلية).
- الكلم (تفسير المفردات).
- النحو (بيان تأليف الكلم).
- البلاغة (دلالة الأساليب على معانٍ تناسب المحل).
- التأويل (حمل الكلام على مراده حسب المحل)
- التدبر (ذكر المبادئ والنتائج أي اقتضاء النص وإشارته).
- النظم (بيان موقع جملة من الكلام ورباط بعضها ببعض).

قد فسّر الإمام الفراهي قدرًا كبيرًا من سورة آل عمران مرتين وانتهى فيه إلى الآية 31 كما قال أ.د.عبيد الله الفراهي. (تفسير سورة آل عمران التي وصل فيها إلى الأردوية (31). (د. حمدي عبد الله نافع[1])

أشار الشيخ أمين أحسن الإصلاحي إلى أنّ الإمام الفراهي ألقى الضوء بالتفصيل في تعليقاته على سورة آل عمران على النظم والربط بين سورتها السابقة والسورة اللاحقة، وبيّن أيضًا أربعة أسباب لتقديمها على آل عمران من حيث النظم.

- **تفسير سورة الإخلاص** (بالأردوية)

إنّ تفسير سورة الإخلاص إحدى رسائل الإمام الفراهي التي ألّفها باللغة الأردوية، فليس تفسيره يبلغ المستوى الذي بلغته تفسيرات غيرها من السور.[2] ولعل المؤلف ألّفه لأحد أصدقائه[3] بناء على طلبه، زمن إقامته بكراتشي. وهو ولو يشتمل على بعض المباحث المهمة والمفيدة ولكن يقول المؤلف الفاضل إنه يحتوي على إشارات ومباحث إجمالية وفي بعض الأماكن بقي الفراغ. وهاتان الرسالتان (أي تفسير سورة الإخلاص وتفسير سورة الكوثر) تعينان في فهم القرآن وتجدران أن يدرسهما العلماء وطلاب القرآن ويطالعوهما".[4]

كتب الإمام الفراهي عن سورة الإخلاص: "هذه السورة لدى المسلمين ثلث القرآن".[5] لا يتوقع ممن كان يمعن النظر في علم الحديث وتاريخه والمحدثين كمثل

[1] أستاذ مساعد، قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، جامعة الأزهر، والمعار إلى جامعة الإمارات العربية المتحدة

[2] ومع هذا فقد ترك بعض الأماكن فارغًا كان الإمام الفراهي يريد أنْ يملأه ولكن وافاه الأجل فبقي غير مملوء. راجع: "تفسير نظام القرآن"، ص 534 و536

[3] مقدمة تفسير سورة الإخلاص، ص 3

[4] المصدر نفسه، 4/83، أبريل 1959م، ص 317.

[5] تفسير نظام القرآن (ترجمة أردوية)، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، 1969م، ص 527.

الشيخ ضياء الدين الإصلاحي أن يكرّر هذا في مقالته "بعض المباحث المهمة لسورة الفاتحة"[1] فكان ينبغي له أن يبين أنّ المسلمين لا يعتقدون هذا بل لم يقله رسول الله فقد أدّى هذا الواجب الشخص الذي كتب حاشية على كتابه "إيضاح القرآن"، فقال: "في سنن الترمذي ومسلم هذا الحديث مرفوع إن هذه السورة ثلث القرآن".

إنه قدّم في تفسيره القيم الجامع لسورة الإخلاص شرح كلمة "الصمد" شرحًا رائعًا وقد استفاد السيّد سليمان الندوي (1884-1953م) من هذا التحقيق الفريد في "سيرة النبي". ولننقل طرفًا من الشرح لكي يعرف القراء قيمته فيقول الأستاذ العلامة:

"كلمة "صمد" التي ترجمناها بكلمة "باهمه" الفارسية تعني لغة "الصخرة الضخمة" وبما أنها تحمي أهاليها حين هجوم الأعداء فسمّي الزعيم الذي يحمي قومه الذين يؤولون سمّي "الصمد" ولقد ذكر الله بالصمد في غير موضع من الزبور والكتب السماوية الأخرى وذكرنا شواهد هذه الدعوى في تفسيرنا العربي "نظام القرآن".[2]

طبعاته

إنّ تفسير سورة الإخلاص فأولًا نشر على حدة ثم نشر في مجموعة تفاسير الفراهي التي ترجمها الشيخ أمين أحسن الإصلاحي إلى الأردوية ثم نشرت من باكستان والهند كلتيهما.

نشرته الدائرة الحميدية سنة 1378هـ.

صدرت طبعتها الأولى في 1931م (في مقالة: ونشرتها الدائرة الحميدية للمرة الأولى في عام 1941م)

[1] إيضاح القرآن، ص 19.

[2] راجع للتفصيل: مولانا حميد الدين كي بنيادي أفكار، البلاغ بيلي كيشنزن دلهي الجديدة، 2010م، ص 188-220

والطبعة الثانية قامت بنشرها الدائرة الحميدية عام 1958م.

أصدرته الدائرة الحميدية،قرول باغ، دهلي، ديسمبر1945م، من مطبع عليمي، دهلي، الطبعة الثانية (هكذا، لعله خطأ مطبعي فيمكن أن تكون الطبعة الأولى)، 36 صفحة.

ثم نشرتها الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، من كوه نور برنتنغ بريس، دهلي، بدون تاريخ، 42 صفحة.

تفسير سورة الإخلاص المعلّم عبد الحميد الفراهي ترجمته من الأردوية: د. هيفاء شاكري

- **تفسير سورة البقرة**

كان الإمام الفراهي بدأ كتابة تفسيره الخاص بعنوان "نظام القرآن"، بدءًا ببعض السور القصار ثم كتب تفسير سورة البقرة. وما إن انتهى منه حتى قيّض الله روحه الطاهرة وهو لم يستطع تنفيذ مشروعه العملاق ولكن ما ترك من الثروة التفسيرية تكفي للاسترشاد في هذا المجال.

قد بدأ الإمام الفراهي تفسير بعض السور القرآنية لكن لم يتيسر له إتمام ذلك بسبب وفاته، وأهمها تفسير سورة البقرة، وقد وصل في تفسيرها إلى قوله تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾". (سورة البقرة: 62).

وهذا التفسير من أهم التفاسير المطبوعة للفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الآن من حيث إنه حاول فيه بيان تصوره للنظام الخاص بيانًا كاملًا.[1]

إنّ ما وصل إلينا من تراث الإمام عبد الحميد الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير القرآن الكريم

[1] طبع هذا التفسير لأول مرة من الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراي مير، أعظم كره، الهند، سنة 2000م.

ثلاثة أقسام كما يقول الأستاذ الدكتور عبيد الله الفراهي:

الأول: بضع عشرة سورة أكمل تفسيرها حسب منهجه، وطبع معظمها في حياته، وبعضها بعد وفاته، كل سورة في جزء مفرد، طبعة حجرية بالخط الفارسي. وكانت نافدة منذ زمن طويل، فأعادت الدائرة الحميدية طباعتها جميعًا في مجلد واحد قبل سنتين.

الثاني: سور كثيرة شرع في تفسيرها، ولكن لم يتم، وأهمها تفسير سورة البقرة وسورة آل عمران، وقد كتبه حسب الخطة التي ارتضاها أخيرًا لترتيب مطالب التفسير. فكل مجموعة من الآيات تكلم عنها تحت سبعة عناوين:

- المقدمة (بيان عمود السورة، ونظامها ومواقع نزولها ووجوه خطابها، وغير ذلك من الأمور الكلية).
- الكلم (تفسير المفردات).
- النحو (بيان تأليف الكلم).
- البلاغة (دلالة الأساليب على معانٍ تناسب المحل).
- التأويل (حمل الكلام على مراده حسب المحل)
- التدبر (ذكر المبادئ والنتائج أي اقتضاء النص وإشارته).
- النظم (بيان موقع جملة من الكلام ورباط بعضها ببعض).

الثالث: تعليقات مختصرة، وهي عبارة عن خواطر وأفكار ظهرت له في أثناء تدبر القرآن الكريم، قيّدها تذكرة لنفسه، لا للنشر. وقد وضع بين كل ورقتين من مصحفه ورقة بيضاء أو أكثر، يدوّن فيها تأملاته بالقلم الرصاص كعادته.

إنّ تفسير سورة البقرة يشتمل على تفسير 62 آية من آيات سورة البقرة الابتدائية في 56 فصلًا، وعدد أوراقه 124 ورقة. أثبت فيه الإمام الفراهي فلسفة نظامه التي

نادى بها في مختلف رسائله المتعلقة بالقرآن وأصول تفسيره. وكان آخر ما كتبه هو تفسير سورة البقرة التي صدرت عن الدائرة الحميدية قبل ثلاث سنوات من الآن وقرابة سبعين سنة من وفاة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وقد بقيت في المسودة فصول لم تكتب وفقرات كتب عليها "أبهم هذا البيان فيكتب مرة أخرى".[1]

إنّ تفسير سورة البقرة خير نموذج لتفسير القرآن بالسنة النبوية حيث أفاد الفراهي من خلال تفسيره من الأحاديث النبوية، وبعد ذلك اهتم الفراهي بأقوال الصحابة التي توافق بالقرآن الكريم.[2]

وقد صدر هذا التفسير مؤخرًا من الدائرة الحميدية بأعظم كره في الهند سنة 1420هـ./2000م، الطبعة الأولى، 296 صفحة.

وقد صدّره الإمام الفراهي بخطبة مهمة جدًا تبين قوة إيمانية ويقينه بالله وتمكنه في اللغة العربية وآدابها، وتكشف عن حسن عقيدته. (يذكر بالهامش: إن تفسير سورة البقرة شامل في "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" الذي صدر من دار الغرب الإسلامي، تونس ولكن ليس بشامل في "تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" الذي صدر من الدائرة الحميدية، بل صدر على حدة باسم تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان سورة البقرة).

إنّ الدكتور حسن يشو قد قام باستعراض تفسير سورة البقرة في مقالته الطويلة "الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في خدمة القرآن وعلومه دراسة نظرية تحليلية تطبيقية " فقال:

شرع الإمام الفراهي في تفسير سورة البقرة غير أنه لم يكملها، وقد وافته المنية رحمة

[1] انظر مقدمة الناشر لتفسير سورة البقرة من نظام القرآن، ص 3.

[2] الدكتور فريد راوي عبد الله، الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، دار الشاكر، سلانجور، ماليزيا، ص 71-72

الله عليه؛ وقد جمعت أطراف تفسيره في كتاب "نظام القرآن"؛ وقد جعل رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول فيها ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: وذكر في المقدمة عشرة فصول فيه؛ وهي:

1. حقيقة السورة ونسبتها بالفاتحة وسورة آل عمران.
2. موضوع السورة وغايتها.
3. مطابقة الوقائع بهذه الغاية.
4. جماع هذه الغاية استخلاص الكعبة.
5. مطابقة ذلك بما وقع لبني إسرائيل.
6. نقطة هذه الغاية هي الوحدة القائمة في الله.
7. المطابقة بين أحوال النبي وهذه الغاية.
8. مطابقة السورة بزمان نزولها.
9. مطابقة السورة بأحوال المخاطبين.
10. النظر الإجمالي في أجزاء السورة ونظام هذه الأجزاء.

1. **القسم الثاني:** وقد جعله كما أوردناه آنفًا على ستة عناوين أو مباحث، تتكرر مع كل مقطع السورة التي يتناولها التفسير؛ وهذه العناوين الستة هي:
2. **الكلم**: ويكون في معنى الكلمة ومادتها وصورتها، والاستدلال فيه بالقرآن وكلام العرب.
3. **والنحو**: ففي تأليف الكلمة، والاستدلال فيه بالنظائر وحسن التأويل.
4. **والبلاغة**: ففي دلالة الأساليب على معانٍ تناسب المحل.
5. **والتأويل**: ففي حمل الكلام على مراده حسب المحل، ومعظم الاستدلال في

ذلك بالقرآن وكلام العرب.

6. **والتدبر**: ففي ذكر المبادئ والنتائج، أي اقتضاء النص وإشارته، والاستدلال فيه بصريح العقل وكتاب الله تعالى.

7. **والنظم**: ففي بيان موقع جملة من الكلام، ورباط بعضها ببعض.

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اعلم أنّ هذه السورة جملة واحدة متصلة منظمة بعضها ببعض على غاية حسن النظام كما سيتضح لك من تفسيرها، ولكنها مع ذلك مرتبة على ستة أجزاء: مقدمة وأربعة أبواب".

أما المقدمة، فهي جملة الكلام في إثبات القرآن والنبوة وما يتعلق بها، وذلك حقيقة الإيمان، فالإيمان عبارة عن الإيمان بهذا الكتاب الذي يتضمن الإيمان بسائر الكتب، والنبوات، وبما أمر الله به ونهى عنه، وبأصول العقائد وصحاحها.

وأما الأبواب فجاءت بالترتيب حسبما جاء نعت النبي في دعوة إبراهيم عند بناء الكعبة، كما قال الله تعالى حكاية عن ذلك الدعاء: "رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩". (سورة البقرة: 129).

وقال في إنجاز دعائه: "كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١". (سورة البقرة: 151).

وقال في موضع آخر: "لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ". (سورة آل عمران: 164).

وفي موضع آخر: "هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ

وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ". (سورة الجمعة: 2).

ففي دعاء إبراهيم أخّر التزكية، لكونها غاية، وفي إنجاز ذلك قدّمها، لنعلم أنّ هذا النبي جعلها أول أمره وأتمها، وإنما تتم بعد العلم والعمل، وفي ذلك إشارة إلى أنّ هذا النبي هو آخر الأنبياء، فإنه يفعل ما هو كمال سعادة النفس، ثم تقديم التزكية في الإنجاز تشير إلى أنّ هذا النبي هو النبي الذي دعا له إبراهيم، فإنه جعل غاية ما في دعائه أول أمره وأصل قصده، فبدأ به، ثم جعل يعلمهم الكتاب والحكمة؛ ليتم التزكية...

وكما أنّ التزكية لها بداية ونهاية واتصال بتلاوة الآيات، فكذلك الحكمة لها بداية ونهاية تبتدئ ببداءة التزكية وتتم بتمامها:

1. فتلاوة الآيات تمهيد لما يتبع من التزكية والتعليم.
2. وتعليم أصول الدين خطوة أولى للتزكية.
3. وتعليم الأحكام هو الخطوة الثانية لها.
4. وتعليم الحكمة هو الخطوة الثالثة لها، وبه تمام التزكية التي تحصل بالعلم والعمل في هذه الحياة.

فبحسب مناسبة هذه الأمور الأربعة جعل ترتيب الأبواب الأربعة:

فالباب الأول: في تلاوة الآيات البينة والدلائل الواضحة على إثبات هذه الرسالة الموعود بها في الكتب السابقة حسب وصفه الأول، وهو قوله تعالى: "هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ". (سورة الجمعة: 2).

الباب الثاني: في بداية التزكية، وهي الذكر والشكر، والصبر والتوكل، والتوحيد والتفكر، والإيمان والأمانة، والبر والتقوى، وذلك حسب وصفه الثاني؛ وهو قوله تعالى: "وَيُزَكِّيهِمْ".

الباب الثالث: فيما كتب الله عليهم من السياسة العادلة، والشرائع المطهرة، والآداب النقية، التي تعين على الحكمة من جهتيه النظرية والعلمية، وذلك حسب وصفه الثالث، وهو قوله تعالى: "وَيُعَلِّمُهُمُ" أي الشرائع.

الباب الرابع: في تحصيل الحكمة التي تحصل بكمال الطاعة، وهي الخروج الكلي عن سلطان الشهوات ببذل النفس والمال، ورعاية المساواة، والرفق والمعاملات، وحينئذ تنجلي عن النفس كل غشاوة، وتتزكى عن كل رجس، فتدخل حظيرة القدس وتطمئن في حرم الأنس عن أسر الهوى، كما قال تعالى: "يا أَيُّهَاٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ". (سورة الأنفال: 24)...

هذا هو الوصف الرابع، أعني تعليم الحكمة وتحقيق التزكية الثانية التالية للحكمة التي هي النعمة الكبرى والكنز الذي لا يفنى كما قال تعالى: "يُؤْتِيٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾". (سورة البقرة: 269)...

فهذه السورة كأنها مرآة صفات النبي، ومرآة لتمام القرآن، ما جمعت أمور الرسالة كلها، وأولى السور بالفاتحة... فهذا بيان الأبواب الأربعة...

وأما **الخاتمة:** فهي جامعة لما سبق من الاعتقاد، وعيون الشرائع، والثبات عليها، وبذل النفوس للدفاع عنها، وفيها الدعاء بالنصر والمغفرة كالنتيجة لهذا كله.

ثم يقول: "فالآن تبينت أنّ نظم هذه المطالب على غاية السداد وصحة الترتيب، فإنك ترى السابق منها وسيلة إلى اللاحق، فإنّ الأدلة وسيلة إلى الإيمان، والإيمان وسيلة يؤدي إلى الأعمال الصالحة، والأعمال الصالحة تتم بالحكمة، وبهما تتم التزكية التي هي كمال النفس وفلاحها بإكمال طرفيها: العلمي والعملي. فهذا نظام السورة من حيث المجموع، وأما النظم التفصيلي لأجزائها، فسيأتيك عند النظر في جزء من السورة".[1]

[1] نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 46- 50 (بتصرف يسير).

قد قام الدكتور محمد يوسف الشربجي[1] بدراسة تفسير سورة البقرة في إحدى مقالاته فقال:

ونختم بنماذج من تفسير سورة البقرة وهي من آخر ما كتبه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وقد ذكرت بعض النماذج من تفسيره سابقًا وأضيف بعض النماذج لتتضح الصورة أكثر. وقبل الشروع في ذلك أحبّ أنْ أقتبس إليك بعض الكلمات من خطبته الجامعة المانعة التي أدهشت كبار العلماء وذرفت لها الدموع ذرفًا. فيقول بعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله وبعد بيان تاريخ هذا العلم والحال الذي وصل إليه قال: "إني تصفحت كتب التفسير وسبرتها سبرًا فما وجدتها إلا (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) فلم تبرد غلتي بل زادت قلبي حرًا، وملأت كبدي جمرًا، ففزعت إلى تدبير كتاب الله وسعة معانيه وتركت أقاويل الناس هجرًا. وكان بداية أمري أني بينما أجيل الطرف في نجوم الآيات، إذ أضاء لي في أفقها الأعلى سلك نظامها مثل الخيط الأبيض من الصبح، فما ازداد إلا سطوعًا وجهرًا، فكشف الحجاب عن فؤادي أو طحر[2] قذى عن عيني طحرًا فأبصرت قصدي وتبينت رشدي وصرت أعمل في أساليب نظامها وأعاجيب رباطها فكرًا، وقضيت على ذلك عصرًا، ومن أحسن عمري شطرًا، حتى ولّى الشباب ظهرًا، وأذاقني المشيب طعمًا مرًا، وكرّت علي الأوجاع والأسقام كرًا، ولامني الصديق ونظر الحقود إلي شزرًا، بأني قد ركبت وعرًا، وتولّيت أمرًا إمرًا، ولكني لم أزل مشتغلًا بخصيصاي لا أقصر عنها قصرًا، كأنّ أمرًا من السماء يسوقني إليها قسرًا، لا أدري لعل الله وجد المسلمين عمياء مظلمة فأراد أن يرفع عن خرائد[3] القرآن خدرًا، وأراد أن يصلح آخر هذه الأمة بما أصلح به أولها فشرح من بعضهم لفهم كتابه صدرًا، ولولا هذا الرجاء لما اقتحمت من هذا الخضم غمرًا، ولولا حديث الألجام لما تصديت لأمر لو نزل على الجبال لهبطت لعظمته خرًا، فتوكلت على الله (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ

[1] أستاذ التفسير الأسبق بجامعة دمشق، توفي سنة 2016م

[2] طرحت العين قذاها، تطحر طحرًا: رمت به، انظر الصحاح للجوهري "طحر".

[3] الخرائد جمع خريدة، وهي العذراء، ومن المجاز لؤلؤة خريدة: عذراء، انظر أساس البلاغة: 343.

ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣) (سورة الطلاق: 3). فإن شاء ربي سيجلي لنواظرك من القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان سفراً بديعًا في خصائصه بكرًا، تجد أسفار القوم عن معظمها صفرًا، كاشفًا لك عن بديع نظام القرآن سترًا، متمسكًا بآياته في التأويل فكأني نذرت نذرًا أنْ أتمسك بآيات الله ونظامها فلا أجاوز عنها شبرًا، ناشرًا بين يديك حبرات من معجز بلاغته نشرًا، مطلعًا بك على ذروة الحكمة التي تعجز الحكماء دونها بهرًا، معتصمًا بأصول راسخة للتأويل يذعن لها أولو النهي إلا غمرًا، منتحيًا لتأويل واحد فتاركًا كل رثّ واهن وآخذًا ما كان محكمًا ممرًا، مجتنبًا غلوًا في الدين فلم أكن متخذًا الباطنية بطانة ولا الظاهرية ظهرًا، مفارقًا من لم يفرق بين سنة الله وسنن المخلوقات، فكذّب بينات القرآن وحرّف آياته زورًا ومكرًا، قائلًا للمبتدعة كلهم حجرًا وللملحدين جميعهم بهرًا: ذلك، وقد تبرأت من حولي وقوتي إلى توفيق ربي فما أشدنا إليه فقرًا! اللهم ربنا لا تؤاخذني بما نسيت أو أخطأت فأنت الغني الحميد، وأنا عبدك الحقير الفقير، فلا ترهقني من أمري عسرًا، واجعل اللهم ربنا عملي خالصًا لوجهك، واجعله لي في الآخرة وسيلة وذخرًا".[1]

إنك لتعجب كل العجب من هذا الكلام السلس المنمّق، وقد طيّع الله له اللغة العربية وهي ليست لغته الأم. فينتقي منها ما يريد ويدع ما لا يريد، فجاءت في غاية الإحكام والانسجام، وقد حبّرها تحبيرًا.

ثم قسم تفسيره إلى سبعة عنوانات:

1. المقدمة.
2. الكلم.
3. النحو.

[1] من خطبة الإمام العلامة الفراهي لتفسيره نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 23-24.

4. البلاغة.

5. التأويل.

6. التدبر.

7. النظم.

أما المقدمة: ففي أمور كلية من عمود السورة ومطالبها، ومواقع نزولها، ووجه خطابها، وترتيب أجزائها.

وأما الكلم: ففي معنى الكلمة ومادتها وصورتها والاستدلال فيه بالقرآن وكلام العرب.

وأما االنحو: ففي تأليف الكلمة والاستدلال فيه بالنظائر وحسن التأويل.

وأما البلاغة: ففي دلالة الأساليب على معان تناسب المحل.

وأما التأويل: ففي حمل الكلام على مراده حسب المحل، وفي ذلك معظم الاستدلال بالقرآن وكلام العرب.

وأما التدبر: ففي ذكر المبادئ والنتائج أي اقتضاء النص وإشارته، والاستدلال فيه بصريح العقل وكتاب الله.

وأما النظم: ففي بيان موقع جمله من الكلام ورباط بعضها ببعض.

ثم تناول السورة بالشرح والبيان وافيًا بما التزمه.

وسأعطيك مثالًا من تفسيره يمتع ناظريك، ويسرّ مقلتيك، ويجعلك تقبل عليه بكلتا يديك. وهو تفسير ثلاث كلمات من قوله تعالى (وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ) [سورة البقرة: 45] يقول: "أي استعينوا بالصبر والصلاة على الإتيان بما أمرناكم به، والانتهاء عما نهيناكم عنه كما تقدم آنفًا.

واعلم أنّ المراد بهذا الأمر هو التمسك بالصلاة. وأما ذكر الصبر قبلها فلكونه شرطًا وذريعة إليها. فإنّ الصلاة لا يمكن التمسك بها إلا بالصبر. فالصلاة كجسر عظيم لا بد له من أساس شديد. قال تعالى مخاطبًا نبيه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ (وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ) (سورة طه: 132) وبيّن ذلك في الجملة التالية، فاطلب البيان من تفسيرها.

واعلم أنّ المراد من الاستعانة بالصلاة هو الاستعانة بالرب تعالى، كما هو ظاهر. قال تعالى: (قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ) (سورة الأعراف: 127] أي صلّوا لربكم، وذلك بأنّ الصبر الذي جعله الله تعالى رأس الأمور وأساسها، هو الاستقامة بطمأنينة القلب على وعد الله، والاستحقار لما يقاسيه العبد من البلاء والأذى، كما قال تعالى: (فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ) (سورة هود: 49). فهذه الصفة هي التي يلتصق بها العبد بربه ولا يزال قائمًا بين يديه مولاه توابًا أوابًا، قال تعالى: (وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ) (سورة الرعد: 22]، وقال تعالى: (فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠) (سورة ق: 39)، فالصبر من هذه الجهة من شرة الصلاة، ولذلك يعبر بالصابر عن المصلي، قال تعالى: (ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ) (سورة البقرة: 153] فنبّه على أنّ الصابرين هم المصلون، فجعل الصبر دليلًا على الصلاة، فاكتفى بذكره عنها، وههنا جعل الصلاة دليلًا على الصبر، لكونه مشتملًا عليه، وسيأتيك ذكره في تأويل الآية التالية.[1]

تمّت ترجمة تفسير سورة البقرة إلى الأردوية بقلم الأستاذ عبيد الله الفراهي وهي نشرت في مجلة "نظام القرآن"[2] الفصلية الصادرة عن مدرسة الإصلاح.

[1] تفسير نظام القرآن، ص 233-234.

[2] مجلة "نظام القرآن" الفصلية، من المجلد الثاني والعدد الأول إلى المجلد التاسع والعدد الثاني (في ثلاثين حلقة)

- **تفسير سورة التحريم**

قد ذكر الأستاذ الفراهي في تفسير هذه السورة نظم السورة وربط الآيات مع الإشارة إلى عمودها وألقى الضوء على أنّ الإسلام هو دين الفطرة وبيّن الفسق والرهبانية كما قدّم تحقيقًا لغويًا لعبارة "صَغَتْ قُلُوبُكُمَا" في صدد البحث عن أسباب نزول هذه السورة وبيّن جوانب عديدة غير ذلك.[1]

يبدو من ترجمة الإمام الفراهي التي كتبها العلامة السيّد سليمان الندوي بأنه بدأ يكتب هذا التفسير أثناء إقامته بعلي كره ولكنه أتمه بإله آباد ونشره من البلد المذكور.

قد ذكر الشيخ رشيد رضا المصري في مجلته المنار هذا التفسير ضمن تعريف نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان قائلًا:

"أهدانا المعلّم عبد الحميد الفراهي (من العلماء في الهند) بضع سائل في تفسير سور متفرقة من القرآن العزيز سمّاها بما ذكر في العنوان. وهي سورة التحريم والقيامة والشمس والعصر والكافرون والمسد أو "تبّت" وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من النظر فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية، دون المباحث الفنية العربية، ولكنه لا يفسّر كل آيات السورة وكلماتها ولا يتكلم على ما يفسّره بالترتيب وإنما يتكلم عن المسائل الكلية والمقاصد التي تهدي إليها الآيات كلامًا عامًا مبسوطًا مفصلًا معدودًا بالأرقام. فمن فصول تفسير سورة التحريم:

(1) نظام السورة وموقع آياتها

(2) سنة الله في الاحتساب

[1] راجع للتفصيل: تفسير سورة التحريم للشيخ حميد الدين الفراهي، (ترجمة: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، ط2، كوه نور برنتنك بريس، دهلي، بدون تاريخ، ص5-27

(3) عمود السورة هو الاحتساب والتشمير له

(4) دين الفطرة هو الاعتدال بين الفسق والرهبانية

(5) تفرق الفسق والرهبانية

(6) نزول القرآن حسب أحسن المواقع

(7) شأن نزول هذه السورة حسب الكليات

(8) شأن نزول آيتين 1-2 حسب جزئيات الواقعة والفوائد الكلية منها وهي ست. إلخ.

وإن للمؤلف لفهمًا ثاقبًا في القرآن وإن له فيه مذاهب في البيان وطرائق في الاستطراد منها القريب والبعيد وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها والصدور عنها ريان من شواهدها فقد كتب في تفسير كلمة "صغت" من قوله تعالى "إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ" أكثر من صفحة على أنه قد صنّف كتابًا في مفردات القرآن كما فعل الراغب الأصفهاني. وإن أدري أ فسّر القرآن كله على هذا النمط؟ هو يشتغل بذلك الآن ويريد طبع تفسير كل سورة عند إتمامها. وقد رأيت فيما قرأت ذكر كتب أخرى له في القرآن والدين كالمفردات وتاريخ القرآن والأمثال الإلهية وأصول الشرائع فعسى أن يتفضل بإخبارنا عنها أ هي تامة أم لا، أ طبع منها شيء أم لا؟

هذا وقد أرسل إلينا عدة نسخ من تفسير بعض السور لأجل بيعها عندنا وهي مطبوعة طبعًا حجريًا عن خط فارسي حسن فمن أحبّ أن يطلع عليها فليطلبها من إدارة المنار وثمن تفسير سورة التحريم فرشان وما عداه فثمنه قرش أو قرش ونصف.[1]

قد أوضح البروفيسور ظفر الإسلام الإصلاحي[2] أثر تفسير سورة التحريم للفراهي في

[1] مجلة المنار، 12/2/135-136

[2] بروفيسور، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة علي جره الإسلامية، علي جره.

"سيرة النبي" في مباحث الإيلاء والتخيير والاعتزال.

طبعاته

تفسير سورة التحريم من نظام القرآن وتاويل الفرقان بالفرقان، المعلم عبد الحميد الفراهي، طبع في مطبعة فيض عام، علي كره، الهند، 1326هـ، بدون ذكر الطبعة، 27 صفحة+صفحتان (فهرس مطالب الفصول وتصحيح الأغلاط).

ترجمته بالأردوية وطبعاتها

ترجم الشيخ أمين أحسن الإصلاحي هذا التفسير إلى اللغة الأردوية ونشرتها الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم جره، ضمن مجموعة تفسير نظام القرآن، 1990م.

أصدر كوه نور برنتنك بريس، دهلي الطبعة الثانية للترجمة المذكورة (بدون تاريخ).

- **تفسير سورة التين**

إن أ.د. أبو سفيان الإصلاحي[1] قد قام بدراسة تفسير سورة التين وتحليله بالتفصيل فيقول:

ومما يلتزم الفراهي عامة في تفسيره أنه يعين أولًا عمود السورة. فيقول في تعيين عمود سورة التين: "يرى في بادي النظر أنّ عمود السورة هو إثبات الدين، أي الدينونة والقضاء على الإنسان حسب أعمالهم، فبدأ السورة بالقسم على سبيل الاستشهاد ويراد به الاستشهاد على ما أقسم عليه".[2] ويقول الرازي: "الإشكال هو أنّ التين والزيتون ليسا من الأمور الشريفة، فكيف يليق أن يقسم الله تعالى بها؟".[3] ثم أفاض في تعيين المراد من التين والزيتون وذكر أقوالًا مختلفة، منها أنه ليس المراد هاتين

[1] بروفيسور، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره
[2] تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 337
[3] التفسير الكبير، الإمام الرازي، بدون مطبع وسنة، 9/32

الثمرتين بل هما جبلان من الأرض المقدسة، فكأنه تعالى أقسم بمنابت الأنبياء فالجبل المختص بالتين لعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والزيتون في الشام أحد مركز أنبياء بني إسرائيل، وطور مبعث موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأما البلد الأمين فهو مبعث محمد خاتم الأنبياء عليه الصلوات والتسليم، فيكون المراد من القسم في الحقيقة تعظيم الأنبياء وإعلاء درجاتهم.[1]

ونقل الزمخشري أيضًا في تعيين التين والزيتون أقوالًا، منها أنه قيل جبلان من الأرض المقدسة يقال لها بالسريانية "طور تينا" و"طور زيتا" لأنهما منبتا التين والزيتون، وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لأنهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون.[2] ويقول الزمخشري معنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين، فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه، وطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة موقع البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومبعثه.[3]

ويقول الطبري: "اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى "والتين والزيتون" فقال بعضهم: عني بالتين التين الذي يؤكل، والزيتون الزيتون الذي يعصر، وقال آخرون: التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس، وقال آخرون التين مسجد نوح والزيتون مسجد بيت المقدس". ثم أبدى الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ رأيه قائلًا: "والصواب من القول في ذلك عندنا قول مَنْ قال التين هو التين الذي يؤكل والزيتون هو الزيتون الذي يعصر منه الزيت، لأنّ ذلك هو المعروف عند العرب، ولا يعرف جبل يسمّى تينًا ولا جبل يقال لها زيتون".[4]

[1] راجع للتفصيل، التفسير الكبير، الإمام الرازي، 9/32
[2] أنظر للتفصيل، الكشاف للزمخشري، دار المعرفة بيروت، لبنان، 368/4
[3] المصدر نفسه، 369/4
[4] جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، 627/21

ويرى الفراهي أنّ هذه الأقسام للشهادات فقط لا غير ويقول: "فعلى هذا الأصل استشهد بأربع شهادات مشيرة إلى وقائع الدينونة في الدنيا، ليتذكروا أنّ الله تعالى ليس بغافل عما يعمل عباده، فإنه لم يزل يدينهم بالقسط ويحكم عليهم بالحق وأبطل بذلك الشبهة في وقوع الدينونة يوم القيامة، وهذا النوع من الاستدلال كثير في القرآن".[1] ثم وثق الفراهي رأيه بإتيان النماذج من بداية سورة الذاريات والانفطار.

وألقى الفراهي الضوء على بعض الكلمات الواردة في هذه السورة من أمثال التين والزيتون وأحسن تقويم ورددناه أسفل سافلين وممنون وغيرها، وقام بتحقيق المفردات اللغوية وضبط معانيها. يقول في أحسن تقويم: "قوّم الشيء: جعله مستقيمًا، قوّمت الرمح فاستقام، ومن هنا يراد به جعل الشيء مناسبًا لغايته، فهذا تقويم معنوي، فهو مثل التسوية، وكل خلق تسوية، قال الله تعالى: "ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢" (سورة الأعلى: 2).[2]

وسلّط الضوء على كلمة ممنون واشتقاقها، فيقول: ممنون هو (مشتق) من "منّ" إذا قطع، قال لبيد:

غبس كواسب لا يمنّ طعامها

غير ممنون أي دائم كما قال الله تعالى: "لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣" (سورة الواقعة: 33) وأيضًا "عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨". (سورة هود: 108). وهذا ليس من المنة (كما يراها بعض الناس) فإنه لا نظير لذلك المعنى في القرآن وكيف تنفى المنة، فإنّ كل أجر من الله فضل ومنه منه.[3]

وتناول الفراهي أربع شهادات بالتفصيل، والجدير بالذكر هنا أنّ الفراهي يرى أنّ التين والزيتون موضعان ثم قوّى رأيه بالدلائل والبراهين ولكنه قبل ذلك قدّم أربع نكات

[1] تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 338
[2] المصدر نفسه، ص 339
[3] المصدر نفسه، ص 341

مهمة، تسهّل لنا الوصول إلى عمق رأيه. يقول:

وستعلم في الفصول التالية ما وقع من الدينونة على هذه المواضع:

1. وذلك يدلّ على أنّ المراد بالتين والزيتون موضعان، وليس إلا.
2. وأيضًا قرن التين والزيتون بطور سينين والبلد الأمين، فدلّ بالنظم على كونهما اسمين لموضعين.
3. وأيضًا لا يخفى عليك أنه كان من عادة العرب التذكير برؤية الديار وآثارها، وكثر ذلك في كلامهم جدًا. فذكر المواضع للتنبيه على ما وقع فيها هو أقرب إلى أذهانهم وأوقع في نفوسهم. وعلى هذا كثر في القرآن الكريم التذكير بذكر البلاد، كما قال الله تعالى: "ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ". (سورة هود: 100).
4. وأيضًا في التوراة ما يطابق هذا التأويل".

ثم أتى الفراهي بالدلائل على كون التين والزيتون اسمين لموضعين. وأحكم رأيه بقول عكرمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حيث قال مرة "تينكم وزيتونكم" ومرة "هما جبلان". وأضاف الفراهي فيه قائلًا: "فأما التين فالمراد به موضع خاص عرفته العرب بهذا الاسم لكونه منبت التين. والعرب يسمّون الموضع باسم ما ينبت فيه كالغضى والشجرة والنخلة. وقال النابغة الذبياني:

وهبت الريح من تلقاء ذي أرل تزجي مع الليل من صرادها صرما

صهب الظلال أتين التين عن عرض يزجين غيما قليلًا ماؤه شيما

ويرى الفراهي أنّ الشاعر أراد بالتين جبلًا في الشمال ولعله هو الجودي أو قريب منه. ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس في تأويل هذه الآية، فقال إنّ المراد به "مسجد نوح الذي بني على الجودي". وعن عكرمة والتين والزيتون قال هما جبلان.

وعلى هذا يتبين أنّ التين إما هو الجودي أو قريب منه. وتجشم الدكتور أجمل أيوب الإصلاحي في تقرير جبل التين ونقل أبياتًا عديدة من الشعر الجاهلي، تتضح منها أنه لا يزال معروفًا بين العرب. إليك بعض الأبيات: يقول شبيم بن خويلد الفزاري:

حلّت أمامة بطن التين فالرقما واحتلّ أهلك أرضًا تنبت الرتما

ويقول الباهلي:

إذًا لجعلت التين بيني وبينكم وهضبة زيد الخيل فيها المصانع

أما التينان اللذان أشار إليهما أبو دؤاد الأعرابي فيقول فيها الأستاذ العبودي: "جبل يقع إلى الشمال من جبل قطن المشهور، في الشمال الغربي من القصيم، وهو في ديار بني أسد عند ظهور الإسلام.... وتسميته قديمة لم يتغير منها شيء، إلا أنهما عند المتقدمين تينان اثنان وعند المتأخرين تين واحد، أما الجبل الآخر فقد أصبح يسمّى عند العامة من المتأخرين "مصودعة" وهو الشمالي من التينين. وقال ابن بليهد: "هو معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم في الجاهلية وفي الإسلام. وهذا الجبل قد رأيته. أصله واحد وأعلاه كأنه جبلان. وذكر الزمخشري أنهما لبني فقعس وهم من بني أسد. وبينهما وادٍ يقال له خو. وهذا الجبل مشهور، وقد كثر ذكره في شعر الأسديين، فقال العوام بن عبد الرحمن:

أحقًا ذرى التينين أن لست رائيا قلالكما إلا لعينيّ ساكب

وأنشد السكوني:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بأسفل ذات الطلح ممنونة رهبي

وهل قائل ها ذاكم التين قد بدا كأنّ ذرى أعلامه عمّمت عصبا

ولا شارب من ماء زلفة شرفة على العل مني أو مجير بها ركبا

وأنشد أيضًا:

أحبّ مغارب التينين: إني رأيت الغوث يألفها الغريب

كأنّ الجار في شمجي بن جرم له نعماء أو نسب قريب

وأنشد أبو الندى لرامة بنت حصين الأسدية وكانت جاهلية:

لعمرك للغمران غمرا مقلد فذو نجب غلانه فدوافعه

وخو إذا خو سقته ذهابه وأمرع منه تينه وربائعه

وصوت مكاكي تجاوب موهنًا من الليل، من يأرق له فهو سامعه

أحبّ إلينا من فراريج قرية تزاق ومن حي تنق ضفادعه[1]

ونكتفي بذكر هذه النماذج، وظهر من هذا التفصيل أنّ عددًا من الجبال تسمّى "التين". وإن نعجب بعد ذلك فعجب قول الإمام أبي جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لا يعرف جبل يسمّى تينًا".

وأما الاستشهاد بهذه الأشياء الأربعة هنا فلها غاية خاصة. يقول الفراهي: "وبعدما تبينت هذا الأصل فاعلم أنّ هذه البقاع الأربع موضع لظهور الدينونة الدالة على أنّ الرب تعالى يدين الإنسان بالرحمة والعدل حسب أعماله".[2]

يقول الفراهي: "التين هو أول موضع لظهور الدينونة على الإنسان وذلك بأنّ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما نسي عهد الرب وسمع لقول حاسده، وقعت عليه وعلى زوجه الدينونة. فأهبطا بعد الرفعة وسلبا لباس الجنة، ثم إذا تابا إلى الرب وتاب الرب عليهما ووعد بإنزال هداه وأجر

[1] أوردنا كل هذه التفاصيل نقلًا من مفردات القرآن (نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية) للإمام عبد الحميد الفراهي، شرح وتحقيق: د. أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م، ص 270-277

[2] تفسير نظام القرآن، ص 349

من تبعه من ذريته، فأعطاه عهدًا ثانيًا. وكذلك وقعت الدينونة على نسله في عهد نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عند جبل التين، فأهلك الظالمون وبورك الباقون. كما قال الله تعالى: "قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨". (سورة هود: 48).[1]

وأما الزيتون فقد وقعت عليه الدينونة العظمى من سلب الأمانة والناموس من اليهود، وإعطائها لدولة أخرى من شجرة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. إذ وقع ما وقع في آخر عهد المسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في ليلة سهرها على جبل الزيتون، وقد ناجى الرب إلى السحر ويئس من قومه فحزن غاية الحزن. ونقل في الإنجيل هكذا، "لذلك أقول لكم إنّ ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليها يسحقه".[2] وأضاف الفراهي أنّ في الزيتون إلماعًا إلى دينونة أخرى مع نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.[3]

وأما طور سينين فلا يخفى أنّ الله تعالى أعطى عليه الأمانة أمة ضعيفة، قد صبرت على ظلم أعداء الله، فأنجاهم من أيديهم بيد قوية ورفع أمرها ودان عدوها ثم أعطاها ناموسًا ذا باس شديد على الظالمين الكافرين، فكان هذا العطاء العظيم رحمة على الضعفاء وانتقامًا من الأقوياء. وكان أيضًا أجرًا للعابدين وجزاء للكافرين. ثم نقل الفراهي آيات عديدة من القرآن الكريم ووثقها بالصحف السماوية ثم لخص في الآخر بقوله: "فما ذكرنا يتبين أنّ الله تعالى دعا موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلى طور لأجل إتمام النعمة على ذرية الصالحين ليمكن لهم في الأرض، ليكونوا شهداء لله بالدين الحق، وليهلك بهم المفسدين الكافرين. فكان ذلك دينونة رحمة ونقمة وثواب وعذاب، ليعلموا أنه هو العزيز الرحيم الديان الحكيم".[4]

وأما الدينونة التي وقعت في مكة فكانت أوسع رحمة للناس وباقية إلى يوم القيامة وبيان

[1] المصدر نفسه، ص 350
[2] المصدر نفسه، ص 351
[3] المصدر نفسه، ص 357
[4] المصدر نفسه، ص 358

ذلك أنّ الله تعالى لما ابتلى إبراهيم فأتمها وبعهده فوفى، فجعل مركز هذا العهد بلدًا أمينًا محفوظًا عن الأعداء واختار له خير أمة ليكونوا شهداء الله على جميع أهل الأرض، وبعث فيها نبيًا على كافة الناس وأتم به الشرائع والحكم لكيلا يبقى للناس حجة بعد ذلك عند دينونة في القيامة وبيّن القرآن هذه الأمور في مواضع. فمنها قوله تعالى: "وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾". (سورة البقرة: 124-129)

فأتم الله عهده بإبراهيم وجعله إمامًا للناس بما عهد إليه وإلى إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ سدانة بيته وجعله مثابة للناس وأمنًا واستجاب دعاءه، فبعث فيه رسولًا وكل ذلك لما وجده كاملًا في العبودية.[1] وأضاف فيه أنه قد جاء في التوراة ما هو في غاية المشابهة بأوائل هذه السورة ونقل الفراهي هذه العبارة من التوراة ثم استعرض النظيرين من القرآن والتوراة من جهة النظم والبيان.

ثم أورد الفراهي التفصيل لما فهم في تأويل المقسم عليه وهو قوله تعالى، "لقد خلقنا الإنسان.....غير ممنون". وقال: "فكون الإنسان في أحسن تقويم هو وضعه بين المتقابلين المتضادين من الميل إلى الخير والشر مع العلم بهما، والاختيار بينهما وجعل

[1] المصدر نفسه، ص 361

حبّ الخير أصل فطرته، وذلك بأنّ تربية القوى وإبرازها وإكمالها منوط بالجهد والكدح. ولا بد للاختيار من هذه المشقة ليخلص النضار من الخبث، وهو المراد من التزكية والابتلاء. ولولا هذا الجهد والكد لما ترقى الإنسان إلى ذروة الكمال الذي أودع الله فطرته، وجعله بذلك أحسن خلقه علمًا وعملًا وحكمة وزكاة".[1]

وإذ منّ عليه ربه بالاختيار عاملة معاملة الأحرار، فأخذ منه عهدًا للطاعة، وبذلك صار موقعًا للدينونة، فلما نسي العهد لقلة عزمه، كما قال تعالى: "وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥". (سورة طه: 115) تصدّى للدينونة، فلذلك قوله تعالى: "ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥". (سورة التين: 5).

ولكنه تعالى إذ فتح له غرفة إلهام الفجور والتقوى، تداركه بوحي التوبة، كما قال تعالى: "فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ". (سورة البقرة: 37). فنهض الإنسان بعد هبوطه أحسن مما كان، فاجتباه ربه، كما قال تعالى: "وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢". (سورة طه: 121-122). وهذه دينونة ثانية. وكما أنّ الأولى لم تكن مختصة بآدم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ بل عمت ذريته، فكذلك جعل هذه الثانية عامة، فإنّ كل من تاب بعد الزلة، يتوب الله عليه ويهديه، كما قال تعالى: "قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨". (سورة البقرة: 38). فكما عرض وحي التوبة على آدم، فكذلك يعرضها على ذريته بواسطة الأنبياء، فمن تلقاه كان على سنة آدم وأوتي ما سلب بل ما هو خير وأبقى. فلذلك قوله تعالى: "إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ". (سورة التين: 6).

وأشار الفراهي إلى أنّ من فهم من "أسفل سافلين" حالة الكفار فقط، جعل الاستثناء متصلًا، ولا يخفى أنّ هذا التأويل ضيق وبعيد. ثم يوضح الفراهي سافلين قائلًا: "أما

[1] المصدر نفسه، ص 368

سافلين ففيه وجهان، الأول أن تجعله أيضًا عامًا، فإنّ الله تعالى لم يردهم إلى أسفل إلا بأن اختار الإنسان سفلًا لنفسه، وعلى هذا تكون حرف "إلا" للاستدراك. أي لكن المؤمنين بعد أن كانوا سافلين حين اهبطوا نهضوا وتابوا، فلهم أجر دائم. وهذا تأويل حسن راجح كما هو ظاهر. والوجه الثاني أن نخرج المؤمنين من "سافلين" وعلى هذا يكون الاستثناء متصلًا، أي المؤمنون مع الهبوط لم يكونوا سافلين، ولكنهم عرجوا من السفل إلى العلو. وأما الكافرون فبقوا فيما ردوا إليه بل ازدادوا سفلًا".[1]

وقد أورد الفراهي في تفسير الآية، "فما يكذبك بعد ....الحاكمين" قائلًا: "ذهبوا في تأويله إلى قولين "الأول فأيّ شيء يكذبك أيها الإنسان بالدين؟ اختاره مجاهد. فإنه لما قيل له عني به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال معاذ الله، إنما عني به الإنسان واختاره الزمخشري، ثم زعم أن يكذبك معناه يحملك على التكذيب، وهذا تأويل حسن لو ثبت.

والثاني فما يكذبك أيها النبي الكريم بعد ذلك بالدين؟ وذهب إليه الفراء وهو مصيب في أنه لم يصرف الكلمة عن المعنى المتداول، ولكنه يبعد عن سياق الكلام وموقع الاستفهام. فإنه ليس في الكلام ما يناسبه خطاب النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذين الاستفهامين ولا التفريع بقوله تعالى "فما يكذبك" ولا التأكيد بقوله تعالى "بعد". فالظاهر الأقرب من السياق وحسن النظم ما ذهب إليه مجاهد مع إبقاء معنى التكذيب على ما يوجد في كلام العرب. وعلى هذا يسوغ تأويلان:

الأول: فأيّ شهادة ودليل أيها الإنسان بعد هذه الشهادات يخالف قولك بوقوع الدين ويكذبك فيه.

الثاني: فأيّ شيء من الأماني والظنون يخالج صدرك في أمر الدين بعد أن دلّت الوقائع والشواهد، وعلى هذا يكون وجه الخطاب إلى المنكرين خاصة، ولهذا الخطاب نظائر.

[1] المصدر نفسه، ص 371

ومنها قوله تعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦". (سورة الانفطار: 6).[1]

وفي الأخير وضح الفراهي نظم السورة بما سبق وبما لحق وقال "تضمنت السورتان السابقتان ما حمل النبي الكريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من أعباء هذه البعثة العظمى التي أسّس بنيانها بيد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. وجعل لأجلها هذا البلد مأمونًا من كيد الأعداء، ولذلك أسكن فيه إبراهيم ذريته. ومع أنّ الله تعالى أخّر أمرها وغشى موضعها ظلمة إلى مدة، ما ودعهم وما قلاهم حتى أشرفه بنور أتم، فبعث فيه هذا النبي ليكمل مقصد بناء هذا البلد، وهو التوحيد الكامل والمواساة بالضعفاء".[2]

فذكر في هذه السورة شواهد على ظهور بركات هذا البلد. وغاية هذه السورة إثبات هذه البعثة إثباتًا لميًا. وبعثه الله نبيًا وذلك لكي يرد الحنيفية البيضاء إلى كمالها وهو الإسلام، ويقيم السلم في الناس، ثم جعل طريقها تلاوة آيات الله وتعليم الشرائع والحكمة والتزكية، كما أخبر الله تعالى عن دعاء إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ حين دعا لهذا البلد وبنى هذا البيت المحرم "رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٢٩". (سورة البقرة: 128-129).

ويقول الفراهي: "فبحسب هذا الربط أتبع هذه سورة البلد الأمين سورة اقرأ، وجعل نعمة القرآن غاية خلق الإنسان والبرهان على كونه أحسن تقويم... وبالجملة فكون الإنسان في أحسن تقويم يتبعه أن يعطى القرآن، فإنّ ذلك هو الرجوع إلى أحسن تقويم، وبروز ما أودع في فطرته من الكمال".[3]

[1] المصدر نفسه، ص 372
[2] المصدر نفسه، ص 373-374
[3] المصدر نفسه، ص 375

وأكثر الإمام الفراهي الاستفادة من الزبور والإنجيل في تفسير سورة التين.[1] وتشابه بداية سورة التين شطراً من التوراة فقد نقله الفراهي في تفسيره[2] كما أنه بيّن ما كان لبيت الله وبني إسماعيل من فضائل وخصائص بالتوراة في تفسير سورة الفيل.[3]

طبع هذا التفسير في مطبعة معارف بأعظم كره، الطبعة الأولى، دون تاريخ.

ترجمه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي باللغة الأردوية، وأصدرتها الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سرائ مير ، أعظم كره، د.ت، ط1

- **تفسير سورة الحشر**

ذكر في "معجم المطبوعات العربية والمعربة" أنّ تفسير سورة الحشر للأستاذ الفراهي قد طبع أول مرة من مطبعة فيض عام بعلي كره سنة 1326هـ/1908م ولكن لم نعثر على ذكر هذا التفسير[4] في غير هذا المعجم فلا نستطيع أن نعلق على هذا الجزء من تفسيره.[5]

قد صرح أ.د. ظفر الإسلام الإصلاحي أنه لم يمكن له الحصول على مصدر تفسير سورة الحشر في موضع إلا في معجم المطبوعات العربية والمعربة، رتبها يوسف البان سركيس، مطبعة سركيس مصر 1938م، ولم استطع الحصول على هذا التفسير.

- **تفسير سورة الذاريات من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**

طبع في مطبعة معارف بأعظم كره، الطبعة الأولى، دون تاريخ، 47 صفحة+3 صفحات (فهرس مطالب الفصول).

---

[1] راجع للتفصيل: تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 315-331

[2] راجع للتفصيل: نفس المصدر، ص 324-325

[3] نفس المصدر، ص 331-373

[4] معجم المطبوعات العربية المعربة (ترتيب) يوسف الياس سركيس، مطبعة سركيس، مصر، 1928م، 1438/2

[5] راجع للتفصيل، كتابيات فراهي، رقم الحاشية: 5، ص 34

- **تفسير سورة الشمس من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**

قد فسّر الأستاذ الفراهي هذا التفسير في ضوء الآيات الكريمة مع تعيين عمودها وبيان نظمها وربطها بما قبلها وما بعدها من السور وأشار إلى سنة الله التي تجري في تعذيب الأقوام المكذبة وألقى الضوء على ناقة الله وختم بتفسير الآية "وَلَا يَخَافُ عُقْبَبَهَا" مع إعادة النظر في ربط السورة.[1]

ذكر الإمام الفراهي في نهاية تفسير سورة الشمس بعضًا من الإشارات اللطيفة، ومنها أنّ ثمود كما دعوا عذاب الله بقتل 'ناقة الله' هكذا اليهود فعلوا فعله بقتل عيسى والمسلمون قاموا به بقتل علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كأن بين يهود عيسى وبين أتباع علي تشابهًا. هذه الإشارات اللطيفة يمكن أن تكون من ضمن "إشارات تفسيرية" للصوفية لكنها لا تتعلق بأية واسطة بتأويل وتفسير الآيات التي يجري بحثها في هذا المبحث. الشيخ ضياء الدين الإصلاحي كتب مقالة (مجلة "علوم القرآن"، يوليو-سبتمبر 1989م، ص 26-27، المقالة بعنوان "تحليل تفسير سورة الشمس للعلامة عبد الحميد الفراهي") في تحليل وتعريف هذا التفسير ولكنه ما انتقد هذا الجانب.

يذكر العلامة شبلي في 4/ أغسطس عام 1906م عن تفسير سورة الشمس في رسالة تدلّ على أنّ هذا التفسير ألّف في 1906م، يقول شبلي:

"أنا مقيم في ممبئ، ما وجدت بحثًا مهمًا في الشمس، ولكن وجدت فوح الشؤم في بعض المواضع، بأنك جعلت شهادة عثمان والإمام حسين سببًا لعقاب المسلمين، هذا ما يوافق طبيعتك".[2]

طبع هذا التفسير في مطبعة فيض عام، علي كره، الهند، 1326هـ، بدون ذكر الطبعة

[1] تفسير سورة الشمس للشيخ حميد الدين الفراهي، (ترجمة: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، ط2، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائي مير، أعظم كره، بدون تاريخ، ص 4-52

[2] المصدر نفسه، رقم الرسالة: 24 و34.

(في مقالة: سنة 1326هـ /1908م، الطبعة الأولى)، 19 صفحة+صفحتان (فهرس مطالب الفصول وتصحيح الأغلاط).

ترجمه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي إلى الأردوية، ط2، ونشرها الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائي مير، أعظم كره، بدون تاريخ، الطبعة الثانية.

- **تفسير سورة عبس من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**

طبع في مطبعة معارف بأعظم كره، الطبعة الأولى، دون تاريخ.

- **تفسير سورة العصر من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**

قد فسّر الأستاذ سورة العصر من ناحيتين، أولاهما عامة وأخراهما خاصة ثم قدّم مفهومًا إجماليًا لهذه السورة وربطها بما قبلها وما بعدها من السور ثم قدّم تحقيق كلمة "عصر" في ضوء الأشعار العربية قبل بداية التفسير وفصل القول بأسلوب علمي على السبب الذي من أجله أقسم الله تعالى بالعصر ثم قدّم شرحًا للكلمات الواردة في هذه السورة مثل "تواصوا" و"الحق" و"الصبر" وبيّن فيها حقيقة العمل الصالح والإيمان وختم بذكر ربط السورة بما قبلها وبما بعدها مع الإشارة إلى مباحث مختلفة من غيرها وينفرد هذا التفسير من بين التفاسير بمباحثه العلمية القيمة.

صدرت طبعته الأولى من مطبعة فيض عام، علي كره، سنة 1326هـ/1908م.

ترجمه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي إلى الأردوية، كوه نور برنتنك بريس، دهلي، بدون تاريخ، الطبعة الثانية.

- **تفسير سورة الفاتحة (في مقالة:** تفسير سورة الفاتحة والبسملة)

صدرت طبعته الأولى مع فاتحة نظام القرآن في الدائرة الحميدية في الهند سنة 1357هـ/1937م.

- **تفسير سورة الفيل من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**

في التفسير المذكور ردّ الإمام الفراهي بالدلائل على فكرة أنّ دمار جيش أبرهة قد وقع برمي الجمار من قبل الطيور الآتية من جانب البحر، وأنّ القريش وأهل مكة قد اختفوا في الجبال خوفًا من أبرهة وجيشه الجرار، ووفقًا لتحقيق الشيخ الفراهي أنّ القريش وأهل مكة والحجاج القادمين من الخارج لزيارة الكعبة، قاموا ضد هجوم جيش أبرهة حتى تسبب رميهم الشديد للحجارة والنصر من الله في انتشار جيش أبرهة جميعًا وتدميرهم الشامل.

وأكثر الإمام الفراهي الاستفادة من الزبور والإنجيل في تفسير سورة التين.[1] وتشابه بداية سورة التين شطرًا من التوراة فقد نقله الفراهي في تفسيره[2] كما أنه بيّن ما كان لبيت الله وبني إسماعيل من فضائل وخصائص بالتوراة في تفسير سورة الفيل.[3]

نظر الفراهي عند تفسير سورة الفيل فيما روي في لقاء عبد المطلب أبرهة من وجوه:

أ- لا يعتمد عليها لسندها لأنها تنتهي إلى ابن إسحاق وهو يروي عن اليهود والذين ليسوا بثقات.

ب- ما روي في ذلك من غيرها يخالفها ويردها.

ج- ما يبدو منها من أخلاق العرب وطبائعهم يخالف ما يخبرنا تاريخهم.

د- يبدو منها أنها قد وضعت بأيدي الأعداء لأنّ فيها توطئة لغيرتهم وحطًا لمنزلة سيدهم وبالعكس من ذلك أنها تنم عن أنّ أبرهة عالٍ منزبة ومنيع شوكة.

فاتضح من ذلك أنّ الإمام الفراهي مع النظر في الإسناد عند تحقيق الرواية لا يغفل

[1] راجع للتفصيل: تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص315-331
[2] راجع للتفصيل: المصدر نفسه، ص 324-325
[3] المصدر نفسه، ص 331-373

عن النظر في موافقتها لما يبدو من القرآن أم مخالفتها له فهو يبحث عن الراوي هل هو شهد الواقع أم يخبر بالسماع وهو يرى مع استخدام أصول الدراية هل الرواية تخالف العرف أو تهدم أصلًا من أصول القرآن.

استعرض الدكتور محمد أجمل الإصلاحي تفسير سورة الفيل ضمن مقدمة تحقيقه لكتاب"رسالة في التعقيب على تفسير سورة الفيل" للعلامة عبد الرحمن المعلمي فقال:

قد ترك المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد وفاته مسودات كثيرة، أخرج تلاميذه منها كتاب "مفردات القرآن" و"فاتحة نظام القرآن" (وهي مقدمة تفسيره) و"جمهرة البلاغة" وكلها كتب ناقصة، والمسودة التي كانت شبه كاملة هي مسودة تفسير سورة الفيل، فنشروها من مطبعة أعظم كره، الهند، سنة 1354هـ، وكانت طبعة حجرية بالخط الفارسي اشتملت على 43 صفحة.

يحتوي هذا التفسير على الفصول الآتية:

1. في تفسير كلمات السورة.
2. في تعيين المخاطب بهذه السورة.
3. عمود السورة وربطها بالتي قبلها والتي بعدها.
4. بيان ما فضل الله به هذا البيت وأهله على سائر المعابد وذويه.
5. أمور مهمة مما يتعلق بتقديس المسجد وحفظه.
6. إجمال القصة حسب ما نص عليه القرآن.
7. النظرة الأولى، وهي فيما زعموا من سبب مجيء أبرهة وفرار أهل مكة، وما جرى بينه وبين عبد المطلب.
8. النظرة الثانية، وهي في رمي أصحاب الفيل بالحجارة، وكونها من الآيات العظام.

9. النظرة الثالثة: وهي فيما كان من أمر الطير التي أرسلت على أصحاب الفيل.

10. الاستدلال بكلام العرب على أنّ الرمي كان من السماء والريح.

11. في أكل الطير أصحاب الفيل تصديق لبشارة عظيمة في نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

12. أسباب صارفة عن التأويل الراجح.

13. بيان معنى الرمي بالحجارة، وتمهيد للنظر في أصل رمي الجمار بمنى.

14. أصل سنة رمي الجمار.

15. أثر هذا التأويل في القلوب عند عمل رمي الجمار.

قد انفرد المعلّم- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مثل غيره من أفذاذ العلماء وكبار الأئمة بمسائل ومذاهب في علوم العربية والتفسير وغيره؛ ولكنه- كما قال الذهبي في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية- لم يكن ينفرد بالتشهي، ولا يطلق لسانه بما اتفق.[1] بل يستدل على ما يذهب إليه بالمعقول والمنقول، ويخطئ كغيره ويصيب، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومما انفرد به رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لسورة الفيل، إذ ذهب إلى أنّ العرب لم يتخلوا عن بيت الله، بل ناحفوا عنه، وقاتلوا جيش أبرهة بما استطاعوا وبما تيسر لهم، وهو أنهم رموهم بحجارة من سجيل، ولكن رميهم هذا لم يكن ليدفع ذلك الجيش الجرار، فأرسل الله سبحانه عليهم حاصباً أهلكهم، كما أهلك به الأمم الطاغية الأخرى، وكانت تلك آية عظيمة من آيات الله.

وقد شبه رمي العرب جيش أبرهة بالحجارة ورمى الله إياهم بالحاصب في الوقت نفسه بما وقع في غزوة بدر إذ أخذ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "حفنة من الحصباء فاستقبل بها

[1] انظر: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، ص 540

قريشًا، ثم قال: شاهت الوجوه، ثم نفحهم بها وقال لأصحابه: شدوا، فلم يبق كافر إلا شغل بعينه كما جاء في سورة الأنفال "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" .... فكان هناك رميان: رمي من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ورمي من الله تعالى لم يروه ولكن رأوا أثره ولذلك جاء النفي والإثبات معًا .... وكما نسب الله الرمي في بدر إلى نفسه في قوله: "ولكن الله رمى" فهكذا هاهنا نسب إلى نفسه أنه جعلهم كعصب مأكول، فلا شك أنها كانت من الآيات البينات، فإن منافحة قريش كانت أضعف من أن يفل هذا الجيش، فكيف يحطمهم حتى صاروا كعصف مأكول" (تفسير سورة الفيل: 20).

واستدل في ذلك أيضًا بكلام العرب الذين شهدوا الواقعة، وذكروا في شعرهم ما رأوه من "جنود الإله بين ساف وحاصب" وأيّد ذلك أيضًا بقول ذي الرمة:

وأبرهة اصطادت صدور رماحنا جهارًا وعثنوان العجاجة أكدر

تنحى له عمرو فشكّ ضلوعه بنافذة نجلاء والخيل تضبر

فقال: "فصرح بأنه طعنه رجل من قومه وبأنه كان في يوم ذي غبار كثير مرتفع إلى السماء، وذلك بأنّ الله أرسل عليهم ريحًا حاصبًا فخصبتهم" (ص 17)

وقوله تعالى: "ترميهم" عند المعلّم رَحِمَهُٱللَّهُ حكاية حال ماضية، والضمير المستتر في "ترمي" للخطاب راجع إلى الخطاب العام في "ألم تر" أي كنت ترميهم أيها المخاطب، ولكن رميك لم يكن ليغني شيئًا، فالله سبحانه هو الذي جعلهم كعصف مأكول، وأما الطير فأرسلت عنده لأكل الجثث، وأيد ذلك بما ورد في كلام الشعراء وما فهمه من بعض الروايات، ثم ذهب إلى أنّ رمي الجمرات في الحج تذكار لرمي جيش أبرهة، وخصص لبيان ذلك الفصول الثلاثة الأخيرة.

والأمور التي بعثت الفراهي رَحِمَهُٱللَّهُ على هذا التفسير أهمها فيما يظهر لي من خلال كلامه أمران:

الأول: أنّ بيت الله كان أعزّ شيء عند العرب، ولا سيما عند قريش، وكل شرفهم وفخارهم منوط به، والأمم كانت من الذل والضعة لا ترضى بإهانة معبدها، بل تضحي بنفسها ونفيسها في الدفاع عنها، فكيف يتخلى العرب عن بيت الله، ويفرّطون في محاربة العدو القادم لهدمه، ويفرّون إلى شعب الجبال، وهم الذين يضرب المثل بإقدامهم وبسالتهم وأنفتهم وحمايتهم للجار، وقد نشبت الحروب المتطاولة لأدنى سبب من ذلك.

والثاني: الرواية التي وردت في لقاء عبد المطلب لأبرهة تعظّم أبرهة، وتصفه بالحلم، وتلصق كل مهانة وذل بعبد المطلب سيّد قريش، فبدا للمعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الرواية مما وضعه أعداء العرب.

ثم وجد بعض الشعراء الذين شهدوا الواقعة يذكرون السافي والحاصب، فتأكد عنده أنّ الله تعالى أرسل عليهم الرياح الذاريات، وأمطر عليهم الحجارة كما فعل بقوم لوط وغيرهم.

ورأى في كلام العرب أيضًا ذكر الطير التي كانت تصحب الجيوش لتأكل القتلى كما قال النابغة:

إذا ما غزوا بالجيش حلّق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب

وفهم من قول سعيد بن جبير: "إن الطير كانت خضرًا لها مناقير تختلف عليهم" أنها كانت تأكلهم، فذهب إلى ما ذهب في تفسير السورة.

ولما صدر تفسير المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا تعرض للرد والتعقيب، مع الاعتراف بجلالة قدره، وغزارة علمه، وتورعه وتقواه.[1] غير أنّ بعض شيوخنا لما تصدى لنقد هذا التفسير أنكر شجاعة العرب أصلًا، وزعم أنها من أكاذيب الشعراء والأخباريين، وكأنه- غفر الله له- قاس شعراء الجاهلية على الشعراء المتأخرين من العرب وشعراء الفارسية والأردوية المولعين بالغلو والإغراق في المدح والافتخار.

[1] انظر: "ذكر فراهي" للدكتور شرف الدين الإصلاحي، ص 536

لم يقبل بعض العلماء هذا التحقيق للشيخ الفراهي مما هو نتيجة التدبر والتفكر الطويل ومبني على الدلائل والشواهد القطعية، ومن بين هؤلاء المنكرين الشيخ العلامة عبدالرحمن المعلمي والشيخ شبير أحمد أزهر الميرتهي وقاما ببعض الاعتراضات على "تفسير سورة الفيل".

إنّ الشيخ المعلمي ألف رسالة قيمة في تعقيب حول تفسير سورة الفيل. حقّقها الدكتور محمد أجمل الإصلاحي ونشرها وكتب مقدمة قيمة استعرض فيها آراء الشيخ المعلمي كما يلي:

فلما طبع تفسير سورة الفيل، ورأى أنّ الدلائل التي احتج بها المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أضعف من أن تقوم بما ذهب إليه في تفسير السورة، فعزم على تعقبه ونقده بمنهجه العلمي الرصين، فقال في مقدمة رسالته:

قال في مطلعها: "فإني قد كنت وقفت على بعض مؤلفات العلامة المحقق المعلّم عبد الحميد الفراهي- تغمده الله برحمته- كإمعان في أقسام القرآن، والرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، وتفسير سورة الشمس؛ وانتفعت بها وعرفت عبقرية مؤلفها، ثم وقفت أخيرًا على تفسيره لسورة الفيل، فألفيته قد جرى على سنته من الإقدام على الخلاف إذا لاح له دليل، وتلك سيرة يحمدها الإسلام، ويدعو إليها أولي الأفهام، غير أنّ الخلاف هنا ليس لقول مشهور، ولا لقول الجمهور، ولكنه لقول صرّح به الجماهير، ولم ينقل خلافه عن كبير ولا صغير ... وقد بدا لي أنْ أتعقب المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأشرح ما يتبين لي من وفاق أو خلاف".[1]

أشار المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة الرسالة إلى المنهج الذي سلكه في ترتيبها أولًا، ثم ما بدا له من العدول عنه إلى منهج آخر، فقال: "وقد كنت جريت على ترتيب المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مساوقًا له، ثم رأيت الأولى أن أسلك ترتيبًا آخر،فأبني رسالتي هذه على قسمين: الأول فيما يتعلق بالقصة رواية ودراية، الثاني: في تفسير السورة".

[1] مجموع آثار العلامة المعلمي، عالم الفوائد، سلسلة آثار الشيخ عبد الرحمن المعلمي رقم (8)، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة. 8/ 3 – 4.

أما القسم الأول فيشتمل على ثمانية فصول، وقد رقّمها رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحروف الأبجد من الألف إلى الحاء دون أن يضع لها عناوين، وقد سبق أن رأينا أن تفسير المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحتوي على 15 فصلًا، فالمعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تجاوز في هذا القسم الفصول الخمسة الأولى منها، وبدأ بالكلام على ما ورد في الفصل السادس وما بعده إلى الفصل الخامس عشر، إلا ما ذهب إليه المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير "ترميهم" فإنه أخّره، كما قال، إلى القسم الثاني.

والفصول الخمسة المذكورة من تفسير المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ منها فصلان نفيسان- وهما الرابع والخامس- في بيان من فضّل الله به بيت الله وأهله على سائر المعابد وذويها، وأمور مهمة تتعلق بتقديس المسجد وحفظه، ولم يكن فيهما شيء ينقده المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلم يتعرض لهما.

أما الفصول الثلاثة الأولى فهي في تفسير ألفاظ السورة وعمودها وارتباطها بما قبلها وما بعدها وتعيين الخطاب فيها، وقد خالف المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض ما جاء فيها، ولكنه تكلم عليه عندما فسّر هو السورة في القسم الثاني.

- عقد المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الفصل السادس بعنوان "إجمال القصة حسب ما نص عليه القرآن" وقال:

"إن قصة أصحاب الفيل لها إجمال وتفصيل، أما مجملها فهو الذي نص عليه القرآن، وأما تفصيلها فأخذوها من الروايات المختلفة المتفاوتة في الصحة والضعف، والمفسرون يذكرون تفاصيل القصص من غير بحث عما ثبت وعما لم يثبت، وهذا ربما يعظم ضرره، وربما يصرف عن صحيح التأويل، فلا بدّ أولًا من الفرق بين المنصوص وبين المأخوذ من الروايات، ثم لا بد ثانيًا من التمييز بين ما ثبت وبين ما لم يثبت". (ص 45)

ثم نظر المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الروايات ثلاث نظرات: الأولى فيما زعموا من سبب مجيء أبرهة ومما جرى بينه وبين أهل مكة، والثانية فيما كان من رمي أصحاب

الفيل، والثالثة في أمر الطير، وافتتح النظرة الأولى بقوله:

"كل ما ذكروا من سبب مجيء أبرهة لغضبه على العرب، ومن فرار أهل مكة، ومما جرى بين أبرهة وعبد المطلب لم يثبت من جهة السند، فإن كل ذلك لا يجاوز ابن إسحاق، ومعلوم عند جهابذة أهل الحديث أنه يأخذ الروايات من اليهود وممن لا يوثق به، ثم يبطل هذه الأمور روايات أخر، ويبطله ما ثبت عندنا من عادات العرب، ومما يدلّ على كونها من أكاذيب الأعداء أنها ما تعمدت إلا غضاضة من العرب وحميتهم، وإهانة لرئيسيهم عبد المطلب القرشي، وتنويهًا بحسن خلق أبرهة الحبشي ومسبة على من هيّجه على هدم الكعبة، وبسطًا لعذره إذا انتصر لكنيسته، فلم يترك الكذابون شيئًا من الذلة والمنقصة والعار والشنار إلا نسبوها إلى العرب وقريش ورئيسها، فلا نكتفي ههنا بإرسال القول فيها بل نذكر لك الوجوه التي تدل على كذب هذه الروايات". (ص 16)

ثم ذكر سبعة وجوه تدل عنده على كذب الرواية، والسادس منها أنهم زعموا أن أبرهة كان رجلًا حليمًا، وإنما هيّجه أحد بني فقيم إذ دخل كنيسته ونجَسها، وعلّق المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ذلك بأنه يبطل "هذه الرواية سائر أحوال أبرهة وتعصبه في دينه ...". (ص 18)

بدأ الشيخ المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالته بنقد هذا الوجه السادس، فذكر في الفصل (ألف) أنّ ابن إسحاق لم ينفرد بقصة تقذير الكنيسة، وأنه ليس فيها ما يعدّ غضاضة من العرب أو عذرًا لأبرهة، غير أنّ القضية لم تثبت من جهة الرواية.

- وقد استدل المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الوجه الثاني، بما ورد في القصة أنّ أبرهة أكرم عبد المطلب غاية الإكرام، لكن لما كلّمه عبد المطلب في إبله قال له أبرهة: أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه، فلا تكلمني فيه! وعلّق المعلّم عليه قائلًا: "فهل يمكن أن يترك عبد المطلب التكلم في أمر

البيت بعدما رأى وسمع من أبرهة ما يستيقن به أنه لو سأله الانصراف عن هدم البيت لفعل، ثم أنه لم يترفع عن المجئ إليه والسؤال لإبله". (ص 17)

تكلم المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا الوجه في الفصل الثاني (ب) وقال: "وليس في القصة ما يحصل به الاستيقان بل ولا الظن... " وذكر احتمالات أخرى تكون سبباً لما جرى بينهما، وأخيراً لم يستعبد أنّ في القصة مبالغة في تصوير احترام أبرهة لعبد المطلب.

والوجوه الأخرى التي تدل عند المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على كذب الرواية، ومنها ما استدل على وقوع القتال بين العرب وأبرهة، قد تكلم عليها المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفصلين (ج. د) وردّها، وكشف عن وهم المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعضها، ثم ذكر هو عدة أدلة على أن أهل مكة لم يقاتلوا أبرهة ومنها:

"إنّ كل من له إلمام بأخبار العرب يعرف شدة حرصهم على رواية أخبار أيامهم وحفظها وترادها في الأسمار وتقييدها بالأشعار... وبين أيدينا أخبارهم في حرب البسوس وحرب داحس وغير ذلك نجدها مروية بتفصيل بأسماء فرسانهم وخيلهم وقاتلهم ومقتولهم، وكيف كان القتال، وكم استمر، إلى غير ذلك من الجزئيات .... فكيف يعقل مع هذا أن يكونوا قاتلوا أبرهة، وقتلوه في المعركة، ثم لا يوجد لذلك في أخبارهم وأشعارهم أثر؟ ...". (ص 30-31).

- وقد ذهب المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن الطير أرسله الله تعالى لتطهير ناحية مكة من جيف القتلى، وقال: إن النظر في الروايات يكشف عن فريقين متباينين في تصوير القصة، ثم ذكر مواضع الاختلاف، ورجع ما نسبه إل الفريق الأول، وأيده مستدلًا بكلام العرب على أنّ الرمي كان من السماء والريح.

استعرض المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الروايات المذكورة، وأثبت أنّ الرواة ليسوا فريقين

مختلفين، وإنما وقع الاختلاف في بعض الأمور الجزئية، ورمي الطير قد أشار إليه الفريقان معًا؛ بل لم ينفه أحدٌ قبل المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم أورد من مخطوطة كتاب "المنمق" لابن حبيب.[1] شعرًا فيه تصريح برمي الطير كقول نفيل بن حبيب الذي شهد الواقعة:

حتى رأينا شعاع الشمس يستره طير كرجل جراد طار منتشر

يرمينا مقبلات ثم مدبرة بحاصب من سواء الأفق كالمطر

وكان المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد استدل بما جاء في رواية سعيد بن جبير أنها "طير خضر لها مناقير صفر تختلف عليهم" بأنها أكلت جثث الموتى، فردّ عليه المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنّ الجملة (تختلف عليهم) صفة للطير، وليست صفة للمناقير، والمقصود باختلافها مجيئها وذهابها.

- عقد المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الفصل السابع (ز) لبيان ما يكون- فيما يظهر له- باعثًا للمعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على إنكار رمي الطير، وذكر ثلاثة أمور: الأول: أن يتهيأ له دعوى أن قوله تعالى: "ترميهم" للخطاب، فيستدل بذلك على أن أهل مكة قاتلوا، والثاني ما ذكره المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: "من ينظر في مجاري الخوارق يجد أن الله تعالى لا يترك جانب التحجب في الإتيان بها، كما هي سنته في سائر ما يخلق؛ لأن حكمته جعلت لنا برزخًا بين عالم الغيب والشهادة، وسنّ لنا التشبث بالأسباب مع التوجه إلى ربها، ليبقى مجال للامتحان والتربية لأخلاقنا" .

وعلّق المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ذلك بقوله: "تحقيق هذا البحث يستدعي النظر في

[1] قد استخدمت دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد نسخة من كتاب "المنمق" بعد اللتيا والتي من أصله الفريد المحفوظ في مكتبة ناصر حسين الشيعي بمدينة "لكنؤ" وذلك سنة 1932م، بعد وفاة المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنتين، وقد رجع الشيخ المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى هذه النسخة التي ظلت محفوظة في خزانة الدائرة إلى أن نشرته سنة 1383=1964م.

حكمة الخلق، وقد أشار إليها الكتاب والسنة، وتكلم فيها أهل العلم، وأوضحتُ ذلك في بعض رسائلي، وألخص ذلك هنا".

وهذا بحث نفيس، ذكر فيه المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الخوارق كلها لا يكون فيها حجاب، بل منها ما يكون مكشوفًا لحكمة تقتضي ذلك، ومن ذلك الآيات القاضية التي تقترحها الأمم المعاندة أن يعاجلها العذاب إن لم تؤمن، ومن ذلك الآيات التي يقع بها العذاب، فإنها ليست لإقامة حجة فيناسبها الحجاب، ودلّ على أنّ الرمي في واقعة الفيل لم يكن لإقامة حجة، وإنما كان آية عذاب، ومثل ذلك لا يستدعي الحجاب، بل كان هناك مانعان من الحجاب والتسبب والمباشرة.

والأمر الثالث الذي يرى المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قد يكون باعثًا على إنكار رمي الطير "أنّ بعض فلاسفة الإفرنج وكتّابهم وأذنابهم من الملحدين ينكرون الخوارق، ويسخرون منها، ويعدّون في القرآن برهانًا على اشتماله على الكذب، وعلماء المسلمين شديدو الغيرة على القرآن، والحرص على تبرئته عن المطاعن، فقد يحمل بعضهم ذلك على أن يتأول بعض النصوص القرآنية، ويحمله على معنى لا ينكره القوم".

ثم قال: "لست أقول: إنّ المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ممن يمكن أن يختار تأويلًا يعلم ضعفه، ولكن قد لا يبعد أن تكون شدة غيرته على القرآن، وحرصه على دفع الطعن عنه، مما قرب ذاك التأويل إلى فهمه".

وهنا أريد أن أضيف أنّ المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكن من ذلك الصنف من العلماء الذين يتأثرون بكلام الإفرنج والملحدين؛ بل كان من العلماء الراسخين، ولم يزده تضلعه من الإنجليزية ودراسته للعلوم الحديثة إلا استقامة ورسوخًا، كما شهد بذلك أصدقاؤه ومعارفه، وهو الذي قال في خطبة تفسيره:

"فكأني نذرت نذرا أن أتمسك بآيات الله ونظامها، فلا أجاوز عنها شبرا.... مجتنبًا

غلوًا في الدين، فلم أكن متخذ الباطنية بطانة، ولا الظاهرية ظهرا، مفارقًا من لم يفرق بين سنة الله وسنن المخلوقات، فكذب بينات القرآن، وحرّف آياته زورًا ومكرا، قائلًا للمبتدعة كلهم: حجرا، وللملحدين جميعهم: بهرا".[1]

والمقصود بالبينات هنا: المعجزات، فلم يكن رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممن يضيق صدره، وينتفخ سحره بها، وانظر إلى قوله في فصل بعنوان "مغالطة من أنكر بالمعجزات".

"وأخطأ من ظنّ أنّ الطبائع من سنة الله..... وهذا الخطأ منهم انجر إلى عثرة كبيرة، وهي أنّ خرق عادات الأشياء محال، فأنكروا بصريح القرآن، والكتب السماوية، وحرفوا النصوص الواضحة إلى الأباطيل الفاضحة".[2]

وقال في موضع آخر: "ظنوا أنّ المراد من سنة الله طبائع الخلق كلها، فالنار مثلًا لا بد أن تحرق الإنسان.... وعلى هذا أنكروا المعجزات، وغرّهم أقوال من سمّى هذه الطبائع سنة الله، وأول من استعمل كلمة (سنة الله) في هذا المعنى هم أصحاب رسائل إخوان الصفا.... ".[3]

ومن هنا لما سئل المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم كان طالبًا في كلية علي كره ترجمة تفسير السيد أحمد خان مؤسس الكلية (1332-1315هـ)، وقد أوّل فيه جميع الآيات التي ذكر فيها الخوارق أبى قائلًا: "لن أشارك في نشر هذا الإثم".[4]

- وقد ذهب المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنّ رمي الجمرات في الحج تذكار لرمي أصحاب الفيل، سواء كان الرمي من العرب أو من الطير وقال: "ولم أجد في صحاح الأخبار ذكرًا في سبب سنة رمي الجمار، فلو ثبت فيه شيء من طريق الخبر

[1] أنظر: "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" للفراهي، طبعة دار الغرب الإسلامي، ص 12
[2] القائد إلى عيون العقائد، ص 161
[3] المصدر نفسه، ص 165
[4] ذكر فراهي، ص 911

لأخذنا به، وقرّت به العينان، لكنه لم يثبت، وأمر الدين ليس بهيّن، وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: "كفى بالمرء كذباً أن يحدّث بكل سمع"، فعمدنا إلى طريق الاستنباط، فإنّ المستنبط من الصحيح الثابت أولى بالصواب من الصريح الذي لم يثبت" ثم ذكر أمارات ووجوهًا تبين أنّ مناسبة رمي الجمار لرمي أصحاب الفيل أظهر من مناسبته لرمي الشيطان.

تكلم المعلمي رَحِمَهُٱللَّهُ على هذه المسألة في الفصل الثامن (ح) وذكر بعض الروايات الجيدة التي وردت في رمي الجمار، ورجح أن تعرض الشيطان لإبراهيم كان ليصده عن معرفة المناسك والإتيان بها.

وذكر أنّ ما جاء في بعض روايات الابتلاء بالذبح أنّ الشيطان تعرض لإبراهيم فلم يجده من وجه يثبت، فإن صحّ فهي قصة أخرى غير هذه، ثم تناول الشيخ الأمارات والوجوه التي ذكرها المعلّم رَحِمَهُٱللَّهُ بنقد مفصّل.

أما القسم الثاني من الرسالة فرتّبه المعلمي رَحِمَهُٱللَّهُ على مقدمة وبابين، المقدمة في عمود السورة وربطها بالتي قبلها والتي بعدها، رجح أنّ عمودها- يعني موضوعها، وهو من مصطلحات المعلّم رَحِمَهُٱللَّهُ- تهديد العصاة الذين ألهاهم التكاثر عن الآخرة، بينما يرى المعلّم رَحِمَهُٱللَّهُ أنّ عمودها هو الامتنان على قريش.

وجعل عنوان الباب الأول: "في تفسير السورة على ما أفهم وفاقًا لأهل العلم" وفسّر السورة آية آية، وتحت كل آية فصول رقّمها بالعدد لا بحروف الجمّل كما فعله في القسم الأول، وفسّر الآية الأولى في ثمانية فصول أولها عن دلالة الاستفهام في الآية، فبيّن أصل معنى الاستفهام والمعاني الأخرى المجازية، وتكلم عليها كلامًا حسنًا.

والفصل الثالث تحت هذه الآية في الخطابة فقال: "اتفق المفسرون- فيما أعلم- على أنّ الخطاب للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، إلا أنّ الآلوسي أشار إلى احتمال خلال ذلك... واختار

المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أولًا عموم الخطاب، قال: (فاعلم أنّ الخطاب هنا متوجه إلى جميع مَنْ رأى هذه الواقعة أو أيقن بها من طريق تواتر الحكاية ممن رآها" وأطال في تقريره".

وعقب على ذلك بقوله: "أرى أنّ المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أجاد باختيار هذا الوجه، وإن لم ينقل عمن تقدم .... وهو مع ذلك الأوفق بما يقتضيه المقام من تقرير الواقعة، وبيان ظهورها واشتهارها، والإبلاغ في الوعيد والتهديد والامتنان".

وهكذا فسّر المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سورة الفيل كاملة، وبيّن في أثناء تفسيره ما خالف فيه المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- وخصّص الباب الثاني من هذا القسم للبحث مع المعلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما ذهب إليه في تفسير قوله تعالى: "ترميهم" وقال: "قد نبّهت في مقدمة هذا القسم الثاني وأثناء الباب الأول منه على مواضع مما خالفت فيه المعلّم، ووجهت ذلك بما فيه كفاية إن شاء الله تعالى، وأخرجت الكلام في "ترميهم" لطوله، وأرى أن أقدم فوائد وقواعد ينبني عليها البحث معه، فهاكها".

وهي ست عشرة فائدة وقاعدة تتعلق بمسائل الحال، والاستئناف البياني، وجواز وضع الماضي موضع المضارع، ووقوع المجاز وإنكاره، وقد سقط منها ثلاث فوائد كاملة وهي: 11، 12، 13، مع جزء من أول الفائدة 14، إذ وقع في النسخة خرم (ص: 17-30) ذهب بأربع عشرة صفحة.

وقد استغرقت هذه الفوائد الصفحات (143-182)، وبدأ البحث من (ص 183) ولكن قال في حاشية الصفحة (189): "انظر الفائدة الـ من الذيل" (كذا) ونحوه في (ص 198) قال: "انظر الفائدة العاشرة من الفوائد الآتية في الذيل" وكذلك الحاشية التي تليها، وقد زاد المؤلف هذه الحواشي فيما بعد، فالظاهر أنه بدا له عند مراجعة ما كتبه أنْ يؤخر الفوائد السابقة على آخر

الرسالة، ولكن ذلك كان يقتضي التعديل في مقدمة القسم الثاني وتقديم الفصل التالي للفوائد عليها.

ومع أنّ جملة الكلام على المسألة قد تمت، ولكن يظهر أنّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكمل دراسته، إذ لم يختمها بكلمة تدل على الفراغ منها.

- أما أسلوب المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مناقشته وتعقبه، فهو أسلوب علمي هادئ رصين، لا تهجم فيه، ولا تجريح، ولا اتهام، فهو يحترم المنقود ويحسن الظن به، ويلتمس له العذر، ويتحرى النصفة.

وبالجملة هذه رسالة قيّمة للشيخ المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تعقب فيها ما ذهب إليه العلامة المعلّم عبد الحميد الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير سورة الفيل.

والشيخ الميرتهي كتب مقالة "تفسير سورة فيل"، نشرت في مجلة "الرشاد" الصادرة عن جامعة الرشاد بأعظم كره في عددها أكتوبر-نوفمبر 1985م، فقام الأستاذ نسيم ظهير الإصلاحي الغازي[1] بتحليل الاعتراضات المذكورة في مقالة الشيخ الميرتهي كما يلي:

الاعتراض الأول: يكتب الشيخ شبير أحمد الميرتهي:

"إنّ المراد بالطير سباعها لا أساس له كليًا، فقد كتب بعض شعراء العرب في قصائدهم أننا سنفتح هذه الحرب وحينما ننتقل إلى العدو مع فوارسنا فتحلق جماعة من النسر في الجو معنا، لأنها متيقنة بأننا نقتل الأعداء ونوفّر لهم للأكل، فظن الشيخ الفراهي هذه المبالغة الشعرية حقيقة بأن تصحب جماعة النسر مع رؤية إقدام المرء، بينما وقعت آلاف من الحرب في العرب والعجم وهجمت الجيوش عليها، ولكن لم تصاحبها النسر بعد رؤية إقدام جيش صغير ولا كبير حتى الآن".

هذا الاعتراض مبهم جدًا بأن لا أساس لظن سباع الطير بكلمة "الطير" ولو يراد به

[1] أستاذ التفسير والحديث بمدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الهند

أنّ كلمة "الطير" لا تستخدم في معنى "سباع الطير" فلا أساس له بنفسه، ولم لا يراد به "سباع الطير"؟ فإنّ "الطير" مصدر لـ"طار يطير" ومعناه "الطير بجناحين" ثم جعلت الكلمة تستخدم للطيور عامة صغيرة كانت أم كبيرة. ومع ذلك هذه الكلمة استخدمت صريحًا في معنى سباع الطير في القرآن الكريم وكلام العرب. فجاء في القرآن: "وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦ".[1]

ويقول الله في موضع آخر: "وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ".[2]

فإنّ كلمة "الطير" استخدمت صريحًا في هاتين الآيتين في معنى سباع الطير وتوجد أمثلة كثيرة في كلام العرب، واستخدمت "أبابيل" كصفة الطير تراد بها فرسان أو طيور كبيرة كما يقول زهير بن أبي سلمى:

وبالفوارس من ورقاء قد علموا فرسان صدق على جرد أبابيل

ويقول الأعشى:

طريق وجبار وراء أصوله عليه أبابيل من الطير تنعب

ففي ضوء هذه الشواهد كيف يمكن القول بأنّ الطير ما عني به النسر أو سباع الطير الآخر أو لا يستخدم في هذا المعنى، وإن أراد الشيخ المحترم أن لا أساس لأن يعنى بـ"الطير" سباع الطير فلا رد عليه سوى أنّ الشيخ الفراهي قد أتى بعدد كبير من الدلائل العقلية والنقلية، بينما أعرض عنها الشيخ الميرتهي إعراضًا والحال أنّ اعتراضه سيثبت هواء ما لم ترد تلك الدلائل، وسيطول البحث بذكر الدلائل التي قدّمها الشيخ الفراهي، ولكن يحسن بنا أن ننقل هنا فقرات من تلك الروايات المتعلقة بالطيور المذكورة في سورة الفيل والتي تطابق وتصدق رأي الشيخ الفراهي والتي يعتمد عليها

[1] سورة يوسف: 41

[2] سورة الحج: 31

الفراهي ويردها الشيخ الميرتهي بدون دليل، وروي عن عكرمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن هذه الطيور: "كانت طيراً خضراً خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع".

كما يروى عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: "لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب".[1]

ويروى عن سعيد بن جبير أنه قال: "طير خضر، لها مناقير صفر تختلف عليهم".[2]

فيقول الشيخ الميرتهي: "إنّ ارتحال سباع الطير مع إقدام جيش مستقينة بفوزه ليس إلا مبالغة شعرية" فيمكن أنّ "إيمان الطير بفوز الجيش اليقني مبالغة شعرية ولكن مصاحبة النسر وسباع الطير وغيرهما إثر رؤية إقدام الجيش ليس بأمر مستعبد لأننا نرى اليوم حينما نبدأ بحرث الحقول بالثور والمحرث أو الجرار فتتبعهما الطيور الصغيرة متيقنة بأنه تخرج حشرات الأرض بعد الحرث فتأكلها وكذلك حينما يحتشد الناس في قريتنا لصيد السمك من بركة فتأخذ النسر والغراب والحدأة وغيرها من الطيور تحلّق حول البركة على ازدحام الناس وغوغائهم، فحينما يقع هكذا مع الطيور عند رؤية تمهيد صيد السمك فما العجب أو الأمر المستعبد بتحلق سباع الطير مع رؤية إقدام الجيش أو صحبتها معه قبل 1400 أو 1500 سنة حينما لم يكن العالم مثقفًا أو متطوراً كيومنا هذا وكانت جثة القتلى تترك للنتن في ميدان الحرب؟[3]

---

[1] هاتان الروايتان مذكورتان في تفسير ابن جرير، 298/3، والرواية الثانية رويت عن طرق متعددة واستخدمت فيها لفظ "خراطم" يعني به سباع الطير كما يقول امرؤ القيس:

كأنها لقوة طلوب كان خرطومها منشال

تفسير سورة الفيل للشيخ الفراهي، ص 96، طبعة 1937م

[2] ابن جرير، 398/30

[3] كما يقول الشاعر الحماسي:

كم تركنا هناك من بطل تسقي عليها الرياح في لمعه

فلا يمكن للشيخ الميرتهي القول بأنّ هذا مبالغة شعرية لأنّ هذا الشاعر من قبيلة حمير ووقعت هذه الواقعة في حرب قد تغلبت فيه حمير على بني عبد مناف وقتلوا كثيراً من الناس، فقال الشاعر عن تلك الواقعة في أشعاره والشيخ المفتي إعزاز علي يكتب في شرح الحماسة: وفيه يقول شاعر من حمير وأنصف فيما قال ولذا عدت هذه الأبيات من المنصفات

الاعتراض الثاني: ويكتب الشيخ الميرتهي في اعتراضه الثاني:

"يمكن رمي الحجارة من فوق الجبل حال تأوي تلك الجماعة إلى جنب الجبل ففي تلك الحالة الحجارة التي ترمى أو تسقط من الجبل فتخسر الجماعة بها، ولكن جيش أبرهة قد دمّر في وادي محسر والذين قد رأوا وادي محسر يعلمون أنّ الجبال ليست بقريبة منه يميناً ولا شمالًا حيث يهلك رمي الحجارة الناس المقيمين في وادي محسر فوقهم من الجبل أو يصابون بالجروح ولو رأى الشيخ الفراهي وادي محسر لما اختار هذا التأويل أبدًا".

إننا نعترف بأنّ جيش أبرهة قد هلك في وادي محسر وهو واد طويل عريض وتقع الجبال على بعد منه في شماله فلذلك كان رمي الحجارة أو إسقاطها على الجيش المقيم من فوق الجبل في الوادي صعبًا جدًا. ولكن يثور هنا سؤال: هل لم يمتلك العرب أسلحة تستخدم لرمي الحجارة إلى مكان بعيد؟ وكما نعتقد أنّ الشيخ الميرتهي لم يتوجه إلى هذا الجانب وإلا فلم يكتب أبدًا أمرًا لا دليل عليه فإنّ المنجنيق والقذاف والقذافة وغيرها كانت أسلحة للعرب تختص برمي الحجارة في الحرب من مكان بعيد حتى يشتت الجيش المقابل وينتشر في دقائق معدودات، فالكتب[1] التي ذكرت فيها أيام العرب بالتفصيل خلال العصر الجاهلي ذكرت فيها أيضًا تلك الأسلحة عدة مرات كما جاء في لسان العرب: "قيل لأعرابي كيف كانت حروبكم؟ فقال كانت بيننا حرب عون، تفقأ فيها العيون فتارة نجنق وأخرى نرشق".[2]

وقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنصب المنجنيق أيضًا خلال غزوة الأحزاب ولم يمتثلوا بالأمر فقط بل استخدموه فيها.[3]

[1] مثلًا "شرح النقائض" لأبي عبيدة و"مجمع الأمثال" للميداني وغيرهما

[2] لسان العرب، 37/10، المادة ج ن ق

[3] للشيخ الفراهي اليد الطولى على تاريخ العرب والجغرافيا وخاصة كان يعلم الأمكنة التي تتعلق بالقرآن من أية ناحية، قد حج الشيخ وزار بيت الله أيضًا فلذلك يمكن أن يشاهد تلك المواضع بعينيه، والاعتراض لعدم رؤيته وادي محسر اعتراض عجيب.

كان جيش أبرهة كبيرًا ومتسلحًا تمامًا فلذلك وجب أن يهجم عليهم مثل حرب العصابات. وكانت العرب متعودين عليها عامة وهذا وجب أيضًا أن يكون الجيش المقابل على بعدٍ عند رمي الحجارة من المنجنيق أو القذاف فوقوع جيش أبرهة وسط وادي محسر في حق العرب عن جهة القتال فلذلك حاصروهم من كل جانب وأسقطوا عليهم الحجارة من المناجيق.

الاعتراض الثالث: ويردف الشيخ الميرتهي قائلًا:

"إنّ كثيرًا من الحوادث مذكورة في تاريخ العالم حيث وجّه الفريق الثاني ضررًا إلى جيش مرّ بجنب الجبل فأسقطوا عليهم من الحجارة الثقيلة، وطبعًا إنّ الحجارة الثقيلة لا يمكن رميها باليد بل تحط وإذا هلك جيش أبرهة كما ذكره الفراهي لاستخدمت كلمة "الحط" لا "الرمي" التي ذكرت بالفعل".

وقد سبق الرد عليه في الاعتراض السابق بأنّ المنجنيق والقذاف وغيرهما من أنواع الأسلحة التي كانت العرب يستخدمونها لرمي الحجارة الشديد ولا تحط الحجارة الكبيرة من الجبل باستخدامها بل ترمى من الوراء أو الأمام على الأعداء ويمكن أنّ الشيخ لا يعرف استخدام المنجنيق والقذاف وغيرهما من أسلحة الحرب فنذكر هنا بعض أقوال أئمة اللغة: "منجنيق: آلة حربية ترمى بها القذائف".[1] "القذاف: الذي يرمى بها الشيء فيبعد".[2]

وقد نقل صاحب لسان العرب هذا الشعر:

لمّا أتاني الثقفي الفتان فنصبوا قذافة بل ثنتان[3]

[1] الإفصاح، طبعة القاهرة 1929م، ص 199
[2] المصدر نفسه ولسان العرب، 277/9، المادة: ق ذ ف
[3] المصدر نفسه

ويقول مزاد:

قذيفة شيطان رجيم رمى بها فصارت ضواةً في لهازم ضرزم[1]

هذه هي الأسلحة التي كان يستخدمها العرب لرمي الحجارة ولم يكونوا يرمونها بأيديهم فقط كما يرى الشيخ الميرتهي، بل كان الضرب بالسيوف ورمي الحجارة من أعمالهم اليومية وكانوا ماهرين أو ممتازين فيها وكيف يمكن أن نعترف بأنهم قاوموا جيشًا كبيرًا بدون السلاح؟ فإنهم- وإن كانوا في حالة الإحرام بدون السهام والسيوف- قد استخدموا الأسلحة التي يمكن لهم الحصول عليها آنذاك، وقد استخدمت لتلك الأسلحة- كما قد أثبتناه آنفًا- كلمة "الرمي" فكلمة "ترمي" تطابق الواقع ومقتضى الحال ولا يرِد الاعتراض عليها من أيّ ناحية، وأما قول "الحط" فقد اخترعه الشيخ الميرتهي ذاته فلم يكتب الشيخ الفراهي شيئًا عن "الحط" فيعترض عليه.

الاعتراض الرابع: وأما الاعتراض الرابع للشيخ الميرتهي فهو كما يلي:

"إنّ الله قد صرّح بأنّ الحجارة المرمية كانت من نوع "السجيل" فليوضح الشيخ الفراهي أنه لو رمى أهل مكة الحجارة على جيش أبرهة فمن أين أتوا بالحجارة من السجيل بينما لا توجد هذه الحجارة في مكة المكرمة وضواحيها حتى في أرض الحجاز كلها".

فلا أساس لهذا الاعتراض من الشيخ الميرتهي بأن "لا توجد حجارة السجيل في مكة المكرمة وضواحيها حتى في أرض الحجاز كلها" لأنه لا يقدّم دليلًا لهذا الاعتراض الذي لا أساس له، فمن يقبل، على الرغم من هذا الاعتراض التافه، أنه لا توجد حجارة "السجيل" في مكة المكرمة وضواحيها حتى في أرض الحجاز كلها، فإنّ السجيل شيء عادي ويمكن وجوده في كل مكان، ولقد قال من رأى هذا الوادي وعاش في مكة المكرمة والحجاز: إنّ السجيل يوجد فيها خاصة في منطقة وادي محسر التي هي مليئة بالسجيل.

[1] لسان العرب، 277/9

وقد ذكرت كلمة "سجيل" في مكانين آخرين في القرآن الكريم: "وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾".[1] و"وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾".[2]

في هذه الآيات ذكرت العرب البائدة الذين قد أهلكتهم الريح الصرصرة أو العاصفة التي حملت معها حجارة من سجيل وجرت عليهم لأيام عديدة، وهؤلاء الناس كانوا عربًا استوطنوا في أرض الحجاز فالريح التي أهلكتهم لم تحمل معها الحجارة من مكان سحيق بل حيثما كانت تمر فتأخذ منها الحجارة والجمار معها، فلو لم توجد الجمار أو الحجارة من سجيل في تلك المنطقة- كما يدعي الشيخ الميرتهي- فيثور السؤال: من أين جاءت هذه الريح الصرصرة بحجارة من سجيل؟ ولو تدبر الشيخ قليلًا في هذه الآيات فلن يثير هذا الاعتراض الغريب، وإن فرضنا بأنّ قول الشيخ صحيح بأن لا توجد الحجارة من سجيل في أرض الحجاز كلها فكيف يمكن الاعتراف بأن أريدت من حجارة السجيل تلك الحجارة التي تحرق فيصنع منها الكلس؟[3] بينما روي عن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس:

"قال ابن عباس، سجيل معناه سَنك وكِل، يعني بعضه جمر وبعضه طين".[4]

فهل يصر الشيخ الميرتهي على معناه بعد ذلك؟

الاعتراض الخامس: والآن اقرأ اعتراضًا من الشيخ أكثر متعة مما سبق:

"لا يمكن لثلاثة أو أربعة آلاف من الرجال أن يؤذوا ستين ألف عسكري متسلح بدرع الحديد شيئًا برميهم بحجارة من سجيل، وأما القول بإهلاكهم تمامًا وجعلهم كعصفٍ مأكول فهذا مما لا يقبله العقل".

فإنّ هذا الاعتراض مضحك جدًا لأنه لو ترمى حجارة من سجيل من قبل العرب أو من

[1] سورة هود: 82
[2] سورة الحجر: 74
[3] وأراد الشيخ الميرتهي أيضًا بـ"سجيل" نفس الحجارة
[4] تفسير الرازي، 101/32

قبل الطيور فيقع هذا الاعتراض في كلتا الحالتين، إن يقدر الله للحفاظ على بيته وإبقاء عظمته أن يسوّي قوة حجارة قوة حجارة قدرها قدر زنة الحمص والعدس يرميها الطيور فتعمل هذه الحجارة مثل الرصاصات والقنابل فلم لا يمكن له أن يجعل في الحجارة التي يرميها بضعة آلاف من عباده الضعفاء الذين ضحّوا بأنفسهم للحفاظ على بيته حال رئيسهم يقوم على باب داره داعيًا ومتضرعًا:

لاهمّ إن المرء يمنع رحله فامنع رجالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبدًا محالك
إن كنت تاركهم وقبلتنا فامر ما بدا لك
يا رب لا أرجو لهم سواك يا رب فامنع عنهم حماك[1]

أن يجعلها أقوى من الرصاص ويهلك بها العدو؟ وزد عليها نصرًا من الله يأتي من الغيب.

ونقتبس هنا من تفسير سورة الفيل للشيخ الفراهي لتتضح القضية مزيدًا:

"الأول ما وقع في غزوة بدر. فإنّ رسول الله أخذ حفنةً من الحصباء فاستقبل بها قريشًا، ثم قال: "شاهت الوجوه" ثم نفحم بها وقال لأصحابه: "شُدّوا". فما يبق كافر إلا شُغل بعينه، كما جاء في سور الأنفال: "وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ" فجعل الله تعالى رمي النبي سببًا ظاهراً لما رماهم، حتى شغل كل واحد منهم بعينه. فكان هناك رميان: رمي من النبي رأوه، ورمي من الله تعالى لم يروه، ولكن رأوا أثره. ولذلك جاء النفي والإثبات معًا.

وكذلك في هذه السورة. كانت قريش ترميهم بحجارة ينفخونهم بها عن الكعبة، فجعلها الله حجابًا لما أرسل أصحاب الفيل من الحجارة من السماء. وكما نسب الله تعالى الرمي في

[1] المصدر نفسه، 96/32

بدر إلى نفسه في قوله: "وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ"، فهكذا هاهنا نسب إلى نفسه أنه "فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ" فلا شك أنها كانت من الآيات البينات فإنّ منافحة قريش كانت أضعف من أن يفُلّ هذا الجيش، فكيف يحطّمهم حتى صاروا كعصف مأكول".[1]

الاعتراض السادس: وللشيخ الميرتهي اعتراض سادس كما يلي:

"إنّ الذوق الصحيح للغة العربية لن يجوز له أن يخاطب بـ"ترميهم" الأشخاص الرامين للحجارة، وإذا كان كذلك فوجب أن يستخدم "ترمونهم" وإن الله لم يكن عاجزًا عن إتيان "ترمونهم" مقابل "ترميهم".

هل كان الشيخ الفراهي صاحب ذوق عربي؟ لا حاجة إلى الحديث عنه ولكن لا ندع أنفسنا أن نقول إنّ الشيخ الميرتهي نفسه لم يبد أنّ له ذوقًا صحيحًا للعربية فلنقرأ ما يلي من آيات القرآن الكريم:

"أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾".[2]

"وهذا أسلوب خاص يطلق الواحد فيه على الجميع على سبيل الانفراد، وله أمثلة في كلام العرب والقرآن وفي التوراة حيث خاطب الله بني إسرائيل بضمير الخطاب الواحد، كما بيّناه في "كتاب الأساليب"[3] "وأما هاهنا فنذكر بعض أمثلة من القرآن، ليطمئن به الناظر البصير. قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ".[4] فبدأ بالواحد وأعقبه الجمع فإنّ المراد من الواحد كان هو

[1] تفسير سورة الفيل، ص 59-60

[2] سورة البقرة: 106-107

[3] هذا تأليف الشيخ الفراهي حيث ذكر أساليب القرآن وميزاتها مفصلًا وطبع هذا الكتاب باسم "أساليب القرآن" ويمكن الحصول عليه من الدائرة الحميدية بسرائ مير.

[4] سورة لقمان: 31

الجمع. وأيضًا: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾".[1] ربما يبدأ بالجمع ثم يعقب الواحد، فإنّ المراد هو الجمع كما قال تعالى: "هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾". فبدأ بالجمع [هَلْ أُنَبِّئُكُمْ] ثم أعقبه الواحد [أَلَمْ تَرَ].

فبدأ الكلام بالجمع "أنبّئكم" ثم جاء الواحد "ألم تر".

وإن نفرض أنّ "الرمي" استخدم للطير فهل استخدم "الرمي" "للطير" في أيّ مكان من اللغة العربية والقرآن الكريم؟ ووفقًا لدراستنا المتواضعة لم نجد ولو مثالًا واحدًا لذلك في كلام العرب علمًا بأنّ معنى "الرمي" هو أن يرمى شيء بعيدًا بشدة كما ورد في لسان العرب: "قال المبرد معنا ما رميت بقوتك إذ رميت ولكن بقوة الله رميت".[2]

والبديهي أنّ "الرمي" لا يمكن من مناقير الطيور الصغيرة، ومن الممتع أنّ الروايات التي تدلّ على أنّ الجمار كانت تساوي الحمص في مناقير الطيور ومخالبها تستخدم لذلك كلمة "ألقت" و"أرسلت" دون "رمت" وأشكلت هذه الكلمة على كثير من المفسرين القدماء فلذلك فسّروه بتفسير غريب قائلين: إنّ الطيور كانت تلقي حجارة تساوي الحمص عاطفة عنقها ومنقارها ومخالبها[3] فالذوق السليم للعربية يأبى أن تستخدم كلمة "رمي" للطيور ويعنى بها فاعل "ترمي".

الاعتراض السابع: ولنقرأ الاعتراض السابع للشيخ الميرتهي:

"ويعطي الشيخ الفراهي ميدالية الدفاع المثالي ضد جيش أبرهة للحجاج بالإضافة إلى أهل مكة، الحجاج الذين جاءوا إلى مكة للحج، بينما لا يمكن قبول وجود أيّ حاجّ في

[1] سورة إبراهيم: 19

[2] لسان العرب 335/4

[3] راجع: "تدبر قرآن" للشيخ أمين أحسن الإصلاحي، 15/8

مكة من خارجها، فإنّ الحجاج كانوا يرجعون إلى وطنهم بعد الثالث عشر أو الرابع عشر من شهر ذي الحجة وقد وصل جيش أبرهة إلى وادي محسر في شهر محرم الحرام".

ويمكن الاعتراف بقوة اعتراض الشيخ إذا ثبت قطعًا أنّ واقعة الفيل حدثت في شهر محرم الحرام، بينما توجد الأقوال المختلفة عنها فيروى أنّ هذه الواقعة حدثت قبل ولادة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأربعين يومًا وقيل أنها وقعت قبل خمسين يومًا وبالإضافة إلى ذلك يروى أنها وقعت تارة قبل خمس عشرة سنة، وتارة أخرى قبل عشر سنوات وتارة ثالثة قبل ثلاثين سنة حتى تجد أقوالًا جاء فيها أنها وقعت قبل ولادة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأربعين سنة أو سبعين سنة.[1] فيرجح الشيخ الفراهي أحد هذه الأقوال ويكتب واثقًا ومعتمدًا عليه "أنّ علماء السير يروون أنّ جيش أبرهة جاء في موسم الحج".[2] ولو لم يذكر مرجعًا له، ولكن لا يرجى أبدًا منه أن يكتب قولًا لا أساس له، فيمكن أنّ المرجع كان موجودًا في ذهن الشيخ ولكنه لم يضبطه بسبب اعتماده على حفظه ويمكن أيضًا أنه قد أخذ هذه النتيجة من الأقوال والدلائل المختلفة أنّ هذه الواقعة حدثت في موسم الحج كما تشير أقوال العرب بنفسها فسوف تُذكر تفاصيلها متقدمًا.

ولم نعثر على مرجع لقول الفراهي هذا بعدما كرّرنا مراجعة كتب السير والتاريخ ولكن الذين ذهبوا إلى أنها وقعت في شهر محرم الحرام قد نقلوها من روايات محمد بن إسحاق، ولا تكفي روايات رجل واحد لإثبات وقوع مثل هذه الواقعة الكبرى، علمًا بأنّ إسحاق قد ضعّفه العديد من علماء الرجال، فيقول العلامة الحافظ بن حجر العسقلاني رَحِمَهُٱللَّهُ عن محمد بن إسحاق في المجلد التاسع لـ"تهذيب التهذيب":

1. قال مالك، دجال من الدجاجلة.[3]

[1] راجع إلى روح المعاني 223/30، تفسير خازن 245/7، حاشية خازن على معالم التنزيل للبغوي طبعة مصر، 1323ه والدر المنثور، 395/6 وغيرها

[2] تفسير سورة الفيل، ص 52، 1937م

[3] تهذيب التهذيب، ص 41

2. وقال البخاري، أيضًا محمد بن إسحاق ينبغي أن يكون له ألف حديث ينفرد بها.[1]
3. وقال يعقوب بن شعبة سمعت ابن نمير يقول.... وإنما أتى أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة.[2]
4. وقال أحمد بن حنبل كان محمد بن إسحاق يدلس.[3]
5. وقال عباس الدوري عن ابن معين محمد بن إسحاق ثقة وليس بحجة.[4]
6. وقال ابن المديني ثقة لم يضعه عندي إلا روايته عن أهل الكتاب[5].[6]

وهذا هو السبب في أنّ العلماء والمفسرين وعلماء السير والتاريخ الحذرين يلزمون السكوت في هذه القضية وأما الذين ذكروه لم يصرّحوا بالشهر، مثلًا يكتب الإمام فخر الدين الرازي وغيره: "لم يكن بين عام الفيل ومبعث الرسول إلا نيف وأربعون سنة".[7]

وعلى الرغم من ذلك يؤيد قول الفراهي هذا أنّ عكرمة بن هاشم بن عبد مناف قال في شعره بصراحة أنّ رجال أبرهة قد ذهب بعدد من الهدي:

لاهُمّ أخزِ الأسود بن مقصود الآخذ الهجمة فيها التقليد
بين حراء وثبير فالبيد يحبسها وهي أولات التطريد
فضمّها إلى طماطم سود أخضره يا رب وأنت محمود[8]

[1] المصدر نفسه، ص 42
[2] المصدر نفسه
[3] المصدر نفسه، ص 43
[4] المصدر نفسه، ص 44
[5] المصدر نفسه، ص 45
[6] فقد ذكرنا هذه الأقوال فقط لكي يثبت هذا في الذهن أنّ جميع الروايات عن رمي الطير حجارة في واقعة الفيل رواها محمد بن إسحاق ولا يعرف راوٍ من قبله، ولو توجد أقوال عنه بكونه غير ثقة ومع ذلك توجد أقوال أيضًا عنه بكونه ثقة ولكن الإمام البخاري والأئمة الآخرين يعتبرونه غير ثقة.
[7] تفسير الفخر الرازي، 97/32
[8] تفسير سورة الفيل، ص 52

ونجد هذا الوضوح في بيان ابن جرير الطبري والمؤرخين الآخرين:

"ولما نزل أبرهة المغمس... وهمت قريش وكنانة ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس بقتاله".[1]

ويجبّ التدبر في ألفاظ الرواية خاصة "ومن كان معهم من سائر الناس" وتدل القرينة على إطلاقها على ازدحام كبير ولا غير لا على عشرة أو عشرين رجلًا. وإن حدثت هذه الواقعة في شهر الحرام حينما انتهى موسم الحج وأغلقت الأسواق في مكة وضواحيها مثل عكاظ وذي المجنة وغيرهما فيثور السؤال هنا: من هم الذين قد جاؤوا إلى الحرم؟ وإنهم ليسوا إلا حجاج غير الآخرين، وإلا ما يعني "من سائر الناس"؟

وهناك نكتة أخرى تقتضي التدبر منا، فقد جاء في سورة الفيل "أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ"، فهنا أيضًا يثور السؤال عن نوع الكيد الخفي؟ فالرد عليه موجود في قول الفراهي التالي:

"أنّ القرآن صرح بكيد أصحاب الفيل، وما زعموا من مجيء أبرهة ليس فيه كيد إنما هو مجاهرة بالقدرة وإرغام لجميع العرب، وأما على ما يستنبط من الروايات[2] الموثوق بها فيثبت منه كيده من وجوه:

1. أنه جاء في الأشهر الحرم إذ ظنّ أنّ العرب تمسك فيها عن القتال وحمل السلاح.
2. أنه أراد دخول مكة حين تخلّوا من أهلها، وهم مع سائر العرب في حجّهم.
3. أنه أراد الهجم عليهم خاصة في أيام التشريق والعرب حنيئذ إما واقفون بمنى أو مسرعون إلى أوطانهم بعد طول الشعث والكلال والسآمة. وعلى هذا فانظر

[1] تفسير ابن جرير، 301/30

[2] يتضح من هذه العبارة أنّ الشيخ الفراهي ما اعتمد على الوقائع المذكورة في كتب التاريخ العامة بل إنه اعتمد على الروايات الأخرى، أخذ منها أن وقعت واقعة الفيل في موسم الحج، ولو يعلم مأخذها بعد التحقيق فإن شاء الله نكتب عنه.

كيف ضلّل الربُّ تعالى كيده:

1. إذ حبس جيشه ببطن محسر.
2. وإذ جعل للعرب سلاحًا من حجارة المحصب.
3. وإذ أرسل عليهم حاصبًا من السماء.

اتضح من هذه التفاصيل أنّ وقوع هذه الواقعة في موسم الحج أقرب قرينة وقياسًا لأنه لا يكون تأويلًا أفضل من هذا فلم يرجع نظر الشيخ الميرتهي إلى نكتة "كيد" البلاغية فلم يناقش المراد من هذا اللفظ فلا نجد أيّ أثر لهذا الكيد الخفي في كتاباته، وقد ترجم الشيخ "الكيد" بـ"الخطة" ولكن مع ذلك يبقى سؤالنا حتى الآن لأنّ الخطة تنقسم إلى نوعين؛ خفية وظاهرة، وإذا ذكر الكيد أريد به الخطة الخفية لا الظاهرة.

الاعتراض الثامن: يكتب الشيخ الميرتهي في اعتراضه الثامن:

"بلغني أنّ الشيخ الفراهي قد درس كلام الشعراء والخطباء الجاهليين بإمعان وإنّ دراستها تفيد للمعرفة التامة للغة العربية، ولكن الصورة الأخلاقية للعرب الجاهليين التي ارتسمت في ذهن الشيخ الفراهي ليست بصحيحة فظن الشيخ أنّ العرب العاديين كانوا ممتازين عن مواطن البلدان الأخرى في الشجاعة والسخاء واحترام الذات وعزة النفس، فهذا باطل تمامًا، فلو وجد رجل أو رجلان في قبيلة يحظى بهذه الصفات السامية ولكن لم يكن العرب كلهم متحلين بها، فإنهم كانوا شجعانًا لقتل بعضهم البعض ولكنهم كانوا مرعوبين من الأجانب مثل الإيرانيين والروميين والحبشيين والمصريين كما كان الهنود مرعوبين من الإنجليز خلال حكومتهم، وإنهم كانوا أحرص الناس وأبخلهم وما كانوا يرحمون أيتامهم دع المساكين منهم وكان شعراؤهم كاذبين جدًا أيضًا.... فهذا القول بأنّ أصحاب مكة قد اجترؤوا على رمي الحجارة على جيش أبرهة باطل".

إننا نتأسف فنقول بأنّ اعتراض الميرتهي هذا أيضًا نتيجة عدم معرفته بعادات العرب وأخلاقهم تمامًا أو أنه يتجاهل عن الحقائق والوقائع المختلفة للعرب الجاهليين لكي يؤيد نظرياته الخاصة.

إنّ التاريخ المحفوظ عن العرب الجاهليين يفصل بالإجماع: "إن قريش وبني إسماعيل كانوا يعرفون بالفخر والحماسة والفروسية والمبارزة وتقدير القيمة والجود والسخاء والاستضافة حتى اعترف أعداؤهم بصفتهم هذه فلم يدع العرب أن تهتك عزتهم وينال من استقلالهم" فإنكار هذا الشرف المقبول بدون شهادة وتشبيههم بـ"ابن آوى" واتهامهم بالحرص والبخل الشديد جرأة كبيرة. ونقسم اعتراض الميرتهي هذا في ثلاثة أجزاء:

1. القول بأنّ العرب العاديين كانوا ممتازين عن مواطني البلدان الأخرى في الشجاعة والسخاء واحترام الذات وعزة النفس، وكانوا مرعوبين من الأجانب مثل الإيرانيين والروميين والحبشيين والمصريين كما كان الهنود مرعوبين من الإنجليز خلال حكومتهم.
2. وإنهم كانوا أحرص الناس وأبخلهم وما كانوا يرحمون أيتامهم.
3. وكان شعراؤهم كاذبين جدًا (الشيخ الميرتهي)

فإننا سنقدّم الشواهد والدلائل من العلماء والمحققين والمؤرخين المشهورين مقابل كافة الدعاوي فأوّلًا نقتبس من كتاب "تمدن العرب" للعالم والمستشرق الشهير غوستاف لوبون والذي سيكفي رادًا على الاعتراض الأول والثاني وإلقاء الضوء على وجوه العرب.

1. ولا يرجع ما علمناه من مؤلفات اليونان واللاتين من الأنباء الصحيحة عن تاريخ بعض جزير العرب إلى ما قبل الإسكندر، ويمكن تلخيصه فيما يأتي: عزم الإسكندر على فتح جزيرة العرب التي كان الأغارقة يعرفون غِنَى سكانها قبل الميلاد بأربعة قرون، وكانت الغزوة التي قام بها نيارك حول جزير العرب نذير

تصميم الإسكندر على غزوها، ونجت جزيرة العرب من غزو الإسكندر بسبب موته،..... وشايع الأنباط بطليموس على أنتيغون الذي فتح أحد قوّاده الماهرين بلاد الحِجر (بطرا) بغتة بعد أن أصبح سيد سورية وفنيقية، وأباد الأنباط بعدئذ جيش أنتيغون المؤلّف من 4600 جندي فساق إليهم جيشًا بقيادة ابنه ديميتريوس، وخاطب عرب بلاد الحِجر (بطرا)- كما روى ديويدرس الصقلي- الأمير ديمتريوس عند بلوغه ديارهم بما يأتي: "لماذا تحاربنا أيها الملك ديميتريوس ونحن من سكان الصحارى التي لا تُسَدّ فيها خَلّة، ترانا نقطَن في هذه البقاع القاحلة فِرارًا من العبودية.....ولكنك إذا رغبت في حصرنا حُرمت كل هناءة، ورأيت عجزك عن إكراهنا".

هنالك رأى ديميتريوس أن يقبل هدية الأنباط، وأن يرضى بالمآب خاتمًا بالسِلم حربًا أبصرها مملوءة بالمصاعب.

ثم أثارت غاراتهم وقطعهم للسوابل غضب قياصرة الرومان الذين كان سلطانهم يمتدّ إلى الفرات، فجرّدوا على عرب بلاد الحجر (بطرا) حملات كثيرة لم تنتج غير حملهم على دفع الجزية أو وقف العداء إلى حين، وكانت طريقة أولئك الأعراب في الغزو مثل ما يفعلون اليوم".

وإذ كانت خيالات الأغارقة والرومان تتأجّج طمعًا في ثروة جزيرة العرب ساق أغسطس إلى اليمن جيشًا لم يلاق غير الحبوط التام، وفي عهد طيباريوس وحده استطاع الرومان أن يفتحوا بلاد العرب جزيرة سيناء التي كان سكانها من الأعراب تقريبًا.

ظهر مما تقدم أنّ جزيرة العرب نجت من غزو الأجنبي خلا ما أصاب حدودها الشمالية وأنّ عظماء الفاتحين من مصريين وأغارقة ورومان وفرس وغيرهم ممن انتهبوا العالم لم ينالوا شيئًا من جزيرة العرب التي أوصدت دونهم أبوابها.

إذن، من الصواب قولنا: إنّ القسم الأكبر من جزيرة العرب هو القسم الوحيد الذي لم

تطأه أرجل الفاتحين من بلاد العالم المتمدن على ما يحتمل".[1]

1. وقال ديفرجه: "قد يكون أظهر ما في الأعراب هو أنهم جِماعُ الأضداد، فالنهب والكرم، والسلب والجود والقسوة والنبل.... وغير ذلك من الصفات التي تدعو إلى المقت والإعجاب في وقت واحد مما نراه في الأعراب.... ومساوئ مثل هذه لا تُغتفر لو لم يكن عند الأعراب من الفضائل ما يُشفع لهم به، ومن هذه الفضائل أنّ الأعرابي المحارب، المتعطش للنهب والانتقام، والذي يفعل عند مسّ كرامته ما لم تسمع به أذن من ضروب القسوة، مِضياف كريم أنيس في مِضربه، ومنها أنّ الهضيم الذي يضع نفسه تحت حماية الأعرابي، ولو كان من أعدائه، أو الذي يصبح في جواره، يُعدّ من أفراد أسرته، فلا يستطيع أحد بعدئذ أن يعتدي على حياته المقدسة التي يدافع عنها ذلك الأعربي أكثر من أن يدافع عن نفسه، وإن ظهر أن هذا الغريب من أعدائه الذين تمنّى زوالهم مرة مرة.
2. وليس بمستبعد أن يأخذ الأعرابي المِضيافُ جمل جاره طوعًا أو كرهًا ويصنع منه طعامًا ليمعن في إكرام ضيوفه، والكرمُ أفضل فضائل الأعراب، ويعدّه الأعراب أخص ما اتصفت به أمتهم".[2]

والآن حللوا الاتهامين للشيخ في ضوء القولين المذكورين أعلاه. وافصلوا بأنفسكم أقول الشيخ الميرتهي صحيح أم الاعتراف بالواقع من المؤرخين الذين يريدون أن يصوروا العرب والمسلمين والإسلام بحيث يتنفر الناس منهم وجعلوا يعتبرونهم حقيرين وقد قُدِّمَ هذان المقتبسان من الأجانب كشهادة فقط بينما ذكر في جميع كتب تاريخ العرب بحمية العرب وعزتهم وحلمهم وعلو همتهم وشجاعتهم وبطولتهم وفروسيتهم وضربهم وحبهم للاستقلال وسخاءهم أيضًا واستضافتهم وحماية الجار وإعانة الفقراء والمساكين.

والآن نقدّم فقرة من كتاب "الشعر الجاهلي" للدكتور يحيى الجبوري أستاذ بجامعة قطر:

[1] حضارة العرب لغوستاف لوبون (ترجمة: عادل زعيتر)، 2012م، ص 95-97
[2] المصدر نفسه، ص 75

"وهذا الشعر الخصب الزاهي الجزل المتين، نزل من النفس العربية منزلًا رفيعًا فهو عند العرب سجل العواطف والمآثر والمفاخر، والشعر يصور حقيقة أهله ونفسية قائلية بكل ما لهم من بطولات وأمجاد، وبأس وشدة، وعصبية وغضب،، كرم ووفاء، يصور خصال الخير كما يبيّن دواعي الشر، ويسجّل أيامهم ووقائعهم وأصولهم وأنسابهم، فهو على ذلك ديوانهم، ويقول أبو هلال العسكري: "وكذلك لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وأيّامها وقائعها إلا من جملة أشعارها والشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ومستنبط أدائها ومستودع علومها".[1] فهم لذلك إذا اعتزوا بمكرمة أو نصر أو حادث سجلوا ذلك في قصيدة، فهي أبقى على الدهر من كل عمل، وأخلد من كل أثر، وهذه سنة العرب في تخليد مآثرهم، وفي حيوان الجاحظ: "فكل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى وكان ذلك هو ديوانها".[2] وكذلك ابن سلام: "وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون .... وقال عمر بن الخطاب: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه[3]..."[4]

هذه هي أقوال وآراء العلماء والأدباء عن الأشعار الجاهلية وأما قول عمر بن الخطاب عنها فهو أحكم فارق هل دعوى الشيخ الميرتهي صحيحة أم ما قاله الشيخ الفراهي؟[5]

---

[1] كتاب الصناعتين، ص 138

[2] كتاب الحيوان، 1/71-72

[3] طبقات الشعراء، ص 22

[4] الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه للدكتور يحيى الجبوري، الطبعة الخامسة 1986م، ص 129-130

[5] ولا نعني بذكر هذه الأقوال أبدًا أن العرب ما كان فيهم عيب، فإنهم كانوا متصفين بالمحاسن إضافة إلى المعايب التي ذهب بها الإسلام عنهم، ثم أعطاهم سيادة الدنيا وقيادتها بسبب بركته وبصفاتهم الذاتية وحصلوا على أمانة عظيمة تعني دعوة الإسلام بسبب سلامة فطرتهم وذكاءهم وجدارتهم الذاتية مقابل جميع الأقوام المثقفة العالمية، فإنهم كانوا مستحقين لها، ولو درست محاسن العرب ومثالبهم كطالب مع التدبر والتفكر فتتضح الحقيقة كاملًا بأن معظم معايبهم بسبب تربيتهم غير الصحيحة، وهذا ليس عجيبًا، إذا لم تجد الأرض الخصبة البستاني البارع الذي يراعي حق الرعاية فينبت فيها النباتات مع الزهرة.

الاعتراض التاسع: يكتب الشيخ الميرتهي في اعتراضه التاسع الأخير:

"لو حدث هذا العمل الرائع على أيدي أهل مكة لذكر الشعراء القرشيون بافتخار وكرامة ولذكروا في قصائدهم عن شجاعتهم ذكرًا لا يسمع سواه. بينما لم يذكر هذا الأمر شاعر قرشي أو غير قرشي من ذلك العصر ولكنهم لم يشيروا إلى هذا".

لا شك أنّ الشعراء القرشيين لم يذكروا كثيرًا عن دفاعهم جند أبرهة ولكن ظهور الطيور جماعة على نفس الوقت ورميها الحجارة على جماعة[1] خاصة وجعلهم كعصف مأكول ليس عملًا عاديًا، فما ذكره الشعراء العرب أيضًا، لو يهلك جند أبرهة برمي الحجارة من قبل الطيور، فكما يعتبر الشعراء العرب هذا الحدث آية الله وقدرته فقط ويذكرونه كنصر من الله، ليذكر أيضًا هذا الحدث الغريب وغير المتوقع بل الأمر ليس كذلك، والأشعار التي ذكرها الشيخ الميرتهي أو التي وردت في الكتب الأخرى فأتى فيها الشعراء بذكر الطيور والأحجار معًا ولكن ما جاء في أيّ مكان أنّ هذه الأحجار قد رمتها الطيور بل يعتبرون رمي الأحجار هذا نتيجة "حاصب" و"ساف" فيقول أبو القيس:

فأرسل من ربهم حاصب يلفهم مثل لف القزم

ويقول أبو قيس بن أسلت اليثربي:

فلما أجازوا بطن نعمان ردهم جنود الإله بين ساف وحاصب[2]

والسبب في عدم ذكر رمي الحجارة من الطيور ليس إلا أنّ هذه الواقعة لم تحدث.

وليس الأمر أنّ العرب لم يذكروا قتالهم، بل إنّ صيت قتالهم مع أبرهة طار في كل

[1] وردت في تفسير ابن كثير: "فجاءت حتى صفت على رؤسهم، 551/1، ووردت مثل هذه الألفاظ في روح المعاني

[2] وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم، وأراد المفسرون منه ريحًا شديدة تحمل الحصى والحجارة وأما اللفظ "ساف" فلن يراد به الطيور لأن "سافي" يقال لريح حملت من التراب والغبار والعشب والأوراق الجافة من الشجر.

مكان، وكتب بعض الشعراء أبياتًا مفتخرين به، وربما لا يدرك الشيخ الميرتهي هذا الواقع لذلك دعواه ليست بصحيحة. يقول ذو الرمة الشاعر القديم الإسلامي:

وأبرهة اصطادت صدور رماحنا جهارًا وعثنون العجاجة أكدر

تنحّى له عمرو فشكّ ضلوعه بنافذةٍ نجلاءَ والخيل تضبر

اقرأ هذين الشعرين اللذين يصرحان أنّ رجلًا من قومه قد طعن أبرهة أيضًا وفي اليوم الذي حدثت فيه هذه الواقعة كان الجوّ ذا غبار كثيف مرتفع إلى السماء، ولكن لم تُذكر هذه الواقعة كثيرًا لأنّ وقع رمي الحجارة الإلهية شديدًا من الريح العاصفة وراء رميهم حتى يضطروا إلى الفرار وهم الذين لم يقدروا على الفرار فصاروا كعصفٍ مأكول، وكان هذا معجزة كبرى من الله المقتدر، فلم يقدر قريش على تشتيت جند أبرهة الجرار فحسب، بل هزموا هزيمة نكراء. فلذلك يعدّ شعراء العرب هذه الواقعة نصرًا من الله وقدرته وآيته ويشهد هذا على فهم العرب الأعلى وأخلاقهم السامية صدقُ بيانهم ولكن الشيخ لم يقبله بدون شهادة.

وإذا لم تكن مخافة تطويل البحث فنقوم بذكر الأسباب من تفسير الإمام الفراهي التي كانت في تفسير "ترميهم بحجارة من سجيل" فاعتمد في التأويل والتفسير على الروايات كما يقول الشيخ الفراهي: "لم يثبت من جهة السند، فإنّ كل ذلك لا يجاوز ابن إسحاق، ومعلوم عند جهابذة أهل الحديث أنه يأخذ الروايات من اليهود وممن لا يوثق به".

يقول الدكتور محمد يوسف الشريحي وقد صدر قديمًا أجزاء من هذا التفسير في حياة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان كل جزء مفردًا لتفسير سورة من السور الآتية: الذاريات، التحريم، القيامة، المرسلات، عبس، الشمس، التين، العصر، الكوثر، الكافرون، اللهب. ثم نشر بعد وفاته جزءان: جزء في تفسير سورة الفيل وآخر فيه مقدمة التفسير (فاتحة نظام القرآن) مع تفسير سورة الفاتحة والبسملة.

ولم يكن بدء المؤلف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بتفسير تلك السورة لسهولتها وقصرها كما يبدو أول وهلة، بل لما أشكل من نظامها أو أساليبها على كثير من المفسرين. وليتبين أنّ قصار السور ليست بأقل من طوالها في سعة مضامينها ودقة نظامها وكمال بلاغتها.

ففي سورة الفيل ذكر خمسة عشر مطلباً في تفسيرها:

1. في تفسير كلمات السورة.
2. في تعيين المخاطب بهذه السورة.
3. عمود السورة وربطها بالتي قبلها وبالتي بعدها.
4. بيان فضل الله بهذا البيت وأهله على سائر المعابد وذويه.
5. أمور مهمة مما يتعلق بتقديس المسجد وحفظه.
6. إجمال القصة حسبما نص عليه القرآن.
7. النظرة الأولى وهي فيما زعموا من سبب مجيء أبرهة وفرار أهل مكة وما جرى بينه وبين عبد المطلب.
8. النظرة الثانية وهي في رمي أصحاب الفيل بالحجارة وكونها من الآيات العظام.
9. النظرة الثالثة وهي فيما كان من أمر الطير التي أرسلت على أصحاب الفيل.
10. الاستدلال بكلام العرب على أنّ الرمي كان من السماء والريح.
11. في أكل الطير أصحاب الفيل تصديق لبشارة عظيمة في نبينا .صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
12. أسباب صارفة عن التأويل الراجح.
13. بيان معنى الرمي بالحجارة وتمهيد للنظر في أصل رمي الجمار بمنى.
14. أصل سنة رمي الجمار.

15. أثر هذا التأويل في القلوب عند عمل رمي الجمار.

ويقع هذا التفسير في واحدة وأربعين صفحة مطبوعة طبعة حجرية بالخط الفارسي في مطبعة أعظم كره في الهند- كما بينت سابقًا- سنة 1354هـ.

قال في أولها: "في كلمات السورة: ليس في السورة كلمة غريبة، وإنما نفسرها لتتضح وجوهها وما يتعلق بها من الأحوال. فأما أصحاب الفيل فجيش أبرهة الأشرم".[1]

ومن مباحثه اللغوية تفسير الكيد قال: وأما الكيد فهو التدبير الخفي لضرر العدو. قال تعالى: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾) (سورة الطارق: 16) أيضًا في قصة فرعون (فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ) (سورة طه: 60) وأيضًا فيها (فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا) (سورة طه: 64) وأيضًا في كفار العرب (لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا) (سورة آل عمران: 120)

وقال النابغة:

يقودهم النعمان منه بمصحف وكيد يغم الخارجي مناجد[2]

وقال زهير بن أبي سلمى يصف الملك سنانًا:

له لقب لباغي الخير سهل وكيد حين تبلوه متين

أي تدبير محكم، وقال تعالى (وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾) (سورة الأعراف: 182، وسورة القلم: 45]. وكذلك ينسب إليه الوهن والضعف. قال تعالى: (وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ) (سورة الأنفال: 18). وأيضًا (إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا) (سورة النساء: 76) وكذلك ينسب إليه الضلال والتباب وعدم الهداية كما سيأتيك.[3]

[1] تفسير سورة الفيل من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 1.
[2] قال الجوهري في الصحاح: رجل مناجد: أي مقاتل.
[3] المصدر نفسه، ص 1-2.

يلاحظ كيف أنه جمع الآيات الواردة في الكيد ومن خلال السياق استطاع أن يعطي للكلمة معناها المناسب، مستشهدًا على ذلك بالشعر القديم. ويتابع التفسير. ففي تعيين المخاطب بهذه السورة يقول: "قبل النظر في عمود السورة وربطها، لا بدّ من تعيين المخاطب بهذه السورة ليتمهد السبيل إلى معرفة صحيح التأويل وربط المعنى وحسن الموقع. فاعلم أنّ الخطاب ههنا متوجه إلى جميع من رأى هذه الواقعة أو أيقن بها من طريق تواتر الحكاية ممن رآها[1]...إلخ.

وعند كلامه عن عمود السورة وربطها بالتي قبلها والتي بعدها قال: "ذكر القرآن في السورة السابقة كل همزة لمزة مفتخر بماله، ذاهل عن مآله فدعا عليه بالويل، وأنبأه بأنه ينبذ في الحطمة والنار الموقدة. ففي هذه السورة إشهاد على ما فعل بأمثاله حين اعتمدوا على قوة شوكتهم واجترؤوا على الله، لأنهم قد علموا في كتبهم حرمة هذا البيت العتيق.. إلخ

إلى أن يقول: "فاتضح مما قدّمنا أنّ عمود هذه السورة: تمهيد وجوب الشكر لله تعالى بذكر ما جعل لأهل مكة خصوصًا والعرب عمومًا من العز والكرامة بما حماهم وبلدهم ببركة هذا البيت المحرم. فجعل لذكر هذه النعمة سورة كاملة فلم يذكر ما يتعلق به من الحكم أي (فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ) فجعله في سورة تالية لكي يعرفوا منزلة هذه النعمة التي فضّلهم بها على سائر الأمم حتى بني إسرائيل، فإنهم أسروا وقتلوا ومزّقوا كلّ ممزق وكذلك أخذ عنهم بلدهم وهيكلهم ودمّر وحرق.

(وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾)[2] (سورة البقرة: 105) فيعطي حسب علمه وحكمته فليشكروا له ولا يغتروا بنعمته. وإنا نذكر أسباب هذا التفضيل أنّ ذلك كان على غاية الحكمة".[3]

[1] المصدر نفسه، ص 4.
[2] في الأصل (والله واسع عليم) ولعله سهو من المؤلف.
[3] المصدر نفسه، ص 7.

هذا التفسير طبع في مطبعة معارف أعظم كره، الهند، 1354هـ/1935م، بدون ذكر الطبعة، 41 صفحة+صفحتان (فهرس مطالب الفصول+سورة الفيل).

(في مقالة: مطبعة معارف، أعظم كره، 1395م/الدائرة الحميدية، 1354هـ/ تفسير سورة الفيل للشيخ الفراهي، ص 96، طبعة 1937م/ صدرت طبعتها الأولى في 1354هـ/1908م)

ترجم أمين أحسن الإصلاحي تفسير سورة الفيل إلى الأردوية ونشرتها الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، مطبعة كوه نور، دلهي. (في مقالة: ط1، مطبعة الإصلاح، سرائ مير ، أعظم كره، د.ت)

- **تفسير سورة الفاتحة**

صدرت طبعتها الأولى في 1357هـ/1937م.

- **تفسير سورة القيامة من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**

يقول الدكتور محمد يوسف الشريحي[1] وقل مثل ذلك عن أول سورة قام بتفسيرها وهي سورة القيامة. فتكلم فيها عن عمود السورة وربطها بالتي قبلها، ثم بيان أسلوبها، وأن الكلام جارٍ على معنى متصل، ثم بيان وجه الاحتجاج فيها، ثم الكلام عن تفسير (لا أقسم) وهكذا إلى آخر السور...

قد اعتبر العلماء جميع بحوث تفسير سورة القيامة مهمة جدًا، وأثنى عليها السيّد رشيد رضا، صاحب تفسير المنار.

هذا التفسير نشر لأول مرة من مطبعة فيض عام بعلي كره ثم قام الإمام الفراهي بتغييرات. صدرت طبعته الثانية من مطبعة الدائرة الحميدية عام 1983م فقال الشيخ الإصلاحي:

إنّ سور القرآن الكريم التي قام الإمام عبد الحميد الفراهي بكتابتها من أوائلها تفسير سورة

[1] أستاذ التفسير الأسبق بجامعة دمشق، توفي سنة 2016م

القيامة، لأنه يرى أنّ كل سورة للقرآن يختلف في أجزائها النظم والترتيب مثل القرآن ذاته، وتقتضب هذه السورة في ظاهريتها، لذلك على أساس هذا يمكن القول إنه لا يوجد فيها أيّ مناسبة أو نظم. وهكذا ألّف تفسيرها كما يناسب لمنهجه وأصوله وأثبت بالبراهين أنّ هذه السورة يرتبط بعضها بالبعض من البداية إلى النهاية وتتدرج علاقة السور السابقة من السور التي تأتي بعدها بصورة عميقة....، وتناول في هذه السورة بالبحث عمود السورة والارتباط بالسابقة واللاحقة، كما ناقش طريقة الأسلوب والتبرهن فيها وإيضاح الأقسام وانطباق القيامة بالنفس اللوامة وغير ذلك من المظاهر العلمية، بالإضافة إلى شرح بعض الجمل الصعبة والآيات المتشابهة التي يتجلى منها تحقيق الكلمات الصعبة ومحاسن أسلوب الكلام وجمال البلاغة بصورة واضحة. في هذا التفسير موضوعان يهمان على الأغلب، أولهما هو ردود المنكرين والمتشككين في كيفية جمع الشمس والقمر معًا، والثاني هو جمع القرآن وترتيبه الذي يرى عنه المؤلف الإمام أنّ القرآن كان قد جمع ورتّب في عهد النبي فإنه ردّ على الفكرة الشائعة المشهورة، إنّ الفرقة الإمامية تقول بعدم صيانة بعض الأجزاء من القرآن الكريم وحفظها، لأنه يخالف ما يرى علماؤها حسبما صرحوا في بياناتهم (ص 26) فهذا الكتاب نتيجة دراسة عميقة للقرآن وبذلك يقاس عن تبرهنه المتين علمًا واجتهادًا ونكتة وبصيرة ودقة".[1]

قبل بداية التفسير ذكر الأستاذ الفراهي عمود هذه السورة وربطها بما قبلها ثم أوضح أنّ فيها تهديدًا وتوبيخًا للذين يفرحون بالحياة الدنيا دون الالتفات إلى شدائد القيامة. وذكر أنّ القرآن استعمل فيها أسلوب التهديد والاستفهام مرة بعد أخرى وذلك لكي يوقنوا إيقانًا تامًا باليوم الذي لا بد منه ثم أقسم الله تعالى بالقيامة وبالنفس اللوامة فبيّن الأستاذ الفراهي الفرق بين القيامة والنفس اللوامة وأثار الأستاذ مسئلة أخرى أيضًا وهي: أنّ ما هو المذهب الصحيح بين تصوير أحوال القيامة وتأويل المتشابهات وذكر نكات هامة في

[1] المصدر نفسه، أغسطس 1983م، 2/132، ص 155-156.

صدد تفسير قوله تعالى "لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ". وفي ضوء هذه الآية "كِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ" قرّر الأستاذ الفراهي أنّ تدوين القرآن الكريم قد تم في عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمر الله تعالى ولا يمكن أيّ ينقص منه أو يضاف إليه في المستقبل لأنّ هذا ينافي ما تكفل الله به من حفظ القرآن الكريم وصيانته عن التحريف. واتفق المسلمون على أنّ القرآن الكريم محفوظ من أوله إلى آخره وما وقع فيه أيّ نقص أو إضافة واستدلوا على ذلك بقوله تعالى في سورة الحجر "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ". وما ينسب إلى الإمامية أنهم يقولون إنّ بعض أجزاء القرآن قد غابت. هذا ليس بصحيح لأنّ علماءهم الأجلة من أمثال سيد مرتضى وشيخ الطائفة محمد بن حسن الطوسي وأبو علي الطبرسي ومحمد بن علي بن بابويه وغيرهم قد أنكروا ذلك وردوا على هذا الزعم الباطل بصراحة ثم ألقى الضوء على أهمية الصلاة في صدد تفسير الآيات الكريمة وختم تفسير هذه السورة ببيان ربطها بما بعدها.[1]

كتب الفراهي تفسير سورة القيامة خلال 1324هـ/ 1906م، ذكره العلامة شبلي في إحدى رسائله في 4/ أغسطس، 1906م: "رأيت تفسير سورة القيامة، فتوارد المعاني في باب "لا" وأنا أيضًا أفكر في ذلك منذ مدة طويلة، هذه محاورة عامة".[2]

في 1903م طبعت أول مجموعة شعره باسم "ديوان حميد"، وفي هذه الفترة انتهى من تأليف تفسير سورة القيامة.

طبعاته

صدرت الطبعة الأولى لهذا التفسير من مطبعة فيض عام بمدينة عليكره، دون تاريخ. 21 صفحة+صفحة (فهرس مطالب الفصول).

[1] تفسير سورة القيامة للشيخ حميد الدين الفراهي، (ترجمة: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، ط2، كوه نور برنتنك بريس، دهلي، بدون تاريخ، ص5-66

[2] المصدر نفسه، رقم الرسالة: 24 و35.

والطبعة الثانية صدرت من الدائرة الحميدية ومكتبتها، سرائ مير، أعظم كره، الهند (طبع بمطبعة الكوثر، سرائ مير، أعظم كره، الهند)، 1403هـ./1983م، 40 صفحة+3 صفحات (الفهرس وكلمة الجامع) (في مقالة: 45 صفحة).

تفسير سورة القيامة من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، للفراهي، الدائرة الحميدية، الهند: 1349هـ.

طبع تفسير سورة أبي لهب وسورة القيامة وغيرهما في أغسطس عام 1906م".[1]

وقد نشر تفسير أبي لهب وسورة القيامة بعد عام 1906م.
قد ترجم الشيخ أمين أحسن الإصلاحي هذا التفسير باللغة الأردوية، وطُبع مرتان، والطبعة الثانية طبعت من كوه نور برنتنك بريس، دهلي، بدون تاريخ.

- **تفسير سورة الكافرون من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**

بدأ الفراهي تفسيره لهذه السورة حسب عادته ببيان ربط السورة بما قبلها وبما بعدها ثم ذكر أنّ الله تعالى علّم المسلمين في هذه السورة أنّ يظهروا البراءة من كفار مكة ولفت عناية الناس إلى أنّ مراحل البعثة ثلاثة وهي البراءة والهجرة ثم السيطرة والتمكين ويظهر نصر الله بعد الهجرة وأخيرًا بيّن ربط السورة بما بعدها وسلط الضوء على مفهوم البراءة من المنظار القرآني.[2]

قد استعرض الشاه معين الدين الندوي تفسير سورة الكافرون في مجلة معارف (الأردوية)، أبريل، 1938م، 4/41، فقال: "إن تفسير سور القرآن القصيرة التي يمر بها المفسرون عامة وقف عليها الأستاذ وقدّم فيها آراء دقيقة ومباحث لطيفة".

طبع في مطبعة فيض عام، علي كره، الهند، 1326هـ، بدون ذكر الطبعة (في مقالة:

[1] ياد رفتغان، ص 136.
[2] تفسير سورة الكافرون للشيخ حميد الدين الفراهي، (ترجمة: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، ط2، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائي مير، أعظم كره، 1990م، ص 463-482

1326هـ/1908م، الطبعة الأولى)، 15 صفحة+صفحتان (فهرس مطالب الفصول وتصحيح الأغلاط).

ونشر بعد ذلك في صحيفة (الجامعة) العربية نصف الشهرية التي كان يصدرها الأستاذ عبد الرزاق تحت إشراف الأستاذ أبي الكلام آزاد في كلكتا، العدد العشرون، المجلد الأول، شعبان 1342هـ/مارس 1924م (ص 9-14).

- **تفسير سورة الكوثر**

إنّ تفسير سورة الكوثر نشرت ترجمته للمرة الأولى سنة 1937م والطبعة الثانية قامت بنشرها الدائرة الحميدية عام 1958م، علّق عليها الشيخ الإصلاحي في مجلة "معارف":

"والثاني منهما (أي تفسير سورة الكوثر) نموذج أعلى لتحقيق الإمام الفراهي ويمتاز بطريقة التفسير المميزة ولذا تزداد أهميته ولقد حشا هذا التفسير بالأسرار والمعارف الدقيقة، وهاتان الرسالتان (أي تفسير سورة الإخلاص وتفسير سورة الكوثر) تعينان في فهم القرآن وتجدران أن يدرسهما العلماء وطلاب القرآن ويطالعوهما".[1]

وضع الإمام الفراهي أصولًا لتعامله مع الحديث ولكنه إذا محّص الروايات على تلك الأصول فيقبل روايات كثيرة تكلم عنها أهل الحديث وهذا لمحض أنها توافق مفهوم القرآن وتصدقه وتؤيده فقد قبل عند تفسير سورة الكوثر روايات عديدة عن حوض الكوثر وكثرة الأمة كما صحّح رواية شأن نزول الآية "فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ" التي استغربها الإمام السيوطي قائلًا: إنّ الوجوه التي حملته على الوهم في تلك تزول حينما نتفكّر فيها مع إمعان النظر وقد وضع عند تفسير سورة فصلًا مستقلًا بعنوان "الأحاديث تثبت أنّ الهجرة أذان بالحرب والبراءة وهي على أصول موافقة للقرآن".[2]

[1] المصدر نفسه، أبريل 1959م، 4/83، ص 317.

[2] المصدر نفسه، ص 32-33

قد كتب د. منظر عالم[1] مقالة عن مساهمة الإمام عبد الحميد الفراهي والشيخ محمد عبده في مجال التفسير: دراسة مقارنة فذكر سورة الكوثر أنموذجًا كما يلي:

نموذج من تفسير سورة الكوثر (للفراهي):

أولًا أنه حاول أن يذكر عمودة السورة وربطها بما قبلها وبما بعدها ثم بين تفسير كلمة "الكوثر" وتأويلها كما يقول:

"لا يخفى أنّ الكوثر مبالغة من الكثير فهو ذو كثرة عظيمة وبركة وثروة، فإنّ الكثير هو الثروة، وقد سمّوا به الرجال كما سمّوهم بكثير وكثير وترى استعماله على طريق الصفة في قول لبيد:

وصاحب ملحوب فجعنا بموته وعند الرداع بيت أخر كوثر]

فالكوثر من ناحية اللغة لثلاثة وجوه من التأويل:

1. إنه منقول إلى الاسمية فصار مختصًا بشيء سمّاه الله تبارك وتعالى بالكوثر.
2. إنه صفة قدر موصوفها فصار له بعض التخصيص كقولهم "مرد على جرد" أي رجال مرد على خيل جرد وكقوله تعالى: "عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ" (سورة القمر: 13) أي فلك ذات ألواح ودسر، وهذا كثير في القرآن وكلام العرب ولكن لا يوجد إذا كانت الصفة خاصة بالموصوف، فيصفهم من ذكر مجرد الصفة أي دلّت على الموصوف قرينة أخرى.
3. والثالث أنه وصف باقٍ على عموم معناه كأسماء الصفة التي تقع على القليل والكثير ولا تختص، وحينئذ يكون من جوامع الكلم ويحتمل ما كان فيه خير كثير، ويحمل حسب القرائن على بعض الأدلة، نهائيًا أنه وصل إلى أنّ المراد من الكوثر هو الكعبة وما حولها وبعد ذلك ذكر الله تعالى الصلاة والنحر وقد أثبته في ضوء الدلائل القاطعة.[2]

[1] أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بابا غلام شاه بادشاه، راجوري، جامو وكاشمير

[2] نفسير نظام القرآن، ص 521

نموذج من تفسير سورة الكوثر (للشيخ محمد عبده):

الكوثر: صفة مبالغة من الكثرة ومعناه الشيء البالغ من الكثرة حد الإفراط، قيل لأعرابية، رجع ابنها من السفر، بم رجع ابنك، قالت بكوثر، وقال الكميت:

وأنت كثير بأين عروان طيب وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

أقوال السلف في تعيين معنى الكوثر هو النبوة، والدين الحق والهدى وما فيه سعادة الدارين الدينا والآخرة.[1]

دراسة مقارنة: إذا ألقينا نظرة على تفسير الإمام الفراهي والشيخ محمد عبده وجدنا بعض التماثل والتباين بينهما.

التماثل: كل واحد منهما ولد في القرن التاسع عشر ودرس أوضاع العالم العربي والإسلامي بدقة وإمعان، ووصل إلى النتيجة أنّ الأمة المسلمة قد بعدت عن الدين الإسلامي وبخاصة القرآن الكريم الذي أنزل الله تعالى كدستور خالد وشامل لهذه الأمة.

كل واحد منهما أكّد على الفهم الصحيح للقرآن الكريم وعيّن له بعض المنهج.

كل واحد منهما ركّز عنايته على أنّ تفسير القرآن بالقرآن هو أحسن تفسير.

كل واحد منهما حاول أن يأخذ الروايات الإسرائلية بعد التحقيق والتدقيق وانتقد المفسرين الذين جمعوا الروايات الإسرائيلية بدون تحقيق وتفحص.

كل واحد منهما اهتم بكلام العرب وأساليبها وبلاغتها اهتمامًا بالغًا كما نرى في تعيين معنى الكوثر.

كل واحد منهما أراد أن يفسر القرآن الكريم ولكن لم يوفق إتمامه.

[1] تفسير سورة الكوثر (الدكتور محمد عمارة)، ص 542

التباين: إنّ الإمام الفراهي قد أكد على النظام وأنّ فهم القرآن الكريم لا يمكن إلا به، وأما الشيخ محمد عبده فأنه لم يتحدث عن النظام.

إنّ الفراهي قد ألّف كتبًا عديدة لفهم القرآن الكريم، وأما الشيخ محمد عبده فإنه لم يؤلّف أيّ كتاب لفهم القرآن الكريم.

إنّ فهم الفراهي للقرآن الكريم كان أشمل وأعمق مقابل الشيخ محمد عبده كما نرى في تعيين معنى الكوثر.

طبعاته

إنّ أ.د. ظفر الإسلام الإصلاحي قد أشار في كشفه إلى أنّ تفسير سورة الكوثر طبع أول مرة من مطبعة معارف، أعظم كره بدون تاريخ.[1]

كما طبع من دار عمار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، باسم تفسير سورة الكوثر (منهج جديد ورؤية جديدة)، 1431هـ/ 2010م، الطبعة الأولى، 76 صفحة.

ترجمه الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي إلى الأردوية، وطبع من الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سرائ مير ، أعظم كره سنة 1937م (الطبعة الأولى) و1958م (الطبعة الثانية).

- **تفسير سورة اللهب من نظام القرآن[وتأويل الفرقان بالفرقان**

طبع في مطبعة معارف أعظم كره، الهند، بدون تاريخ، 29 صفحة+صفحة (فهرس مطالب الفصول).

وقد نشر تفسير أبي لهب وسورة القيامة بعد عام 1906م (في مقالة: وسورة اللهب: صدرت

[1] ويتضح من نشر إعلان تفسير سورة الكوثر في تفسير سورة الإخلاص التي نشرت في 1931م، أن هذا التفسير قد تم نشره من قبل.

طبعتها الأولى في 1325هـ/1908م/ طبع في مطبعة معارف بأعظم كره، دون تاريخ)

وكذا في مقالة: أنّ هذا الجزء طبع في 1906م كما صرح بذلك السيّد سليمان الندوي قائلًا: "وعلاوة على أقسام القرآن طبع تفسير سورة أبي لهب وسورة القيامة وغيرهما في أغسطس عام 1906م".[1]

وقد اعتبر العلماء جميع بحوث تفسير أبي لهب مهمة جدًا، وأثنى عليها السيّد رشيد رضا، صاحب تفسير المنار.

وكان الفراهي يرسل أجزاء تفسيره إلى العلامة شبلي، وكان شبلي يذكر رأيه عن هذه الأجزاء في رسائله، وفي البداية لم يكن مقتنعًا من وجهة نظره المتعلقة بنظم القرآن والترتيب وكان يعتقد أنّ محاولته بدون جدوى في تفسير نظام القرآن وخاصة في ربط الآيات، ولكن عندما رأى أجزاء متعددة من تفسيره، فهمها رويدًا رويدًا فاعترف بها وأيّد وجهة نظره، وبدأ يشيد به ويشجّعه، وأصبح ممن يؤيدها بشدة في النهاية وبدأ يستشيره في حلّ مشكل القرآن (يوجد تفصيل هذا كله في الجزء الثاني من مكاتيب شبلي). يكتب شبلي في رسالة بتاريخ 3 يونيو 1905م:

"قرأت أجزاء تفسير سورة أبي لهب، وجمهرة البلاغة بإمعان، وأهنئك على تقديم هذا التفسير، على المسلمين أن يكونوا ممنونين لك، ولكن بعض أجزاء البلاغة عادية، ويمكن التأمل في الرد على أرسطو. (يونيو 1905م).

كتب الإمام الفراهي في تفسير سورة اللهب أنّ أبا اللهب كان حامل مفتاح بيت الله الكعبة ومتوليًا له،[2] على أساس ذلك ناقش بالتفصيل، غير أنه لا يثبت تاريخيًا أنّ أبا اللهب كان يحمل مفتاح الكعبة. من آباء رسول الله قصي بن كلاب كان قد

[1] ياد رفتغان، ص 136.

[2] تفسير نظام القرآن، سورة اللهب، ص 448.

أعطى لعبد الدار من أبنائه الأربعة كل ما يتعلق بمناصب كعبة الله وتنازع فيما بعد بين أبنائه على هذا، واتفق الأمر على أنّ مناصب الحجابة (حمل مفتاح الكعبة) واللواء (حمل العلم في الحرب) والندوة (إجماع الناس للشورى) يمتلكها بنو عبد الدار وتكون السقاية (سقي الماء للحجاج) والرفادة (إطعام الحجاج) مع بني عبد مناف. وحتى الآن منصب الحجابة مع بني عبد الدار ويستمر هذا الأمر في فرع شيبه بن عثمان.[1] كان أبو اللهب من بني عبد مناف فكيف يمكن له أن يكون حامل مفتاح الكعبة؟! الشيخ ضياء الدين الإصلاحي قام بتحليل تفسير سورة اللهب وتعريفه في مقالة له (مجلة "علوم القرآن"، يناير-يونيو 1987م) ولكنه لم يشر إلى ذلك الوهم.

- **تفسير سورة والعصر من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان (في داخل الكتاب: سورة العصر)**

طبع في مطبعة فيض عام، علي كره، الهند، 1326هـ، بدون ذكر الطبعة، 23 صفحة+صفحتان (فهرس مطالب الفصول وتصحيح الأغلاط).

- **تفسير سورة والمرسلات من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان (في داخل الكتاب: تفسير سورة المرسلات)**

طبع في مطبعة معارف أعظم كره، الهند، بدون تاريخ، 20 صفحة+صفحة (فهرس مطالب الفصول).

- **تفسير قرآن کے اصول (بالأردوية)**، العلامة حميد الدين الفراهي، إعداد وترجمة: خالد مسعود

هذا الكتاب يبحث عن أصول تفسير القرآن وضعه الإمام الفراهي. أعد الشيخ خالد مسعود هذا الكتاب من رسائل الإمام الفراهي ومقدمة نظام القرآن من مؤلفات الإمام

[1] راجع للبداية والنهاية، ابن كثير، دار الريان للتراث، القاهرة، 1988م، 194/2/1-195. سيرت سرور عالم للشيخ السيد أبي الأعلى المودودي، مركزي مكتبة إسلامي ببلشرز، نيو دهلي، 81/2-82.

الفراهي وقام بترجمته. إنه صرح في تقديمه بأنه ترجم مقتبسات رسائل الفراهي بنفسه ورمز له "ر" ونقل المقتبسات من ترجمة مقدمة نظام القرآن ورمز له "م".

أصدره إداره تدبر قرآن وحديث، لاهور، باكستان، نوفمبر 1999م، الطبعة الأولى، 227 صفحة.

ثم نشره قرآن وسنت أكيدمي، نيو دلهي، أكتوبر 2003م، الطبعة الأولى، 227 صفحة.

- **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ آية من آيات الله في حدة الذهن، وكثرة الفضل، وسعة العلم، ودماثة الخلق، وسداد الرأي، والزهد في الدنيا، والرغبة في طلب مرضاة اللهو من المؤسف أن يظل هذا العلم الكبير، مجهولًا في الأوساط الإسلامية إلى حد كبير، على الرغم من كثرة كتبه ومؤلفاته التي نافت عن أربعين كتابًا في شتى العلوم والفنون، وخاصة منها الدراسات القرآنية. وكان يرى أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضًا فأعرض عن القصص وما أتى به المفسرون من الزخارف والعجائب وألّف كتابه في التفسير على ذلك وركّز في تفسيره على التماس العلائق والروابط بين آيات القرآن الكريم وربط بعضها ببعض. وسمّاه "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" الذي أصبح علمًا عليه و يعرف به ولم يكمله.

منح الله الإمام الفراهي حظًا وافرًا من علم القرآن وفهمه وفتح عليه ما شاء منه من حكمته وأدبه والكشف عن نظامه والنظر في مباحثه المهمة عن مسائل الدين والعلم والحياة البشرية، وليس بين مؤلفاته الفراهي شيء خارج عن القرآن وقد ألّف كتبًا كثيرة في موضوعاته المتنوعة. وكل موضوع يدور حول مبحث خاص من مباحث القرآن. فقضى معظم حياته فيه، وله الفضل الأكبر في ندرته في تفسير القرآن، ونبوغه في تفسير كتاب الله وتأويله يرجع إلى التزامه بنظام القرآن وبيان دقائقه عند التفسير، وهو لا يهمل عن إيضاح أهمية نظام القرآن والترابط المعنوي بين أجزائه كلها، فالكلام عنده "إنما هو نظامه"، وهو يرى أن لكل سورة من سوره موضوعًا رئيسيًا سمّاه "عمود

السورة" والقرآن كله ككلمة واحدة بوحدته الموضوعية ونظمه المعنوي، فمن خفي عليه هذا الإقليد لا يمكنه أن يبلغ إلى مفاهيم قصدها، فعنده تأويل القرآن يستند على المقياسيين: أولهما نظام القرآن والآخر تفسير القرآن بالقرآن، فالمراعاة بهذا النظم عنده هو الطريق الصحيح لتأويل القرآن والتدبر في آياته لأنه يكشف القناع عن معارضات الكلام واحتمالاته، وهو مفتاح كنوزه المكنونة، ولم يقتصر على هذا التأكيد في كتبه المختلفة فقط، بل أفرد كتابه "دلائل النظام" لإيضاح هذه الفكرة والاستدلال عليه، وقد ألّف عدة كتب كمقدمات لتفسيره نظام القرآن.

استوعب الفراهي بعقليته العلمية وتطبيقاتها في حقول اللغة العربية المنهج العلمي المبني على استدعاء المنطق في تنظيم مكونات المنتج اللغوي ومعرفة أصوله، فكان للإمام الفراهي منهج فريد في معرفة أسرار لغة القرآن الكريم وتفسير دلالاته وتحديد تأويلاته، واشتهر به في شبه القارة الهندية، وقد أفاض القول في بيان أصوله في مقدمة تفسيره (فاتحة نظام القرآن) وكتابيه (دلائل النظام) و(التكميل في أصول التأويل)، وأبانت عنه أجزاء التفسير التي صدرت في حياته. وأهمها أصلان يدلّ عليهما عنوان التفسير نفسه: الأول نظام القرآن، والآخر تأويل الفرقان بالفرقان.

أما تأويل الفرقان بالفرقان فهو أصل معروف مجمع عليه ولا يحتاج إلى بيان، غير أن منهج الفراهي يتميز بالتمسك الشديد بهذا الأصل والاستفادة منه على أنحاء لم يفطن لها كثير من المفسرين.

أما "النظام" فالمقصود به ما يسمّيه الكتّاب المعاصرون بالوحدة الموضوعية، فكل سورة لها موضوع معين- يسمّيه الفراهي عمود السورة- تدور عليه بأجزائها المترابطة فيما بينها ترابطًا معنويًا محكمًا. ويختلف النظام عن التناسب الذي عني به جماعة من علمائنا القدامى، وعدّوه علمًا شريفًا، والفرق بينهما "أن التناسب جزء من النظام، فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئًا واحدًا

مستقلًا بنفسه، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما، فربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام، فيصير شيئًا واحدًا. وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها، فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها. فإن عدم الاتصال بين آيات متجاورة يوجد كثيرًا. ومنها ما ترى فيه اقتضابًا بينًا، وذلك إذا كانت الآية أو جملة من الآيات متصلة بالتي على بعد منها".[1]

ومراعاة النظام عند الفراهي ليس أمرًا مقصوداً لذاته، وإنما هو المنهاج الصحيح لتدبر القرآن، والنظام هو الحكم عند تضارب الأقوال، وهو المرجح عند تعدد الاحتمالات، وهو الإقليد الذي تفتح به كنوز حكمة القرآن.

وفي الكشف عن نظام القرآن لا يلجأ الإمام الفراهي إلى مناهج أهل الفلسفة والمنطق أو المتصوفة، وإنما يعتمد على القرآن نفسه. وفي ذلك يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أجمع أهل التأويل من السلف إلى الخلف أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضًا، وأنه هو أوثق تعويلًا وأحسن تأويلًا، فنقول: كما أنّ القرآن يفسّر مطالب آياته بعضها ببعض، فكذلك يدلّك على نظام مطالبها ومناسبتها، بما يأتيك بنظائره، فتكثر الشواهد على رباط أمر مع أمر، وبذلك يحثّك على التأمل في جامع وصلة بينها، ثم يأتي عليه بأمثلة كثيرة بعضها أوضح من بعض، حتى يتدرج بك على ما كان أدقّ وأغمض".[2]

وتبين من ذلك أن هذا الأصل- أي النظام- أيضًا راجع في حقيقة الأمر إلى الأصل السابق، وهو تفسير القرآن بالقرآن.

وعند الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهمية أساسية لتصوره لنظم القرآن وتأويل القرآن بالقرآن من بين الأصول والمبادئ لفهم القرآن الكريم. ويعترف عديد من المفسرين بهذين الأصلين، ولكن لا يطلقان عندهم إلا على نطاق ضيّق جدًا أو جزئيًا، وعند الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ القرآن كلام

[1] مفردات القرآن، ص 28.
[2] دلائل النظام، ص 83

منظم ومربوط في جميع الجوانب من حيث هيئته وترتيبه، ومن حيث معناه وموضوعه، وكل سورة وحدة، لها موضوع مركزي، يسمّيه الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ "عمود السورة" وأن جميع مباحث السورة تتعلق بالعمود مباشرة أو غير مباشرة، وأن السور أيضًا مرتبطة بعضها ببعض، ويرتفع فيها الكلام حتى أن القرآن بكامله يقدّم لمعة الكلام المنظم وحسنه.

كما أنه يرى تأويل القرآن بالقرآن من منظور واسع جدًا، ويبحث عن نظائر الألفاظ والأساليب في القرآن الكريم، ويقوم بمقابلة موضوعات السورة بموضوعات السور الأخرى، ويحاول بذلك فهم موضوع جامع، ويقول الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو روعي نظم الكلام وسياقه ليقضى على هذا الاحتمال بأن الآية تحمل تأويلين أو أكثر، لأن كثرة التأويلات قد أحدثت الخلاف بين الأمة، فيتطرق بذلك أعداء الإسلام إلى الاعتراضات والانتقادات، فالقرآن قطعي الدلالة، ولذلك لا يقبل له إلا تأويل واحد يوافق نظم السورة وسياق الكلام تمامًا.

ويميز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بين نظام القرآن والمناسبة بين الآيات والسور في القرآن، والفرق بينهما أن التناسب جزء من النظام، ويوضح أن المراد بالنظام بـ: "أن تكون السورة كلامًا واحدًا، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها على بُعد منها، فكما أن الآيات ربما تكون معترضة، فكذلك ربما تكون السورة معترضة، وعلى هذا الأصل نرى القرآن كله كلامًا واحدًا، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه، من الأول إلى الآخر، فتبين مما تقدم أن النظام شيء زائد على المناسبة وترتيب الأجزاء".[1] وسبيل الوصول إلى هذا نظام القرآن هو التدبر، ولا يمكن فهم كلام الله إلا بمعرفة نظامه، وهذا النظام هو سبيل الانتفاع به: فهمًا وتطبيقًا، مصداقًا لقوله تعالى: "كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ".[2] مع ضرورة الإيمان بالله واليوم الآخر.

ويضيف إلى التدبر، مراعاة دلالة السياق في فهم الآيات القرآنية. ويحدد وظيفة النظام

[1] المصدر نفسه، ص 74-75.
[2] المصدر نفسه، ص 29

هي الوصول إلى تدبر صحيح للقرآن الكريم، والترجيح بين القوال المتضاربة، وتعيين الصحيح من الاحتمالات المتعددة، وهو الإقليد الذي تُفتح به كنوز القرآن.[1]

وهذا يعني أنه لا يمكن فهم القرآن الكريم وتدبره، فهمًا سليمًا إلا بعد فهمه في كليته، بعد التتبع والاستقراء لمواطنه، وحمل بعضه على بعض، وتكميل بعضه لبعض، لأن الآيات القرآنية عبارة عن لبنات متراصة منسجمة كالعقد المنظوم، إذا فقدت منه حلقة واحدة، انفرط العقد وانهار البناء وتشوهت الصورة. وهذه الخاصية التي تميزت بها آيات القرآن الكريم، جعلتها وحدة منسجمة غير قابلة للتجزي، وفرضت على القارئ الالتزام بالقراءة الكلية للقرآن الكريم.

وكتب الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسيرًا لبعض السور الصعبة لإيضاح أصوله، وأنه تكلم عن كل جانب من تحقيق الألفاظ، وأساليب اللسان، والنحو، والبلاغة، والنظم والسياق، ونظائر القرآن، وأرشد إلى أن يؤدى حق تدبر القرآن، ولو روعيت الأصول الصحيحة ليفعم كل جزء من أجزاء كلام الله من المعاني، وعلاوة على النماذج التفسيرية أنه ألّف الكتب لطلّاب القرآن الكريم التي لو يفهمونها فيحصلون على المفتاح لفهم عشرات الأماكن المشكلة من القرآن الكريم.

ولم يلجأ الإمام الفراهي في الكشف عن نظام القرآن الكريم إلى مناهج أهل الفلسفة والمنطق أو المتصوفة، وإنما يعتمد على القرآن نفسه. وفي ذلك يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أجمع أهل التأويل من السلف إلى الخلف أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضًا، وأنه هو أوثق تعويلًا وأحسن تأويلًا، فنقول: كما أنّ القرآن يفسّر آياته بعضها ببعض، فكذلك يدلّك على نظام مطالبها ومناسبتها، بما يأتيك بنظائره، فتكثر الشواهد على رباط أمر مع أمر، وبذلك يحثّك على التأمل في جامع وصلة بينها، ثم يأتي عليه بأمثلة كثيرة بعضها أوضح من بعض، حتى يتدرج بك على ما كان أدق وأغمض"،[2] وتبيّن من ذلك أنّ هذا الأصل- أي النظام-

[1] المصدر نفسه، ص 9 وما بعدها

[2] المصدر نفسه، ص 29.

أيضًا راجع في حقيقة الأمر إلى الأصل السابق، وهو تفسير القرآن بالقرآن.

ويختلف منهجه في التأليف القرآني عن منهج عامة المؤلفين الذين إذا عزموا على تأليف كتاب جمعوا مادته ثم رتّبوها في صورة كتاب، أمّا الفراهي فإن الموضوعات التي رأى ضرورة الكتابة فيها وحلّ مشكلاتها كانت ماثلة بين عينيه، يديم النظر والبحث فيها، فإذا حقّق مسألة أو حلّ معضلة أو أحكم رأيًا قيّد ذلك وكتب عليه: "من كتاب ... " حتى إذا اكتملت جوانب البحث أقبل على تأليفها وتنسيقها، ولذلك كان يؤلّف كتبًا عديدة في وقت واحد، وقد بقي أكثر مؤلفاته ناقصًا، لأسباب منها طريقته هذه في التأليف، وأعماله الإدارية، والأمراض التي قد أنهكته وكانت تعاوده حينًا بعد حين،[1] ويتّضح من الطرح المنهجي أنّ لغة القرآن هي السائدة في ترتيباته وتنظيماته المعرفية لجهوده المطروحة في خدمة المكون اللُّغوي العربي، ويبرهن ذلك على قوة التناول المنطقي وقدرته على توظيف الحس العلمي في معالجة القضايا اللُّغوية وتطبيقاتها في القرآن الكريم.

وقد ألّف في تفسير القرآن وعلومه بضعة عشر كتابًا أجلّها تفسيره (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان) الذي صدر منه أحد عشر جزءًا في حياته وجزءان بعد وفاته. ولعله لم يشرع في التفسير من أوله إلا في آخر حياته فوافاه الأجل وهو في تفسير الآيات (47-62) من سورة البقرة. ويستنتج القارئ النقاط التالية من قراءة هذه التفاسير:

- إنّ كل سورة من القرآن الكريم مرتبطة من أولها إلى آخرها. ولا أساس لقول القائل بعدم الربط بين آيات القرآن. فكل السور مرتبطة داخليًا في آياتها إضافة إلى كونها تتعلق بالسورة التي تسبقها والتي تليها. وإن ذكر موضوع من ناحية معينة في سورة، فقد ذكرت الناحية الثانية في السورة اللاحقة.
- إنّ السور المتتالية تبين حقيقة واحدة من مختلف نواحيها. فلو نظرنا إليها بطريقة إجمالية، نجد نماذج من حِكَمِ القرآن لا ننتبه إليها عند قراءتها منفصلة. فمن

[1] مفردات القرآن، ص 31.

الضروري النظر إلى مجموعة المواضيع الموجودة في القرآن.

- إن التساهل في دراسة القرآن شيء مهلك، فكل كلمة من القرآن مهمة تتطلب التحقيق، وكل كلمة تحمل من المعاني الكثير، فلا يمكن لشخص تعود المرور سريعًا على الآيات دون التعمق فيها أن يستفيد منها.
- إن الدين الإسلامي دين نظام، جميع عباداته مرتبطة مع بعضها البعض ولها أهداف معينة. ويتضح ترابط العبادات بعد التدبر في نظام القرآن.

وتصبح طريقة الفراهي في تدبر القرآن والاستنباط منه واضحة بعد دراسة مجموعة تفاسيره، ويتحير العقل أمام ما قام به من اتباع للأصول الصحيحة للتدبر والوصول إلى جواهر الحكمة في الدين.

ولا يتوقف الفراهي عند قراءة القرآن وتدبره فقط، إنما الهدف الأساسي هو الوصول إلى الحكمة في القرآن، ولا يمكن الوصول إليها إلا إذا نظرنا إلى كل قضية في ضوء القرآن بأكمله. ونرى قضية واحدة في القرآن تتجلى بنواحٍ مختلفة في سور مختلفة. ولو تدبرنا جميع هذه المواضع في ضوء الأصول الصحيحة، لأصبحت الحكمة القرآنية واضحة أمامنا. وتحدث الفراهي عن حكمة القرآن في تفسيره إضافة إلى موضوعات أخرى عديدة.

وبعد قراءة تفسير السور القرآنية التي كتبها الفراهي وملاحظاته التي وضعها على تفسيره نستنتج أنّ الفراهي كان يعترف بأنّ تعلم اللغة العربية وآدابها مع معرفة علم الكتب السماوية ضروري لكل من يريد أن يخوض في مجال تفسير القرآن الكريم. وقد تعلم اللغة العبرانية خلال إقامته في علي كره لهذا الهدف، ونجح في كل مراحل حياته في مجال فهم القرآن الكريم وتدبره وتفهيمه بفضل معرفة هذه اللغة. إنّ الإمام الفراهي من الكتب السماوية في تفسيره فتوجد إحالات عديدة إلى التوراة والإنجيل في تفسير نظام القرآن.

إن تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" أول تفسير من نوعه بين التفاسير الموجودة ويستحق أن يحتلّ مكانًا رفيعًا فيها بل يوضع في مقدم التفاسير المستحسنة.

وكونه من المحدثين ومن غير العرب لا يمنع من إحراز ذلك المكان لأنه يجمع خصائص وميزات حسنة لا توجد في غيره من التفاسير.

فهو أول مفسّر عالج النظم المعنوي على أساس النظرية العلمية الفنية ووضع الأصول التي يمكن بها إدراك النظم المعنوي في القرآن، وكذلك في إثباته من الدلائل النقلية والعقلية الدامغة الوافرة وجعله حقيقة واقعية في القرآن وكانت كلمة النظم تعني الجانب البلاغي في القرآن أكثر من اتساق معاني الآيات وأفكارها مما يجعلها في وحدة وذلك لأن المفسرين قبله قد فشلوا في إثباته وكذلك في جعله علماً واضح المعالم يمكن على النظم المستخرج من هذه الأصول إطلاق النظم الطبيعي أو نظم خال من التكلف.

ولكن ليس معنى ذلك أنّ فكرة النظم المعنوي في القرآن لم تكن موجودة قبله بتاتًا بل أنّ عدداً كبيراً من المفسرين قد اهتم به في شتى مراحل تاريخ التفسير منهم الإمام الطبري والزمخشري والرازي وابن علي الطبرسي وأبو السعود والإمام البقاعي وأبو جعفر بن الزبير والمهائمي الهندي والرزكشي والسيوطي والشيخ عبده والشيخ التهانوي.

وقبل أن أتكلم عن مجهودات هؤلاء العلماء يحسن بنا أن نعرف أول من دعا إلى هذا الجانب، فيقول الرزكشي: أول من أظهر علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئت عليه الآية "لم جعلت هذه السورة في جنب هذه وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة" وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة".[1]

والمراد من قول النيسابوري أنّ العلماء غير مهتمين به حق الاهتمام وإلا أنّ فكرة رعاية السياق القرآني الذي هو النظم كانت موجودة من قبل فإنّ الصحابة كانوا يراعونه عند فهم القرآن وتأويله وقد راعوه عند جمع القرآن كما يروى في ضم البراءة مع الأنفال[2]

[1] البرهان في علوم القرآن، 36/1

[2] المصدر نفسه، 335/1

وكذلك قتال أبي مع أهل الردة كان مستنبطًا من السياق ونظم الآية[1] ولذلك نجد الطبري الذي كان معاصرًا للنيسابوري وإن لم يكن ببغداد اهتم بالسياق القرآني[2] ولكنه لم يوفق في إظهار النظم الكامل في السورة ولا بيّن صلة السورة بالسورة التي تجاورها وكذلك لم يبيّن الأصول لمعرفة هذا النظم.

أما الزمخشري (1075-1144م) فهو مؤمن بالنظم المعنوي ويحرص على طلبه ورعايته في التأويل "النظم ... هو أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع التحدي به ومراعاته أهم ما يجب على المفسر"[3] وهو يحاول إبراز النظم أكثر جديًا من الطبري ولكنه فضلًا عن هذا لم يضع الأصول لمعرفة التناسق المعنوي.

أما الرازي (1149-1210م) فهو أيضًا مؤمن ويحرص على طلبه "فيقول إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[4] وكذلك يقول في تفسير قوله تعالى (حم السجدة: 44): "وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ" "كل من أنصف ولم يتعسّف علم إذا فسّرنا هذه الآية على الوجه الذي ذكرناه آنفًا صارت هذه السورة من أولها إلى آخرها كلامًا واحدًا منتظمًا مسوقًا نحو غرض واحد فيكون هذا التفسير أولى مما ذكروه"[5] ولكنه لا يلتزمه كل الالتزام ثم أنه لا يبيّن موضوع السور في أكثر الأماكن وإن بيّن فلا يتمسك به في تفسير السورة.

والإمام الطبرسي (1153م) ملتزم به ولكنه لا ينجح في إبراز نظم طبيعي يجعل معنى السورة كلها في رباط وثيق واضح ثم أنه لا يبين الأصول والمعالم لهذا العلم الذي

[1] مقدمة نظام القرآن، ص 27

[2] تفسير الطبري، 271/3

[3] منهج الزمخشري في تفسير القرآن (تحقيق: محمود شاكر)، ص 318

[4] الإتقان في علوم القرآن، 111/2، وللتفصيل راجع تفسير الرازي تحت قوله (آمن الرسول)، 384/2، وتفسير قوله (لو جعلناه قرآنًا أعجميًا)، 254/6، وسورة الكوثر، 494/8

[5] راجع تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي

يمكن به إدراكه بسهولة لكل واحد.[1]

أما أبو السعود فهو في تفسيره "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" مؤمن به ويحاول إبرازه بكشف أسلوب كل آية ولكنه أيضًا في كثير من الأماكن لا ينجح في كشف نظم طبيعي في السورة كلها وكذلك لا يبين الأصول لمعرفته.[2]

أما المهائمي الهندي (776-835هـ) فهو في تفسيره "تبصير الرحمن وتيسير المنان" قد أطنب في فوائده،[3] ولكن طريقة تفسيره لا تساعد في ظهور النظم المعنوي في القرآن كما أنه لا يبين طريقة العثور عليه.

أما كتاب أبي جعفر بن الزبير "البرهان في مناسبة سور القرآن" فهو كتاب وجيز يبين فيه المناسبة بين السور. أما إبراز النظم المعنوي بين الآيات فلم يتعرض له إلا قليلًا وفي غاية الإيجاز حيث لا يظهر الربط بين أفكار السورة، ثم أنه لم يبيّن الأصول لمعرفته.[4]

أما الإمام البقاعي (1406-1480م) في تفسيره "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" فقد التزم به إلى حد كبير كما يظهر من اسم الكتاب، ولكنه نقل ما وجده لدى المفسرين السابقين ولم يأت بنظم طبيعي كما لم يبين الأصول[5] فضلًا عن ذلك هناك فرق كبير وهامّ بين التناسب أو المناسبة والنظم.[6]

أما الزركشي فقد خصّص له مقدمة وبحث عن نوعية النظم[7] ولكنه لم يطبّقه على الآيات والسور القرآنية.

---

[1] راجع تفسير أبي السعود المذكور
[2] راجع تفسير أبي السعود المذكور
[3] راجع تفسير المهائمي
[4] راجع البرهان في مناسبة سور القرآن، مخطوط في مدرسة الإصلاح
[5] طبع من دائرة المعارف العثمانية
[6] راجع ص 70 ودلائل النظام، ص 12
[7] البرهان في علوم القرآن، 35/3

وكذلك السيوطي (911م) خصّص له مقدمة وبحث عن نوعية النظم[1] ولكنه نقل عن الزركشي جزءًا كبيرًا كما أنه لم يظهره لا في الدرر المنثور ولا في الجلالين بصورة واضحة.

وأخيرًا أعرض أمامك مفسرين كبيرين كانا من معاصري الفراهي. الأول هو الشيخ محمد عبده، والثاني الشيخ أشرف علي التهانوي.

أما الشيخ محمد عبده (1849-1905م) فقد اعتنى به اعتناء بالغًا ولكنه لم يظهر معاني السور كلها في وحدة كما أنه لم يكشف موضوع السور ولا وضع أصولًا لمعرفته واستكشافه فهو كغيره من المتقدمين.

أما الأستاذ أشرف علي التهانوي (1863-1943م) فهو في تفسيره "بيان القرآن" رأى النظم المعنوي ووقف في كثير من الأماكن ولكنه مثل المفسرين لا يسلك على أصول وكذلك فعل في كتابه "سبق الغايات في نسق الآيات". والواقع أنه جمع في هذا الكتاب ما أورده المفسرون قبله وخاصة الرازي كما اعترف هو بذاته.[2]

ذلك مجمل الجهود التي بذلتها طائفة من العلماء قبل الفراهي في إثبات النظم ولكن الواقع أنّ مساعيهم الجميلة لم تأت بالثمار المرجوّة وإن لم نستطع أن نقول إنها قد باءت بالفشل ذلك أنهم وإن اعترفوا بوجوده وملأوا الصفحات في فوائده ولكنهم حين حاولوا تطبيق الفكرة خانهم التوفيق إلا قليلًا ولم يستطيعوا إلا إظهار مناسبة ضعيفة ركيكة فضلًا عن نظم متين رائع. ولذلك كانت هناك جماعة من أجلة العلماء طول هذه المدة تنكر وجود مثل هذا النظم كما رأينا.[3] وكانت فكرة هؤلاء ذائعة شائعة حتى أنّ الفراهي عندما حاول تأليف مثل هذا التفسير وقدّم مشروعه إلى معاصريه من العلماء استغربوا فيكتب إليه الأستاذ شبلي حين عرض عليه تفسيره أول مرة: أنا

[1] الإتقان في علوم القرآن، 111/2

[2] راجع بيان القرآن، وكذلك سبق الغايات في نسق الآيات

[3] راجع ص 111 من هذه الرسالة

قرأت كتابك "نظام القرآن" إلى النهاية وأنه لا شك في حسن التعبير وسلاسته ولكن لا أستطيع أن أقول الآن قولًا فصلًا نهائيًا عن أصل الكتاب ولبّ الموضوع وعلى كل ابعث إلي الأجزاء الأخرى. ولقد أرى العمل شاقًا وعسيرًا وإلى أيّ قدر يصادفك النجاح فهو حسن. ولو بذلت مثل هذه المحاولة الشاقة في شيء سهل المنال فالله أعلم ماذا صنعت وأحرزت من النجاح".[1] ويقول السيّد سليمان الندوي: إنّ العمل المهم الذي يعمله هو أنه يفسر القرآن تفسيرًا جديدًا منذ 25 عامًا".[2]

وبهذا يمكن أن يقدّر عدم اعتناء العلماء بفكرة النظم وتجاهلهم له في زمنه أي في مستهل القرن العشرين ولا نكون مفالين أو مبالغين إذا قلنا إنّ تلك الفكرة أصبحت مهجورة ومرفوضة لا تجد من يناصرها أو يعدّها فكرة صائبة فضلًا أن تكون واضحة مع ما بذله العلماء من جهود مضنية خالصة.

ولكن مما لا شك فيه أنّ عمل الأقدمين المذكور آنفا قد مهّد الطريق للآخرين. إذ الفراهي ليس حقًا موجد هذه الفكرة فقد كانت موجودة كما رأينا وهو نفسه يعترف بوجوده[3] فلا بد أنه قد استفاد ممن سبقوه من العلماء سواء كانوا في الهند أو في خارجها وهو في الواقع شيء مهم وضروري لعالم وباحث ومحقق يقصد معرفة المدى الذي وصلوا وماذا يستطيع أن يقدم هو في تلك الجهود من جدة وابتكار. وقد تفتح تلك الدراسة آفاقًا جديدة لم يغزها أو لم يكشفها الأقدمون.

ولكن له الفضل في تحويل هذه الفكرة إلى علم واضح مميز المعالم فكأنه بعث الفكرة من جديد، التي كانت تلفظ آخر أنفاسها ونفس وأحدث فيها الحركة والقوة والروح وجعلها سهلة المنال صالحة للقبول والإقبال عليها وأضاف ما تحتاج إليها من مزية وبسط، وأزال العقبات التي كانت تعترض في سبيلها.

[1] رسائل شبلي رقم الرسالة 19 مكتوب إليه حميد.
[2] رسائل شبلي، 1/2
[3] مقدمة نظام القرآن، ص 1

وبهذا نستطيع أن نقرر أنّ تفسيره "نظام القرآن" جاء كنقطة التحول في الدراسات التفسيرية لأنه أول بحث علمي منظم ولأنه جعله فنًا مستقلًا برأسه ووضع له الأصول الواضحة والمعالم الملموسة فله صلة بالنظم المعنوي ما لأرسطو بالمنطق والجرجاني بالبلاغة.

النظم بعد الإمام الفراهي:

ولتتضح مكانة الفراهي في النظم جيدًا ينبغي لنا أن نعرف المحاولات التي بذلت أخيرًا في الدول العربية ومن أهمها:

- "في ظلال القرآن" لسيد قطب (1967م) وقد رأى التناسق الفكري فيه ونجح في إبرازه إلى حد بعيد فهو من أنجح المحاولات في العصر الحديث وقد حظي هذا التفسير بالإعجاب والتقدير ولكن صاحبه لم يبيّن الأصول لمعرفة النظم المعنوي.
- أما الدكتورة بنت الشاطئ فهي في تفسيرها "التفسير البياني للقرآن" اهتمت بالنظم المعنوي كثيرًا والتزمت في تعيين معنى السورة السابقة واللاحقة كما رأينا عند الفراهي في تعيين الموضوع وأيضًا لم تبيّن الأصول لمعرفته ولم تقدم الأدلة على وجوده وهي سلكت في هذا التفسير منهج وحدة الموضوع أي دراسة كل فكرة جاء ذكرها في القرآن باستيعاب أمثالها فيه. وهذه الطريقة قد بيّنها الأستاذ أمين الخولي (1964م) في كتابه "مناهج جديدة في النحو والبلاغة والتفسير والأدب" وألقت عليه الدكتورة الضوء في مقدمة تفسيرها. وعلى كل أنه عمل قيّم وهامّ وخاصة باعتبار أنه يغربل الآراء الراجحة المفضلة من الضعيفة.
- أما الأستاذ الدكتور محمد مبارك في كتابه "منهل الأدب الخالد" فقد رأى التناسق المعنوي وحدّد الأفكار الرئيسية ولكنه أيضًا مثل الدكتورة بنت الشاطئ لم يحددها برعاية السور التي تجاورها وعلى كل هو ناجح إلى حد بعيد في

مسمّاه وهو أيضًا لم يبيّن الأصول.

- أما الأستاذ عبد المتعال الصعيدي فهو في كتابه "النظم الفني في القرآن" بيّن موضوع كل سورة وحدّد عناصرها مثل الفراهي وبيّن بعض الأصول وخصّص كتابه لتعيين موضوع السور وصلتها بما تجاورها من السور فهو أحسن كتاب في هذا الموضوع بعد الفراهي.
- أما الدكتور محمد البهي فهو في كتابه "نحو القرآن" حاول تفسير القرآن تفسيرًا موضوعيًا أي أنه يحاول فهم فكرة من الأفكار التي تناولها القرآن باستجماع واستقصاء جميع نقاطه (الرئيسية منها والفرعية) المتفرقة في القرآن ثم فهم تلك الفكرة في ضوئها.

فهو قد طوّر فكرة تفسير القرآن بالقرآن الذي قد عالجه المفسرون جزئيًا ولكنه عالجه كليًا وبصورة متكاملة.

فهذه الدراسات التي قام بها العلماء في الدول العربية في المنتصف الآخر للقرن العشرين أقرب من فكرة الفراهي عن النظم حيث صادفهم النجاح أكثر من المتقدمين ثم إنها تطالب بتحديد الموضوع والعناصر الرئيسية ودراستها دراسة موضوعية وأدبية وإذا كانت نتائج دراساتهم قد قاربت أفكار الفراهي فإنه قد سبق إليها في مستهل القرن العشرين. فإن يدل هذا التقارب على شيء فإنما يدل على صواب رأيه. وأنه دعم تأكيد لفكرته.

ثم أنّ هناك فرقًا شاسعًا بينهم وبين الفراهي في كشف النظم وتعيين الموضوع وبيان الأصول ولا يقاربه أحد ولا يساويه من المفسرين المتقدمين والمتأخرين وله الفضل أيضًا في استخدام كلمة "نظام" للتعبير عن الترابط الفكري في القرآن.

من المعلوم لدى المطلعين على كتب الإمام الفراهي بأنه قد عزم على مشروع كبير

لخدمة القرآن الكريم، ولكن للأسف لم يحظ مشروعه بالإكمال، مع ذلك فقد ترك وراءه ثروة كبيرة من العلوم والمعارف، منها تفسيره لبعض السور الذي طبع باسم "تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" فيما بعد وهو أكبر شاهد بتفوقه العلمي في العلوم القرآنية والنظم القرآني على وجه الخصوص.

إنّ الإمام الفراهي بدأ تأليف "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"[1] عندما كان أستاذًا في كلية علي جره الإسلامية (في مقالة: وقد شرع في تدبر القرآن الكريم أيام طلبه في كلية عليكره، كما ذكر في (فاتحة نظام القرآن)، وفي مقالة: بدأ في 1903 على أغلب الظن بكتابة تفسيره "نظام القرآن" حينما كان بكراتشي،)، ولكنه لم يراع فيه ترتيب السور القرآنية، وطريقته تختلف عن طريقة الناس في تأليف الكتب من حيث إنه لم يبدأ من أول القرآن، كما فعل المفسّرون الآخرون، بل للكشف عن نظريته وهي أنّ القرآن منظم ومرتبط بعضه ببعض من أوله إلى آخره، وكما أنّ في كل سورة نظامًا خاصًا، بدأ من السور التي كان فيها النظام واضحًا جليًا، لكي يتضح للناس هذا الجانب الخطير من كتاب الله، ويقتنعوا بفكرته، كما أنه جعل نصب عينيه أن يفسر أولًا السور القصار التي تدعو إلى الإيمان بأصول الإسلام وهي التوحيد والرسالة والمعاد، وتنذر الناس عاقبة العناد والكفر بهذه الأصول. وقد ألّف لهذا الغرض تفسير سورة الفاتحة، والذاريات، والتحريم، والقيامة، والمرسلات، وعبس، والشمس، والتين، والعصر، والكوثر، والكافرون، وأبي لهب، والإخلاص، وقد طبع تفسير هذه السور في حياته وبعد حياته مرارًا، كما أنه تُرجم إلى اللغة الأردوية ليستفيد به جميع الناس. ثم بدأ الأستاذ الفراهي بعد ذلك تفسيره من أول القرآن أي من سورة البقرة ولكن المنية قد حالت دون تكميله كله.

وقد أفصح الفراهي في مقدمة "تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" عن

[1] قد نشرته الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سراي مير، أعظم جره، الهند، في عام 2008م.

الباعث الذي دفعه إلى تفسير القرآن، هو أنه تصفح كتب التفسير وسبرها سبرًا بعد عصر الصحابة والتابعين، فوجدها كسراب بقيعة، فلم يجد من حمل من حكمة القرآن ومعجز بيانه إلا النزر القليل، ووجد أنّ أغلب التفاسير غلب عليها العناية بتفاسير الصحابة والتابعين لبعض الكلمات، وشحن العلماء التفاسير بالإسرائيليات وسفاف الأمور، فصارت حجابًا دون تدبر القرآن.

وفريق من المفسرين اعتمد على الرأي وخاصة أقوال الفلاسفة والمناطقة الذين جعلوا القرآن عضين.

هذا التفسير للإمام الفراهي على طراز جديد وأسلوب بديع لم يعهده الزمان. وكيف وقد أفنى فيه عمره وعكف على مطالعة القرآن نحو ثلاثين سنة فأتى بعد ذلك بعجائب ودبجت يراعته ما هو مفخرة للهند وللمسلمين عامة. كان يعتقد أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضًا وأنّ آياته متسقة النظام ومتصلة بعضها ببعض خلافًا لما قال أكثر المفسرين، فمن قدّم سورة أو آية منه أو أَخّرها فقد أفسد نظم القرآن وذهب بروعة الكلام وأفنى ما فيه من البلاغة والحكمة. وقد أتى على ذلك ببراهين واضحة وأقام عليه حججًا قاطعة. ومن دلائله على ذلك أنه لو لم يكن للآيات والسور نظام واتساق لما كان أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند نزول القرآن بوضع بعض الآيات في سورة والأخرى في سورة أخرى معنى، وقد ثبت من الروايات الصحيحة أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان تنزل عليه السورة ذات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.

وقد انطلق في التفسير المذكور من نظريته المتعلقة بالنظام، وقد اهتم غاية الاهتمام ببيان نظام السورة، أو وحدتها الموضوعية، ويرى أنّ النظام لو استبان للناس لجمعهم تحت راية واحدة، وكلمة سواء.

وفسّر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بهذه الطريقة التي انطلق من القرآن نفسه لبيانها، عددًا من سور القرآن،

ففسّر الفاتحة والبقرة والقصص واللهب وغير ذلك. والأساس الذي مشى عليه، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هو تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بالسنة، ثم تفسيره بكلام الصحابة والتابعين، يقول: "أول شيء يفسّر القرآن هو القرآن نفسه، ثم بعد ذلك؛ فهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذين معه، ولعمري أحبّ التفسير عندي ما جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه[1].

ولمعرفة بداية فكرة علم نظام القرآن في ذهن الإمام الفراهي وفكره يمكن أن نلاحظ اقتباسًا كتبه الإمام:

"فقد اجتهدت في هذا الكتاب- بحول الله وتوفيقه- أن أكشف عن نظام آيات القرآن العظيم، وأن أفسر تفسيرًا ساذجًا غير خالط به من اختلاف نجم فينا بعد عصر نبينا، فالتمست معنى الآيات من أخواتها، وكذلك استنبطت نظام السورة من أعماقها، ومن سياقها، ثم بعد ذلك أيدت ما فهمنا من القرآن بالنقل والعقل، ففي أمر النظام تدلّيت في غور الكلام بالبصر الناقد، وفي أمر التفسير عضضت على كتاب الله بالنوجذ".[2]

وكذا يكتب:

"وكنت في هذا على بصيرة من ربي، غير متبع لأحد، ومع ذلك لم أكن بديعًا في تتبع النظام، ولأن جماعة من العلماء قصدوا إليه، وصنفوا فيه".[3]

تبتدئ المجموعة بمقدمة العلامة السيد سليمان الندوي لأول تفسيره لبسم الله الرحمن الرحيم وسورة الفاتحة ثم تأتي خطبة الفراهي لهذا التفسير، التي تم طبعها مع تفسيره لسورة البقرة. تتبعها فاتحة تفسيره التي تم طبعها مع تفسيره لبسم الله الرحمن الرحيم وسورة الفاتحة. يبدو أنه طبعة حديثة لتفاسير الفراهي المطبوعة لبعض السور. ولكنه لا يشمل

[1] فاتحة النظام، ص 7

[2] ديباجة نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان للفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، ص 15

[3] المصدر نفسه، ص 16

كافة التفسير العربية. صدرت هذه الطبعة من الدائرة الحميدية في 2008م. إنها مليئة بالأخطاء المطبعية. (من مقالة الدائرة الحميدية للدكتور محمد أورنغ زيب، المجلد الأول)

يبتدئ هذا التفسير بمقدمة العلامة السيد سليمان الندوي لأول تفسيره لبسم الله الرحمن الرحيم وسورة الفاتحة كما يلي:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب، والصلاة والسلام على رسوله الذي أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب، وعلى آله وأصحابه الذين هم في الكتاب من أولي الألباب.

أما بعد فهذه فاتحة تفسير نظام القرآن الذي أنعم به الله على عبده المدعو بعبد الحميد الفراهي، تغمّده الله برحمته. قضى من عمره عشرين سنة بل أكثر في جمع فوائده وقيد أوابده فقضى نحبه ولم يتيسّر له إتمام ما بدء به فتركه مبعثرًا ومبثوثًا في الدفاتر غير سور أتمّ صنعها فأخرجها في صور الطبع، فقام صاحباه أختر أحسن وأمين أحسن الإصلاحيان اللذان تأدّبا بآدابه وتعلّقا بأهدابه، فلمّا شعث علمه، وجمعا ما تفرق منه في الأوراق فوضعاها في صور الكتب والرسائل ومنها هذه الفاتحة التي صيغت في قالب الطبع.

أتى المصنف في ديباجة الفاتحة بما خطّ لتفسيره من الأصول فتجد من ديدنه أنه يفسّر القرآن بعضه ببعض، ولا يعرج على الإسرائيليات التي لا سند لها فإن احتاج إليها نقلها من صحف بني إسرائيل نفسها فعلَ الإمام البقاعي في تفسيره "نظم الدرر" ثم يستند على أشعار العرب التي هي ديوانها، فيحلّ معضلات التفسير بلغات العرب ومحاورات كلامهم ويخلص إلى ما خلص من أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلى ما صحّ من أقاويل السلف من التابعين رحمهم الله، والعمدة عنده فيه تفسير الإمام ابن جرير الطبري، فيوفّق بين مختلف الأقوال ويأتي بفذلكة الكلام وينتهي إلى ما صحّ عنده من التأويل فيجود خاطره في فصل الخصومات، وتمييز الطيب من الخبيث، ومحص القول من الباطل ما تعنو له الألباب وتنقاد له الأفهام.

نعم، هو مولع بإبراز الخبايا من زوايا صحف بني إسرائيل وما ذلك إلا انتشار ما في هذا العصر بين الناس واعتراض علمائهم بين المسلمين بهفواتهم ونشوء طوائف مبتدعة بين المسلمين، جلّ بضاعتهم تحريف الكلام، والغارة على صحف بني إسرائيل، وتأويل القول بما لا يرضى به قائله فاعترى صاحبنا بما هداه الله ليقوم للذّب عن الدين والدفع عن القرآن.

ثم هو يخرج من ذخائر الإشارات كنوز الرموز وهو كما صرح به ليس بتفسير ولا تأويل بل شيء أدّاه إليه ذوقه ووجدانه، والمجتهد قد يصيب وقد يخطئ، وشأنه فيه شأن صاحب "روح المعاني" في إشاراته في التفسير، لا شأن الباطنية والحكماء والمتصوفة الذين لا خلاق لهم.

والأمر الذي فاق به الأقران، وسبق الذين برزوا لتفسير القرآن، اعتناؤه بربط الآيات ونظام السور، وترصيف الكلام فهو السابق في هذا الزمان. سلك طريقًا غيرّ معبّد يظنّه الجاهل غريبًا وما هو إلا سنة أفاضل الصحابة وطريقة علماء التابعين فكل ما قالوه ليس من طريق النقل بل أدّى إليه اجتهادهم وتدبرهم في الآيات تدبرَ خاشعٍ لله ومبتغٍ للحق ومتبعه كما ترى الإمام الطبري في تصحيح الأقوال.

نسأل الله له السلامة، وندعو له بالكرامة ليجزل ثوابه يوم القيامة.[1]

اختلف الباحثون في عدد السور التي فسرها الإمام الفراهي فقال بعضهم هي أربعة عشر سورة وقال بعضهم هي خمس عشرة سورة وغير ذلك. وأظن سبب هذا الاختلاف الرئيسي هو طبعات " تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" المختلفة بالعربية والأردوية وطبعة تفسير كل سورة على حدة في بداية الأمر.

في بداية الأمر طبعت أجزاء تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان باللغة العربية

[1] طبعت هذه الفاتحة من مطبعة "إصلاح" بسرائ مير في 1357هـ

على حدة باسم "تفسير سورة.... من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، فطبع تفسير سورة الفاتحة والبسملة، والذاريات، والتحريم، والقيامة، والمرسلات، وعبس، والشمس، والتين، والعصر، والفيل، والكوثر، والكافرون، وأبي لهب. هذه الأجزاء طبعت من مطبعة فيض عام، علي كره، أو من مطبعة معارف، أعظم كره، وأكثرها طبعت في حياة الإمام الفراهي. هذه الأجزاء نشرت فيما بعد باسم "تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" في مجلد واحد من الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، أترا براديش، الهند سنة 2008م (631 صفحة)، وأفرد تفسير آية بسم الله الرحمن الرحيم من تفسير سورة الفاتحة في هذا الكتاب فبلغ عدد تفسير السور إلى أربعة عشر سورة.

إنّ بعض الباحثين قد ضمّ إلى الكتاب تفسير سورة الحشر وهو ليس بصحيح، ولذلك يوجد الاختلاف في عدد السور الذي فسّرها الإمام الفراهي.

كما طبع تفسير سورة البقرة باسم تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان سورة البقرة على حدة، من الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، أترا براديش، الهند، 1420هـ/ 2000م، الطبعة الأولى، 296 صفحة ولذلك لم يشمل في "تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" الذي أصدرته الدائرة الحميدية.

هذا التفسير وغيره شامل في طبعة دار الغرب الإسلامي، تونس للكتاب ولذلك بلغ عدد السور الذي فسرها الإمام الفراهي إلى سبع عشرة سورة.

قد ترجم الشيخ أمين أحسن الإصلاحي الأجزاء المذكورة من تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان باللغة الأردوية على حدة ثم جمعها وأصدرها باسم "مجموعه تفاسير فراهي" (مجموعة التفاسير للفراهي) من لاهور، باكستان وضمّ إليه تفسير سورة الإخلاص باللغة الأردوية الذي طبع على حدة من قبل. كما أفرد تفسير آية بسم الله الرحمن الرحيم من تفسير سورة الفاتحة في هذا الكتاب فبلغ عدد تفسير السور إلى خمس عشرة سورة.

قد طبع تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان باللغة العربية مرتين: مرة من الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، ومرة من دار الغرب الإسلامي، تونس، جزآن ويوجد الاختلاف بين مباحثهما وترتيبهما مثلاً لا يوجد تفسير سورة البقرة، وآل عمران، وسورة الحج في طبعة الدائرة الحميدية، وهذه التفاسير شاملة في طبعة دار الغرب الإسلامي، وكما لا يوجد مبحث "فاتحة نظام القرآن" في طبعة دار الغرب الإسلامي وهو موجود في طبعة الدائرة الحميدية.

وكما طبع باللغة الأردوية مرتين: مرة من مؤسسة فاران، لاهور، باكستان، ومرة من الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند ولكن يوجد الاختلاف بين اسمهما فطبع باسم "مجموعه تفاسير فراهي" (مجموعة التفاسير للفراهي) في باكستان وطبع في الهند باسم "تفسير نظام القرآن".

يوجد الفرق البسيط بين الطبعتين بأن ذكرت الموضوعات لكل سورة في بداية تفسير السورة في طبعة الدائرة الحميدية ويوجد فهرس الموضوعات بالتفصيل في نهاية المجموعة في طبعة فاران، لاهور. وكما لا يوجد "تقديم الطبعة الثانية المذكورة في طبعة فاران" في طبعة الدائرة الحميدية، ولا يوجد "حرفى جند" (كلمات) المذكورة في طبعة الدائرة الحميدية" في طبعة فاران.

إليكم الجدول لطبعات تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان باللغة العربية والأردوية. ويبدو من هذا الجدول كل أمر واضح يتعلق من التفسير المذكور.

تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان (العربية)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح،	نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان (العربية)، اعتناء الدكتور عبيد الله الفراهي، دار الغرب	مجموعه تفاسير فراهي (الأردوية) مؤسسة فاران، لاهور،	تفسير نظام القرآن (الأردوية) الدائرة الحميدية، مدرسة

سرائ مير، أعظم كره، يو-بي، الهند،2008م، الطبعة الأولى، 631 صفحة.	الإسلامي، تونس، 1433هـ/2012م، الطبعة الأولى، جزآن، 1001 صفحة -الجزء الأول: 494 صفحة + 10 (كلمة الجامعة) - الجزء الثاني: ص495-1001).	باكستان، صفر 1412ه / أغسطس 1991م، 542 صفحة+ صفحتان (فهرس وتقديم الطبعة الثانية كتبه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي 28 فبراير 1973م)	الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الهند،سنة 1411هـ/ 1990م من مطبعة روبي آفسيت بريس، دهلي، 536 صفحة..
تقديم العلامة السيّد سليمان الندوي (بدون أي عنوان) ص 1-2	كلمة الجامعة، ص الف-ي	الفهرس (بدون ذكر رقم الصفحة)	المحتويات (ص 3- 4)
خطبة نظام القرآن، ص 3-11	ترجمة المؤلف، ص 1-3 • ترجمة المؤلف بقلمه، ص 1-2 • ترجمة المؤلف بقلم الشيخ تقي الدين الهلالي، ص 2-3	تقديم الطبعة الثانية (بدون ذكر رقم الصفحة)	حرفى جند (ص 5)

فاتحة نظام القرآن، ص 13-72	خطبة الكتاب، ص 5-12	دیباجه بقلم الشیخ أمین أحسن الإصلاحي (ص 1- 3)	دیباجه بقلم الشیخ أمین أحسن الإصلاحي (ص 6-8)
تفسیر آیة بسم الله الرحمن الرحیم، ص 73-81	تفسیر آیة بسم الله الرحمن الرحیم، ص 13-24	حیاة المؤلف الموجزة بقلم الشیخ أمین أحسن الإصلاحي (ص 5-24)	حیاة المؤلف الموجزة بقلم الشیخ أمین أحسن الإصلاحي (ص 9- 26)
تفسیر سورة الفاتحة، ص 83-116	تفسیر سورة الفاتحة، ص 25-58	مقدمة تفسیر نظام القرآن (ص 25-66)	مقدمة تفسیر نظام القرآن (ص 27-66)
تفسیر سورة الذاریات، ص 117-178	تفسیر سورة البقرة، ص 59-325	تفسیر آیة بسم الله الرحمن الرحیم (ص 67- 76)	تفسیر آیة بسم الله الرحمن الرحیم (ص 67- 76)
تفسیر سورة التحریم، ص 179-210	تفسیر سورة آل عمران، ص 327-412	تفسیر سورة الفاتحة (ص 77- 90)	تفسیر سورة الفاتحة (ص 77- 90)

	يشتمل تفسير سورة آل عمران علي المسودتين - تفسير سورة آل عمران (ص327-371) - تفسير سورة آل عمران (مسودة أخرى أقدم من السابقة) ص 373-412.		
تفسير سورة القيامة، ص 211-244	تفسير سورة الحج، ص 413-436	تفسير سورة الذاريات، ص 91- 154	تفسير سورة الذاريات، ص 91- 154
تفسير سورة المرسلات، ص 27-245	تفسير سورة الذاريات، ص 437-496	تفسير سورة التحريم، ص 155- 187	تفسير سورة التحريم، ص 155- 187
تفسير سورة عبس، ص 271-307	تفسير سورة التحريم، ص 497-528	تفسير سورة القيامة، ص 189- 220	تفسير سورة القيامة، ص 189- 220
تفسير سورة الشمس، ص 309-333	تفسير سورة القيامة، ص 529-560	تفسير سورة المرسلات، ص 221- 246	تفسير سورة المرسلات، ص 221- 246

تفسير سورة التين، ص 335-377	تفسير سورة المرسلات، ص 561-585	تفسير سورة عبس، ص 247- 278	تفسير سورة عبس، ص 247- 278
تفسير سورة العصر، ص 379-414	تفسير سورة عبس، ص 587-619	تفسير سورة الشمس، ص 279- 302	تفسير سورة الشمس، ص 279- 302
تفسير سورة الفيل، ص 415-480	تفسير سورة الشمس، ص 621-642	تفسير سورة والتين، ص 303- 334	تفسير سورة والتين، ص 303- 334
تفسير سورة الكوثر، ص 481-547	تفسير سورة التين، ص 643-681	تفسير سورة والعصر، ص 335- 362	تفسير سورة والعصر، ص 335- 362
تفسير سورة الكافرون، ص 549-571	تفسير سورة العصر، ص 683-713	تفسير سورة الفيل، ص 363- 410	تفسير سورة الفيل، ص 363- 410
تفسير سورة اللهب، ص 573-615	تفسير سورة الفيل، ص 715-775	تفسير سورة الكوثر، ص 411- 462	تفسير سورة الكوثر، ص 411- 462
فهرس الموضوعات، ص617-631	تفسير سورة الكوثر، ص 777-837	تفسير سورة الكافرون، ص 463- 482	تفسير سورة الكافرون، ص 463- 482
	تفسير سورة الكافرون،	تفسير سورة	تفسير سورة

	ص 839-857	اللهب، ص 483- 516	اللهب، ص 483- 516
	تفسير سورة اللهب، ص 859-899	تفسير سورة الإخلاص، ص 517- 534	تفسير سورة الإخلاص، ص 517- 536
	الفهارس، ص 901- 1001	فهرس الموضوعات بالتفصيل، ص 535-542	

اعترف العلماء الكبار بأهمية التفسير المذكور فلما رأى بعضَ أجزاء تفسيره العلامة رشيد رضا قال:

"... وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من النظر فإذًا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير... وأن للمؤلف لفهمًا ثاقبًا في القرآن وأن له فيه مذاهب في البيان وطرائق في الاستطراد ...".

قد أرسل الإمام الفراهي بعض أجزاء تفسيره إلى العلامة شبلي فألقى نظرته عليه ولكن لم يطمئن به في بداية الأمر- وفيما بعد اطمئن به- فكتب إليه في إحدى رسائله:

"فلما ألقيت النظر لأول مرة ما فهمت الأعداد، ولكن الآن رأيتها حسب إرشادك بالأعداد، ثم ألقيت النظر على أجزاء نظام القرآن، لا ريب إني علمت الروابط بين الآيات، ولكن أنت تقوم بالربط بين الآيات، ولكن فصّل الآيات الأخرى بين تلك الآيات، سوف لا يضيع هذا الجهد إن شاء الله، وتحل العقد بعد اللقاءات الأخرى إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ".[1]

[1] مكاتيب شبلي، المصدر نفسه، رقم الرسالة: 20

وكتب إليه في رسالته 11مايو 1903م:

"فألقيت النظر على "نظام القرآن" من البداية إلى النهاية، لا أجد أيّ حلاوة في الأسلوب والعبارة، ولكن لا أتمكن أن أقدم الرأي، فما أردت من الرابط بين الآيات وهو ينسجم بالمعني البعيد، وأنك كتبت الروابط بالأرقام التسلسلية، ولكن لم تنقل الآيات القرآنية، ولذا أحتاج إلى الرجوع إلى القرآن الكريم.

والأمر الآخر المهم أنك تأخذ الآيات المربوطة، وتترك الآيات غير المربوطة، وهي التي تفرق المطالب، وتشتت المعاني. فأرسل إليّ أجزاء أخر، فما حصلت من النجاح وهو مغنمة، وإن صرفت هذه الجهود في أمر يمكن الحصول عليه بكل سهولة، فبلغت إلى مبلغ لم يبلغ إليه أحد".[1]

وكما كتب عن بعض أجزاء تفسيره في إحدى رسائله ديسمبر عام 1905م "فما أريد أن أقوم باستعراض هذا الكتاب، كما لا نتبع فيه أماني مؤلفه، إنّ هذا الكتاب مهم جدًا للمسلمين كاحتياج العاطش إلى الماء، وإنا نود أن نكتب له دراسة شاملة، ولكن الأسف أنّ المؤلف ألّف هذا الكتاب في اللغة العربية، ولذا لا يتمكن كل فرد من التمتع به".[2]

ويكتب في رسائله الأخرى إليه: "سألقي النظر على "نظام القرآن" إن شاء الله بكل شوق ورغبة، ولكن بدّل اسمه باسم "نظم القرآن" لأنّ الجاحظ وعبد القاهر صنّفا في هذا الموضوع، وسمّيا كتابهما باسم "نظم القرآن" لأنّ لفظ "نظام" لا يحلو لي".[3]

ويقول إحدى رسائله: "وصل خطابكم، اتمني منكم بمثل هذه الرسائل، وأجيبه بكل رغبة، وما تولد فيك رغبة نظام القرآن فأهنأكم على ذلك".[4]

[1] المصدر نفسه، رقم الرسالة: 14.
[2] المصدر نفسه، رقم الرسالة: 20 و28.
[3] المصدر نفسه، رقم الرسالة: 13.
[4] المصدر نفسه، رقم الرسالة: 11.

وكما يكتب في رسالة إليه في 1/يونيو: "نعم، الآن، أقرأ القرآن وأطالعه بالربط بين الآيات، ثم أطلعك عليه".[1]

وقد اعترف العلامة شبلي جودة أسلوب تفسير نظام القرآن في إحدى رسائله فقال: "طالعت تفسيرك نظام القرآن من أوله إلى آخره، ولا شك في حسن العبارة وجمال الأسلوب".[2]

قد ذكر الشيخ مناظر أحسن الغيلاني ميزات التفسير فقال: الميزة النيرة لهذا التفسير إلى جانب ميزاته الأخرى هي أنه أثبت فيه الربط والمناسبة بين الآيات القرآنية كلها، وفي بعض الأحيان تدل هذه الروابط المتواجدة فيما بين الآيات على أنّ هذا الكتاب منزل من الله، لا غير".[3]

قد اعترف أ.د. احتشام أحمد الندوي[4] مساهمة الإمام الفراهي في مجال تفسير القرآن الكريم فقال: "أما تفسيره للقرآن وهو أيضًا يمتاز بمزايا كثيرة، إنه فسّر القرآن بالقرآن، ثم إنه بحث عن ربط الآيات بالآيات والسور بالسور ورأى مبدأ القرآن هو منظم مربوط من حيث المعاني والألفاظ والموضوعات، ومبدأ آخر له في تفسير القرآن هو أنه كان يعتقد أنّ القرآن قد نزل في بيئة جاهلية خاصة فلا بد لمفسر القرآن أن يطالع أحوال هذا المجتمع الجاهلي ويدرس رواياتهم وأخبارهم ونظرتهم إلى الأشياء والأمور وطراز تفكيرهم في الكون والحياة، فلا يمكن فهم القرآن عنده إلا بعد أن تعرف البيئة الجاهلية وحياتها وآدابها وعقيدتها معرفة كاملة.

... ولا شك أنّ لتفسير "نظام القرآن" مزايا كثيرة لا نجد في تفاسير أخرى ويبدو جلياً

[1] المصدر نفسه، رقم الرسالة: 21

[2] رسائل شبلي، رقم الرسالة: 19

[3] هندوستان مين مسلمانون كا نظام تعليم وتربيت للشيخ مناظر أحسن الغيلاني ندوة المصنفين، دلهي، 1944م، 2/80-279

[4] كان رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كاليكوت

أنّ المفسر قد بذل فيه جهدًا جهيدًا وأمضى له سنين فجاء بشيء نادر، شيء يستحق كل إعجاب وتقدير، يقول عبد الحميد الفراهي نفسه: "فقد اجتهدت في هذا الكتاب بحول الله وبتوفيقه أنْ أكشف عن نظام القرآن وأفسره تفسيرًا ساذجًا غير خالط به من اختلاف نجم فينا بعد عصر نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فالتمست معنى الآيات من إخواتها وكذلك استنبطت نظام السورة من أعمافها ومن نفس سياقها ثم بعد ذلك أيدت ما فهمنا من القرآن بالنقل والعقل ففي أمر النظام تدليت في غور الكلام بالبصر النافذ".

فإنّ المؤلف قد اهتم بأن يفسر القرآن بالقرآن ويبين ربط الآيات بعضها ببعض وكذلك خاتمة تفسير نظام القرآن.

تناول نظام سور القرآن ففسّر ربط السور بعضها ببعض، وقد أحسن العلامة السيد سليمان الندوي حينما قال: "والأمر الذي قد فاق الأقران وسبق الذين برزوا لتفسير القرآن اعتناؤه بربط الآيات ونظام السور، ترصيف الكلام فهو السابق في هذا الزمان، سلك طريقًا غير معبّد يظنه الجاهل غريبًا وما هو إلا سنة أفاضل الصحابة وطريقة علماء التابعين، فكل ما قالوه ليس من طريق النقل، بل أدّى إليه اجتهادهم وتدبرهم في الآيات تدبر خاشع لله ومتبع للحق كما ترى الإمام الطبري في تصحيح الأقوال".

المزية الأخرى التي قد امتاز بها المؤلف هي أنه لم يقتبس الإسرائيليات إلا من صحف بني إسرائيل نفسها لقول العلامة السيد سليمان الندوي ثم على أشعار العرب التي هي ديوانها فيحلّ معضلات التفسير بلغات العرب ومحاورات كلامهم ويخلص إلى ما خلص من أحاديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ "ثم يخرج من ذخائر الإشارات كنوز الرموز وهو كما صرح به ليس بتفسير ولا تأويل بل شيء أداه إليه ذوقه ووجدانه، والمجتهد قد يصيب وقد يخطىء وشأنه فيه شأن صاحب روح المعاني في إشارته في التفسير، لا شأن الباطنية ولا الحكماء المتصوفة الذين لا خلاق لهم".

وهذه المزايا التي أشار إليها العلامة السيد سليمان هي تثبت جيدًا أنّ الأستاذ عبد الحميد

الفراهي كان من أعلم الناس برموز القرآن وحقائقه بين أقرانه بغير خلاف.

قد قام الدكتور محمد يوسف الشريحي[1] بدراسة منهج الإمام الفراهي في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" فكتب:

"قبل أن نتكلم عن منهج الإمام الفراهي في تفسيره، لا بد من الحديث عن منهج الإمام الفراهي في التأليف بشكل عام. فإن الناظر في كتبه يجد أن العلامة الفراهي لا يقصد من خلال مؤلفاته الإكثار من التأليف أو إخراج كتاب، وإنما الهدف من مؤلفاته هو تقديم الجديد حتى إذا آتت الفكرة أكلها واستوت على ساقها، أخرجها إلى حيز الوجود وسجّلها في الكراريس المعدة لذلك تحت هذا العنوان وكتب عليها "من كتاب" وتبقى الفكرة تدور في رأسه وهو يعمل على إكمالها وتهذيبها وترتيبها وتنسيقها. لذلك كان يؤلف عدة كتب في وقت واحد ويترك فراغات كثيرة ليعيد النظر فيها فيما بعد. ومن هنا فقد بقي أكثر مؤلفاته ناقصًا لهذه الطريقة في التأليف".[2]

منهجه في تفسيره:

من خلال النظر في عنوان الكتاب "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" نجد أن الإمام الفراهي ركّز في تفسيره على جانب مهم من التفسير وهو مراعاة النظم ويقصد به الوحدة الموضوعية للسورة، إذ كل سورة لها موضوع معين يسمّيه عمود السورة تدور عليه بأجزائها المترابطة فيما بينها ترابطًا معنويًا محكمًا، ويرى الفراهي أنّ المناسبة غير النظام فإنّ التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئًا واحدًا مستقلًا بنفسه، وطالب التناسب ربما يقنع

[1] أستاذ التفسير الأسبق بجامعة دمشق، توفي سنة 2016م

[2] انظر على سبيل المثال الكتب الآتية: القائد إلى عيون العقائد ولاحظ البياضات التي تركها المؤلف في معظم الكتاب، وكذلك رسائله في علوم القرآن، دلائل النظام وأساليب القرآن، والتكميل في أصول التأويل وغيرها.

بمناسبة ما. فربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام فيصير شيئًا واحدًا. وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها، فإنّ عدم الاتصال بين آيات متجاورة يوجد كثيرًا ومنها ما ترى فيه اقتضابًا بينًا. وذلك إذا كانت الآية أو جملة من الآيات متصلة بالتي على بعد منها. وهذا ما صرح به الإمام الفراهي بقوله: "وبالجملة فمرادنا بالنظام أن تكون السورة كلامًا واحدًا، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة أو بالتي قبلها أو بعدها على بعد ما. فكما أنّ الآيات ربما تكون معترضة فكذلك ربما تكون السورة معترضة. وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلامًا واحدًا ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر".[1] "ولا بد لحسن النظام من أن يكون الكلام حسن الترتيب، حسن التناسب، قوي الوحدانية".[2]

ولا بأس عنده من تعدد النظام فإنّ ذلك مما يسوغ فيه كثرة التأويل إذ لاتضاد في كثرة وجوه المناسبة كما لا تضاد في كثرة وجوه الحكمة في أمر واحد.[3]

والنظام عند الفراهي ليس أمرًا مقصودًا لذاته وإنما هو المنهاج الصحيح لتدبر القرآن. وهو الحكم عند تضارب الأقوال والمرجح عند تعدد الاحتمالات، وهو الإقليد الذي تفتح به كنوز حكمة القرآن.

والعلامة الفراهي بطبيعة الحال قد اطلع على كتب من تقدّمه من العلماء المهتمين بهذا العلم وقد ذكر ذلك في ديباجة كتابه "فاتحة نظام القرآن" ولكنه لم يقف عندما كتبوه ولم يقنع بما بذلوه من التماس الروابط بين آيات القرآن الكريم يقول: ولكنهم وإن كان سعيهم مشكورًا، لم يبذلوا جهدهم إلا في الكشف عن المناسبة بين الآيات المتجاورة

[1] دلائل النظام، ص 86-87.
[2] المصدر نفسه، ص 89.
[3] المصدر نفسه، ص 91.

أو السورة اللاحقة والسابقة، ولم يمنعوا النظر في الكشف عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام من أوله إلى آخره فيصير شيئًا واحدًا. فقنعوا بمجرد بيان المناسبة بينها من غير أن ينظروا إلى أمر عام شامل بكل ما يحتوي عليه الآية أو السورة. فلذلك لم يصيبوا في أكثر المواضع بل خبطوا فيها خبط عشواء.[1]

وتكلم أولًا عن النظم في سورة البقرة ثم في سورة القصص ثم حثّه ذلك على استيعاب الحديث عن نظم القرآن الكريم كله والذي اضطره إلى إخراج ما كتبه أمور:

الأول: ما رآه من أنّ جل الاختلاف بين العلماء في التأويل إنما يمكن في عدم التزامهم رباط الآيات يقول: "فإنه لو ظهر النظام واستبان لنا عمود الكلام لجمعنا تحت رأية واحدة وكلمة سواء (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ). (سورة إبراهيم: 24).

والثاني: إني رأيت الملحدين قد طعنوا في القرآن من جهة سوء النظم.[2]

والثالث: إنه لا يخفى أن نظم الكلام بعض منه فإن تركته ذهب بعض معناه.[3]

وفي الكشف عن نظام القرآن لا يلجأ الإمام الفراهي إلى مناهج أهل الفلسفة والمنطق أو المتصوفة، وإنما يعتمد على القرآن نفسه. وفي ذلك يقول رحمه الله: "أجمع أهل التأويل من السلف إلى الخلف على أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضًا وأنه أوثق تعويلًا وأحسن تأويلًا. فنقول: كما أنّ القرآن يفسّر مطالب آياته بعضها ببعض، فكذلك يدلّك على نظام مطالبها ومناسبتها بما يأتيك بنظائره فتكثر الشواهد على رباط أمر مع أمر. وبذلك يحثّك على التأمل في جامع وصلة بينها ثم يأتي عليه بأمثلة كثيرة بعضها أوضح من

[1] المصدر نفسه، ص 16، المقدمة. (أقول لعل الشيخ الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد بالغ هنا في وصفهم بأنهم خبطوا خبط عشواء ولا سيما أنه قد أثنى على جهودهم قبل قليل وشكر سعيهم؟) ومراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن العلماء لم يتهموا بهذا الجانب (وهو نظام القرآن) وإنما بذلوا جهودهم واستفرغوا وسعهم في تلمس الروابط وبيان المناسبات بين السور والآيات فقط (والله أعلم).

[2] هكذا وردت، ولعلها من سوء الفهم.

[3] فاتحة تفسير نظام القرآن، ص 2-4.

بعض حتى يتدرج بك على ما كان أدق وأغمض"[1] وجعل هذا من الأصول الأولية للتأويل فقال: "الأصل الثالث: فهم الكلام بعضه من بعض بالمقابلة وحمل النظير على النظير وذلك هو التأويل بالقرآن".[2]

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في أواخر سورة الأنفال (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) (سورة الأنفال: 72) وبعد ذلك جاء (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) (سورة الأنفال: 74) فلم يذكر (بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ) وهو مفهوم. ثم جاء بعيد ذلك (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ) (سورة الأنفال: 75) فلم يذكر (فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) ولا (بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ) ولكن ذلك مفهوم وقد دلّ عليه "مَعَكُمۡ".[3]

نجد أنّ الإمام الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحمل الآيات بعضها على بعض. فما أجمل في مكان بيّن في مكان آخر. وهذا هو الأصل الذي تدور عليه معظم كتبه في التفسير وعلوم القرآن.[4] ومما ورد في مقدمة الناشر لتفسيره: فالحق أن تفسير القرآن بالقرآن هو الأصل الأصيل عند الفراهي.[5]

وخير دليل على ذلك ما نص عليه، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في ديباجة فاتحة تفسيره إذ يقول: "أما بعد فقد اجتهدت في هذا الكتاب بحول الله وبتوفيقه أن أكشف عن نظام آيات القرآن وأن أفسّره تفسيرًا ساذجًا غير خالط به من اختلاف نجم فينا بعد عصر نبينا

[1] دلائل النظام، ص 83.

[2] التكميل في أصول التأويل (ضمن رسائل الفراهي في علوم القرآن)، ط2، الدائرة الحميدية، الهند، 1357ه، ص 263.

[3] المصدر نفسه، ص 263.

[4] انظر على سبيل المثال ص 242 من التكميل لترى المزيد من الأمثلة والتقريرات لهذا الجانب من التفسير، وتفسيره نظام القرآن يدور حول ذلك.

[5] نظام القرآن، مقدمة الناشر، ص 6 (أقول: وهو أيضًا منهج الكثير من أصحاب التفسير بالمأثور أمثال الطبري وابن كثير والسيوطي وغيرهم).

صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فالتمست معنى الآيات من أخواتها، وكذلك استنبطت نظام السورة من أعماقها ومن نفس سياقها. ثم بعد ذلك أيدت ما فهمنا من القرآن بالنقل والعقل. ففي أمر النظام تدلّيت في غور الكلام بالبصر النافذ. وفي أمر التفسير عضضت على كتاب الله بالنواجذ، وكنت في هذا على بصيرة من ربي، غير متبع لأحد. ومع ذلك لم أكن بمبدع في تتبع النظام، لأنّ جماعة من العلماء قصدوا إليه وصنفوا فيه".[1] ويتلخص منهج الإمام الفراهي في تفسيره في النقاط الآتية:

1. تفسيرالقرآن بالقرآن (وهو الأصل).
2. تفسير القرآن بالسنة (وهو محبب إلى قلبه).
3. فإن لم يجد رجع إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال.

يقول: "أول شيء يفسّر القرآن هو القرآن نفسه. ثم بعد ذلك فهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والذين معه، ولعمري أحبّ التفسير عندي ما جاء عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه"... ثم يقول: "وإني مع اليقين بأن الصحاح لا تخالف القرآن، لا آتي بها إلا كالتتبع بعدما فسّرت الآيات بأمثالها لكيلا يفتح باب المعارضة للمارقين الذين نبذوا القرآن وراء ظهورهم والملحدين الذين يلزموننا ما ليس له في القرآن أصل، ولكي يكون هذا الكتاب حجة بين فرق المسلمين وقبلة سواء بيننا. فإني ما أردت أن أجمع كل ما يتعلق بالقرآن فإنه كنز لا ينفد على كثرة المجتهدين. والكتب في التفسير كثيرة. فمن يسرح فيها نظر التحقيق يؤت من العلم ما شاء الله. ولكني أردت ما يكون كالأساس والأم والوسط والحكم. ولهذا اقتصرت على ما في القرآن، غير جاحد لما تركته. كما جمع الإمام البخاري -رَحِمَهُٱللَّهُ- في كتابه كل ما ثبت عنده من الحديث

[1] فاتحة نظام القرآن، ص 1.

متفقًا عليه مع ما ترك كثيرًا من الصحاح.[1]

والأمثلة على ذلك كثيرة. نذكر بعضًا من الروايات والأحاديث التي اعتمد عليها الفراهي في تفسيره. فعند تفسير قول الله تعالى (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ) (سورة البقرة: 61) قال: (ٱلْمَسْكَنَةُ) مفعلة من السكون، وتستعمل للعجز وسقوط الهمة وبؤس العيش. ومنها المسكين أي الذي سدّ عنه طرق الكسب. ودلّ على هذا المعنى ما جاء في الحديث: "ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان وإنما المسكين الذي لايسأل ولا يفطن له فيعطى"[2] فالمسكنة شدة العجز وبؤس العيش.[3]

وعندما تكلم الإمام الفراهي عن سورة البقرة بشكل إجمالي استشهد على ما يقول بكثير من الأحاديث مثل قوله: "المقدمة في بيان العهود الإلهية. قال: اعلم أن أصل عهودنا تحقيق العبودية الكاملة وهي الإيمان بكونه ربنا لا شريك له ويلزم أن نسلم به أنفسنا. فتفرع منها عهدان: عهد التوحيد وعهد الطاعة، ومنهما الإذعان لما أرسل إلينا. ولذلك قال: "مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ" (سورة النساء: 80). ونعبر عن العهدين بقولنا " لا إله إلا الله محمد رسول الله" وإليهما الإشارة في في قوله تعالى: "ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ" وإليه يلمع قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما رواه البخاري في صحيحه".[4] هنا لم يذكر الإمام الفراهي الحديث بل خرجه ولعله يقصد الحديث "ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار".[5]

موقفه من الإسرائيليات

أفاد الإمام الفراهي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من دراساته اللغوية (كالعبرية والإنكليزية والفارسية)

[1] المصدر نفسه، ص 7.
[2] البخاري (1479) ومسلم(1039).
[3] تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 255.
[4] تفسير نظام القرآن، ص 267.
[5] البخاري، كتاب العلم، باب: من خص بالعلم قومًا دون قوم.. رقم الحديث: 182.

في دراسة الأخبار الواردة عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى وهو لا يذكر الروايات الواردة في كتب التفسير بل يرجع إلى ما كتب عن القرآن بأيديهم ليقيم الحجة عليهم. يقول في فاتحة التفسير: "وبعد التمسك الشديد بالقرآن آتي بشهادات الكتب التي نزلت على من قبلنا كما آتى بما روي من الأحاديث تبعًا. والغرض كشف ما وافقت فيه الآيات وإقامة الحجة على الأمتين من كتبهم".[1]

وموقفه من الإسرائيليات هو موقف المفسرين عمومًا. فما وافق شريعتنا قبل وما خالف رفض وما سكت عنه فنحن بالخيار. وهذا ما صرح به في المقدمة الثانية في المآخذ الخبرية فقال: من المآخذ ما هو أصل وإمام، ومنها ما هو كالفرع والتبع، أما الإمام والأساس فليس إلا القرآن نفسه وأما ما هو كالتبع والفرع فذلك ثلاثة:

ما تلقته علماء الأمة من الأحاديث النبوية.

1. وما ثبت واجتمعت الأمة عليه من أحوال الأمم.
2. وما استحفظ من الكتب المنزلة على الأنبياء.

فينبغي لنا أن لا نأخذ منها إلا ما يكون مؤيدًا للقرآن وتصديقًا لما فيه. ثم يقول: "ومن نظر في الكتب السابقة استبان له فضل تعليم القرآن عليها، وإعادة بعض ما نسوه من كتبهم، وكشف ما بدلوه، والذي يهمّك هو أن تجعل بين ما نطق به القرآن وبين ما تجد في الفروع سدًا وحاجزًا فلا تخلطهما".[2]

ولعل سبب اهتمامه في ذلك مرده إلى تولي المستشرقين في عهده أعلى المناصب في الجامعات والمعاهد الدينية في الهند، وانتشار المنصرين في كل أرجاء الهند يوزعون صحائفهم المحرفة ويناظرون علماء المسلمين ويخادعون دهماءهم. مثال: قوله تعالى:

[1] ديباجة الكتاب، ص 7.
[2] المصدر نفسه، ص 10-11.

(أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾) (سورة البقرة: 44) قال الفراهي: "(وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ) حجة عليهم. فإنّ حقوق الفقراء وإن أخرجوها من سفر اللاوين- وهو كتاب النذور وحقوق الكهنة- فإنها باقية في سفر التثنية، ويقول (اذكر الآيات من التثنية)[1] وقد كانوا يكتمون هذا السفر لما فيه أمور خلاف رضاهم، وقد جعلوا التوراة مخزأة كما قال تعالى: (قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ) (سورة الأنعام: 91). وقد أنكر بعض متأخري النصارى هذا السفر والسبب الخفي لذلك أن فيه البشارة بنبينا عليه الصلوات".[2]

تلاحظ أن الإمام الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى إنما رجع كتبهم ليقيم الحجة عليهم.[3]

اهتمامه بالنواحي اللغوية والبلاغية

إنّ المطلع على مؤلفات العلامة الفراهي ليعجب إذا قيل له إنه أعجمي وخاصة كتبه في التفسير وعلوم القرآن. فقد كانت لغته قوية جزلة ناقش فيها الشعر الجاهلي وصحح بعض الأفهام في توجيهها. وعندما كتب مقدمة تفسيره "فاتحة نظام القرآن" واطلع عليها العلامة السيد رشيد رضا قال: "وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من النظر، فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير، يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية دون المباحث الفنية العربية. وإن للمؤلف لفهمًا ثاقبًا في القرآن، وإن له فيه مذاهب في البيان، وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها، والصدور عنها ريان من شواهدها".[4]

[1] قال الناشر: لعله يشير إلى 14: 29، 15: 7- 11، 24: 19-21، 26: 12-13.
[2] تفسير نظام القرآن، ص 232-233.
[3] انظر أمثلة ذلك في ص 226-227، 230-231، 248-249، 253 وما بعدها.
[4] من مقدمة الناشر لكتاب نظام القرآن، ص 4.

وقال تلميذه وصديقه عن مقدمة تفسيره: "وقد أجاد في تحبير هذه الخطبة ما شاء الله أن يجيد"[1] وهي التي سمعها العالم الأديب السلفي الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من لسان المؤلف حينما زاره في رحلته الأولى إلى الهند سنة 1342هـ فقال في مذكراته: "سمعت منه خطبة تفسيره للقرآن اغرورقت منها عيناي لفصاحتها وحقيقتها".[2] وقد قلت عنها سابقًا: "كأنها قبسات من التنزيل".

إنما ذكرت ذلك لأبين أن الإمام الفراهي الهندي سبق العرب في فصاحته وبلاغته بفضل عشقه للقرآن الكريم ولغته لغة العرب فأحبّ العرب وأقبل على لغتهم يلتهمها حتى برع فيها وبلغ من حبّه للعرب ما جعله يعد سيئاتهم إنما نبعت من الحسنات. وفي ذلك يقول: "وإنما كان القرآن معجزًا للعرب لما أنهم تأثروا له.[3] فإن العرب على علاتها كانت على سذاجة الفطرة وحب المعالي من الجود وصلة الرحم والغيرة والشكر ولا سيما شرفائهم وخيارهم حتى إن سيئاتهم نبعت من الخيرات".[4]

وهو في تفسيره يعتمد على القرآن الكريم نفسه كما بيّنت سابقًا في منهجه العام، ثم كلام العرب الأقحاح مع استفادته من كتب اللغة مراعيًا حدودها وقصورها يقول: "وأما كتب اللغة فمقصرة فإنها كثيرًا ما لا تأتي بحد تام ولا تميز بين العربي القح، ولا تهديك إلى جرثومة المعنى،[5] فلا يدري ما الأصل وما الفرع، وما الحقيقة وما المجاز؟ فمن لم يمارس كلام العرب واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد لفهم بعض المعاني من كتاب الله تعالى".[6]

[1] مقدمة الناشر للتفسير، ص 9.
[2] المصدر نفسه، ص 9.
[3] هكذا وردت، والمعروف عندنا (تأثروا به) والله أعلم.
[4] القائد إلى عيون العقائد، ط1، الدائرة الحميدية، الهند، 1395هـ، ص 181.
[5] أي أصل المعنى، والجرثومة: الأصل، انظر ابن الأثير، النهاية في علوم الحديث والأثر، 184/1.
[6] فاتحة نظام القرآن (ديباجة المؤلف)، ص 12.

قال مثل ذلك على بقية العلوم. فإن العلامة الفراهي يراها قاصرة عن بلوغ المرام، يقول: "وأما باقي علوم اللسان كالنحو والمنطق والأصول والبيان والبلاغة والقافية فالكتب المدونة فيها مع كثرة فوائدها أشد تقصيرًا من كتب اللغة لفهم القرآن".[1]

وكثيرًا ما يستشهد على توضيح المعنى المراد بالشعر وخاصة الشعر الجاهلي الذي تذوقه وعالجه وبين شواهده ويأتي على ذلك كما قال "بشهادة من أشعار العرب ليعلم الجاحد أنه أي القرآن لهو الأسلوب الأعلى".[2]

وبعد هذا العرض الموجز نبين منهجه بالتفصيل من خلال تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" وهذا الكتاب عاش مع العلامة الفراهي ومات ولم يكمله. وكان آخر ما كتبه هو تفسير سورة البقرة التي صدرت عن الدائرة الحميدية قبل ثلاث سنوات من الآن وقرابة سبعين سنة من وفاة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وقد بقيت في المسودة فصول لم تكتب وفقرات كتب عليها "أبهم هذا البيان فيكتب مرة أخرى".[3]

وقد صدر قديمًا أجزاء من هذا التفسير في حياة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان كل جزء مفردًا لتفسير سورة من السور الآتية: الذاريات، التحريم، القيامة، المرسلات، عبس، الشمس، التين، العصر، الكوثر، الكافرون، اللهب. ثم نشر بعد وفاته جزءان: جزء في تفسير سورة الفيل وآخر فيه مقدمة التفسير (فاتحة نظام القرآن) مع تفسير سورة الفاتحة والبسملة.

ولم يكن بدء المؤلف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بتفسير تلك السورة لسهولتها وقصرها كما يبدو أول وهلة. بل لما أشكل من نظامها أو أساليبها على كثير من المفسرين. وليتبين أنّ قصار السور ليست بأقل من طوالها في سعة مضامينها ودقة نظامها وكمال بلاغتها.

[1] المصدر نفسه، ص 13.

[2] المصدر نفسه

[3] انظر مقدمة الناشر لتفسير سورة البقرة من نظام القرآن، ص 3.

ففي سورة الفيل ذكر خمسة عشر مطلباً في تفسيرها:

1. في تفسير كلمات السورة.
2. في تعيين المخاطب بهذه السورة.
3. عمود السورة وربطها بالتي قبلها وبالتي بعدها.
4. بيان فضل الله بهذا البيت وأهله على سائر المعابد وذويه.
5. أمور مهمة مما يتعلق بتقديس مسجد وحفظه.
6. إجمال القصة حسبما نص عليه القرآن.
7. النظرة الأولى وهي فيما زعموا من سبب مجيء أبرهة وفرار أهل مكة وما جرى بينه وبين عبد المطلب.
8. النظرة الثانية وهي في رمي أصحاب الفيل بالحجارة وكونها من الآيات العظام.
9. النظرة الثالثة وهي فيما كان من أمر الطير التي أرسلت على أصحاب الفيل.
10. الاستدلال بكلام العرب على أنّ الرمي كان من السماء والريح.
11. في أكل الطير أصحاب الفيل تصديق لبشارة عظيمة في نبينا .صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ
12. أسباب صارفة عن التأويل الراجح.
13. بيان معنى الرمي بالحجارة وتمهيد للنظر في أصل رمي الجمار بمنى.
14. أصل سنة رمي الجمار.
15. أثر هذا التأويل في القلوب عند عمل رمي الجمار.

ويقع هذا التفسير في واحدة وأربعين صفحة مطبوعة طبعة حجرية بالخط الفارسي في مطبعة أعظم كره في الهند- كما بينت سابقًا- سنة 1354هـ.

قال في أولها: "في كلمات السورة: ليس في السورة كلمة غريبة، وإنما نفسرها لتتضح وجوهها وما يتعلق بها من الأحوال. فأما أصحاب الفيل فجيش أبرهة الأشرم".[1]

ومن مباحثه اللغوية تفسير الكيد قال: وأما الكيد فهو التدبير الخفي لضرر العدو. قال تعالى: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾) (سورة الطارق: 16) أيضًا في قصة فرعون (فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ) (سورة طه: 60) وأيضًا فيها (فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا) (سورة طه: 64) وأيضًا في كفار العرب (لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا) (سورة آل عمران: 120)

وقال النابغة:

يقودهم النعمان منه بمصحف وكيد يغم الخارجي مناجد[2]

وقال زهير بن أبي سلمى يصف الملك سنانًا:

له لقب لباغي الخير سهل وكيد حين تبلوه متين

أي تدبير محكم، وقال تعالى (وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾) (سورة الأعراف: 182، وسورة القلم: 45). وكذلك ينسب إليه الوهن والضعف. قال تعالى: (وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ) (سورة الأنفال: 18). وأيضًا (إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا) (سورة النساء:76) وكذلك ينسب إليه الضلال والتباب وعدم الهداية كما سيأتيك.[3]

يلاحظ كيف أنه جمع الآيات الواردة في الكيد ومن خلال السياق استطاع أن يعطي للكلمة معناها المناسب، مستشهدًا على ذلك بالشعر القديم. ويتابع التفسير. ففي تعيين المخاطب بهذه السورة يقول: "قبل النظر في عمود السورة وربطها، لا بدّ من

[1] تفسير سورة الفيل من نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 1.
[2] قال الجوهري في الصحاح: رجل مناجد: أي مقاتل.
[3] المصدر نفسه، ص 1-2.

تعيين المخاطب بهذه السورة ليتمهد السبيل إلى معرفة صحيح التأويل وربط المعنى وحسن الموقع. فاعلم أن الخطاب ههنا متوجه إلى جميع من رأى هذه الواقعة أو أيقن بها من طريق تواتر الحكاية ممن رآها[1]...إلخ.

وحين كلامه عن عمود السورة وربطها بالتي قبلها والتي بعدها قال: "ذكر القرآن في السورة السابقة كل همزة لمزة مفتخر بماله، ذاهل عن مآله فدعا عليه بالويل، وأنبأه بأنه ينبذ في الحطمة والنار الموقدة. ففي هذه السورة إشهاد على ما فعل بأمثاله حين اعتمدوا على قوة شوكتهم واجترؤوا على الله، لأنهم قد علموا في كتبهم حرمة هذا البيت العتيق.. إلخ

إلى أن يقول: "فاتضح مما قدّمنا أنّ عمود هذه السورة: تمهيد وجوب الشكر لله تعالى بذكر ما جعل لأهل مكة خصوصًا والعرب عمومًا من العز والكرامة بما حماهم وبلدهم ببركة هذا البيت المحرم. فجعل لذكر هذه النعمة سورة كاملة فلم يذكر ما يتعلق به من الحكم أي (فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ) فجعله في سورة تالية لكي يعرفوا منزلة هذه النعمة التي فضّلهم بها على سائر الأمم حتى بني إسرائيل، فإنهم أسروا وقتلوا ومزّقوا كلّ ممزق وكذلك أخذ عنهم بلدهم وهيكلهم ودمّر وحرق.

(وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ١٠٥)[2] (سورة البقرة: 105) فيعطي حسب علمه وحكمته فليشكروا له ولا يغتروا بنعمته. وإنا نذكر أسباب هذا التفضيل أنّ ذلك كان على غاية الحكمة".[3]

وقال مثل ذلك عن أول سورة قام بتفسيرها وهي سورة القيامة. فتكلم فيها عن عمود السورة وربطها بالتي قبلها، ثم بيان أسلوبها، وأن الكلام جارٍ على معنى متصل، ثم

[1] المصدر نفسه، ص 4.
[2] في الأصل (والله واسع عليم) ولعله سهو من المؤلف.
[3] المصدر نفسه، ص 7.

بيان وجه الاحتجاج فيها، ثم الكلام عن تفسير (لا أقسم) وهكذا إلى آخر السور...

ونختم بنماذج من تفسيرسورة البقرة وهي من آخر ما كتبه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وقد ذكرت بعض النماذج من تفسيره سابقًا وأضيف بعض النماذج لتتضح الصورة أكثر. وقبل الشروع في ذلك أحبّ أنْ أقتبس إليك بعض الكلمات من خطبته الجامعة المانعة التي أدهشت كبار العلماء وذرفت لها الدموع ذرفًا. فيقول بعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله وبعد بيان تاريخ هذا العلم والحال الذي وصل إليه قال: "إني تصفحت كتب التفسير وسبرتها سبرًا فما وجدتها إلا (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) فلم تبرد غلتي بل زادت قلبي حرًا، وملأت كبدي جمرًا، ففزعت إلى تدبير كتاب الله وسعة معانيه وتركت أقاويل الناس هجرًا. وكان بداية أمري أني بينما أجيل الطرف في نجوم الآيات، إذ أضاء لي في أفقها الأعلى سلك نظامها مثل الخيط الأبيض من الصبح، فما ازداد إلا سطوعًا وجهرًا، فكشف الحجاب عن فؤادي أو طحر[1] قذي عن عيني طحرًا فأبصرت قصدي وتبينت رشدي وصرت أعمل في أساليب نظامها وأعاجيب رباطها فكرًا، وقضيت على ذلك عصرًا، ومن أحسن عمري شطرًا، حتى ولّى الشباب ظهرًا، وأذاقني المشيب طعمًا مرًا، وكرت علي الأوجاع والأسقام كرًا، ولامني الصديق ونظر الحقود إلي شزرًا، بأني قد ركبت وعرًا، وتولّيت أمرًا إمرًا، ولكني لم أزل مشتغلًا بخصيصاي لا أقصر عنها قصرًا، كأن أمرًا من السماء يسوقني إليها قسرًا، لا أدري لعل الله وجد المسلمين عمياء مظلمة فأراد أن يرفع عن خرائد[2] القرآن خدرًا، وأراد أن يصلح آخر هذه الأمة بما أصلح به أولها فشرح من بعضهم لفهم كتابه صدرًا، ولولا هذا الرجاء لما اقتحمت من هذا الخضم غمرًا، ولولا حديث الألجام لما تصديت لأمر لو

[1] طحرت العين قذاها، تطحر طحرًا: رمت به، انظر الصحاح للجوهري "طحر".

[2] الخرائد جمع خريدة، وهي العذراء، ومن المجاز لؤلؤة خريدة: عذراء، انظر أساس البلاغة، ص 343.

نزل على الجبال لهبطت لعظمته خرًا، فتوكلت على الله (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ٣) (سورة الطلاق: 3). فإن شاء ربي سيجلي لنواظرك من القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان سفرًا بديعًا في خصائصه بكرًا، تجد أسفار القوم عن معظمها صفرًا، كاشفًا لك عن بديع نظام القرآن سترًا، متمسكًا بآياته في التأويل فكأني نذرت نذرًا أنْ أتمسك بآيات الله ونظامها فلا أجاوز عنها شبرًا، ناشرًا بين يديك حبرات من معجز بلاغته نشرًا، مطلعًا بك على ذروة الحكمة التي تعجز الحكماء دونها بهرًا، معتصمًا بأصول راسخة للتأويل يذعن لها أولو النهي إلا غمرًا، منتحيًا لتأويل واحد فتاركًا كل رث واهن وآخذًا ما كان محكمًا ممرًا، مجتنبًا غلوًا في الدين فلم أكن متخذًا الباطنية بطانة ولا الظاهرية ظهرًا، مفارقًا من لم يفرق بين سنة الله وسنن المخلوقات، فكذب بينات القرآن وحرف آياته زورًا ومكرًا، قائلًا للمبتدعة كلهم حجرًا وللملحدين جميعهم بهرًا: ذلك، وقد تبرأت من حولي وقوتي إلى توفيق ربي فما أشدنا إليه فقرًا! اللهم ربنا لا تؤاخذني بما نسيت أو أخطأت فأنت الغني الحميد، وأنا عبدك الحقير الفقير، فلا ترهقني من أمري عسرًا، واجعل اللهم ربنا عملي خالصًا لوجهك، واجعله لي في الآخرة وسيلة وذخرًا".[1]

إنك لتعجب كل العجب من هذا الكلام السلس المنمق، وقد طيع الله له اللغة العربية وهي ليست لغة الأم. فينتقي منها ما يريد ويدع ما يريد، فجاءت في غاية الإحكام والانسجام، وقد حبرها تحبيرًا.

ثم قسم تفسيره إلى سبعة عنوانات:

1. المقدمة.

[1] من خطبة الإمام العلامة الفراهي لتفسيره نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص 23-24.

2. الكلم.
3. النحو.
4. البلاغة.
5. التأويل.
6. التدبر.
7. النظم.

أما المقدمة: ففي أمور كلية من عمود السورة ومطالبها، ومواقع نزولها، ووجه خطابها، وترتيب أجزائها.

وأما الكلم: ففي معنى الكلمة ومادتها وصورتها والاستدلال فيه بالقرآن وكلام العرب.

وأما االنحو: ففي تأليف الكلمة والاستدلال فيه بالنظائر وحسن التأويل.

وأما البلاغة: ففي دلالة الأساليب على معان تناسب المحل.

وأما التأويل: ففي حمل الكلام على مراده حسب المحل، وفي ذلك معظم الاستدلال بالقرآن وكلام العرب.

وأما التدبر: ففي ذكر المبادئ والنتائج أي اقتضاء النص وإشارته، والاستدلال فيه بصريح العقل وكتاب الله.

وأما النظم: ففي بيان موقع جمله من الكلام ورباط بعضها ببعض.

ثم تناول السورة بالشرح والبيان وافيًا بما التزمه.

وسأعطيك مثالًا من تفسيره يمتع ناظريك، ويسر مقلتيك، ويجعلك تقبل عليه بكلتا يديك. وهو تفسير ثلاث كلمات من قوله تعالى (وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ) (سورة

البقرة: 45) يقول: "أي استعينوا بالصبر والصلاة على الإتيان بما أمرناكم به، والانتهاء عما نهيناكم عنه كما تقدم آنفًا.

واعلم أنّ المراد بهذا الأمر هو التمسك بالصلاة. وأما ذكر الصبر قبلها فلكونه شرطًا وذريعة إليها. فإن الصلاة لا يمكن التمسك بها إلا بالصبر. فالصلاة كجسر عظيم لا بد له من أساس شديد. قال تعالى مخاطبًا نبيه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (سورة طه: 132) وبيّن ذلك في الجملة التالية، فاطلب البيان من تفسيرها.

واعلم أنّ المراد من الاستعانة بالصلاة هو الاستعانة بالرب تعالى، كما هو ظاهر. قال تعالى: (قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ) (سورة الأعراف: 127) أي صلوا لربكم، وذلك بأن الصبر الذي جعله الله تعالى رأس الأمور وأساسها، هو الاستقامة بطمأنينة القلب على وعد الله، والاستحقار لما يقاسيه العبد من البلاء والأذى، كما قال تعالى: (فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) (سورة هود: 49). فهذه الصفة هي التي يلتصق بها العبد بربه ولا يزال قائمًا بين يديه مولاه توابًا أوابًا، قال تعالى: (وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ) (سورة الرعد: 22)، وقال تعالى: (فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾) (سورة ق: 39)، فالصبر من هذه الجهة من شرة الصلاة، ولذلك يعبر بالصابر عن المصلي، قال تعالى: (ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ) (سورة البقرة: 153) فنبه على أنّ الصابرين هم المصلون، فجعل الصبر دليلًا على الصلاة، فاكتفى بذكره عنها، وههنا جعل الصلاة دليلًا على الصبر، لكونه مشتملًا عليه، وسيأتيك ذكره في تأويل الآية التالية.[1]

ولولا ضيق المساحة في البحث لأتيتك من تفسيره بما يأخذ بالألباب، ويقضي منه

[1] تفسير نظام القرآن، ص 233-234.

العجب العجاب، ومن أراد المزيد فدونه الكتاب، فليقض منه وطرًا، ولينشر منه خبرًا، ويترحم على صاحب الجناب، أجزل الله مثوبته، وأسكنه فسيح جنته، ورزقنا وإياه متعة النظر إلى وجهه الكريم في المآب..

التوصيات:

1. بعد الاطلاع على جهود الامام الفراهي في التفسير وعلوم القرآن، فإن المرء ليعجب كيف بقي هذا العلم مغمورًا في الأوساط العلمية والثقافية طيلة هذه المدة، ولذلك لا بد من التعريف به وبجهوده في خدمة القرآن الكريم وعلومه.
2. قيام المؤسسات العلمية والمراكز التراثية بتحقيق كتبه ونشرها.
3. إضافة ترجمته إلى كتب الأعلام الشهيرة المعاصرة.
4. العمل على إقرار بعض كتبه في الجامعات، وهذا ما حصل في جامعة الإمارات العربية المتحدة بفضل جهود أخينا "أحمد حسن فرحات" جزاه الله خيرًا.
5. تكليف بعض طلاب الدراسات العليا في الكتابة عنه وعن جهوده في التفسير وعلوم القرآن، أو عن النظام عند الإمام العلامة عبد الحميد الفراهي، ولا يكتفى بما كتب عنه سابقًا.
6. ترجمة سائر كتبه التي كتبها بغير اللغة العربية إلى العربية اليوم ليعم النفع بها.
7. عقد مؤتمر دولي خاص به بمناسبة مرور (75) عامًا على وفاته.

إننا إذا فعلنا ذلك نكون قد أعطينا الرجل شيئًا من حقه، ولعله هو لا يريد كل ذلك، فقد عاش غريبًا، ومات غريبًا، فطوبى للغرباء.

ترجمة تفسير نظام القرآن باللغة الأردوية

قد قام الشيخ أمين أحسن الإصلاحي- تلميذ الإمام الفراهي- بترجمة أجزاء تفسير نظام

القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان بالأردوية بطريقة سلسة وسهلة ورائعة واستمر نشرها من حين لآخر تدريجيًا من الدائرة الحميدية كما يلي:

- مقدمة تفسير نظام القرآن، الإمام حميد الدين الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الطبعة الأولى، 90 صفحة، بدون تاريخ. (طبع من مطبعة كوه نور بريس، دلهي)

تفسير بسم الله سورة الفاتحة، الإمام حميد الدين الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره. له طبعتان، طبعا من مطبعة كوه نور بريس، دلهي.

- الطبعة الأولى، بدون تاريخ، 48 صفحة.

- أصدرت الدائرة الحميدية طبعته الثانية سنة 1981م، 48 صفحة. (طبعت الطبعتان من مطبعة كوه نور بريس، دلهي)

- تفسير سورة الذاريات

- تفسير سورة التحريم، الدائرة الحميدية، قرول باغ، دهلي، 1945م، الطبعة الأولى، 64 صفحة، (طبع من عليمي بريس (هكذا)، دلهي)

- تفسير سورة القيامة، الإمام حميد الدين الفراهي (الأردوية)الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير،أعظم كره، الطبعة الثانية، 66 صفحة، بدون تاريخ. (طبع من مطبعة كوه نور بريس، دلهي)

- تفسير سورة المرسلات، الإمام حميد الدين الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الطبعة الثانية، 56 صفحة، بدون تاريخ. (طبع من مطبعة كوه نور بريس، دلهي)

- تفسير سورة عبس، الإمام حميد الدين الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة

الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الطبعة الثانية، 70 صفحة، بدون تاريخ. (طبع من مطبعة كوه نور بريس، دلهي)

- تفسير سورة والشمس، الإمام حميد الدين الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الطبعة الثانية، 52 صفحة، بدون تاريخ. (طبع من مطبعة كوه نور بريس، دلهي)
- تفسير سورة والتين، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الطبعة الثانية، 71 صفحة، بدون تاريخ. (طبع من مطبعة كوه نور بريس، دلهي)
- تفسير سورة والعصر، الإمام حميد الدين الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الطبعة الثانية، 64 صفحة، بدون تاريخ. (طبع من مطبعة كوه نور بريس، دلهي)
- تفسير سورة الفيل، الإمام حميد الدين الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الطبعة الثانية، 100 صفحة، بدون تاريخ. (طبع من مطبعة كوه نور بريس، دلهي)
- تفسير سورة الكوثر، الإمام حميد الدين الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، 1958م، الطبعة الثانية، 120 صفحة. (طبع من مطبعة كوه نور بريس، دلهي)
- تفسير سورة الكافرون، الإمام حميد الدين الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الطبعة الثانية، 48 صفحة، بدون تاريخ. (طبع من مطبعة كوه نور بريس، دلهي)
- تفسير سورة اللهب، الإمام حميد الدين الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الطبعة الثانية، 76 صفحة، بدون تاريخ.

(طبع من مطبعة كوه نور بريس، دلهي)

وفيما بعد نشرت تلك المترجمات من باكستان في الأيام الغابرة بعنوان "مجموعة تفاسير للفراهي" مرة بعد مرة وشعر بضرورة نشرها في الهند فأعاد الشيخ أختر أحسن الإصلاحي النظرة في تلك المجموعة ونشرت من الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره باسم "تفسير نظام القرآن" سنة 1411هـ/1990م من مطبعة روبي آفسيت بريس، دهلي، 536 صفحة.

والجدير بالذكر أنّ الشيخ أمين أحسن الإصلاحي ضمّ إلى المجموعة الصادرة عن باكستان "تفسير سورة الإخلاص" للإمام الفراهي الأردوي لكي تكتمل مجموعة تفاسير الإمام الفراهي بالأردوية مؤلفًا أو مترجمًا.

المصادر والمراجع

(مختارة)

1. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1988م
2. أساليب القرآن لعبد الحميد الفراهي، جمع: بدر الدين الإصلاحي، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، 2003م
3. أسباق النحو لحميد الدين الفراهي، مطبعة تانده، فيض آباد، د.ت
4. أقسام القرآن للفراهي (ترجمة: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، الطبعة الثانية، بدون تاريخ
5. أمثال آصف الحكيم لآصف الحكيم، مكتبة الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، عام 1985م
6. إمعان في أقسام القرآن للإمام عبد الحميد الفراهي، دار القلم، دمشق، 1994م
7. الإمعان في أقسام القرآن للشيخ المعلم عبد الحميد الفراهي، دار القرآن الكريم، الكويت، 1980م
8. البداية والنهاية لابن كثير، دار الريان للتراث، القاهرة، 1988م
9. تحفة الإعراب للفراهي، مطبعة الدائرة الحميدية، سرائ مير، د.ت.
10. تفسير سورة التحريم للشيخ حميد الدين الفراهي، (ترجمة: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، ط2، كوه نور برنتنك بريس، دهلي، د.ت.
11. تفسير سورة الشمس للشيخ حميد الدين الفراهي، (ترجمة: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائي مير، أعظم كره، ط2، د.ت.
12. تفسير سورة القيامة للشيخ حميد الدين الفراهي، (ترجمة: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، ط2، كوه نور برنتنك بريس، دهلي، د.ت.

13. تفسير سورة الكافرون للشيخ حميد الدين الفراهي، (ترجمة: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي)، ط2، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائي مير، أعظم كره، 1990م
14. تفسير نظام القرآن للفراهي (ترجمة أردوية)، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، 1969م
15. تفسير نظام القرآن للفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره، الطبعة الأولى، د.ت.
16. التكميل في أصول التأويل للفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، ط2، 1411هـ
17. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى، 1987م
18. حضارة العرب لغوستاف لوبون (ترجمة: عادل زعيتر)، د.م.، 2012م
19. الدكتور فريد راوي عبد الله، الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، دار الشاكر، سلانجور، ماليزيا، د.ت.
20. ديوان الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم، شرح مجيد طراد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1998م
21. ديوان امرئ القيس، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2006م
22. ديوان عمر بن ربيعة، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: الدكتور فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992م
23. رسائل في علوم القرآن للإمام عبد الحميد الفراهي، المجموعة الثانية، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، أعظم جراه، الهند، 2011م
24. سيرت سرور عالم للشيخ السيد أبي الأعلى المودودي، مركزي مكتبة إسلامي ببلشرز، نيو دهلي، د.ت.
25. الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه للدكتور يحيى الجبوري، ط5، 1986م
26. علامه حميد الدين فراهي، حيات وأفكار، الدائرة الحميدية، سرائمير، أعظم كره، 1992م

27. القائد إلى عيون العقائد للإمام عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، الهند، ط1، 1395هـ
28. الكشاف للزمخشري، دار المعرفة بيروت، لبنان، د.ت.
29. معجم المطبوعات العربية المعربة (ترتيب) يوسف الياس سركيس، مطبعة سركيس، مصر، 1928م
30. مفردات القرآن (نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية) للإمام عبد الحميد الفراهي، شرح وتحقيق: د. أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002م
31. المفصل في علم العربية للإمام الزمخشري، دار الجيل، د.ت
32. مولانا حميد الدين كي بنيادي أفكار لألطاف أحمد الأعظمي، البلاغ بلي كيشنزن دلهي الجديدة، 2010م
33. نظام القرآن للفراهي (ترجمة أردوية)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، 1996م
34. هندوستان مين مسلمانون كا نظام تعليم وتربيت للشيخ مناظر أحسن الغيلاني ندوة المصنفين، دلهي، 1944م
35. ياد رفتگان للسيد سليمان الندوي، دار المصنفين، أعظم كره، 1986م

ISSN: 2321-7928

استعراضات لمؤلفات الإمام الفراهي

- الشيخ سعيد أحمد الأكبرآبادي[1]

ترجمة من الأردوية: د. نصير الدين[2]

[عندما صدرت مؤلفات الإمام عبد الحميد الفراهي أرسِلتْ إلى مختلف محرّري مجلات الهند وخارجها لكي يقوموا باستعراضها. ومن بين هؤلاء المحرّرين الهنود الشيخ سعيد أحمد الأكبرآبادي الذي كان مدير تحرير مجلة "برهان" الشهرية الصادرة من ندوة المصنفين بدلهي. فقام الشيخ الأكبرآبادي باستعراضها والتعليق عليها. ننشر فيما يلي ما يهم من آرائه تاركين التفاصيل المطبعية وآراءه عن الترجمات، وسننشر في الأعداد الخاصة الأخرى بالإمام الفراهي استعراضاتِ المحرّرين الآخرين. د. الأعظمي]

1. **فاتحة تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالقرآن (المجلد: 2، العدد: 3، الصفحات: 237-238):** كان العلامة حميد الدين الفراهي- رحمه الله- من العلماء المشهورين في عصرنا، وكان ذوقه للقرآن وفهم معانيه موهوبًا. وكان قد بدأ تأليف تفسيرٍ بأسلوب جديد سمّاه بـ"تفسير نظام القرآن" بعد الإمعان في حقائق القرآن ومعانيه لمدة عشرين سنة على الأقل، وقد نُشِر بعضه في شكل رسائل، والآن نشرت الدائرة الحميدية- التي أنشئت لطبع مؤلفاته وترجمتها من اللغة العربية إلى اللغة الأردية- مقدمةَ هذا التفسير باسم "فاتحة تفسير نظام القرآن" باللغة العربية، وقد بيّن العلامة الفراهي في هذه المقدمة سبع عشرة مقدمة حول تفسير القرآن بما فيها أسباب النزول، ومآخذ القرآن الكريم الخبرية، ومآخذه اللسانية، وكيفية النزول، وتأويله بالأحاديث، وتعيين

[1] كاتب ومحقق هندي كبير كان رئيس تحرير مجلة "برهان" الأردية الشهرية.

[2] دكتوراه من الجامعة الملية الإسلامية بنيودلهي

الخطاب، ونسبته إلى الكتب السابقة وغيرها من القضايا المهمة التي تكلّم عنها العلامة بأسلوب علمي دقيق، وكان عالمًا كبيرًا بالكتب السماوية بجانب براعته في القرآن الكريم، ولهذا بحث عن تاريخ الأمم والملل الواردة في القرآن الكريم في ضوء آياته بحثًا مستفيضًا، وأجاب إجابة مقنعة عن الشبهات التي أثارها علماء اليهود والنصارى حول الإسلام، فيقول في المقدمة الثامنة من هذا الكتاب: "أما الكتب التي أنزلت على الأنبياء والرسل السابقين فيجب علينا أن نقف عليها، لنعلم قدر القرآن الحكيم ونشكر فضل الله الجسيم". ثم يقول فيما بعد: "وأما أهل التفسير فمع أنهم أكثروا من الإسرائيليات تركوا الكتب المقدسة إلا قليلًا من العلماء الذين أظهروا الحق على أهل الكتاب وأقاموا عليهم الحجة كابن تيمية- رحمه الله-".

والصفة الأصلية لهذا التفسير أنّ فيه رموزا وحِكَمًا وعِبرًا ونصائح مع توضيح معاني الآيات ومفاهيمها بالنظر إلى طرق استخدام اللغة العربية، ومن أهمّها أنه حاول تفسير القرآن بالقرآن بذاته وبيانَ مناسبة الآيات فيما بينها.

هذه الرسالة جديرة بأن يطالع كلّ مَنْ له ذوق للتدبر في معاني القرآن وحقائقه وغوامضه من العلماء والباحثين.

2. **تفسير سورة التين (238/3/2، ترجمة أردية: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي):** بدأ العلامة حميد الدين الفراهي تأليف تفسير القرآن الكريم باللغة العربية، فهذه الرسالة التي تشتمل على تفسير سورة التين جزء منه، وقد بيّن العلامة أولًا مضمون هذه السورة ونظمها، ثم قام بشرح ألفاظها وتفسير جملها، وقد كتب وأفاض حول عنوان "وجه الاستشهاد على الدينونة بطور سينين والبلد الأمين"، وقد أتى بمثال من التوراة يشابه بما في أوائل سورة التين تشابهًا كاملًا وقام بتحقيق مقام سعير، ثم استعرض النظائر في ضوء النظم والبيان ووازن بينها.

خلاصة القول أنّ منهج العلامة التفسيري يتجلى واضحًا في هذه الرسالة أيضًا ... وليطالع كل من العلماء والطلبة وعامة المسلمين هذه الرسالة، وتستحق جهود الدائرة الحميدية هذه الشكر والتقدير.

3. **تفسير سورة الشمس (158/2/4، ترجمة أردية: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي):** من آثار العلامة حميد الدين الفراهي- رحمه الله- أنه ترك أجزاء مختلفة لتفسير القرآن الكريم، وهي في غاية المشابهة بنوعها من اعتبارات مختلفة، وقامت طائفة من تلامذته بترجمتها إلى اللغة الأردية وخدموا خدمة حسنة بنشرها، وهذه الرسالة التي نحن نستعرضها تفسير سورة الشمس، وأصلها باللغة العربية وقام الشيخ أمين أحسن الإصلاحي بترجمتها إلى اللغة الأردية، وقد بيّن العلّامة أولًا حسب عادته عمود السورة وعلاقتها بالسياق، ثم بيّن نظم السورة وعلاقة أجزائها فيما بينها، ثم أوضح بعد إقامة أدلة ظاهرة وباطنة على المعاد، وشهادات تاريخية عليه أنّ مقصد هذه السورة إنذار قريش وتخويفهم، وطبّق بهذا الشأن أحوالَ قريش على أحوال ثمود، ثم استنبط قانونًا في باب مؤاخذة الأمم بأن يكون مشعلًا للهداية لكل أمة، وفي الأخير فسّر الآية "وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا" بأسلوبه الخاص ... ويجب على المسلمين أن يشكروا لما تقوم به الدائرة الحميدية من جهود في نشر هذه القطعة الأدبية الثمينة بأحسن الوجه.

4. **مفردات القرآن (392/5/4، ترجمة أردية: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي):** ولا يخفى على أهل العلم والفن أنّ العلامة حميد الدين الفراهي قد قام بخدمات جليلة للقرآن الكريم بأسلوبه الخاص، وكان قد وهبه الله تعالى حظًا وافرًا من فهم القرآن، والحق أنّ العلامة قد استفاد استفادة تامة بهذه النعمة العظيمة من الله تعالى.

وتستحق الدائرة الحميدية الشكر والتقدير من أهل العلم إذ إنها تحاول إخراج

جهود جبّارة لعُشّاق العلم والفن مثل الشيخ الفراهي إلى النور، وقد قمنا من قبل باستعراض كتبه العديدة القيمة في مجلة "برهان"، وهذا الكتاب الذي قوم باستعراضه باللغة العربية، وقد حقّق فيه سبعة وسبعين (77) مفردًا من مفردات القرآن ولقد واجه العديد من العلماء مشكلة في تحديد معانيها، ولم يتيسر لنا أن نطالع كلّ الكتاب، ولكن بالنظر على أجزاء مختلفة منه نستطيع أن نقول إنّ منهج تحقيق العلامة في هذا الكتاب مثالي، وتوجد كتب مختلفة الحجم معتمدة ومحقّقة في فن مفردات القرآن ولكن العلامة قد ألّف هذا الكتاب بالنظر إلى ضرورة لا يستهان بقيمتها، ومن مفرداتها التي تستحق القراءة على وجه الخصوص هي ما يلي: مصدقا لما بين يديه، النصارى، هادوا، البر، الصلاة، الحكمة، الإسلام، الاتقاء، الآلاء، والكتاب ككل يستحق أن يدرسه العلماء والباحثون.

5. **تفسير سورة عبس (312-311/4/5):** لا يخفى على قراء مجلة "برهان" ما تقوم الدائرة الحميدية من العناية بنشر التربجمات الأردية لأجزاء تفسير العلامة الفراهي، واطلع عليها قراؤها قبل ذلك، والآن نشرت الدائرة تفسير سورة عبس، وتتجلّى فيها خصائصه التفسيرية واضحًا، وإن كانت السورة موجزة ولكنها تحلّ أهمية كبيرة من حيث إن فيها قصة من حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا توافق بأخلاق وشمائل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بادي ذي بدء، وأما ما فسّره بعض المفسرين معتمدين على الأحاديث الضعيفة لا يُحدِث إلا خلجانًا واضطرابًا، جزى الله تعالى العلامة الفراهي على أنه فسّر هذه السورة بما وهبه الله تعالى من مواهب وكفاءات في فهم القرآن من حيث لم يبق إشكال لا عقلًا ولا نقلًا ولا لغة ولا من أيّ جهة.

6. **جمهرة البلاغة (240-239/3/7):** وقد أثبت العلامة في هذا الكتاب القيم أنّ

المسلمين قد قاموا بجمع المسائل البلاغية وفقًا لتحقيقات علماء يونان وفارس حسبما أخذوا منهم العلوم والفنون الأخرى، وبناء على هذاكانت أركان البلاغة الأصلية عند الأعاجم التشبيه والبديع، فقد أنخمها علماء الإسلام أيضًا، مع أنّ التشبيه والبديع كلاهما لغو وغير قابل عند العرب، ومن هنا نشأ هذا الخلل، لأنّ مدار بلاغة الكلام على المحاكاة والتشبيه والتمثيل عند أرسطو، ولهذا عدّ علماء الإسلام هذين الشيئين من أصل مقياس الحسن فقالوا: "أحسن الشعر أكذبه" ولكن إذا درسنا كلام العرب الخلص علمنا أنّ الكلام البليغ عندهم هو الكلام الذي مداره على الصدق وموقّر في القلب.

وبعد البحث المستفيض عن هذه الأمور في المقدمة جمع العلامة نفسه أصول البلاغة وقواعدها وفقًا لذوق العرب واستشهد بكلام شعراء الجاهلية في كل موضع، وكان قصده بهذا أنّ إعجاز بلاغة القرآن الكريم يعرض على هذه الأصول لا على تلك التي دخلت في العرب بأثر من اليونان، ولا شك في أنّ هذا الكتاب من حيث الموضوع كتاب جديد، ودليل مشرق لسعة علمه وعمق نظره وسلامة ذوقه في العربية، ليت هذا الكتاب ينشر من مصر بعناية بالغة، لأنّ قدره لا يقدّره إلا أهل الذوق منهم.

7. **أقسام القرآن (240/3/7، ترجمة أردية: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي):** هذا الكتاب الذي نتكلّم عنه ترجمة فصيحة وسلسة لكتاب العلامة حميد الدين الفراهي قام بها الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، وقد بحث المؤلف فيه عن أقسام القرآن بحثًا دقيقًا وجامعًا، فذكر ثلاث شبهات في البداية ثم اختار تقريرات الإمام الرازي والحافظ ابن قيم من مواضع مختلفة وصاغها في ألفاظها، ثم انتقدها وبيّن ضعفها بأسلوب رزين، وبعد ذلك كتب أجوبته بنفسه، وبيّن ضرورة القسم في هذا الشأن وتاريخه، والمفهوم الابتدائي للقسم،

وطرقه وأغراضه، ثم شواهده من كلام بعض خطباء يونان، ومفهوم أقسام القرآن وبلاغتها، بيانًا جامعًا ومقنعًا، وفي الأخير أوضح سبب المنع عن الإقسام في الإنجيل، وتدعو النفس للمؤلف بعد قراءة هذا الكتاب أن يرفع الله درجاته في علّيين، والحق أنّ ما قام به العلامة من جهود ومساعٍ في فهم القرآن وإفهامه لم يكن لها مثيل من معاصريه في هذا الشأن، ويجب على كل مَنْ له ذوق للقرآن أن يدرس هذا الكتاب القيم.

8. **تفسير سورة المرسلات (156/2/8)**: هذا الكتاب الذي نتكلم عنه هو السادس عشر من أجزاء تفسير القرآن للعلامة حميد الدين الفراهي التي تنشرها الدائرة الحميدية باللغة الأردية، وقد فسّر العلامه تفسير المرسلات بمنهجه الخاص وأسلوبه الفريد، تكلم عن عمود السورة، وتحقيق الألفاظ وتأويل الجمل، ونظم الآيات، وبعض المباحث المتعلقة بها، وإن كان العلامة قد التزم بإثبات ربط الآيات بالسور هو عندنا ليس إلا إلزام ما لا يلزم ... وليدرس العلماء والباحثون هذا الكتاب ويراجعوه، فإنه جدير بذلك.

9. **تفسير سورة القيامة (319/5/14)** كان العلامة الفراهي لا يحتاج إلى تعريف بصفته مفسرًا، وكان نابغًا في اللغة العربية وآدابها، وفي العلوم الإسلامية والدينية، وكانت له مهارة في اللغة الإنكليزية والعلوم الحديثة، فهذه كلها ساعدته في فهم القرآن فوقف حياته كلها لهذا الغرض، وفي تفسيره أسلوب خاص ومزايا عديدة لأسباب مختلفة فيها أشياء مفيدة ونافعة ولكن ربما تخرج منه أشياء لم تكد تتفق طائفة كبيرة من علماء الإسلام بها، فهذا الكتاب الذي نستعرضه تفسير سورة موجزة ألا وهي سورة القيامة، وهو في غاية المشابهة بتفسير سور أخرى، وتكلّم العلامة فيه عن عمود السورة وعلاقتها بأول السورة، والميزات اللفظية والمعنوية وحسن البلاغة، وتحقيق الألفاظ، والمباحث العلمية

المهمة المتعلقة بالقيامة، بطريقته الخاصة مراعيًا أصول التفسير، وبيّن هذه كلها بأسلوب رائع يدل على عمق فكره وتدبره فيه، ولكن من أجل اهتمام ربط الآيات بالسورة فقد تصنع تصنعًا باردًا في بعض الأحيان، وبعض أمثلته موجودة في هذا التفسير أيضًا، وشُقّ على النفس بوصفه النفسَ اللوامةَ للنبي لقومه ولمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعالمين، والعجب على العلامة الذي لم يعتن بالفرق بين "الإنذار" و"اللوم" مع أنه كان أديبًا نابغًا في اللغة العربية وآدابها.

10. **أسباق النحو (جزآن) (255/4/37):** كان العلامة الفراهي محقّقًا شهيرًا ومتضلعًا من اللغة العربية والعلوم المتعلقة بها، وكان ذوقه في التفسير مندرجًا تحت هذه العلوم، فقد ألّف كتابًا في النحو في الجزئين للطلاب المبتدئين للغة العربية في أسلوب سهل وطراز حديث، بحث في أوّلهما عن الاسم وجميع متعلقاته، وفي ثانيهما عن الفعل، و"النحو الواضح" موجود على هذا الطراز في اللغة العربية، ويبحث هذا الكتاب عن النحو، ولهذا يمكن أن يستفيد منه طلاب اللغة العربية الناشئين للهند، وهذا الكتاب طبعة جديدة نشرت بعناية فائقة، فعلى المدارس العربية والكليات أن تدخل هذا الكتاب في المقررات الدراسية للفصول الابتدائية وتستفيد منه.

11. **مقدمة تفسير نظام القرآن**

12. **أقسام القرآن**

13. **من هو الذبيح؟**

14. **تفسير سورة الذاريات**

15. **تفسير بسم الله وسورة الفاتحة (252/4/40-253، ترجمة أردية: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي):** كان العلامة حميد الدين الفراهي من العلماء الكبار في هذا

العصر، وهبه الله تعالى ذوقًا عاليًا وحظًا وافرًا في فهم القرآن، والنبوغ والصفات التي يحتاج إليها المفسر لتكميل هذا الذوق، فكان محققًا شهيرًا في اللغة العربية وعالمًا كبيرًا للكتب القديمة ومتضلعًا من علوم القرآن وتفسيره، ومن خصائص تفسيره أنه يهتم كثيرًا بنظم القرآن يعني علاقة آية بأخرى، وبناء على هذه الأصول يبيّن أولًا عمود السورة يعني أصل الموضوع، ثم يقوم بتحقيق الألفاظ وتأويل الجمل في ضوء اللغة العربية وأدبها، وبعد ذلك يستخرج مضمونًا من الآية، ثم يذكر علاقة الآية بما قبلها، ثم يفسّر آية بآية في السورة كلها على هذا المنهج، ويكثر الاهتمام في تفسير السورة كلّها بأن يكون تفسير آية بأخرى أو ببعضها، وكان قد بدأ تأليف تفسير لعله لم يتمّ على هذا المنهج، هذه الكتب الخمسة المذكورة أعلاه حلقات مختلفة من هذه السلسلة، ففي الكتاب الأول بيّن العلامة الأصول والقواعد التي يعتني بها في تفسيره، وجعل ست عشرة مقدمة في هذا الشأن، تكلّم فيها عن مباحث مهمة متعلقة بالتفسير مثل سبب النزول، ومآخذه الخبرية للتفسير، ومآخذه اللسانية، والكتب القديمة، ومناسبة الآيات وترتيبها فيما بينها، وعمود ومقدار السور، وعلاقة أحكام القرآن بالكتب القديمة والمسائل الأصولية للتعليم القرآني، ودلالة النظم وكيفية النزول وغيرها من المباحث المهمة بأسلوب علمي رصين، والكتاب الثاني الذي يشتمل على أقسام القرآن بيّن فيه أولًا الشبهات المتعلقة بإقسام الله تعالى بأشياء بسيطة، ثم نقل ما أجابه المتقدّمون حول هذه الشبهات ثم بحث في ضوء الكتب القديمة وعلم المعاني والبلاغة والتاريخ والقرآن بذاته بحثًا جامعًا مستفيضًا. ويبحث في الكتاب الثالث عما هو الذبيح؟ وكان قد أراد اليهود أن يسدلوا الستار على الحقيقة لبعض أغراضهم الخبيثة بأن الذبيح هو الإسحق، وقد أثبت العلامة مستدلًا بالأدلة والبراهين أنّ الذبيح هو إسماعيل، ثم كشف عن تحريفات اليهود، ثم نقل أقوال بعض المفسرين ونقدهم، والكتاب الرابع هو

تفسير سورة الذاريات التي فسّرها العلامة في ضوء ما وضعه من الأصول والقواعد يعني نظم وربط الآيات، وتحقيق الألفاظ، والاستدلال بكلام العرب، وعمود السورة، الأحكام المستخرجة من الآيات ودلائلها، وتقوية الأحداث المتعلقة بالكتب القديمة. والكتاب الخامس متعلق بتفسير بسم الله وسورة الفاتحة، وهي موجزة ولكن فيها بعض النكات مفيد ومهمّ جدًا ... وقد نشر كتاب "أقسام القرآن" من قبل، وقمنا باستعراضه حين ذاك في مجلة "برهان"، وأما الكتب الباقية فقد نشرت لأول مرة، ويمكن ألا يتفق طائفة من العلماء على ما كتبه العلامة في هذه الكتب، ولكن الحقيقة أنه كتب ما في هذه الكتب بأسلوب علمي رصين بعد التحقيق الكامل والتأمل الطويل والتدبر الممعن في معاني القرآن وآياته، وبناء على هذا، فيحسن للطلبة والباحثين للغة العربية خاصة، ولكلّ مَنْ له ذوق في التفسير أن يدرسوا هذه الكتب، ويتدبروا آيات القرآن بطرق مختلفة.

16. **تفسير سورة اللهب**
17. **تفسير سورة الكافرون**
18. **تفسير سورة التحريم**
19. **تفسير سورة القيامة**
20. **تفسير سورة الفيل**
21. **تفسير سورة العصر**
22. **تفسير سورة التين**
23. **تفسير سورة الشمس**
24. **تفسير سورة عبس**

25. **تفسير سورة المرسلات (43/2/127-127):** كان الله تعالى قد وهب العلامة حميد الدين الفراهي ذوقًا وملكة خاصة في فهم القرآن والتدبر فيه في هذا العصر، وكانت له ملكة تامة في كل ما يحتاج إليه المفسر من نبوغ ومهارة في العلوم والفنون للوقوف على الحقائق والمطالب القرآنية، ولهذا نجد أنّ منهج تفسير العلامة منهج علمي ومنطقي، ومرآة لـ"القرآن يفسّر بعضه بعضًا"، وقد مضت ملاحظات عديدة على الأجزاء المختلفة لتفسيره في صفحات مجلة "برهان"، وهذه الكتب أيضًا حلقات من هذه السلسلة، وكان أصلها بالعربية، وترجمها الشخ أمين أحسن الإصلاحي إلى اللغة الأردية، وتتجلى الخصائص التفسيرية للمؤلف في تفسير هذه السور كلها بأحسن الوجه يعني عمود السورة وربطها بما قبلها، وشرح الألفاظ اللغوية، وبيان الآيات المتقاربة المعنى والمفهوم، والكلام المفصل على أهم المباحث، والنقد والجرح على الروايات التفسيرية القديمة حسب ما يقتضيه السياق، اللهم إلا بعض الكليات والقواعد التي وضعها العلامة حول بعض مفاهيم القرآن ويفرّع المسائل منها، لأنها مبنية على القياسات فمجال الاختلاف فيه واسع، وعلى كل حال، تستحق هذه الأجزاء أن يدرسها كل مَنْ له ذوق للقرآن الكريم ...

26. **تفسير سورة الكوثر**

27. **تفسير سورة الإخلاص**

28. **أمثال آصف الحكيم (44/5/316-317):** والكتاب الأول تفسير سورة الكوثر، هذه السورة وإن كانت موجزة، ولكن فيها بيانًا عن بعض الحقائق الكبيرة التي كانت علاقتها بالإسلام قوية جدًا، ولهذا عني المفسرون بها، وكذلك فسّر العلامة هذه السورة بأسلوبه العلمي المتين، ما هو المراد بالكوثر، وما هي الحقيقة الروحانية للكعبة المكرمة، وما هي الرموز والأسرار للأضحية، وما هي أهمية

الأضحية في المذاهب الأخرى والكتب القديمة، وما هي العلاقة بين الصلاة والأضحية فيما بينهما، ثم ربط الآيات فيما بينها، وعلاقة السورة بما قبلها وعمودها وغيرها من المباحث التي تكلّم عنها بأسلوب علمي دقيق. والكتاب الثاني كما يظهر من اسمه تفسير سورة الإخلاص ولكن الديباجة توضّح أنّ هذا التفسير ليس تفسيرًا كاملًا منظمًا ومرتّبا، بل هي مجموعة من ذكريات وملاحظات وحواشٍ مختلفة وإن كانت توجد فيها النكات العلمية والمسائل المحققة، ولكن يصعب على عامة القراء الاستفادة منها، وهي موجزة للغاية، والعبارة فيها تعقيد وإبهام، ولم يكتمل البحث، وبعض المباحث المهمة المتعلقة بمضامين السورة غير موجودة بأسرها، ولكن فائدتها لم تكن قليلة لطلبة القرآن وأساتذتها.

والكتاب الثالث ترجمة عربية لكتاب إنكليزية ترجمها عندما كان طالبًا حسب قول صاحب الديباجة، وفيه قصص صغيرة وحكايات مؤثرة للبهائم والطيور، غايتها التعليم الأخلاقي مثل منطق الطير للشيخ فريد الدين عطار أو لضياء الدين بخشي، وقام العلامة بترجمتها عندما كان طالبًا، ولكن لغته أشبه بلغة الأساتذة الخبراء، وهي مدهشة، وهذا الكتاب جدير بأن يدخل في المقررات الدراسية للتعليم الابتدائي للأدب العربي.

29. **ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي**

30. **ديوان پهلوي (60/3/214-215):** كان العلامة الفراهي نابغًا في اللغة العربية، وكانت كفاءته موهوبة، ولهذا إذا اتجهت قريحته عند أيّ انفعال من الفرح والغم فتتحوّل إحساساته القلبية وانطباعاته إلى الشعر، فالكتاب الأول هو مجموعة من أشعاره، والكتاب الثاني مجموعة من أشعاره الفارسية ومنظوماته، وإن كانا موجزين، لكن يعرف بهما أنّ العلامة كان شاعرًا بليغًا وقادرًا، وأشعاره العربية سلسلة صافية مثل أشعار البحتري، ولكنها مليئة بالتدفق

والانفعال فيها، ولايُرى أثر العجمة فيها، وأكثر أشعاره متعلقة بحرب بلقان وطرابلس التي انهزم فيها الترك انهزامًا شديدًا، وأما تأثير الأشعار فيبدو أنّ الشاعر نشر فلذة كبده وقطعة قيّمة من قلبه على الصفحات، وأما كلامه بالفارسية فيظهر فيه لون آخر، ربما لون حافظ وربما لون صائب وبيدل ... وقد كتب الشيخ بدر الدين الإصلاحي المقدمة على هاتين المجموعتين العربية والفارسية على الترتيب، تكلّم فيها عن خلفيات شعر العلامة كلامًا مفيدًا، ونأمل أن يحظى أهل الذوق والفن ببقراءتهما...

31. **دلائل النظام (357-356/5/60):** هل يوجد الربط والنظم بين الآيات والسور في القرآن أم لا؟ وهذه المسألة اختلف فيها السابقون واللاحقون على السواء، وكان العلامة الفراهي الذي حاز منزلة سامية ومكانة عالية بين معاصريه من أجل التدبر والخوض في معاني القرآن وعلومه، وكانت وجهة نظره الخاصة بأنّ القرآن كله من أوله إلى آخره مرتبط فيما بينه مثل أجزاء مختلفة من جملة ترتبط وتنسجم فيما بينها، ولا يوجد ربط ونظم في آيات سورة فقط، ولهذا عني العلامة في تفسيره بهذه الوجهة الرئيسية في كل مكان وفسّر كل سورة في ضوئها، وفي هذا الكتاب أثبت العلامة وجهة نظره الخاصة بالأدلة والبراهين وتكلم عن إمكانياتها العملية وأوضحها بالأمثلة.

وهذا الكتاب ليس مرتبطًا ومنظمًا كما ذكر مرتّبه الشيخ بدر الدين الإصلاحي في ديباجته، ولم يؤلّف العلامة كتابًا مستقلًا على هذا الموضوع بل كتب مذكرات فجمعها المرتب المتأهل ونشرها في شكل كتاب، ولا شك فيه .... ما هي حقيقة الربط والمناسبة، لا يمكن أن يعلمها أحد على وجه القطع إلا الله ورسوله، لأنّ وجوه الربط والمناسبة ليست منحصرة في خمسين، ومئة بل هي لا تعدّ ولا تحصى، وبناء على هذا شأنه تعالى "لا تقضى عجائبه" والإنسان محصور ومقيّد، فكيف

يستطيع أن يحيط بها، ولهذا كانت الجهود التي قام بها الإمام الرازي والأئمة الآخرون في وجوه النظم منها ما هو موضع الاختلاف والنزاع، وإن كان الفراهي قد طوّر هذا الفن، ولكن بخصوص هذا الشأن كثير من أدلته إقناعي، ويمكن أن يقال البرهان اللمي فقط، وأما ما بحث العلامة عن ظاهر القرآن وباطنه في هذا الكتاب، فهذا مؤذن للدمار....فلذلك ما قام به إخوان الصفا والشيخ ابن عربي في هذا الخصوص من الزخارف قد أضرّت بالإسلام كثيرًا، ولم يُتدارك حتى الآن، ولذلك يستحق هذا الكتاب التقدير والمطالعة من الناحية العلمية والفنية، وقد انتقد العلامة منكري النظام نقدًا لاذعًا، متكلّمًا عن أهمية النظم وضرورة علمه في 30-35 صفحات من أوائل الكتاب، وقال: لا يتم الاعتقاد والعلم بدون علم النظام (ص 38) وهذا يندرج عندنا تحت "إعجاب ذي رأي برأيه" ويوجد فيه بعض الأخطاء المطبعية التي لم تذكر في فهرسة الخطأ والصواب، وعلى سبيل المثال، تحسن إضافة "لتركيب" في "بعد المعرفة تركيب أجزائه" وإضافة "بالبعض" في "تناسب بعضه" في السطر الخامس من الصفحة السادسة عشر.

32. **أساليب القرآن (64/4/286-287):** وقد نزل القرآن الكريم بلغة قريش التي ينتمي إليها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وفقًا لسنة الله تعالى، وبناء على ذلك فعامة أسلوبه، والتراكيب النحوية والمعاني والبلاغة في غاية المشابهة بلغة قريش، وكل متكلّم له منهج خاص بالتكلم والبيان ولا يستطيع أحد أن يفهمه إلا إذا عرفه على الوجه الكامل، وكذلك حال القرآن، وهناك عديد من التفاسير التي يتجلى فيها إعجاز القرآن وبلاغته واضحًا في كل موضع، وبدونها تشير كتب المعاني والبلاغة إليها قليلًا قليلًا، ولكن هذا الكتاب مستقل وفن مهم للغاية، ومسّت الحاجة إلى تدوينها وتنظيمها من جديد، وقد انتبه العلامة الفراهي إليها، ووضع خطة لها، ولكن الأسف الشديد لم يتم هذا العمل مثل أعماله الأخرى، ومما يرضينا أنّ ما

كتبه العلامة من مذكرات قد نشرها الشيخ بدر الدين الإصلاحي مع مقدمته، هذه المذكرات وإن كانت غير مرتبطة وغير مكتملة ولكنها بضاعة ثمينة لطلبة القرآن وأساتذته وفق "ما لا يدرك كله لا يترك كله" وإن وفق الله تعالى بأحد من العلماء والباحثين يمكن أن يبني قصرًا على هذه الأسس المتينة، وقد سبق في هذا بعض بلدان العرب، فتفسير عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، ودراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر للشيخ عبد الهادي بتحقيق وتعليق الشيخ عبد السلام سرهان وغيرها من الكتب حلقات مختلفة من هذه السلسلة.

33. **في ملكوت الله (213/3/68):** هذه الرسالة جزء من مقدمة نظام القرآن للعلامة الفراهي، وقد كتب السابقون واللاحقون (المتقدمون والمتأخرون) كثيرا عن فلسفة الخير والشر، الأجر والعقاب للأعمال ومسألة القدر، وقد ألفت في هذا الموضوع كتب مختلفة مستقلة، ولكن الأسف الشديد على هذه الرسالة التي لم تكتمل مثل رسائله الأخرى. ومن خصائص هذه الرسالة أن العلامة الفراهي قد جمع فيها الآيات المختلفة المتعلقة بالموضوع من القرآن بالترتيب المنطقي وقام بشرحها، ليعلم القاري ما هي التصرفات الإلهية في العالم؟ وما هي حقيقتها؟، وما هي المناسبة والربط بين ما وقع في العالم من أحداث الرقي والانهيار للأمم وبين نظام العدل لله تعالى؟ ولا شك في أنّ هذه المسألة مسألة مهمة وتوقّفت "الاستقامة على الدين" على فهمها الصحيح فقط. وهذا صحيح أن الفلسفة والعلم قد أحدث أسئلة كثيرة بهذا الخصوص وخلق منكرًا مثل يرتزندرسل، والرسالة تسكت عن إجابتها، ولكن يتجلّى الموقف القرآني جليًا من هذه الرسالة، ويمكن أن يُكتب كثيرًا في شرحه وتوضيحه، فليدرس هذه الرسالة طلبة اللغة العربية وأساتذتها من هذه الناحية.

ISSN: 2321-7928

"نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، ميزات وخصائص

- د. محمد فضل الله شريف[1]

هذا تفسير غير تامّ للعلّامة عبد الحميد الفراهي الذي قدّم نظرية النظام في الآيات القرآنية بصورة مدلّلة كما أثبت أنّ القرآن بنفسه يفسّر آياته ويحلّ مشكلاته، وعلى هذا فقد تجنّب نقل القصص التي ذكرها المفسرون الآخرون، وهذه القصص قلّما تهدي إلى المعنى المراد في كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

نبذة من حياة العلّامة الفراهي: هو عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي الأنصاري، حميد الدين أبو أحمد الفراهي، نسبة إلى قرية (فريها) من قرى مديرية (أعظم كره) التابعة حالياً لولاية (أُتَّرابراديش). ولد- رحمه الله- سنة 1280 في فريها من عائلة شريفة، وهو ابن خال علامة الهند الأديب والمؤرخ الشيخ شبلي النعماني (ت 1332)، رحمه الله تعالى، الذي استفاد منه كثيراً.

شرع في طلب العلم منذ نعومة أظفاره، فحفظ القرآن الكريم وهو ما زال صغيراً، ثم قرأ اللغة الفارسية وأجادها ونسج بها قصيدة بارى بها شاعر الفارسية المشهور خاقاني الشرواني (ت 595) واشتغل بعد ذلك بتلقّي العربية، فأخذ من الشيخ شبلي النعماني الذي كان يكبره بست سنوات علومَ العربية كلها من صرفها ونحوها، ولغتها وأدبها، ومنطقها وفلسفته، ثم رحل في طلب العلم إلى عدة مدن في الهند وباكستان، فسافر إلى لكناؤ وجلس في حلقة الفقيه المحدث الإمام الشيخ أبي الحسنات عبد الحي اللكنوي (ت 1304) والشاعر المفلق في ذلك العصر الشيخ الأديب فيض الحسن السهارنفوري (ت 1304)، فبرع في الآداب العربية، ثم عرج على اللغة الإنكليزية، وهو ابن عشرين سنة، ودخل في كلية عليكره الإسلامية، ونال بعد من

[1] رئيس هيأة الدراسات العربية الشرقية بالجامعة العثمانية، حيدرآباد

جامعة (الله آباد)، وامتاز في الفلسفة الحديثة فجمع بين العلوم الدينية والعصرية.

بعد الفراغ اختير سنة 1907م معلمًا للغة العربية بكلية عليكره الإسلامية،. وبعد سنين نصب أستاذًا للغة العربية بجامعة (الله آباد) وبقي هناك أعوامًا، حتى انتقل منها إلى حيدر آباد الدكن، رئيسًا لمدرسة دار العلوم العربية الأميرية النظامية، التي كانت تخرج قضاة البلاد وولاتها.

وعمل على تأسيس الجامعة النظامية كما أسهم في تأسيس دار المصنفين، التي أسّست تذكارًا لابن عمته الشيخ شبلي النعماني، ثم أسّس قرب قريته مدرسة عربية دينية، سمّيت "مدرسة الإصلاح"، بقي فيها مع ذلك في التأليف والتدوين والنظر في القرآن ومعانيه، وإلقاء دروسه على الطلاب الملتفين حوله. بقي رحمه الله على هذه الحال من البر والعمل، حتى أتاه الأجل في التاسع عشر من جمادى الثانية سنة 1349، الحادي عشر من نوفمبر سنة 1930م، إثر عمل جراحي أجري له في بلدة (مثورا) ودفن هناك.

ميزات تفسيره: يمتاز تفسيره من بين التفاسير لخصائص عديدة، فقد ذكر في ديباجة الفاتحة بما خط لتفسيره من الأصول والضوابط التي ينهجها، من ديدنته أنه يفسّر القرآن بعضه ببعض، ولا يعرج إلى الإسرائيليات أصلًا، التي لا سند لها، وإن احتاج إليها ينقلها من صحف بني إسرائيل مباشرة، ثم يستند على أشعار العرب التي هي ديوانها، فيعالج معضلات التفسير بلغات ومحاورات كلامهم، ويخلص من الأحاديث النبوية الشريفة، وما صح من أقاويل السلف من التابعين، والعمدة عنده تفسير الطبري، فيقوم بالتوفيق بين مختلف الأقوال، ويأتي خلاصة الكلام، ثم ينتهي إلى ما صح عنده من التأويل في هذا الصدد، ومن أهم ما يمتاز به هذا التفسير أنه مولع بإبراز الخبايا من الكتاب بصحف بنى إسرائيل وما إلى ذلك لانتشارها بين الناس، لأن علماءهم قاموا بالاعتراضات بهفواتهم، فأبطل كلامهم، وأقام الحق، وأبطل الباطل بكتبهم، كما يتميز هذا التفسير بأنه يجر من ذخائر الإشارت كنوز الرموز وهو كما يصرح به ليس بتفسير ولا بتأويل بل شيء أداه إليه ذوق ووجدانه، وهو في ذلك مجتهد يصيب ويخطئ، ولكن شأنه في هذا ليس

كشأن الصوفية في التفسير الإشاري بل شأنه في ذلك كشأن صاحب "روح المعاني" في إشاراته في تفسيره، والأمر المهم الذي فاق به أقرانه في التفسير أنه يعتني كثيرًا ببيان الربط بين الآيات ونظام السور، وتصنيف الكلام.

مراعاة النظم بين الآيات والربط: من خلال النظر في عنوان الكتاب (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان) نجد أنّ الإمام الفراهي ركّز في تفسيره على جانب مهم من التفسير وهو مراعاة النظم ويقصد به الوحدة الموضوعية للسورة، إذ كل سورة لها موضوع معين يسمّيه عمود السورة تدور عليه بأجزائها المترابطة فيما بينها ترابطًا معنويًا محكمًا وتكلم أولًا عن النظم في سورة البقرة ثم في سورة القصص ثم حثّه ذلك على استيعاب الحديث عن نظم القرآن الكريم كله والذي اضطره إلى إخراج ما كتبه أمور:

الأول: ما رآه من أنّ جلّ الاختلاف بين العلماء في التأويل إنما يكمن في عدم التزامهم رباط الآيات يقول: "فإنه لو ظهر النظام واستبان لنا عمود الكلام لجمعنا تحت راية واحدة وكلمة سواء "كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ" (سورة إبراهيم: 24) وجعلنا معتصمين بحبل كتابه كما قال: "وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ" (سورة آل عمران: 103)

وكيف الخلاص عن التفريق الأصيل وقد جعلوا هذا الحبل أشتاتًا في ظنونهم وهو بحمد الله متين "لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" (سورة فصلت: 42) فيأوّله كل فريق حسب ظنه ويحرف طريق الكلام عن متنه وبالنظام يتبين سمت الكلام فينفي عن آيات الله أهواء المبتدعين، وانتحال المبطلين، وزيغ المحرفين (ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) والذين يقلعون كلام الله عما بين يديه ومن خلفه، ويضمون به ما يعجب هوى نفوسهم، متشبثين بروايات ضعيفة غير مميزين بين ما ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وبين أقوال الشياطين الذين يوحون إلى أوليائهم زخرفَ القول غرورًا.

والثاني: إني رأيت الملحدين قد طعنوا في القرآن من جهة سوء النظم، ورأيت جمهور علماء المسلمين- عوض الشهادة بالحق، والمناحفة عن حقيقة كتاب الله قد تفوهوا بمثل ما قالوا: (كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ) (سورة الكهف: 5) و"وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلٗا) (سورة النساء: 141)

وقد علمت حق اليقين أنّ قولهم باطل، وحجتهم داحضة، فلم يسعني أن أسكت وأرى الباطل قد عمّت بلواه وبلغ السيل زباه.

والثالث: أنه لا يخفى أنّ نظم الكلام بعض منه فإن تركته ذهب بعض معناه... فإن للتركيب معنى زائدًا على أشتات الأجزاء، فلا شك أنّ من حرم فهم النظام فقد حرم حظًا وافرًا من الكلام، ويوشك أن يشبه حاله بمن قبله من أهل الكتاب، كما أخبر الله تعالى عنهم "فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ" (سورة المائدة: 14) وأخاف أن تكون هذه العداوة والبغضاء التي تراها في المسلمين من هذا النسيان، فلا تهدأ عداوتهم، ولا يرجعون من اختلافهم، وسبب ذلك ما ذكرنا في الأمر الأول، لأنا إذا اختلفنا في معاني كلامه اختلفت أهواؤنا وصرنا مثل أهل الكتاب، غير أنّ رجاءهم كان بهذا النبي وهذا القرآن الذي يرفع اختلافهم وأما نحن فليس لنا إلا هذا الكتاب المحفوظ...

الرابع: أن الله تعالى أنزل كتابه نجمًا نجمًا للتثبيت حيث قال الله عزّ وجلّ: "وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ" (سورة الفرقان: 32) ثم جمعه وبيّنه كما قال: "إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩" (سورة القيامة: 17-19)....

الخامس: أنّ مَنْ ظهر عليه حسنُ الترتيب والسمت البارع الذي يجري إليه الكلام، وتجلّت له منه سواطع البرهان ومحاسن مقامها وغوامض الحكم موضوعة في نظامها علم أنّ له في نظام الآيات قسطًا وافرًا من كتاب الله، فازداد على علمه إيقانًا وعلى فهمه

اطمئنانًا، فكان على بصيرة من ربه فيجتهد في إبراز ما استكن من النظام فيرزق منه ما شاء الله ويشكر على نصيبه منه، ثم ما استصعب عليه نسبه إلى قلة فهمه، فإنّ كلام الله العظيم بحر لا تنقضي عجائبه، ونور لا يحاط به، فالمرء ليس بمأمون عن الخطأ ولكن مع ذلك لا يطفأ شوقه، ولا يذهب عنه أريحته".[1]

ويقول في ربط سورة الكافرون من قبلها:

"قد علمت أنّ سورة الكوثر بشارة لظهور هذه الأمة وسمو أمرها، وجمع شملها، وحكم على قطع عدوها من الشجرة المباركة للإسلام، فأتبعها بهذه السورة التي تعلن بقطع حبال المودة من الكفار، وتركهم مقطوعين عن الأمة المباركة".[2]

ثم يذكر ربط السورة بالتي بعدها يعني بسورة النصر:

"فلما كانت هذه السورة سورة الحرب أتبعها الله بسورة النصر، للدلالة على أنّ النصر متصل بالحرب، كما ترى في القرآن كثيرًا اتصال هذه الأمرين، وكما تبين في الفصل الرابع، وهذا أسلوب بينته بالأمثلة في بحث الوصل من كتاب "أسلوب" وما هذا النصر والفتح إلا رد المسجد الحرام إلى عبادة الله الواحد، ورد ذرية إبراهيم إلى ربها، فتذكر هذا الأمر لتفهم ما يأتيك، ولترى أنّ الهجرة تقشعت عن الوصل والأوبة، والحرب تقشقعت عن السلم والتوبة، فلم تكن بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بركة لذرية إبراهيم ورحمة للعالمين، كما تجد بعض البيان في تفسير يوسف".[3]

تفسير القرآن بالقرآن والحديث: والشيء الثاني المهم الذي يتوجه إليه الفراهي في الكشف عن نظام القرآن لا يلجأ الإمام إلى مناهج أهل الفلسفة والمنطق أو المتصوفة، وإنما يعتمد على القرآن نفسه، وفي ذلك يقول رحمه الله: "أجمع أهل

[1] فاتحة تفسير نظام القرآن (ضمن رسائل الفراهي في علوم القرآن)، ص 2-4
[2] نظام القرآن وتأويل الفرقان بالقرآن، ص 551
[3] المرجع السابق، ص 569

التأويل من السلف إلى الخلف على أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضًا، وأنه أوثق تعويلًا وأحسن تأويلًا، فنقول: كما أنّ القرآن يفسّر مطالب آياته بعضها ببعض، فكذلك يدلّك على نظام مطالبها ومناسبتها، بما يأتيك بنظائره فتكثر الشواهد على رباط أمر مع أمر، وبذلك يحثك على التأمل في جامع وصلة بينها ثم يأتي عليه بأمثلة كثيرة بعضها أوضح من بعض حتى يتدرج بك على ما كان أدق وأغمض.[1] وجعل هذا من الأصول الأولية للتأويل، فقال: "الأصل الثالث: فهم الكلام بعضه من بعض بالمقابلة وحمل النظير على النظير، وذلك هو التأويل بالقرآن".[2] ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في أواخر سورة الأنفال: "إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ" (سورة الأنفال: 72) وبعيد ذلك جاء: "وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ" (سورة الأنفال: 74) فلم يذكر "فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ" وهو مفهوم، ثم جاء بعيد ذلك "وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ" (سورة الأنفال: 75) فلم يذكر "بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ" ولكن ذلك مفهوم، وقد دلّ عليه "مَعَكُمۡ".[3]

والأمثلة على ذلك كثير نذكر بعضًا من الروايات والأحاديث التي اعتمد عليها الفراهي في تفسيره، فعند تفسير قول الله تعالى: "وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ" (سورة البقرة: 61) قال: المسكنة مفعلة من السكون، وتستعمل للعجز وسقوط الهمة وبؤس العيش، ومنها المسكين، أي الذي سدّ عنه طرق الكسب، ودلّ على هذا المعنى ما جاء في الحديث:

"ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان، وإنما المسكين الذي لا يسأل ولا يفطن له فيعطى" فالمسكنة شدة العجز وبؤس العيش".[4]

بيان أسماء السور: كذا من دأب المؤلف لهذا التفسير أنه يهتم في بداية كل سورة

[1] دلائل النظام، ص 83
[2] التكميل في أصول التأويل (ضمن رسائل الفراهي في علوم القرآن)، ص 263
[3] المرجع السابق، ص 263
[4] تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالقرآن، ص 255

ببيان أسماء السور مع بيان وجوهها وأسبابها التي سمّيت بذلك هذه السورة الكريمة. فيقول في هذا الصدد:

"ولما كان اسم شيء عنوانًا لمعناه، وقد اشتهر من الأسماء ما لا يخبر عن معناها، فاعلم أنّ أسماء السور على أربعة وجوه:

الأول: تسميتها بلفظ من أوائلها، فمنه فيما نقله السيوطي سورة الحمد، والبراءة، وسورة سبحن وطه، وحواميم، ويس، واقتربت، والرحمن ....

والثاني: تسميتها بلفظ اختص بها كالزخرف، والشعراء والحديد، والماعون....

والثالث: تسميتها بلفظ يخبر عن بعض المعاني العظيمة كتسمية سورة النور لاشتمالها على آية النور وتسمية سورة آل عمران، وسورة النساء، وسورة إبراهيم، وسورة يونس....

والرابع: تسمية السور بما ينبئ عن المقصد الذي بنيت له السورة، فمنها تسمية الفاتحة بسورة الصلاة، وتسمية براءة، وسورة بني إسرائيل، وسورة محمد بسورة القتال، وسورة الإخلاص والمعوذتين". فيقول المؤلف في اسم سورة الكافرين:

"اعلم أنّ هذه السورة سورة التبرؤ من الكفار، وقطع حبالهم، والمنابذة بعلائق مودتهم، فهي سورة الهجرة والحرب مثل سورة البراءة التي قدمت بين يدي فتح مكة، كما أنّ هذه قدّمت بين يدي الهجرة منها، وكلتاهما إعلان بالحرب، وهذه أفصحت عن البراءة بجملتها، كما أنّ تلك صرحت بها بأولها.

وهكذا فهمها السلف لما سمّوها، قال الرازي رحمه الله: اعلم أنّ هذه السورة تسمّى سورة المنابذة والإخلاص والقشقشة، وفي لسان العرب: في الحديث كان يقال لسورتي قل هو الله، وقل يا أيها الكافرون المقشقشتان".[1]

خلفية الآية: نظريته مختلفة في شأن النزول، وهو لا يطلق عليه شأن النزول:

[1] المرجع السابق، ص 552

"ليس شأن النزول، كما قيل تسامحًا، سببًا لنزول آية أو سورة، بل هو شأن الناس وأمرهم الذي كان محلًا للكلام، فما من سورة إلا ولها أمر أو أمور جعلتها نصب العين وذلك تحت عمود السورة، فلك أن تلتمس شأن النزول من نفس السورة، فإنّ الكلام لا بد أن يكون مطابقًا لموضعه".

ثم يقول في هذا الصدد: "فإن أردت الحق الصريح واليقين المريح فلا يبعدك طلب شأن النزول عن أصل نظم القرآن العظيم، فيبهم عليك الأمر، ويغادرك في متفرق السبل، لا تدري أيها تسلك، بل تجسس شأن النزول من القرآن، ثم خذ من الأحاديث ما يؤيد القرآن لا ما يبدّد نظامه ثم العبرة بشأن النزول الذي تبين من النظم أول أمر تراعيه".

فيسهب تحت سورة التحريم في بيان عمود السورة:

"اعلم أنّ عمود هذه السورة إبطال ظن المنكرين بالقيامة والجزاء، وكان منشأ إنكارهم حبّ هذه العاجلة الفانية، فإنّ حب الشيء يبعد عن استماع ذكر خلافه، ثم استكبارهم عن الطاعة وتقوى الله لما غرهم أهلهم ومالهم، كما ذكر الله تعالى هذين الأمرين بقوله: "كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾" (سورة القيامة: 20-21) وبقوله "فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾".....

ولما كانت السورة السابقة قد صرحت بحالهم من الاستكبار والإنكار وذكرتهم بتهويل شديد، قال في هذه السورة من ذلك التصريح وخاطبهم بالدلائل، فكما أنّ الصناع ينفخ في الحديد أولًا فيجعله نارًا ثم يطرق عليه، فهكذا ربما يفعل بالكلام إذا صادف قومًا خصيمًا مستكبرًا، فهذه السورة مع لوائح الغضب في أسلوبها ليست بصراحة السورة السابقة كقوله تعالى فيها: "ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ

قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾... إلى قوله "فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾" (سورة المدثر: 11-51) فنرى فرقًا واضحًا بين هذا التصريح، وما تجد في سورة نحن فيها الآن".[1]

وجهته من الإسرائيليات: وموقفه من الإسرائيليات هو موقف المفسرين عمومًا، فما وافق شريعتنا قبل، وما خالف رفض، وما سكت عنه فنحن بالخيار، وهذا ما صرح به في المقدمة الثانية في المآخذ الخبرية، ولكنه أتى ما أتى من الكتب القديمة لإقامة الشهادة والحجة على المعتدين والمخالفين من أهل الكتاب.

فيقول: بعد التمسك الشديد بالقرآن آتي بشهادات الكتب التي نزلت على من قبلنا، كما آتي بما روى من الأحاديث تبعًا، والغرض كشف ما واقفت فيه الآيات، وإقامة الحجة على الأمتين من كتبهم، كما أنهم يتشبثون بمايزعمون أنهم يجدون في كتبنا (المقدمة الثانية)

مثال قوله تعالى: "أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾" (سورة البقرة: 44) قال الفراهي: "وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ" حجة عليهم فإنّ حقوق الفقراء وإن أخرجوها من سفر اللاوين وهو كتاب النذور وحقوق الكهنة؛ فإنها باقية في سفر التثنية، ويقول: (اذكر الآيات من التثنية) 42 وقد كانوا يكتمون هذا السفر لما فيه أمور خلاف رضاهم، وقد جعلوا التوراة مجزأة،كما قال تعالى "وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ" (سورة الأنعام: 91) وقد أنكر بعض متأخري النصارى هذا السفر والسبب الخفي لذلك أن فيه البشارة بنبينا عليه الصلوات".[2]

[1] المرجع السابق، ص 214-215
[2] المرجع السابق، ص 232-233

نلاحظ أنّ الإمام الفراهي رحمه الله تعالى إنما رجع إلى كتبهم ليقيم الحجة عليهم.

عنايته بالنواحي اللغوية والبلاغية: إنّ المطلع على مؤلفات العلامة الفراهي ليعجب إذا قيل له إنه أعجمي، وخاصة كتبه في التفسير وعلوم القرآن، فقد كانت لغته قوية جزلة ناقش فيها الشعر الجاهلي وصحح بعض الأفهام في توجيهها، وعندما كتب مقدمة تفسيره (فاتحة نظام القرآن) وأطلع عليها العلامة السيد رشيد رضا قال: "وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من النظر، فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير، يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية، دون المباحث الفنية العربية .. وإن للمؤلف لفهمًا ثاقبًا في القرآن، وإن له فيه مذاهب في البيان .. وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها، والصدور عنها ريان من شواهدها".[1].[2]

وبل قال بنفسه في بيان أهمية اللغة وأخذها من أهلها من العرب بعد الاستفادة من القرآن والحديث:

"فأما في سائر الألفاظ (غير الشرعية) وأساليب حقيقتها ومجازها فالمأخذ فيه كلام العرب القديم، والقرآن نفسه، وأما كتب اللغة العربية فمقصرة، فإنها كثيراً ما لا تأتي بجد تام، ولا تميز بين العربي القح والمولد... فمن لم يمارس كلام العرب واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد لفهم بعض المعاني من كتاب الله".

ويوضح ذلك تحت عنوان "تفسير الكلم وتأويل الجمل في الآيات في سورة المرسلات:

"وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا: أرسل الشيء ضد أمسكه، والرياح إذا سكنت فكأنها ممسكة، فإذا جرت فكأنها أرسلت، قال تعالى: "وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ" (سورة الحجر: 22) و"العرف"

[1] المرجع السابق (مقدمة الناشر)، ص 4

[2] التفاسير العربية الهندية والمفسرون الهنود، ص 153-163

ناصية الفرس، كما هو معروف.

فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا: أي بعد الإرسال تشتد، وهذا يكون كثيرًا للضرر، قال تعالى: "حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ" (سورة يونس: 22)

والناشرات نشرا: نشره، بسطه، وبثه، وأثاره، وأنبته، وهذه معانٍ متقاربة، وقال تعالى: "وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ" (سورة التكوير: 10).[1]

ويقول مبيناً ما في سورة القيامة من أسلوب وبلاغة وسبك وجزالة:

"ومع ذلك تجد في أسلوب السورة بقايا الضغب، لما ترى فيه من ذكر عتو الإنسان واجترائه، ولماترى فيها من التقريع والتخضيع في جوابها وخطابها، ولما ترى كثرة الردع والاستفهام كما بيناه في الفصل الأول، من جهة الأسلوب غير منقطعة بل متصلة بالسابقة كما بيناه في الفصل الأول، ألا ترى قول الإنسان (أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ) (سورة القيامة: 6) على غاية العتو والاجتراء، فإنه بعد إتمام الحجة لا تستطيع الإنكار بها، ولكن لمحض غيابها ولما أمهله الله رحمة يقول مستهزءًا مستكبرًا مستعجلًا أيان ذلك اليوم؟ فاستحق التقريع والتخضيع في الجواب، فما أخبر عن وقتها ولكنه صور له حاله في ذلك اليوم....

وعلى هذا الأسلوب ما جاء مرارًا في القرآن، فمنه قول تعالى: "يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾" (سورة الذاريات: 12-14) فهكذا قوله تعالى: "فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾" (سورة القيامة: 7-10) جواب يليق بإنكارهم، أي أنه اليوم مستبعد، مستعجل، مستكبر، ويقول أيان يوم القيامة؟ ولكنه حين رأى ذلك اليوم يقول أين المفر؟

[1] نظام القرآن وتأويل الفرقان بالقرآن، ص 251

ومثل ذلك تصوير حاله في قوله تعالى: "وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾" إلى قوله تعالى: "وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾" (سورة القيامة: 24-29) ومثل سواله استكبارًا إعراضه عن الحق، كما قال تعالى: "فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ (سورة القيامة: 31-33) فأتبع هذا قوله "أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾" (سورة القيامة: 34-35) مطابقًا لحاله على سبيل الحسرة، كما قال تعالى: "يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾" (سورة يس: 30)، فإن كلمة "أولى" تستعمل للحسرة كما أنّ "ويلا" للمقت والزجر، قالت الخنساء:

همت بنفسي كل الهموم فأولى لنفس أولى لها

وإما التفت من الغيبة إلى الخطاب لتكون أشد، فلو قال: أولى له فأولى" لم يبلغ هذا المبلغ، وإنما أجرى الكلام على آخر السورة على الاستفهام لمثل ذلك السبب، فالسورة من أولها إلى آخرها ردع وتوبيخ.[1]

إبراز الإشارات في القرآن الكريم: ويقول في هذا الصدد بنفسه: ليس من مقصد هذا الكتاب الخوض في الكنايات المكنونة، ولكن لا بأس بأن نذكر ما يبين عاقبة الطغوى ومنتهى النفس إن لم تردع الهوى، فإن هذه الأمة وإن لم تهلك كل الهلاك فربما كاد، وما العلم إلا الانتفاع بما علمنا، والاعتبار بأمثال ضربت في كتاب الله تعالى من القوم الأولين.

فاعلم أن أمة اليهود كان من أكبر سيئاتهم قتلهم الأنبياء والصلحاء، كما جاء في صحف أنبياء بني إسرائيل والقرآن كثيرًا، جاء في سورة البقرة: "وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾" (الآية: 61) أي قتل النبيين كان لشدة عصيانهم وعدوانهم.

وأيضًا في سورة البقرة: "أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا

[1] المرجع السابق، ص 215-216

كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾" (الآيتان: 87-88) أي لعنوا بالضلال لكفرهم واستكبارهم الذي بعثهم على التكذيب وقتل الرسل.

ثم جاء في سورة آل عمران "إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾" (الآيات: 21، 22) فههنا بين التصريح أن قتل الصلحاء الذين يأمرون الناس بالقسط أمر عظيم عند الله، وليس كقتل أحد من الناس فذكره بعد قتل الأنبياء، والوجه ظاهر ، فإن علة كبر هذا الإثم هو العصيان لحكم الله".[1]

خلاصة القول: إنّ هذا التفسير مهم جليل بأنه يفسّر القرآن بعضه ببعض، ولا يعرج على الإسرائيليات التي لا سند لها، فإن احتاج إليها نقلها من صحف بني إسرائيل نفسها، فعلَ البقاعي في تفسيره نظم الدرر، ثم يستند على أشعار العرب التي هي ديوانها، فيحلّ معضلات التفسير بلغات العرب ومحاورات كلامهم، ويخلص ما خلص من أحاديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلى ما صحّ من أقاويل السلف من التابعين رحمهم الله، والأمر الذي فاق به الأقران، وسبق الذين برزوا لتفسير القرآن، اعتناؤه بربط الآيات ونظام السور، وترصيف الكلام السابق في هذا الزمان، سلك طريقًا غير معبد.

[1] المرجع السابق، ص 325

المصادر والمراجع

1. عبد الحميد الفراهي: دلائل النظام، الدائرة الحميدية، 1388هـ.
2. عبد الحميد الفراهي: التكميل في أصول التأويل (ضمن رسائل الفراهي في علوم القرآن)، الدائرة الحميدية، الهند
3. عبد الحميد الفراهي: تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالقرآن، الدائرة الحميدية، الهند، 1420هـ
1. الدكتور محمد فضل الله شريف: التفاسير العربية الهندية والمفسرون الهنود، جمعية الرحمة، حيدرآباد الهند، ط1، 2016م

ISSN: 2321-7928

التكميل في أصول التأويل

عرض وتقويم

- د. يوسف عكراش[1]
- د. محمد العماري[2]

بيانات الكتاب:

اسم الكتاب: التكميل في أصول التأويل
اسم المؤلف: عبد الحميد الفراهي
عدد الصفحات: 97 صفحة
الجامع: بدر الدين الإصلاحي
المحقق: محمد سميع مفتي

عن المؤلف: هو الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي (1280-1349هـ) المولود في قرية فريها إحدى قرى محافظة أعظم كره، كما اشتهر باسم آخر وهو: حميد الدين، وهو ابن خال علامة الشرق ومؤرخ الإسلام، الشيخ شبلي النعماني (1349هـ).

لقد اشتغل الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ يفاعته بطلب العلم، فحفظ القرآن ثم انصرف إلى طلب العربية، فبرع في آدابها، وفاق أقرانه في الشعر والإنشاء. فقد قرأ دواوين الجاهلية وحلّ معضلاتها وقنص شواردها، فكان يقرض القصائد على منوال الجاهليين، ويكتب الرسائل على سبك بلغاء العرب وفصحائهم. ثم عرج على اللغة الإنجليزية- وهو ابن عشرين سنة- ودخل كلية عليكره الإسلامية، كما أنه كان مشاركًا في الفلسفة الحديثة.

[1] أستاذ التعليم الثانوي وباحث بالدراسات الإسلامية والقضايا الفكرية والتربوية
[2] طالب باحث بسلك الدكتوراه في مجال الدراسات القرآنية وأستاذ التعليم الثانوي بوزارة التربية الوطنية بالمملكة المغربية

فهو إذن عالم بالعلوم العربية والدينية، وملمّ بالعلوم العصرية واللغات، وذلك ما يسّر له أن يعيّن معلمًا للعلوم العربية بمدرسة الإسلام بكراتشي عاصمة السند، فدرّس فيها سنين، وكتب وألّف وقرض وأنشد.

علاوة على ذلك، فقد شغل عبد الحميد الفراهي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عدة مناصب منها أنه عيّن أستاذًا للغة العربية بكلية عليكره الإسلامية، ثم عيّن أستاذًا بجامعة الله آباد ورئيسًا لمدرسة دار العلوم النظامية، كما كان رئيسًا للجنة المديرين "لدار المصنفين" التي كان أحد مؤسسيها. وكان حينها يعمل على تأسيس الجامعة العثمانية.

وبعد مسيرة حافلة بالعطاء استقال ولزم بيته، وانقطع إلى العلم وخاصة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ تدبرًا ودراسة وبحثًا في معانيه ونظمه وأحكامه وحكمه ونظرًا فيه من كل جهة وخاصة التفسير، فقضى أكثر عمره في اكتساب علومه، ومات وهو مكبّ على أخذ ما فات العلماء ولفّ ما نشروه ولمّ ما شتّتوه وتحقيق ما لم يحقّقوه، فكان لسانه ينبع علمًا بالقرآن، وصدره يتدفق بحثًا عن مشكلاته، وقلمه يجري كشفًا عن معضلاته.

إلا أنّ هذا العالم الهندي ظلّ مجهولًا إلى حد كبير في الأوساط العلمية والثقافية، في العالمين العربي والإسلامي، على الرغم من كتبه ومؤلفاته الكثيرة التي آثر كتابتها باللغة العربية عن غيرها، كما سيأتي ذكر بعضها في ثنايا الدراسة، وهي إن دلّت فإنها تدلّ على عبقرية فذة وعقلية مبدعة، والتي لا بد أن يكون لها أثر بارز في حاضر ومستقبل العلوم العربية والإسلامية.[1]

تمهيد: لا يكاد يخفى على كلّ متأمل في التراث الإسلامي الزاخر مدى عناية علماء الأمة الإسلامية قاطبة بكتاب الله وتصدّيهم لبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستنباط

[1] ينظر: ترجمة السيد سليمان الندوي للشيخ الفراهي في كتاب إمعان في أقسام القرآن، وترجمة محمد أجمل أيوب الإصلاحي في مقدمة كتاب مفردات القرآن، ونزهة الخواطر (الإعلام بمن في الهند من الأعلام)، ويمكن العودة لمجلة الهند المحكمة، وبالضبط للأعداد الخاصة بالعلامة الإمام عبد الحميد الفراهي.

فوائده، كما لا يخفى هذا التنوع الواسع الذي نلمسه في طرائق التعرض لدراسته، والذي يظهر في مصنفات متنوعة ومختلفة في أغراضها وأساليبها واتجاهات مؤلفيها.

ومع تزايد الاهتمام بالعلوم الإسلامية بدأت دائرة الاختلاف تتوسع من الاختلاف المقبول إلى الخلاف المذموم، فانبرت ثلة من العلماء الراسخين قديمًا وحديثًا إلى الحد من هذه الظاهرة من خلال الاشتغال بالدرس التفسيري- تنظيرًا وتطبيقًا- بوضع قواعد وأصول راسخة تعين على فهم كتاب الله؛ ومن هذه الجهود المبذولة ما عرف بالإطالة وأخرى بالاختصار، على تنوع الطرق والأساليب.

ورغم حضور هذا النمط من التأليف في المكتبة القرآنية وتوالي الاشتغال بكل ما من شأنه أن يعين على فهم مراد الله عَزَّوَجَلَّ، إلا أنّ عددًا من العلماء يرون أنها لم تلقَ تلك العناية اللائقة بها من دراسة معمقة بعيدة عن السطحية، إذ نجد بعض المؤلفات اعتنت بما هو متراكم في المشهد العلمي للقرون السابقة، بالتعرض لبعض الأصول دون أخرى أو تكرار الاهتمام بها دون جديد يذكر، ومن هؤلاء الذين سعوا للمناداة بتأسيس هذا الفن من خلال إفراده وتكملة أصوله؛ الإمام عبد الحميد الفراهي الذي كان له الفضل في إغناء التراث القرآني بالعديد من الإسهامات والإنتاجات العلمية نورد منها: "إمعان في أقسام القرآن" و"أساليب القرآن" و"مفردات القرآن" و"الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ" و"حكمة القرآن" و"حجج القرآن الحكمة البازغة والحجة البالغة" و"نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"[1] وهو كتاب له صلة وثيقة بكتابنا قيد الدراسة، وقد وسمه المؤلف بـ"التكميل في أصول التأويل". وقد رام من خلاله وضع مجموعة من القواعد والأسس التي من شأنها أن تقي وتعصم المفسر لكلام الله من الخطأ والزلل، جراء ما عرفه هذ الفن من اختلاف كبير. بحيث كان موضوعه:

[1] وهو تفسير كبير للإمام عبد الحميد الفراهي، ويشمل بعض السور دون أخرى، منها: الفاتحة، الذاريات، التحريم، القيامة، المرسلات، عبس، الشمس، التين، العصر، الفيل، الكوثر، الكافرون والإخلاص، وتجدر الإشارة أنّ تفسير هذه السور طبع متفرقًا، كما له كلام مجمل عن بعض السور.

"الكلمة والكلام من حيث دلالته على المعنى المراد".[1]

وقد اعتنى بجمع هذا العمل بدر الدين الإصلاحي حيث بلغ عدد صفحات الكتاب أربعًا وتسعين صفحة من الحجم المتوسط، كما قام بتحقيقه وتخريج الآيات والأحاديث المتضمنة في هذا الكتاب محمد سميع المفتي، إلا أنّ العديد من المباحث الواردة فيه اعتراها النقص المتفاوت بين حاد لا يمكن جبره، وبين مباحث تضمنت نقصًا يسيرًا يمكن جبره من خلال استحضار أفكار المؤلف ومجمل قوله، وقد شكل هذا الأخير صعوبة وتحديًا علميًا كبيرًا قبل الإقدام والخوض في دراسة الكتاب.

ومن هذا التحدي يأتي دورنا تجاه هذا الكتاب- التكميل في أصول التأويل- الذي خصصنا له هاته الدراسة التي لا تدعي الكمال أو الاكتمال بقدر ما تسعى لرسم إطار نظري لهذا الكتاب المهم الذي يحسن بالمهتم بالدرس التفسيري الاطلاع عليه والنهل من فوائده ودرره، كما كان الدافع أيضًا للاشتغال على هذا الكتاب هو: إبرازه وبيان أهميته وإخراجه من دائرة الإهمال إلى حيز الاهتمام دراسة وتقويمًا، ولفت الانتباه لباقي أعمال عبد الحميد الفراهي ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا. وخاصة تلك التي أثرت رفوف المكتبة القرآنية. ولتحقيق المراد رمنا طرح مجموعة من الأسئلة التي تعيننا عليه، وهي كالآتي: كيف كان ينظر الفراهي لأصول التأويل؟ وماهي رؤياه التي نحى من خلالها تكميل هذا الفن؟ وما أهم مرتكزات التأويل التي وضعها في كتابه التكميل؟ وهل أدّت هذه المرتكزات ما كان يصبو إليه الفراهي في كتابه؟ وكيف صار ينظر لهذه الأصول في عصرنا الراهن؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، ارتأينا أن نعتمد العدة المنهجية التالية:

المنهج الوصفي: حيث يتجلى لنا هذا المنهج بدءا من الاهتمام بحياة المؤلف وإنتاجاته في شق الدراسات القرآنية، لندلف بعدها لصلب الموضوع وسبر أغواره استهلالًا بالعنوان فالهدف، مرورًا بالإشكالية إلى محتوى الكتاب ومادته، ولا شك أنّ المنهج الوصفي

[1] التكميل في أصول التأويل، ص 2.

كما هو معهود في مثل هذه الدراسات لا يفي بالغرض، لذلك أرفقناه بالمنهج التحليلي: الذي يظهر من خلال تحليل وتفكيك مادة الكتاب وتفسيرها، حيث تجاوزنا التحليل السطحي إلى التحليل المعمق الذي كان مطية لبلوغ المراد من هذه الدراسة.

وعطفًا على ما سبق، فقد قسمنا دراستنا هاته إلى قسمين، تَقَدَمهما تمهيد عام؛ حيث وسمنا القسم الأول بعنوان: حول الكتاب، والثاني ب: مادة الكتاب عرض وتقويم، وقد اعتمدنا في هذا القسم، المزج بين الوصف مع التحليل مقرونًا بالملاحظات ومحاولة البناء والتقويم. وسبب نهجنا هذه الطريقة؛ هو أن ترك الملاحظات وإفرادها، وفصلها عن متنها في آخر الدراسة لا يعطي أكله بقدر ما تكون الملاحظات في مكانها مباشرة بعد المعنى الذي سيقت له، كما استقر رأينا أيضًا على أن نحافظ على العنوانات كما أوردها صاحب الكتاب، ثم قفلنا البحث بخاتمة.

أولًا: حول الكتاب: عنوان الكتاب: يعتبر عنوان الكتاب عتبة المتن واللغز الذي يسعى المؤلف جاهدًا لحله، فهو يمثّل تحديًا كبيرًا أمام صاحب العمل منهجًا ومعرفة، وقد وسم المؤلف كتابه الذي بين أيدينا- كما تقدّم- بـ"التكميل في أصول التأويل"، وحسب اطلاعنا لم يسبق لمثل هذا العنوان حرفيًا كما هو. أما من ناحية المضمون فهناك دراسات اشتغلت على نفس الموضوع إلى حد كبير، كما أنّ هناك أخرى تقاطعه نفس طريقة الاشتغال على هذا الفن. وقد أجاد المؤلف وأفاد في اختيار العنوان الذي يناسب محتوى الكتاب في عمومه، لكن عند دراسة الكتاب تبين لنا أنّ الكتاب وسم بعنوان كبير جدًا مما وضع المؤلف أمام تحدٍّ حقيقي لبلوغ مضمون يطابق العنوان، وهذا من الملاحظ التي يلمحها الدارس لهذا الكتاب، لأنّ تكميل هذا الفن ليس بالأمر الهين، ولا يمكن لهذا الكتاب استيفاءه، فكان الأجدر أن يوسم الكتاب بعنوان يناسب المقام شكلًا ومضمونًا، لكن ما يشفع للمؤلف-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنه توفي قبل إتمامه.

هدف الكتاب: لا شك أنّ لكل مؤلف هدفًا وغاية، سواء نصّ عليه مؤلفه أو لم ينص

عليه، أما كتابنا قيد الدراسة، فقد نصّ المؤلف على هدفه بوضوح تام في مطلع مقدمته، قائلًا: "فهذا كتاب أفردناه من مقدمة النظام لتمهيد أصول راسخة لتأويل القرآن إلى صحيح معناه."[1] ثم انتهى من المقدمة بتأكيد الهدف نفسه الذي رامه، قائلًا: "وإذا كان المقصود تكميل هذا الفن حتى يكون هو المعتمد في فهم كتاب الله".[2] ومنه نستنتج أنّ المؤلف أراد وضع ثلة من القواعد والأسس التي من شأنها أن تقي وتعصم المفسر لكلام الله من الخطأ والزلل، وخصوصًا أنّ الحاجة ملحة جدًا لبناء منهج يضمّ مثل هذه الأصول وغيرها، إذ لا ينكر أحد أنّ الرهان والمعول عليه في المشهد الإصلاحي المعاصر ملقى على عاتق المفسرين لما أصاب المصطلح والمفهوم القرآني من تغير جراء العديد من العوامل. ومن تأمل غاية هذا الكتاب، وباقي إنتاجات الفراهي في شق الدراسات القرآنية، وجد الرجل صاحب رؤية متكاملة الأركان في هذا المجال، لكن عدم إتمامه للعديد من كتاباته حال بينه وبين تحقيق مراده.

الإشكالية الرئيسية للكتاب: تُمثل الإشكالية القضية الرئيسة التي شغلت بال المؤلف ورام الإجابة عنها، وبعد قراءتنا للكتاب ومدارسة مضمونه خلصنا إلى أنّ الإشكالية تتمركز حول ذكر أصول راسخة لتأويل القرآن، بغية أن تكون هذه الأصول والقواعد تكملة وتتمة لما كان قد وضع في هذا الفن من لدن المشتغلين به، ويؤكد ما ذكرناه آنفًا، عند الحديث عن عنوان الكتاب.

لقد كان دافعه-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لبث هذه الإشكالية ومحاولة الإجابة عنها في ثنايا كتاب التكميل خاصة، هو الاختلاف والتباين الذي صار يعرف انتشارًا واسعًا في الدرس التفسري وخاصة التفسير بالرأي، بل صار مشتبهًا وملتبسًا عند الكثير، فأحسّ بشدة الحاجة إلى تأسيس هذا الفن عن طريق تكميله، فأخذ يؤسس الأصول ويضع

[1] المصدر نفسه، ص 7.

[2] المصدر نفسه، ص 7.

القواعد بناء على أساليب القرآن وطرق اللسان لتصبح معيارًا وميزانًا لكلّ من أقدم على تأويل كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

وثانيًا: مادة الكتاب عرض وتقويم: استهل الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بالحديث عن متفرقات ذات صلة بما يودّ أن يبيّنه، من أهمها، أن يجعل علم أصول التأويل فنًا مستقلًا ويوضع في علم التفسير، مع بيان الخلل الفاحش الذي وقع في طريق تعلم الدين، بحيث جعل علم التأويل مقصورًا على الفقه، وأنّ غاية هذا العلم هو المنع عن التفسير بالرأي... وغيرها من المباحث، ومن تأمل هذه المتفرقات الأولية وجدها أنها ليست من القواعد والأصول التي عَنْوَنَ بها كتابه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لكن لما لها من أهمية بالغة عند الفراهي في تشكيل تصور عام عن أصول التأويل وتاريخه لدى المشتغل بالتفسير، أولاها رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الاهتمام وجعلها تجسيدًا لأصول فيما يمكن أن نسمّيه تمهيدًا عامًا أو توطئة صدّر بها كتابه. وهذا أوان الشروع في تلخيص محتوى الكتاب وعرض أفكاره وتقويمها مع المحافظة على النسق الذي وردت به في الكتاب.

1. أصول الكتاب أولى بأن يجعل فنًا مستقلًا ويوضع في علم التفسير: أكد الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ أصول التأويل لم ينل حظه من العناية والاهتمام نظرًا لإدراجه ضمن أصول الفقه، وأيضًا نظرًا لكونه مستعملًا في الفروع، وكذلك لكونه مشتركًا بين الكتاب والسنة. مبينًا أنّ هذا الأمر هو ما ساهم في عدم الالتفات إليه بالمعنى الذي ينبغي حتى يصير علم أصول التأويل معيارًا وميزانًا كغيره من الفنون التي اشتد عودها، واستقلت بعد تأسيسها، ليدلف إلى بيان أنّ الحل الوحيد والأوحد هو أن يجعل علم التأويل فنًا من علم التفسير.

وما دعا إليه الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمر في غاية الأهمية وله حججه المعتبرة في ذلك، إذ ما فتئ العلماء ينبهون على أهمية أصول التفسير أو التأويل كما يخصها بالذكر الفراهي، ودورها في صون كلام الله عَزَّوَجَلَّ من القراءات والتفسيرات البعيدة

والشاذة التي جعلت الفهم مشتبهًا وملتبسًا.

2. بيان الخلل الفاحش الذي وقع في طريق تعلم الدين من جعل علم التأويل مقصورًا على الفقه: ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ غاية الدين تنظيم ثلاثة أشياء: الأخلاق والعقائد والشرائع، وهذه الثلاثة نشأت لها علوم ثلاثة، منها الفقه الذي جعل علم التأويل مقصورًا عليه، فبقي العلمان الآخران فارغين عنه، وهما: علم الأخلاق والكلام، وهو ما أثر في هذين العلمين- حسب الفراهي دائمًا- فدخل كلَّ واحد منهما أشياءُ غريبةٌ كثيرة. ولذلك دعا إلى جعل أصول التأويل علمًا عامًا لكل ما يؤخذ من القرآن.

وما أشار إليه من خلوّ العلمين الآخرين (الأخلاق والكلام) من أصول تضبطها، لا يسلم له رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهل خفي عليه أنّ علم الكلام سمي بأصول الدين. وهو علم ألف فيه العلماء الشيء الكثير. أما علم الأخلاق فإن قصد به علم التصوف فهذا فعلًا بقي في حاجة إلى أصول كافية تضبطه.

3. غاية هذا العلم هو المنع عن التفسير بالرأي: بيّن الفراهي في هذ المبحث أنّ ما تضمنه القرآن من الحكمة والمعارف التي لا يحيط بها إلا الله وحده، فرضت ظهور التفسير بالرأي، ومثل المصنف-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لذلك بكتابين جليلين تلقتهما الأمة بالقبول في مجملهما، وهما: تفسير الطبري وتفسير الرازي، مع اعتقاده أنهما احتويا على الغث والسمين؛ مشيرًا أنّ الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قد اختلفوا مع تقارب الخطى، لكن اختلافهم هذا ليس من قبيل الرأي المذموم. وعليه، فمبدأ التفسير بالرأي وتميزه كان من لدن الصحابة الذين لم يكتفوا بالمنقول عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما استندوا إلى نظائر الآيات وما يدركونه من السنة وإحاطتهم بلسان العرب.

وعليه، يمكن القول أنّ الفراهي أراد أن يبين باقتضاب شديد غاية أصول

التأويل؛ والتي تتمثل في عصمة التفسير من الرأي المذموم، لكن لم تسعفه هذه الفقرات المعدودة في استيفاء ذلك، بقدر ما أظهر جزءًا من المنحى التاريخي للتفسير بالرأي، كما أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم ينصف التفاسير السابقة، وقام بتقرير أحكام شديدة اتجاه التفسيرين المذكورين، جعلتنا أما تساؤل كبير جدًا، هل الإمام الفراهي كان على دراية وإدراك كلي بمنهج هذين المفسرين وغيرهما مما ذكر؟ هذا ما سنتحدث عنه في الإفادة أدناه.

لقد بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الإفادة أنّ لكل تفسير غرضه، ثم عاد للحديث عن تفسير الطبري وما يتعلق بمنهجه وغرضه، إضافة إلى وسمه تفسير ابن كثير بأنه خلاصة تفسير الطبري، وأنه تفسير عُني بنقد الروايات. كما أبرز أنّ تفسير الرازي يتميز بكونه جامعًا لأقوال المتكلمين مع بعض النقد، وأنه محلّ للاختيار وإعمال النظر، إلا أنه عنده كابن جرير جمع الغث إلى السمين. واسترسل للحديث عن تفسير الزمخشري فبيّن أنه وقاف عند عبارة القرآن غير مبتعد عنها، مع ما فيه من الانتصار لمذهب المعتزلة، وهو في نظره مفيد للطلاب نظرًا لوجازته وقلة سقطاته في اللغة والإعراب.

وهنا لا بد من التنبيه على أمور، فوسمه تفسير الطبري بأنه لا ينقد الروايات، حين قال: "من غير نقد في الرواية"،[1] قد نستغرب ذلك منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إذ ذلك الحكم هو تصور عام يكونه كل من اطلع اطلاعًا يسيرًا على هذا التفسير ولم يسبر أغواره كما ينبغي، وإلا فالدراسات قديمًا وحديثًا منبهة على منهجه النقدي، منها على سبيل التمثل وليس الحصر أطروحة الدكتور أحمد نصري حول المنهج النقدي عند الطبري وهي دراسة مطبوعة، والغريب أنه-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول بعد ذلك مباشرة "ولكنه بعد نقل الوجوه المنقولة يبيّن ما هو الصواب عنده. وإذا

[1] المصدر نفسه، ص 14.

أمكنه يجعل المفهوم جامعًا للوجوه، ويبحث عن اللغة والإعراب وكثيرًا ما يستند بكلام العرب، ومن أجل محاسن هذا التفسير كونه جامعًا لروايات السلف مع التعرض باللغة والنحو وترجيح الأولى بالصواب عنده".[1] فهل من نقد أبعد من هذا الذي امتاز به الطبري-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-. لكن الفراهي يعود بعد ذلك ليؤكد أنّ الطبري ليس مهتمًا بالروايات بل اعتبره جامعًا لها قاصدًا إلى ترك أمر النظر فيها لأهل النظر. والأمر عكس ذلك بل كان يقف مع الروايات موقف الناقد البصير، والعالِم النحرير، الذي لا يقبل الرواية إلا بعد تمحيص وتدقيق. رغم ما فاته من بعض المرويات التي لا تزال تحتاج إلى النقد الفاحص والتمحيص الناقد. لكن إطلاق الأحكام بشكل عام دون تخصيص أو تقييد أمر ليس بالهين. إذ هذا القول- فيما نرى- حول تفسير الطبري والرازي الذي وسمه بأنه على شاكلة الطبري فيه شيء من المبالغة، فلا يسعنا أن نسلِّم به على إطلاقه.

أما مدحه لتفسير الزمخشري، قائلًا: "أنّ جلّ محاسنه وجيز وقليل السقطات في اللغة والإعراب وهو للطلاب أنفع..."[2]. فكلام غير دقيق، بل من التفاسير ما هو أنفع لطلاب العلم من تفسير الزمخشري، وخصوصًا لما ورد من مآخذ وانتقادات حول هذا التفسير، من أهمها: أنه محشو بالبدعة على طريقة المعتزلة، بل دسّ فيه هذا المذهب بعبارة أبي حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما أنه شديد على أهل السنة والجماعة ويذكرهم بعبارات الاحتقار ويرميهم بالأوصاف مذمومة، كما يمزج حديثه عنهم بالسخرية والاستهزاء، علاوة على أنه قليل الاستشهاد بالأحاديث ويورد أحيانًا الأحاديث الموضوعة، خاصة في فضائل السور.

4. التفسير بالرأي: نبّه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنه رغم كثرة اختلاف السلف فإنهم كانوا

[1] المصدر نفسه، ص 14.
[2] المصدر نفسه، ص 15.

منضبطين بأصول التأويل، فلم يعتمدوا على محض الرأي وهوى النفس،[1] كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصفه للمنقول: "فإن المنقول جله الأحاديث الضعاف والمتناقض بعضها بعضًا، بل المتناقض لظاهر القرآن."[2] وهذا الإطلاق يفتقر للتقييد، فقد جمع العلماء موسوعات ضمت عددًا كبيرًا من صحيح المنقول، المتوافق غير المتناقض إلا ما كان من تعارض في الظاهر، لكن العلماء دفعوا هذا التعارض،[3] الذي كثير منه يدخل في باب اختلاف التنوع، كما نصّ على ذلك ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمته. وهو بهذا أوجز العبارة في هذا المبحث ولم يفصل.

5. فرض التدبر والتفكّر في كتاب الله: يرى الفراهي أنّ الدافع إلى تقييد التفسير بالرأي هو ما أقدم عليه أهل البدع والباطل من تأويل القرآن بالهوى، وحمل النصوص على غير مرادها، وأنّ ذلك التقييد كان سدًا لأبواب الفتنة، إلا أنّ الحاجة إلى التدبر والتفكر في كتاب الله واعتبارها فرضًا دعت إلى استخراج أصول التدبر والتفكر من سيرة الصحابة والتابعين كي تكون أسوة للاحقين، كما أنّ اختلاط الرأي المحمود بالرأي المذموم دفع- في نظر الكاتب- الكثير إلى الإضراب عن التدبر والتفكر في كتاب الله،[4] فرام الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيان وجوب ذلك.

إلا أنّ قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ولكنهم لم يجمعوا أصول تدبرهم والحاجة إلى ذلك شديدة.) ربما ليس على إطلاقه، فالمدونات في أصول التفسير كان بعضها مشتهرًا- رغم

[1] ينظر بعض تعريفات التفسير بالرأي ومناقشة الدكتور مولاي عمر بن حماد لها، في كتاب "علم أصول التفسير محاولة في البناء"، ص 132-133.

[2] التكميل في أصول التأويل، ص 16.

[3] ينظر كتب ودراسات من قبيل: "جهود الشيخ السعدي في دفع توهم التعارض من خلال تفسيره" لأسماء المريني. وكذلك مقال "درء التعارض بين القرآن والسنة" لسليمان سليم الغزالي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الخامس 2005م.

[4] يمكن التوسع أكثر في هذا الباب من خلال الاطلاع على كتاب علم أصول التفسير محاولة في البناء لمولاي عمر بن حماد، ص 135-137.

قلتها- قبل الفراهي، وهذه المدونات أغلبها حين يدون هذه الأصول فالمنبع الأول الأصيل لجمعها هو المنقول عن الصحابة، فلعل الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد أنّ جمع هذه الأصول مستقلة هو الذي لم يحصل، فهنا لا اعتراض. حيث ما زال هذا الجانب العلمي خلوًا من دراسات متينة، كما تصورها الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل ذلك ما نص عليه علماء قبله، ومنهم الطوفي سليمان (ت: 716هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإكسير حين قال: "فإنه لم يزل يتلجلج في صدري إشكال علم التفسير وما أطبق عليه أصحاب التفاسير، ولم أر أحدًا منهم كشفه فيما ألّفه، ولا نحاه فيما نحاه، فتقاضتني النفس الطالبة للتحقيق، الناكبة عن جمر الطريق لوضع قانون يعول عليه، ويصار في هذا الفن إليه"[1] وهذا لا ينفي وجود بعض المحاولات رغم قلتها هنا وهناك؛ إذ لا تخلو الكتب المتحدثة عن أصول التفسير أو بعض المؤلفات في علوم القرآن من الحديث عن منهج الصحابة في التفسير.

6. دلائل وجوب التدبر في كتاب الله: ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثة أدلة على هذا الوجوب؛ ثم فصّل القول في الثالثة، فأبرز فيها أنّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما كان معلمًا للشرائع فقد بعث معلمًا للحكمة، فتلقف ذلك الصحابة رضي الله عنهم. وهو أمر لن نقف عنده؛ لأنه ليس من الأغراض المباشرة للكتاب. إلا أنّ ثمة ملحظًا منهجيًا وهو كتابة (ألف) هكذا، والصواب: (أ) لأنها جاءت للعدّ والتقسيم، فهي بمثابة أرقام (أ_ ب_ ث....) وهذا من أجل أن لا يقرأها القارئ قراءة أخرى تخرج به عن المراد. ولو لا تكرار هذا في الكتاب لأضربنا عن ذكره هنا. فالتزام معهود الناس في الكتابة أمر جرت به العادة فلا مصوغ لخلافه.

7. كان عقلاء الصحابة وفقهاؤهم أعلم بالقرآن: أبرز-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أن تحرج البعض من بعض العلوم المحدثة بحجة أنها بدعة محدثة، ليس كما تصوّروا، وإنما- كما

[1] الإكسير في علوم التنزيل لسليمان الطوفي، ص 27.

قال الفراهي- كانت تلك العلوم عند السلف سليقة ولم تكن بهذا التفصيل الذي صارت عليه، بل يعتبر أنّ المتوغل في هذه العلوم العقلية والنظرية أبعد نتيجة ممن أعطيها فطرة سليمة وطبيعة مستقيمة، ثم يبين أن كثيراً من علوم الصحابة والتابعين لم تستطع عقول سامعيهم نقلها كلها وإنما نقل لنا بعضها نظراً لغزارتها، فهم كالبحر الزاخر. وإكمالًا للمعنى أدرج الجامع رَحِمَهُ ٱللَّهُ إفادة عن الفراهي تتعلق بالفرق بين العلم الفطري والعلم الرسمي.

والملاحظ هنا أنه يتوسع في أشياء ربما كان في غنى عنها، فلو اكتفى بإبراز غزارة علم الصحابة لكفى ذلك في بيان مراد العنوان، ولو نقل بعض النقول عن العلماء في ذلك لكان أجود، بل لو نقل لنا شهادة الصحابة لأنفسهم بأنهم أعلم الناس بالقرآن- وهم عدول- لكان أجود من سابقه، ولا أظنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يغيب عنه قول ابن مسعود رضي الله عنه "والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه".[1]

إشارة: بعد انتهاء المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المباحث الأولية التي وسمناها بالمتفرقات التي هي بمثابة تمهيد، انتقل للحديث عن مقصوده بالكتاب- التكميل- حيث استهل الكلام ببيان غاية الكتاب ثم ذكر تعريف التأويل وحكمه، وبيّن الفرق بين التأويل والتحريف والتفصيل لينتقل للحديث عن الأصول والقواعد التي رام من خلالها تكميل أصول التأويل، ومنه نستنتج أنّ الكتاب الذي بين أيدينا مقسّم إلى شقين؛ الشق الأول عبارة عن تمهيد أو توطئة لموضوع الكتاب، والشق الثاني أبرز من خلاله لبّ الكتاب الذي يتمثل في ذكر عدد من الأصول.

8. غاية الكتاب: لقد سبق الحديث عن هدف الكتاب مع ذكر أهم الملاحظات

[1] أخرجه البخاري في صحيحه.

حوله، وقد صرح به في أكثر من موضع، قائلًا "غاية هذا الكتاب هي معرفة الأصول التي تعين على فهم القرآن الحكيم حسب أفهام البشر"[1] وقسمها إلى قسمين: الأول: ما يعصم عن الزيغ في التأويل، أما الثاني فهو: ما يهدى إلى الحكم التي يتضمنها كتاب الله. وبيّن أنّ الأمر الجامع لهذين هو التفكر في نظم القرآن، كما بيّن أهمية هذا النظم في العصمة من الزلل، وأشار أيضًا في معرض ذلك إلى أنّ التفكر في كتاب الله المنزل، يشبه الفكر في كتاب الفطرة، ثم مثّل لذلك التشابه. ثم عاد ليجمل الغاية من التأويل في نظره، فجعلها في اثنتين؛ الأولى: لكي يطمئن القلب به. والثانية: ليسدّ أبواب الاحتمالات الباطلة المتناقضة. ثم نبّه أنهما غاية واحدة.

وذكر بعد ذلك بعض الفوائد المنطوية تحت هاتين الغايتين، وهي قواعد تضبط التأويل، إلا أنها ليست محبوكة الصياغة ولا الترتيب. وهي أنّ في الكلام حذفًا وإدخالًا، وأنّ بين الكلام والحالات والوقائع مناسبات. وأنّ للكلام أصولًا يثبتها وفروعًا يشير إليها، كما أنّ للمفسرين أقوالًا ضعيفة لا يحتملها الكلام، علاوة على الأمر الخامس وهو : الحاجة الشديدة إلى تأسيس أصول التأويل وتشييد مبانيه". وقد انتبه لذلك فأردفها بما سمّاه أصول التأويل التي ذكر خمسة منها.

وهنا وقفة أخرى، معه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو حين أراد التمثيل بأمثلة عبّر بصيغة تدل على أنه سيذكر أمثلة متعددة (وإنما نذكر بعض الأمثلة ههنا) لكنه لم يذكر إلا مثالًا واحدًا. (المثال الأول). ولعله كان يروم ذكر أمثلة متعددة فاكتفى بواحد اختصارًا، أو لعل العذر راجع إلى عدم إكماله الكتاب وعدم تنقيحه له، نظرًا لأنّ المنية وافقته قبل ذلك.

كما نرجع إلى قوله: "للمفسرين أقوال ضعيفة لا يتحملها الكلام، فلا بد من بيان

[1] التكميل في أصول التأويل، ص 22-23.

ضعفها، وهذا متعب مضيع للوقت"[1] ومحل الوقوف معه في قوله: "مضيع للوقت"، فهو كلام فيه نظر، إذ معلوم أنه بضدها تتميز الأمور، فلو لا الضعيف والخطأ ما ظهر الصواب، وأحسب أنّ مناقشة الأقوال الضعيفة من طرف المتخصصين وردّها يقوي عندهم ملكة التفسير، فتشتد صواعدهم وتمتن إنتاجاتهم التفسيرية. والأمر ذاته نرد به قوله بعد ذلك مباشرة "فيضطر المفسر إلى دفع هذه الأمور وهو كاره، فإنه يشمئز عن ذكر الحماقات ولكنه إن تركها لم يحسم جراثيم الباطل" فالمفسر إذن مطالب بتنقية التفسير مما علق به من شوائب، وإلا اختلط الحابل بالنابل، ولعمرك ما دور المفسر إن لم يبين الصواب من الخطأ، فيدعم الأول ويفنّد الثاني.

9. تعريف التأويل وحكمه: ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ آيتين واستنبط منهما مجموعة من الأمور المساعدة على التعريف، لكنه لم يصغ تعريفًا صريحًا للتأويل، إلا ضمن فقرات المبحث الموالي. وهو إن استدرك التعريف فهو لم يذكر حكم التأويل الذي ينتظره القارئ نظراً لاشتمال العنوان عليه. أما من رام الاستزادة في تعريف التأويل والتفسير والفرق بينهما.[2] وهي صفحات تضمنت كلامًا متينًا للذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الموضوع.

10. الفرق بين التأويل والتحريف والتفصيل: ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعريف كل واحد منها بقوله: "التأويل: حمل الكلام على ما يحتمله نقلًا أو عقلًا، والتحريف: حمله على ما لا يحتمل، والتفصيل: ذكر أجزاء لم تذكر لجامع يحتملها." ثم عقب على ذلك بقوله "والفرق بين هذه الثلاثة من أشد الأمور وجوبًا لفهم القرآن" كما بيّن خطورة الخلط بينها منبهًا على خطر التحريف. أما ما ذكره من ضلال اليهود والنصارى فأحسب أنه كان من الأجود تركه والتمثيل بمثال آخر أوضح وأقصر كي لا يطول به المقال فيحتاج إلى قوله "وبسط هذا الكلام يخرجنا عن موضوعنا

[1] المصدر نفسه، ص 25.

[2] كتاب التفسير والمفسرون للذهبي، 1/17-24

فلنرجع إلى ما كنا فيه"، ولذلك فانتقاء المثال بشكل جيد أمر في غاية الأهمية، فكم من مثال أخرج صاحبه عن مراده كما وقع للمؤلف هنا، بل في بعض الأحيان ينتقل النقاش إلى المثال عوض الأمر الممثل له، فيضيع الموضوع الأساسي، ولقد وقعت عيني سابقًا على دراسات تغيت تجديد المثال في أصول الفقه ونقد الأمثلة السابقة المتداولة، وهو عمل أحسب أننا في أمس الحاجة إليه في الدراسات القرآنية عمومًا وفي أصول التفسير خصوصًا.

11. من أسباب الخطأ في التأويل: ذكر سببًا واحدًا رغم أنّ العنوان يوحي بأنه سيذكر أكثر من ذلك، إذ استعمل الجمع "أسباب"، وهذا السبب هو أن كل من وجد النصوص مخالفة لمعتقده جنح إلى التأويل الذي هو تحريف هنا، لكن الأصلح هو إصلاح هذه العقيدة أو النظر مرة أخرى في القرآن لعله عَزَّوَجَلَّ يوفقه وإلا توقف. وما أشار إليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمر في غاية الأهمية إذ الضرورة داعية مع كثيرة التأويلات الخاطئة إلى استكناه أسبابها وإعداد العدة لردها، ولعل من بينها: اتباع الهوى، اعتقاد الأمر ثم البحث عن دليله بلي أعناق النصوص، إرضاء الناس، التقليد الأعمى، حبّ الدنيا الفانية، اتباع خطوات الشيطان وغيرها كثير، نص على بعضها آي الذكر الحكيم. وقد ذكر بعضًا منها الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مباحث تلت هذا المبحث لكنها متفرقة، بل ذكر مقابلها، أي الأسباب التي تدفع إلى الابتعاد عن الزلل في التأويل.

12. التأويل إلى معنى واحد: بيّن الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الصحابة كان لهم تأويل واحد للقرآن نظرًا لتقواهم وعلمهم باللسان وبشأن النزول، ولذلك قل منهم السؤال والتفسير، كما بيّن أنّ التابعين نحوا المنحى ذاته فأولوا القرآن بالرجوع إلى آياته وآثار الصحابة، فكأنهم اعتصموا بأصلين، وهما القرآن وما نقل عن النبي والصحابة. وأما ما وقع بينهم من اختلاف فمرده غالبًا إلى تأويل واحد ولا يبعد عن الصواب.

ثم استطرد بعد ذلك إلى شيء لا يشير إليه هذا العنوان الفرعي وهو الحديث عن كثرة التأويل ابتداء من عصر التابعين وما صاحبه من نقل الروايات الضعيفة وتشبث الفرق والمذاهب بآرائها وجنوحها إلى التأويل، فغدت كتب التفسير حاملة لهذا التراث المختلف الكبير، ممثلًا لها بتفسير الرازي الذي أكثر من الوجوه في الآية الواحدة. ثم أرشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الحل من هذا الاتساع في التأويل وهو اعتقاد أنّ القرآن لا يحتمل إلا تأويلًا واحدًا، ثم ذكر أصولًا مساعدة على فهم ذلك. وأهمها ما ختم به الفقرة حين قال: "فالمحيص عن هذه الورطة أن تجعل ما في القرآن مرتفعًا مما ألحقوا به من الروايات والآيات وتجعله قطعيًا وما دونه ظنيًا، متحملًا للاختلاف".

ومن تأمل هذا المبحث وجد أنّ الفراهي يستدل لما رامه من نظريته بنظام القرآن، وأنّ القرآن لا يحتمل إلا معنى واحدًا، لكن يعدّ اختلاف الصاحبة في التفسير من العقبات الجسام أمام تأصيل الفراهي لمراده، حيث يقول إنّ الاختلاف المنقول إلينا جلّه مروياته شابها الضعف؛ فيزاح عنه شق من الاختلاف المذكور، ولكن يبقى شق مما صح من الاختلاف المنقول إلينا من الصحابة والتابعين فيسوغ له قائلًا: "كان للقرآن عند الصحابة تأويل واحد لتقواهم وعلمهم باللسان وبشأن النزول."[1] وقوله أيضًا: "أن ما وقع بينهم من اختلاف فمرده غالبًا إلى تأويل واحد ولا يبعد عن الصواب". غير أنّ هذا التسويغ لا يقبل منه إلى حد كبير، وليس بالقوة التي تحتاجها هذه النظرية التي مفادها إثبات أنّ القرآن لا يحتمل إلا معنى واحد، وأبسط ما يقال حول هذا التسويغ والاستدلال، أنّ كتب التفسير ومدوناته قد تضمنت ما صح من اختلاف التضاد المنقول عن الصحابة والتابعين. فكيف يوجه ما صحّ من

[1] التكميل في أصول التأويل، ص 30.

اختلاف التضاد؟ ومنه فإننا نلحظ أنّ الإمام الفراهي واجه صعوبة في إثبات أنّ التأويل لا يحتمل إلا معنى واحدًا. ولعلنا نجد لقوله هذا مبررًا تاريخيًا ومصوغًا علميًا، فكثرة التأويل الفاسد جعلته يقصد على محاربته بكل الوسائل، منها ادعاء أنّ القرآن يحتمل تأويلًا واحدًا، ولعل هذا صنو إغلاق باب الاجتهاد حين تطفل عليه من لا صلة له به من أصحاب الأهواء والضلالات.

13. في المتشابه وتأويله: عرض رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسألة تأويل المتشابه ومذاهب بعض الفرق والعلماء فيه، كما بيّن الصحيح عنده بخصوص تأويل الآيات المتشابهات، فهو لا يرى تأويلها، بل هي- عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مما اختص الله بعلمه. وأبرز أنّ العلماء والفرق اختلفوا في المتشابه والمحكم، فبعض الآيات محكمة عند هؤلاء متشابهة عند غيرهم، ثم نقل فصلًا من كتابه: (العقل وما فوق العقل) ليبرز منزلة العقل في اتصاله بما هو فوق العقل، وهذا من أجل إثبات أنّ العقل لا سبيل له إلى علم جزئيات نعيم الدار الآخرة وعذابها، وأنهما فوق حواسنا. كما أنه يذهب إلى أنّ بعض الأمور المتشابهات يمكن تأويلها لأنها ليست مظنة للفتنة إلا أن يغلو فيها غالٍ ويسلط الوهم على عقله، فهذا الاختلاف إذن في تأويل المتشابه مما لا نكير فيه بين الأمم.

وكما سبق، فثمة عبارات بها سقط ربما من قبيل قوله: (ولكن مثل المتشابهات الأمور ... ألا يغلو ..) ربما فيها سقط فلا تستقيم إلا بإضافة كلمات ....

أما قضية تأويل المتشابه والمحكم فلم يسيجها بالأصول اللازمة باستحضار غرض الكتاب، وإنما ناقشها من زاوية الاختلاف في تأويلها من عدمه، وهو أمر لا نرى فيه إضافة تذكر للفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكان حريًا به أن يذكر أصولًا تضبط هذا الباب الكبير الذي زلت فيه أفهام وسقطت فيه أقدام وأقلام.

14. الأصول التي تهدي إلى معنى واحد: وهذا العنوان جمعه الجامع فقط وقد بثّ فيه

أصولًا ذكرها الفراهي، وقد أوصلها إلى أربعة أصول بمثابة قواعد، من أهمها، أولًا: إذا كثرت وجوه التأويل في آية، كان الأمر كاشتراك اللفظ.، وثانيًا: العلم بخصائص أسلوب القرآن. فإنّ كل ذي كلام له في كلامه أساليب تخصه. وثالثًا: إذا احتمل كلمة أكثر من معنى واحد، سألنا هل هذه الكلمة أجدر بهذا المعنى من غيرها؟ فإن وجدنا كلمة أخرى أجدر وأقوم وتركها القرآن، علمنا أنّ القرآن لا يترك أبين الكلام وأقومه، فتركنا ذلك المعنى وأولناها إلى ما هي أصوب له. ورابعًا: الموافقة بالآيات الآخرة، وكذلك الموافقة بالكتب السابقة. والموافقة بالعقل والقرآن. والموافقة بما ثبت من تاريخ الأمم الخالية وسنة الله تعالى بعباده.

كما نقل إفادات الشيخ بخصوص ضرورة النظر فيما أنزل قبل القرآن وعرج على بعض فوائده.

وهذا النظر الذي لا بد منه في نظره رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لعله خاص بالراسخين في التفسير، وإلا فكيف يأمن المبتدئ على نفسه حين يقرأ كتب اليهود والنصارى وهي محرفة بين أيديهم. وهذا أمر ناقشه علماؤنا في أصل من أصول التفسير وهو التفسير بالإسرائيليات، بل كتب فيه المتأخرون مؤلفات مستقلة مفيدة، منها قبيل:[1]·وهو كتاب عمدة في هذا الباب، اعتمد عليه الباحثون في هذا الموضوع.

15. طريق الفهم للمعنى المراد: ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجموعة من الطرق إلى فهم مراد الله عَزَّوَجَلَّ نوردها باختصار، مع التعقيب الموجز على ما يعنّ لنا من ملاحظات عقب ذلك أو أثناءه:

أولًا: تأويل القرآن بالقرآن: بيّن المراد بهذا النوع، ثم بيّن أنه لا بد من إبراز بعض الأمور المساعدة على فهم هذا النوع وتطبيقه في التأويل، ثم ذكر أنّ ما يساعد على ذلك هو استحضار أنّ المعنى الواحد يخرج في عبارات شتى. ثم ذكر

[1] كتاب "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" لمحمد أبو شُهبة

مثالًا تطبيقيًا لذلك من خلال آيات في التسبيح.[1]

وقد أجاد وأفاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجزئية. إذ يعدّ تأويل القرآن بالقرآن هو الركيزة عند الفراهي، فإليه المرد وعليه المعتمد، فهو الأساس، وقد تمسك به تمسكًا شديدًا، بحيث انبثقت منه طريقته في التأويل، ودافع عن هذا النوع من التفسير في أكثر من كتاب، فاعتمده في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان".

وثانيًا: رعاية نظم الكلام: فقد بيّن فيها -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنه سيذكر طرفًا من الأصول التي تساعد على تعيين المعنى المقصود من المعاني المحتملة في الاشتراك، وهي أصول خاصة. وكذلك لتعيين المحذوف والمقدر والمعرض به، وهي في نظره تجمع في: "النظم". لكنه لم يذكر شيئًا كافيًا في ذلك. كما نبّه على أنّ آخر الآي كثيرًا ما ينبّه على ما سبق. وهذا باب من الأبواب الجليلة القدر في التفسير، برزت بشكل واضح في بعض البحوث الجامعية، إذ وقف بعضها على تفسير أسماء الله الحسنى التي ذيلت بها الآيات، بل طبعت في ذلك مشاركات وكتب.

وثالثًا: جامع الأبواب الإجمال: فقد بيّن فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ للكلمة والكلام وجوهًا، ولا بد من تعيين المراد في كل موضع. كما أفاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الكلمة ربما يراد بها اللازم، ويقصد لازم الكلام أو القول، وهو باب نبّه عليه المفسرون، وربما يراد بها الفرد الكامل، أو يراد بها بعض ما تضمنه. وهو هنا يلمح إلى قضية العموم والخصوص في القرآن الكريم. وقد أنجزت فيه دراسات مهمة مفيدة أيضًا خصوصًا عند المتخصصين في الدراسات العربية.[2]

كما أفاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الكلام قسمان: حكم وإنشاء. وقصارى الحكم، العلم: إثباتًا

[1] يمكن التوسع في هذه الطريقة من طرق تفسير القرآن بالقرآن من خلال كتب تطبيقية مثل تفسير أضواء البيان، وكتب جمعت بين التنظير والتطبيق ن مثل: كتاب تفسير القرآن بالقرآن للدكتور محمد لقوي.

[2] ينظر على سبيل المثال كتاب: "العام المراد به الخصوص في القرآن الكريم وبيان أثره في التفسير جمعا ودراسة" لأحمد بن سعيد الحربي المالكي

أو نفيًا. وقصارى الإنشاء، الحركة: رغبة أو نفرة. كما نبّه على أنّ مراده منهما ليس مراد النحويين. وهي جزئية بقيت في حاجة إلى بيان منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ورابعًا: في الألفاظ: فاللفظ عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتسع نطاقه أو يضيق، كمًا وكيفًا وزمانًا، ويساعد على ذلك معرفة نظم الكلام، وهو مبحث من مباحث الأسلوب في القرآن الكريم.

كما أفاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الحاجة شديدة إلى معرفة معاني الألفاظ المفردة وأنحائها، إذ الزلل في كثير من الأحيان ينتج عن عدم معرفة الوجوه الكثيرة التي يستعمل لها اللفظ الواحد. فهو هنا يتحدث عن أهمية ضبط المعجم اللغوي، إضافة إلى إدراك معهود القرآن وكلياته، وهو أمر لا شك ذو أهمية بالغة. بل عدّه العلماء من شروط المفسّر، كما فعل السيوطي وغيره، كما أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك إلى قاعدة "كل حكم فرع على موصوف فالمراد هو الحكم المشروط بشرط القيام على الصفة" ومثل لها.

وخامسًا: في معنى جامع لوجوه: بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ القرآن يستعمل ألفاظًا ذات دلالات جامعة لعدة وجوه، كما بيّن الفرق بين اللفظ الجامع واللفظ المشترك، فالأول يراد به أحد الوجوه نصًا ولجهة النظم (أي من جهة النظم يعني العبارة)، والباقي إشارة. والثاني: إنما يراد به أحد معانيه. كما أنّ الجامع يكون دليل اللفظ بالذات على معنى جامع، وفي المشترك يكون المأخذ جامعًا ولا التفات إليه.

كما أفاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ اللفظ جامع الوجوه قد يخص فيراد به وجه واحد. مثل الإيمان والكفر.[1] وهذا باب من أبواب العموم والخصوص، التي ناقشها العلماء، وربما يدخل فيها المجمل والمقيد أيضًا.

ولعل ما يثير الانتباه هو استعمال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لعبارة "الجامع لوجوه"، وكأنه

[1] ينظر: المصدر نفسه

يستعملها عوض اللفظ المعلوم المتداول وهو العام. فإن كان كذلك فهذا إغراب لا ينبغي إذ يلزم التزام مصطلحات القوم احترازًا من فوضى المصطلح، ودفعًا لأيّ لبس في الفهم. ولا تخفى أهمية الاتفاق على المصطلحات. فما اصطلح عليه القوم أصبح ملزمًا فالشرع الحكيم درءًا لهذه الفتنة اعتبر العرف والعلماء تحدثوا عن عرف الاستعمال كل ذلك تسييجًا وفرارًا من فوضى المصطلح التي ربما يركبها بعض دعاة التحديث.

وسادسًا: وجوه الألفاظ والمعاني: ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجوهًا للألفاظ والمعاني، من قبيل: الإثبات والنفي، والخبر وأقسام الإنشاء، والاسمية والفعلية. ثم كونَ الفعل ماضيًا، وجاريًا (استعمله عوض الحاضر)، ومستقبلًا. أو مبتدءً وخبرًا، حالًا وتمييزًا وغير ذلك من وجوه الكلام وأجزائه، وكونها حقيقة، ومجازًا، وعامًا، وخاصًا .....ثم بيّن أنّ لهذه الوجوه دلالات شتى. ويقصد بذلك المعاني والغايات التي لأجلها تستعمل هذه الوجوه. كما أضاف أنّ كثيرًا من الاختلاف نشأ عن عدم معرفة هذه الوجوه. وهو باب مهم جدًا في التفسير، وقد ألّف العلماء والباحثون في أساليب القرآن الكريم مستفيدين من مباحث الدلالة في اللغة وأصول الفقه.[1]

وسابعًا: وجوه الإثبات والنفي: ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ للإثبات والنفي وجوهًا مختلفة في الجملة الفعلية والاسمية كلتيهما. ثم بيّن وجوه الجملة الفعلية؛ فربما ينفى الفعل لعدم وقوع الأثر ويثبت لابتداء العمل. وكذلك ينفى الفعل عن الفاعل لعدم قدرته على إيقاع الأثر، وأيضًا نفي الفعل لعدم بلوغه حدًا يعبأ به، إضافة إلى نفي الفعل لأجل عدم الأثر أو النفع، علاوة على نفي الفعل للدلالة على عدم

[1] منها: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم لصباح عبيد دراز وكتاب: "معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم" لمخيمر صالح.

المؤثر للفعل.. فهذه وجوه النفي والإثبات بخصوص الجملة الفعلية، لكنه لم يذكر ما يتعلق بالجملة الاسمية، بخصوص الإثبات والنفي، ولعل ذلك راجع كما أسلفنا إلى عدم إكماله هذا الكتاب وعدم تنقيحه إياه.

وثامنًا: مفهوم الإثبات من النفي وبالعكس: أوجز رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلام هنا إيجازًا شديدًا فإذا كان بين الأمرين تضاد وتناقض، فما يثبت لأمر ينفى عن ضده. وهو باب يحتاج على تفصيل.

وتاسعًا: وجوه في إطلاق الفعل: أبرز رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الوجوه وحدها في ثلاثة، فالأول: إطلاق الفعل على بدء الفعل، والثاني: إطلاق الفعل على نتيجته، والثالث: إطلاق الفعل أو الصفة لما يقع حسب الإذن والأمر. وهي أمور دقيقة يستفيد منها المهتم بلغة القرآن الكريم، إذ ينبني على التمييز بين هذه الوجوه فهم دقيق لكلام الله تعالى واستخراج سليم لحكمه وأحكامه.

وعاشرًا: الفرق في إطلاق الاسم والصفة والفعل: يؤكد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تراتبية هذه المكنونات الأساسية للجملة، فالاسم يطلق على الأكمل ثم الصفة ثم الفعل. ولم يكتف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا بل خطَّأ الإمام الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في معنى كلمة "المحصنات" فهو- في نظره- لم يفرق بين إطلاق الاسم والفعل. وهذا لعمري أمر جلل، أن يوصف الشافعي بهذا، فربما حمل الشافعي على عدم الفلاح في معنى كلمة "المحصنات" حامل آخر، كان يحسن بالفراهي الاطلاع عليه قبل إطلاق الحكم، ولا نحسب أنه حامل التفرقة بين الاسم والفعل كما نعته بذلك الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأحد عشر: إطلاق الحكم على العام: بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ العام ربما يعتبر من حيث عمومه، وحينئذ إطلاق الحكم عليه يكون من هذه الحيثية، فلا بد من النظر في نسبة الأمر إلى العام، هل هي إلى الجميع من حيث المجموع؟، أو إلى أفراده؟، أو إلى فرد خاص؟. ثم بيّن كيف يؤثر هذا الباب في الاختلاف بين

المفسرين. وقد أشرنا إلى كتاب في هذا الباب أعلاه.

وثاني عشر: إطلاق الحكم على ذي صفة: يذهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنّ الحكم على الأشخاص ليس كالحكم على الذي ذكر بالصفة، فإنّ الحكم يتعلق به فإن كانت الصفة مما تزول فإن الحكم يزول بزوالها، أما إن كانت مما لا يزول فإنّ الحكم لا يزول أيضًا. وتوضيحًا لذلك نقول بأنّ الصفة التي لا تزول مثل الإنسانية، فعندما يخاطب الله الناس فالحكم يشمل الجميع. أما الصفة التي تزول فيمكن أن أمثل لها بالإيمان، فهو مخاطب بتوابع الإيمان مادام متصفًا بها، فإن كفر فقد سقط عنه ذلك الحكم نظرًا لزوال الصفة. والله أعلم.

وثالث عشر: مما يتعلق بالكلمات المطلقة الجامعة: يعتبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الكلمة إذا كانت مطلقة وتكون مختصة أيضًا، حملت على المعنى المخصوص بالذات، وعلى المعنى العام إشارة فتكون جامعة؛ أما المخبر عنه إذا عبّر عنه بصفة فالحكم يكون مختصًا بالمخبر عنه حسب الصفة.

كما أفاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنّ مسألة الإخبار عن عدم إيمان قوم، لا تقتضي إجبارًا، في حين أفاد كذلك أن فعل الختم إجبار. وبيّن كذلك أنّ النسبة بين المحكوم عليه والحكم نسبة الأثر والمؤثر، كما أبرز نسبة الفعل إلى الله تعالى كيف هي. وهذه مسائل كان من الأجدر تركها فلا يذكرها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، نظرًا لأنها تبحث في علم أصول الدين، فهي إذن استطراد وليست من غرض الكتاب، وإن كان عرضها في باب الإفادات.

ورابع عشر: الفرق بين الحقيقة المطلقة والحقيقة المصطلحة: يؤكد الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الخطاب لا بد أن يكون وفق ما يفهمه الآخر، مبنيًا على الحقيقة المطلقة، لا على معنى غير متداول، فالخطاب إذن يكون بما يكون المخاطب مستعدًا لقبوله. كما اعتبر الذهول عن هذا الفرق سببًا من أسباب الاختلاف

في العقائد. والغريب أنه لم يمثل لذلك بأمثلة لها صلة بالتفسير. ولعله هنا يشير إلى قضية معهود القرآن وكلياته، وهي باب مهم في التفسير، كما أنّ كلامه هذا يدخل ضمن مبحث الحقيقة العرفية والحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية، وهو مبحث مهم من مباحث أصول الفقه، بل وأصول التفسير أيضًا، وطرقه العلماء أيضًا في حديثهم عن شرط اللغة العربية في التفسير.

وخامس عشر: وجوه الكلام تأويله: ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ للكلام وجوهًا من الوصل والفصل، والتقديم والتأخير، والزيادة والحذف، والإجمال والتفصيل، والاقتصار والبيان. ولكل ذلك دلالات، وهي في نظره وجوه المعاني في تأويل الكلام. وأكد أنّ ألطفه وأدقّه تأويل الحذف. ثم بيّنه فذكر ضوابط الحذف كي لا يثبت رأيًا منكرًا أو يميل إلى تأويل ساقط. وهذا أيضًا داخل في عموم أساليب القرآن التي أشار إلى بعضها تحت عنوان فرعي آخر أعلاه.

وسادس عشر: البيان والإبهام: بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضرورة الابتعاد عن الإبهام في الكلام إذا تيسرت العبارات التي تبين المراد. ولا ندري لماذا هذا الأصل، وما الحامل على ذكره هنا، وكلام الله محفوظ معروف، إلا أن يكون خطابه رَحِمَهُ ٱللَّهُ موجهًا إلى المفسر حالة التفسير، فربما نجد له مسوغًا، إذ مقصود المفسر البيان لا إظهار علوّ منزلته في اللغة أو علوم أخرى بأكثر مما يبين مراد الله عَزَّوَجَلَّ من آي الذكر الحكيم.

وسابع عشر: في تقدير المحذوف: أبرز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ العلماء أخطأوا كثيرًا في تقدير المحذوف وذكر مثالًا عن ذلك.

كما أفاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إفادات تتعلق بكلام سمّاه المهيج. كما أظهر غايته: "وغايته التأثير من الترغيب والتكريه والتشويق والتخويف" وذكر بعض ضوابطه، فقال: "لا بد فيه من تمثيل الأمور، وتقريب البعيد، وجعل المعقول محسوسًا". وقد اهتم العلماء والباحثون بهذا الموضوع، من ذلك كتاب: أسلوب الحذف في

القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، مصطفى شاهر خلوف.[1]

وثامن عشر: حمل الكلام على غير ظاهر محسوس: بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الحاجة تدعو إلى استعمال المجاز أحيانًا، ولذلك لا يحمل الكلام على غير الظاهر لأنّ الكلام المؤثر لا يخلو عن ذلك. كما بيّن أنّ أهل الظاهر يكرهون المجاز وبيّن مبرراتهم في هذا الكره. وفي ذلك كتب مهمة مفيدة.[2]

وتاسع عشر: الزيادة على الشيء ربما تكون تكميلًا: وقد أبرز ذلك بشكل مجمل جدًا، فذكر أمثلة تشير إلى أنّ كثيرًا من الزيادات تعدّ تكميلًا. إلا أنها في نظرنا لا تتصل صلة مباشرة بأصول التأويل الذي هو غرضه من تأليف الكتاب.

وعشرون: وجوه النظم: ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ ترتيب الكلمات عند العطف لا يخلو من دلالة. كما ذكر وجوه تقديم كلام على كلام؛ إما لظهوره أو لكونه مجملًا أو لكونه مفصلًا أو لشرفه وبهائه وتقدمه اعتناء به، إضافة إلى وجوه أخرى ختمها بسهولة تلفظه. وهذا أصل من أصول التأويل مهم، وقد اشتغل العلماء والباحثون عليه، فتحدثوا عن التقديم والتأخير في القرآن الكريم.

ويستحسن هنا أن ننبه على خطأ إملائي في النسخة المعتمدة: (وبهاءه)، فالصواب: (وبهائه) نظرًا لعطفها على مجرورات سابقة.

وواحد وعشرون: مواقع التدبر: ذكر منها رَحِمَهُ ٱللَّهُ القصص وذكر أيضًا ما تبذل منه القرائن في النظائر، وأيضًا حين يختار الله عَزَّوَجَلَّ لفظًا دون لفظ. وهي كلها مواقع أثارت أذهانًا وأسالت حبرًا وسوّدت ورقًا نظرًا لأهميتها، فالباحثون تجدهم مثلًا يقف بهم مع قصة يوسف عليه السلام يتدبر معانيها، فيستخرج دررًا نفيسة وفوائد بديعة تقر بها عين القارئين وتلذ بها أذنه، ويعيها قلبه تدبرًا،

[1] دار الفكر، ط1، 2009م

[2] ينظر: مجاز القرآن لعبد العزيز عبد السلام

بل نستحضر أيضًا صنيع الدكتورة عائشة عبد الرحمن في التفسير البياني، وكذلك التصوير الفني لسيد قطب، وغيرها من الدراسات التي عنيت بهذا الجانب.

16. الأصول للتأويل: ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ الأصول ثلاثة: (1) أصول أولية (2) وأصول مرجحة (3) وأصول كاذبة وهذه اعتمدوا عليها وليست بشيء إنما ذكرها للاجتناب؛ ثم بيّن كل نوع منها.

فبدأ بالأصول الأولية، وذكر ضمنها أربعة أصول، تخللتها إفادات تتعلق بحمل النظير على النظير وأنّ النظائر تفسّر بعضها بعضًا. كما نبّه على أصول حمل النظير على النظير، وأضاف إفادة أخرى تتعلق بتعيين المجمل. ثم انتقل إلى الأصل الثاني وهو الأصول المرجحة؛ فذكر ضمنه خمسة أصول تخللتها إفادة وتذكرة، فأما الإفادة فنبّه فيها على أنّ الجهل والخبط ظهرا بسبب قلة التمييز وضعف الفرق. أما التذكرة فذكر تحتها قضية إخضاع القرآن للتأويل بناء على الأحاديث وبيّن أنّ الأصل العكس، أي تؤول الأحاديث بالقرآن، كما أوضح كذلك أنّ التفسير بحديث يناسب المقام إذا لم يقرر عقيدة ومذهبًا مأمون، ولكن مع ذلك ظني، فأخذ به مع إمكان غيره. وختم كتابه بإفادة تتعلق بأسباب الغواية.

الخاتمة: وعموم القول حول مادة الكتاب بعد عرضها مع بعض الملاحظات في ثناياها، أنّ الكتاب زاخر بالأفكار القيمة والإشارات المهمة، كما استنتجنا منه ومن غيره، ما برهن على أنّ الإمام عبد الحميد الفراهي كان يحمل همًا عظيمًا اتجاه فهم مراد الله من كتابه، جراء ما تشهده رقعة الاختلاف من اتساع يومًا بعد يوم؛ مما جعله ينقطع لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ تفكرًا وبحثًا؛ فانبثق عند الإجابة عن إشكالية تكميل أصول التأويل، حتى تصبح معتمدًا ومعيارًا يتحاكم إليها المفسر والمشتغل بكتاب الله، لكن واقع الكتاب بين أيدينا والأصول التي حواها، بيّن لنا أنّ الإمام الفراهي كان يؤصل ويستدل لنظريته المعروفة بنظام القرآن، أو بما وسمها "علم النظام"، وأنّ نظام

القرآن ليس مقصودًا لذاته، وإنما هو منهج صحيح لتأويل القرآن تصديقًا لقوله تعالى "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾" (سورة القيامة: 16-19). فصاحب الكلام أدرى بكلامه كما يقال، وعودة إلى أصول الإمام الفراهي، فقد واجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ صعوبة كبيرة جدًا في وضع أصوله، رغم الأمثلة والشواهد، وكذلك التطبيقات لهذه القواعد، وخصوصًا في توجيه ثلاث قضايا كبرى: أولها: ما صح من الاختلاف المنقول عن الصحابة رضي الله عنهم، ثانيًا: موقع السنة النبوية من أصول الفراهي خاصة وثالثًا: في التعامل مع مصنفات ومدونات التفسير التي تلقتها الأمة بالقبول.

فالرجل إذن صاحب رؤية متكاملة ومشروع جدير بالدراسة والاهتمام تنمية ومتابعة، لكن هذا لا ينفي بعض الملاحظات التي لا تنقص من قيمة الكتاب شيئًا، بقدر ما تسعى لتسليط الضوء على مضمونه وكشف جوانب القوة والضعف ومواطن القصور والنضج مع فتح آفاق وطرح أفكار للنقاش، مع العلم أننا أشرنا في أكثر من موضع أنّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكمل كتابه هذا. مما جعلنا نلتمس له العذر في غير ما موطن. ومن هنا نوصي أنفسنا أولًا والمجتمع البحثي ثانيًا بالاهتمام والرجوع للنتاج العلمي السابق وخاصة المهجور أو المنسي منه؛ ودراسته دراسة جادة ومعمقة، لما لهذه الخطوة من أهمية في الارتقاء أكثر ريادة وعمقًا لتراثنا الإسلامي.

لائحة المصادر والمراجع

1. الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم لصباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، ط1، 1986م
2. أضوء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، 1995م.
3. الإكسير في علوم التنزيل لسليمان الطوفي، مكتبة الآداب، تحقيق: د. عبد القادر حسين، القاهرة، د.ت
4. إمعان في أقسام القرآن لعبد الحميد الفراهي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930م.
5. التكميل في أصول التأويل لعبد الحميد الفراهي، جمعه بدر الدين الإصلاحي، حقّقه عبد السميع المفتي، د.ت.
6. جهود الشيخ السعدي في دفع توهم التعارض من خلال تفسيره لأسماء المريني، رسالة ماجستر، 1438هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.
7. درء التعارض بين القرآن والسنة لسليمان سليم الغزالي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الخامس 2005م.
8. العام المراد به الخصوص في القرآن الكريم وبيان أثره في التفسير جمعا ودراسة لأحمد بن سعيد الحربي المالكي، طبعه كرسي القرآن وعلومه، الإصدار الخامس عشر، ط1، 1436هـ
9. علم أصول التفسير محاولة في البناء للدكتور مولاي عمر بن حماد لها، دار السلام، ط1، 2010م.
10. مجاز القرآن لعبد العزيز عبد السلام، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط37، 1999م
11. معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم لمخيمر صالح، دار الكتاب الثقافي، د.ت
12. مفردات القرآن لعبد الحميد الفراهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م

ISSN: 2321-7928

أضواء على:
الرأي الصحيح في من هو الذبيح

- د. عبيد الرحمن طيب[1]

ذكر القرآن الكريم قصص الأنبياء والرسل موجزًا ومفصلًا حسبما اقتضت الحاجة إلى ذلك. ومنها قصة سيّدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ومن قصصه قصته مع أبيه آذر راعي المعبد وصانع الأصنام وقصة كسر الأصنام وإلقائه في النار التي أصبحت بأمر الله بردًا وسلامًا وهجرته ومواجهته الملك نمرود وهبته في الشيخوخة الولد ورؤياه في المنام أنه يذبح ولده الحبيب لوجه الله سبحانه وتعالى وقصته مع الملائكة الذين جاؤوا بأمر الله ليعذبوا قوم لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لسوء أعمالهم. وهذه كلها قصص حقيقية تحمل في ثناياها أبعادًا تاريخية وثقافية ودينية وفي ذكرى الذبح العظيم السنة الإبراهيمية لا تزال الأمة الإسلامية عبر العالم تقدّم أضاحي كل سنة وتجري إلى يوم القيامة إن شاء الله.

السؤال المطروح: مَنْ كان الذبيح من ولدي إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ إسماعيل أم إسحاق عليهما السلام؟ وما هي الأدلة التاريخية على ذلك؟ وماذا يقول القرآن الكريم الذي هو أصح كتاب على الأرض حيث إن اليهود يدعون أنّ إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان ذبيحًا وفئة من علماء المسلمين أيضًا قالوا. ولكن أغلب علماء الإسلام يؤمنون بأنّ الذبيح هو إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقد تناول هذه المسئلة الدينية التاريخية الحساسة علماءُ الإسلام ضمن تفسير الآية الكريمة "وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ" (سورة الصافات: 107). وأفرد الشيخ عبد الحميد الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1349هـ/1930م) رسالة وعالج هذا الموضوع

[1] أستاذ مشارك بمركز الدراسات العربية والإفريقية في مدرسة الألسن بجامعة جواهرلال نهرو- نيودلهي (الهند)

بقدر من التفصيل ومن نواحٍ شتى. وإلى جانب اللغة العربية كان الشيخ يجيد اللغة العبرانية مما أتاح له فرصة طيبة للإستفادة من التوراة وكتب التاريخ الإسرائيلي وكشف القناع عن الحقيقة.

ها هو الكتاب "الرأي الصحيح في من هو الذبيح": ألّفه الشيخ عبد الحميد الفراهي، يحتوى على 164 صفحة بحجم متوسط، نشرته دار القلم بدمشق، أول مرة في 1420هـ/1999م. وكتب مقدمته الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي وقام بتعريف المؤلف السيد سليمان الندوي بعنوان "ترجمة المؤلف" أي الفراهي.

ويكتب الدكتور محمد أجمل الإصلاحي عن طباعة هذا الكتاب: "وبعد، فكان من حظ هذا الكتاب القيم أنّ الإمام الفراهي رحمه الله تعالى قد أنجز تأليفه خلافًا لكثير من كتبه، وسمّاه اسمًا تاريخيًا يشير إلى سنة 1331هـ. وقد طبع الكتاب في حياته طبعة حجرية بالخط الفارسي في مطبعة معارف بأعظم كره سنة 1338 هـ (1919م) ثم ترجم باللغة الأردية سنة 1357هـ وصدرت لهذه الترجمة عدة طبعات. وقد ترجم قبل سنتين باللغة الإنكليزية أيضًا. أما الطبعة العربية فقد نفدت قبل زمن طويل، ولم يقدر لها أن تصل إلى العالم العربي لقلة الوسائل وضعف المواصلات في ذلك العهد". ويضيف الدكتور الإصلاحي قائلًا: "ويسعدنا اليوم أن نقدّم طبعة ثانية. (وفي الحاشية يكتب: صدرت من الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، أعظم كره، الهند عام 1414هـ.[1] فهذه ليست بالنسخة الأولى الصادرة عام 1420هـ/1999م كما هو مكتوب على الصفحة الداخلية لغلاف الكتاب. بل هي نسخة ثانية، أولًا طبعت في الدائرة الحميدية بالهند عام 1414هـ ثم طبعت دار القلم بدمشق نفس النسخة 1420هـ/1999م.

واستهل الشيخ الفراهي الكتاب بـ"خطبة الكتاب" وهي في الحقيقة مقدّمة للكتاب.

[1] الرأي الصحيح في من هو الذبيح، ص 19

وذكر فيها أنه لماذا سماه هكذا قائلًا: "وسمّيته مؤرخًا (الرأي الصحيح في من هو الذبيح)."[1] ثم يذكر الأسباب التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب. ومنها مكانتها العظمى في ملتنا. وأنّ في القرآن آيات كثيرة يتوقف فهمها وتأويلها ونظامها على معرفة هذه المسألة وما يتعلق بهذا الذبح. وأنّ اليهود لم يبالغوا في كتمان أمر مثل مبالغتهم في ذلك. ثم ذكر الشيخ طريقته لتناول هذا الموضوع. وقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب سمّاها الأقساط: فالقسط الأول في الاستدلال بالتوراة وبما اعترف به علماء أهل الكتاب، والقسط الثاني في الاستدلال بالقرآن المجيد وحده، والقسط الثالث في ما روي في هذه المسألة، ونورد فيه أقوال علمائنا.

فالقسط الأول في الاستدلال بالتوراة وبما اعترف به علماء أهل الكتاب. ويشتمل على 13 دليلًا استدل بها الفراهي وعلى سبيل المثال مسكن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأنّ موضع الذبح هو المروة التي عند الكعبة. وبكون الكعبة هي بناء إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومنحره.

والقسط الثاني في الاستدلال بالقرآن المجيد وحده، وأتى بثلاثة عشر دليلًا قائلًا الاستدلال الأول بكون ذكر الذبيح موصولًا بالدعاء والاستدلال الثاني بنظير هذا الدعاء من جهة النظم، والاستدلال الثالث بتطبيق النظيرين من جهة أخرى. والقسط الثالث في ما روي في هذه المسألة، ونورد فيه أقوال علمائنا حيث يستعرض أقوال السلف في فصول عدة منها ذكر الروايات المختلفة من الصحابة والتابعين والسلف الأولين بعدهم ثم ذكر ما قال ابن جرير رحمه الله ثم النظر في استدلال ابن جرير رحمه الله ثم ذكر ما في التفسير الكبير للرازي رحمه الله وما في الكشاف مع تنبيهات يسيرة ثم خلاصة من قول ابن كثير رحمه الله في تفسيره.

وبإيجاز قصة حياة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هي أنه ولد في بيت كان أبوه أحد كبار رعاة

[1] المصدر السابق، ص 21

المعبد حيث يصنع الأصنام ويبيعها ويتولى شؤون المعبد في بلدة "أور" التابعة لمدينة بابل من بلاد الرافدين وهي الاسم القديم أو أحد أسماء العراق وكانت تمتد أراضيها إلى بلاد الشام أحيانًا. فالنبي إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد ما رأى الشرك والكفر متفشيًا في قومه حاول إقناعهم على أنّ الله سبحانه هو الخالق الوحيد لا شريك له ولكن بدون طائل ثم كسر الأصنام يومًا وعوقب لذلك أنه ألقي في النار ولكنها أصبحت بردًا وسلامًا عليه بأمر ربه. ولم يعد بعد ذلك متسع أن يبقى في المدينة فهاجر مع زوجته إلى أرض كنعان وقبل الخروج من المدينة تسنى له المواجهة مع نمرود ولما رأى الملك نمرود من آيات الله خاف وتنحى عنه وذهب إلى أرض كنعان (فلسطين) ثم فكر في إسكان زوجته الثانية في وادٍ غير ذي زرع وتوجه إليه معها ولم يرزق له أيّ ولد حتى الآن فدعا الله سبحانه أن يهب له ولدًا صالحًا فاستجاب له ربه ووهب له إسماعيل (أي مستجاب) ولما بلغ معه السعي رأى في المنام أنه يذبحه فذهب به ليقربه في سبيل الله ولكن سبحانه وتعالى أنقذه بكبش وجعله ذبحًا عظيمًا وببشارة ابن آخر له وابن ابن له وهما إسحاق ويعقوب عليهما السلام وبركاته. وأسكن إسماعيل في وادي مكة وابنه الثاني إسحاق من زوجته سارة في أرض كنعان (فلسطين).

فالأمر المطروح مَنْ هو الذبيح وما هي الأدلة عليه؟

يعتقد اليهود أنّ الذبيح هو سيّدنا إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بدليل أنه هو ابنه الوحيد المحبوب الذي رآه في المنام أنه يذبحه لله سبحانه وتعالى. ولكن كتب تاريخ اليهود مليئة بالتناقضات وقد برهن ذلك الشيخ سيّد أبو الاعلى المودودي والفراهي استنادًا إلى كتبهم. وهناك فئة من علماء اليهود أيضًا الذين يؤمنون بأن إسماعيل هو ابن إبراهيم الأكبر وهو الذي فداه لربه.

فيكتب الشيخ المودودي في تفسير الآية "وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ": "وفي التوراة: امتحن الرب إبرام فقال له يا إبرام: اذهب أنت مع ابنك الوحيد الحبيب إلى بلاد موریاه

وقرّبه في أحد الجبال الذي أقول لك". (الميلاد: 22: 1-2)

وإشارة إلى هذا البيان يقال أنّ الله كان قد طلب تضحية إسحاق ابنًا وحيدًا له. ولكن البيانات من التوراة تفيد بأنّ إسحاق لم يكن ابنًا وحيدًا له، لنر تصريحات التوراة الأخرى.

"ولم تلد سارة له ولدًا، كانت لها جارية مصرية تسمّى بـ"هاجرة" فقالت سارة لإبرام إن الرب قد حرمني من الأولاد فاذهب إلى جاريتي لعل بيتنا يصبح معمورًا منها. وقبل إبرام رأي سارة وكان إبرام قد قضى عشر سنوات في كنعان. ولما أعطته زوجته جاريتها لتكون زوجة له فذهب بـ"هاجرة" وحملت. (الميلاد: 16: 1-3)

وقال ملك الرب أنت حاملة وتولد ولدًا. فسمّيه إسماعيل" (16: 11)

ولما ولدت زوجة إبرام هاجرة إسماعيل كان قد بلغ إبرام من عمره 86 سنة (16:16).

وقال الرب لإبرام إنّ سارة التي هي زوجتك ... سأعطيك ولدًا... فسمّيه إسحاق... الذي سيولد في نفس الوقت المحدد في السنة القادمة. فخرج إبرام مع ابنه إسماعيل وسائر رجال البيت وقام بختانهم بذلك اليوم بحكم ربه. وكان قد بلغ إبرام من عمره 99/ سنة لما تم ختانه وكان إسماعيل قد بلغ من عمره 13 سنة لما تم ختانه. (الميلاد: 17: 15-25)

ولما ولد ابنه إسحاق فكان إبرام قد بلغ من عمره مائة سنة. (الميلاد: 21- 5)

واتضحت تناقضات التوراة من التفاصيل المذكورة آنفًا. ومن البين أنّ إسماعيل كان ولدًا وحيدًا لإبراهيم لمدة 14عشر سنة. فإنه إذا طلب أضحية الابن الوحيد فمن الطبيعي أنه لم يكن إسحاق بل بل كان إسماعيل وإلا يكون من خطأ أن يقال أنّ التضحية طلبت للابن الوحيد".[1]

وقد ذكر الفراهي قصة الذبح استنادًا إلى التوراة فينقل منها: "جاء في سفر التكوين

[1] تفهيم القرآن، 1/297-298

(22-1-18): "وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له: يا إبراهيم، فقال: ها أنا ذا. (2) فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك. (3) فبكّر إبراهيم صباحًا وشدّ على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحاق ابنه وشق حطبًا لمحرقة وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله. (4) وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد".

بعد ذلك ذكر مجيئه واستعداده لتقديم القربان حتى ناداه الرب. فقال: لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئًا لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني. (13) فرفع عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكًا في الغابة بقرنيه فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضًا عن ابنه. (14) فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يرأه حتى إنه يقال اليوم في جبل الرب يُرَى. (16) وقال بذاتي أقسمت، يقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة...".[1]

فمن كان ابنه الوحيد معه؟ فيكتب نقلًا عن التوراة: "وكان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام،" وفيه أيضًا: (21-5)، وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحاق ابنه".[2] وبهذا ثبت أن ابنه الوحيد كان إسماعيل.

أما علماء الإسلام فانقسموا على فئتين: فئة قالت إنّ الذبيح هو إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ وفئة أخرى قالت هو إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ. ولا نذكر أسماء الصحابة والتابعين وغيرهم من المفسرين والعلماء ونكتفي بقول ابن جرير الطبري المفسر العظيم وابن كثير رحمهما الله وأدلتهما.

[1] الرأي الصحيح في من هو الذبيح، ص 46-47

[2] المصدر السابق، ص 51

ويكتب ابن جرير الطبري قائلًا: "واختلف أهل التأويل، في المفديّ من الذبح من ابني إبراهيم، فقال بعضهم: هو إسحاق." ويذكر أقوالًا كثيرة من مختلف الرواة وهي متكررة فعلى سبيل المثال ذكر قول ابن عباس مرات وكرات فلا نذكر إلا مرة "عن العباس بن عبد المطلب (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال: هو إسحاق. ورواية أخرى عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، قال: افتخر رجل عند ابن مسعود، فقال: أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله. ورواية ثالثة عن أبي هريرة، عن كعب الأحبار في قوله (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال: من ابنه إسحاق. وعن مسروق، في قوله (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال: هو إسحاق. وعن عبد الله بن عمير قال: (قال موسى: يا ربّ يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فبم قالوا ذلك؟ قال: إن إبراهيم لم يعدل بي شيئًا قطّ إلا اختارني عليه، وإن إسحاق جاد لي بالذبح، وهو بغير ذلك أجود، وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظنّ".

وعن أبي ميسرة، قال: قال يوسف للملِك في وجهه: ترغب أن تأكل معي، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبيّ الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله.

ثم يذكر قول الآخرين وهو أنّ الذي فُدِي بالذبح العظيم من بني إبراهيم: إسماعيل.

فعن ابن عمر أنه قال: الذبيح: إسماعيل. وعن ابن عباس (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال: إسماعيل. وقول ابن عباس ذكره مرات وكرات. وعن عبد الله بن عباس أنه قال: المَفْدِيّ إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود. وعن عامر أنه قال في هذه الآية (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) قال: هو إسماعيل، قال: وكان قَرْنا الكبش مَنُوطَيْن بالكعبة. وعن الشعبي، قال: رأيت قرني الكبش في الكعبة. وعن ابن إسحاق، قال: سمعت محمد بن كعب القُرَظِيّ وهو يقول: إن الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من بنيه إسماعيل، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن إبراهيم وما أُمر به من ذبح

ابنه إسماعيل، وذلك أنّ الله يقول، حين فرغ من قصة المذبوح من إبراهيم، قال: وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ يقول: بشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، يقول: بابن وابن ابن، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الله الموعود ما وعده الله، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل.

وعن محمد بن كعب القُرَظِيّ، أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة، إذ كان معه بالشام فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما هو، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديًا، فأسلم فحُسُن إسلامه، وكان يرى أنه من علماء يهود، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك، فقال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: أيّ ابني إبراهيم أُمِر بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين، وإن يهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسُدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق، لأن إسحاق أبوهم، فالله أعلم أيهما كان، كل قد كان طاهرًا طيبًا مطيعًا لربه.

وعن الصّنَابحي، قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان، فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فقال: على الخبير سقطتم: (كنا عند رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فجاءه رجل، فقال: يا رسول الله عُدّ عليّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فضحك عليه الصلاة والسلام، فقلنا له: يا أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما أُمِر بحفْر زمزم، نذر لله لئن سَهُل عليه أمرها ليذبحنّ أحد ولده، قال: فخرج السهم على عبد الله، فمنعه أخواله، وقالوا: افْدِ ابنك بمئة من الإبل، ففداه بمئة من الإبل، وإسماعيل الثاني).

وبعد ما نقل الطبري القولين في من هو الذبيح. قارن بينهما وقال: "وأولى القولين بالصواب في المَفْديّ من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق، لأن الله قال: (وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) فذكر أنه فدَى الغلامَ الحليمَ الذي

بُشّر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدًا صالحًا من الصالحين، فقال: رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فإذ كان المفديّ بالذبح من ابنيه هو المبشَّر به، وكان الله تبارك اسمه قد بيّن في كتابه أنّ الذي بُشّر به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جلّ ثناؤه: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد، فإنما هو معنيّ به إسحاق، كان بيَّنا أن تبشيره إياه بقوله فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن.

وبعد: فإن الله أخبر جل ثناؤه في هذه الآية عن خليله أنه بشَّره بالغلام الحليم عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا في حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين، لأنه لم يكن له من ابنيه إلا إمام الصالحين، وغير موهم منه أن يكون سأل ربه في هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له. فإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أنّ الذي ذكر تعالى ذكره في هذا الموضع هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشَّره به وذلك لا شك أنه إسحاق، إذ كان المفديّ هو المبشَّر به. وأما الذي اعتلّ به من اعتلّ في أنه إسماعيل، أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن ابن، فلم يكن جائزًا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم، فإن الله إنما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعي، وتلك حال غير ممكن أن يكون قد وُلد لإسحاق فيها أولاد، فكيف الواحد؟ وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفديّ من ولد إبراهيم بقوله وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا ولو كان المفديّ هو إسحاق لم يبشَّر به بعد، وقد ولد، وبلغ معه السعي، فإن البشارة بنبوة إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فُدِي تكرمة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح، وقد تقدمت الرواية قبلُ عمن قال ذلك. وأما اعتلال من اعتلّ بأن قرن الكبش كان معلقًا في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حُمل من الشام إلى الكعبة. وقد رُوي عن جماعة من أهل العلم أنّ إبراهيم إنما أمر

بذبح ابنه إسحاق بالشام، وبها أراد ذبحه.[1]

والآن نعود إلى تفسير ابن كثير فقام بشرح الآية "وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ" بقدر من التفصيل فيكتب: ذكر من قال: هو إسحاق [عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ]:

ثم ذكر الرواية التي ورد فيها أن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: وأنا- والله- يوسف بن يعقوب نبي الله، ابن اسحاق ذبيح الله ... ثم الرواية التي قال فيها عزّ وجلّ: إن إبراهيم لم يعدل بي شيئ ...إلخ. ثم ذكر ابن كثير أسماء الرواة من الصحابة والتابعين وغيرهم وعلّق عليها قائلًا: "وهذه الأقوال- والله أعلم- كلها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن كتبه، فربما استمع له عمر- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- فترخص الناس في استماع ما عنده، ونقلوا عنه غثها وسمينها، وليس لهذه الأمة -والله أعلم- حاجة إلى حرف واحد مما عنده.

وقد حكى البغوي نفس الرواية مع ذكر أسماء الرواة وعلّق عليها: وهي إحدى الروايتين عن ابن عباس. وقد ورد في ذلك حديث- لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين، ولكن لم يصح سنده- وينقل ما قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا زيد بن حباب، عن الحسن بن دينار، عن علي بن زيد بن جدعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، عن النبي- صلّى الله عليه وسلّم- في حديث ذكره قال: هو إسحاق. ويعلق قائلًا: ففي إسناده ضعيفان، وهما الحسن بن دينار البصري، متروك. وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث.

بعد نقل الأقوال والتعليقات الآنفة الذكر يذكر ابن كثير الآثار الواردة بأنه إسماعيل- عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- وهو الصحيح المقطوع به.

فعن ابن عباس أنه قال: المفدى إسماعيل-عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- وزعمت اليهود أنه إسحاق،

[1] تفسير ابن جرير، آون لائن، تفسير الآية وفديناه بذبح عظيم

وكذبت اليهود. وكذا قال ابن عمر، ومجاهد ويوسف بن مهران وقال الشعبي: هو إسماعيل-عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة. وعن الحسن البصري: أنه كان لا يشك في ذلك: أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم إسماعيل.

ثم ينقل ابن كثير: قال ابن إسحاق: وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول: إن الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من ابنيه إسماعيل. وإنا لنجد ذلك في كتاب الله، وذلك أنّ الله حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال: (وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ). يقول الله تعالى: (فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ)، يقول بابن وابن ابن، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من [الله] الموعد بما وعده، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل.

وقال ابن إسحاق، عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم؛ أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة إذ كان معه بالشام، فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما قلت. ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام، كان يهوديًا فأسلم وحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علمائهم، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك- قال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز- فقال له عمر: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين، وإن يهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب، على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به، فهم يجحدون ذلك، ويزعمون أنه إسحاق، بكون إسحاق أبوهم، والله أعلم أيهما كان، وكل قد كان طاهراً طيباً مطيعًا لله -عَزَّوَجَلَّ-.

وأما قول ابن جرير الطبري أنّ الذبيح إسحاق فقد علّق عليه ابن كثير قائلًا: وإنما عول ابن جرير في اختياره أنّ الذبيح إسحاق على قوله تعالى: (فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ)، فجعل هذه البشارة هي البشارة بإسحاق في قوله: (وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ) [سورة الذاريات: 28].

وأجاب عن البشارة بيعقوب بأنه قد كان بلغ معه السعي، أي العمل. ومن الممكن أنه قد كان ولد له أولاد مع يعقوب أيضًا. قال: وأما القرنان اللذان كانا معلقين بالكعبة فمن الجائز أنهما نقلا من بلاد الشام. قال: وقد تقدم أنّ من الناس مَنْ ذهب إلى أنه ذبح إسحاق هناك. هذا ما اعتمد عليه في تفسيره، وليس ما ذهب إليه بمذهب ولا لازم، بل هو بعيد جدًا، والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى، والله أعلم.[1]

ونعود الآن إلى الفراهي وكيف أتى بدلائل هامة في هذا الصدد. ومن أهمها أنّ موضع الذبح هو المروة التي عند الكعبة. فيكتب: "في اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد". زعمت اليهود أن هذا الموضع هو موضع هيكل سليمان في أورشيلم، وزعمت النصارى أنه موضع صلب المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حسب معتقدهم، ولكن المحققين منهم قد علموا أنه باطل محض.

وأين يقع موضع الذبح الذي قرب فيه إبراهيم؟ فينظر فيه ويتدبر في ما ذكر في كتب اليهود وتحريفاتهم. ويكتب أنّ صورة أصل الكلمة هي مروة والصور المبدلة هي (مريه)، (موريه)، و(موره) وقراءتهم (مرياه)، (موریاه)، و(مورِه).

وأنّ موره هو اسم موضع في مساكن بني إسماعيل ولم يزل مشهورًا باسم المروة. ويؤيد ذلك ما في صحفهم فإنه قد جاء في سفر القضاة: (7:1): "وكان جيش المديانيين شماليهم عند تل موره في الوادي"، فتبين أن هذا تل موره كان معسكر المديانيين، ولا شك أنّ المديانيين هم العرب، واسم مديان يطلق عليهم وعلى أرضهم. وقد جاء التصريح في صحفهم بأنّ مديان هم الإسماعيليون.

وقال (سيل) مترجم القرآن في الإنكليزية: "مديان من مدن الحجاز...وكانت على بحر قلزم في الجنوب والمشرق من سيناء، ولا شك أنها موديانة التي ذكرها بطليموس".

[1] تفسير ابن كثير، آون لائن، تفسير الآية وفديناه بذبح عظيم

فاتضح مما ذكرنا أنّ موره كان في مساكن مديان، وأنّ مديان هم بنو إسماعيل، وأنّ أرض مديان في الحجاز على بحر قلزم.

وقد مرّ آنفًا أنّ (موره) هي تحريف (مروة)، وقد اعترف المحققون منهم بأنّ هذا الموضع لم يكن في الشام في مساكن اليهود، وإنما أدخلوا هذا الاسم في صحفهم، واخترعوا له موضعًا لم يثبت عند المحققين وجوده، بل نصوص صحفهم قد دلّت على أنه في أرض الحجاز في مساكن بني إسماعيل.[1]

ويدعم الفراهي قوله بما كتبه أحد مشايخ اليهود أعني كولنزو (G.W.Colenso) فإنه ذكر من لغتهم في اسم الموضع الذي سمّوه "أرض المريا"، ثم صرّح بتحريفهم في هذه التسمية. وهذا ما ذكره من الاختلاف.

فحسب النسخة السبعينية- إلى الأرض العالية، البلوطة العالية، قرب البلوطة العالية، عند جبل موره، (حسب ترجمة أقيلا الذي ناقض السبعينية)، وحسب النسخة العبرانية، إلى أرض موره، (حسب ترجمة سماخوس).

ويقول كولنزو: الأولى: أن هذا الاسم بمكان الهيكل لا يوجد في سائر الصحف، فقال: "لا يوجد هذا الاسم في أحد من الكتب بعد سليمان، فإن كتب الأنبياء والمزامير الأولى لا تذكر الجبل الذي بنى عليه الهيكل إلا باسم "صيهون"، ولا تذكر (مريا) أبدًا لمكان الهيكل".

والثانية أنّ صفة ذلك الموضع لا تصدق على مكان الهيكل، فقال: "وليس هناك صعيد يطابق بقوله: "مكان بعيد " الذي رفع إليه ابراهيم عينيه، فإن المكان الذي تزعمه اليهود موضع القربان أعني جبل الهيكل جبل موریاه- ولا دليل عليه غير هذه التسمية- فإنه لا يرى إلا بعد ما بلغه المسافر من الجانب الشرقي من وادي هنوم

[1] الرأي الصحيح في من الذبيح، ص 60-61

الذي يطلع عليه فينظر إلى الهيكل من فوق".[1]

وبهذا ثبت أنّ موضع الذبح هو المروة المقامة عند الكعبة وليس في أورشليم كما زعمت اليهود والنصارى.

ولننظر إلى الروايات التفسيرية التي ذكرها ابن جرير الطبري فقد ردّ عليها ابن كثير ولا داعي إلى تكرارها. ويكتب عن قرن الكبش المعلق على جدار الكعبة وإمكانية حمله من أورشليم إلى مكة فيرد عليه الفراهي قائلًا: "ولا يخفى أن دليل قرن الكبش ليس مما يعول عليه، ولا ذكر له في القرآن، فسواء عندنا أثبت أم لم يثبت، فلو ترك التعرض له لكان أولى به. ولكن إذ أجاب عنه، فنقول: إن الإمكان العقلي لوسيع، ولكنه مستحيل جدًا في عادة الأمم أن يرضوا بأن ينقل من عندهم آثارهم المقدسة القديمة، بل على مثل ذلك تشب نيران الحرب، وتهراق المهج". ثم يضيف إلى ذلك قائلًا: "ومتى غلبت العرب على اليهود أو النصارى قبل الإسلام حتى تسلبهم هذا الأثر المقدس عندهم لو كان لهم؟ ولو وقع ذلك لاشتهر ذكره عند الفريقين." [2]

أما القرآن الكريم فلم يصرح بمن هو الذبيح والآيات الواردة في هذا الصدد تتطلب إلى دراسة متأنية في سياقها. وقد قام الفراهي رحمه الله بدراسة منظمة تدعم القول إن الذبيح هو إسماعيل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ. ويكتب: "لا يخفى أنّ الذبيح حين قرّب كان غلامًا لم يدخل في حد الرجال، لقوله تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ" (سورة الصافات: 102)، ولخطاب إبراهيم إياه بقوله: "يَٰبُنَيَّ". وهكذا في التوراة. والبشارة بإسحاق تتضمن البشارة بنبوته، فكيف يمكن لإبراهيم أن يظن أنه أوحي بذبحه بعد صراحة البشارة من الله تعالى بخلاف ذلك؟".[3]

ويضيف إلى ذلك ردًا على ابن جرير الطبري "بعد ما ذكر الله تعالى المبشر به الذي

[1] المصدر السابق، ص 55
[2] المصدر السابق، ص 118
[3] المصدر السابق، ص 83

صار ذبيحًا، والمبشر به الذي هو إسحاق، ذكر من أحوالهما بقوله: "وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ". (سورة الصافات: 113)، فجعلهما اثنين مرتين، وإذ ثبت أنّ المبشر به أولًا غير المبشر به ثانيًا، والذبيح هو الأول، وإسحاق هو الثاني، ثبت ما ادعيناه. وأما القول بأنّ المراد ههنا بالاثنين هو إبراهيم واسحاق عليهما السلام فهو تأويل ضعيف. [1]

وقال تعالى: "أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِىۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾". [2]

ففي هذه الآية ذكر الله سبحانه تعالى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق. أي أولًا إسماعيل ثم إسحاق. هذا أيضًا يدل على أنّ إسماعيل كان أكبر ولدي إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

وفي مكان آخر يذكر القرآن الكريم: "وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ.." [3] ويصرح بأن الله يهبه ولدًا اسمه إسحاق وبنفس الوقت يبشر بأنه يمنح إسحاق ولدًا يكون اسمه يعقوب. فلا يجوز أن يكون الذبيح إسحاق إذ يبشر الله سبحانه بأنه يهبه ولدًا اسمه يعقوب. وليس في مكان آخر بل في نفس الكلام ونفس الجملة.

وخلاصة القول أنّ "الرأي الصحيح في من هو الذبيح؟" هو من أهم الكتب حول الموضوع ولعله وحيد فريد في نوعه وأسلوبه واستدلالاته ودراساته. ويتناول أهم موضوع من موضوعات التاريخ والدين الإسلامي.

[1] المصدر السابق، ص 87
[2] سورة البقرة: 133-134
[3] سورة هود: 71

المصادر والمراجع

1. الفراهي، الإمام عبدالحميد،: الرأي الصحيح في من هو الذبيح، دار القلم، دمشق، 1420هـ/1999م.
2. الطبري، محمد بن جرير،: تفسير الطبري (سورة الصافات، الآية: 107) آون لائن
3. ابن كثير، اسماعيل بن عمر،: تفسير القرآن الكريم المعروف بـ"تفسير ابن كثير"، (سورة الصافات الآية: 107)، آون لائن
4. السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، مؤسسة رسالة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2008م.
5. المودودي، سيد أبوالأعلى،: تفهيم القرآن، سورة الصافات الآية رقم 107، PDF